مهرجان القراءة للجميع
للطفل . للشباب . للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة

مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤
مكتبة الأسرة

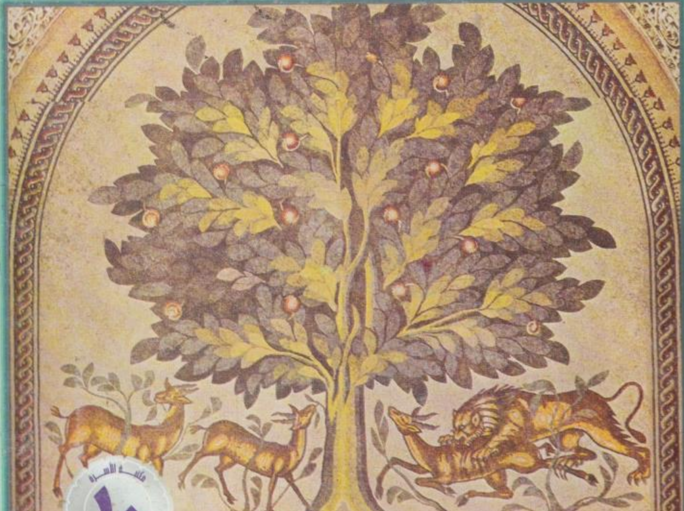
من عيون التراث



الحيوان للجاحظ

٥ المجلد الخامس

تقديم: د. أحمد فؤاد باشا
د. عبد الحكيم راضى



لوحة فسيفساء أرضية فى حمام خربة بالأردن.

مكتبة الأسرة ١٠ سنوات

الحيـوان

الجزء الخامس

الحيــوان

الجزء الخامس

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

تقديم

د. أحمد فؤاد باشا　　　د. عبد الحكيم راضي

مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤
مكتبة الأسـرة
برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة من عيون التراث)

بالتعاون مع هيئة قصور الثقافة

الحيــوان - الجزء الخامس

تأليف / أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الغلاف والاشراف الفنى:

للفنان: محمود الهندى

الإخراج الفنى والتنفيذ:

صبرى عبدالواحد

الإشراف الطباعى:

محمود عبدالمجيد

المشرف العام :

د. سمـيرسـرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشــباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

السيدة التى جعلت من الكتاب وطنًا !

د. سمير سرحان

مرت عشر سنوات منذ إنشاء «**مكتبة الأسرة**» وأذكر أنه كان يومًا مشهودًا، حين جلسنا مع عدد من المثقفين والوزراء والمفكرين حول تلك السيدة العظيمة التى كانت عيناها تشخص إلى السماء حيث أحلام كثيرة تدور بذهنها الذى لا يتوقف عن التفكير أبدًا.

كانت منذ سنوات قد أنهت رسالتها من الماجستير، التى كان من نتائجها ضرورة إصلاح أحوال المدارس الابتدائية، ورفع مستواها العلمى والتعليمى، وحتى مستوى الأبنية والخدمات.. فكان الأساس فى ذهنها، كما أدركت بعد ذلك معظم الدول الكبرى أن العملية التعليمية هى أهم ما يميز الأوطان، وأن الطفل الذى يمثل البذرة الأولى فى بناء مستقبل أى وطن هو البداية الحقيقية، كنا نتعجب جميعًا فى صمت ونحن جالسون حول تلك المائدة الصغيرة.. لماذا لم يفكر أحد من قبل فى الطفل، ولا أعنى صحته فقط، أو ما قد يصيبه من أمراض، أو مستوياته الاقتصادية والاجتماعية.. لماذا لم يفكر أحد فى الطفل الإنسان؟! أى فى عقل الطفل ووجدانه، والانطباعات المختلفة، التى يكتسبها من عملية التعلم، وبخاصة من القراءة الحرة، وليس قراءة الكتب المدرسية فقط.

وكان الطفل المصرى فى ذلك الوقت معتادًا أن يمسك بالكتاب المدرسى ويصب عليه كل ما فى طاقته من كره وسخط، ويحفظه حفظًا آليًا بلا فهم، ويُفرّغ هذا الفهم على الورق لينجح وينتقل من سنة دراسية إلى أخرى، أما فى

آخر السنة فكانت العادة أن يرمى الكتاب المدرسى من النافذة، كأنه قد تخلص من عبء ثقيل.

كانت السيدة العظيمة، التى قُدِّر لها أن تعنى بمستقبل مصر، وأن تكرس حياتها لبناء هذا المستقبل، تفكر فى الطفل كإنسان، وكعقل، وكروح،.. لقد اكتشفت أن كل ذلك لا يأتى إلا بالقراءة، والقراءة خارج المقرر الدراسى، كما لا يأتى أيضًا إلا من خلال كتاب يوضع فى يده ليحبه شكلاً ومضمونًا، ويحتضنه فى سريره وهو نائم، ويطلق من خلال المادة التى يقرؤها فيه، العنان لخياله، فيسافر من خلال هذا الكتاب إلى عالم سحرى من الأماكن والأفكار والمشاعر والرؤى.

لمحت العينان الذكيتان بعمق الفكرة، وأهميتها لوطن يبنى نفسه ويضع نفسه على مشارف القرن الحادى والعشرين، وبعد أربع سنوات من افتتاح المكتبات العامة فى الأحياء الفقيرة والمُعدَمة، كانت الفكرة الرائدة قد اكتملت فى ذهنها فأصبحت سوزان مبارك صاحبة أعظم مشروع ثقافى فى القرن العشرين وأوائل الحادى والعشرين.. «**مكتبة الأسرة**».

وكانت فكرة مكتبة الأسرة بسيطة وعميقة فى نفس الوقت، وهى أن نقوم بغرس عادة القراءة فى نفوس ملايين أبناء الشعب الذين لم يكن الكتاب من قبل جزءًا من حياتهم.. وأعتقد أن هذا الهدف قد نجح تمامًا، فقد كان بعض من يسخرون من الشعب المصرى، محاولين الحط من قدره يصفونه بأنه شعب **الفول والطعميه**، وأعتقد أنه الآن وبعد عشر سنوات من صدور مكتبة الأسرة، أصبحوا يسمونه بلا تردد شعب الكتاب والقراءة والعلم والمعرفة.. لكن الهدف الأعمق والأسمى كان إعادة بعث التراث الأدبى والفكرى والعلمى والإبداعى الحديث لهذه الأمة، وهذا يؤكد بالفعل لا بالكلام ريادتها وقيادتها الثقافية والفكرية فى عالمنا العربى، كما يؤكد عظمة ما جاء به عصر التنوير المصرى لينقل العالم العربى كله من عصور الظلام المملوكية والاستعمارية إلى شعوب

تعيش عصر العلم والتقدم، وتبنى شخصيتها الثقافية وحضورها الثقافى على مدى العالم..

وها قد أصبحت مكتبة الأسرة بعد عشر سنوات من الجهد المضنى والمتواصل تقدم أكثر من عشرة ملايين كتاب موجودة الآن فى كل بيت مصرى، تحمل صورة السيدة التى فكرت ونفذت هذه الذخيرة من الفكر والإبداع التى تثرى عقل ووجدان كل مواطن طفلاً كان أم شابًا، ليس فى مصر فقط، وإنما فى العالم العربى كله.. وأصبحت المادة التى تضمها هذه الكتب هى أساس راسخ لتكوين مواطن المستقبل، وأصبحت معظم الدول العربية والمؤسسات الدولية تطلب تطبيق التجربة المصرية على أرضها.

هل كان مجرد حلم لسيدة عظيمة شخصت بنظرها إلى السماء باحثة عن المستحيل، أم كان مجرد حلم رائع، هائل القيمة والحجم وتحقق.. تحية لهذه السيدة العظيمة «**سوزان مبارك**»، واحترامًا وحبًا بلا حدود على قدرتها لتخيل المستقبل، وبناء إنسان جديد لوطن جديد.

وستظل صورة السيدة **سوزان مبارك** موجودة على كل كتاب، وفى كل بيت تُذكّر كل مصرى أن الحلم الحقيقى ليس بالمال، وليس بالتهافت على الماديات، إنما هو «**المعرفة**»، وبدون معرفة فى هذا العصر لا يوجد وطن، وإذا فقد الإنسان الوطن فقد ذاته.. بل فقد كل شىء يربطه بهذه الحياة.

د. سمير سرحان

سلسلة من عيون التراث

كتاب الحيوان - للجاحظ

رئيس التحرير

أ . د . عبد الحكيم راضى

سكرتير التحرير

جمـــال العسكـــرى

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف

المادة الأدبية في كتاب الحيوان

(٥)

عزيزي القارئ .. بعد انقضاء ما يقرب من ثلث الجزء الخامس من كتاب الحيوان وفي سياق استعراض الجاحظ لبعض الموضوعات التي يزمع الحديث عنها فيما تبقي من الكتاب، يقول الجاحظ : "وسنذكر – قبل ذكرنا لهذا الباب – أبواباً من الشعر طريفة، تصلح للمذاكرة، وتبعث على النشاط وتستخف معه قراءةَ ما طال من الكتب الطّوال"، ثم يقول : "ولولا سوء ظني بمن يظهر التماس العلم في هذا الزمان، ويظهر اصطناع الكتب في هذا الدهر.. لما احتجت في مداراتهم واستمالتهم وترقيق نفوسهم وتشجيع قلوبهم – مع كثرة فوائد هذا الكتاب – إلى هذه الرياضة الطويلة، وإلى كثرة هذا الاعتذار، حتى كأن الذي أفيده إياهم أستفيده منهم، وحتى كأن رغبتي في صلاحهم رغبة من يرغب في دنياهم، ويتضرع إلى ما حوته أيديهم". ٥/١٥٤، ١٥٥.

عزيزي القارئ .. ترى هل كان الجاحظ مستشعرا عبر الزمان الطويل بيننا وبينه، ما نشاهده في أيامنا هذه من عزوف عن القراءة وزهد في المعرفة، مع تظاهر بالتحلي بهما ؟ ثم .. أرأيت كيف حاول، من منظور نفسي تربوي، أن يقدم بين أبواب كتابه الجادة شيئاً من المادة الخفيفة المسلية، جذبا للقارئ وتشجيعا له على المضيّ في قراءة الأبواب الجادة ؟ ثم .. أرأيت أن دعوى الاستطراد وفوضوية التأليف التي وجهت سهامها إلى

الجاحظ ليست في محلها، لأن الرجل كان واعياً أشد الوعي بما يقدم لقارئـــه، سواء في مواضع الجد أو مواضع الهزل، وأن المـــادة الخفيفـــة، أوالهـــزل أحياناً، له من الأهمية مثلُ ما للمادة الجادة ؟

نعم - عزيزي القارئ - لأن هزل الجاحظ كثيراً ما يكون مـــدخلا للجد، بل هو دائما كذلك، وهذا ما سنعرض له لاحقـــاً بعـــد أن نســـتعرض بسرعة عناصر المادة الأدبية في هذا الجزء الخامس.

فنجد الشعر - كالمعتاد - مادة للاستشهاد على أحوال الحيوان. كمـــا يُضرب المثل بالحيوان والطير، نحو قولهم: أحلام العصافير ٥/٢٢٩

كما يجري التشبيه بالحيوان والطير، وعلى سبيل المثـــال : التشـــبيه بالقطاة ٥/٥٦٨ حيث يعقب ذلك إيراد أجود قصيدة في القطا ٥/٥٨٣.

كما نجد الأخبار الطريفة، كخبر المفاخرة بين صـــاحب الضـــأن وصاحب المعز ٥/٥٢٣.

وكذلك المقايسة بين السِّنَّوْر والكلب ٥/٣١٤، ٣٢٦.

أما القضايـــا المحورية - إن جاز القول - فمنها ما هو أدبي فنـــي، ومنها ما هو لغويٌ فنيّ. فمن القضايـــا الأدبية حديثـــه عما يمكن أن نســـميه بمراوغة اللغة ، وكيف يمكن أن تخدع مستعملها وتفضي - بالتـــالي - إلـــى دلالة غيـــر مـــا قصـــد إليـــه، فتضلل مستعملهـــا.. ومنها حديثـــــه عـــن مقدرة الأدباء - والشعـــراء خاصـــة - على تحسين القبيح وتقبيح الحســـن ، أو - كما شرح الجاحظ : القدرة على تعدد النظر إلى الأشياء وتبـــيّن مـــــا

فيهـــا من جوانب الحسن التي تصلـــح للمـــدح، وما فيهـــا من جوانب سلبية تلائم عند الذم، حيث يكون بمقدور الشعراء – أو بعضهم – توظيف كل مـــن الجانبين في مناسبته.

ومن القضايا اللغوية ذات البعد الفني ما جاء في حديثه عن ظـــاهرة تولد الدلالات المجازية من الدلالات الحقيقية للألفاظ.

هنا أعود بك – عزيزي القارئ – إلى ما سبق أن قلته عـــن هـــزل الجاحظ وجده، ذلك الهزل الذي استعمله أداة للعون على تقبل الجد واستيعابه، حيث يبدأ الحديث هازلا مرحاً ليتطرق إلى عويص من قضايا الأدب واللغة... انظر إليه كيف يورد على سبيل الإضحاك والترويح مقطوعة لأحد الشـــعراء يمدح مجوسيا أسدى إليه جميلاً، وكيف أن ذلك لم يمنع الشاعر مـــن فكاهـــة حضرته نتيجة المفارقة في الموقف بين القصد إلى المدح وكـــون الممـــدوح على غير ملة المادح، قال الشاعر:

شهدتُ عليـــكَ بطيـــبِ المُشـــا	شِ وأنـــكَ بحرٌ جـــوادٌ خِضَـــمّْ
وأنك ســـيِّدُ أهـــلِ الجحيـــــ	ـــمِ إذا ما ترَدَّيْتَ فـــيمن ظَلَـــمْ
نظيراً لهامانَ فـــي قعرِهـــا	وفرعـــونَ والمُكْتَنَـــى بـــالحكمْ

ومعنى (طيبُ المُشاشِ): كرم النفس، وهذا من معاني المدح، وكـــذلك وصفُ الممدوح بأنه (بحر) وأنه (جواد) وأنه (خضمٌّ) أي سيد حمول معطاء، لكنّ ذلك لا يمنع من وقوع المفارقة التي جمعت الاستمرار في المـــدح مـــن جهة، مع سلْك الممدوح في زُمْرة المشاهير من الجبابرة الكفرة المخلّدين فـــي النار. وكان القرآن الكريم قد سبق إلى مثل هذه اللفتة، أعني المفارقـــة بـــين

إيقاع المهانة بالكفرة المعذبين في النار ثم إسباغ ألفاظ التعظيم عليهم وهم في هذه الحال من الذلّة والمهانة، فجاء قوله تعالى موجها إلى ذلك الـذي كـان يستكبر في الدنيا ويستعلي على الناس، جاء قوله تعالى تهكماً وسخرية حـال إيقاع العذاب بذلك المستكبر (ذُقْ، إنكَ أنتَ العزيزُ الكريم). الدخان ٤٩.

هذا الفاصل الفكاهيّ – إن جاز التعبير يعقبه بابٌ في غاية الأهميـة مع وثوق صلته بما سبقه ، هذا الباب هو (باب مـن أراد أن يمـدح فهجـا) وجاء من أمثلته، قول الفرزدق وقد صفح عن (بني غُدانةَ) استجابةً لرجـاء صديقه عطيّة بن جِعالٍ :

أبَني غُدانةَ إنني حرّرتُكـم فـوهبتُكمْ لعطيّـة بـن جِعـالِ
لولا عطيّةُ لاجتـدعتُ أنـوفَكم مـن بـين الأمِ آنُـفٍ وسِـبالِ

فقيل في نقده "كيف يكون قد وهبهم له [أي صفح عنهم] وهو يهجوهم بمثل هذا الهجاء" ١٦١/٥، ١٦٢. كما جاء من أمثلته قول الأخطل يهجو سُـوَيْد بن مَنجوف :

وما جذعُ سَوْءٍ رقّق السُّوسُ جوفَه لمـا حمّلتْـه وائـلٌ بمُطيـقِ

فقيل له : " أردتَ هجاءه فزعمت أن وائلا عصَبتْ به الحاجات [أي جعلته مقصدها في قضاء مصالحها] فأعطيته الكثير ومنعته القليل" ١٦٢/٥.

ويستمر الجاحظ في إيراد أمثلة الخطأ في المدح، فالكميت بن زيد أخطأ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم حين زعم أن بعضهم يعيبه ويعنّفه لمدحه الرسول ١٦٩/٥، ١٧٠، والممزّق أبو عَبّاد بن الممزّق أخطأ في مدح بشر بن أبي عمرو، حين حاول أن يثبّت نسبه في العرب فجاءت عبارته

لتزيد الشك في نسبه٥/١٦٩

ولا تعود أهمية حديث الجاحظ في هذا الموضوع إلى جانبها النقدي الاجتماعي ـــ أي عدم ملائمة الصفات التي يسوقها الشاعر لغرض المدح ومكانة الممدوح فحسب ـــ وإنما تعود أيضاً ـــ من وجهة نظرنا ـــ إلى أن هذا الحديث ينبئ عن لمح الجاحظ لظاهرة لغوية أخطر، هي ما تتسم به اللغة – خاصة في مستواها الأدبي – من الخداع والمراوغة، وذلك حين تقضي بالمتكلم، أو المبدع، إلى غير ما أراد، أي حين يقصد المتكلم إلى شيء ثم تُنطقه اللغة بغيره، وقد وقع كل من لبيد ابن ربيعة ومنظور بن زبّان بن سيّار في هذا الشَّرك، حين افتخر كلٌّ منهما بأشياء كانت مثار غيظ لقبيلته أكثر مما كانت مدعاةً للفخر ٥/١٧١-١٧٢.

والفكاهة حاضرة أبداً على لسان الجاحظ وفي أخباره، حتى وهو يلقي بمثل هذه الأصول الهامة، وهناك خبران عن موقفين مثيرين للضحك تعرض لهما عمرو بن هدّاب، ينتهي كل منهما إلى لمحْ واحدة من سمات اللغة الأدبية، وثاني الموقفين – فما إيراد الجاحظ – هو ما كان عندما أصيب عمرو بذهاب بصره، ودخل عليه الناسُ يعزّونه، ومن بينهم إبراهيم ابن جامع الذي قام بين يدي عمرو فقال : "يا أبا أسَيِّد : لا تجزعَنّ من ذهاب عينيك وإن كانتا كريمتيك، فإنك لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنّيت أن يكون الله عز وجل قد قطع يديك ورجليك ودقّ ظهرك وأدمى ضِلَعك... فصاح به القوم [أي استهجنوا هذا الأسلوب في التعزية] وضحك بعضهم، فقال عمرو : معناه صحيح ونيته حسنة، وإن كان قد أخطأ في اللفظ". ٥/١٦٧، ١٦٨ هكذا يريد القائل شيئاً وتقودُه اللغةُ إلى غيره.

أما الخبر الآخر عن عمرو هذا وهو الأول في إيراد الجاحظ، فله صلة بما نحن فيه، وله من جهة أخرى صلة بظاهرة أدبية معروفة سنكشف عنها

بعد إيراده لقد جلس عمر بن هَداب للشعراء فكان أول من أنشده المديح طريف بن سوادة، الذي أنشده أرجوزة طويلة جاء فيها وَصْفُ الممدوح – على سبيل المدح بأنه :

أبرصُ فيّاضُ اليــدين أكلَــفُ والبُرْصُ أندي بــاللُّهَى وأغــرَفُ

وكان عمروٌ أبْرصَ فعلا، فصاح ناسٌ بالشاعر وعنفوه، فدافع عنه عمرو – وهو الذي ذكر الشاعرُ داءَه فقال : "البرص من مفاخر العرب، ثم راح ينشد نماذج من المدح بالبرص : ١٦٤،١٦٥/٥

وهنا يلعب التداعي بالمخالفة دوره فيما أسميه بـ (الاستطراد الموجَّه) لدى الجاحظ، فهناك من كره البرص وهجا به، فعل ذلك لبيد بن ربيعة وهو صبي حين هجا الربيع بن زياد بالبرص عند النعمان بن المنذر، وفعله غيره، وكان عمرو بن هند يحجب عنه كل ذي داء، فقد حجب الحارث بن حلّزة لأنه كان أبرص.

هنا يلتفت الجاحظ إلى الظاهرة التي سبقت الإشارة إليها. ظاهرة أن العرب قد تمدح بالشيء وقد تهجو به وهو ما أخطأ البعض في تفسيره، فظنه تناقضا منهم، ولكن الجاحظ يرى الأمر بخلاف ذلك، فـ "العربيّ يعاف الشيء ويهجو به غيره، فإن ابتُلِيَ بذلك فخر به، ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به صاحبه، فافهم هذه، فإن الناس يغلطون على العرب ، ويزعمون أنهم قد يمدحون الشيء الذي قد يهجون به، وهذا باطل فإنه ليس شيء إلا وله وجهان، وطرفان، وطريقان. فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين، وإذا ذمّوا ذكروا أقبح الوجهين" ١٧٤/٥، ١٧٥

هذه الوقفة ــ هنا ــ من الجاحظ تذكر بوقفات مماثلة في كتبه الأخرى، أعني وقفات تقوم على الإعجاب بنوع من المقدرة الإبداعية تمكن صاحبها

من إظهار القبيح في صورة الحسن، وإظهار الحسن في صورة القبيح، أو تصوير الباطل في صورة الحق وتصوير الحق في صورة الباطل [البيان ٥٣/١، ٣٤٩] كما تشير إلى احتمال بتأثير سوفسطائي يوناني تعرض له الجاحظ وطوّره، في إطار ما تأثر به وطوّره من معطيات الفلسفة اليونانية التي دخلت إلى ساحة الفكر العربي في وقت مبكر عن الوقت الذي شاع الاعتقاد بدخولها فيه.

أما رصده لتولد الدلالات المجازية للألفاظ من دلالاتها الحقيقية فمسلك واضح في هذا الجزء، وإن كنا لا نعدم أمثلة له في بقية الأجزاء. وما نعنيه بتولد الدلالات المجازية من الدلالات الحقيقة.. هو أن مستعمل الكلمة – أو العبارة – في معنى غير معناها المتواضع عليه يكون – عادة– ناظراً إلى هذا المعنى الأخير، مع العمل على تجاوزه، تلك هي النظرة الكلاسيكية إلى ظاهرة التجوز، أو إلى النشاط الإبداعي وراءها، وقد اتسع الحديث عنها لدى المتأخرين، لكن الأمر في زمان الجاحظ كان لا يزال في مرحلة البدايات، أعني بدايات ملاحظة الظاهرة، وهذا – فيما يبدو – هو سر التفاته إليها وتسجيل الكثير من حالاتها، ولهذه الحالات – غالبا – منطلقها الديني، فإذا قال الله عزّ وجلّ: (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَنْ لا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ) وتوقف البعض أمام قوله (تأكلُه النَّارُ) – قال الجاحظ : إن الله سبحانه إنما كلمهم بلغتهم، وهم قد يقولون ذلك "على المثل وعلى الاشتقاق وعلى التشبيه" وقد قال الشاعر:

وقد أكلتْ أظفارَه الصخْرُ كلّمــا   تعايا عليه طُولُ مَرْقى توصّلا

"فجعلَ النّحتَ والتنقّصَ أكلاً" ٥ /٢٤ وقال الآخر :

ولدَتِ الأرْضُ منّي مثْلَ ما أكلَــتْ   وقرّبُوا لحِسابِ القِسْــطِ أعمــالي

"وأكلُ الأرض لما صار في بطنها : إحالتها له إلى جوهرها" وقال: إن هذا "باب آخر مما يسمونه أكلاً"... وباب آخر، وهو قول الله عزّ وجلّ: " (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) وقوله تعالى عزّ اسمه (أكّالون للسُّحْتِ) وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة ولبسوا الحُلل وركبوا الدوابّ ولم ينفقوا منها درهما واحداً في سبيل الأكل" ٢٥/٥.

وقد قال الله عز وجل: (إنما يأكلون في بطونهم ناراً) وقال الشاعر في أخذ السنين من أجزاء الخمر :

أكَلَ الــدهرُ مــا تجسَّــم منهــا   وتبقَّــى مُصاصتَــها المكنونــا

"وإذا قالوا : أكله الأسَد، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف، وإذا قالوا : أكله الأسود، فإنما يعنون النهش واللدغ والعضّ فقط ٢٧/٥. وباب آخر، وهو قول الرجل إذا بالغ في عقوبة عبده : ذق، وكيف ذقته؟ وكيف وجدت طعمه؟. وقال عزّ وجلّ : (ذُقْ إنَّك أنْتَ العَزيزُ الكَريمُ)٢٨/٥، وتجاوزوا ذلك حتى قال يزيد بن الصَّعق :

وإنّ اللهَ ذاقَ حُلــــومَ قَـــيْسٍ   فلمـــاَ ذاق خفَّتهـــا قلاهـــا٣٠/٥

وكما جوَّزوا لقولهم (أكَلَ) وإنما عضّ، و(أكَلَ) وإنما أفنى،و(أكَلَ) وإنما أحاله ... جوزوا أيضاً أن يقولوا : ذُقتُ ما ليس بطعمٍ، ثم قالوا : طَعِمتُ، لغير الطعام، وقال العَرْجيّ :

وإنْ شئت حرَّمتُ النساءَ ســواكُمُ   وإنْ شئت لَمْ أطْعَمْ نُقاخاً ولا بــرْدَا ٣٢/٥

هكذا يتتبع الجاحظ عملية التمدد الدلالي للألفاظ تحت أسماء عديدة أبرزها المجاز، ولكن الذي نودّ أن نلفت إليه النظر هو إحساسه بأن عملية التجوز هذه، أو مفارقة الدلالة المتواضع عليها بأي نحو من الأنحاء تتضمن

وجود صفتين، إحداهما في المتكلّم والأخرى في المتلقّي، أما التي في المتكلم فهي (الاجتراء) على سوق ما لم يكن مألوفاً من الدلالات، فاللغة في مواضعاتها العادية لم تسمّ الرجل الشجاع أسداً ولا الجواد بحراً، ولا أطلقت الفعل (ذاق) على إحساس الألم الناتج عن الضرب، ولا على اختبار أخلاق الإنسان، كما لم تطلق الفعل (أكل) على فناء المادة بفعل عوامل التعرية، ولكن المبدعين من الأدباء – خاصة الشعراء – هم الذين يفعلون هذا، لأن الشعراء – كما وصفهم الخليل بن أحمد – هم أمراء الكلام، يصرفونه كيف شاءوا، وهم أصحاب الحق في هذا التصريف، وعلى أيديهم وبفعل إبداعاتهم، تجري عملية تطوير اللغة.

أما الصفة الأخرى الخاصة بالمتلقي فهي وجود الاستعداد، أو القدرة، لديه لاستيعاب هذه التجوزات وفهمها بحكم كونه من أبناء اللغة، الذين أبدع لهم الشاعر ما أبدع.. هكذا يجترئ الشاعر على التجوز وتعدي حدود المألوف في اللغة العادية بفعل موهبته النوعية الخاصة من جهة، وثقة منه بفهم متلقّيه من أبناء لغته من جهة ثانية، ويطلق الجاحظ على ما نسميه اجتراء الشاعر اسم (الإقدام)، ويرى أنه صفة للعرب – حماسة منه لهم كما هو معروف عنه – وإن كان مفهوما أنه يتجه بالصفة إلى المبدعين منهم، حيث يرى في المجاز بمعناه الواسع مصداق هذا (الإقدام)، يقول – بعد إيراد العديد من صور التجوّز: "وللعرب إقدام على الكلام، ثقة بفهم أصحابهم عنهم، وهذه فضيلة أخرى" ٥/٣٢، وزاد الثعالبي وهو ينقل نص الجاحظ عنه فقال : (ثقة بفهم المخاطب من أصحابهم عنهم) [فقه اللغة ٢٣٨].

لم يذهب مصطلح (الإقدام) ومفهومه لدى الجاحظ أدراج الرياح، لقد نقله الثعالبى كما رأينا ، في كتابه ، أما الذى احتفل به وطوّره فكان معتزليا آخر لمعت شهرته فى مجال اللغة ذلك هو ابن جنى (ت ٣٩٢هـ) الذى تحدث عن (الشجاعة فى اللغة) أو (شجاعة العربية) أو (شجاعة

الفصاحة)، والمصطلحان الأولان واردان في كتبه [الخصائص ٤٤٦/٢ والمحتسب ١٤٥/١] ، والمصطلح الثالث نسبه إليه بعض تلامذته [المجازات النبوية للشريف الرضي ٣٢].

ولكنّ المهم أنه وسّع من مفهومه ، وإن يكن في نفس الاتجاه ، أعني اتجاه الانحراف عن النمط المعياري في استعمال اللغة ،ثم هو قد زاد من جرأة الشاعر واعتداده بنفسه وبما يقول ، بحيث جعله أقل اكتراثا باستيعاب القارئ أو المتلقي ، مادام هو واثقا من أنه قضى وطره من قول ما أراد أن يقول.

هذه –عزيزي القارئ – بعض لمحات من النظر الأدبي مما بثّه الجاحظ في ثنايا كتبه ، خاصة هذا الجزء الخامس من كتاب (الحيوان).

عبد الحكيم راضي

كتاب الحيوان

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم [2]

نبدأ فى هذا الجزء بتمام القول فى نيران العربِ والعجَمِ ، ونيرانِ الدِّيانة ومبلغِ أقدارِها عند أهلِ كلِّ ملة [3] وما يكون منها مَفْخَراً ، وما يكونُ منها مذموماً ، وما يكون صاحبها بذلك مهجوراً .

ونبدأ بالإخبار عنها وبدئها [4] ، وعن نفس جوهرها ، وكيفَ القولُ فى كُمونها وظهورها ، إن كانت النار [5] قد كانت موجودةَ العينِ قبلَ ظهورها ، وعن كونها ، على المجاورة كان ذلك أم على المداخلة [6] ، وفى حدوث عَيْنها إن كانت غيرَ كامنة ، وفى إحالة الهواء لها والعودِ جَمْراً [7] ، إن كانت الاستحالةُ جائزة ، وكانت الحجّةُ فى تثبيت الأعراض صحيحة [8] . وكيف

---

(١) قبل البسملة فى كل من هـ ، س : « أول المصحف الخامس من كتاب الحيوان فى الكلام على بقية النيران » .

(٢) بدل هذا الكلام فى س : « وبه ثقتى » .

(٣) الملة ، بالكسر : الشريعة ، أو الدين . وكلمة : « أهل » ساقطة من هـ .

(٤) س : « وبدئها » بالنون بدل الهمزة .

(٥) س ، هـ : « الدار » تحريف صوابه فى ط ، وفى هـ زيادة واو قبل « إن » .

(٦) المجاورة : مذهب كلامى يبحث فى اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالملح بالمداد ، والدقيق بالماء ، والزيت بالخل . انظر الفصل (٥ : ٦١) وحواشى الحيوان (٤ : ٢٠٩) . س : « المجاوزة » تحريف . وأما المداخلة فهى مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات ، والخواطر ، أجسام ، وأن الجسمين من تلك الأجسام يتداخلان فى حيز واحد ، ويكونان جميعا فى مكان واحد . انظر المصدرين المتقدمين والفرق ١٢٢ .

(٧) أى فى تحويل الهواء النار والعود إلى جمر . فى الأصل : « وفى استحالة » صوابه ما أثبت . وفى ط ، هـ : « المرى » وهو تحريف . وفى هـ : « والعود جمل » تحريف .

(٨) تثبيت الأعراض : أى إثبات القول بها . وبين المتكلمين خلاف فى ذلك : فذهب هشام بن الحكم إلى القول بأنه ليس فى العالم إلا جسم ، وأن الألوان والروائح والأصوات والحركات ، أجسام . وذهب النظام إلى مثل هذا سواء بسواء ، =

القولُ في الضِّرام الذي يَظهرمن الشجر ، وفي الشَّرَر الذي يظهر من الحجَر . وماالقولُ في لون النار في حقيقتها . وهل يختلفُ الشَّرَار[1] في طبائعها ، أمْ لا اختلافَ بين جميعِ جواهرها ، أم يكون اختلافها على قدْر اختلافِ مخارجِها ومَداخلها ، وعلى قدر اختلافِ ما لاقاها وهَيَّجها ؟

(قول النظّام في النار)

ونبدأ ، باسم الله وتأييده ، بقول أبي إسحاق[2] .

قال أبو إسحاق : النار اسمٌ للحَرِّ[3] والضِّياء . فإذا قالوا : أحْرَقَتْ أو سخَّنَتْ ، فإنما الإحراقُ والتسخينُ لأحدِ هذين الجنسين المتداخِلين ، وهو الحرُّ دون الضياء .

وزعمَ أن الحرَّ جوهرَ صَعّادٌ[4] . وإنما اختلفا ، ولم يكن اتّفاقهما على الصعود موافقاً بين جواهرهما[5] ؛ لأنهما متى صارا من العالَم العُلويّ إلى مكانٍ[6] صار أحدهما فوقَ صاحِبِه .

= إلا الحركات ، فانه قال : هي خاصة أعراض . وذهب ضرار بن عمرو والنظام والنجار إلى أن الأجسام مركبة مما يسميه غيرهم أعراضا . وذهب سائر الناس إلى أن الجسم هو كل ما كان طويلا عريضا عميقا شاغلا لمكان ، وأن كل ما عداه من لون ، أو حركة ، أو مذاق ، أو طيب ، أو مجسة ، عرض . الفصل (٥ : ٦٦) والفرق ١١٤ ، ١٢٢ والمواقف ٣٥٥ ، ٦٢١ . في الأصل ، « تثبت » وجهه ما أثبت . س ، هـ : « الأغراض » تحريف .

(١) الشرار ، كسحاب : الشرر الذي يتطاير من النار ، واحدته شرارة . قال :

أوْ كَشَرَارِ العَلاَةِ يَضْرِبُهَا الْـ ... ـقَينُ عَلَى كُلِّ وِجْهَةٍ تَثِبُ

(٢) هو إبراهيم بن سيار النظام ، شيخ الجاحظ .

(٣) ط : « الحرق » س : « الحرف » صوابهما ما أثبت من هـ .

(٤) هذا رأي النظام . فهو يذهب إلى أن الحر جوهر وجسم من الأجسام ، لا عرض من الأعراض . انظر التنبيه الثامن من الصفحة السابقة .

(٥) هـ : « جواهرها » .

(٦) أي إلى مكان من العالم العلوي .

وكان يجزم القولَ ويُبْرِم الحكم بأنّ[1] الضياء هو الذى يَعلو إذا انفردَ ، ولا يُتقلَى .

قال : ونحنُ إنما صِرْنا إذا أطفأنا نارَ الأتُّون[2] وجَدْنا أرضَه وهواءُ وحيطانَه حارّة ، ولم نجدْها مضيئة[3] ، لأن فى الأرض ، وفى الماء[4] الذى قد لابَسَ الأرض، حرّاً[5] كثيراً، وتداخلا مُتشابِكا ؛ وليس فيهما[6] ضياء. وقَدْ كانَ حرُّ النارِ هَيَّجَ تِلْكَ الحَرَارَةَ فَأَظْهرَهَا ، ولَمْ يَكُنْ هُنَاكَ ضِيَاء من مُلاَبِسٍ فَهيَّجَهُ الضياء وأظهره[7] ، كما اتصلَ الحرُّ بالحرِّ فأزاله من موضعِه ، وأبرزهُ من مكانه . فلذلك وجدْنا أرضَ الأتُّون ، وحيطانَها ، وهواءَها حارّةً ، ولم نجِدْها مضيئة[8] . ٣

وزعم أبو إسحاقَ أنّ الدليل على أن فى الحجر والعود ناراً مع اختلاف الجهات[9] — أنه يلزَمُ من أنكرَ ذلك أن يزعُمَ أنْ ليس فى السِّمسم دُهْنٌ ولا فى الزَّيتون زيت .

ومن قال ذلك لزِمهُ أنْ يقولَ : أنْ ليس فى الإنسان دَمٌ ، وأنّ الدّمَ

---

(١) فى الأصل : « فان » وجهه ما أثبت . أى يقطع الحكم بما سيأتى .
(٢) الأتون ، كتنور ، وقد يخفف ، ونسب الجوهرى التخفيف للعامة وقال : هو الموقد وقال غيره : هو أخدود الجيار والجصاص ونحوه ، تاج العروس . وقال العلامة نصر فى تحقيق القاموس : « وكأنها فى نسخة عاصم : الخباز ، بالخاء والباء والزاى » .
(٣) الكلام بعد هذه الكلمة إلى كلمة « مضيئة » الآتية ، ساقط من س .
(٤) ط : « المادى » صوابه فى هـ . والمراد بالماء الرطوبة .
(٥) فى الأصل . وهو هنا ط ، هـ : « حدا » بالدال ، صوابه ما أثبت .
(٦) فى الأصل : « فيها » .
(٧) فى الأصل : « فهيجها الضياء وأظهرها » . والقول يقتضى ما أثبت .
(٨) أنث الضمائر فى عبارته لما أنه أعادها إلى « أرض » وهى مؤنثة . وأما « الأتون » فذكر .
(٩) أى مع اختلاف الجهة التى يصدر منها النار ، وهى حجر القدح وعود الزند . وكلمة « مع » ليست بالأصل . وبدلها فى س ، هـ : « أن فى » . وقد أصلحت العبارة بما ترى . والعبارة فى س ، هـ : « وزعم أبو إسحاق على أن الدليل أن فى » الخ مع وضع كلمة « الجمر » مكان « الحجر » فى هـ . تحريفان .

إنما تَخلَّقَ عند البطّ[1] ، وكان ليس بين مَن أنكرَ أن يكون الصَّبِر[2] مرَّ الجوهر ، والعسلُ حُلوَ الجوهر قبل ألاّ يذاقا[3] ، وبين [من أنكرَ كون الزيت فى[4]] السمسم والزيتون قبلَ أن يُعصرا[5] — فَرْق .

وإنْ زَعَم الزاعم أنّ[6] الحلاوة والمرارةَ عَرَضانِ ، والزيتَ والخلَّ جوهر ، وإذا لزم مَنْ قال ذلك فى حلاوة العسل ، وحموضة الخلّ ، وهما طعمان — لزمه مثلُ ذلك فى ألوانهما ، فيزعم[7] أنّ سوادَ السَّبَج[8] ، وبياضَ

(١) البط : شق الجرح بالمبطة ، وهى المبضع . ط ، س « الشرط » وهما بمعنى ، وأثبت ما فى هو . وفى ط ، س أيضا : « يخلق » وقد أثبت من هو ما ارتضاه الجاحظ فى نحو هذه العبارة من كلامه الآتى فى (القربة) ص ٩ س ٧ .

(٢) الصبر ، ككتف ، ولا يخفف إلا فى ضرورة الشعر ، عصارة شجر مر . القاموس . قلت : يشير بذلك إلى ما أنشده الجوهرى فى الصحاح (١ : ٣٤٤) من قول الراجز يصف سم حية :

أَمَرّْ مِنْ صَبِرٍ ومَقْرٍ وَحُضَضْ

قال ابن برى : صواب إنشاده : « أمرَّ » بالنصب . وأورده بظاءين ، أى : « حظظ » انظر اللسان (٦ : ١١٢) — وقبله :

أرقشَ ظمآنَ إذا عُصْرَ لفَظْ

(٣) س : « أن لا يلاق » بالإفراد ، وهو جائز .

(٤) تكملة ضرورية ، أثبتها مطابقة لعبارة الجاحظ ، وليست بالأصل .

(٥) س : « يعصر » بالإفراد .

(٦) ط : « أن » .

(٧) الزعم : القول يشك فيه سامعه ، أو الكذب . وهو يتعدى بنفسه ، يقال : زعمه . وفى س ، هو : « وإن زعم الزاعم بأن » . وإدخال الباء على المعمول محمول على الزيادة . ومنه قول النابغة :

زعم الهمام بأن فاها بارد   عذب إذا قبلته قلت ازدد

وقوله أيضا :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا   وبذاك تنعاب الغراب الأسود

فى أحد وجهى تأويله ، أى وزعم بذاك .

(٨) السبج ، بالتحريك وآخره جيم : خرز أسود . وقال البيرونى فى الجماهر ١٩٩ : « حجر أسود حالك صقيل رخو جدا تأكل النار فيه » وهو معرب « شبه » الفارسية . انظر معجم استينجاس ٧٣٢ والجماهر والمعرب ١٨٣ دار الكتب . وفى اللسان : « سبه » تصحيف . ط : « السبخ » هو : « السبح » صوابهما ما أثبت من س .

الثلج وحُمرَةَ العُصفُرُ ، وصُفرة الذهب ، وخُضْرَةَ البَقْل ، إنما تحدُثُ عندَ رؤْية الإنسان ، ولِئن كانت المباينةُ والقابلة غيرَ عاملتين[1] في تلك الجواهر .

قال : فإذا قاسَ ذلك المتكلِّم في لَوْنِ الجسم بعد طعمه ، وفي طوله وعرضه وصورته بعد رائحته ، وفي خفته وثقل وزنه ، كما قاس[2] في رخاوته وصلابته ـ فقد دخل في باب الجهالات ، ولحِق بالذين زعموا أن القِرْبة ليس فيها ماء ، وإنْ وجدوها بالمسّ ثقيلةً مزكورةً[3] وإنما تخلَّق عند حلِّ رِباطها . وكذلك فليقولوا في الشمسِ والقمرِ ، والكواكب ، والجبال ، إذا غابتْ عن أبصارهم .

قال : فمن هرب من الانقطاع[4] إلى الجهالات ، كان الذي هرب إليه أشدَّ عليه .

وكان[5] يضرِبُ لهما مثلاً ذكرته لِظَرَافته[6] :

حُكِيَ عن رجلٍ أحدبَ سقطَ في بئر ، فاستوت حدَبتُهُ وحدَثَتْ له أُدْرَةٌ في خُصيته[7] ، فهنَّأه رجلٌ عن ذهاب حَدَبته[8] ، فقال : الذي جاء شرٌّ من الذي ذهب !

---

(١) هـ « حاملتين » محرف . ط : « عاملين » . وأثبت ما في س .
(٢) في الأصل : « قال » باللام . صوابه ما كتبت .
(٣) المزكورة ، بالزاي : المملوءة . زكر الإناء والسقاء : ملأه ، وكذلك زكره تزكيرا . ط ، هـ : « مؤكدة » س : « موكورة » صوابهما ما أثبت .
(٤) قطعه بالحجة : بكته ، أي غلبه .
(٥) أي : النظام .
(٦) الظرافة ، بالظاء المعجمة : مصدر ظرف : أي صار ظريفا . وفي القاموس : « ظرف ككرم ظرفا ، وظرافة ، قليلة » . وفي اللسان : « ويجوز في الشعر ظرافة » ثم قال بعد ذلك : « ظرف الرجل بالضم ظرافة فهو ظريف » .
(٧) الأدرة ، بالضم : نفخة في الخصية ، والوصف منه « آدر » .
(٨) الحدبة ، بالتحريك : موضع الحدب في الظهر الناتئ . والحدب ، بالتحريك : =

(رد النظام على ضرار فى إنكار الكمون)

وكان أبو إسحاق يزعمُ أن ضِرارَ بنَ عمرو[١] قد جَمَعَ فى إنكاره القولَ بالكُمُونِ[٢] الكفرَ والمعاندةَ ؛ لأنه كان يزعمُ أن التوحيدَ لا يصحُّ [إلا][٣] مع إنكار الكمون ، وأن القولَ بالكُمون لا يصحُّ إلا بأنْ يكون فى الإنسان[٤] دمٌ ، وإنما هو شىء تَخَلَّق[٥] عند الرُّؤية .

قال : وهو قد كان يعلمُ يقيناً أنّ جوفَ الإنسانِ لا يخلو من دم .

قال : ومن زعَمَ أن شيئاً من الحيوان يعيشُ بغير الدمِ ، أو شىء

= دخول الصدر وخروج الظهر ، ويقابله القعس . ومعناه : مخفف معنأه بالتشديد ومعناه بالتخفيف : قال له ليعظك . « وعن » هنا بمعنى التعليل . وفى الكتاب : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة » . ر : « وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك » .

(١) ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية . وكان فى بدء أمره تلميذاً لواصل بن عطاء المعتزل . ثم خالفه فى خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر . الاعتقادات الرازى ٦٩ والفرق ٢٠١ . ويحكى عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود وحرف أبى بن كعب ، ويقطع بأن الله تعالى لم ينزله . الملل والنحل (١ : ١١٥) . قال أحمد بن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحى القاضى ، فأمر بضرب عنقه فهرب . وقيل إن يحيى بن خالد البرمكى أخفاه . لسان الميزان (٣ : ٢٠٣) . وفى العرب ضرار بن عمرو الضبى الذى كان معاصراً للمنذر . وروى له الجاحظ فى البيان (١ : ١٤٢) بياناً عالياً . وهو القائل : « من سره بنوه ساءته نفسه » . المعارف ٣٦ ليدن والميدانى (٢ : ٢٢٨) .

(٢) الكمون : مذهب كلامى يزعم أصحابه أن النار كامنة فى الحجر وفى دهن السراج ، كما يكمن الدم فى الإنسان ، والعصير فى العنب ، والزيت فى الزيتون . وذهب ضرار بن عمرو إلى إنكار الكمون . وممن ذهب إلى إنكاره أيضاً الباقلانى وسائر الأشعرية . والحق أن فى الأشياء ما هو كامن كالدم فى الإنسان ، والعصير فى العنب ، وفيها ما ليس كامنا ، كالنار فى حجر القدح . وانظر تفصيل الكلام فى الفصل (٥ : ٦١ — ٦٢) .

(٣) تكملة ضرورية ، بدونها لا يستقيم الكلام ، لأن صاحب الزعم هو ضرار ، منكر الكمون .

(٤) هـ ، س : « إنسان » .

(٥) ط ، س : « يخلق » وأثبت ما فى هـ .

يشبهُ الدمَ ، فواجب عليه أن يقول بإنكار الطبائع[١] ، ويدفع الحقائقَ بقول جَهْم[٢] في تسخين النار وتبريد الثلج ، وفي الإدراك والحِسِّ ، والغذاء والسُّم[٣]* . وذلك بابٌ آخر في الجهالات .

ومن زعم أن التوحيدَ لايصلحُ إلا بألاّ يكون في الإنسان دم[٤] ، وإلا بأن تكونَ النارُ لا توجب الإحراق ، والبصرُ الصحيحُ لا يوجبُ الإدراكَ — فقد دَلَّ عَلَى أنه في غاية النقص والغباوة ، أو في غاية التكذيب والمعاندة .

وقال أبو إسحاق : وجدنا الحطب عند انحلال أجزائه ، وتفرُّق أركانه التي بُنِي عليها ، ومجموعاته التي رُكِّبَ منها وهي أربع : نارٌ ودخان ، وماء ، ورَمَاد ، ووجدنا للنار حرًّا وضياء ، ووجدنا الماء صوتا[٥] ، ووجدنا للدُّخان طعما ولونا ورائحة ، ووجدنا للرَّمَادِ طعما ولونا ويُبْسًا ، ووجدنا الماء السائل من كل واحد من أصحابه[٦] . ثمّ وجدناه ذا أجناسٍ رُكِّبَتْ من المفرَدَات .

---

(١) يراد بإنكار الطبائع القول بأن ليس في النار حر ، ولا في الثلج برد ، ولا في العالم طبيعة أصلا ، وإنما يحدث حر النار وبرد الثلج عند الملامسة . الفصل (٥ : ١٤-١٥) وقد أوغل الجاحظ في إثبات الطبائع حتى زعم أن الله لا يدخل النار أحدا ، وإنما النار تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها . (الفرق ١٦١ والمواقف ٦٢٤ س ٤) .

(٢) ط ، س : « في قول » وأثبت ما في ﻫ . وجهم هذا ، هو جهم بن صفوان ، أبو محرز السمرقندي : الضال المبتدع . ورأس الجهمية الجبرية ، قتل سنة ثمان وعشرين ومائة . لسان الميزان (٢ : ١٤٢) . وتفصيل مذهبه في الفرق ١٩٩ والملل والنحل (١ : ١٠٩) واعتقادات الرازي ٦٨ . وقد بالغ جهم في إنكار الطبائع حتى قال : ليس في الشجرة طبيعة الإثمار ، ولا في الماء طبيعة الجري ، ولا في الأرض طبيعة الإنبات ، وإنما يثبت الإثمار والجرى والإنبات على المجاز . وقال أيضا : لا يفعل الإنسان شيئاً إلا على المجاز . والفاعل هو الله .

(٣) السم : مصدر سمه يسمه فهو مسموم . وفي الأصل : « الشم » بالشين المعجمة ، صوابه ما أثبت .

(٤) أي بإنكار كون الدم في الإنسان . وهو قول ضرار بن عمرو . وفي الأصل ، « إلا بأن يكون » وصححه هارون .

(٥) يعني الصوت الذي يحدث عند احتراق الحطب من انفجار الرطوبات التي فيه .

(٦) كذا جاءت هذه العبارة مضطربة .

ووجدنا الحطب رُكِّبَ على ماوصفنا ، فزَعمنا[١] أنه رُكِّب من المُزْدَوِجاتِ ، ولم يُرَكَّبْ من المفردات .

قال أبو إسحاق : فإذا كان المتكلمُ لايعرف القياسَ ويُعطيه حقه فرأى أنَّ السُّود حين احتكَّ بالعودِ [أحدثَ النار[٢]] فإنه يلزَمُه في الدخان مثلُ ذلك ، ويَلزَمُه في الماء السائل مثلُ ذلك . وإنْ قاس قال في الرَّماد مثلَ قوله في الدخان والماء . وإلا فهو إما جاهلٌ ، وإما متحكم .

وإن زَعَمَ أنه إنما أنكرَ أنْ تكون النارُ كانت في العودِ ، لأنه وَجَدَ النارَ أعظم من العود ، ولا يجوز أن يكون الكبيرُ في الصغير ، وكذلك الدخان — فليَزْعُمْ أن الدخانَ لم يكنْ في الحطبِ ، وفي الزَّيت وفي النِّفْطِ .

فإن زعم أنهما سواء ، وأنه إنما قال بذلك لأن بَدَنَ ذلك الحطَب لم يكن يسعُ الذى عاين من بَدَن النارِ والدخان ، فليس ينبغى لمنْ أنكر كونهما من هذه الجهة أنْ يزعُمَ أنَّ شَرَرَ القدَّاحةِ والحجَرِ لم يكونا كامنين في الحجَرِ والقدَّاحة[٣] .

وليس ينبغى أن يُنْكِرَ كَونَ الدم في الإنسان ، وَكونَ الدُّهْن في السمسم ، وكَون الزيت في الزيتون . وَلا ينبغى أن يُنْكِرَ من ذلك إلا ما لا يكون[٤] الجسمُ يَسَعُهُ في العين .

فكيف وهم قد أجرَوْا هذا الإنكارَ في كلِّ ما غابَ عن حواسّهم من الأجسام المستَتِرة بالأجسام حتى يعود بذلك إلى إبطال الأعراض[٥] ؟!

(١) في الأصل « زعمنا » وقد أزلت تفكك العبارة بزيادة الفاء .

(٢) بمثل هذا يتم الكلام . واعتمدت في إثباتها على ماورد في السطر الثاني من الصفحة التالية .

(٣) يشير بذلك إلى أن الشرر الذي يطير من الحجر أصغر بدناً من الحجر والقداحة .

(٤) س : « ما يكون » صوابه ما أثبت من ط ، ه .

(٥) في الأصل : « إلى أن طال في الأعراض » وهو كلام محرف .

كنحو حموضة الخلِّ . وحلاوة العسلِ . وعذوبة الماء ، ومرارة الصبر[١] .

قال : فإن قاسوا قولهم وزعموا أن الرمادَ حادثٌ ، كما قالوا في النار والدُّخان ، فقد وجبَ عليهم أن يقولوا في جميعِ الأجسام مثلَ ذلكَ كالدقيق المخالفِ للبُرِّ في لونه[٢] ، وفي صلابتِهِ ، وفي مساحته ، وفي أمورٍ غيرِ ذلك منه . فقد ينبغي أن يزعمَ أن الدقيقَ حادثٌ ، وأن البُرَّ قد بطَلَ .

وإذا زعم ذلك زعم أنَّ الزُّبْدَ الحادثَ بعد المَخْضِ لم يكن في اللبنِ ، وأن جُبْنَ اللبنِ حادث ، وقاسَ ماءَ الجُبْن على الجبن . وليس اللبنُ إلا الجُبْنَ والماء .

وإذا زعم أنهما حادثان ، وأن اللبن قد بَطَلَ ، لزمَه أن يكون [كذلك[٣]] الفخَّارُ ، الذى لم نجده حتى عَجَنَّا الترابَ اليابسَ المتهافتَ على حدَته ، بالماء الرَّطْبِ السَّيال على حدَتِهِ ، ثم شوَيناهُ[٤] بالنار الحارةِ الصَّعَّادَةِ[٥] على حِدَتِها . ووجدنا الفخار في العينِ واللمس والذَّوق والشَّمِّ ، وعند النَّقْرِ والصَّكِّ — على خلاف ما وجدنا عليه النارَ وحدها ، والماء وحده ، والتُّرَابَ وَحْدَهُ ؛ فإنَّ[٦] ذلك الفخار هو تلك الأشياء ، والحطبَ هو تلك الأشياء[٧] ، إلا أن أحدَها من تركيب العِباد ، والآخرَ من تركيب الله .

والعبدُ لايقلبُ المركَّباتِ عن جواهرها بتركيبه ما ركب منها .

والحجَرُ متى صَكَّ بيضةً كسَرَها ، وكيف دارَ الأمرُ ، وسواءٌ كانت الرِّيح تقلبه أو إنسان[٨] .

---

(١) انظر الكلام على « الصبر » في ص ٨ .

(٢) لأن البر أسمر والدقيق أبيض . س ، هو : « كونه » بالكاف وأثبت ما في ط .

(٣) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٤) ط : « سويناه » هو : « سوينا » صوابهما ما أثبت من س .

(٥) أي التي من طبعها الصعود إلى أعلى . ط « الصفارة » وفي س ، هو « الصفارة » محرف .

(٦) في الأصل : « فإن كان » .

(٧) في الأصل : « وتلك الأشياء » بسقوط الماء من « هو » .

(٨) تقلب ، أي تحاول قلبه عن جوهره ، فإن الريح والإنسان لا يستطيعان ذلك . فالحجر الذي كونته الريح ، أو الذي صنعه الإنسان كما فعل بالفخار : يحتفظ بجوهريته =

فإن زعموا أن الفخار ليس ذلك التُّراب ، وذلك الماء ، وتلك النار ، وقالوا مثل ذلك في جميع الأخبصة والأنبذة[(١)] ، كان آخرُ قياسهم أن يُجيبوا بجواب أبي الجهجاه[(٢)] ؛ فإنه[(٣)] زعم أن القائمَ غيرُ القاعد[(٤)] ، والعجينَ غيرُ الدقيق وزعم[(٥)] — ولو أنه لم يقل ذلك[(٦)] — أن الحبَّة متى فلقت فقد بطل الصحيح ، وحدثَ جسْمان في هيئةٍ[(٧)] نصفَي الحبّة . وكذلك إذا فلقت بأربع فِلَق[(٨)] ، إلى أن تصيرَ سَويقًا ، ثم تصيرَ دقيقًا ، ثم تصير عجينا ، ثم تصير خُبزاً ، ثم تعودَ رجيعاً وزِبْلاً ، ثم تعودَ رَيحانا وبَقلا ، ثم يعود [الرجيع[(٩)]] أيضا لبنا وزُبدا ؛ لأن الجلاَّلة[(١٠)] من البهائم تأكله ، فيعودُ لحا ودمًا .

وقال[(١١)] : فليس القولُ إلا ما قال أصحابُ الكُمون ، أو قولَ هذا .

= الحجرية التي تـكسر البيضة حين الصك . وغير قول الجاحظ : « سواء كانت الريح » الخ عبارة صحيحة ، أسلفت عنها قولا في تذييل الجزء الرابع ص ٥٢٨ .

(١) الأخبصة : جمع خبيص ، وهو كـكريم : ضرب من الحلواء المخبوصة ، أي المخلوطة . وقد ذكر البغدادي في كتاب الطبيخ : ست صفات لعمله ، إحداها : « يؤخذ رطل شيرج ويطرح عليه نصف رطل ماء ونصف درهم زعفران وربع رطل من الدقيق السميد ويداف — أي يخلط — بأوقية ماء ورد ورطل عسل في موضع واحد ، ويغلى ويحرك بإسطام حتى يطلق الدهن . ومن أراد طرح فيه كفا من الخشخاش ، وخمسة دراهم فستق مقشر ، ويغرف ويجعل تحته وفوقه السكر المدقوق ناعما » . هو : « الأخبطة » محرف . وأما الأنبذة فجمع نبيذ .

(٢) هو أبو الجهجاه النوشرواني ، روى عنه الجاحظ خبرا في البخلاء ٣٦ : « حدثني أبو الجهجاه النوشرواني قال : حدثني أبو الأحوص الشاعر قال : كنا نفطر عند البلساني فكان يرفع يديه قبلنا ويستلقي على فراشه ، ويقول : إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » . ولم أعثر له على غير هذه الترجمة .

(٣) في الأصل : « فإن » .

(٤) ط : « القاعدة » صوابه في س ، هو . يريد أن الشخص حين يقوم غيره حين يقعد .

(٥) ط ، هو ، س : « وزعموا » تصحيحه من س . والضمير لأبي الجهجاه .

(٦) أي قياساً على مذهبه ولو لم يقله . والعبارة في أصلها : « أنه لو لم يقل ذلك » ، محرفة .

(٧) ط ، هو : « هيئته » صوابه من س .

(٨) « وكذلك » هي في أصلها : « كانت » محرفة . وفلق ، كعنب : جمع فلقة ، بالكسر ، أي قطعة .

(٩) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(١٠) الجلالة : التي تأكل الجلة والعذرة . والجلة ، بالكسر : البعر ، كما في اللسان .

(١١) أي أبو إسحاق . وفي الأصل : « وقال أبو الجهجاه » .

(ردّ النظام على أصحاب الأعراض)

قال أبو إسحاق : فإن اعترض علينا مُعترضٌ من أصحاب الأعراض [١] فزعم أن النارَ لم تـكن كامنةً ، وكيفَ تـكمُنُ فيه وهى أعظم منه ؟ ولـكنّ العودَ إذا احتكّ بالعود حَمِيَ العودان ، وحمى من الهواء المحيط بهما الجزء الذى بينهما ، ثم الذى يَلِى ذلك منهما ، فإذا احتدم رقّ [٢] ، ثم جفّ [٣] والتهب . فإنما النارُ هواءٌ استحالَ .

والهواء فى أصل جوهرهِ حارٌّ رقيق ، وهو جسم رقيق ، وهو جسم [٤] خوّارٌ ، جيّد القبول ، سريع الانقلاب .

والنار التى تَراها أكثرَ من الحطب ، إنما هى ذلك الهواء المستحيل ، وانطفاؤها بطلانُ تلك الأعراضِ الحادثة من النارية فيه . فالهواء سريعُ ٦ الاستحالة إلى النار ، سريعُ الرجوعِ إلى طبعهِ الأول . وليس أنها إذا عُدِمَتْ فقد انقطعتْ إلى شـكل لها عُلْوِيّ واتصلت ، وصارتْ إلى تِلادِها [٥] ، ولا أن [٦] أجزاءها أيضا تفرقتْ [٧] فى الهواء ولا أنها [٨] كانت كامنةً

---

(١) انظر القول فى أصحاب الأعراض فى التنبيه الثامن ص ٥ .

(٢) فى اللسان : « الأزهرى : الحدم : شدة إحماء الشىء بحر الشمس والنار . تقول حدمه كذا فاحتدم . وقال الأعشى :

وإدلاج ليل على غرة وهاجرة حرها محتدم »

(٣) « جف » بالجيم ، من الرطوبات التى به .

(٤) خوار ، وزان كتان : أى ضعيف . كلمة « رقيق » الثانية ساقطة من س . وكلمتا « وهو جسم » ساقطتان من ط ، س .

(٥) التلاد : بالكسر : أصل معناه المال القديم الأصلى ، فكأنه يريد أن يقول : تعود إلى معدنها وأصلها الأول . وفى اللسان : « قال أبو منصور : سمعت رجلا من أهل مكة يقول : تلادى بمكة . أى : ميلادى » . والفلاسفة الأولون يعللون صعود النار إلى أعلى بأنها تواقة إلى موطنها الأول . والعبارة فى أصلها : « فقد انقطع إلى شـكل له علوى واتصل وصار إلى تلاده » . والوجه ما أثبت . إذ الكلام فى « النار » .

(٦) فى الأصل : « ولأن » .

(٧) فى الأصل : « تقوب » وهو تحريف .

(٨) الواو ساقطة من ط ، س . وفى الأصل : « لأنها » صوابه ما أثبت .

فى الحطَب ، متداخلةً منقبضة فيه ، فلما ظهرت انبسطت وانتشرت . وإنما اللهبُ هواء[١] استحال نارا ؛ لأن الهواء قريبُ القرابةِ من النار ، والماء هو حجازٌ بينهما ، لأن النار يابسةٌ حارة ، والماء رطبٌ بارد ، والهواء حارٌّ رطب ، فهو يُشبه الماء من جهة الرطوبة والصفاء ، ويُشبه النار بالحرارةِ والخفة فهو يخالفهما ويوافقهما . فلذلك جازَ أن ينقلبَ إليهما انقلابا سريعا ، كما ينعصر الهواء إذا استحال رطبا وحدث له كثافة ، إلى أن تعود أجزاؤه مطراً . فالماء ضدُّ النار ، والهواء خلافٌ لهما ، وليس بضدٍّ . ولا يجوز أن ينقلب الجوهر إلى ضده حتى ينقلب بَديًّا[٢] إلى خلافه . فقد يستقيم أن ينقلبَ الماء هواء ، ثم ينقلبَ الهواء ناراً ، وينقلبَ الهواء ماء ، ثم ينقلبَ الماء أرضا . فلابدَّ فى الانقلاب من الترتيبِ والتدريج[٣] . وكلُّ جوهر فله مقدمات ؛ لأن الماء قد يحيل الطين صخراً ، وكذلك فى العكس ، فلا[٤] يَستحيل الصخرُ هواء ، والهواء صخراً ، إلا على هذا التنزيل والترتيب[٥] .

وقال أبو إسحاق لمن قال بذلك من حُذّاق أصحاب الأعراض : قد زعمتم أن النار التى عاينّاها لم تخرج من الحطَب ، ولكنَّ الهواء المحيط بها[٦] احتدَمَ واستحالَ ناراً . فلعلَّ الحطب الذى يسيل منه الماء الكثيرُ ، أن يكون ذلك الماء لم يكن فى الحطَب ، ولكنَّ ذلك المكان من الهواء[٧]

(١) فى الأصل : « هو » ، تحريف . وانظر بقية القول .

(٢) بديا : أى بدءا وأولا . وفى حديث سعد بن أبى وقاص قال يوم الشورى : « الحمد لله بديا » . وفى تعقيب اللسان على هذا الحديث : « البدي بالتشديد : الأول » . وفيه : « وأصله الهمزة ؛ وإنما ترك لكثرة الاستعمال » . قلت : وقد وردت : « بديا » فى مواضع من الحيوان ، أذكر منها (٤ : ٢٠٧ ، ٢١٧) . وجاءت « بدئيا » على الأصل فى نسخة كوبريلى من (٣ : ٢٧٥) .

(٣) فى الأصل : « فلا بد من الانقلاب فى الترتيب والتدريج » ، تحريف .

(٤) فى الأصل . « قد » .

(٥) ط ، هو : « ولاترتيب » . وأثبت صوابه من سهم .

(٦) س : « بها » والضمير للنار والحطب .

(٧) فى الأصل : « الماء » .

استحالَ ماء . وليس ذلك السكان من الهواء أحقَّ بأن يستحيل ماءً من أن يكون سبيلُ الدخان فى الاستحالة سبيلَ النار والماء .

فإن قاسَ القومُ ذلك ، فزعموا أن النار التى عاينّاها[١] ، وذلك الماء والدخان فى كثافة الدخان وسَوادِه ، والذى يَتراكمُ منه فى أسافل القدور[٢] وسُقُف المطابخ[٣] إنما ذلك هواء استحال ، فلعلَّ الرماد أيضا ، هواء استحالَ رماداً .

فإن قلتم : الدُّخان[٤] فى أول تقله المتراكم على أسافل القدور ، وفى بُطونِ سُقُفِ[٥] مواقدِ الحمامات ، الذى [إذا[٦]] دُبِّرَ ببعض[٧] التدبير جاء منه الأنقاس[٨] العجيبةُ أحق بأن استحال أرضياً[٩] . فإن قاسَ [صاحب[١٠]] العَرَضِ ، وزعم أن الحطب انحلَّ بأسرِه ، فاستحال بعضُه رماداً

---

(١) س : « عاينا » .
(٢) فى الأصل : « القدر » بالإفراد . والمقابلة والسياق يقتضي الجمع .
(٣) السقف ، بضمتين : جمع سقف ، بالفتح . ومثله السقوف .
(٤) فى الأصل : « الرماد » . وهو سهو أو تحريف .
(٥) هو : « سقف » محرف . وانظر التنبيه الثالث .
(٦) بهذه الكلمة يلتئم القول . وليست بالأصل .
(٧) ط فقط : « بعض » بإسقاط الباء الأول .
(٨) الأنقاس : جمع نقس ، بكسر النون وإسكان القاف ، ويقال أيضا : بفتح النون ، كما فى صبح الأعشى (٢ : ٤٦١) . ولم يذكر هذه صاحب اللسان والقاموس ، وهو المداد والحبر . وفى الأصل : « الأنفاس » بالفاء ، تصحيف ما أثبت . وقد فرق صاحب صبح الأعشى فى (٢ : ٤٦٥) بين صنعة المداد وصنعة الحبر ، وهو اصطلاح صناعى لا لغوي ، فان اللغويين لا يفرقون بينهما . ويفهم منه أن الدخان يدخل فى صنعة المداد ، وأما فى صنعة الحبر ، فلا يدخل إلا فى الصنف الأول ، يعني به الذي يكتب به على الكاغد أي الورق . أما الصنف الثاني من الحبر وهو الذي يكتب به على الرق : أي الجلد الرقيق ، فلا يدخل الدخان فى صنعته .
(٩) كلمة « استحال » ساقطة من هو . وموضعها أبيض فى س .
(١٠) ليست بالأصل . والمراد بصاحب العرض من يزعم أن المواد مكونة من عدة أعراض وزعيم هذا المذهب هو ضرار بن عمرو صاحب الضرارية . انظر التنبيه الأول من ص ١٠ .

كما قد كان بعضه رماداً[1] مرةً ، واستحال بعضه ماء، كما كان بعضه ماء مرة ، و بعضه استحال أرضاً ، كما كان بعضه أرضاً مرة ، ولم يقلْ إن الهواء المحيطَ به استحالَ رماداً ، ولـكنَّ بعضَ أخلاطِ الحطَبِ استحالَ رماداً
٧ ودُخانا ، و بعضَ الهواء المتصل به استحال ماء وبعضَه استحال ناراً ، على قدرِ العوامل ، وعلى القابِلات له . و إذا قال صاحبُ العرض ذلك كان قد أجاب فى هذه الساعةِ على حدِّ ما نزَّلتُه لك .

وهذا باب من القول فى النار . وعلينا أن[2] نستقصىَ للفريقَين . والله المعين .

(ردٌّ على منكرى الكُمُون)

و بابٌ آخرُ ، وهو أن بعض من ينكرُ كُمُونَ النار فى الحطب قالوا : إن هذا الحرّ الذى رأيناه قد ظهرَ من الحطب ، لو كان فى الحطب لـكان واجباً أن يجده مَنْ مَسَّه كالجمر المتوقد ، إذا لم يكن دونه مانعٌ منه ، ولو كان هنالك مانعٌ لم يكن ذلك المانعُ إلا البردَ ؛ لأن اللونَ والطعمَ والرائحةَ لايفاسِد الحرَّ ، ولا يمانِعه [إلا[3]] الذى يضادُّه ، دون الذى يخالفه ولا يضاده[4]

فإن زعم زاعمٌ أنه قد كان هنالكَ من أجزاء البرد ما يعادلُ ذلك الحرَّ ويُطاوِله ، ويكافيه ويوازِيه ؛ فلذلك صرنا إذا مَسِسْنا[5] الحطبَ لم نجدْه مؤذِيا ، وإنما يظهر الحرْقُ ويُحْرِقُ لزوال البرد ، إذا قام فى مكانه وظهر الحرُّ وحْده فظهر عمله . ولو كان البردُ المعادلُ لذلك الحرّ مقيما فى العود

---

(١) فى الأصل : « ماء » محرف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من س ، ه .

(٣) تكملة ضرورية ليست بالأصل . والمراد أنه لا يمانع الحر إلا مضاده وهو البرد .

(٤) الكلام من مبدإ « دون » ساقط من س .

(٥) فى القاموس : « مسسته ، بالكسر أمسه مسا ومسيسا ومِسِّيسى كخلِّيفَى ؛ ومسسته كنصرته : أى لمسته » .

على أصلِ كونه فيه . لـكانَ ينبغى لمن مَسَّ الرَّمادَ بيده أن يجدَه أبردَ من الثلج . فإذا كان مسه كمسِّ غيره ، فقد علمنا أنه ليس هناك من البرد ما يعادلُ هذا الحرَّ الذى يُحرق كلَّ شىء لَقِيَه

فإن زعم أنهما خرجا جميعاً من العود ، فلا يخلو البردُ أن يكونَ أخَذَ فى جهته ، فلِمَ وجدنا الحرَّ وحده وليس هو بأحقَّ أن نجده من ضِدِّه . وإن كان البردُ أخذَ شمالاً ، وأخذَ الحرُّ جنوبا ، فقد كان ينبغى أن يجْمِد ويُهلك مالاقاه[1] ، كما أهلك الحر وأحرقَ وأذاب كلَّ مالاقاه .

قالوا : فلما وجدنا جميعَ أقسامِ هذا البابِ ، علمنا أن النار لم تـكن كامنة فى الحطبِ .

قال أبو إسحاق : والجواب عن ذلك أنا نزعم أن الغالبَ على العالَم السفلىِّ الماء والأرض ، وهما جميعاً باردانِ ، وفى أعماقهما وأضعافهما من الحر ما يكون مغموراً ولا يكون غامراً[2] ، ويكون مقموعا ولا يكون قامعاً ؛ لأنه[3] هناك قليل ، والقليلُ ذليل ، والذليلُ غريب ، والغريبُ محقور . فلما كان العالَمُ السفلى كذلك ، اجتذبَ[4] مافيه من قوة البرد وذلك البرد[5] الذى كان فى العود عند زوالِ مانعه ؛ لأن العودَ مقيمٌ فى هذا العالم[6] . ثم لمْ ينقطع ذلك البردُ إلى برد الأرض ، الذى هو كالقُرْص

---

(١) يجمد ، بالجيم : من الإجماد . وفى الأصل : « يخمد » بالخاء . والوجه ما أثبت . ه : « يهلك بالأقسام » تحريف .

(٢) ط ، س : « معمورا » و « عامرا » بالعين المهملة فيهما . صوابه مافى ه .

(٣) أي الحر . وفى الأصل : « لأن » .

(٤) اجتذب : امتص . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فى ط : « حدث » و ه : « أحدث » و س : « جذب » .

(٥) أي وذلك هو البرد .

(٦) أي العالم السفلى .

له [١] ، إلا بالطفرة [٢] والتخليف [٣] لا بالمرور على الأماكن والمحاذاة لها [٤] وقام بَرْدُ الماء منه مقام قرصِ الشمسِ من الضياء الذى يدخل البيتَ المخرَّق الذى يكون فيه ، فإذا سُدَّ فم السَّدِّ ينقطعُ إلى قُرْصه ، وأصلِ جوهره .

فإذا أجابَ بذلك أبو إسحاق لم يجد خصمهُ بُدًّا من أن يبتدئَ مسألة ٨
فى إفساد القول بالطفرة والتخليف [٥] .

ولولا ما اعترض به أبو إسحاق من الجواب بالطفرة فى هذا الموضع ، لكان هذا مما يقع فى باب الاستدلالِ على حدوثِ العالم .

(قول النظام فى الكمون)

وكان أبو إسحاق يزعُمُ أن احتراق الثوب والحطب والقطن ، إنما هو خروجُ نيرانه منه ، وهذا هو تأويل الاحتراق ، وليس أن ناراً جاءت من مكانٍ فصلت فى الحطب ، ولكن النار الكامنة فى الحطب لم تكن تقوى على نفى ضدِّها عنها ، فلما اتصلت بنار أخرى ، واستمدت منها ،

---

(١) يشير بذلك إلى أن برد العود الذي كان اكتسبه من الأرض ، إذا أراد الاتصال ببرد الأرض مرة أخرى ، وذلك حين إشعال العود ، فان ذلك الانقطاع والانتقال لا يكون إلا بالطفرة ، وهى مذهب كلامى سيفسر عقب هذا . وقد جعل الجاحظ منزلة برد الأرض من برد العود ، كمنزلة قرص الشمس من ضيائها، فان الأول أصل الثاني . و « كالقرص » هى فى أصلها : « كالعرض » تحريف اتضح لك صوابه مما بينت .

(٢) الطفرة ، معناها اللغوي : الوثبة . والمراد بها هنا المذهب الكلامى المنسوب إلى إبراهيم النظام كما فى الفصل (٥ : ٦٤) ، وهى دعواه أن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أماكن لم يقطعها ذلك المار ، ولا مرَّ عليها ، ولاحاذاها ، ولاحل فيها. انظر أيضا الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ — ٧ ، ١٠ .

(٣) كذا فى هـ . والتخليف : الترك . وفيه معنى الطفرة . س ، ط : « التحليف » بالحاء المهملة بعدها لام مهملة . وليس لها وجه .

(٤) فى الأصل : « على الأمور بالأماكن والمجاورة لها » . وأصلحت العبارة على ضوء تفسير كلمة « الطفرة » السابق .

(٥) ط ، س : « التحليف » صوابه من هـ . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

فوِيَتًا جميعاً على نفى ذلك المانع ، فلما زال المانعُ ظهرت . فعند ظهورها تجزَّأ[1] الحطبُ وتجففَ وتهافتَ ؛ لمكانِ عملها فيه . فإحراقك الشىءَ إنما هو إخراجك نيرانه منه .

وكان يزعم أن حرارة[2] الشمس ، إنما تحرق فى هذا العالم بإخراج نيرانها منه . وهى لا تُحرق ماعقد العرَضُ وكَثَّفَ تلك النداوة[3] ؛ لأن التى عقدت تلك الأجزاء من الحر أجناس لاتحترق ، كاللون والطعم والرائحة ، والصوت . والاحتراقُ إنما هو ظهورُ النار عند زوال مانعها فقط .

وكان يزعم أن سمَّ الأفعى مقيماً فى بدن الأفعى ، ليس يَقتُل ، وأنه متى مازَجَ بدناً لاسمَّ فيه لم يقتل ولم يُتْلِفْ ، وإنما يتلفُ الأبدان التى فيها سمومٌ ممنوعة مما يُضَادُّها . فإذا دخل عليها سم الأفعى ، عاون السم الكامنُ ذلك السمَّ الممنوعَ على مانعهِ . فاذا زال المانعُ تلف البدن . [فكان[4]] النهوشُ عند أبي إسحاقَ ، إنما كان أكثرُ ما أتلفه السمَّ الذى معه .

وكذلك كان يقول فى حرِّ الحمَّام ، والحرِ الكامنِ فى الإنسان : أنَّ الغَشْىَ الذى يعتريه فى الحمام [ليس[5]] من الحر القريب ، ولكن من الحر القريب ، حرَّك الحرَّ الكامنَ فى الإنسانِ ، وأمَدَّهُ ببعض أجزائه ، فلما قوِىَ عند ذلك على مانعهِ فأزاله ، [صار[6]] ذلك السلُ الذى كان يُوقفه بالمانع[7] واقفاً به . وإنما ذلك كله حار يحرقُ اليدَ[8] ، صُبَّ عليه ماء

---

(١) هو : « تجزء » .
(٢) فى الأصل : « حره » . والضمير بعده لمؤنث .
(٣) النداوة ، كسحابة : مصدر ندي يندى . ويقال لها أيضا : « الندوة » كفترة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى هو .
(٤) الزيادة من س ، هو . ويصح أن تقرأ بالهمز : « فكان » فينصب الاسم بعدها .
(٥) التكملة من س ، هو .
(٦) بمثل هذه الكلمة يلتئم القول .
(٧) فى الأصل : « توقفه » . والضمير للحر ، وهو مذكر . هو : « بالماقع » مصحفة .
(٨) هو : « الماء » صوابه ما أثبت من س ؛ هو .

باردٌ ، فلما دخل عليه الماء البارد صار شُغْله بالداخل ، وصار من وضَعَ يده فيه ووضع يدَه في شيء قد شُغِل فيه بغيره . فلما دفع الله ، عز وجل ، عنه[1] ذلك الجسم الذي هو مشغولٌ به، صار ذلك الشُغْل مصروفاً إلى من وضع يده فيه ؛ إذ كان لا ينفكُّ من عمله .

وكان مع ذلك يزعم أنك لو أطفأتَ نارَ الأُتُون[2] لم تجدْ شيئا من الضوء ، ووجدت الكثير من الحرّ ؛ لأن الضياء لما لم يكن له في الأرض أصلٌ ينسب إليه[3] ، وكان له في العلوّ أصلٌ ، كان أولَى به[4] .

وفي الحقيقة أنهما جميعا قد اتصلا بجوهرهما من العالم العلويّ . وهذا الحر الذي تجده[5] في الأرض ، إنما هو الحرُّ الكامن الذي زال مانعُه . هكذا كان ينبغي أن يقول . وهو قياسُه .

وكان يزعم أنك إن أبصرتَ مصباحا قائما إلى الصبح[6] أن الذي رأيته في أول وهلةٍ قد بَطَلَ من هذا العالَم ، وظَفِرَ من الدهن[7] بشيء من وزنه وقدره بلا فصل[8] ، ثم كذلك الثالث والرابع والتاسع . فأنت إن ظننتَ أن هذا المصباحَ ذاك ، فليس به ، ولكن ذلك المكان [لما كان[9]] لا يخلو من أقسامٍ متقاربة متشابهة ، [و[10]] لم يكن في الأول

(١) ط : « عند » بالدال ، تصحيحه من س ، هـ .
(٢) الأتون ، كتنور ، وقد يخفف . سبق الكلام فيه في التنبيه الأول من ص ٧ .
(٣) في الأصل : « لو لم يكن » ... الخ . وهو تحريف . وفي س : « نسب إليه » .
(٤) أي كان العلو أولى به .
(٥) س : « نجده » بالنون .
(٦) س ، هـ : « أنك وإن » بزيادة واو . وفي هـ : « إلى الصلح » باللام . وهما تحريفان.
(٧) ط ، هـ : « الدهر » بالراء . صوابه بالنون كما في س .
(٨) الفضل ، بالضاد المعجمة ، بمعنى الزيادة . وفي ط : « بالأفضل » وهـ : « بلا فصل » بالصاد ، بمعنى الفرق . والأول محرفة . وأثبت ما في س .
(٩) ليست بالأصل . وبها يصلح الكلام .
(١٠) تكملة ضرورية .

شِيَةٌ[١] ولا علامة ، وقع عندك أن المصباحَ الذى رأيته مع طلوعِ الفجر ، هو الذى رأيته مع غروب الشَّفَقِ .

وكان يزعم أن نار المصباح لم تأكل شيئاً من الدهن ولم تشربه[٢] ، وأن النار لاتأكل ولا تشرب ، ولكن الدهن ينقص على قدرِ ما يخرجُ منه من الدخان والنار الكامنَين ، اللذَين كانا فيه . وإذا خرج كلُّ شيء فهو بُطْلانه .

(المجاز والتشبيه فى الأكل)

وقد يقولون ذلك[٣] أيضا على المثل ، وعلى الاشتقاق ، وعلى التشبيه .

فان قلتم : فقد قال الله ، عز وجلّ فى الكتاب : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ[٤] ﴾ علمْنا أن الله ، عز وجل ، إنما كلّمهم بلغتهم .

وقد قال أوسُ بنُ حَجَرٍ[٥] :

فأشْرَطَ فيها نفسه وهو مُعْصِمٌ وألقى بأسبابٍ له وتوكَّلا[٦]

---

(١) الشية ، كعدة : اللون يخالف معظم اللون . والمراد بها هنا العلامة المميزة . وليس يعنى أنه ليس فى المصباح الأول شية مطلقا ، ولكنه يريد أنه لا يميز المصباح الأول من الثانى علامة خاصة ، بل العلامات فيهما واحدة . وفى الأصل : « شبه » بالباء الموحدة : صوابه ما أثبت .

(٢) س : « لم يأكل » ، و « لم يشربه » .

(٣) أي الأكل ومشتقاته .

(٤) الآية ١٨٣ من سورة آل عمران . وتمامها : « قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين » . والكلام فى بنى إسرائيل، زعموا أن علامة النبوة أن تنزل نار من السماء فتأكل قربان النبى . والقربان : ذبائح كانوا يذبحونها ، وهو مصدر قرب يقرب ، وقرئ : « بقربان » بضمتين. انظر الزمخشرى .

(٥) ينعت صانع قوس ، أجهد نفسه فى الحصول على نبعة فى صدع الجبل ، فان ذلك خير للنبع وأصلحه للقسى . وقبل البيت : كما فى الديوان واللسان (لهب) .

فأبصرَ ألهابًا منَ الطَّوْدِ دونَها يَرَى بينَ رأسَىْ كلِّ نِيقَين مَهْبلا

الألهاب : جمع لهب بالكسر : وهو الفرجة والهواء بين الجبلين، أو الصدع فى الجبل .

(٦) أشرط : أي جعل نفسه شرطا ، والشرط ، بالتحريك : العلامة : والمعنى أنه هيأ =

وقد أكَلَتْ أظفارَهُ الصخرُ كلما تعَايا عليه طولُ مَرْقًى توَصَّلاَ[1]

بجعل النحتَ والتنقُّصَ[2] أكلاً .

وقال خُفَافُ بن نَدْبَةَ[3] :

أبا خُرَاشَةَ أمَّا كنتَ ذَا نفرٍ فإنَّ قومِيَ لم تأكُلهمُ الضبُعُ[4]

والضَّبُع : السَّنَةُ[5] . بجعل تنقُّصَ الجدْبِ ، والأزْمة ، أكلاً[6] .

= نفسه لهذه النبعة التي يريد الحصول عليها . معصم : أي معتصم بالحبل الذي دلاه في صدع الجبل ليصل إلى النبعة . والأسباب : جمع سبب ، بالتحريك ، وهو الحبل . وفي اللسان : « وقيل لا يسمى الحبل سبباً حتى يكون طرفه معلقاً بالسقف أو نحوه » . وجاء مثله في قول ابن أحمر (المقصور ص ٣٠) :

فأشرط نفسه حرصا عليها وكان بنفسه حبئا ضنينا

أي مسكا بخيلا .

(١) أنث الفعل لما أن الفاعل « الصخر » وهو مجازي التأنيث . ومجازي التأنيث يصح في فعله التذكير والتأنيث . وتعايا عليه الأمر : أعجزه . هو : « تغايا » تصحيف صوابه من ، ط ورواية الديوان : « تعَيَّا » وهي بمعنى تعايا . وقد أكلت أظفاره الصخر حينما كان يصعد في الجبل لينزل منه إلى اللهب الذي فيه النبعة .

(٢) التنقص : التنقص ، يقال نقصه وتنقصه . وفي الأصل : « الشعر » بالشين . وما أثبت أقرب تصحيح لهذا التصحيف .

(٣) كذا . والصواب أن قائل البيت هو العباس بن مرداس السلمي ، كما في الخزانة (٤ : ١٣ سلفية) ، واللسان (خرش) . يخاطب به خفاف بن ندبة ، ويحرضه على الصلح ، ويثبطه عن الحرب . وكان خفاف بن ندبة يكنى « أبا خراشة » .

(٤) خراشة ، بضم الخاء كما في الخزانة (٤ : ١١ سلفية) واللسان (خرش) . و« أما كنت » هذه رواية س ، هو . وهي رواية أبي حنيفة في كتاب النبات ، وابن دريد في الجمهرة ، وعلى هذه الرواية يعتمد الكوفيون في قولهم : إن (أن) المفتوحة شرطية مجازي بها . الخزانة (٤ : ١٢ سلفية) . ورواية ط ، ويظهر أنها تصرف من المصحح الأول : « إما أنت » وهو الرواية المشهورة . وللنحويين فيها كلام طويل جمعه صاحب الخزانة ، وبعد البيت .

السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

(٥) السنة ، بمعنى الجدب والقحط . وأسنتوا : أجدبوا .

(٦) في الأصل : « شنص » وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة . وفي ط بعد كلمة « الأزمة » « بابا آخر ما يسمونه أكلا » وهو إقحام وتحريف . وانظر التنبيه التالي .

[باب آخر مما يسمونه أكلاً[1]] . وقال مِرْداسُ بن أُدَيّة[2] :

وأدّتِ الأرضُ منّي مثلَ ما أكلَتْ   وقرّبُوا لحِسَابِ القِسْطِ أعمالي[3]

وأكْلُ الأرضِ لما صارَ في بطنها : إحالتُها له إلى جَوْهَرِها .

باب آخر

(في المجاز والتشبيه بالأكل)

وهو قول الله عز وجلّ : ﴿إنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا[4]﴾ وقوله تعالى ، عز اسمه . ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ[5]﴾ . وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة ، ولبسوا الحُلَلَ ، وركبوا الدوابّ ، ولم ينفقوا منها دِرْهمًا واحداً في سبيل الأكل .

وقد قال الله عز وجلّ : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نارا[6] ﴾ . وهذا مجازٌ آخر .

وقال الشاعر[7] في أخذ[8] السِّنِينَ من أجزاء الخمر :

أكَلَ الدّهرُ ما تجسّمَ منها   وتبقَّى مُصَاصُها المكنونا[9]

---

(١) هذه التكملة من س فقط .

(٢) هو أبو بلال مرداس بن أدية — بهيئة التصغير — أحد الخوارج . خرج في أيام يزيد ابن معاوية : بناحية البصرة ، على عبيد الله بن زياد ، فبعث إليه زرعة بن مسلم العامري فهزم زرعة ، ثم وجه إليه عباد بن علقمة فهزمه وقتله سنة ٦١ .

(٣) القسط ، بالكسر : العدل .

(٤) من الآية ١٠ من سورة النساء .

(٥) من الآية ٤٢ في سورة المائدة . والسحت ، بالضم : ما خبث من المكاسب . قالوا : سمي بذلك ، لأنه يسحت البركة : أي يذهبها . وسحت الشيء يسحته : قشره قليلا قليلا .

(٦) من الآية ١٠ في سورة النساء .

(٧) هو أبو نواس من خمرية رائعة له في ديوانه ٣٢٨ — ٣٢٩ مطلعها :

أدر الكأس حان أن تسقينا   وانقر الدف إنه يلهينا

(٨) ط ، س : «أجزاء» هـ : «أخذ» بالزاي . صوابها ما أثبت .

(٩) ط ، هـ : «الدهم» صوابه في س . «وتجسم» بالسين : أي صار جسما . وهو =

وقال الشاعر :

مرّت بنا تختال في أربع ... يأكل منها بعضُها بعضا[1]

وهل قوله : « وقد أكلت أظفاره الصخرُ[2] » إلا كقوله[3] :

كصّ الكُدَى أفنى براثنه الحفرُ[4]

= يريد أنه لم يبق من الخمر إلا روحها . والخمر إذا أعتقت خلصت ورقت وكاد يختفي جسمها . وفي ذلك قول ابن المعتز (٢ : ٣٠) :

لم يبق منها البلى شيئاً سوى شبح ... مقهة الظن بين الصدق والكذب

وقوله (٢ : ٤٣) :

فأبرزها تحدث عن زمان ... كلمع الآل في البيد القفار

وقول أبي نواس بعد البيت المتقدم :

فإذا ما اجتليتها فهباء ... تمنع الكف ما تبيح العيونا

وتبق ، أي أبق وترك . يقال أبقاه وبقاه وتبقاه واستبقاه ، كما في اللسان .

والمصاص ، بالضم : خالص كل شيء . ورواية الديوان : « وتبقى لبابها » .

(١) في أربع : أي أربع من صواحبها . وقد أراد أنها في تثنيها وتأودها وتعطفها كأنما يأكل بعضها بعضاً .

(٢) جزء من بيت لأوس بن حجر سبق في ص ٢٤ .

(٣) هو خالد بن الطيفان كما سيأتي في (٦ : ١٢) وكما في المؤتلف ١٤٩ . وصدر البيت :

ترى الشرّ قد أفنى دوائر وجهه

والطيفان أمه ، فهو ممن نسب إلى أمه من الشعراء . وفي القاموس : « وابن الطيفان كصيران : خالد بن علقمة ، شاعر . وطيفان أمه » . وفي المؤتلف : « فأما ابن الطيفان فهو خالد بن علقمة بن مرثد ، أحد بني مالك بن زيد بن عبد الله بن دارم » . وفي اللسان (١٣ : ٢٦٧) : « ابن الطيفان الدارمي . والطيفان أمه » . وفي الشعراء أيضاً (ابن الطيفانية) نسب إلى أمه أيضاً ، وهو عمرو بن قميئة ، أحد بني زيد ابن دارم . القاموس والمؤتلف ١٤٩ .

(٤) الكدى : جمع كدية بالضم : وهي الأرض الغليظة . وفي الأصل : « الكري » بالراء ، محرفة . و « أفنى » هي في الأصل : « أبري » . صوابه من الجزء السادس والمؤتلف . ولا يقال : أبرى من البري ، بل يقال : أبري الناقة أي جعل لها برة في أنفها .

وإذا قالوا : أَكَلَهُ الأَسَد ، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف[١] .

وإذا قالوا : أَكَلَهُ الأَسْوَد[٢] فإنما يعنون النَّهْشَ واللَّدْغَ والعضَّ فقط .

وقد قال الله عز وجلّ : «أيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتًا[٣]» . ويقال : هم لحوم الناس[٤] .

وقال قائلٌ لإسماعيل بن حماد[٥] : أيّ اللُّحْمَانِ أطيب ؟ قال : لحومُ الناس ، هي ، واللهِ أطيبُ من الدجاج ، ومن الفراخ ، والعُنُوزِ الحُمْرُ[٦] .

ويقولون في باب آخر : فلانٌ يأكل الناس . وإن[٧] لم يأكُلْ من طعامهم شيئًا .

وأما قولُ أوس بن حَجَر :

وذو شُطُبات قَدَّهُ ابنُ مُجدَّعٍ   له رَوْنقٌ ذَرِّيُّهُ يتأكَّلُ[٨]

---

(١) هـ : «المفروض» محرف .

(٢) الأسود ، هنا : ضرب خبيث من الأفاعي .

(٣) من الآية ١٢ في سورة الحجرات .

(٤) كذا وردت هذه العبارة . ولعلها مقحمة مأخوذة من الخبر بعدها .

(٥) هو إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة صاحب المذهب ، ولي القضاء بالرصافة ، ثم بالبصرة سنة ٢١٠ وتوفي سنة ٢١٢ وكان من كبار الفقهاء . تاريخ بغداد ٣٢٨ ، ولسان الميزان ١٢٥٧ . ط : «لأسماء» صوابه في س ، هـ .

(٦) العنوز : جمع عنز ، وهي الأنثى من المعز . هـ : «العتود» وهو بالفتح : الحولي من أولاد المعز ، جمعه أعتدة وعتدان ، وليست تلائم الكلام لإفرادها بعد جمعين ، ولوصفها بمؤنث . الحمر : جمع حمراء . وفي الأصل : «والحمر» والواو زائدة .

(٧) في الأصل : «إن» والوجه زيادة الواو قبلها .

(٨) الشطبات ، بضم الشين والطاء ، جمع شطبة : بالضم ، وهي الطريقة من طرائق السيف : أي الخط فيه . وتقرأ أيضاً : «شطبات» بضم ففتح ، جمع شطبة بضم ففتح وبالمعنى المتقدم . وقد عني به السيف . قده : قدره وصنعه . وابن مجدع ، أحد صناع السيوف . وكان العرب ينسبون السيوف والسهام والرماح إلى صناعها ، كما يضيف الناس اليوم أشياءهم إلى المصانع التي أخرجتها . والرونق : ماء السيف وصفاؤه وحسنه . ودري السيف ، كالمنسوب إلى الذر : ماؤه وفرنده . وانظر ما سبق في (٤ : ٢٩) ط ، هـ : «رديه» محرف . س : «دريه» بالدال المهملة ، وهي رواية الديوان أيضاً . ولا بأس بها . ودري السيف ، بضم الدال : تلألؤه . وقد روي بالوجهين بيت عبد الله بن عنمة : =

فهذا على خلاف الأول . وكذلك قول دُعْمان النهدي(١) :

سألتْنِي عنْ أناسٍ أكلُوا ... شَرِبَ الدّهرُ عليهمْ وأكَلْ(٢)

فهذا كله مختلف ، وهو كله مجاز .

باب آخر

(في مجاز الذوق)

وهو قول الرَّجل إذا بالغ في عقوبة عبده : ذُقْ ! و : كيف ذقته ؟ !
و : كيف وجدتَ طعمه !

وقال عزّ وجلّ : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾(٣) .

= كل ينوء بماضي الحد ذي شطب ... جلّى الصياقل عن ذريه الطبعا

وقد مضى في (٤ : ٢٩) ، وكذا بيت دريد بن الصمة :

وتخرج منه ضرة اليوم مصدقا ... وطول السرى ذري عضب مهند

انظر اللسان (٥ : ٣٩١ — ٣٩٢) و (٦ : ١٥٤ — ١٥٥) . والتأكل : شدة بريق السيف . وصواب رواية البيت : « وذا شطبات » بالنصب ، لأن قبله كما في الديوان :

تخير مرءا ذا سواعد إنه ... أعف وأدنى للرشاد وأجمل

(١) كذا جاءت نسبة البيت . ولم أعثر لدعمان هذا على ترجمة . والمعروف نسبته إلى النابغة الجعدي ، كما في أمالي المرتضى (١ : ٢٦) واللسان (١٣ : ٢٢) . وهو في أمثال الميداني (١ : ٣٧) مهمل النسبة .

(٢) « أكلوا » كذا جاءت . وقد تكون صحيحة بقراءتها بالمبني للمفعول ، فتفسر بمعنى أكلهم الدهر وأفناهم . ورواية المرتضى واللسان : « هلكوا » وفي اللسان «بأناس» وهي من لغة الكتاب . وفيه : « فاسأل به خبيراً » أي عنه . وصدر البيت عند الميداني :

كم رأينا من أناس قبلنا

قال الميداني : « يضرب لمن طال عمره » . وهذا عجيب منه . والحق أنه يضرب لمن مضى على هلكه طويل زمن . قال أبو عمرو : « يقول : مر عليهم » وقال غيره : « معناه شرب الناس بعدهم وأكلوا » . وهذان التفسيران من اللسان . وقد وضح المرتضى التفسير الثاني بقوله : « شرب أهل الدهر بعدهم وأكلوا » .

(٣) الآية ٤٩ من سورة الدخان .

وأما قولهم : ما ذُقْتُ اليوم ذَواقاً[1] . فانه يعنى : ما أكلتُ اليوم طعاما ، ولا شربتُ شرابا ، وإنما أراد القليل والكثير ، وأنه لم يذقه ، فضلا عن غير ذلك .

وقال بعض طبقات[2] الفقهاء ، ممن يشتهى أن يكون عند الناس متكلما : ما ذقت اليوم ذواقا على وجهٍ من الوجوه ، ولا على معنًى من المعانى ، ولا على سببٍ من الأسباب ، ولا على جهةٍ من الجهات ، ولا على لون من الألوان .

وهذا من عجيب الكلام !

قال : ويقول الرجل لوكيله : إيتِ فلاناً فذُقْ ما عنده[3] .

وقال شمّاخ بن ضِرار :

فذاق فأعطتْه من اللِّين جانباً كَفَى ولَها أن يُفرِقَ السهمَ حاجزُ[4]

وقال ابن مُقْبِل : ١١

أو كاهتزازِ رُدَيْنِيٍّ تَذَاوَقَهُ أيدِى التِّجارِ فزادُوا مَتْنَهُ لِيناً[5]

---

(١) ذواقا ، بالفتح : فعال بمعنى مفعول ، من الذوق . والذواق هو المأكول والمشروب .

(٢) كذا . ولعلها : « مطبقات » . والمطبقات ، بضم الميم وإسكان الطاء : الدواهى التى تطبق .

(٣) أى تعرف ما عنده واخبره .

(٤) يقول : ذاق ذلك الرجل القوس ليختبر ماشدتها وما لينها ، فوجدها على جانب كاف من اللين ، وذلك أحمد لها وأجود لرماها . وقال : لها حاجز ، من الشدة المخالطة اللين ، يمنع إغراق السهم . وهو أن تصل حديدته إلى كبد القوس فربما قطعت يد صاحبها . وفى مثل هذا المعنى قول الكلى (الحيوان ٣ : ٧٢) :

فى كفه معطية منوع

وقول الآخر :

شريانة تمنع بعد اللين

س : ١٥ : « تعرف للسهم تاجر » تحريف صوابه فى ط والديوان ٤٩ من قصيدته الزائية المشهورة .

(٥) فى الأصل : « وكاهتزاز » وصواب الرواية من اللسان (١١ : ٤٠٢) وأمالى القالى (١ : ٢٢٩) وقبل البيت :
=

وقال نَهْشَلُ بن حَرِّىّ(١) :

وعَهْدُ النّائِياتِ كَعَهْدِ قَيْنٍ ... وَنَتْ عنهُ الجعائلُ مستذاقِ(٢)

الجعائلُ : من الجُعْل .

وتجاوزوا ذلك إلى أن قال يزيدُ بن الصّعِق(٣) ، لبنى سُلَيم حين صنعوا بسيِّدهم العباسِ(٤) ما صنعوا . وقد كانوا توّجوه وملَّكوه ، فلما خالفهم فى بعض الأمر وثَبوا عليه ، وكان سببَ ذلك قلةَ رَهْطِه . وقال يزيد ابن الصّعِق :

وإن الله ذاق حُلُومَ قَيْسٍ ... فلما ذاق خِفّتَها قَلاَها

= يهزن المشي أوصالا منمّبة ... هز الشمال ضحى عيدان يبرينا

وهذه رواية اللسان . وفي الأمالي : « هز الجنوب ضحا » صوابها : « ضحا » يصح كتابتها بالألف وبالياء . والرديني : الرمح ، منسوب إلى ردينة ، وهي امرأة كانت تثقف هي وزوجها — سمهر — صنع الرماح بخط هجر . والحذارق من الحذق ، وهو هنا الاختيار . وفي اللسان : « المعروف : تداوله » ورواية القالي : « تناوله » والتجار : ككتاب : جمع تاجر . وهو من يتجر في الشيء ، أو هو الحاذق بمعرفة الشيء . وفي اللسان : « ابن الأعرابي : تقول العرب : إنه لتاجر بذلك الأمر ، أي حاذق » . ورواية الزمخشري فى أساس البلاغة : « أيدي الكماة » جمع كمى ، وهو الشجاع .

(١) نهشل بن حري ، كالمنسوب إلى الحر : شاعر مخضرم أدرك معاوية ، وكان مع على في حروبه . الإصابة ٨٨٧٨ والخزانة (١ : ٢٨٤ سلفية) . وفي الأصل : « بشار ابن حرب » تصحيحه من اللسان (١١ : ٤٠١ ، ١٢ : ٢٨٠) .

(٢) القين ، بالفتح : الحداد أو الصانع ، أو العامل . ونت : أبطأت . ط ، س : « وفت » هو : « ونت » محرفتان عما أثبت من اللسان . وفي الأصل : « عند » صوابه من اللسان ، والجعائل : جمع جعالة ، بالتثليث ، وهو مايجعل له على عمله . مستذاق مختبر . جعل عهدهن للصحب كعهد القين لإعرائه إذا أبطأ عنه أجره ، فإنه ينقطع عنهم ولا يستطيع مجاراتهم ومنادمتهم والاتصال بهم .

(٣) الصعق ، ككتف : لقب خويلد بن نفيل . القاموس . ويزيد هذا هو ابن عمرو ابن خويلد بن نفيل . وكان يزيد من فرسان العرب ، وله ذكر فى يوم جبلة . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الخزانة (١ : ٣٨٨) والأغاني (١٠ : ٤٢ ، ٤٤ ساسي) .

(٤) هو العباس بن أنس الرعل ، كانت بنو سليم قد أرادوا عقد التاج على رأسه فى الجاهلية ، فحسده ابن عم له فلطم عينه ، فخرج عباس من أحياء بني سليم فى عدة من أهل بيته وقومه ، فنزل فى بني فزارة . الأغاني (١٦ : ٥٥ ساسي) .

رآها لا تطيعُ لها أميراً ... فخلاّها تردَّدُ في خلاها[(١)]

فزعم أن الله ، عز وجلّ ، يذوق .

[و[(٢)]] عندَ ذلك قال عباس الرِّعلى[(٣)] يخبر عن قلَّتِهِ وكثرتهم ، فقال :

وأمُّكم تُزْجِى التُّؤَامَ لِبَعْلِهَا ... وأمُّ أخيكم كزَّةُ الرَّحمِ عاقِرُ[(٤)]

وزعم يونس أنَّ أسلم بن زُرعة[(٥)] لما أنشدَ هذا البيتَ اغرَورَقَتْ عيناه .

وجعل عباس[(٦)] أمّه عاقراً إذْ كانت نَزُوراً[(٧)] . وقد قال الغنوى :

وتحدثوا مَلأً لِتُصْبِحَ أمُّنَا ... عذْرَاءَ لاَ كَهْلٌ وَلاَ مَوْلُودُ[(٨)]

جعَلَها إذ قلَّ ولدُها كالعذراء التى لم تلد قطُّ . لما كانت كالعذراء جعلها عذراء .

---

(١) خلاها : تركها . والخلى ، مقصورة : الرطب من النبات ، واحدته خلاة . يقول : جعلها كالسوائم ترتاد المراعي . وهذا الجناس من أقدم ماعرف .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) هو عباس بن أنس الرعلي ، الذى ترجم قريبا . ويقال له عباس بن ريطة الرعلى . وريطة أمه كما فى معجم المرزبانى ٢٦٣ والإصابة ٤٤٩٦ . وقد سبق الخبر والشعر في (١ : ٣٠٩) مع بسط وتعقيب . وفى الأصل : « عياش » بهاء وياء مثناة تحتية ، صوابه من المصادر المتقدمة . والرعلى : نسبة إلى رعل ، بالكسر ، وهى قبيلة من سليم .

(٤) تزجى : تسوق وتدفع . وفى الأصل : « تزجو » وتصحيحه من الحيوان (١ : ٣٠٩) والتؤام ، كغراب : جمع توأم ، وهو المولود مع غيره فى بطن ، من الاثنين فصاعدا . وكزة ، بفتح الكاف بعدها زاى مشددة مفتوحة : قليلة المواتاة والخير . والرحم ، بالكسر ، وككتف : بيت منبت الولد ووعاؤه .

(٥) كذا . وقد سبق فى (١ : ٣٠٩) أن الذى أنشد هذا البيت فاغرورقت عيناه هو أبو عمرو بن العلاء ، وهو أستاذ يونس بن حبيب ، كما فى كتب التراجم .

(٦) فى الأصل : « عياش » بهاء وياء مثناة تحتية . وهو تحريف . انظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(٧) النزور ، كصبور : المرأة القليلة الولد .

(٨) أنشد البيت فى اللسان (١ : ١٥٤) وقال : « أى تشاوروا وتحدثوا متمالئين على ذلك

وللعرب إقدام على الكلام ، ثقةً بفهم أصحابهم عنهم . وهذه أيضاً فضيلةٌ أخرى .

وكما جوّزوا لقولهم أكل وإنما عضّ ، وأكلَ وإنما أفنَى ، وأكلَ وإنما أحاله(١) ، وأكل وإنما أبطلَ عينه — جوّزوا أيضا أن يقولوا : ذُقْتَ ما ليس بطعم ، ثم قالوا(٢) طعِمْت ، لغير الطعام . وقال العرْجيُّ :

وإنْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِوَاكُمُ   وإنْ شئتُ لم أطعمْ نُقَاخاً ولا بَرْدَا(٣)

[و(٤)] قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي(٥) ﴾ يريد : لم يذقْ طعمه .

وقال عَلقمة بن عَبَدَة(٦) :

وقد أصاحِبُ فتيانا طعامُهُمُ   خُمْرُ المَزادِ ولحمٌ فيه تنشيمُ(٧)

= ليقتلونا أجمعين ، فتصبح أمنا كالعذراء التي لا ولد لها » .

(١) أحاله من الإحالة بمعنى التحويل والتصيير . ط ، هو : « أجاله » بالجيم تصحيحه من س .

(٢) في الأصل : « قال » . وصوابه ما أثبت .

(٣) وكذا في اللسان : (٤ : ٥٠) وروى في اللسان (٤ : ٣٢) « وأحرمت النساء » وأحرم وحرم بمعنى . ومنه قول حميد بن ثور :

إلى شجر ألمى الظلال كأنها   رواهب أحرمن الشراب عذوب

والنقاخ ، بضم النون وآخره خاء معجمة : الماء البارد العذب الصافي . س ، هو : « نقاحا » . صوابه في ط واللسان . والبرد هنا : الريق . أو هو النوم لأنه يبرد العين بأن يقرها . وهذا الأخير أحد وجهى تفسير قوله تعالى : « لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا » .

(٤) الزيادة من س ، هو .

(٥) من الآية ٢٤٩ في سورة البقرة ، وهي حكاية قول طالوت لجنوده . وفي الأصل : « إنه » وهو تحريف شنيع . وقد سبقت مني الإشارة إلى مثل هذه التحريفات الشنيعة في (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠) وهي مما يؤاخذ عليه الجاحظ .

(٦) هو علقمة الفحل . والبيت من قصيدته المشهورة التي أولها :

هل ما علمتَ وما استودعت مكتوم   أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

وهي في ديوانه ١٢٩ من خمسة دواوين العرب والمفضليات ١٨٩ .

(٧) روى في اللسان (١٦ : ٥٤) : « شرابهم » وما هنا موافق الديوان والمفضليات . و « حمر المزاد » هي كذا في الأصل . وصواب الرواية : « خضر =

يقول . هذا طعامهم في الغزو والسفرِ البعيد النائي ، وفي الصيف الذي يُغيِّر[1] الطعام والشراب .

والغزوُ على هذه الصفةِ من المفاخر ؛ ولذلك قال الأول[2] :

لا لا أعقُّ ولا أحُو — بُ ولا أُغيرُ عَلى مُضَرْ

لَـكِنَّما غَزْوِى إذا — ضجَّ المَطِيُّ من الدَّبَرْ[3] ١٢

وعلى المعنى الأولِ قولُ الشاعر :

قالت ألا فاطْعِمْ عُمَيْرًا تمرا[4] — وكان تمرى كَهرةً وزَبْرا[5]

وعلى المعنى الأولِ قال حاتم : هذا فَصْدِى أنَه[6] !

= المزاد كما في الديوان والمفضليات وشرحها ٨١٨ . وهو الفظ ، أي ماء الكرش ، يعصرونها فيشربون ماءها في المفاوز حين الحاجة . أو أن المزاد إذا بقّ الله فيها وطال عهدها به اخضرت وصار طعمها شبه الطحلب ، وذلك حين يطول بهم السفر . والتقشم : ابتداء تغير الرائحة . س : « تسنم » صوابه في ط ، هـ والمصادر المتقدمة . ومما يضم إلى هذا الضرب قول العجاج :

قرقور ساج ساجه مطلى — بالقير والقبات زنبري

يريد : مقيرا بالقير ، مشدودا بالقبات .

(١) هذه الكلمة محرفة في الأصل . فهي في ط ، س : « يغتر » و هـ : « يعبر » .

(٢) هو الحارث بن يزيد جد الأحيمر السعدي كما سبق في الحيوان (١ : ١٣٣) ، وما في البيان (٢ : ١٢٠) .

(٣) المطي : جمع مطية . ضج : صاح . والمراد : اشتد ألمه . وفي الأصل : « صح » صوابه من الجزء الأول والبيان . والدبر : بالتحريك : جمع دبرة ، وهي قرحة الدابة .

(٤) انظر الكلام في رواية البيت وتوجيهه في (٤ : ٢٧٤) .

(٥) الكهرة : الانتهار . والزبر : الزجر والمنع . هـ : (لمرة) س : (كهرة) صوابهما في ط والحيوان (٤ : ٢٧٤) حيث ذكرت مصادر الرواية .

(٦) وذلك « حين أسروه بفصد بعير ، وطعنه في منحره » . الحيوان (٤ : ٢٧٣) . وتفصيله في الأغاني (١٦ : ١٠٣) ساسى . وفيها : « أسرت عنزة حاتما ، فجعل نساء عنزة يداولن بعيرا ليفصدنه ، فضعفن عنه ، فقلن : يا حاتم ، أفاصده أنت إن أطلقنا يديك ؟ قال : نعم . فأطلقن إحدى يديه فوجأ لبته فاستدميه . ثم إن البعير عضد ، أي لوى عنقه ، أي خر . فقلن : ما صنعت ؟ ! قال : هكذا فصادي ! فجرت مثلا » . وقد قال أيضا حاتم في هذا المعنى : =

ولذلك قال الرّاجز :[1]

لعامراتِ البيتِ بالخرابِ[2]

يقول : هذا هو عمارتها

(تأويل النظام لقولهم : النار يابسة)

وكان أبو إسحاق يتعجبُ من قولهم : النار يابسة . قال : أما قولهم : الماء رَطْب ، فيصح ؛ لأنا نراه سيَّالا . وإذا قال الأرض يابسة ، فإنما يريد الترابَ المتهافتَ فقط . فإن لم يُرِدْ إلا بَدَنَ الأرض اللازمَ بعضُه لبعض ؛ لما فيها من اللُّدُونة فقط — فقد أخطأ ، لأن أجزاءَ الأرض مخالطةٌ لأجزاء الماء ، فامتنعتْ من التهافتِ على أقدار ذلك .

ومتى حفرنا ودخلنا فى عُمْق الأرض ، وجدنا الأرض طيناً . بل لا تزال تجدُ الطين أرطبَ حتى تصيرَ إلى الماء . والأرض اليوم كلها أرضٌ وماء ، والماء ماء وأرض ، وإنما يلزمها من الاسم على قدر الكثرة والقلة . فأما النار فليست بيابسة البدن . ولو كانت يابسة البدنِ لتهافتتْ تهافت التراب ، ولتبرّأ بعضها من بعض . كما أن الماء لما كان رطباً كان سيالا .

ولكن القوم لما وجدوا النار تستخرج كل شيء في العودِ من النار ، فظهرت الرطوباتُ لتلك السببِ ، ووجدوا العودَ تتميزُ أخلاطه عند

= كذلك فصلى إن سألت مطيتى دم الجوف ، إذ كل القصاد وعيم
وانظر ما أسلفت من القول على القصيد فى (٤ : ٢٧٣) . س : « هكذا تسهدته » وفيه تحريف . و « أنه » أى « أنا » ألحق به هاء السكت .

(١) هو أعرابى حسّل البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر ، كما سيأتى فى ص ٨٠ ، وكما فى ديوان المعانى (٢ : ١٥١) .

(٢) فى الأصل : « العامرات » صوابه ما أثبت من ص ٨٠ وما سبق فى (٤ : ٢٧٤) وديوان المعانى ، ونهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) .

خروج نيرانه التى كانت إحدى مراتبها من التميز[1] ، فوجدوا العودَ قد صار رماداً يابساً متهافتًا — ظنوا أن يُبْسَهُ إنما هو مما أعطته النار وولّدتْ فيه .

والنارُ لم تُعْطِهِ شيئا ، ولكن نار العودِ لما فارقَتْ رطوباتِ العودِ ، ظهرت تلك الرطوباتُ الكامنة والنائمة ، فبقِىَ من العودِ الجزء الذى هو الرماد ، وهو جزء الأرض وجَوْهَرُها ؛ لأن العود فيه جزء أرضىٌّ ، وجزء مائىٌّ ، وجزء نارىٌّ ، وجزء هوائىٌّ ، فلما خرجتِ النارُ واعتزلت الرطوبة بقى الجزء الأرضىّ .

فقولهم[2] : النار يابسة ، غلطٌ ، وإنما ذهبوا إلى ما تراه العيون ، ولم يغوصوا على مُغَيَّباتِ العِلَلَ[3] .

وكان يقول : ليس القوم فى طريق خُلَّصِ المتكلمين ، ولا فى طريق الجهابذَةِ المتقدِّمين .

(قول النظام فى علاقة الذكاء بالجنس)

وكان يقول : إن الأُمة التى لم تُنْضِجْها الأرحام[4] ، ويخالفون فى ألوان أبدانهم ، وأحداقِ[5] عيونهم ، وألوانِ شعورهم ، سبيلَ الاعتدال — لا تكون

---

(١) « مراتبها من التميز » كذا جاءت .

(٢) س ، هو : « فقولها » صوابه فى ط . وانظر س ١٦ من الصفحة السابقة .

(٣) ط : « العلل » صوابه فى س ، هو .

(٤) يريد بذلك الجنس الأبيض ، وهم سكان الاقليمين السادس والسابع فى التقسيم البلدانى القديم . وجاء فى مقدمة ابن خلدون ص ٧٢ س ١٧ : « والسابع والسادس البرد والبياض » . وأما من أنضجتهم الأرحام فهم سكان الأقاليم الثلاثة : الخامس والرابع والثالث . وأما من جاوزت أرحامهم حد الانضاج ، كما ذكر الجاحظ فى الحيوان (٢ : ٢٤٥) فهم سكان الاقليمين الأول والثانى .

(٥) الأحداق : جمع حدقة ، بالتحريك ، وهى من العين سوادها الأعظم . ط ، س : « أو حدق » . وكلمة « أو » محرفة عن الواو . وأما « حدق » فهى صحيحة جمع حدقة . ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى :

فالعين بعدهم كأن حداقها سملت بشوك فهى عور تدمع

عقولهم وقرائحهم إلا على حسبِ ذلك . وعلى حسبِ ذلك تكون أخلاقهم وآدابهم ، وشمائلهم ، وتصرُّف هممهم فى لونهم وكرمهم ، لاختلاف السَّبْكِ
١٣ وطبقاتِ الطبخ . وتفاوتُ ما بين الفطير والخميرِ[1] ، والمقصَّر والمجاوز — وموضع العقل عضوٌ من الأعضاء ، وجزءٌ من تلك الأجزاء — كالتفاوت[2] الذى بين الصَّقالبةِ والزَّنج[3] .

وكذلك القولُ فى الصور ومواضع الأعضاء . ألا ترى أن أهل الصين والتُّبَّتِ ، حُذَّاقُ الصناعات[4] ، لما فيها الرِّفق والحِذْق ، ولُطفُ للداخل ، والاتساعُ فى ذلك ، والغَوْصُ على غامضِه وبعيده . وليس عندهم إلا ذلك ؛ قد يُفتَح لقوم فى باب الصناعات ولا يُفتح [لهم فى[5]] سِوَى ذلك

(تخطئة النظام لمن زعم أن الحرارة تورث اليبس)

قال : وكان يخطِّئهم فى قولهم : إن الحرارة تورث اليُبْس ، لأن الحرارة إنما ينبغى أن تورثَ السخونةَ ، وتولِّدَ ما يشاكلها . ولا تولِّدُ ضربًا آخر مما ليس منها فى شىء . ولو جازَ أن تولِّد من الأجناس التى تخالفها شكلا واحدا لم يكن ذلك الخلاف بأحقّ من خلافٍ[6] آخر . إلا أن يذهبوا إلى سبيلِ المجاز : فقد يقولُ الرجلُ : إنما رأيتك لأنى التفتُّ[7] وهو إنما رآه للطبع

---

(١) الفطير : أصله ما يخبز من ساعته دون أن يختمر . والخمير : ما ترك حتى اختمر .

(٢) ط ، هو : « وكالتفاوت » بإقحام واو .

(٣) جعل الصقالبة مثلا لما لم تنضجه الأرحام ، والزنج مثلا لما زادت الأرحام فى إنضاجه . وإلى ذلك أيضا أشار ابن سينا فى أرجوزته فى الطب بقوله :

بالزنج حر غير الأجسادا ... حتى كسا جلودها سوادا

والصقلب اكتسبت البياضا ... حتى غدت جلودها بضاضا

(٤) ط ، س : « وحذاق » والصواب حذف الواو كما فى هو . وهنا يبدأ سقط فى هو ينتهى إلى كلمة : « الصناعات » الآتية .

(٥) هذه التكملة من س .

(٦) فى الأصل : « من كلام » . والوجه ما أثبت .

(٧) س ، هو : « ألتفت » فعل مضارع .

في البصر الدَّرَّاك[1]، عند ذلك الالتفاتِ.

وكذلك[2] يقول: قد نجد النار تداخلُ ماء القُمقم[3] بالإيقاد من تحته، فإذا صارت النارُ في الماء لابستْهُ، واتصلت بما فيه من الحرارات، والنار صَعّادةٌ — فيحدثُ عند ذلك الماء غليانٌ[4]؛ لحركة النار التي قد صارت في أضعافه. وحركتُها تصعُّدٌ. فإذا ترفَّعت[5] أجزاء النار رَفَعَت[6] معها لطائف من تلك الرطوبات التي قد لابَسَتْها. فإذا دام ذلك الإيقادُ من النار الداخلةِ على الماء، صعدت أجزاء الرطوباتِ الملابسةُ لأجزاء النار. ولقوة حركة النار وطلبها التِّلادَ العُلْوِيَّ[7]، كان ذلك. فمتى وجد من لا عِلْمَ له في أسفل

---

(١) سه: « رآه الطبع » محرف. والدراك: المدرك. ط، هـ: « الدارك » بتقديم الألف، صوابه في سه. ولا يقال: « الدارك ». قال ابن بري: « جاء دَرَاكِ دَرَّاك، وفَعَالِ وفَعَّال إنما هو من فعل ثلاثي. ولم يستعمل منه فعل ثلاثي وإن كان قد استعمل منه الدَّرْك »، وأنشد في ذلك شاهدا. اللسان (١٢ : ٢٠٢). وقد عنى بكلمة « دَرَاكِ » اسم الفعل وبكلمة « درّاك » صيغة المبالغة.

(٢) في الأصل: « ولذلك ».

(٣) القمقم، بضم القافين: ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره، ويكون ضيق الرأس.

(٤) في الأصل: « ليحدث عند ذلك الماء غليان » صوابه ما أثبت.

(٥) ترفعت، من الترفع وهو العلو. وقد سبق في قول الجاحظ (٢ : ٢١٩): « وقد يترفع مع الشاهين ». وسلف أيضا في (٢ : ٢٢٣) قول أمية ابن أبي الصلت:

ترفع في جري كأن أطيطه   صريف محال تستعيد الدواليا

ترفع: تترفع. ولم أجد هذا الفعل في مادة (رفع) من اللسان والقاموس. وفي الأصل: « ترقعت » ولا وجه له.

(٦) رفعت، بالراء، من الرفع، كما يفهم من سياق الكلام. وفي الأصل: « وقعت » وهو تحريف.

(٧) التلاد، بكسر التاء، أراد به: الموطن الأول. انظر التنبيه الخامس من ص ١٥

القمقم كالجبس[١] ، أو وجد الباقَ من الماء مالحا عند تصعُّدِ لطائفه ، على مثال ما يعترى ماء البحر — ظنّ أن النار التى أعطته اليُبْسَ .

وإن زعموا أن النار هى المُيَبِّسَة[٢] — على معنى ما قد فسرنا — فقد أصابوا . فإن ذهبوا إلى غير المجاز أخطئوا .

وكذلك الحرارة ، إذا مُكِّنت[٣] فى الأجساد بثّتِ الرطوبات ولابَسَتْها ، فتى قويتْ على الخروج أخرجتها منها ، فعند خروج الرطوباتِ توجد الأبدانُ يابسةً ، ليس أن الحرّ يجوز أن يكون له عملٌ إلا التسخينَ والصعودَ والتقلبُ إلى الصعود من الصعود ، كما أن الاعتزال من شكل الزوال[٤] .

وكذلك الماء الذى يفيض إلى البحر من جميع ظهور الأرضينَ وبطونها ، إذا صار إلى تلك الحفرة العظيمة . فالماء غسّال مصّاص ، والأرض تقذف إليه ما فيها من الملوحة .

[وحرارةُ الشمس[٥]] والذى يخرج إليه[٦] من الأرض ، من أجزاء
١٤ النيران المخالطة يرفعان لطائفَ الماء بارتفاعهما ، وتبخيرهما . فإذا رفعا اللطائفَ ، فصار منها مطرٌ وما يشبه المطر ، وكان ذلك دأبهما ، عادَ[٧]

---

(١) الجبس بالكسر : ذلك الذى يطلى به الحائط . وفى اللسان (جبس) : « والجبس الذى يبنى به . من كراع » فقد تفرد بروايتها كراع . والمعروف : « الجص » وذكره داود فى رسم (جبسين) قال : « وهو فى الحقيقة طفل لم ينضج » ، وقال : « وبه شديد البياض ، يعرف باسفيداج الجص » ، وقال : « وخالصه المعروف فى مصر بالجبس » . فى الأصل : « كالجس » صوابه ما أثبت .

(٢) من يبّس الشىء ، بالتشديد : جففه .

(٣) من التمكين .

(٤) انظر لتفسير هذه العبارة ص ٣٥ س ٦ . وفى الأصل : « الاعتياد » بدل « الاعتزال » .

(٥) بمثل هذا يتم الكلام .

(٦) أى إلى البحر .

(٧) فى الأصل : « وعاد » وإنما هو جواب « إذا » .

ذلك الماء ملحًا ، لأن الأرض إذا كانت تُعطيه الملوحة ، والنيران تخرجُ منه العذوبةَ واللطافةَ — كان واجبا أن يعود إلى الملوحة . ولذلك يكون ماء البحرِ أبداً عَلَى كيلٍ واحدٍ ، ووزن واحد ؛ لأن الحراراتِ[1] تطلب القرارَ وتجرى فى أعماق الأرض ، وترفع اللطائفَ[2] ؛ فيصير مطراً ، وبرداً ، وثلجاً ، وطَلاً[3] ثم تعود تلك الأمواه سيولا تطلب الحَدور[4] ، وتطلب القرار ، وتجرى في أعماق الأرض ، حتى تصير إلى ذلك الهواء[5] . فليس يضيع من ذلك الماء شيء ، ولا يبطلُ منه شيء . والأعيانُ قائمة . فكأنه مَنْجَنُونٌ[6] غُرف من بحر[7] ، وصبٌّ فى جدول يفيضُ إلى ذلك النهر .

فهو عملُ الحرارات[8] إذا كانت فى أجواف الخطب ، أو فى أجواف الأرَضينَ ، أو فى أجواف الحيوان .

والحر إذا صار فى البدَن ، فإنماهو شيء مُكرَّه ، والمكرهُ لا يألو يتخلصُ .

---

(١) فى الأصل : « الحدود » تحريف . تصحيحه مما سيأتى فى التنبيه الثامن .

(٢) عنى باللطائف : الأبخرة الدقيقة . وفى الأصل : « برفع اللطائف » بإسقاط الواو ، وبالباء . محرف .

(٣) البرد ، بالتحريك : حب الغمام . والطل ، بفتح الطاء المهملة : الندى ، أو المطر الضعيف .

(٤) الحدور ، كرسول : مكان ينحدر منه . وفى الأصل : « الحدود » بدالين . صوابه ما أثبتّ . وفى الأصل : « الأنواء » تحريف .

(٥) أي تعود إلى الهواء بالبخر .

(٦) المنجنون : الدولاب يستَقى عليها ، والدولاب ، بالضم والفتح : على شكل الناعورة يستَقى به الماء . فارسى معرب . وفى ط ، هو : « بجنون » وفى سه : « بجنون » بنقطتين ، فوق الخاء وتحت الجيم ، محرف . وفى هو : « فكان » بدل « فكأنه » محرف . وغرف من البحر : أخذ منه . والبحر : الماء الكثير . وبذلك جاءت لغة القرآن : « وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج » .
وقد جرى عرف البلدانيين القدماء على تخصيصه بالماء الملح .

(٧) فى ط : « غرق من بحر » تصحيحه من سه ، هو .

(٨) الحرارات : جمع حرارة . وفى هو « الخزارات » بزاي بعد الخاء . محرف .

وهو لا يتخلص إلا وقد حَمَلَ[1] معه كلَّ ما قوِىَ عليه ، مما لم يشتد[2] ، حتى خرج خرج معه ذلك الشىء .

قال : فمن هٰهنا غَلِطَ القَوْم .

(قول الدُّهرية فى أركان العالم)

قال أبو إسحاق : قالت الدهرية فى عالَمِنا هذا بأقاويلَ : فمنهم من زعم أن عالمنا هذا من أربعة أركانٍ : حرٍّ ، وبردٍ ، ويبس ، وبِلَّة[3] . وسائر الأشياء نتائجُ ، وتركيبٌ ، وتوليد . وجعلوا هذه الأربعة أجساماً .

ومنهم من زعم أن هذا العالم من أربعةِ أركانٍ : من أرض وهواء وماء ، ونار . حملوا الحر ، والبرد ، واليُبْس ، والبِلَّة أعراضا فى هذه الجواهر ثم قالوا فى سائر الأرابيح ، والألوانِ ، والأصوات : ثمارُ هذه الأربعة[4] ، عَلَى قدر الأخلاط ، فى القلة والكثرة ، والرقة والكثافة .

فقدَّموا ذِكر نصيب حاسّةِ اللمس[5] فقط ، وأضربوا عن أنصباء الحواسّ الأربع .

قالوا : ونحن نجد الطُّعومَ غاذيةً وقاتلة ، وكذلك الأرابيح[6] . ونجد

---

(١) فى الأصل « جبل » محرف .

(٢) فى الأصل : « يشبه » . والكلام من مبتدأ « كل » إلى « معه » الآتية ساقط من س .

(٣) البلة ، بالكسر : البلل الندى ، أو النداوة .

(٤) أى الحر والبرد ، واليبس والبلة . وانظر تفصيل ذلك فى رسائل إخوان الصفا (٣ : ١٠٩ — ١١٠) و (٣ : ٣٧١ — ٣٧٢) .

(٥) ذكر الجاحظ من أنصباء حاسة اللمس أربعة محركات : هى الحر والبرد واليبس والبلة وقد خصها بالذكر لما أنها فيما يزعمون أصول الأرابيح والألوان والأصوات . انظر التنبيه السابق . وجاء فى رسائل إخوان الصفا (٢ : ٣٢٩) أن محركات اللمس عشرة فيضاف إلى ما تقدم : الخشونة واللين ، والصلابة والرخاوة ، والخفة والثقل . وفى الأصل : « حاسة النفس » صوابه ما أثبت .

(٦) الأرابيح : جمع جمع الريح . وهو بالكسر : الرائحة .

الأصوات مُلِذّة ومؤلمة ، وهي مع ذلك قاتلة وناقضة للقوى مُتْلِفة[1] ونجد للألوان[2] في الضار والنافع ، واللذاذة والآلام، المواقع التي لا تجهل، كما وجدنا مثل ذلك في الحر والبرد ، واليُبْس والبِلّة ، ونحن لم نجد الأرض باردة يابسة ، غير أنا نجدها مالحةً أي ذات مَذاقة ولون[3] كما[4] وجدناها ذات رائحة ، وذات صوتٍ متى قَرَعَ بعضها بعضًا .

فبردُ هذه الأجرام وحرها ، ويُبْسُها ورطوبتها ، لم تكن فيها علة كون الطعوم والأراييح والألوان فيها . وكذلك طعومها ، وأراييحها وألوانها ، لم تكن فيها علة كون البرد ، واليُبْس ، والحر ، والبِلّة فيها

ووجدنا كلّ ذلك إما ضارًّا وإما نافعًا ، وإما غاذيًا وإما قاتلًا ، وإما مؤلمًا وإما مُلِذًّا .

وليس يكون كون الأرض مالحة أو عذبة ، ومنتِنةً أو طيبة أحق بأن يكون[5] علة لكون اليُبْس والبرد ، والحر والرطوبة ، من أن يكون كون الرطوبة واليُبْس ، والحر والبرد — علة[6] لكون اللون والطعم والرائحة .

وقد هجم الناسُ على هذه الأعراضِ اللازمةِ ، والأجسام المشاركةِ هجوما واحدًا ، وعلى هذه الحِلْية والصورة ألقاها[7] الأولُ والآخِرُ .

قال : فكيف وقع القول منهم على نصيب هذه الحاسّة وحدها[8]

(١) ناقضة بالضاد المعجمة : منقضة . هو : « ناقصة » محرفة . ومتلفة ، من الإتلاف والإهلاك . هو : « مطلقة » ولا تصح . وانظر تفصيل ذلك في الكلام على أثر الأصوات فيما سبق في (٣ : ٢٢٥ — ٢٢٦) .

(٢) في الأصل : « الألوان » .

(٣) العبارة في أصلها مضطربة في ط ، هو : « أو ذات لون وملاقة » وصوبه : « وذات لون وملاقة » .

(٤) في الأصل : « أي ذلك كان » وانظر التنبيه السابق .

(٥) في الأصل : « تكون » والضمير عائد إلى « كون » .

(٦) في ط زيادة واو قبل هذه الكلمة . وهو خطأ .

(٧) ألقاها ، بالقاف : وجدها . وفي الأصل : « ألفاها » بالفاء محرفة .

(٨) أي حاسة اللمس . انظر التنبيه ٥ من الصفحة ٤٠ .

ونحن لم نر من البِلّة ، أو من اليُبْس [1] نفعا ولا ضرًّا ، تنفرد به دونَ هذه الأمور ؟!

قال : والهواء يختلف على قَدْرِ العوامل فيه من تحت ومن فوق ، ومن الأجرام المشتملة عليه والمخالطة له . وهو جسم رقيق ، وهو فى ذلك محصور ، وهو خَوّارٌ سريعَ القَبول وهو مع رقّته يَقبل ذلكِ الحصر ؛ مثل عمل الريح والزِّقّ [2] ، فإنها تدفعه من جوانبه ، وذلك لعلة الحصر ، ولقَطْعه عن شكله.

والهواء ليس بالجسم الصعّاد [3] ، والجسم النَّزّال ، ولكنه جسم به تعرف النازل والصاعد .

والأمور ثلاثة : شىء يصعدُ فى الهواء ، وشىء ينزل فى الهواء ، وشىء مع الهواء . فكما أن المُصعد [4] فيه ، والمنحدرَ — لا يكونان إلا مخالفين ، فالواقع [5] منه لا يكون إلا موافقاً .

ولو أن إنساناً أرسل من يده — وهو فى قَعْر الماء — زِقًّا منفوخاً ، فارتفع الزِّقُّ لنفخ الريح التى فيه ، لم يكن لقائل أن يقول : ذلك الهواء شأنه الصعود . بل إنما ينبغى أن يقول : [ذلك الهواء [6]] من شأنه أن يصير إلى جوهره ، ولا يقيم فى غير جوهره ؛ إلا أن يقول : من شأنه أن يصعد فى الماء ، كما أن

---

(١) اليبس يقابل البلة . وفى ط و س : « البل » وهو : « البلل » محرفتان عما أثبت .

(٢) أى الهواء المحصور فى الزق . والزق ، بكسر الزاى : السقاء والقربة .

(٣) س : « الصفار » محرف .

(٤) المصعد : الصاعد . وفى اللسان : « صعد المكان وفيه صعودا وأصعد وصعّد : ارتقى مشرفا » . وفى س ، هو : « الصاعد » وهما بمعنى . والأوفق ما أثبت من ط .

(٥) فى الأصل : « فالواقف » .

(٦) التكملة من س .

من شأن الماء أن ينزل فى الهواء ، وكما أن الماء يطلبُ تِلادَ الماء ، والهواء يطلب تلاد الهواء[(١)] .

قالوا : والنار أجناسٌ كثيرة مختلفة . وكذلك الصاعد . ولابدّ إذا كانت مختلفة أن يكون بعضها أسرع من بعض ، أو يكون بعضها إذا خرج من عالمَ الهواء ، وصار إلى نهاية ، إلى حيث لامنفذ ـ ألاّ[(٢)] يزال فوق الآخر الذى صعد معه ، وإن وجد مذهبا لم يقمْ عليه .

ويدل على ذلك أنا نجد الضياء صعَّادًا ، والصوت صعادًا ، ونجد الظلام رابدًا[(٣)] ، وكذلك البرد والرطوبة . فإذا صح أن هذه الأجناس مختلفة ، فإذا أخذت فى جهة[(٤)] ، علمنا أن الجهة لاتخالف بين الأجناس ولا توافق ، وأن الذى يوافق[(٥)] بينهما[(٦)] [ويخالف[(٧)]] اختلافُ الأعمال .

ولا يكون القطعان متفقين ، إلا بأن يكون سرورهما سواء[(٨)] . وإذا صارا[(٩)] إلى الغاية ، صار اتصال كل واحد منهما بصاحبه ، كاتصال بعضه ببعض . ثم لايوجد أبدًا ، إلا إمّا أعْلَى ، وإما أسفل .

قال أبو إسحاق : فيستدل على أن الضياء أخفُّ من الحر بزواله[(١٠)] وقد يذهب[(١١)] ضوء الأتّون ، وتبقى سخونته .

---

(١) عنى بتلاد الهواء أصله . وانظر ما سبق فى التنبيه الخامس ص ١٥ .

(٢) فى الأصل : « لا » .

(٣) الرابد : المقيم . سه : « رابيا » بالياء المثناة التحية . وفى سائر النسخ « رائنا » تحريف .

(٤) فى الأصل : « وإذا حدث » .

(٥) ط ، سه : « يوفق » ؟ : « يوقره » صوابها ما أثبت .

(٦) فى الأصل : « منها » .

(٧) ليست بالأصل .

(٨) كذا وردت العبارة بالأصل .

(٩) فى الأصل : « صار » بالإفراد . والوجه التثنية .

(١٠) فى الأصل : « لزواله » بلام فى أوله . تحريف .

(١١) فى الأصل : « ذهب » .

قال أبو إسحاق : لأمرٍ مّا حُصِر الهواء فى جوف هذا الفلك . ولابد لكل محصور من أن يكون تقلبه وضغطه على قدر شدة الحصار[١] . وكذلك الماء إذا اختنق .

قال : والريح هواء نزل[٢] لاغير : فلِمَ قضوا على طبع الهواء فى جوهريته باللدونة[٣] ، والهواء الذى يكون بقرب الشمس ، والهواء الذى بينهما[٤] على خلاف ذلك ؟

ولولا أن قُوَى البرد غريزية فيه ، لما كان مروِّحا عن النفوس ، ومنفِّسا عن جميع الحيوان إذا اختنق فى أجوافها البخارُ والوهجُ المؤذى ، حتى فزعتْ إليه واستغاثتْ به ، وصارت تجتلب من رَوْحه وبردِ نسيمه ، فى وزن ما خَرَجَ من البخار الغليظ ، والحرارة المستَكِنَّة .

قال : وقد علموا ما فى اليُبْس من الخصومة والاختلاف[٥] . وقد زعم قومٌ أن اليُبْس إنما هو عدم البلّة . قالوا : وعلى قدر البلة قد تتحول عليه الأسماء . حتى قال خصومهم : فقولوا أيضا إنما نجدُ الجسمَ باردا على قدر قلة الحرِّ فيه .

---

(١) بناء على القاعدة الطبيعية المعروفة ، وهى أن الضغط الداخل يعادل الضغط الخارجى .
(٢) ذكر القزوينى فى أسباب تولد الرياح ، أن الأدخنة التى تصعد من تأثير الشمس وغيرها ، إذا وصلت إلى الطبقة الباردة ، إما أن ينكسر حرها ، وإما أن تبقى حرارتها . فإن انكسر حرها تكاثفت وقصدت النزول فيموج بها الهواء فيحدث الريح . وإن بقيت على حرارتها تصاعدت إلى كرة النار المتحركة بحركة الفلك ، فتردها الحركة الدورية إلى أسفل فيموج بها الهواء فيحدث الريح . عجائب المخلوقات ٩٢ . فهذا يفسر قول الجاحظ : « هواء نزل » . وفى الأصل : « ترك » محرف .
(٣) اللدونة ، هنا بمعنى الرطوبة . وضدها اليبس .
(٤) أى بين الشمس وبين الهواء الملامس للأرض . فكأنه جعل الهواء ثلاث طبقات : طبقة مقاربة للشمس ، وطبقة تلى الشمس ، وطبقة مقاربة للأرض . انظر نحو هذا التقسيم فى عجائب المخلوقات ٨٩ — ٩٠ .
(٥) الخصومة هنا بمعنى الجدال والخلاف . وبه : « المخصومة » محرف .

وكذلك قالوا فى الكلام : إن الهواء إنما يقع عندنا أنه مُظلم لفقْدان الضياء ، ولأن الضياء قرصٌ قائم ، وشعاع ساطعٌ فاصل ، وليس للظلام قرص . ولو كان فى هذا العالم شىء يقال له ظلامٌ ، لما قام إلا فى قرص ، فكيف تكون الأرض قُرْصَةً ، والأرض غبراء ، ولا ينبغى أن يكون شعاع الشىء أسبغ منه[1] .

قال : والأول لايشبه القول فى اليُبْس والبلة ، والقولَ فى الحر والبرد ، والقول فى اليُبْس والرطوبة ، والقول فى الخشونة واللين ، لأن التراب لو كان كله يابسا ، وكان اليبس فى جميع أجزائه شائعا ، لم يكن بعضه أحق بالتقطيع والتبرد[2] والتهافت ، من الجزء الذى نجده متمسكا[3] .

قال خصمه : ولو كان أيضا التهافت الذى نجده فيه إنما هو لعدم البلة ، وكله قد عدم البِلّة ، لكان ينبغى للكل أن يكون متهافتا ، ولا نجد منه جزأين متلازقين .

فإن زعمتم أنه إنما اختلف فى التهافت على قدر اختلاف اليُبْس، فينبغى لكم أن تجعلوا اليُبْس طبقات ، كما يُجعل ذلك للخُضْرة والصُّفرة .

وقال إبراهيم : أرأيت لو اشتمل اليبس الذى هو غاية التُّراب كله[4] كما عرض لنصفه ، أما كان واجبا أن يكون الافتراقُ داخلا على الجميع ؟ وفى ذلك القولُ بالجزء الذى لايتجزأ .

وأبو إسحاق ، وإن كان اعترض على هؤلاء فى باب القول فى اليبس ، فإن المسألة عليه فى ذلك أشد[5]

(١) أسبغ ، أى أكبر . ط : « أشبع » .
(٢) كذا . وفى ط : « التبرز » . ولعلها : « بالتقطيع والتفرق » .
(٣) التمسك والتماسك والاستمساك ، بمعنى . وهو يعنى بالمتمسك الحجر ونحوه .
(٤) كذا
(٥) فى الأصل : « وذلك أشد »

١٧ وكان أبو إسحاق يقول: من الدليل على أن الضياء أخفّ من الحر أن النار تكون منها على قاب غلوة[1] فيأتيك ضوؤها ولا يأتيك حرها. ولو أن شمعة في بيت [غير[2]] ذي سقف لارتفع، الضوء في الهواء حتى لا تجد منه على الأرض إلا الشيء الضعيف، وكان الحرُّ على شبيه[3] بحاله الأول.

(رد النظام على الديصانية)

وقال أبو إسحاق: زعمت الديصانية[4] أن أصلَ العالَم إنما هو من ضياء وظلام، وأن الحرَّ والبردَ، واللون والطعمَ والصوت والرائحة، إنما هي نتائج على قدر امتزاجهما[5].

فقيل لهم: وجدنا الحِبْر إذا اختلطَ باللبن صار جسما أغبر، وإذا خلَطْتَ الصبِرَ[6] بالعسل صار جسما مُرَّ الطعم على حساب ما زدْتَ. وكذلك نجدُ جميع المركبات. فإذا إذا مزجنا بين شيئين من ذوات المناظر[7] خرجنا إلى ذوات الملامس، وإلى [ذوات[8]] المذاقة والمشمّة؟!

(١) الغلوة، بفتح الغين المعجمة: مقدار رمية السهم. وفي الأصل: «علوها» صوابه ما أثبت.

(٢) ليست بالأصل. وبدونها لا يستقيم الكلام.

(٣) ط، سه: «شبيه» صوابهما في ط.

(٤) الديصانية: أصحاب ديصان. وهم فرقة من المجوس؛ أجمل الجاحظ التعريف بمذهبهم، وتفصيل ذلك في الملل (٢ : ٨٨) وفهرست ابن النديم ٤٧٤. وقال ابن النديم: «إنما سمي صاحبهم بديصان، باسم نهر ولد عليه. هو قبل ماني. والمذهبان قريب بعضهما من بعض، وإنما بينهما خلف في اختلاط النور والظلمة».

(٥) أي امتزاج النور بالظلمة. وفي الأصل: «امتزاجها» محرف. وفي الملل: «وزعموا أن اللون هو الطعم وهو الرائحة، وهو المجسة. وإنما وجدناه لوناً لأن الظلمة خالطته — أي خالطت النور — ضرباً من المخالطة، ووجدناه طعماً لأنها خالطته بخلاف ذلك الضرب».

(٦) الصبر، ككتف، ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر: عصارة شجر مر معروف.

(٧) يعني بالشيئين الضياء والظلام. وهما منظوران.

(٨) ليست بالأصل.

وهذا نفسُه داخلٌ عَلَى من زعم أن الأشياء كلها تولدت من تلك الأشياء الأربعة ، التي هي نصيبُ حاسةٍ واحدة[١]

(نقد التظام لبعض مذاهب الفلاسفة)

وقال أبو إسحاق : إنْ زعَمَ قومٌ أن ههنا جنساً[٢] هو روح ، وهو ركن خامس[٣] — لم نخالفهم .

وإن زعموا أن الأشياء يحدثُ لها جنسٌ إذا امتزجتْ بضربٍ من المزاج ، فكيف صار المزاجُ يُحْدِث لها جنساً وكلٌّ واحد منه إذا انفرد لم يكن ذا جنس ، وكان مفسِداً للجسم ، وإن فصَل[٤] عنها أفسدَ جنسها ؟! وهل حكمُ قليلِ ذلك إلا كحكمِ كثيرهِ ؟! ولمَ لا يجوز أن يُجمعَ بين ضياء وضياء فيحدُثَ لهما منع الإدراك ؟!

فإن اعتلَّ القومُ بالزاج[٥] والعفْص[٦] والماء ، وقالوا : قد نجدُ كلَّ واحد من هذه الثلاثةِ ليس بأسودَ ، وإذا اختلطت صارت جسما واحداً أشدَّ سواداً من الليل ، ومن السَّبَج[٧] ، ومن الغراب — قال أبو إسحاق :

---

(١) هي حاسة اللمس ، كما سبق في ٤٠ س ١٢ . والمراد بالأشياء الأربعة : الأرض والهواء والماء والنار ، أو الحر والبرد ، واليبس والبلة ، كما سبق في الصفحة نفسها .

(٢) في الأصل : « حسا » . وكون الروح ركنا خامساً في تكوين الأشياء ، يقتضي الصواب الذي أثبت . وقد تكرر هذا التحريف في كلمة « جنس » و « جنسا » « جنسها » الآتية فصححتها بما ترى .

(٣) أي خامس الأركان الأربعة التي سبق الحديث عنها قريبا .

(٤) فصل عنها : أي فارقها . ط ، هو : « فضل » بالضاد صوابه في س .

(٥) الزاج : ضرب من الملح يدخل في صناعة المداد . وفي الأصل : « المزاج » محرف .

(٦) العفص : بفتح العين بعدها فاء ساكنة : ثمر شجر جبلي يقارب البلوط . قال داود : « وهو أعظم عناصر صبغ الشعر والحبر » . وفي الأصل : « العقص » بالقاف محرف .

(٧) السبج : بفتح السين والباء ، آخره جيم : سبق تفسيره في ص ٨ . هو : « السيج » ط : « السبج » صوابهما في س .

بينى و بينكم فى ذلك فَرْق . أنا أزعمُ أن السواد قد يكونُ كامناً ويكونُ عنوع للنظرة[١] ، فإذا زال مانعهُ ظهر، كما أقولُ فى النار والحجَرِ[٢] وغيرذلك من الأمور الكامنة . فإن قلتم بذلك فقد تركتم قولَكم . وإن أبيتم فلابدَّ من القول[٣] . قال أبو إسحاق : وقد غلط[٤] أيضاً كثيرٌ منهم فزعموا أن طباع الشيخ البلغَم[٥] .

ولو كان طباعهُ البلغمَ ، والبلغم لينٌ رَطْبٌ أبيضُ ، لما ازداد عظمه نحولاً ، ولونهُ سوادًا ، وجلده تقبُّضًا .

وقال النمرُ بنُ تَوْلب[٦] :

كَأَنَّ مِحَطًّا فِي يَدَىْ حَارِثِيَّةٍ صَنَاعٍ عَلَتْ مِنِّى بِهِ الجِلْدَ مِنْ عَلِ[٧]

وقال الراجز :

وكثرت فواضل الإهابِ[٨]

١٨ قال : ولكنهم لما رأوا بدَنهُ يتغضّنُ ، ويظهرُ من ذلك التغضّنِ

---

(١) المنظرة : المنظر : وقد سبق استعمال هذا اللفظ فى (٢ : ٢٩٥) . وفى الأصل : « النظرة » بإسقاط الميم . ولا وجه له .

(٢) يريد : كمون النار واختفاءها فى الحجر الذى تقتدح منه النار .

(٣) أى أن تخابرونا بما يصحح مذهبكم .

(٤) س : « خلط » . ومؤداهما واحد .

(٥) الطباع ، ككتاب ، هو الطبع . وقد يكون جمعا لطبع . ولكن المراد هنا المفرد .

(٦) سبق ترجمته فى (١ : ٢٢) . ونزيد هنا أن ابن دريد ذكر فى الاشتقاق ص ١١٢ : « قال أبو حاتم : يقال النمر بن تولب بفتح النون وتسكين الميم ، ولا يقال : النمر » أى بكسر الميم .

(٧) المحط : بكسر الميم بعدها حاء مهملة مفتوحة : الحديدة التى تكون مع الخرازين ينقشون بها الأديم . وفى الأصل : « مخطا » بالخاء ، تصحيحه من اللسان . والحارثية . المرأة المنسوبة إلى بنى الحارث . ويبدو أنهن كن ذوات حذق بنقش الجلود . والصناع ، بالفتح : الحاذقة الماهرة . وفى الأصل : « ضياع » صوابه من اللسان .

(٨) الإهاب ، بالكسر : الجلد ما لم يدبغ .

رطوبات بدنية[1] كالبلغم من الفم ، والمخاطِ السائل من الأنف ، والرَّمَص[2] والدمع من العين ، ظنوا أن ذلك لكثرة ما فيه من أجزاء الرطوبات . وأرادوا[3] أن يقسّموا الصِّبا والشباب ، والكهولة والشيوخة[4] على أربعة أقسام ، كانتهيأ[5] لهم ذلك في غير بابٍ

وإذا ظهرت تلك الرطوباتُ ، فإنما هي لنفْي اليُبْس لها ، ولقصُرِ قُوَى البَدَنِ . ولو كان الذى ذكروا لكان دمعُ الصِّبا أكثرَ ، ومُخاطه أغزرَ ، ورطوباته أظهر . وفى البقول والرياحين والأغصان والأشجار ذلك ؛ إذ[6] كانت فى الحداثةِ أرطبَ ، وعلَى مرور السنينَ والأيام أيبَس .

قال الرَّاجز[7] :

أَسْمَعْ أُنَبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ ... نَوْمُ العَشِيِّ وَسُعَالٌ بالسَّحَرْ[8]

[وقلّة النوم إذا الليلُ اعتكر ... وقلة الطُّعم إذا الزادُ حضر[9]]

---

(١) فى الأصل : « بدنه » .

(٢) الرمص ، بفتحتين : الذى تلفظ به العين .

(٣) هو : « فأرادوا » .

(٤) الشيوخة : مصدر كالشيخوخة ، والشيوخة ، والشيخوخية ، والشيخ بالتحريك .

(٥) ط فقط « يتهيأ » بالمضارع .

(٦) ط : « إذا » صوابه فى س ، هو .

(٧) فى البيان (١ : ٢٥١ ، ٢ : ٦٣) أن الهيثم بن الأسود بن العريان — وكان شاعراً خطيباً — دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف تجدك ؟ فقال : أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحب أن يسود ، واسود منى ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين ، ولان منى ما كنت أحب أن يشتد ! ثم أنشد الرجز الآتى . وفى الإصابة ٩٠٦١ أنه الهيثم بن الأسود ، يكنى أبا العريان وساق هذه القصة .

(٨) ط فقط « والسعال » . ورواية البيان ، « نوم العشاء وسعال » .

(٩) اعتكر الليل : اشتد سواده . والطعم ، بالضم : الطعام . والبيتان زيادة من البيان .

وسرعةُ الطرفِ وضعفٌ فى النظرْ [١] وترْكىَ الحسناء فى قُبْلِ الطهرْ [٢]
وحـــذرٌ [٣] أزدادُه إلى حذَرْ والناسُ يَبْلَوْنَ كما يَبْلَى الشجرْ
وكان يتعجّب من القول بالهيولى [٤] .

وكان يقول : قد عرفنا مقدارَ رزانة البِلّة [٥] . ونسطيكم [٦] أن البرد وزنا . أليس الذى لا تشُكُّونَ فيه أن الحر خفيف ولا وزن له ، وأنه إذا دخل فى جرمٍ له وزنٌ صار أخفّ . وإنكم لاتستطيمون [٧] أن تثبتوا اليبس من الوزن مثل ما تثبتون البِلّة . وعلى أن كثيراً منكم يزعم أن البرد الجَمِدَ الماء هو أيبس .

وزعم بعضهم أن البرد كثيرا ما يصاحب اليبس ، وأن اليبس وحده لو حلَّ بالماء لم يَجْمُدْ ، وأن البرد وحده لو حلّ بالماء لم يَجْمُدْ ، وأن الماء أيضا يجمد لاجتماعهما عليه . وفى هذا القولُ أن شيئين مجتمعين قد اجتمعا عَلَى الإجماد . فما تُنكرون أن يجتمع شيئان عَلَى الإذابة ؟! .

(١) الطرف : تحريك الجفون فى النظر . طرف البصر نفسه يطرف ، وطرفه يطرفه ، كلاهما من باب ضرب ، مع التعدى واللزوم . والطرف أيضا : العين ، لا يجمع ولا يثنى ، لأنه فى الأصل مصدر . وفى الأصل : « الظهر » صوابه فى البيان . ورواية البيان . « وتحميج النظر » ، والتحميج : تصغير العين للتمكن من النظر .

(٢) قبل الطهر ، أي أوله بعد انقطاع الدم . وفى الحديث : « طلقوا النساء فى قبل طهرهن » أي فى إقباله وأوله . وهو بضم القاف وإسكان الباء . س ، هو : « الظهر » بالمعجمة ، صوابه فى ط والبيان .

(٣) س والبيان : « وحذرا » .

(٤) الهيولى ، بفتح الهاء وضم الياء وفتح اللام ، مأخوذة من اليونانية ، يريدون بها مادة الجسم مجردة عن الصورة والأعراض . والقول بها محال ، إذ لا تفارق المادة العرض أو الصورة . انظر الفصل (٥ : ٧٣) .

(٥) الرزانة : الثقل . وفى هو : « وزانة » . وهو تحريف ، وليس بهذا المعنى إلا وزن الرجل وزانة إذا كان متثبتا . انظر اللسان (١٧ : ٣٣٩ س ٢٤) .

(٦) أي نسلم لكم .

(٧) كذا على الصواب فى هو فقط . وفى ط ، س « لا تستطيعوا » .

وإن جاز القبس(١) أن يُجمد جاز للبلّة أن تذوب .

قال أبو إسحاق : فإن كان بعض هذه الجواهر صمّادا وبعضها نزّالا ، ونحن نجد الذهب أثقلَ من مثله من هذه الأشياء النزّالة ، فكيف يكونُ أثقل منها وفيه أشياء صمّادة ؟!

فإن زعموا أن الخفة إنما تكونُ من التّخلْخُل والسُّخْف(٢) ، وكثرةِ أجزاء الهواء في الجرم . فقد ينبغي أن يكون الهواء أخفّ من النار ، وأن النار في الحجَر ، كما أن فيه هواء . والنار أقوى على رفع الحجَر من الهواء الذى فيه .

وكان يقول : من الدليل على أن النار كامنةٌ في الحطب ، أنَّ الحطبَ يُحرقُ بمقدار من الإحراق ، ويُمنع الحطب أن يخرج جميع ما فيه من النيران ، فيجعل فحما ، فمتى أحببت أن تستخرج الباقى من النار لتستخرجه ، فترى النار عند ذلك يكون لها لهبٌ دون الضرام . فمتى أخرجت تلك النار ١٩ الباقية(٣) ، ثم أوقدت عليها(٤) ألف عام لم تَستوْقِدْ . وتأويل : «لم تستوقد» إنما هو ظهور النار التى كانت فيه . فإذا لم يكن فيه شىء فكيف يستوقد ؟

وكان يُكثِر(٥) التعجّبَ من ناس كانوا يتنافسون في الرآسة ، إذا(٦) رآهم يجهلون جهلَ صغارِ العلماء ، وقد ارتفعوا في أنفسهم إلى مرتبةِ كبار العلماء .

---

(١) ط ، هـ : «القبس» صوابه في س .

(٢) التخلخل : أن يكون الجسم غير متضام الأجزاء ، وقالوا : سكر متخلخل : غير متضام الأجزاء ، كأن فيه منافذ . وفي الأصل : «التحليل» بالمهملة والياء بين اللامين . والسخف ، بالفتح والضم : الخفة والرقة . انظر الفصل (٥ : ٦١) .

(٣) يعنى إخراجها باشتعال الفحم وتمام توقده ثم استحالته إلى رماد .

(٤) أي على البقايا المتخلفة من الاشتعال ، وهى الرماد .

(٥) في الأصل : «يكره» وهو نقيض ما يراد .

(٦) ط ، هـ : «إذ» .

وذلك أن بعضهم كان يأخذ العود فيَنقيه[1] فيقول : أين تلك النار الكامنة ؟! مالى لا أراها ، وقد ميّزتُ العود قشرًا بعد قشر ؟

(استخراج الأشياء الكامنة)

فكان يقول فى الأشياء الكامنة : إن لكل نوع منها نوعا من الاستخراج ، وضربا من العلاج . فالعيدانُ تُخرج نيرانَها بالاحتكاك ، واللبنُ يُخرِّج زبدَه بالمخض ، وجُبْنه يُجمع بإنْفَحَة[2] ، وبضروب من علاجه[3] .

ولو أن إنسانا أراد أن يخرج القَطِرانَ من الصَّنَوْبَرِ ، والزِّفْتَ من الأَرْزِ[4] لم يكن يخرج له بأن يقطع العود ويدقّه[5] ويقشِره ، بل يوقد له نارًا بقربه ، فإذا أصابه الحرُّ عَرِق وسالَ ، فى ضروب من العلاج[6] .

ولو أن إنسانا مَزَجَ بين الفضة والذهب ، وسبكهما سبيكة[7] واحدة ، ثم أراد أن يعزِل أحدهما من صاحبه لم يُمكنه ذلك بالقَرْض[8]

---

(١) نقاه ينقيه : استخرج نقيه ، بالكسر . والنقى : أصله مخ العظم . وفى هـ : « ليقشه » . وانظر سائر العبارة .

(٢) الإنفحة : بكسر أوله وفتح ثالثه ، وقد تشدد الحاء ، وقد تكسر الفاء : شىء يستخرج من بطن الجدى الرضيع أصفر يعصر فى صوفة مبتلة فى اللبن فيغلظ . س : « بالأسحم » .

(٣) ط ، هـ : « من علاجه » .

(٤) الأرز ، بالفتح ويضم : شجر الصنوبر . والزفت ، بالكسر . ما يسيل من شجر الصنوبر . وتطلقه العامة فى مصر على حثالة النفط .

(٥) ط : « وينقه » هـ : « ويقفه » . كلاهما محرف .

(٦) فى بمعنى مع . ط : « وصار » . هـ : « وسال » صوابه فى ش .

(٧) ط ، س : « وبسبيكة » .

(٨) القرض ، بالقاف : القطع ، ومنه قراضة الذهب ، لما يسقط منه بالقرض . ط : « بالفرض » بالفاء ، وهو بمعنى القطع والحز . هـ : « بالفرس » وهذه مصحفة .

والفرق وسبيل التفريق بينهما قريبة سهلة عند الصّاغة ، وأرباب الحملانات[1]

(رد النظام على أرسطاطاليس)

وزعم أبو إسحاق أن أرسطاطاليس[2] كان يزعم أن الماء الممازِجَ للأرض لم ينقلب أرضا ، وأن النار الممازجة للماء لم تنقلب ماء . وكذلك ما كان من الماء في الحجَر ، ومن النار في الأرض والهواء . وأن الأجرامَ إنما يختلف وزنها وتَسْخُفُ[3] ، على قدر ما فيها من التخلخل[4] ومن أجزاء[5] الهواء . وأنها تَرْزُنُ[6] وتصلب وتمْتُنُ على قدر قلّةِ ذلك فيها

ومن قال هذا القولَ في الأرض والماء والنار والهواء ، وفيما تركّب منها من الأشجار وغير ذلك — لم يصل إلى أن يزعمَ أن في الأرض عرضاً يحدث ، وما أحرا[7] أن يَعجز عن تثبيت كون[8] الماء والأرض والنار عرضاً .

---

(١) الحملان ، بضم الحاء ، جاء في القاموس : « وفي اصطلاح الصاغة ما يحمل على الدراهم من الغش » . وقد سبقت هذه الكلمة في (١ : ٨٢ س ٢) . وفي الأصل : « الجلانات » ولا وجه له هنا .

(٢) س : « أرسطاليس » وكتبت « ليس » في ط أول السطر ، كأنها « ليس » النافية . وقد تعددت صور تعريبه من اليونانية ، فيما أرسطو ، وأرسطوطاليس ، وأرسطوطاليس ، وأرسططاليس . وقد انفرد المتنبي بتسميته « رسطاليس » في قوله :

من مبلغ الأعراب أني بعدها   شاهدت رسطاليس والإسكندرا

(٣) تسخف ، من السخف ، وهو الخفة والرقة . س : « يسخف » ط ، هـ : « تسخف » وما كتبت أشبه .

(٤) في الأصل : « التحليل » . وانظر التنبيه ٢ ص ٥١ .

(٥) ط ، هـ : « أجراء » بالراء المهملة . صوابه في س .

(٦) ترزن ، من الرزانة ، وهي الثقل . ط : « توزن » بالواو . صوابه من س ، هـ .

(٧) الحرا ، يقال حرى ، يكتب بالوجهين . ومعناه بالأجدر . وأصل الحرا الجدير والخليق .

(٨) في الأصل : « لون » باللام .

وإذا قال فى تلك الأشجار بتلك القالة[١] ، قال فى الطول والعرض ، والعُمق ، وفى التربيع والتثليث والتدوير ، بجواب أصحاب الأجسام . وكما يُلزِمُ أصحابُ الأعراض أصحابَ الأجسام[٢] بقولهم فى تثبيت السكون والحركة أن القول فى حركةِ الحجرَ كالقول فى سكونه — كذلك[٣] أصحاب الأجسام يُلزِمون كلّ من زعم أن شيئاً من الأعراض لاينقَضُ[٤] أنّ[٥] الجسمَ يتغير فى الذّائقةِ واللّمسَةَ والمنظَرَةِ[٦] والشّمةَ من غير لون الماء[٧] . وفى برودة نفس الأرض وتثبيتها كذلك .

ومتى وجدنا طينة مربعة صارت مدوَّرة ، فليس ذلك بحدوثِ تدويرٍ لم يكن . فكان عند تغيُّره فى التين أولى من تَغَيُّرِ الطينةِ فى العين من البياض إلى السواد[٨] . [و[٩]] سبيلُ الصلابة والرَّخاوة ، والثقل والخِفّة ، سبيل الحلاوةِ والملوحة ، والحرارة والبرودة .

(١) القالة : القول ، كالمقالة . س « المقالة » .

(٢) فى الأصل : « لا يلزم » والسياق يقتضى إسقاط « لا » . وكلمة « وكما » ساقطة من ط . والمراد بأصحاب الأعراض : من يزعمون أن كل ما فى العالم أعراض ، وأن الأجسام مركبة من الأعراض ، وهو مذهب الضرارية أصحاب ضرار بن عمرو . الفصل (٥ : ٦٦) . وأصحاب الأجسام يذهبون إلى أنه ليس فى العالم إلا جسم ، وأن الألوان والحركات ما هى إلا أجسام . وهو مذهب الهشامية ، أصحاب هشام ابن الحكم . الفصل (٥ : ٦٦) .

(٣) ط ، س « وكذلك » هو : « ولذلك » . والوجه إسقاط الواو .

(٤) هو ، س : « لا ينقض » .

(٥) فى الأصل : « وأن » بزيادة الواو .

(٦) المنظرة : النظر . وفى الأصل : « المنطقة » .

(٧) كذا وردت العبارة محرفة .

(٨) فى الأصل « (أولا) من (غير) الطينة فى العين من البياض (أن) السواد » . وهى عبارة مشوهة .

(٩) ليست بالأصل .

(أصحاب القول بالاستحالة)

وليس يقيس[1] القول فى الأعراض إلا من قال بالاستحالة . وليس فى الاستحالة شىء أقبحُ من قولهم فى استحالة الجبل الصَّخير[2] إلى مقدار خردلة ، من غير أن يدخل أجزاءه شىء على حال . فهو عَلَى قولِ من زعم أنّ الخردلة تتنصفُ أبدًا أحسن . فأما إذا قال بالجزء الذى لايتجزأ ، وزعم أن أقلّ الأجسام ، الذى تركيبه من ثمانيةِ أجزاء لاتتجزأ ، أو ستة أجزاء لا تتجزأ[3] ، يستحيل جسمًا عَلَى قدر طول العالَم وعرضه وعُمْقه ـ فإنّا[4] لو وجدناه كذلك لم نجد بدًّا من أن نقول : إنا لو رفعنا[5] من أوهامنا من ذلك شبراً من الجميع ، فإن كان مقدار ذلك الشبرِ جزءا واحداً فقد وجدناه جسما أقلّ من ثمانية أجزاء ومن ستة أجزاء . وهذا نقضُ الأصل . مع أنّ الشبرَ الذى رفعناه من أوهامنا ، فلا بدّ إن كان جسما أن يكون من ستةِ أجزاء ، أو من ثمانية أجزاء . وهذا كله فاسد .

---

(١) ط : « يقيس » بالياء الموحدة فى أوله . محرفة .

(٢) الصخير ، أراد به : الكثير الصخر . والذى فى المعاجم « صخر » ككتف . ولكن هكذا وردت فى س ، ه . وفى ط : « الصغير » بالغين . وليس بشئ .

(٣) فى الأصل : « لا يتجزأ » بالياء المثناة التحتية ، فى هذا الموضع والذى قبله . وكلمة « لا تتجزأ » الثانية ساقطة من ه .

(٤) فى الأصل : « وإنا » .

(٥) فى الأصل : « رفعناه » .

(الأضواء والألوان)

والنار[1] حرٌّ وضياء ، ولكلِّ ضياء بياضٌ ونور ، وليس لكلِّ بياض نورٌ وضياء . وقد غلط في هذا المقام عالَمٌ من المتكلمين .

والضياء ليس بلون ؛ لأن الألوان تتفاسد، وذلك شائعٌ في كلها، وعامٌّ في جميعها فاللّبن والحبر يتفاسدان ، ويتمازج[2] التراب اليابس والماء السائل ، كما يتمازج الحارُّ والبارد ، والحلو والحامض . فصنيع البياض في السوادِ ، كصنيع السواد في البياض . والتفاسد الذي يقع بين الخُضْرَة والحمرة ، فبذلك الوزنِ يقع بين البياض وجميع الألوان .

وقد رأينا أن البياضَ مَيّاع[3] مفسدٌ لسائر الألوان[4] . فأنت قد ترى الضياء عَلَى خلافِ ذلك ؛ لأنه إذا سقط عَلَى الألوان المختلفةِ كان عملُه فيها عملا واحداً ، وهو التفصيل[5] بين أجناسها ، وتمييز[6] بعضها من بعض ، فيبين عن[7] جميعها إبانة واحدة ، ولا تراه يخصُّ البياضَ إلا بما يخص بمثله السوادِ ، ولا يصلُ في الخضرة إلا مثلَ عملِه في الحمرة ، فدلَّ ذلك عَلَى أن جنسه خلافُ أجناسِ الألوان ، وجوهرَه خلافُ جواهرها ، وإنما يدل عَلَى اختلافِ الجواهرِ اختلافُ الأعمال ؛ فباختلاف الأعمالِ واتفاقها تعرِفُ اختلافَ الأجسام واتفاقَها .

---

(١) في الأصل : « لأن » .
(٢) في الأصل : « يتابع » .
(٣) مياع : سيال .
(٤) في الأصل : « كسائر » بالكاف في أوله . محرف .
(٥) التفصيل بمعنى التمييز . وفي الأصل : « التقبيل » ، تحريف
(٦) ط : « تمييز » صوابه في س ، هو .
(٧) ط ، س : « من » والوجه ما أثبت من هو .

جملة القول فى الضد والخلاف والوفاق

٢١ قالوا : الألوان كلها متضادّة ، وكذلك الطعوم ، وكذلك الأراييح ، وكذلك الأصوات ، وكذلك الملَامِس : من الحرارة والبرودة ، واليبس والرطوبة ، والرخاوة والصلابة ، [والمَلَاسة [1]] والخشونة . وهذه جميع الملامس .

وزعموا أن التضادُدَ [2] إنما يقع بين نصيبِ الحاسَّة الواحدةِ فقط . فإذا اختلفت الحواس صار نصيب هذه الحاسةِ الواحدة من المحسوسات ، خلافَ نصيب تلك الحاسة ، ولم يضادّها بالضدّ كاللّون واللون ؛ لمكان التفاسد ، والطعم والرائحة ؛ لمكان التفاسدُ .

ولايكون الطعم ضدّ اللون ، ولا اللون ضدّ الطعم ، بل يكونُ خلافًا . ولا يكون ضدًّا ولا وفاقا ، لأنه لايكون وفاقا ، لأنه من غير جنسه ، ولا يكون ضدًّا ، لأنه [لا [3]] يفاسده .

وزعم من لاعلم له من أصحاب الأعراض [4] ، أن السوادَ إنما ضادّ البياضَ ، لأنهما لايتعاقبان ، ولا يتناوبان [5] ، ولأنهما يتنافيان .

قال القوم : لو كان ذلك من العلة ، كان ينبغي لذهابِ الجسم قُدُمًا [6] أن يكون بعضه يضاد بعضًا ، لأن كونَه فى المكان الثانى لايوجدُ مع كونه

(١) ليست بالأصل ، وتقتضيها المزاوجة .
(٢) كذا بفك الإدغام فى جميع نسخ الأصل . فإن صح كان من المسموع .
(٣) يقتضيها الكلام . وليست فى الأصل .
(٤) انظر التنبيه ٢ ص ٥٤ .
(٥) التناوب بمعنى التعاقب . وفى الأصل : « يتفاوتان » وهو تحريف .
(٦) مضى قدما ، بضم القاف ، الدال : لم يعرج ولم ينثن . وقد تسكن الدال . انظر اللسان (١٥ : ٣٦٦ س ٢٢) .

في المكان الثالث . وكذلك التربيع : كطينة لو رُبِّعت بعد تثليثها ، ثم رُبِّعت بعد ذلك . فني قياسهم أن هذين التربيعين ينبغي لهما أن يكونا متضادَّين ، إذ[١] كانا متنافيين ، لأن الجسم لا يحتمل في وقت واحد طولَين ، وأن الضدَّ يكون عَلَى ضدين : يكون أحدهما [أن[٢]] يخالف الشيء [الشيء[٢]] من وجوه[٣] علة ، والآخرُ [أن[٤]] يخالفه من وجهين [أو وجهٍ[٤]] فقط

قالوا : والبياض يخالف الحمرةَ ويضادُّها ، لأنه يُفاسِدُها ولا يفاسِدُ الطعم وَكذلك البياضُ الصفرة والحوّةِ[٥] والخُضرة . فأما السواد خاصة فإن البياض يضاده بالتفاسد ، وَكذلك التفاسد[٦] ، وكذلك السواد .

و بَقِيَ لهما خاصة من الفصول[٧] في أبواب المضادة : أن البياض ينصبغ ولا يَصْبُغ ، والسواد يصبغ ولا ينصبغ . وليس كذلك سائر الألوان ، لأنها كلها تصبُغ وتَنْصَبِغ

قالوا . فهذا باب يساق[٨]

باب آخر

إن الصفرة متى اشتدت صارت حُمرة ، ومتى اشتدت الحمرةُ صارت سواداً . وَكذلك الخضرة ، متى اشتدت صارتْ سوادا .

---

(١) في الأصل : « إذا » .
(٢) من س ، هو .
(٣) في ط : « وجوده » تحريف .
(٤) ليست في الأصل . والكلام يتطلبها .
(٥) الحوة ، كقوة : سواد إلى خضرة ، أو حمرة إلى سواد . وفي الأصل : « الحمرة » فتكون تكراراً لما سبق .
(٦) هذه الجملة مقحمة .
(٧) الفصول : جمع فصل بمعنى الفرق . ط : « خاصة » صوابه في س ، هو .
(٨) يساق : أي يطرد . وفي الأصل : « ما يساق » بزيادة « ما » .

والسواد يضاد البياضَ[١] مضادة تامة ، وصارت الألوان الأخر فيما بينها تتضاد مادة ، وصارت الطُّعوم والأراييح واللامس تخالفها ولا تضادها .

(أصل الألوان جميعا)

وقد جعل بعض من يقول بالأجسام[٢] هذا المذهب دليلا عَلَى أن الألوان كلَّها إنما هي من السواد والبياض ، وإنما يختلفان عَلَى قدر المزاج. ٢٢
وزعموا أن [اللونَ[٣]] في الحقيقة إنما هو البياض والسواد ، وحكوا في المقالة الأولى بالقوة للسواد عَلَى البياض ، إذ[٤] كانت الألوان كلها كلما اشتدت قربت من السواد ، وبَعُدت من البياض ، فلا تزال كذلك إلى أن تصيرَ سوادا

وقد ذكرنا قبل هذا قولَ من جعل الضياء والبياض جنسين مختلفين ، وزَعَم أن كلَّ ضياء بياضٌ وليس كلُّ بياضٍ ضياء[٥]

(عِظَم شأن المتكلمين)

وما كان أحْوَجَنَا وأحوجَ جميعَ المرضى أن يكون جميعُ الأطباء متكلمين ، وإلى أن يكون المتكلمون علماء ؛ فإن الطبَّ لو كان من نتائج حُذّاق المتكلمين ومن تلقيحهم له ، لم نجدْ في الأصول التي يبنون عليها من الخَلَلِ ما نجدُ .

---

(١) كلمة « يضاد » ساقطة من الأصل . وفي الأصل : « البياض » .
(٢) انظر التنبيه ٢ ص ٥٤ .
(٣) ساقطة من الأصل . وبها يستقيم الكلام ويلتئم .
(٤) ط : « إذا » .
(٥) انظر ص ٥٦

(ألوان النِّيران والأضواء)

وزعموا أن النار حمراء ، وذهبوا إلى ما ترى العينُ ، والنار فى الحقيقة بيضاء . ثم قاسوا عَلَى خلافِ الحقيقة للرّة الحمراء[١] ، وشبّهوها بالنار[٢] ثم زعموا أن المرة الحمراء مُرّة ، وأخْلِقْ بالدخان أن يكون مرًّا . وليس الدخان من النار فى شىء

وكل نور وضياء هو أبيض ، وإنما يحمرُّ فى العين بالعَرَض الذى يَعرِض العين . فإذا سَلِمَتْ من ذلك ، وأفضت إليه العين رأته أبيضَ وكذلك نار العود تنفصل[٣] من العود ، وكذلك انفصال النار من الدُّهن ومعها الدخَّان ملابساً لأجزائها[٤] فإذا وقعت الحاسة على سوادٍ أو بياض فى مكان واحد ، كان نتاجهما[٥] فى العين منظرة الحمرة[٦] .

ولو أن دخانا عرَض بينك و بينه قرص الشمس أو القمر[٧] لرأيته أحمر وكذلك قرص الشمس فى المشرق أحمر وأصفر ؛ البخار والغبارِ المعترض بينك و بينه . والبخار والدخان أخوان .

---

(١) المرة ، بالكسر : أحد أخلاط البدن الأربعة ، وهى البلغم والدم والصفراء والسوداء . فالمرة هى المرة الصفراء ، يكتفون أحياناً بالصفة ، وأحيانا بالموصوف . ووعاء هذا الخلط هو الذى يسمى « المرارة » . قال داود فى الصفراء : « والطبيعى منها أحمر ناصع (كذا) عند المفارقة ، أصفر بعدها » فقد ظهر لك بذلك تسمية الجاحظ إياها : « المرة الحمراء » . س ، هو : « أن المرة الحمراء » بزيادة « أن » وهو تحريف .

(٢) هذه الجملة ساقطة من هو . وبدلها فى س : « النار » .

(٣) ط : « تنفصل » هو : « ينفصل » صوابهما فى س .

(٤) هو : « لأجزاء » .

(٥) أى نتاج السواد والبياض . ط ، هو : « نتاجها » بالإفراد ، صوابه فى س .

(٦) المنظرة : المنظر . انظر (٣ : ٢٩٥) . ط : « المنتظرة » صوابه فى س ، هو .

(٧) فى الأصل : « وبين القمر » . والوجه ما أثبت .

[و[١]] متى تحلّق القرص في كبد السماء ، فصار على قمة رأسك[٢] ولم يكن بين عينيك[٣] وبينه إلا بقدر ما تمكن البخار من الارتفاع في الهواء مُصْعِدًا — وذلك يسير قليل — فلا تراه حينئذ إلا في غاية البياض

وإذا انحطّ شرقًا أو غربًا صار كل شيء بين عينيك[٣] وبين قرصها من الهواء ، ملابسًا الغبار والدخان والبخار ، وضروب[٤] الضباب والأنداء[٥] فتراها إما صفراء ، وإما حمراء

ومن زعم أن النار حمراء فلم يكذب إن ذهب إلى ما ترى العين ، ومن ذهب إلى الحقيقة والمعلوم في الجوهرية ، فزعم أنها حمراء ، ثم قاس على ذلك جهِلَ وأخطأ .

وقد نجد النار تختلف على قدر اختلاف النِّفط[٦] الأزرقِ ، والأسود ، والأبيض . وذلك كله يدور في العين مع كثرة الدخانِ وقلته

ونجد النار تتغير في ألوانها في العين ، عَلَى قدر جفوفِ الحطَب ورطوبته ، وعَلَى قدر أجناس العيدان والأدهان ، فنجدُها شقراء ، ونجدها خضراء إذا كان ٢٣
حطبُها مثلَ الكبريت الأصفر .

---

(١) هذا الحرف ساقط من الأصل .
(٢) قمة الرأس : وسطه ، وصار على قمة الرأس : أي على حيال وسطه . قال ذو الرمة :
وردت اعتسافا والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق
ابن ماء : هو كل طير يألف الماء . وفي الأصل : « قبة » بالباء ، تصحيف .
(٣) س : « عينك » بالإفراد .
(٤) ضروب : جمع ضرب ، وهو النوع . ط : « ضرب » صوابه في ش ، ه .
(٥) الأنداء : جمع ندى . وفي الأصل : « السواد » ولا وجه له .
(٦) النفط ، بكسر النون وسكون الفاء : سائل معدني سريع الالتهاب ، يسمى في عامية « مصر » الجاز ، وتختلف ألوانه باختلاف درجة نقائه ، من الأسود إلى الأبيض . وفي الأصل : « القفط » بالقاف . وهو تصحيف .

(علة تلون السحاب)

ونجد لونَ السحاب[1] مختلفا فى الحمرة والبياض ، عَلَى قدر القابلات والأعراض ، ونجد السحابةَ بيضاء ، فإذا قابلت الشمسَ بعض المقابلة ، فإن كانت السحابةُ غربية[2] أفقية والشمسُ منحطة ، رأيتَها صفراء ، ثم سوداء ، تعرض العين لبعض ما يدخلُ عليها .

(شعر فى ألوان النار)

وقال الصَّلَتَانُ الفهْمِيّ[3] فى النار :

وتوقدها شقراء فى رأسِ هَضْبَةٍ ... ليَعْشُوا إليها كلُّ باغٍ وجازعِ[4]

(١) فى الأصل : « لوق السحاب » . والوجه ما أثبت .

(٢) هو : « غربية » وليس بشىء .

(٣) الصلتان ، بفتح الصاد واللام ، وأصل معناه النشيط الشديد الفؤاد من الخيل . وهو لقب لعدة شعراء أحدهم هذا ، قال الآمدى فى المؤتلف ١٤٥ : « لست أعرفه فى شعرائهم . وأظنه متأخراً . أنشد له الجاحظ فى كتاب البيان والتبين — انظر البيان ٣ : ٢٠ — :

العبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه الإشاره

وذكره أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله فى كتابه المؤلف فى سرقات الشعراء ، وحكاه أيضا عن الجاحظ » . قلت : فى نسخة البيان : « القلتان » بالقاف ، وهو تحريف . وانظر الخزانة (٢ : ١٥٨ سلفية) . وثانيهم الصلتان العبدى أحد بنى عارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس ، وقد قضى بين جرير والفرزدق فى قصة مشهورة . انظر الأمدى والخزانة . والثالث الصلتان الضبّى . والرابع الصلتان السعدى ، أنشد له الجاحظ أبياتاً فى الحيوان (٣ : ٤٧٧) أولها :

أشاب الصغير وأفنى الكبير ... كر الغداة ومر العشى

قال : « وهو غير الصلتان العبدى » . انظر الحيوان ومعاهد التنصيص (١ : ٢٧) وقد غاب هذا الرابع عن كثير من العلماء .

(٤) توقدها : كنا بالتاء . ويعشو إلى النار : يقصد إليها . والباغى : الطالب . والجازع : الذى يقطع الوادى أو الأرض .

وقال مزرِّد بن ضرار[1] :

فأبصرَ نارى وهى شقراء أوقِدَتْ بعلياء نشْزٍ ، للعيونِ النواظرِ[2]

وقال آخر[3] :

ونارٍ كسِحر العَوْد يرفعُ ضوأها مع الليل هبّاتُ الرياح الصَّوارِدُ[4]

والغبار يناسب بعضَ الدخان . ولذلك قال طُفَيْلٌ الغَنَوىّ[5] :

إذا هبطتْ سَهْلاً كأنّ غبارَه بجانبها الأقصى دواخنُ تَنْضُبِ[6]

لأن دخانَه يكون أبيض يشبه الغبار ، ونارُه شقراء .

والعرب تجمعُ الدخان دواخِنَ[7] . وقال الأزرق الهمْدانيّ[8] :

---

(١) مزرد لقب له لبيت قاله . واسمه يزيد بن ضرار بن حرملة ، الذبيانى الغطفانى ؛ شاعر فارس مشهور ، أدرك الإسلام ، وله صحبة ، وكان هجاء خبيث اللسان . وهو أخو الشماخ بن ضرار ، وكان مزرد أسن منه . الإصابة ٧٩١٢ والمؤتلف ١٩٠ ومعجم المرزبانى ٤٩٦ . والبيت الآتى روى مثله ابن الشجرى فى الحماسة ٢٨٥ ونسبه إلى جبيهاء الأشجعى ، فى قصيدة طويلة مشروحة .

(٢) النشز : المكان المرتفع . ورواية بيت الحماسة : « بليل فلاحت » .

(٣) انظر حماسة أبى تمام (٢ : ١٣٦) وكتاب الزهرة ٢٣٥ .

(٤) السحر ، بالفتح : الرئة وما يتعلق بالحلقوم . والعود : بالفتح : الجمل المسن ، شبه النار فى حمرتها بسحر العود . والصوارد : البوارد ، والصرد : البرد . وجعله صفة لهبات . ولا تكون صفة للرياح إلا مع الإقواء فى هذا البيت أوفى قرينه وهو كما روى أبو تمام :

أمد بأيدى العيس من قصد أهلها وقلبى إليها بالمودة قاصد

و « ضوأها » وصحت فى ط : « ضوءه » وفى ش ، هـ : « ضوءها » محرفتان .

(٥) تقدمت ترجمته فى (٤ : ٣٤٨) والبيت فى ديوان طفيل ص ٩ .

شبيه هذا البيت قول عقيل بن علفة المرى (اللسان ٢ : ٢٦٠ والحيوان ٢ : ٣٠٦):

وهل أشهدن خيلا كأن غبارها بأسفل علكد دواخن تنضب

وقول النابغة الجعدى (اللسان ٢ : ٢٦٠ وسيبويه ٢ : ١٢٨) :

كأن الغبار الذى غادرت ضحيا دواخن من تنضب

(٦) هبطت ، الضمير عائد إلى الخيل . ومثله ضمير « جانبها » . ورواية الحيوان : « بجانبه » الضمير للسهل . والتنضب ، بفتح التاء وضم الضاد : شجر ضخام وورقه منقبض ، وعيدانه بيض ، له شوك قصار ، ينبت بالحجاز .

(٧) كلمة « الدخان » ساقطة من ش ، هـ . ودواخن : جمع غير قياسى ، ومثله فى ذلك عثان وعواثن .

(٨) لم أعثر له على ترجمة .

وتوقدها شقراء من فَرع تَنضُبٍ   وَلَـكُنتُ أروى دِقَّ الْغَزَالِ والشبَمِ(١)

وذلك أن النار إذا أُلقِيَ عليها الشحم فصار لها دخان ، اصْهابَّتْ(٢) بدُخان ماء الشحم وسوادِ القُتار(٣) وهذا يدل أيضا على ما قلنا .

وفى ذلك يقول الحَيَّان الفهمىّ(٤) :

له فوق النِّجَاد جِفَان شِيزَى   ونارٌ لاتضرَّمُ لِلصَّلاء(٥)
ولـكن للطَّبيخ ، وقد عرَاها   طليحُ الهمِّ مُسْتَلَبُ الفِراء(٦)
وما غُذِيَتْ بغيرِ لَظًى ، فنارى   كمرتـكمِ النَّعامة في العِفَاء(٧)

وقال سحر العود(٨) :

له نارٌ تُشَبُّ على يَفـــاعٍ   لـكل مُرَعْبَلِ الأهدام بالى(٩)

---

(١) سمه : « وتوقدها » بالتاء .

(٢) اصهابت : من الصهبة ، وهى حمرة يعلوها سواد . ط ، هو : « وأصابت » صوابه فى سمه .

(٣) القتار ، بالضم : ما يتصاعد من الشواء .

(٤) الحيان ، بفتح الحاء وتشديد الياء المفتوحة ، أصل معناه الذى يهاب ، كما فى اللسان عن ثعلب . والفهمى منسوب إلى قبيلة فهم . قال المرزبانى فى المعجم ٤٨٩ : « الحيان الفهمى جاهلى ، يقول :

كما ضرب اليعسوب أن عاف باقر   وما ذنبه أن عافت الماء باقر »

(٥) يبتدئ الجلد الثالث من مخطوطة الأزهر بهذا البيت . النجاد : جمع نجد ، وهو ماغلظ من الأرض وأشرف وارتفع واستوى . وفى الأصل : « البجاد » وهو من عجيب التصحيف . والشيزى ، بكسر أوله مقصورا : شجر تعمل منه القصاع والجفان ، قال أبو عمرو : « الشيزى يقال له الآبنوس » الجوهرى : الشيز والشيزى خشب أسود تتخذ منه القصاع » . والصلاء ، بالفتح ويكسر : مقاساة حر النار ، أو التمتع بها فى الشتاء .

(٦) عراها : غشيها وقصدها . الطليح : المتعب المعيى . مستلب الفراء : ليس له فروة يلبسها لتقيه البرد .

(٧) المرتكم : المجتمع ، والعفاء ، بالكسر ، قال صاحب اللسان : « وعفاء السحاب كالخمل فى وجهه لا يكاد يخلف » .

(٨) كذا فى الأصل . ولعله : « جيران العود » .

(٩) اليفاع ، بالفتح : التل . هو ، س : « إتال » مصحف . والمرعبل : الممزق . والأهدام : الثياب الأخلاق ، واحدها هدم ، بالكسر . ومعناه النار التى هى النار التى تشب ليهتدى بها الضيف وذو الحاجة .

ونظر فوقها بُجْرٍ رِحَابٌ مُبَجَّلةٌ تَقَاذَفُ بالمحَالِ[1]

(علة اختلاف ألوان النار)

ويدل أيضا على ما قلنا : أن النار يختلف لونُها على قدر اختلاف جنس الدُّهن والحطب والدخان ، وعَلَى قدر كثرة ذلك وقلّته ، وعَلَى قدر يُبْسه ٢٤
ورطوبته — قولُ الراعي[2] حين أراد أن يصف لونَ ذئبٍ فقال :

وَقْعَ الربيع وقد تقارب خَطْوُهُ ورأى بعَقْوته أَزَلَّ نَسُولاَ[3]

---

(١) وهذه النار نار الطعام . بجر : جمع بجراء وهي العظيمة البطن ، عنى بها القدور . وفي الأصل « بزر » وليس له هنا وجه . والرحاب : الواسعات . والمبجلة : المعظمة والمحال ، بالفتح : جمع محالة ، وهي الفقرة من فقار البعير .

(٢) هو راعي الإبل النميري ، واسمه عبيد بن حصين بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله ابن الحارث بن نمير . ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل وإجادته في شعره . شاعر فحل مشهور من شعراء الإسلام، ذكره الجمحي في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين، مع جرير والفرزدق والأخطل . وكان الراعي يقدم الفرزدق على جرير ، فاستكفه جرير فأبى ، فهجاه بقصيدته البائية :

أقلى اللوم عاذل والعتابا وقولى إن أصبت لقد أصابا

المؤتلف ١٢٢ وابن سلام ١٧٣ والخزانة (٢ : ١٣٤ سلفية) والأغانى (٢٠ : ١٦٨ — ١٧٣) . والأبيات الآتية من قصيدة له يمدح بها عبد الملك بن مروان، ويشكو فيها من السعاة ، وهم الذين يأخذون الزكاة من قبل السلطان . وانظر الخزانة وجمهرة أشعار العرب ١٧٢ . وأولها :

ما بال دفك بالفراش مذيلا أقذى بعينك أم أردت رحيلا

(٣) وقع الربيع : أى مثل شدة ضرب المطر للأرض . مثل به صوت الهداهد في البيت الذي قبله . وهو كما في الجمهرة :

كهداهد كسر الرماة جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلا

والهديل هنا : صوت الهداهد ، وهو الهدهد ، شبه به الغريف الذي ضربه السعاة . وضمير « خطوه » الربيع ، أو الهداهد ، أو الغريف في بيت سابق . وضمير « رأى » الهداهد أو الغريف . والعقوة ، بالفتح : الساحة وما حول الدار . والأزل : القليل لحم الفخذين ، أو السريع . وقد عنى به الذئب . والنسول : من النسلان ، وهو مشية الذئب إذا أسرع . وفي الأصل : « ورأى بعقوته أزل سبولا » صوابه في الجمهرة واللسان (٨ : ٢٥٤) .

مُتَوَضِّحُ الأَقْرابِ فيه شُهْبَةٌ   هَشُّ اليَدَيْنِ تَخالُه مشكولا[١]

كدُخَانِ مُرْتَجِلٍ بأعْلَى تَلْعَةٍ   غَرْثانَ ضَرَّمَ عَرْفَجًا مَبْلولا[٢]

المرتجل: الذى أصاب رِجْلاً[٣] من جرادٍ، فهو يشوِيه. وجعله[٤] غَرْثان لكون الغرث[٥] لا يختار الحطب اليابس على رطبه، فهو يشويه بما حضره. وأدار هذا الكلام؛ ليكون لون الدخان بلون الذئب الأطحل[٦] متفقين.

(تعظيم زرادُشت لشأن النار)

وزرادُشتُ هو الذى عظم النار وأمر بإحيائها، ونهى عن إطفائها، ونهى الحُيَّض عن مسها والدنوِّ منها. وزعم أن العقاب في الآخرة إنما هو بالبردِ والزمهرير والدَّمَق[٧]

---

(١) الأقراب: جمع قُرب، بالضم، وهى الخاصرة. ط: «الأقران» بالنون محرف. والمتوضح: الأبيض ليس بالشديد البياض. وفى الأصل: «متوقح» وليس له وجه. وأثبت رواية اللسان (وضح). ورواية الجمهرة: «متوشح» بالشين. والشهبة: لون بياض يصدعه سواد فى خلاله. ورواية اللسان (وضح، شهل): «شهلة» من قولهم: ذئب أشهل، إذا كان أغبر فى بياض. ورواية الجمهرة: «نهمة»؛ وهى النهم. والهش: الخفيف. ورواية الجمهرة: «نهش» وهو الخفيف أيضا. والمشكول المشدود بالشكال، وهو بالكسر: عقال الدابة. وفى اللسان (٨ : ١٥٢): «تخاله مشكولا: أى لا يستقيم فى عدوه، كأنه قد شكل بشكال».

(٢) التلعة، بالفتح: ما ارتفع من الأرض. والغرثان: الجوعان، والأنثى غرثى وغرثانة والعرفج: نبت سريع الالتهاب.

(٣) الرجل بالكسر: الجراد الكثير، وجمعه أرجال. وقد فسر «المرتجل» أيضا فى هذا البيت بأنه الذى يقتدح النار بزندة جعلها بين رجليه وفتل الزند فى فرضتها بيده حتى يوريه. وقيل: المرتجل: الذى نصب مرجلا يطبخ به طعاما. اللسان: (١٣ : ٢٩).

(٤) ط، هـ: «وجعل».

(٥) الغرث. كفرح: الغرثان. وفى الأصل: «لطول الغرث».

(٦) الطحلة: لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد. ذئب أطحل وشاة طحلاء.

(٧) فى اللسان: «الدمق بالتحريك: الثلج مع الريح يغشى الإنسان من كل أوب حتى يكاد يقتل من يصيبه. فارسى معرب». «قلت: هو معرب «دمه» الفارسية، بفتح الدال والميم. استينجاس ٥٣٦.

(علة تخويف زرادشت أصحابه بالبرد والثلج دون النار)

وزعم أصحاب الكلام أن زرادُشت — وهو صاحب المجوس — جاء من بَلْخ(١) ، وادعى أن الوحى نزل عليه عَلَى جبال سيلان(٢) ، وأنه حين دعا سكان(٣) تلك الناحية الباردة ، الذين لا يعرفون إلا الأذى بالبرد ، ولا يضربون المثل إلا به ؛ حتى يقول الرجل لعبده: لئن عدت إلى هذا لأنزعنّ ثيابك ، ولأقيمنّك فى الريح ، ولأوقفنّك فى الثلج ! فلما رأى موقع البردِ منهم هذا الموقع ، جعل الوعيد بتضاعُفِهِ ، وظنّ أنّ ذلك أزْجَرُ لهم عما يكره .

وزرادشت فى توعده تلك الأمة بالثلج دون النار ، مُقِرٌّ بأنه لم يُبعث إلا إلى أهل [تلك(٤)] الجبال. وكأنه إذا قيل له: أنت رسول إلى من ؟ قال لأهل البلاد الباردة ، الذين لابدّ لهم من وعيدٍ ، ولا وعيدَ لهم إلا بالثلج .

وهذا جهلٌ منه ، ومن استجاب له أجهلُ منه .

---

(١) بلخ : مدينة كبيرة بخراسان .

(٢) جبل بقرب مدينة أردبيل بأذربيجان . وفى الحديث : « وكتب الله له من الحسنات : بعدد كل ودق وثلج وقع على جبل سيلان . قيل : وما سيلان يا رسول الله ؟ قال : جبل بأرمينية وأذربيجان » . انظر عجائب المخلوقات ١٥١ . ولم يذكر هذا الجبل ياقوت ، ولا صاحبا القاموس واللسان .

(٣) دعاهم إلى دينه ، وفى الأصل : « لسكان » بزيادة اللام ، ولا تتجه .

(٤) ليست بالأصل . والمراد : جبال سيلان . انظر التنبيه الثانى .

(ردٌّ على زرادشت فى التخويف بالثلج)

والثلج لا يكمُل لمضادّة النار ، فكيف يبلغ مبلغها ؟ والثلج يُؤ كَلُ ويشرب ، ويُقضَم قضما ، ويمزَج بالأشربة ، ويدفن فيه الماء[1] وكثير من الفواكه .

وربما أخذ بعض المترفين القطعة منه كهامَة الثور[2] ، فيضعها عَلَى رأسه ساعة من نهار ، ويتبرّد بذلك .

ولو أقام إنسان عَلَى قطعة من الثلج مقدارِ صخرة فى حَمدان ريح[3] ساعةً من نهار ، لما خِيفَ عليه المرض قَطُّ[4] .

فلو كان للمبالغة فى التنفير[5] والزجر أراد ، وإليه قَصَد ؛ لذَكَر ماهو فى الحقيقة عند الأمم أشدُّ . والوعيد بما هو أشد ، وبما يعم بالخوف سكان البلاد الباردة والحارة أشبه ، إذا[6] كان المبالغةَ يريد .

والثلج قد يداوَى به بعض المرضى ، ويتولد فيه الدود[7] ، وتخوضه الحوافرُ ، والأظلاف ، والأخفاف ، والأقدام ، بالليل والنهار ، فى الأسفار .

وفى أيام الصيف يهون عَلَى من شرب خمسة أرطال نبيذ أن يعدوَ عليه خمسة أشواط .

---

(١) بأن يجعل الماء فى وعاء ثم يدفن فيه .

(٢) الهامة : الرأس .

(٣) حمدان ، لعله من قولهم : يوم محتمد : شديد الحر . ط ، هو : « خدان » بالخاء المعجمة .

(٤) فى الأصل : « لما خيف عليه إلا المرض فقط » والسياق يقتضي ما أثبت .

(٥) فى الأصل : « التغير » ولا وجه له .

(٦) فى الأصل : « إذ » .

(٧) سبقت إشارة الجاحظ إلى دیدان الثلج فى (٣ : ٣٩٦ س ٦) .

(معارضة بعض المجوس فى عذاب النار)

وقد عارضنى بعض المجوس وقال : فلعلّ أيضا صاحبكم إنما توعّد أصحابه بالنار ، لأن بلادهم ليست ببلاد ثلج ولا دَمَق[1] ، وإنما هى ناحية الحرور والوهَج والسَّموم[2] ، لأن ذلك للمكروه أزجر لهم . فرأى هذا المجوسى أنه قد عارضنى ! فقلت له : إن أكثر بلاد العرب موصوفة بشدة الحر فى الصيف وشدة البرد فى الشتاء ، لأنها بلاد صخور وجبال ، والصخر يقبل الحر والبرد ولذلك سمت[3] الفرس بالفارسية ، العرب والأعراب « كُهْيَان » ، والكَه بالفارسية هو الجبل[4] فتى أحببت أن تعرف مقدار برد بلادهم فى الشتاء وحرّها فى الصيف ، فانظر فى أشعارهم ، وكيف قسّموا ذلك ، وكيف وضعوه[5] لتعرف أن الحالتين سواء عندهم فى الشدة .

(القول فى البرودة والثلج)

والبلاد ليس يشتد بردها عَلَى كثرة الثلج وقلته ، فقد تكون بلدة أبرد وثلجها أقل ، والماء ليس يجمدُ للبرد فقط ، فيكون متى رأينا بلدة ثلجها أكثر ، حكمنا أن نصيبها من البرد أوفر .

وقد تكون الليلة باردة جدا ، وتكون صِنَّبْرَة[6] فلا يجمد الماء ، ويجمد

---

(١) الدمق ، بالتحريك : مر تفسيره فى التنبيه ٧ ص ٦٦ .

(٢) السموم بالفتح : الريح الحارة . أبو عبيدة : « السموم بالنهار ، وقد تكون بالليل ، والحرور بالليل ، وقد تكون بالنهار » .

(٣) ط : « سميت » صوابه فى س ، هـ .

(٤) « كه » بفتح الكاف : اسم الجبل أو التل بالفارسية ، معجم استينجاس ١٠٦٦

(٥) أصلها : « وصفوه » من الوصف .

(٦) الصنبرة ، بكسر الصاد وتشديد النون المفتوحة بعدها باء ساكنة : الشديدة البرد ، وفى الحديث : « أن رجلا وقف على ابن الزبير حين صلب ، فقال قد كنت تجمع بين قطرى الليلة الصنبرة قائما » انظر اللسان (٦ : ١٤٠ س ٥) ، وفى الأصل « متبرة » ولا وجه له .

فيما هو أقل منها برداً . وقد يختلف جمود الماء فى الليلة ذات الريح ، عَلَى خلاف ما يقدّرون ويظنون .

وقد خبرنى من لا أرتاب بخبره . أنهم كانوا فى موضع من الجبَل ، يستَغْشُون[1] به بلبس المبطَّنات[2] ، ومتى صبوا ماءً فى إناء زجاجٍ ، ووضعوه تحت السماء ، جَمَدَ من ساعته .

فليس جُمُود الماء بالبرد فقط ، ولابد من شروطٍ[3] ومقادير ، واختلافِ جواهر ، ومقابلات أحوال ، كسرعة البرد فى بعض الأدهان ، و إبطائه عن بعض ، [و[4]] كاختلاف عمله فى الماء المغْلَى ، وفى الماء المتروك عَلَى حاله وكاختلاف عمله فى الماء والنبيذ ، وكما يعترى البوْل من الخثورة والجمود ، عَلَى قدر طبائع الطعام والقلة[5]

والزيت خاصة بصيبه المقدار القليل من النار ، فيستحيل من الحرارة إلى مقدارٍ لايستحيل إليه ما هو أحرّ .

(ردٌّ آخر على المجوس)

وحجةٌ أخرى عَلَى المجوس . وذلك أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، لو كان قال : لم أُبعثْ إلا إلى أهل مكةَ — لـكان له متعلق من جهة هذه المعارضة . فأمّا وأصل نبوّته . والذى عليه مخرجُ أمرهِ وابتداء مبعثه إلى ساعة وفاته ،

---

(١) فى اللسان : « استغشى بثوبه ، وتغشى : أي تغطى » . وفى الكتاب العزيز : « يستغشون ثيابهم » ، « واستغشوا ثيابهم » . وفى الأصل : « يستغنون » وهو تحريف .

(٢) المبطنات ، يريد بها الثياب المبطنة بالفراء .

(٣) ط : « شوط » س ، هو : « سوط » والوجه فيهما ما أثبت ، والجمع المناسب .

(٤) هذه التكلمة من س .

(٥) كذا . ولعلها : « وعلى قدر الكثرة والقلة » .

أنه المبعوث إلى الأحمر والأسود[١] ، وإلى الناس كافة ، وقد قال الله تعالى
﴿ قُلْ يا أيها النَّاسُ إنى رَسُولُ اللهِ إليْكُمْ جَمِيعاً[٢] ﴾ وقد قال تعالى .
﴿ نَذِيراً لِلْبَشَرِ[٣] ﴾ ـ فلم يبق أن يكون يكون مع ذلك قولهم[٤] معارضة ، ٢٦
وأن يُعَدّ فى باب الموازنة .

(مما قيل فى البرد)

ومما قالوا فى البرد قول الكميت

إذا التفّ دون الفتاةِ الضّجِيعُ   وَوَحْوَحَ ذو الفَرْوَةِ الأَرْمَلُ[٥]

---

(١) فى الحديث : « بعث إلى الأحمر والأسود » قال شمر : يعنى العرب والعجم ، والغالب على ألوان العرب السمرة والأدمة ، وعلى ألوان العجم البياض والحمرة . والحديث رواه أحمد فى مسنده (٣ : ٣٠٤) : عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، بعثت إلى الأحمر والأسود ، وكان النبى إنما يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، ونصرت بالرعب من مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجدا . فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل حيث أدركته » . وانظر البخارى (باب التيمم ، والمساجد فى البيوت) ومسلم (باب المساجد) والنسائى (باب الطهارة) وانظر درة الغواص ١٠٤ .

(٢) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف .

(٣) الآية ٣٦ من سورة المدثر ، وقد اختلف المفسرون فى نصب « نذيرا » فقيل حال من الضمير فى « إنها لإحدى الكبر » أو من إحدى ، أو مصدر منصوب بإضمار فعله . أو نذيرا هو الله فهو منصوب بإضمار فعل . أى : ادعوا نذيرا . أو هو محمد ، أى ناد ، أو بلغ .

(٤) سه : « قوله » فالضمير للبحترى .

(٥) وحوح الرجل من البرد : إذا ردد نفسه فى حلقه حتى تسمع له صوتا . وفى الأصل « وزحزج » تحريف صوابه من اللسان (٢٠ : ١٠ س ٤) . والكميت أيضا كما فى اللسان (٣ : ٤٧٠) :

وراح الفنيقُ مع الرائحاتِ كإحدى أوائلها المرسَلِ (١)

وقال الكميت أيضاً في مثل ذلك :

وجاءت الريح من تلقاء مَغْرِبِها وضَنَّ من قِدْرِه ذو القِدْرِ بالعُقَبِ (٢)
وكَهْكَهَ المُدْلِجُ المقرورُ في يَدِهِ واستدفأ الكلبُ في المأسورِ ذي الذِّئَبِ (٣)

وقال في مثله جِرَانُ العَوْد (٤) :

ومشبوحِ الأشاجعِ أريحيٍّ بعيدِ السمعِ ، كالقمرِ المنيرِ (٥)
رفيعِ الناظرَيْنِ إلى المعالي عَلَى العِلاَّتِ في الخُلُقِ اليسيرِ (٦)
يكادُ المجدُ ينضحُ من يديهِ إذا دُفِعَ اليتيمُ عن الجَزُورِ (٧)

= ومسوح في حضن الفتاة ضجيعها ولم يك في النكد المقاليت مشخب

والقروة : الوفضة التي يجعل فيها السائل صدقته ، وهذا البيت شاهد له . والمرمل : الذي نفد زاده ، ومثله الأرمل . وفي الأصل : « المزمل » بالزاي ، تصحيف ورواية اللسان : « الأرمل » .

(١) الفنيق : الفحل المكرم من الإبل ، لا يركب لكرامته على أهله . هـ : « العتيق » ، وله وجه . س : « الفتيق » مصحفة .

(٢) العقب بضم ففتح : جمع عقبة بالضم ، وهي المرقة ترد في القدر المستعارة ، كانوا إذا استعاروا قدراً ردوا فيها شيئاً من المرق . وفي مثل هذا المعنى الكميت أيضاً :

وحاردتِ النُّكْدُ الجِلاَدُ ولم يكن لِعُقْبَةِ قِدْرِ المستعيرينَ مُعْقِبُ

انظر اللسان (٢ : ١١١) . وفي الأصل : « والقدر » بإسقاط الذال ، تحريف صوابه ما أثبت . وقد رجعت بعد كتابة هذا إلى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٠١) فألفيت الرواية كما أثبت . ورواية صدر البيت فيه : « وجالت الريح » . س هـ : « وطن » بالطاء ، محرفة أيضاً .

(٣) كهكه المقرور : تنفس في يده ليسخنها بنفسه من شدة البرد فقال : كه كه . ورواية اللسان (١٧ : ٤٣٤) : « الصرد المقرور » . والمأسور : المشدود بالإسار ، وهو القد الذي يؤسر به القتب . والقتب : رحل صغير على قدر سنام البعير . والذئب ، بكسر ففتح : جمع ذئبة ، وهي الفرجة بين مقدمي الرحل . وفي الأصل : « الذنب » وصوابه في اللسان ، والأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٠١) .

(٤) من قصيدة له في ديوانه ٢٤ — ٢٨ . وقبل هذا البيت :

ألا يا رب ذي حسب رفيع سيتسب إن علكت إلى القبور

(٥) مشبوح الأشاجع : عريض الكف ، يعني نفسه . والأشجع : العصب الذي على ظاهر الكف . والأريحي : الذي يرتاح للمعروف . والسمع هنا : الذكر الحسن . ورواية الديوان : « بعيد الذكر » . وقد حمله كالقمر الجلال والعلو .

(٦) على العلات : أي على كل حال . هـ : « الكلاب » محرف . والخلق اليسير : السهل .

(٧) الجزور : الناقة المجزورة . أي إذا ضن أرباب الجزور على اليتم ودفعوه، لشدة الجدب والأزمة . هـ س : « إذا رفع » محرف .

وألجأتِ الكلابَ صبًا بليلٌ وآل نُباحهنّ إلى الهرير(١)
وقد جعلتْ فتـاةُ الحيِّ تدنو مع الصّلّاك من عَرَنِ القدور(٢)

وقال فى مثل ذلك ابن قميئة(٣) :

ليس طُعمِى طُعمَ الأنامل إذ قلّـص درُّ اللِّقاح فى الصِّنَّبْر(٤)
ورأيتَ الإماءَ كالجِعْثِن البا لى عكفنَ على قُرارةِ قِدْرِ(٥)
ورأيتَ الدخانَ كالودع الأهْـجَنِ ينباع من وراء السِّتْرِ(٦)

---

(١) أي ألجأتها أن تدخل جحرها من شدة البرد . والبليل : الريح الباردة التى كأنها يقطر منها الماء من بردها . آل : رجع وصار . والهرير : صوت الكلب فى صدره لا يفصح به . أراد أنه من شدة البرد لا يستطيع النباح . س : « بناجهن » تصحيف .

(٢) فتاة الحى ، أراد بها الفتاة المصونة : والصلاك : الصعاليك الذين يتتابعون الناس من سوء حالهم . والعرن : بالتحريك وآخره نون : ريح القدر . وفى الأصل : « عرق » وهو تحريف . ورواية الديوان : « عرم » قال السكرى : « العرم والعرن : ريح القدر » . ومثل هذا المعنى قول عوف بن الأحوص فى المفضليات (القصيدة ٣٦ : ٤) :

وكانوا قعودا حولها يرقبونها وكانت فتاة الحى ممن يعيرها

(٣) هو عمرو بن قميئة ، كما فى كنايات الجرجانى ١٢٩ س ١٣ . وقد عرف بهذا الاسم جماعة من الشعراء أشهرهم هذا . واسمه عمرو بن قميئة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . قالوا : دخل بلاد الروم مع امرئ القيس فهلك ، فقيل له : عمرو الضائع . المؤتلف ٨٦٨ . وفيه قال امرؤ القيس (ابن سلام ٥٩) :

بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

(٤) الأنامل ، كذا وردت . اللقاح : جمع لقحة بالكسر ، وهى الناقة الحلوب . قلص درها : ارتفع لبنها . والصنبر : شدة البرد . ط : « الضبر » تحريف .

(٥) الجعثن ، بكسر الجيم والثاء ، وآخره نون : أصل كل شجرة إلا شجرة لها عشب . الواحدة جعثنة . جعلهن كالجعثن البالى فى التقبض وتشوه الخلق ، مما أضر بهن الجدب وسوء الغذاء . عكفن : استدرن حولها ، ولزمنها . والقرارة بضم القاف : ما لزق بأسفل القدر من مرق ، أو حطام تابل محترق ، أو سمن أو غيره . وفى الأصل : « قرارة بدر » بالباء ، صوابه ما أثبت .

(٦) الودع : خرز بيض جوف فى بطونها شق كشق النواة . والأهجن : من الهجنة ، بالضم ، وهى البياض . وجعل الدخان أبيض لضعف ناره . ينباع : ينفعل من باع يبوع : إذا جرى جريا لينا وتثنى وتلوى . وفى الأصل : « ينتاع » من البيع ، ولا وجه له . والستر : ستر البيت . ط : « السر » محرف .

حاضر شركم وخيركم دَ رُّ خروسٍ من الأرانب بِكْرِ (١)

وقال فى مثل ذلك (٢)

وإذا العذارى بالدُّخان تقنعت واستعجلت نَصْبَ القدورفلّت (٣)

دَرّتْ بأرزاق العيالِ مَغَالِقٌ بيدىٌ من قَمَعِ العشار الجِلّةِ (٤)

---

(١) الدر ، بالفتح : اللبن . والخروس ، بفتح الخاء المعجمة : النفساء ، والخرسة ، بالضم : طعام الوالدة . والخروس أيضا البكر فى أول حملها . والبكر : التى لم تلد إلا مرة واحدة ، وهو أقل لبنها وأضيق لمخرجه . ط : « ذو حرس » س ، قر : « دو حروس » بالمهملة صوابه من اللسان (٧ : ٣٦٤) وكنايات الجرجانى ١٢٩ س ١٤ والبخلاء ١٨٠ . وصدر البيت فيهما : « شركم حاضر » .

(٢) يفهم من ذلك أن البيتين لعمرو بن قيئة . لكنهما فى النوادر لأبى زيد ١٢١ من قصيدة منسوبة لسلمى بن ربيعة الضبى ، وكذلك فى أمالى القالى (١ : ٨١) والحماسة (١ : ٢١٢) . ونسبت فى الأصمعيات ص ١٨ ليسلك إلى علباء بن أرثم (صوابه أرقم) . وأول القصيدة فى جميع المصادر :

حلت تماضر غربة فاحتلت فلجا وأهلك باللوى فالحلة

(٣) تقنعت : جعلت الدخان قناعا لها . وفى النوادر : « تلفعت » والتلفع : الالتحاف بالثوب ، أو العاف أو القناع . وخص العذارى لفرط حيائهن وشدة انقباضهن فإنما يتولين ذلك العمل ويصبرن على الدخان لما أصابهم من الجهد والجدب . ملت : أى أكبت على النار ولم تنتظر إدراك القدور من شدة الجوع . قال التبريزى فى شرح الحماسة : « وغير أبى تمام يرويه : واستبطأت نصب القدور ملت » فبهذه الرواية تكون « ملت » وضعت الطعام على الملة ، وهى الرماد الحار ، ليسرع إدراكه .

(٤) درت ، من در الضرع . إنما كثر لبنه . ويروى : « دارت » وفى النوادر : « قامت » . والعيال جمع عيل ، بفتح العين وكسر الياء المشددة ، وهو الفقير . ط : « العباد » قر . س : « العباد » صوابهما من النوادر والأصمعيات . ورواية الحماسة والأمالى : « العفاة » جمع عاف ، وهو طالب المعروف . والمغالق : جمع مغلق ، بالكسر وهى قداح الميسر . وفى الأصل : « معالق » بالمهملة ، صوابه من المصادر السابقة . والقمع بالتحريك : الأسنمة ، واحدتها قمعة . والعشار : جمع عشراء وهى التى أتى عليها عشرة أشهر من حملها . والجلة : العظام الكبار ، جمع جليل ، كصبى وصبية .

وقال الهذلي [١] :

وليـلة يصطلي بالفرث جازرُها … يختصُّ بالنقرَى المثْرينَ دَاعيها [٢]

لا ينبح الـكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ … من الشّتاء ولا تَسـرِي أفاعيها [٣]

وفي الجَلَدِ والبرد والأزمات [٤] يقول الـكميت :

وفي الســنةِ الجمادِ يكون غيثاً … إذا لم تعط دِرَّتَها الضّروبُ [٥] ٢٧

وروّحت اللّقــاحُ مُبهلَاتٍ … ولم تُعطَفْ عَلَى الرُّبَعِ السّلوبُ [٦]

---

(١) وكذا سبقت هذه النسبة في (١ : ٢٨٨) و (٢ : ٧٢) . لكن البيت الأول في قصيدة لعمرو بن الأهتم في حماسة ابن الشجري ؟ ونسبت في مجموعة المعاني ١٩٠ إلى أخت عمرو ذي الـكلب . واسمها جنوب ، أو ريطة . وقد سبقت ترجمة عمرو في (٢ : ١٨٥). وانظر أشعار الهذليين ص ٢٤١ . فيكون الجاحظ أراد بالهذلي شاعرا أو شاعرة من هذيل . والبيتان كذلك في قصيدة منسوبة إلى هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، قالها يوم أحد . وهي من شعر المشركين . وقد رد عليه حسان بن ثابت وكعب بن مالك بشعر آخر . انظر سيرة ابن هشام ٦١١ — ٦١٦ جوتنجن .

(٢) الفرث : سرقين الـكرش . انظر درة الغواص ١٠١ . يريد أن الجازر لشدة البرد يدخل يده في الـكرش ليدفأ . انظر الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (٢ : ٣٠٠) . والنقرى ، بالتحريك : الدعوة الخاصة . والجفل ، بالتحريك أيضاً : الدعوة العامة . ط ، س : « بالنقر » محرف . هو « النقرى » تحريف .

(٣) إنما يخرس الـكلب إفراط البرد وإلحاح المطر . والشتاء ، محرف الأصل . « الشتاء » وتصحيحه من الجزء الأول . والرواية في الثاني : « من الصقيع » . والصقيع : ما ينزل من السماء بالليل ، شبيه بالثلج . وفي مجموعة المعاني : « حتى الصباح » .

(٤) الجلد ، بالتحريك : الثلج . والأزمات : جمع أزمة . وفي الأصل : « الأزمان » وهو تحريف سبق إصلاح نظيره في (٤ : ٤٦٦ س ٧) .

(٥) سنة جماد ، بالفتح : لا مطر فيها . والضروب : الناقة العبوس .

(٦) روحت : روحها رعيانها وقت الرواح . وفي الأصل : « زوجت » . والمبهلات : التي أبهلت ، أي أهملت وتركت . ومثلها « المهملات » . والربع ، بضم ففتح : الفصيل ينتج وقت الربيع . والسلوب : الناقة فقدت ولدها .

وكانَ السَّوْفُ للفتيانِ قوتاً تعيشُ به وهُبِّتِ الرقوبُ[1]

وفى هذه القصيدة يقول فى شدة الحر :

وخَرْقٍ تعزفُ الجِنَّانُ فيه لأفئدةِ الكُماةِ لها وَجِيبُ[2]
قطعتُ ظلامَ ليلتِه ويوما يكاد حَصَى الإكام به يذوبُ[3]

وقال آخر لمشوقته :

وأنتِ التى كلفتِنى البردَ شاتياً وأوردتِنيه فانظرى أىَّ موردِ

فما ظنك ببرد يؤدّى هذا العاشقَ إلى أن يجعل شدّته عذراً له فى تركه الإلمام بها وذلك قوله فى هذه القصيدة[4] :

فياحسنها إذ لم أعُجْ أن يقالَ لى تروَّحْ فشيعنا إلى ضحوة الغَدِ[5]
فأصبحتُ مما كان بينى وبينها سوى ذكرها كالقابض الماءَ باليدِ

ومما يقع فى الباب قبل هذا[6] ، ولم نجد له باباً قول مسكين الدّارمىّ[7] :

---

(١) السوف ، بفتح السين : من قولهم « فلان يقتات السوف : أى يعيش بالأمانى » . انظر اللسان (١١ : ٦٥ س ٢٣ — ٢٤) . وفى الأصل : « السرف » بالراء ، صوابه فى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٩٩) وروايته : « وكان السوف الفتيات قوتا » وفيها تحريف . « تعيش » هى فى الأصل « يعيش » تصحيحه من المصدر السابق . وفى الأزمنة أيضاً : « وحنيت الرقوب » . والرقوب ، بفتح الراء : هى التى لا تدنو إلى الحوض من الزحام ، وذلك لكرمها .

(٢) الخرق ، بالفتح : الفلاة الواسعة تنخرق فيها الريح . والجنان : الجن واحده جان كحائط وحيطان . وعزيفها : تصويتها . والوجيب : الخفقان والاضطراب .

(٣) أراد باليوم هنا ما بين طلوع الشمس إلى غروبها . وقد يراد باليوم الوقت مطلقاً . ولا يختص بالنهار دون الليل .

(٤) فى الأصل : « وترك هذه القصيدة قوله » .

(٥) يقال : أى تقول هى أو صواحباتها . يعجب مما أفشاه عليها الحسن فى ذلك الحين . عاج بالمكان يعوج : أقام ، أو عطف عليه ومال ، أو ألم به .

(٦) س « الباب الذى قبل هذا » .

(٧) مسكين ، لقب غلب عليه . واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف ، ينتهى نسبه إلى تميم . وكان شاعراً سيداً . هاجى الفرزدق . وكان أسود اللون قليل المال ، خطب =

وإني لأقومُ عَلَى قَنَاتِي[1] أَسبُّ النَّاسَ كالـكَلْب العَقور

وإني لا أحـلُّ ببَطن وادٍ ولا آوِي إلى البيتِ القصيرِ[2]

وإنى لا أحاوِص عِقْدَ نادٍ ولا أدعو دُعائي بالصَّـفِيرِ[3]

ولستُ بقائلٍ للعَبْدِ أوقِـدْ إذا أوقَدْتَ بالعُودِ الصَّغيرِ

ولو تأملتَ دخان أتُون واحد ، من ابتدائه إلى انقضائه ، لرأيت فيه الأسود الفاحم ، والأبيض الناصع .

والسواد والبياض ، هما الغاية في المضـادَّة ، وذلك عَلَى قدر البخار والرطوبات . وفيما بينهما ضروب من الألوان .

وكذلك الرماد ، منه الأسود ، ومنه الأبيض ، ومنه الأصهب ، ومنه الخصيف[4] . وذلك كله على قدر اختلاف حالات المحترق وجواهره .

فهذا بعضُ ما قالوا في البرد .

= فتاة من قومه فكرهته ، وتزوجت من بعده من قومه ذا يسار ، ولكنه مهزول النسب ، فمرّ بها يوما فأنشد :

أنا مسكين لمن يعرفني لوني السمرة ألوان العرب

وقد تحدث كثيراً عن لقبه هذا في شعره . وفي الأغاني (١٨ : ٦٨ — ٧٢) ست إشارات إلى هذا المعنى .

(١) المراد بالقناة هنا ، العصا ؛ وفي اللسان « كل عصا مستوية فهي قناة ، وقيل كل عصا مستوية أو معوجة » . وكانوا يعتمدون عليها في الخطب والمساجلات . وقد عقد لها الجاحظ بابا مسهبا في البيان (٣ : ٢ — ٧١) .

(٢) كانت العرب يعلون التلاع وأشراف الأرض ، ليراهم الضيف .

(٣) يقال : هو يحاوص فلانا أي ينظر إليه بمؤخر عينيه ويخفي ذلك . ط ، هو : « لا أخاوص » صوابهما ما أثبت . والنادي : مجلس القوم حيث يجتمعون . وهي بالعقد هنا جماعتهم . وقد تكون : « عقر » . والعقر : بالضم : محلة القوم بين الدار والحوض . والصفير : التصويت بالفم والشفتين ، وهو أخفى الصوت .

(٤) الصهبة : أصلها في الشعر أن تعلوه حمرة وأصوله سود . وأما « الخصيف » فلم نجد له وجها في الألوان ، وفي هو « الحصف » محرفتان . وأقرب ما يصحف إليه : « القشب » ، وهو الأحمر الشديد الحمرة . أنشد ثعلب :

أحمر قشب لا يبالي ما استقى لا يسمع الدلو إذا الورد التقى

(بعض ما قالوا فى صفة الحر)

وسنذكر بعض ما قالوا فى صفة الحر . قال مضرِّس[1] بن زُرارة ابن لقيط :

ويوم من الشِّعرى كأن ظباءه   كواعبُ مقصور عليها ستورُها[2]
تدلّت عليها الشمسُ حتى كأنه   من الحر يُرمى بالسكينة نُورُها[3]
٢٧ سجوداً لدَى الأرطَى كأنّ رءوسها   علاها صداعٌ أوفَوَالٍ يصُورها[4]

وقال القطامى :

(١) مضرس ، كمحدث ، آخره سين . وقد سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٥٩) . وفى الأصل : « مضر » تحريف . والبيت الأول والثانى فى النقائض ١٦١ والأزمنة والأمكنة للمرزوقى (٢ : ١٦١) مع تركيب صدر البيت الثانى على عجز البيت الثالث . والبيت الثالث فى اللسان (٧ : ١٠٣) ، والثانى والثالث فى الألفاظ لابن السكيت ٥٥٢ .

(٢) الشعرى : نجم يطلع فى شدة الحر . ورسمت بالألف فى الأصل وفى النقائض والأزمنة والأمكنة . كواعب : جمع كاعب : وهى الجارية قد نهد ثديها . وفى الأصل : « كواكب » صوابه فى المصدرين السابقين .

(٣) فى الأصل : « عليه » صوابه من جميع المصادر السابقة ، والضمير للظباء . وأما ضمير : « كأنه » فهو ضمير الشأن . ويروى فى الألفاظ واللسان : « كأنها » وفى النقائض والأزمنة : « كأنما » . والسكينة : السكون . وفى الأصل : « بالسفينة » صوابه من المراجع . والنور : جمع نوار ، كسحاب ، وهى النفور من الظباء والوحش . قال التبريزى : « يصف ظباء قد دخلت الكنس من شدة الحر ، وقد منعها ما تجد من الحر أن تصرف ، فقد استبدلت بالنفار السكون » .

(٤) سجودا : مائلات الأعناق مطأطئات الرءوس . ط ، ٣٠٣ : « سجود » بالرفع . وفى الألفاظ « سمودا » ، قال التبريزى : « السمود : التى لاتتحرك . ويقال للمتحير المدهش الذى لايدرى ما يصنع : سامد » . والأرطى : شجر تتخذ الظباء فى أصوله كنسها . فوال : جمع فالية التى تفلى الرأس . ط ، ٣٠٣ : « قوازح » « قوال » وأثبت صوابه من المصادر السابقة . يصورها : يميلها . وهى رواية الأصل والنقائض والأزمنة . ورواية الألفاظ فقط : « تصورها » . ولكل وجه . شبه رءوسها حين دلتها برءوس قد أخذها الصداع أو برءوس قد أخذتها الفوالى .

فهن معترضات والحصى رمِضٌ ... والريحُ ساكنةٌ والظلُّ معتدلُ (١)

حتى وردْن رِكيّات الغُوَير وقد ... كاد المُلاءُ من الكتّان يشتعلُ (٢)

وقال الشماخ بن ضرار :

كأن قُتودى فوق جأبٍ مطرّدٍ ... من الحُقْبِ لاحتْهُ الجِدادُ الغوارزُ (٣)

طوى ظِمْأها في بَيضةِ القَيْظ بعدَ ما ... جرتْ في عِنان الشِّعْرَيين الأماعزُ (٤)

وظلت بيمْؤودٍ كأن عيونَها ... إلى الشمسِ هل تدنو، رَكِيٌّ نواكزُ (٥)

---

(١) هن : يعني النوق . معترضات : يسرن عرضاً من المرح . رمض : من الرمضاء ، أي حار . معتدل : أي حين استوى نصف النهار . وحتى أنها تحافظ على نشاطها في مثل هذا الوقت العصيب الذي يخمد فيه كل نشاط .

(٢) بين هذا البيت وسابقه أربعة أبيات أخرى في الديوان ص ٤ . الركيات : جمع ركية ، وهي البئر . والغوير : موضع . ورواية الديوان : « الغَوير » لكن في شرحه : « الغوير بلد » . والملاء جمع ملاءة . ط ، ه : « الملاء » صوابه في سه والديوان . والكتان : نبت معروف . وفي شرح الديوان : « يعني بالكتان ها هنا القطن . والكتان يشتعل من شدة الحر وليس بشيء » . ونظير هذا المعنى قول القلاخ في مجموعة المعاني ١٣٣ وأراجيز العرب ١٢١ :

وبلد أغبر يغشى الطلب ... يضحى به موج السراب يضطرب

لو قذف الكتان فيه لالتهب ... قطعت أحشاه بسير منجذب

(٣) الجأب : الحمار الغليظ . مطرد : تطارده الحمر . والحقب : جمع أحقب وهو الذي في بطنه بياض . لاحته : ضمرته . الجداد : جمع جدود ، بالفتح ، وهي الأتان القليلة اللبن من غير عيب . والغوارز : جمع غارز وهي القليلة اللبن . أراد أن ضرابه لتلك الأتن ضمره وهزله . ه ، سه : « من الخف » و : « الجبار » . ه فقط : « القوارز » وهو تصحيف صوابه في الديوان ٤٣ .

(٤) الظِّمء ، بالكسر : ما بين الشربتين . وبيضة القيظ : شدة حره . والشعريان : نجمان ، وهما الشعرى العبور ، والشعرى الغميصاء . وإنما تطلع الشعرى في شدة الحر . والأماعز : جمع أمعز ، وهي الأرض الحزنة الغليظة ، يقول : طوى هذا الحمار ظِمْء أتنه ، فلم يوردها لأخذه في السمن ، وقد جرت الأماعز ، أي اضطرب سرابها ، في ذلك الوقت من القيظ . وقد أورد المبرد هذا البيت في الكامل ٤٥٠ ليبسك ، مستشهدا به على تورع الأصمعي من تفسيره ، لأن فيه شيئا يتعلق بالأنواء .

(٥) يمؤود : موضع . هل تدنو : أي تقترب من الغروب . وذلك أن العير إنما يوردها عند الغروب . انظر المفضليات (٣٨ : ١١) طبع المعارف . والركي ، بضم الراء وفتحها : جمع ركية ، وهي البئر . والنواكز : جمع ناكز ، وهي التي قل ماؤها أو ذهب . سه ، ه : « ركى » صوابه في ط والديوان .

ولهذه الأبيات كان الحطيئة والفرزدق يقدِّمان الشماخَ بغاية التقديم .

وقال الراعى :

ونار وديقــة فى يوم هَيجٍ من الشِّعرى نصبتُ لها الجبينا[١]
إذا مَعزاء هاجــرةٍ أرنَّت جَنادبُها وكان العيسُ جُونا[٢]

وقال مسكينٌ الدارمىّ[٣] :

وهاجرةٍ ظلّت كأن ظباءها إذا ما اتّقتها بالقرون سجودُ[٤]
تلوذُ لشؤبوب من الشمس فوقَها كما لاذَ من حرِّ السِّنان طريدُ[٥]

وقال جرير[٦] :

وهاجدِ موماةٍ بعثتُ إلى السُّرى وللنومُ أحلى عنده من جَنَى النحلِ[٧]

---

(١) الوديقة : حر نصف النهار أشد ما يكون . ويوم هيج : أى يوم ريح . نصب جبينه : رفعه ولم يبال الحر . والضمير : « لها » عائد إلى النار : وهى كذلك رواية المرزوقى فى الأزمنة والأمكنة (١ : ٢٨٧) . وفى اللسان : (هيج) : « له » بعود الضمير إلى « يوم » .

(٢) المعزاء كالأمعز : الأرض الحزنة الغليظة . والهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر . أرنت الجنادب : صوتت . وفى الأصل : « أرنت » . ولا وجه له ، وقد سبق مثلها التحريف فى (٤ : ٤٨٦) . ورواية ش : « جنادبه » . والجندب : ضرب من الجراد (Grasshopper) ، وهو إذا رمض فى شدة الحر لم يقر على الأرض وطار فتسمع لرجليه صريراً . وانظر (٣ : ٣٩٩ ، ٤ : ١٠٧) .

(٣) سبقت ترجمته ص ٧٦ . والبيتان فى مجموعة المعانى ١٩٠ .

(٤) ط : « صليت » ش ، و : « صلت » وصوابه فى مجموعة المعانى ، أى أن الظباء حين تتقى حر الهاجرة بقرونها تحكى فعل الساجد .

(٥) تلوذ : أى تلجأ ، أراد تلجأ إلى الظلال ، لما أصابها من شآبيب الشمس . وأصل الشآبيب للمطر ، وهى الدفعات منه . وفى مجموعة المعانى « بشؤبوب » وتصح بجعل الباء السببية .

(٦) من قصيدة له فى ديوانه ٤٦٠ — ٤٦٥ والنقائض ١٥٨ — ١٦٧ يهجو بها البعيث والفرزدق ، أولها :

عوجى علينا واربعى ربة البغل ولا تقتلينى لا يحل لكم قتلى

(٧) الهاجد من الأضداد ، يقال للنائم والساهر . وفى الأصل : « هاجر » صوابه فى الديوان ومجموعة المعانى ١٣٢ . والموماة : المفازة الواسعة الملساء . وجنى النحل : عسلها .

يكونُ نزولُ الركبِ فيها كَلاَ وَلاَ … غِشَاشاً ولا يدنونَ رَحلاً إلى رَحْلِ(1)
ليوم أتتْ دون الظلال سَمُومُه … وظَلَّ المَهَا صُوراً جماجمُها تَغْلِي(2)

وفيها يقول جرير :

نَمَى رجالٌ من تميم لِيَ الرَّدَى … وما ذَادَ عن أحسابهم ذائدٌ مِثْلي(3)

(احتجاج النظام للسكون)

وقال أبو إسحاق : أخطأ من زعم أن النار تصعدُ في أول العود ، وتنحدر وتغوص فيه ، وتظهر عليه ، وتأخذ منه عَرَضاً(4) .

وقال : العود ، النار في جميعه كامنة ، وفيه سائحة ، وهي أحد أخلاطه(5) . والجزء الذي يُرى(6) منها في الطرَف الأول ، غير الجزء الذي في الوسط

(1) كلا ، أي مثل لا في القلة ، أو سرعة النطق بها ، والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل أو ظهور شيء خفي قالوا : كان فعله كلا . وربما كرروا فقالوا كلا ، ولا . وربما قالوا . كلا وكذا . قال الكميت (اللسان ٢٠ : ٣٥٧) :
كلا وكذا تغميضة ثم هجتم … لدى حين أن كانوا إلى النوم أفقرا
وقال ذو الرمة :
أصاب خصاصة فبدا كليلا … كلا وانغل سائره انغلالا
وقال الراعي (اللسان ٥ : ٤٥) :
فلبثها الراعي قليلا كلا ولا … بلوذان أو ما حللت بالكراكر
وانظر الشريشي (٢ : ٢٢٤) . وفي الأصل : « كلاتوها » محرف . والغشاش ، بالكسر والفتح : العجلة ، وفي الأصل « عشاشا » محرف .
(2) دون الظلال : أي قريبا منها . والسموم ، بالفتح : الريح الحارة . والمها : جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية ، ورسمت في الأصل بالياء ، وأصلها واوي . صورا : جمع أصور ، وهو المائل العنق . س : « جماجمه » .
(3) الردى : الهلاك . ورسم في الأصل بالألف ، وأصله الياء . والرجال الذين عنى هم : الفرزدق ، والبعيث ، وعمر بن لجأ ، وغسان السليطي ، والمستنير بن عمرو . انظر النقائض . ذاد : دفع وحامى . س : « زائد » محرف .
(4) في الأصل : « وعرضا » بالمعجمة .
(5) في الأصل : « أخلاطها » .
(6) في الأصل : « التي لا يرى » و « لا » مقحمة تفسد الكلام .

و[الجزء الذى فى الوسط[1]] غير الجزء الذى فى الطرف الآخر . فإذا احتك الطرَف فحَمِىَ زال مانعه ، وظهرت النار التى فيه . وإذا ظهرت حَمِىَ لشدة ٣٩ حرها للموضعُ الذى يليها ، وتنحَّى أيضا مانعه . وكذلك الذى فى الطرَف الآخر ولكن الإنسان إذا رأى النار قد اتصلت فى العود كله ، وظهرت أولا فأوّلا ، ظن أن الجزء الذى كان فى المكان الأول قد سَرَى إلى المكان الثانى ، ثم إلى المكان الثالث . فيخبرُ عن ظاهر ما يرى ولا يعرف حقيقة ما ظن[2] من شأنها .

وقال أبو إسحاق : ولو كانت العيدان كلها لانار فيها ، لم يكن سرعةُ ظهورِها من العراجين ، ومن المَرْخ والعَفَار[3] ، أحقّ منها بعودِ العُنّاب[4] والبَرْدِىّ[5] وما أشبه ذلك . لكنها [لما[6]] كانت فى بعض العيدان أكثر ، وكان مانعها أضعفَ ، كان[7] ظهورها أسرع ، وأجزاؤها إذا ظهرت أعظمَ . وكذلك ما كَنَّ منها فى الحجارة . ولو كانت أجناس

---

(١) هذه الزيادة الضرورية من هـ .

(٢) ط : « يطن » س : « يظن » صوابهما فى هـ .

(٣) المرخ والعفار ، بفتح أولها : شجران يتخذ منهما زناد القدح . والعرب تضرب بهما المثل فى الشرف العالى ، فتقول : « فى كل الشجر نار ، واستمجد المرخ والعفار » .

(٤) العناب ، كرمان ، شجر يقارب الزيتون فى الارتفاع والتشعب لكنه شائك جداً وورقه مزغب من أحد وجهيه ، يثمر العناب الأحمر الحلو . وبه يشبه الشعراء بنان الغيد . وكنت فى ريب من صحة هذه الكلمة إلى أن وجدت فى تفسير أبى حيان (٧ : ٣٤٨ س ٢٣) : « عن ابن عباس : ليس شجر إلا وفيه نار ، إلا العناب » .

(٥) البردى ، بفتح الباء : جزء « الحفأ » ، تصنع منه الحصر المعروفة فى مصر بالأكياب وفى أصله حلاوة كالقصب ، ويصنع القرطاس المصرى منه ومن لباب البشنين بالطبخ والدق . تذكرة داود الأنطاكى . وفيها « الحلفاء » تصحيف ، إنما هى « الحفأ » : انظر اللسان (حفأ) والمخصص (١١ : ١٦٦ ، ١٦٧) . وأما الحلفاء فقال داود نفسه : إنه يقوم مقام البردى فى عمل الحصر والأحبال .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) فى الأصل : « وكان » ، والوجه حذف الواو .

الحجارة مستوية في الاستقرار(١) فيها ، لما كان حجرُ المَرْوِ أحقّ بالقَدْح إذا صُكّ بالقدّاحة ، من غيره من الحجارة ، ولو طال مُكثُه في النار ، ونُفِخَ عليه بالكير .

ولِمَ صار لبعض العيدان جَمْرٌ باق ، ولبعضها جمر سريع الانحلال ، وبعضها لا يصير جمرا ؟ ولِمَ صار البَرْدِيّ(٢) مع هَشَاشته(٣) ويبسه ورخاوته ، لا تعمل فيه النيران ؟ ولذلك إذا وقع الحريق في السُّوق سَلِمَ كل مكان يكون بين أضعاف البردي . ولذلك ترى النار سريعة الانطفاء في أضعاف البرديّ ، ومواضع جميع اللِّيف .

وقال أبو إسحاق : فلِمَ اختلفَتْ(٤) في ذلك ؟ إلا عَلَى قدر ما يكونُ فيها من النار ، وعَلَى قدر قوة الموانع وضعفها .

ولِمَ صارت تُقدَح عَلَى الاحتكاك حتى تلهبت(٥) ، كالساج(٦) في السفن(٧) إذا اختلط بعضه ببعض عند تحريك الأمواج لها ؟ ولذلك أعدُّوا لها الرجالَ لتَصُبّ من الماء صبًّا دائما . وتدُوم الريحُ فتحتك عيدان الأغصان في الغياض ، فتلتهب نار(٨) فتحدث نيران .

---

(١) الاستقرار : بمعنى السكون ، وفي الأصل : « الاسرار » .
(٢) ط : « البرى » صوابه فى سه ، هو .
(٣) الهشاشة : الرخاوة والضعف . وفى الأصل : « مشاشته » بالميم تحريف .
(٤) فى الأصل : « اختلف » .
(٥) فى هو : « تلهب » .
(٦) الساج : شجر يعظم جدا ويذهب طولا وعرضاً ، وله ورق أمثال التراس الديلمية يتغطى الرجل بورقة منه فتكنه من المطر ، وله رائحة طيبة ، وهو من أشجار الهند .
(٧) السفن : جمع سفينة . وهى فى الأصل : « السفر » بالراء .
(٨) سه : « ناراً » بالنصب .

ولِمَ صار العود يحمى إذا احتكّ بغيره ؟ ولِمَ صار الطَّلَقُ (1) لا يحمى ؟

فإن قلت لطبيعة هناك ، فهل دللتمونا إلا على اسم علّقتموه على غير معنى وجدتموه ؟ أوَلسنا قد وجدنا(2) عيون ماء حارة(3) وعيون ماء بارد ، بعضها يبرص(4) ويُنْفِط(5) الجلد ، وبعضها يُجمِدُ الدمَ ويورث الكُزَاز(6) ؟ أولسنا [قد(7)] وجدنا [عيون ريح ، و(8)] عيون نار ؟(9) فلِمَ زعمتم أن الريحَ والماء كانا مختفين(10) في بطون الأرض ، [و(11)] لم تجوزوا لنا مثل ذلك

---

(1) الطلق ، بالتحريك : حجر يتشظى إذا دق ، صفائح يتخذ منها مضاوٍ للحمامات بدلا من الزجاج . ويقال : «طلق» بالفتح ، أو هو لحن . وهو بالفارسية : «تلك» أو «تلك» وبالأوربية العلمية Talc أو Talcum متعادل مركب من (سليكات المغنيسيوم) . ومسحوقه تطلى به البشرة فيحفظها .

(2) س : «أو لسنا نجد» .

(3) ط ، هـ : «عيون ريح وعيون ماء حارة» وهو اضطراب . وفي هـ بعده : «وعيون نار» وذلك بإسقاط الكلام من «ماء بارد» إلى كلمة «نار» التالية .

(4) يبرص : يصيب بالبرص ، أبرصه : جعله أبرص . ولا يزال مثل هذا الزعم فاشيا بين العوام عندنا في مصر : أن من استعمل الماء الحمي بحرارة الشمس يصاب بالبرص . وفي الأصل : «الجلد» ، ولا وجه له .

(5) أنفطه : أصابه بالنفطة ، وهي في أصلها بثرة تخرج في اليد من العمل ملأى ماء . ط : «يتلف» والبيت ما في س ، إذ أن التلف أمر معنوي ، وهو أن يلحقه عيب ويلقه به . وفي عجائب المخلوقات ١٦٨ عند ذكر (عيون دوارق) : «ومن طلع فيها يحترق جميع بدنه ويتنفط» .

(6) في الحديث : «أن رجلا اغتسل فكزّ فمات» . الكزاز ، بالضم : داء يأخذ من شدة البرد ، وهو تشنج يصيب الإنسان .

(7) هذه الزيادة من س .

(8) هذه الزيادة من س . وعيون الريح هذه ناشئة من احتباس بعض الأبخرة الناجمة من تحلل مواد عضوية في باطن الأرض فتجمع حتى إذا ضاق بها المكان انفلتت واتخذت طريقا لها إلى ظاهر الأرض ، وقد بدت هذه الظاهرة الطبيعية في أيلنا هذه في بلدة «ميت الشيوخ» من أعمال فارسكور ، انظر الصحف المصرية الصادرة في القاهرة من ٢٦ رجب إلى ٢٦ شعبان سنة ١٣٦١ .

(9) عيون النار ، هي ما يسمونها : «البراكين» . والبركان عامية مأخوذة من : Volcano .

(10) ط : «مختفين» ، ووجهه ما أثبت من س ، هـ .

(11) ليست في الأصل .

فى النار ؟ وهل بين اختناق[1] الريح والماء فرق ؟ وهل الريح إلا هواء تحرَّكَ ؟ وهل بين المختنق والكامن فرق ؟

وزعم أبو إسحاق : أنه رمى برداثه فى بئر النبى صلى الله عليه وسلم التى من طريق مكة[2] ، فردّته الريح عليه .

وحدّثنى رجل من بنى هاشم قال : كنت بِرَامة[3] ، من طريق مكة فرميت فى بئرها ببعرة[4] فرجعت إلىّ ، ثم أعدتُها فرجعَتْ ، فرميت بعصاة فسمعتُ لها حريقاً[5] وخفيفاً[6] شديداً وشيها بالجولان ، إلى أن بلغَتْ قرار الماء .

وزعم أبو إسحاق أنه رأى عين نار فى بعض الجبال ، يكون دخانُها نهاراً وليلا . أو ليس الأصل الذى بُنى[7] عليه أمرُهم : أن جميع الأبدان

---

(١) ط : « اختلاف » تحريف .

(٢) جاء فى شفاء الغرام للفاسي (مجموعة تواريخ مكة ص ١٢٢ طبع ليبسك ١٨٦١) « ومنها بئر يقال لها : بئر النبى . والناس يستشفون بمائها . ولعلها — والله أعلم — السنبلة ، بئر خلف بن وهب الجمحى التى ذكرها الأزرقى وقال : يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم بصق فيها ، وأن ماءها جيد من الصداع » . وانظر أخبار مكة للأزرقى (٢ : ١٧٧) . ومن الآبار التى رووا أن النبى بصق فيها : « بئر بضاعة » بضم الباء . و « بئر غرس » . وكلاهما بالمدينة . انظر معجم البلدان فى رسمى (بضاعة ، غرس) وكذلك عجائب المخلوقات (فى الفصل الذى عقده للآبار) .

(٣) رامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة ، فى طريق البصرة إلى مكة .

(٤) سـ ، هـ : « ببعرة » .

(٥) الحريق ، بفتح الحاء المهملة : مصدر حرق الإنسان وغيره نابه : أى سحقه من الغيظ والغضب . ومثله الصريف ، وهو صوت الأنياب والأبواب . وذلك الصوت الذى سمعه من العصاة إنما هو لدفع الهواء إياها إلى أعلى ومحاولتها هى النزول . وفى الأصل : « خريقا » بالخاء المعجمة . وهو تحريف .

(٦) الخفيف : صوت الريح فى كل ما مرت به ، ودوى جرى الطائر والفرس ونحوهما سـ : « خفيقا » محرف .

(٧) سـ : « بنى » .

من الأخلاط الأربعة : من النار ، والماء ، والأرضِ ، والهواء ؟ ! فإذا رأينا موضعا من الأرض يخرج منه ماء قلنا : هذا أحد[١] الأركان ؛ فما بالُنا إذا رأينا موضعا من الأرض يخرج منه نار لم نقل مثل ذلك فيه ؟

ولمَ نقولُ[٢] في حجرَ النار إنه متى وُجد أخف من مقدار جسمه من الذهب والرَّصاص[٣] والزئبق ، إنما هو لما خالطَه من أجزاء الهواء الرافعة له ؟ وإذا وجدناه أغلظَ عُلوكة ، وأمتنَ متانة ، وأبعدَ من التهافتِ جعلنا ذلك لما خالطه من أجزاء الماء . وإذا وجدناه ينفض[٤] الشرر ، ويُظهرُ النار جعلنا ذلك للذي خالطه [من الهواء[٥]] ؟ ولمَ جعلناه إذا خف عن[٦] شيء بمقدار جسمه[٧] ، لما خالطه من أجزاء الهواء ، ولا نجعله كذلك لما خالطه من أجزاء النار ؟! ولا سيما إذا كانت العينُ تجدُه يقدَح بالشرر ، ولَمْ تجِدْ أجزاء الهواء فيه عندنا عيانا . فلمَ أنكروا ذلك ، وهذه القصة توافقُ الأصل الذي بَنَوْا عليه أمرهم ؟

قال : أو ليس من قوله أنه لولا النيرانُ المتحركة في جوف الارض ، التي منها يكون البُخَارُ ـ الذي بعضه أرضيٌّ وبعضه[٨] مائيٌّ ـ لم يرتفعْ ضبابٌ ، ولم يكن صواعق[٩] ولا مطرٌ ولا أنداء[١٠]

---

(١) ط : « أحدث » صوابه في سه ، هو .

(٢) في الأصل : « ولم لا تقول » . وكلمة « لا » مقحمة .

(٣) ط ، هو : « أو » .

(٤) ينفض الشرر ، يطايره . وفي الأصل : « ينقض » بالقاف .

(٥) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٦) في الأصل : « من » .

(٧) أي عن شيء هو في قدر جسمه . وفي الأصل : «لمقدار جسمه» باللام .

(٨) في الأصل : « بعضها » في الموضعين . والوجه ما أثبت . والضمير للبخار والمراد بالبخار الأرضي ما ينجم من الأرض الرطبة ، والمائي ما يصعد من المياه .

(٩) صواعق : جمع صاعقة . وفي الأصل : « صعقا » . وانظر الصفحة التالية .

(١٠) أنداء : جمع ندى ، وهو الماء يتجمع على الزهر ونحوه . وفي الأصل : « نداء » .

(الصواعق وما قيل فيها)

ومتى كان البخار حاراً يابساً قَدَحَ وقَذَفَ بالنار التي تسمى «الصاعقة» ، إذا اجتمعت تلك القوى في موضع منه . فإن كانت القوى ريحاً كان لها صوتٌ [1] ، وإن كانت ناراً كانت لها صواعقُ . حتى زعم كثير من الناس [أن بعض السيوف من نيران الصواعق [2]] ، وذلك شائع على أفواه الأعراب والشعراء . قال أبو الهَوْل الحِمْيَرِيّ [3] :

حاز صَمْصَامَةَ الزُّبَيْدِيِّ مِنْ بَيْـــنِ جميعِ الأنامِ موسى الأمينُ [4]

سيفُ عَمْرٍو ، وكانَ فيما سَمِعْنا خيرَ ما أُطْبِقَتْ عليه الجُفُونُ [5]

---

(١) يريد به صوت الرعد .

(٢) هذه التكملة من حواشي ثمار القلوب ٤٩٩ . وقد صرح البيروني في الجماهر ٢٤٦ بأن أهل الغزية وطبرستان ينسبون ما يجدونه في باطن الأرض من الزازيق والحراب النحاسية « إلى النزول من السماء بالصواعق » .

(٣) تقدمت ترجمته في (١ : ٢٦٠) وله مدائح في المهدي والهادي والرشيد والأمين . والأبيات التالية في ثمار القلوب ٤٩٨ ومروج الذهب (٢ : ٢٦٢) وإعجاز القرآن ١٩٠ وابن خلكان (٢ : ٢٠٤ — ٢٠٥) والشريشي (٢ : ٤٠٢) قال الثعالبي : « وذكر أبو هفان أن صاحب هذه القصيدة (ابن) يامين البصري » . وقد اعتمد هذه النسبة ابن خلكان .

(٤) الصمصامة : سيف عمرو بن معديكرب الزبيدي ، وكان حسن الاستهال له في الجاهلية كثير العناية به في الاسلام ، وقد وهبها عمرو لسعيد بن العاص عامل رسول الله على اليمن ، فلم يزل في آل سعيد إلى أيام هشام بن عبد الملك فاشتراه خالد القسري ، عامل خطير ، وأنفذه إلى هشام ، وكان قد كتب إليه فيه . فلم يزل عند بني مروان حتى زال الأمر عنهم ، ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدي فلم يجدوه ، وجد الهادي في طلبه حتى ظفر به ، فجرده ودعا بمكتل من دنانير وقال لحاجبه : إيذن لمن بالباب من الشعراء . فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فيه ، فقالوا وأطالوا ولم يأتوا بطائل ، فقام أبو الهول وأنشد قصيدته ، فقال الهادي : السيف لك والمكتل ! فأخذهما . وفي مروج الذهب أن الهادي اشتراه بعد ذلك بخمسين ألفا . وموسى هو الخليفة الهادي بن المهدي . توفي سنة ١٧٠ وله خمس وعشرون سنة .

(٥) جمع جفن ، وهو قراب السيف . ورواية ابن خلكان والثعالبي : « أغمدت »

أَوْقَدَتْ فوقَهُ الصواعِقُ ناراً   ثم ساطتْ به الزُّعافَ للمَنُونِ[(١)]

وقال منهم آخر :

يكفيك من قَلَعِ السماء عقيقةٌ   فوق الذِّراع ودون بَوْعِ البائعِ[(٢)]

قال الأصمعيّ : الانعقاق : تشقُّق البرق . ومنه وصف السيف بالعقيقة .

وأنشد[(٣)] :

٣٩ وسيفي كالعقيقةِ وهو كِمْعِي[(٤)]

وقال الأخطل :

وأرّقَنِي من بعد ما نِمْتُ نَوْمَةً   وعَضْبٌ إباطِي كالعقيق يَمَانِي[(٥)]

---

(١) السوط : الخلط . والزعاف : السم المريع القتل . ورواية ابن خلكان : « شابت فيه الزعاف القيون » .

(٢) القلع ، بالتحريك : جمع قلعة بفتحتين ، وهي السحابة الضخمة . وأراد بالعقيقة السيف . فوق الذراع : أى طوله فوق الذراع . وباع يبوع بوعا : بسط باعه . والباع : قدر مد اليدين وما بينهما من البدن . والبائع : من يبسط باعه . وفى الأصل « الباع » تحريف ، لأن بعده كما فى الجاهر ٢٥٠ وقد أنشده صاحب اللسان فى (٧ : ٣٩٤) :

ساقى الحديدة قد أضر بجسمه   طول الدياس وبطن طير جائع

(٣) القائل هو عنترة العبسى من قصيدة له فى ديوانه ١٠٨ — ١١٠ يهجو بها عمارة بن زياد العبسى .

(٤) الكمع ، بالكسر : أصل معناه الضجيع ، وأراد به الملازم . وتمام البيت :

سلاحى لا أَفَلَّ ولا فُطَارا

الأفل : المثلم . والفطار ، بالضم : الذى فيه صدوع وشقوق . والبيت فى اللسان (عقق ، كمع ، فلل ، فطر) .

(٥) العضب : السيف القاطع . إباطى : أى تحت إبطى . ونحوه قول المتنخّل الهذلى (اللسان ٩ : ١٢١ ، ١١ : ٢٩) :

شربت بجمه وصدرت عنه   وأبيض صارم ذكر إباطى

والعقيق هاهنا : البرق . ولم تذكر المعاجم فى هذه المادة بهذا المعنى إلا « العقيقة » ، و « العقق » بضم ففتح . ورواية الديوان ٢٢٤ : « وعضب جلت عنه القيون يمانى » .

وَنذكرُ بعونِ اللهِ وتأييده جُمْلَةً مِنَ القولِ في الماء ثمَّ نصير إلى ذكر ما ابتدأنا به ، من القول في النار

ذكروا أن الماء لا يغذو ، وإنما هو مَرْكَبٌ ومَعْبَرٌ ومَوْصِلٌ للغذاء . واستدلّوا لذلك بأن كلّ رقيق سيّال فإنك متى طبختَه انعقدَ ، إلا الماء ؛ وقالوا في القياس : إنه لا ينعقد في الجوف عند طبخ الكبد له ، فإذا لم ينعقدْ لم يجئْ منه لحمٌ ولا عظم . ولأنا لم نر إنسانا قطُّ اغتذاه[1] وثبت عليه روحُه وإن السمك الذي يموت عند فقده[2] لَيَغْذُوه سواه مما يكون فيه دونه .

قال خصمهم : إنما صار الماء لا ينعقد ، لأنه ليس فيه قُوًى مستفادةٌ مأخوذة من قُوى الجواهرِ . والماء هو الجوهرُ القابلُ لجميع القُوَى . فبضربٍ من القُوى والقبول يصير دُهنا ، وبضرب آخر يصير خَلًّا ، وبضرب آخر يصير دماً ، وبضرب آخر يصير لَبَنًا . وهذه الأمور كلها إنما اختلفت بالقُوى العارضة فيها . فالجوهرُ المنقلبُ في جميع الأجرام[3] السيَّالة ، إنما هو الماء . فيصير عند ضرب من القبول دُهنا ، وعند ضرب من القبول لبنا .

وعصير كل شيء ماؤه والقابل لِقُوى مافيه . فإذا طبختَ الماء صِرْفا ، سالما على وجهه ، ولا قُوًى فيه ، لم ينعقد وانحلّ بُخاراً حتى يتفانى وإنما ينعقد الكامن[4] من الملابس[5] له . فإذا صار الماء في البدنِ

---

(١) اغتذاه : أراد جعله غذاء له . والمعروف فيهما الفعل اللازم . والمثبت ما في س ، و ، وفي ط : « اغتذا » بإسقاط الهاء .

(٢) أي فقد الماء . وفيه ، أي في الماء أيضا .

(٣) الأجرام : الأجسام . ط ، و : « الأقسام » س : « الأجزاء » والوجه ما أثبت .

(٤) ط : « الكائن » صوابه من س ، و .

(٥) في الأصل : « الملامس » من اللمس . والوجه « الملابس » أي المخالط .

وحده [و[1]] لم يكن فيه قوى لم ينعقد . وانعقاده إنما هو انقياد ما فيه .
والماء لايخلو من بعض القَبُول ولكنّ البعض لاينعقد مالم يكثُر .

(استحالة الهواء إلى الماء وعكسه)

وزعم أصحاب الأعراض[2] أن الهواء سريعُ الاستحالة إلى الماء ، وكذلك الماء إلى الهواء ، للمناسبة التي بينهما من الرطوبة [و[3]] الرقة . وإنهما غير سيَّارين . ويدل على ذلك اجتذابُ الهواء الماء ، وملابسته له ، عند مَصِّ الإنسانَ بفيه[4] فمَ الشَّرابة[5] . ولذلك سَرَى الماء وجري في جوف قَصَبِ الخيزُرانِ ، إذا وضَعْتَ طرفه في الماء .

وكذلك الهواء ، فيه ظلامُ الليل وضياء النهار وما كان فيه من الأشباح . والحدَقة[6] لاترى من الضياء العارض في الهواء ما تباعد منها .

(ألوان الماء)

والماء يرقّ فيكون له لون[7] ، [و[8]] يكون عمقه مقداراً عَدْلاً[9]
٣٢ فيكون له لون ، فإن بعد غَوْرُه وأفرط عمقه رأيته أسودَ .

---

(١) ليست في الأصل .
(٢) سبق الحديث عنهم في التنبيه الثامن ص ٥ .
(٣) هله من سه .
(٤) في الأصل : « عند مس الانسان إليه » ، وانظر التنبيه التالي .
(٥) الشرابة ، هي في مفاتيح العلوم ١٤٤ : « السحارة » قال : « هي التي تسميها العامة سارقة الماء ، أعني الأنبوبة المعطوفة المعمولة من زجاج أو غيره ، فيوضع أحد رأسيها في الماء أو غيره من الرطوبات المائية ، ويمص الرأس الآخر إلى أن يصل الماء إليه وينصب منه ، فلا يزال يسيل إلى أن ينكشف رأسه الذي في الماء » .
(٦) الحدقة ، محركة : سواد العين . وفي الأصل : « الحذقة » بالذال .
(٧) في الأصل : « ومن » وهو تحريف لا يلائم السياق .
(٨) ليست بالأصل .
(٩) أراد بالعدل هنا الوسط . ط : « مقدار أعدل » صوابه في س ، ه .

وكذلك يحكون عن الدُّرْدُور[1] .

ويزعمون أن عين حوارا[2] ترمى بمثل الزنوج .

فتجدُ الماء جنساً واحداً ، ثم تجد ذلك الجنسَ أبيضَ إذا قلَّ عمقه ، وأخضرَ إذا كان وسطاً ، وأسودَ إذا بعدَ غَوْرُه .

(تحقيق فى لون الماء)

ويختلف منظرهُ على قدر اختلاف إنائه وأرضه ، وما يقابله . فدلَّ ذلك على أنه ليس بذى لون ، وإنما يعتريه فى التخييل لونُ ما يقابله ويحيط به . ولعلَّ هذه الأمور إذا تقابلت أن تصنع فى العينِ أموراً ، فيظنَّ الإنسان مع قُرب المجاورةِ والالتباس ، أن هذه الألوان المختلفة إنما هى لهذا الماء الرائق الخالص ، الذى لم ينقلب فى نفسه ؛ ولا عَرَضَ له ما يقلبه . وكيف يعرض[3] له ويقلبه وعينُ كل واحد منهما غيرُ عينِ صاحبه ؟ وهو يرى الماء أسودَ كالبحر ، متى أخذ منه أحدٌ غُرفة رآه كهيئته إذا رآه قليل العُمق .

(تشابه الماء والهواء)

ويتشابهان[4] أيضاً لسُرعة قبولها للحر والبرد ، والطِّيبِ والنَّتْن ، والفساد والصلاح .

---

(١) الدردور ، بضم الدالين بينهما راء ساكنة : موضع فى وسط البحر يجيش ماؤه ، لا تكاد تسلم منه السفينة ، وهو فى اللغة الفارسية بهذا اللفظ والمعنى . استينجاس ٥١١ وهو الذى تدعوه العامة : « الدوامة » : Whirlpool . وانظر عجائب المخلوقات ١٠٧ عند الحديث فى (بحر الصين) وما فيه من الدردور .

(٢) لم أجد ذكرا لهذه العين فيما لدى من المراجع ، ولم أهتد إلى تحقيقها .

(٣) فى الأصل : « يعترض » .

(٤) ط، سو : « يتشابها » هو : « ويتشابها » ووجهه ما أثبت . والضمير الماء والهواء .

(حجة للنظام فى الكمون)

قال أبو إسحاق : قال الله عزّ وجلّ [عند[1]] ذكر إنعامِه على عباده وامتنانه على خلقه ، فذكَر ما أعانهم به من الماعون[2] : ﴿ أفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أأنْتُمْ أنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أمْ نَحْنُ المُنْشِئُونَ[3] ﴾ ، وكيف قال « شَجَرَتَها » وليس فى تلك الشجرة شىء . وجوفها وجوفُ الطَّلْقِ[4] فى ذلك سواء . وقدرة الله على أن يَخلق النار عندَ مسّ الطَّلَق ، كقدرته على أن يخلقها عند حكّ العود . وهو ، تعالى وعز ، لم يُرِد فى هذا الموضع إلا التعجيبَ[5] من اجتماع النار والماء .

وهل بين قولكم فى ذلك وبين من زعم أن البذرَ[6] الجيِّد والردىَ والماء العذب والملح ، والسَّبَخَةَ[7] والخَبِرَة[8] الرَّخوة ، والزمان المخالفَ والموافقَ ، سواء ، وليس بينها[9] من الفرْق إلا أن الله شاء أن يخلق عند اجتماع هذه[10] ﴿ حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا[11] ﴾ دون تلك الأضداد .

---

(١) الزيادة من س ، ه .

(٢) الماعون : ما يستعان به كالقدر والفأس والدلو والقصعة .

(٣) سورة الواقعة الآية ٧١ ، ٧٢ .

(٤) الطلق ، من تفسيره فى التنبيه ١ ص ٨٤ .

(٥) عجبه تعجيبا : نبهه على التعجب وحمله عليه . ط ، ه : « التعجيز » س : « التعبير » صوابهما ما أثبت .

(٦) البذر : حب الزرع . وفى الأصل : « البدن » وهو تحريف .

(٧) السبخة ، محركة ومسكنة : أرض ذات نز وملح . جمعها سباخ . س : « السخنة » تحريف .

(٨) الخبرة بفتح فكسر : شجراء فى بطن روضة يبقى فيها الماء إلى القيظ . وفى الأصل : « الحرة » ، وهى بفتح الحاء وتشديد الراء : أرض ذات حجارة سود نخرات كأنها أحرقت بالنار . والصواب ما أثبت .

(٩) فى الأصل : « بينهما » بضمير الاثنين ، والحق أن الضمير عائد إلى الجميع .

(١٠) أى البذر الجيد ، والماء العذب ، والزمان الموافق .

(١١) الآيات ٢٧ — ٢٩ من سورة عبس .

ومن قال بذلك وقاسه[1] فى جميع ما يلزم من ذلك ، قال كقول الجهميّة فى جميع المقالات ، وصار إلى الجهالات ، وقال بإنكار الطبائع والحقائق .

وقال الله عز وجل : ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ[2] ﴾ .

ولو كان الأمر فى ذلك على أن يخلقها[3] ابتداء لم يكن بين خلقها عند أخضر الشجر وعند اليابس الهشيم فرق[4] ، ولم يكن لذكر الخضرة الدالة على الرطوبة معنًى .

(تعقيب)

وقد ذكرنا جملةً من قولهم فى النار . وفى ذلك بلاغ لمن أراد معرفة هذا الباب . وهو مقدارٌ قصدٌ ، لا طويلٌ ولا قصير .

فأما القولُ فى نار جهنم ، وفى شُواظها[5] ودوامها وتسعُّرها وخبوِّها[6] والقول فى خلق السماء من دُخَان والجانّ من نار السَّموم[7] ، وفى مَفْخَر ٣٣

(١) فى الأصل : «وقاده» . وانظر مثل ما صححته به فى ص ٩ س ٥ .

(٢) الآية ٨٠ من سورة يس . وفى الأصل : «هو الذى» بزيادة «هو» وذلك سهو مستنكر من الجاحظ نبهت على نظائره فى (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ و ٥ : ٣٢) والحمد لله . وفى تفسير أبى حيان (٧ : ٣٤٨) : أن الأعراب تورى النار من الشجر الأخضر وأكثرها من المرخ والعفار ، يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين ، وهما أخضران يقطر منهما الماء ، فيسحق المرخ ، وهو ذكر ، والعفار ، وهو أنثى ، فتقدح النار بإذن الله .

(٣) فى الأصل «يخلقهما» وإنما الضمير للنار .

(٤) فى الأصل : «عند اخضرار الشجر اليابس الهشيم فرق» وفيه تحريف ونقص .

(٥) شواظ النار : لهبها الذى لا دخان فيه . وسيأتى الحديث عن الشواظ فى ص ٩٩ . وفى الأصل : «وبهوادها» .

(٦) خبوها : سكون لهبها . وفى الكتاب العزيز : «كلما خبت زدناهم سعيرا» . سورة الإسراء ٩٧ .

(٧) السموم : الريح الحارة ، أو نار لا دخان لها ، انظر تفسير البحر (٥ : ٤٥٣) .

النار على الطين ، وفى احتجاج إبليس بذلك — فإنا سنذكر من ذلك جملة فى موضعه ، إن شاء الله تعالى .

(ما قيل فى حسن النار)

ونحن راجعون فى القول فى النار إلى مثل ما كنا ابتدأنا به القول فى صدر هذا الكلام ، حتى نأتى من أصناف النيران على ما يحضرنا ، إن شاء الله تعالى

قالوا : وليس فى العالم جسمٌ صِرْفٌ غير ممزوج ، ومرسلٌ غير مركب ، ومُطلق القُوَى ، غير محصور ولا مقصور[1] أحسنُ من النار .

قال : والنار سماوية عُلْوية ؛ لأن النار فوق الأرض ، والهواء فوق الماء ، والنار فوق الهواء .

ويقولون : « شراب كأنه النار » ، و « كأن لونَ وجهها النار » . وإذا وصفوا[2] بالذكاء قالوا : « ما هو إلا نار » وإذا وصفوا حمرة القِرمِز[3] وحمرة الذهب قالوا : « ما هو إلا نار » .

قال وقالت هند[4] : « كنتُ والله فى أيام شبابى أحسنَ من النار الموقَدَة[5] ! » .

---

(١) مقصور : أى محبوس . وفى الأصل : « ممسور » تحريف .

(٢) فى الأصل : « وصفوه » .

(٣) القرمز ، كما فى اللسان : « صبغ أرمنى أحمر ، يقال : إنه من عصارة دود يكون فى آجامهم ، فارسى معرب » . ونحوه فى المعرب ٢٧١ . وقد تكلمت به العرب قديماً كما فى المعرب ٢٦٩ وجمهرة ابن دريد (٣ : ٣٧٣) . وقد وصفه داود الأنطاكى وصفاً مشبعا . وقال : « وأكثر ما يتولد بقبرس » ، وكذلك وصفه استينجاس فى معجمه ٩٦٦ بأنه حشرة تتولد على شجر عاص ، ولفظه فى الفارسية كلفظه فى العربية . وفى ط ، هو : « القرش » صوابه فى س .

(٤) هى هند بنت الخس ، وقد نعتها الجاحظ فى البيان (١ : ٢٠٥) نعتا عجيباً ، وتسمى أيضاً « هند الزرقاء » . والخبر فى ثمار القلوب ٤٦٠ مسبوقا بعبارة « وقالت أخرى » وفى محاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « وقالت امرأة » .

(٥) عبارة الثعالبى : « كنت فى أيام شبابى أحسن من النار الموقدة » . وفى المحاضرات : « أنا والله أحسن من النار الموقدة » : وفى أصل الحيوان : « هذا والله وأنا أحسن من النار الموقدة » . وقد أصلحت الكلام من النصين السابقين .

وأنا أقول : لم يكن بها حاجةٌ إلى ذكر «للوقدَة» وكان قولها : «أحسنَ من النار» يكفيها . وكذلك اتهمتُ هذه الرواية[١] .

وقال قُدَامة حكيم المشرق[٢] في وصف الذِّهن[٣] : «شُعاعٌ مركوم[٤] ونَسَمٌ معقود[٥] ، ونور بصاص[٦] . وهو النار الخامدة[٧] ، والكبريت الأحمر[٨] » .

وبما[٩] قال العتّابي[١٠] : «وجمالُ كل مجلس بأن يكون سَقْفهُ أحمرَ ، وبساطُه أحمر» .

---

(١) هذه الجملة ساقطة من صه .

(٢) ليس هو قدامة بن جعفر بن قدامة صاحب نقد الشعر ، ونقد النثر ، فذا توفى حوالى سنة ٣٣٧ . وقد يكون الجاحظ أراد «قدامة» جد هذا ، ولكنى لم أجد ما أتحقق به ولم أجد ذكراً له فيما لدى من المراجع ، ولم يذكره ابن أبى أصيبعة . وانظر نقد النثر ص ٣٣ من المقدمة . وقد ذكر الجاحظ «قدامة» مرة أخرى فى كتاب فخر السودان من مجموعة الرسائل ص ٦٦ ساسى عند الحديث على قبة حصن غمدان . قال : «وفيها يقول قدامة حكيم المشرق — وكان صاحب كيمياء — :

فلوقد فيها ناره ولو أنها أقامت كعمر الدهر لم تتضرم»

(٣) الذهن ، أى الفكر . صه : «الذهن» محرف . وفى محاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) «اللهب» تصحيف .

(٤) مركوم : مجموع .

(٥) النسم ، بالتحريك : نفس الريح إذا كان ضعيفاً . وهو النسيم أيضاً . وفى المحاضرات «نسيم» .

(٦) البصاص : البراق . بص يبص ، بكسر الباء .

(٧) النار الخامدة : التى لا لهب لها . ط ، هو : «الجامدة» بالجيم ، س : «الحامية» صوابهما ما أثبت .

(٨) الكبريت الأحمر ، يدخل فى عمل الذهب عند أهل الصنعة ، انظر الجماهر ١٠٢ والمواقف للإيجى ٢٢٨ ، ويسمونه : حجر الفلاسفة . The Philosopher's stone كما فى معجم استينجاس ١٠١٢ ، وانظر الكلام على «حجر الصنعة» فى مفاتيح العلوم ١٥٠ . أراد أن الذهن يبدع أموراً نفيسة كما يبدع الكبريت ، هذا الحجر ، الذهب ، فيما يرى الحكماء . وقد ضربه الأدباء مثلا للندرة فقالوا : «أندر من الكبريت الأحمر !» . وبه لقب شيخ الصوفية محيى الدين بن عربى .

(٩) فى الأصل : «وربما» .

(١٠) هو كلثوم بن عمرو العتابى ، وقد سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٩٦) وكان شاعراً =

وقال بشار بن بُرْد :

هِجانٌ عليها حُمْرة في بياضها ... تَرُوق بها العينين والحسنُ أحمرُ (١)

وقال أعرابيٌّ :

هِجانٌ عليهـا حمرةٌ في بياضها ... ولا لون أدنَى للهجان من الحُمْرِ

(تعظيم الله شأن النار)

قال : ومما عظم الله به شأن النار أنها تنتقم في الآخرة من جميع أعدائه . وليس يستوجبها بَشَرِيٌّ من بَشَرِيٍّ ، ولا جنيٌّ من جنيٍّ (٢) بضغينة ولا ظلم ، ولا جناية ولا عُدْوان ، ولا يستوجب (٣) النار إلا بعداوة الله عز وجلّ وحده ، وبها يَشْفِي صدورَ أوليائه من أعدائهم في الآخرة

(عظم شأن ما أضيف إلى الله)

وكل شيء أضافه الله إلى نفسه فقد عظَّمَ شأنه ، وشدَّد أمره . وقد فعَل ذلك ، بالنار فقالوا بأجمعهم : دَعْهُ في نار الله وسقَرِه (٤) ، وفي غضب

= ثأرا . وفيه يقول يحيى بن خالد البرمكي لولده : « إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتابي فضلا عن رسائله وشعره فلن تروا أبدا مثله ! » الأغاني (١٢ : ٤) .

(١) الهجان : البيضاء ، يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع ؛ ويفهم من صنيع الجاحظ أنه أورد المثل بمعنى أن الحسن في الحمرة . ونظيره – وإن لم يكنه – تأويل أبي الفتح في أمثال الميداني (١ : ١٨١) . وفي الجماهر للبيروني ٢٢٤ : « فخلو البياض عن الحمرة غير مستحسن في أبشار البشر . ولأجله قالوا : الحسن أحمر » واستشهد بهذا البيت ، وكذا بقوله :

وإذا دخلت تقنعي بالحسن إن الحسن أحمر

لكنه فسر أيضا بمعنى أن من طلب الجمال احتمل المشقة ، أو أنه يلقى منه ما يلقى صاحب الحرب من الحرب .

(٢) من ، في هذا التعبير بمعنى البدل ، وفي الكتاب : « أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » .

(٣) ط : « تستوجب » وتقرأ بالبناء للمجهول . وأثبت ما في س ، هو وثمار القلوب ٤٥٤ .

(٤) سقر : علم لنار الآخرة . اختلف في عربيته . س : « وفي سقره » بزيادة « في » .

الله ولعنته ، وسَخَط الله وغضبه . هما ناره أو الوعيدُ بناره ، كما يقال : بيتُ الله ، وزُوّار الله[1] ، وسماء الله ، وعرشُ الله .

(المنّة الأولى بالنار)

ثم ذكرها فامتنّ بها على أهل الأرض من وجهين : أحدهما قوله عز وجل : ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ[2] ﴾ فجعلَها من أعظم الماعون معونة ، وأخفها مؤونة .

(استطراد لغوىّ)

والماعون الأكبر : الماء والنار ، ثم الكَلَأ والملح .

قال الشاعر فى الماعون بيتاً جامعاً ، أحسن فيه التأدية حيث قال :

لا تَعْدِلَنّ أتاوِيِّينَ قد نزلوا   وَسْطَ الفَلَاةِ بأصحابِ المُحِلّاتِ[3]

والمُحِلّات هى الأشياء التى إذا كانت مع المسافرين حَلّوا حيثُ شاءوا ، وهى القَدّاحة ، والقِرْبة ، والمِسْحاة[4] . فقال : إياك أن تَعدِل ، إذا أردت النُّزول ، مَنْ مَعَهُ أصنافُ الماعونِ بأتاوِيّين ، يعنى واحداً أتى مِنْ هاهنا ،

---

(١) زوار الله : أى زوار بيته ، وهم الحجاج . وقد سبق مثل هذه المضافات فى (١ : ٣٤١ و ٢ : ١٨١ - ١٨٢) .

(٢) الآية ٨٠ من سورة يس . وقد تقدم القول فيها فى التنبيه ٢ ص ٩٣ .

(٣) الأتاوى ، بفتح الهمزة : الغريب فى غير وطنه . وفى الأصل : « بآلات محلات » صوابه فى البيان (٣ : ٢٣) والمخصص (١٣ : ٢٢٥) واللسان (حلل ، أتو) ومحاضرات الراغب (٢ : ١٦١) . وصدر البيت فى جميعها :

« لا يعدلن أتاويون تضربهم   نكباء صر . . . » . فهى هذه قد حذف المفعول : أى لا يعدلن أتاويون (أحدا) بأصحاب المحلات ، أى أنهم يحسدون على أصحاب المحلات ولا يرون أحداً ينفع نفعهم . وقرئت هذه الرواية بالبناء للمفعول : أى ليس هؤلاء كهؤلاء .

(٤) فى المخصص أنها : « القدر والرحى والدلو والشفرة والفأس » ، وفى البيان أنها : « الدلو والمقدحة والقربة والفأس » . وفى اللسان أنها : « القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفأس والزند » .

وآخر أتى من هاهنا . كأنهم جماعةٌ التقَوا من غيرِ تعريف بنسب ولا بلد وإذا تجمعوا أفذاذاً[١] لم يكمل كلّ واحدٍ منهم خصال الخِلاّت .

قال أبو النجم[٢] :

يَضْمَنَّ بالقفرِ أتاوِيَّاتِ[٣] مُعْتَرِضَاتٍ غَيْرَ عُرْضِيَّاتِ[٤]

وقالت امرأة من الكفار، وهي تحرّض الأوسَ والخزرجَ ، حين نزل فيهم النبي ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه[٥] :

أطَعْتُمْ أتَاوِيَّ مِنْ غَيْرِكُمْ فَلاَ مِنْ مُرَادٍ وَلاَ مَذْحِجِ

ولم تُرِدْ أنهما[٦] أشرفُ من قريش ، ومن الحيَّيْن كعبٍ وعامر . ولكنها أرادت أن تؤلِّبَ[٧] وتُذْكِيَ العصبيّة[٨] .

---

(١) الفذ : الفرد ، جمعه أفذاذ وفذوذ .

(٢) نسبه في اللسان (٩ : ٤١ و ١٨ : ١٦) إلى حميد الأرقط ، وهو شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصراً للحجاج . انظر لترجمته الخزانة (٢ : ٤٥٤ بولاق) . ولم أجد له في الأغاني إلا أنه كان أحد بخلاء العرب الأربعة ، وهم : الحطيئة ، وحميد الأرقط ، وأبو الأسود الدؤلي ، وخالد بن صفوان . الأغاني (٢ : ٤٤ ساسي) .

(٣) يضمن ، من الوضع : وهو ضرب من العدو فوق الخبب . ورواية اللسان : « يصبحن » . والأتاويات : الغريبات ، أي غريبات لتقدمهن وسبقهن صواحبهن .

(٤) معترضات : أي نشيطات لم يكسلهن السفر . غير عرضيات : أي من غير صعوبة ، بل ذلك النشاط من شيمهن . وفي ط ، هـ « وغير عرضيات » . وفي هـ : « غيرها عريضات » صوابهما من اللسان (٩ : ٤١ و ١٨ : ١٦) . والبيتان على هذا الترتيب في الموضع الأول من اللسان ، وعلى عكسه في الموضع الثاني .

(٥) في اللسان (١٨ : ١٦) : « ومنه قول المرأة التي هجت الأنصار » . وهذه المرأة هي عصماء بنت مروان ، وهي من بني أمية بن زيد . وكانت إحدى المنافقات اللاتي ظهرن في عهد الرسول ، وقالت أربعة أبيات تعيب فيها الإسلام وأهله . والبيت الذي رواه الجاحظ ثانيها . وانظرها بتمامها في السيرة ٩٩٥ جوتنجن . وقد أجابها حسان بشعر ، ثم سرى عليها عمير بن عدي الخطمي فقتلها في بيتها ، وكان مقتلها سبباً في إسلام كثير من أهلها .

(٦) أي قبيلتي مراد ، ومذحج .

(٧) التأليب : التجميع على عداوة ، والتحريض . هـ ، ط : « وتولب » بالتسهيل .

(٨) تذكي العصبية : تشعل نارها ، وفي الأصل : « تذكر » ولعل وجهه ما أثبت .

(اختيار ما تبنى عليه المدن)

وقالوا : لا تُبْتَنَى المدنُ إلا عَلَى الماء والكلإ والمحتطب . فدخلت النار في المحتطَب ؛ إذ كان كلُّ عود يورِي .

(المنّة الثانية بالنّار)

وأما الوجه الآخرُ من الامتنان بها ، فكقوله تعالى : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ[1]﴾ ثم قال على صِلَة الكلام : ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ . وليس يريد أنّ إحراقَ الله عز وجلّ العبدَ بالنار من آلائه ونعمائه . ولكنه رأى[2] أن الوعيدَ الصادق إذا [كان[3]] في غاية الزجر عما يُطْغيه ويُرْدِيه[4] فهو من النعم السابغة والآلاء العظام . وكذلك نقول في خلقِ جهنم : إنها نعمة عظيمةٌ ، ومِنّةٌ جليلةٌ ، إذا كان زاجراً[5] عن نفسه ناهياً ، وإلى الجنة داعياً . فأما الوقوع فيها فما يُشَكُّ أنه البلاء العظيم .

وكيف تكونُ النقمُ نِعَماً ! ولو كانت النقمة نعمةً لكانت رحمة ، ولكان السّخط رضا[6] وليس يَهْلِكُ عَلَى[7] البينة إلا هالك . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ[8]﴾ .

---

(١) الآية ٣٥ من سورة الرحمن . والنحاس ، بالضم : اللهب بلا دخان .

(٢) في ثمار القلوب ٧٤٥ : « أراد » وهو أوفق ، وإن كان المؤدى واحدا .

(٣) ليست من س و ثمار القلوب .

(٤) يرديه ، من الردى وهو الهلاك . وفي الأصل : « يؤذيه » صوابه في ثمار القلوب .

(٥) ط ، هو : « زجرا » صوابه في س .

(٦) ط ، س : « رضي » .

(٧) على ، هنا ، بمعنى المجاوزة . وهي تؤدي معنى « عن » في الآية التالية .

(٨) الآية ٤٢ في سورة الأنفال . و « عن » في الآية بمعنى « بعد » . وفي الكتاب : « عما قليل ليصبحن نادمين » ، « لتركبن طبقا عن طبق » .

(عظات الحسن البصرى)

وقال الحسن : « واللهِ يا ابنَ آدم ، ما توبِقُكَ إلا خطاياك ! قد أُريدَ بك النجاةُ فأبيتَ إلا أن توقِعَ نفسَك » !

وشهد الحسنَ بعضَ الأمراء ، وقد تعدّى إقامةَ الحدّ ، وزاد فى عددِ الضرب ، فكلمهُ فى ذلك ، فلما رآهُ لايقبلُ النصح قال : أمَا إنكَ لاتضرِبُ إلا نفسكَ ، فإن شئتَ فقَلِّلْ ، وإن شئتَ فكثِّرْ .

وكان كثيراً ما يتلو عند ذلك : ﴿ فمَا أصبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ[1] ﴾ .

(عقاب الآخرة وعقاب الأولى)

والعقاب عقابان : فعقاب آخرةٍ ، وعقابُ دنيا . فجميعُ عقاب الدنيا بَلِيّةٌ منْ وجه ، ونعمةٌ من وجه ؛ إذ كان يؤدّى إلى النعمة وإن كان مؤلما . فهو عن المعاصى زاجرٌ ، وإن كان داخلا فى باب الامتحان والتعبُّد، مع دخوله فى باب العِقاب والنعمة ؛ إذ كان زجراً ، وتنكيلا لغيره . وقد كلَّفنا الصبرَ عليه ، والرضا به ، والتسليمَ لأمر الله فيه .

وعقاب الآخرة بلاء صِرْف ، وخزىٌ بَحْت . لأنه ليس بِمَخْرَجٍ منه[2] ، ولا يحتمل وجهين .

(معارف فى النار)

وقال أبو إسحاقَ : الجمر[3] فى الشمس أصهب ، وفى الفىء أشكل[4] ، وفى ظلّ الأرض ــ الذى هو الليل ــ أحمر . وأىُّ صوتٍ خالطته النار فهو

---

(١) من الآية ١٧٥ فى سورة البقرة .

(٢) ط ، س : « بمخروج » وأثبت ما فى ه . وكلمة «منه» ساقطة من س ، ه .

(٣) فى الأصل : « الجمرة » صوابه ما كتبت .

(٤) الصهبة : بياض تخالطه حمرة . والشكلة : سواد تخالطه حمرة .

أشد الأصوات ، كالصاعقة ، والإعصار الذى يخرج من شق البحر[1] ، وكصوت المُوم[2] ؛ والجذْوة من العود إذا كان فى طرَفه نار ثم غمسته[3] فى إناء فيه ماء نَوّى مُنقع .

ثم بالنار يعيشُ أهلُ الأرض من وجوه : فمن ذلك صنيعُ الشمس فى بردِ الماء والأرض ؛ لأنها صِلاء جميع الحيوان ، عند حاجتها إلى دفع عادية البردِ . ثمّ سراجهم الذى يستصبحون به ، والذى يميزون بضيائه بين الأمور .

وكلُّ بخار يرتفع من البحار والمياهِ وأصول الجبال ، وكل ضباب يعلو ، وندًى يرتفع ثم يعود بركة ممدودة على جميع النبات والحيوان — فالماء الذى يحلّه ويلطّفه ، ويفتحُ له الأبوابَ ، ويأخذُ بضَبْعه[4] من قعر البحر والأرضِ النار[5] المخالطة لهما من تحتُ والشمسُ من فوق .

(عيون الأرض)

وفى الأرض عيونُ نار ، وعيونُ قَطِران ، وعيون نِفْط وكباريت[6] وأصناف جميع الفِلِزّ[7] من الذهب والفضة والرّصاص والنُّحاس . فلولا

---

(١) الشق ، بالكسر : الناحية والجانب . عنى الأعاصير الجنوبية التى تهب من قبل بحر فارس ، وهو فى المنطقة الحارة .

(٢) المُوم ، بالضم : الشمع ، فارسى معرب . وفى الأصل : « المرم » .

(٣) ط : « غمسه » صوابه من س ، ه .

(٤) الضبع ، بالفتح : العضد كلها أو أوسطها . وأخذ بضبعه : علاه .

(٥) كلمة « النار » هى خبر « الذى » .

(٦) كباريت : جمع كبريت . وفى اللسان : « الليث : الكبريت عين تجرى ، فإذا جمد ماؤها صار كبريتا أبيض وأصفر وأكدر » .

(٧) الفلز : جواهر الأرض كلها ، وهو بكسر الفاء واللام وتشديد الزاى ، وكهجف وحل : (Metal) وهو لفظ عربى . وفى حديث على : « من فلز اللجين والعقيان » وفى الحديث : « كل فلز أذيب » هو من ذلك . وقد نقل بلفظه إلى الفارسية . انظر استينجاس ٩٢٧ .

مافى بطونها من أجزاء النار لما ذَابَ فى قعرها جامدٌ ، ولَمَا انسبكَ فى أضعافها شيءٌ من الجواهر ، ولَمَا كان لمتقاربها جامع ، ولمختلفها مفرِّق[1] .

(ما قالت العرب فى الشمس)

قال : وتقول العرب « الشمسُ أرحَمُ بنا[2] » .

وقيل لبعض العرب : أىُّ يوم أنفع[3] ؟ قال : يومُ شَمَال وشَمْس .

وقال بعضهم[4] لامرأته .

تَمَنَّيْنَ الطَّلاَقَ وأنتِ عِنْدِى بِعَيْشٍ مثلِ مَشْرَقَةِ الشَّمَالِ[5]

وقال مُحَرِّ : « الشمسُ صِلاَءُ العرب » . وقال عُمَرُ : « العربىُّ كالبعير ، حيثما دارت الشمسُ استقبلَها بهامَتِه » .

---

(١) أى أن النار تجمع الجواهر المتقاربة ، وتفرق الجواهر المختلفة . قال البيروني فى الجماهر ٢٦٥ : « والطبيعيون بأسرهم مجمعون على تحديد الحرارة والنار بأنها الجامعة للأشياء المتجانسة ، والمفرقة بين غير المتجانسة . ومثله الكندى شارحا فقال : « من خاصية النار جمع أجزاء كل واحد من الأجساد المعدنية جملة واحدة محدودة ، وتفريق الممتزجة منها إذا اختلفت جواهرها . لأنها تحرق ما لاقت على قدر من الزمان ، فإذا لاقتهما ممتزجين أقبلت على إحالة أضعفهما بالاحتراق حتى تفنيه ويبقى الأقوى » . وفى المواقف ١٢٢ : « قال ابن سينا : الحرارة تفرق المختلفات ، وتجمع المتماثلات » . وقد تحدث الإيجى فى تفصيل هذا الكلام وتحقيقه . وفى أصل الحيوان : « لقواها جامع » واختلفت النسخ فى الجملة بعدها ، ففى ط : « ولجنها مفرق » هو : « ولجنبها مفرق » س : « ولجنبها ملزق » وقد صححه بما ترى .

(٢) انظر تعليق الجاحظ على هذا التعبير ونحوه فى (٢ : ٢٦٥) وهو تعليق طريف .

(٣) هو : « أوفق » .

(٤) فى عيون الأخبار (٤ : ١٢٥) : « وقال أعرابى » . والبيت فى المخصص (٩ : ٢٣) ومختصر تهذيب الألفاظ ٢٣٤ .

(٥) مشرقة الشمس ، بفتح الميم وتثليث الراء : موقعها فى الشتاء وحفوها ، وهو الموضع الذى تشرق عليه . والشمال : الريح الشمالية ، وهى ريح باردة . ط : « تبغى » س ، هو : « نعيش » صوابهما من المصادر السابقة . والرواية فى جميعها عدا عيون الأخبار : « تريدين الفراق » . وفى جميعها عدا مختصر تهذيب الألفاظ : « وأنت منى » .

ووصف الرّاجز[١] إبلا فقال :

تستقبل الشمسَ بجُمْجُماتها[٢]

وقال قَطِران العبسىّ[٣] :

بمستأسد القُرْيانِ حُوٍّ تِلاعهُ ... فنوّارُهُ مِيلٌ إلى الشمس زاهرُهْ[٤] ٣٦

(الخِيرِىّ)

والخِيرِىُّ[٥] ينضمّ ورقُه بالليل ، وينفتح بالنهار .

---

(١) هو عمر بن لجأ التيمي . وفي الأصمعيات ٢٠ : « وقال ابن نجاء التيمي » صوابه ما أثبت وقد تقدمت ترجمته في (٢ : ٢١٢) . والبيت من أرجوزة عدتها أحد عشر بيتا في وصف الإبل ، أولها :

أنعتها إني من نعاتها

(٢) رواية الأصمعيات : « واتقت الشمس بجمجماتها » .

(٣) كذا في الأصل ، والبيت من قصيدة للحطيئة العبسي من قصيدة له في ديوانه ٨ — ١٢. وأما القطران فلم أعثر له على ترجمة إلا ما ذكر صاحب اللسان أنه سمي بذلك لقوله .

أنا القطران والشعراء جربى ... وفي القطران للجربى هناء

(٤) استأسد النبت : طال. والقريان ، بضم القاف : جمع قري ، كغني ، وهو مسيله من التلاع . والحو : جمع أحوى ، وفي الديوان : « حو نباته » . والنوار ، كرمان : جمع نوارة ، وهي الزهرة . ميل ، بالكسر : جمع مائل وزنه فعل بضمتين ثم أعل . وجمع فاعل على فعل له نظائر في كتاب سيبويه (٢ : ٢٠٦ س ١٠ — ١٢) وأتى به جمعا ، لتقدير الزاهر بمعنى الزاهرات ، وبهذا استشهد ابن جني لتأويل قول ساعدة بن جؤية : « شباب تنتحيه الريح ميل » . انظر اللسان (١٤ : ١٥٩) . قال : « وقد يجوز أن يكون ميل واحدا كنقض ونضو ومرط » . والزاهر : المشرق الحسن .

(٥) الخيري ، بكسر أوله : نبات له زهر بعضه أبيض ، وبعضه فرفيري ، وبعضه أصفر كما في المعتمد ، ويقال له : المنثور (Cheiranthus cheiri) ولم أجد له ذكرا في اللسان والقاموس ، مع أن الجوهري ذكره في آخر مادة (خير) من الصحاح وقال : إنه معرب . وقد أخذه العرب عن الفارسية أو عن اللاتينية ، ولفظه بالفارسية كلفظه بالعربية مع تخفيف الياء الأخيرة . وقد عد استينجاس من أنواعه في ٤٩٢ : خيري خزامي ، ولونه أحمر وأبيض ، وخيري خطائي ، وهو أسود ، وخيري شيرازي ، وهو أصفر ، وخيري ميردين ، وهو بنفسجي أو ذو سبعة ألوان . وبرياض الخيري والبنفسج تشبه زغب الشوارب والأعذرة ، انظر الجماهر للبيروني ص ١٣ .

[و] لإسماعيل بن غَزْوان[1] في هذا نادرةٌ . وهو أن سائلا سألنا ، من غير أهل الكلام ، فقال : ما بالُ ورق الخيريّ ينضم بالليل وينشرُ بالنهار؟ فانبَرَى[2] له إسماعيلُ بنُ غَزْوان [فقال[3]] : لأن بردَ الليلِ وثقلَه ، من طباعهما الضمُّ والقبض والتنويم ، وحرّ شمس النهار[4] من طباعه الإذابة ، والنشر ، والبسط ، والخفّة ، والإيقاظ . قال السائل : فيما قلت دليلٌ ، ولكنه ! قال إسماعيل : وما عليك أن يكون هذا في يدك ، إلى أن تصيبَ شيئاً هو خيرٌ منه .

(تسرُّع الحُمْر الألوان ، وفالج ذوي البدانة)

وكان إسماعيل أحمرَ حليما . وكذلك كان الحرامي[5] . وكنت أظن بالحمر الألوان[6] التسرعَ والحدّةَ ، فوجدت الحلْمَ فيهم أعمّ . وكنت أظن بالسمان الخِدال[7] العظام أنّ الفالجَ إليهم أسرعُ ، فوجدتُه في الذين يخالفون هذه الصفّةَ أعمّ .

---

(١) سبقت ترجمته في (٢ : ٥٨) . وكان معاصرا للجاحظ .
(٢) انبرى له : اعترض له . ط : « انبرأ » بالهمز سـ ، و : « انبراه » صوابه ما أثبت.
(٣) هذه التكلة من سـ ، و .
(٤) ط ، و « الشمس » . وأثبت ما في سـ .
(٥) الحرامي ، هو أبو محمد عبد الله بن كاسب . وقد تقدمت ترجمته في (٣ : ٢٣٧) ولعله منسوب إلى « بنو حرام » بالراء المهملة ، وهي خطة كبيرة بالبصرة .
(٦) ط : « بالحمراء الألف أن » تحريف .
(٧) الخدال ، بكسر الخاء المعجمة : جمع خدل ، وهو الممتلئ الأعضاء لحما في رقة عظام . وفي الأصل : « الجدال » بالجيم ، تصحيف ، وقد سبقت هذه الكلمة في (١ : ١٥٠ س ١) .

(أثر الشمس والحركة والجوّ في الأبدان)

وقال إياسُ بن معاوية : « صِحّةُ الأبدان مع الشمس » . ذهب (١) إلى أهل العَمَد (٢) والوبر .

وقال مثنّى بن بشير (٣) : « الحركة خير من الظل والسُّكون » .

وقد رأينا لِمَن مدح خلاف ذلك كَلامًا (٤) ، وهو قليل .

وقيل لابنة الخُسّ (٥) : أيُّما أشَدُّ : الشتاء أم الصيف ؟ قالت : ومن يجعل الأذى كالزمانة (٦) ؟!

وقال أعرابيٌّ : لاتَسُبُّوا الشمال (٧) فإنها تضعُ أنفَ الأفعى ، وترفع أنف الرُّفقة (٨) .

---

(١) ط : « ذهبت » صوابه في س ، هـ .
(٢) الليث : « يقال لأصحاب الأخبية الذين لا ينزلون غيرها : هم أهل عمود وأهل عماد » . كذا في اللسان . وفيه أيضا : « ولا يقال أهل العمد » . لكن هكذا وردت في الأصل ، وهي جمع عمود .
(٣) مثنى بن بشير : يروى عنه الجاحظ في البخلاء ١٧ .
(٤) ط : « وقد رأينا من مدح خلاف ذلك » بإسقاط اللام والكلمة الأخيرة . وأثبت في ما س ، هـ .
(٥) هي هند بنت الخس ، بضم الخاء وتشديد السين ، بن حابس بن قريط ، الإيادية وكانت ذات فصاحة وحكمة وجواب عجيب . انظر جوابها على أسئلة شتى في أمالي القالي (١ : ١٩٩ و ٢ : ٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ و ٣ : ١٠٧ ، ١١٩) . وكانت تأتي سوق عكاظ . عيون الأخبار (٢ : ٢١٤) . وقد وافت هي وأختها « جمعة » سوق عكاظ في الجاهلية فاجتمعا عند القلمس الكناني ، فسألها واختبرها في مسائل كثيرة . انظر بلاغات النساء لابن أبي طاهر طيفور ص ٥٨ — ٦٤ . وفي ط ، س : « لابنة إياس » هـ : « لابنة » فقط . والوجه ما أثبت .
(٦) الزمانة ، كسحابة : العاهة والآفة . وفي البيان (١ : ٢٠٥) : « وقد سئلت هند عن حر الصيف وبرد الشتاء فقالت : من جعل بؤسا كأذى » .
(٧) ط : « لا تسب الشمال » وأثبت ما في س ، هـ .
(٨) الرفقة : مثلثة الراء : الجماعة المترافقون في السفر . هـ : « الرقعة » تحريف .

وقال خاقانُ بن صبيح[١] ، وذكر نُبْلَ الشتاء وفضلَه عَلَى نُبْلِ الصيف فقال: «تثيب فيه الهوام، وتنجحر فيه الحشرات[٢]، وتظهر الفِرْشَةُ والبِزَّةُ[٣] ويكثرُ فيه الدَّجْنُ[٤] ، وتطيب فيه خِمْرَةُ البيت[٥] ، ويموت فيه الذُّبان والبعوض، ويبرُدُ الماء، ويسخُن الجوفُ، ويطيبُ فيه العِناق[٦] » .

وإذا ذكرت العربُ بَرْدَ الماء وسخونة الجوف قالت: « حِرّة تحت قِرّة[٧] » .

ويجود فيه الاستمراء[٨] ؛ لطول الليل، ولتَقَضّي الحرّ[٩] .

---

(١) خاقان بن صبيح : أحد معاصري الجاحظ . وقد جعله في زمرة البخلاء ١٦ ، ٨٨ ، ١٠٩ .

(٢) تنجحر : بتقديم الجيم على الحاء : تدخل في الجحر ، وفي الأصل : « تنحجر » بتقديم الحاء ، تصحيف .

(٣) الفرشة ، وتقرأ بكسر الفاء على الهيئة من الفرش . ط فقط «الفرش» وهي جمع فراش والفراش ، بالكسر : ما افترش ، جمعه أفرشة وفرش ، بضمتين . سيبويه : وإن شئت خففت في لغة بني تميم . والبزة ، بالكسر : الهيئة والشارة والهيئة .

(٤) الدجن : ظل الغيم في اليوم المطير . وفي الأصل: «الدخن» ، وهو بالتحريك بمعنى الدخان وليس بشيء .

(٥) الخمرة ، بتثليث الخاء : الرائحة الطيبة . ط ، س : « حمرة » بالمهملة صوابه في هو .

(٦) الكلام من مبدأ « ويموت » ساقط من س .

(٧) في اللسان أنه مثل للذي يظهر خلاف ما يضمر (٦ : ٣٤١) . والحرة ، بالكسر : الحرارة . والقرة ، بالكسر : البرد . وفي اللسان (٥ : ٢٠١) : « ويقال : إنما كسروا الحرة لمكان القرة » .

(٨) الاستمراء : أن يجد طعامه قد انحدر طيبا من معدته لم يثقل عليها .

(٩) تقضي الحر : ذهابه وخروجه ، وفي اللسان « وأقضى الحر : خرج . ولا يقال في البرد » . وفي الحديث أنه ذكر القرآن فقال : « هو أشد تقضيا من قلوب الرجال من النعم من عقلها ! » أي أشد تفلتا وخروجا . وفي الأصل : « لتبطي » والوجه ما أثبت .

وقال بعضهم : لا تُسَرَّنَّ بكثرة الاخوان ، مالم يكونوا أخياراً ؛ فإن الإخوان غيرَ الخيارِ بمنزلة النار ، قليلُها متاعٌ ، وكثيرها بوار[١] .

(نار الزَّحفتين)

قال : ومن النيران « نار الزَّحْفتَيْنِ » ، وهى نار أبى سريع . وأبو سريع هو العَرْفَج[٢] .

وقال قُتيبة بن مسلم[٣] ، لعُمَرَ بن عبَّاد بن حُصين : والله لَلسُّؤْدُدُ أسرعُ إليك من النار فى يبيس[٤] العَرْفَج !

وإنما قيل لنار العَرفج : نار الزحفتين ؛ لأن العَرْفج إذا التهبَتْ فيه النار أسرعَتْ [فيه[٥]]وعظُمَتْ ، وشاعت واستفاضت ، فى أسرعَ من كل شىء . فمن كان فى قُرْبها يزحف عنها . ثم لاتلبثُ أن تنطفىء من ساعتها ، فى مثل تلك السرعة ؛ فيحتاج الذى يزحف عنها أن يزحَفَ إليها من ساعته . فلا تزالُ للمصْطَلِى كذلك ، ولا يزال المصطلى بها كذلك . فمن أجْلِ ذلك قيل : « نار الزَّحْفَتَيْنِ » . ٣٧

---

(١) البوار : الهلاك . ط : « بوار » تحريف .

(٢) فى اللسان ، وكذا ثمار القلوب ١٩٧ : أبو سريع هو النار فى العرفج . وأنشد :

لا تعدلن بأبى سريع إذا غدت نكباء بالصقيع

(٣) تقدمت ترجمته مع والده مسلم بن قتيبة فى (٣ : ٤٥٠) .

(٤) اليبيس : اليابس . سه وثمار القلوب : « يبس » واليبس : اليابس . قال ابن السكيت : « هو جمع يابس مثل راكب وركب » . ابن سيده : « اليبس واليبس : اسمان للجميع » يعنى بالفتح وبالتحريك .

(٥) من سه وثمار القلوب ٤٦٢ .

قال : وقيل لبعض الأعراب : ما بالُ نسائكم رُسْحًا[1] ؟ قال : أرْسَحَهُنَّ عَرْفَجُ المَلْبَاءِ[2]

(صورة عقد بين الراعي والمسترعي)

وهذا شرط الراعي فيما بينَه و بينَ من استرعاه ماشيته في القارِّ والحارِّ[3] وذلك أن شرطهم عليه[4] أن يقول للمسترعي للراعي : « إن عليك أن تردَّ ضالَّتها ، وتهنأْ جرْباها[5] ، وتلوط حوضَها[6] . ويدُك مبسوطةٌ في الرِّسْل[7] مالم تُنْهِكَ حَلَبًا ، أو تضرَّ بنَسْل » . قال : فيقول عند ذلك الراعي لرب الماشية ، بعد هذا الشرط : « ليس لك أن تذكُرَ أمّي بخيرٍ ولا شرّ

---

(١) الرسح : جمع رسحاء ، وهي القليلة لحم العجز والفخذين . وفي الأصل : « رشحا » بالشين المعجمة صوابه في المخصص (١١ : ٣٧) ولسان العرب (٣ : ٢٧٤) والمزهر (٢ : ١١٩) . ورواية الأول : « قيل لأعرابي : مالنسائكم رسحا ؟ » والثاني « قيل لامرأة من العرب : ما بالنا نراكن رسحا ؟ » والثالث : « قال أعرابي لامرأة من بني تميم : ما بالكن رسحا ؟ » .

(٢) العرفج : نبت سريع الاشتعال ، وطيبه شديد الحمرة ، وليس له ورق ذو بال . إنما هي عيدان دقاق ، وفي أطرافها زمع يظهر في رءوسها شيء كالشعر ، أصفر طيب الريح . والملباء ، بفتح أوله : موضع بين اليمامة ومكة . وإنما سميت الملباء لكثرة نباتها ، وأنها أنبتت الحلي والصليان . وفي الأصل : « الملباة » محرف . وفيه أيضا : « أرشحهن » تصحيف . وفي المخصص : « أرسحتهن نار الزحفتين » . وفي اللسان : « أرسحتنا نار الزحفتين » . وفي المزهر : « أرسحنا » ، وأنشد :

وسوداء المحاصم لم يغادر لها كفلا صلاء الزحفتين

(٣) أي البارد والساخن ، مما ينال من خير الابل . وفي الأصل – وهو هنا ط ، س لفظ « النار والحال » صوابه من البيان (٣ : ٣٢) .

(٤) الكلام بعد « ماشية » إلى هنا ساقط من ط .

(٥) هنأ الجرب : يعالجها بالهناء . والهناء ، بالكسر : ضرب من القطران ، يطليها به . س : « جربها » ط : « جرتها » مصحف .

(٦) لاط الحوض بالطين لوطا : طيَّنه ، أي طلاه بالطين . وفي حديث ابن عباس مع الذي سأله من مال يتيم ، وهو واليه : أيصيب من لبن إبله ؟ فقال : « إن كنت تلوط حوضها ، وتهنأ جرباها ، فأصب من رسلها » .

(٧) الرسل ، بالكسر : اللبن .

ولك حَذْفَةٌ بالعصا(١) عند غضبك ، أخطأتَ أو أصبْتَ ، ولي مُتعدًّى من النار ومَوضعٌ يدنى من الحارّ [والقارّ(٢)] »

(شبه مابين النار والإنسان)

قال : ووصف بعض الأوائل شبَهَ مابين النار والإنسان ، فجعل ذلك قرابة ومشاكلة ، قال : وليس بين الأرض وبين الإنسان ، ولا بين الإنسان والماء ، ولا بين الهواء والإنسان ، مثل قرابة مابينه وبين النار ؛ لأن الأرض إنما هي أمٌّ للنبات ، [وليس الماء(٣)] إلا أنه(٤) مَرْكَب(٥) . وهو لا يغذُو ؛ إلا ما يعقدُه الطبخ(٦) وليس الهواء فيه إلا النسيم والمتقلَّب . وهذه الأمور وإن كانت زائلة ، وكانت النفوسُ تَتلَفُ مع فَقْدِ بعضها ، فطريق(٧) المشاكلةِ والقرابةِ غير طريق إدخال الرِّفق وجرِّ المنفعة ، ودفعِ المضرّة .

قال : وإنما قضيتُ لها بالقرابة(٨) ، لأني وجدت الإنسان يحيا ويعيشُ في حيثُ تحيا النار وتعيشُ ، وتموتُ وتتلَفُ حيث يموت الإنسانُ ويتلف . وقد تدخل نار في بعض المطامير(٩) والجِباب(١٠) ، والمغاراتِ ،

---

(١) حذفه بالعصا : أي ضربه بها من جانب . والحذفة أيضا : الرمية من جانب .

(٢) هذه التكملة من البيان والتبيين . و« الحار » هي في ط فقط : « الجار » بالجيم مصحفة .

(٣) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٤) ط ، س : « لأن » هـ : « لا أنه » والوجه ما أثبت .

(٥) أي معبر وموصل لغذاء كما سبق في ص ٨٩ س ٣ .

(٦) أي يجعله منعقدا بالطبخ . انظر لتوضيح ذلك ص ٨٩ س ٤ . وفي الأصل : « يعقده الطبخ » .

(٧) س ، هـ : « بطريق » والوجه ما أثبت من ط .

(٨) س ، هـ : « الغرابة » وهو عكس المراد .

(٩) المطامير : جمع مطمورة ، وهي حفرة في الأرض يوسع أسفلها تخبأ فيها الحبوب .

(١٠) الجباب ، بالكسر : جمع جب ، بالضم . وهو البئر البعيدة القعر الكثيرة الماء . ط : « الحباب » صوابه في س ، هـ .

والمعادن[١] ، فتجدُها متى ماتتْ هناك علمنا أن الإنسان متى صار فى ذلك الموضع مات . ولذلك لايدخلها أحدٌ ما دامت النار إذا صارتْ فيها ماتت .
ولذلك يعمد أصحاب المعادن والحفاير إذا هجموا على فَتْق فى بطن الأرض أو مغارة فى أعماقها أو أضعافها ، قدّموا شمعةً فى طرَفها أو فى رأسها نارٌ[٢] ، فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا فى طلب الجواهر من الذهب وغير ذلك .
وإلا لم يتعرّضوا له . وإنما يكونُ دخولُهم بحياة النار ، وامتناعُهم بموت النار[٣] .

وكذلك إذا وقفوا على رأس الجبِّ الذى فيه الطعام[٤] ، لم يجسُروا على النزول فيه ، حتى يُرسِلوا فى ذلك الجبِّ قِنديلاً فيه مصباحٌ أو شيئاً يقومُ مقامَ القِنديل ، فإن مات لم يتعرّضوا له ، وحرّكوا فى جوفه آكسيةً[٥] وغيرها من أجزاء الهواء[٦] .

قال : ومما يُشَبَّه النارُ فيه بالإنسان ، أنك ترى للمصباح قبل انطفائه ونفادِ دُهنه[٧] ، اضطراما وضياء ساطعا ، وشُعاعا طائراً ، وحركةً سريعةً وتنقضاً شديداً[٨] ، وصوتا متداركا . فعندها يخمُدُ المصباح .
وكذلك الإنسان ، له قَبلَ حالِ الموتِ ، ودُوَيْنَ انقضاء مُدَّته بأقرب

---

(١) المعادن : جمع معدن ، بكسر الدال ، وهو الموضع الذى تستخرج منه جواهر الأرض . وإطلاقه على ما يستخرج مجاز .
(٢) سه ، هو : « فى طرف » وفى سه : « وفى رأسها » . وأثبت ما فى ط
(٣) انظر مثل هذا الكلام فى عجائب المخلوقات ٨٩ فى خاتمة الحديث فى النيران .
(٤) ذاك الجب هو ما يسمى بالمطمورة . انظر التنبيه ٩ ص ١٠٩ .
(٥) آكسية : جمع كساء . ط فقط « أكيسة » تحريف .
(٦) كذا فى الأصل . ولعلها : « بقية إجراء الهواء » أو « لتأخذ من أجزاء الهواء » .
(٧) هو : « وتمادد دهنه » تحريف .
(٨) التنقض ، بالقاف وفى آخره ضاد معجمة : صوت الفتيلة إذا قاربت الانطفاء . وانظر (٣ : ٣٣٥) . وفى الأصل : « تنفضا » بالفاء . وهو تحريف .

الحالات ، حال مُظْلِمةٌ تَزيد في القوة على حاله قَبلَ ذلك أضعافًا ، وهي ٣٨
التي يسمونها « راحةَ للموت[١] » وليس له بعد تلك الحال لُبث .

(قول أحد المتكلمين في النفس)

وكان رئيسٌ [من[٢]] المتكلمين ، وأحدُ[٣] الحِلَقِ المتقدمين ، يقولُ في النفس قولا بيناً عجيباً ، لولا شُنْعته لأظْهَرْتُ اسمه[٤] ، وكان يقول : الهواء[٥] اسم لكل خَق ، وكذلك الحيِّز[٦] . والفتق لا يكون إلا بين الأجرام الغِلاظ ، وإلا فإنما هو الذي يسميه أصحاب الفَلَكِ « اللُّجّ » . وإذا هم سألوهم عن خُضْرَة الماء قالوا : هذا لُجّ الهواء ، وقالوا : لولا أنكَ في ذلك المكان لرأيت في اللُّجِّ الذي فوق ذلك مثل هذه الخضرة[٧] . [وليس شيء[٨]] إلا وهو أرقُّ من كَثِيفِه[٩] أو من الأجرام الحاصرة[١٠] له . وهو

---

(١) ويسميها أهل مصر اليوم : « حلاوة الروح » .

(٢) زدت هذا الحرف ليصح الكلام .

(٣) ط : « واحد » بالألف وترك العطف .

(٤) يظهر لي أنه « النظام » ، ففي سياق الحديث أن هذا الرئيس يقول بالطفرة كما في السطر ٥ من ص ١١٣ والنظام هو صاحب هذا المذهب . انظر (٤ : ٢٠٨) .

(٥) في الأصل : « الهول » . والوجه ما أثبت .

(٦) الحيز ، بفتح الحاء وتشديد الياء المكسورة : هو عند المتكلمين الفراغ المتوهم الذي يشغله شيء ممتد كالجسم ، أو غير ممتد كالجوهر الفرد . تعريفات السيد ٥٥ . وفي الأصل : « الحز » .

(٧) في الأصل : « النظرة » والكلام يقتضي ما أثبت .

(٨) بمثل هذا يلتئم القول .

(٩) الكثيف ، بالتاء المثناة الفوقية : أصل معناه شبه الباب ، وهي حديدة عريضة يضبب بها ويلبس ، وهو أيضا ما يكتف به الإناء . والمراد به هنا ما يحوي الشيء ويحصره . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، ففي ط ، س : « كيفيته » وفي ط : « كيفية » . والوجه ما كتبت .

(١٠) في الأصل : « الحافرة » بالفاء المعجمة وبإسقاط كلمة « له » . وانظر التنبيه السابق والكلام التالي .

اسمٌ لكل متحرَّك ومُتقلَّب[1] لكل شيء فيه [من[2]] الأجرام المركبة. و [لا[3]] يستقيم أن يكون من جنس النسيم ، حتى[4] يكونَ محصوراً ، إما بحصر كَتِيفِيّ[5] كالسفينة لما فيها من الهواء الذى به حَمَلَتْ مثلَ وزن جرمها الأضعاف الكثيرة ؛ وإما أن يكون محصوراً فى شيء كهيئة البيضة المشتملة على ما فيها ، كالذى يقولون فى الفَلَكِ الذى هو عندنا : سماء

قال : والنسيم[6] الذى [هو[7]] فيه معنى آخر ، وهو الذى يجعلُهُ بعضُ الناس ترويحاً عن النفس ، يعطيها البَرْدَ والرِّقّةَ والطِّيب ، ويدفعُ النفسَ ، ويُخرج إليه البخارَ والفِلَظ ، والحراراتِ الفاضلة[8] ، وكلّ ما لاتقوى النفسُ على نفيه واطِّرادِه[9] .

قال : وليس الأمر كذلك . بل أزعُم أنّ النفسَ من جنس النسيم وهذه النفسُ القائمة فى الهواء المحصور ، عرضٌ لهذه النفسِ المتفرِّقة

---

(١) المتحرك والمتقلب : مكان التحرك والتقلب . وفى الأصل : « محرق ومتقلب » . وانظر قوله فى الصفحة ١٠٩ س ٨ قوله : « إلا النسيم والمتقلب » . والضمير « هو » الهواء .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) زدتها لحاجة الكلام إليها .

(٤) فى الأصل : « ويكون » ووجهه ما أثبت .

(٥) كتيفى ، بالتاء المثناة الفوقية : نسبة إلى الكتيف . وانظر التنبيه ٩ من الصفحة السابقة .

(٦) فى الأصل « والنسيم » .

(٧) هو ، أى الانسان . وهذه الكلمة ليست فى الأصل .

(٨) الفاضلة ، هنا ، بمعنى الزائدة .

(٩) الاطراد : افتعال من الطرد ، يقال : طرده واطرده ، بتشديد الطاء فى الثانية . قال طريح :

أمست تصفقها الجنوب وأصبحت   زرقاء تطرد القذى بحباب

ط . « وطرده » ، وأثبت ما فى س ، ه .

فى أجرام جميع الحيوان ، وهذه الأجزاء[1] التى فى هذه الأبدان ، هى من النسيم[2] فى موضع الشعاع والأكناف[3] ، والفروع التى تكون من الأصول .

قال : وضياء النفس كضياء دخلَ من كوّة[4] فلما سُدّت الكوةُ انقطع بالطَّفْرة إلى عنصره من قُرْص الشمس وشُعاعها للشرقِ فيها ، ولم يُقِم فى البيت مع خلاف شكله من الجُروم[5] . ومتى عمّ السَّدُّ لم تُقِم النفسُ فى الجرم فوق لا[6] .

وحكمُ[7] النفْس عند السَّدِّ – إذ كنا لانجدها بعد ذلك – كحكم الضياء بعد السدّ ، إذ كنا لا نجده[8] بعد ذلك .

فالنفسُ من جنس النسيم ، و بفساده تفسُدُ الأبدانُ ، و بصلاحه تصلحُ .

وكان يعتمدُ على أن الهواء نفْسَه هو النفسُ والنسيمُ ، وأن الحرّ والمدونةَ وغير ذلك من الخلاف ، إنما هو من الفساد العارضِ .

قيل له : فقد يفسُدُ الماء فتفسُدُ الأجرام من الحيوان بفساده ، و يصلُحُ

---

(١) أى أجزاء النسيم ، التى يحيى بها نفس الانسان والحيوان . ط ، ﻫ : « الأجرام » صوابه فى س .

(٢) فى الأصل : « من بعد النسيم » وأصلحته بما ترى .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ﻫ : « والأكناف » .

(٤) الكوة : بالفتح ويضم ، والكو أيضا بالفتح وطرح الهاء : خرق فى الحائط » .

(٥) الجروم : جمع جرم ، بالكسر ، وهو الجسد والجسم ، وفى الأصل « الحرق » :

(٦) أى فوق مقدار قول القائل « لا » . انظر التنبيه رقم ١ص ٨١ . وكلمة « لا » هى فى ط « لأحكام » كأنها جزء من الكلمة التى تليها . والحق أنهما كلمتان إحداهما فى نهاية الفقرة الأولى ، والثانية فى بدء التالية ، وفى س ، ﻫ : « لا حكم » .

(٧) ط : « حكام » . س ، ﻫ : « حكم » كما سبق فى التنبيه السالف . وقد زدت الواو قبل الأخيرة لحاجة إليها .

(٨) أى لا نجد الضياء بعد السد . والضمير ساقط من س . وفى ط ، ﻫ : « لا نجدها » وتصح بتأويل الضياء على الجمع . وفى اللسان (١ : ١٠٧) : « وقد يكون الضياء جمعا » ، أى جمع ضوء .

فتَصلح بصلاحه[١] ، وتمتنعُ الماء وهى تنازعُ إليه فلا تَحُلُّ[٢] بعد المنازعة إذا تمّ المنعُ ، وتوصَلُ بجِرْمِ الماء فتقيمُ فى مكانها . فلعل النفسَ عند بُطلانها فى جسمها[٣] قد انقطعت إلى عُنصرِ الماء بالطّفرة .

٣٩ وبعدُ فما علّمَكَ ؟ لعلّ الخنقَ هيَّجَ عَلَى النفس أضداداً لها كثيرةً ، غمرتها حتى غرقت فيها ، وصارت مغمورةً بها .

وكان هذا الرئيس يقول : لولا أن تحت كلّ شعرةٍ وزَغَبةٍ[٤] مجرى نَفَسٍ لكان المخنوقُ يموتُ مع أوّلِ حالات الخنق ، ولكن النفْسَ قد كان لها اتصالٌ بالنسيم من تلك المجارى عَلَى قدر [مِنَ[٥]] الأقدار ، فكان نَوْطُها[٦] جوف الإنسان . فالرِّيح والبُخَارُ لمَّا طلبَ للنفذ فلم يجدْه ، دارَ وكثُفَ وقوِىَ ؛ فامتدَّ له الجلدُ فسدَّ له المجارى . فعند ذلك ينقطع النفَس . ولولا اعتصامها بهذا السببِ لقد كانت انقطعت إلى أصلها من القرْص ، مع أول حالات الخنق .

وكان يقول : إن لم تكن النفسُ غُمِرت بما هُيِّج عليها من الآفاتِ ، ولم تنقطع للطَّفْر إلى أصلها[٧] جاز أن يكون الضياء الساقطُ على أرض البيتِ عند سدِّ الكُوّةِ أن يكون لم ينقطع إلى أصله . ولكن السدَّ هيَّج عليه من الظلام القائم فى الهواء ما غمرَه ، وقطعه عن أصله . ولا فرْق بين هذَين .

---

(١) فى الأصل : « فيصلح بصلاحه » .
(٢) تحل : تقيم . وفى الأصل . « تدخل » .
(٣) فى الأصل : « حسها » .
(٤) الزغبة ، بالتحريك : واحدة الزغب ، وهى صغار الشعر والريش . س : « وزعة » مصحف .
(٥) ليست فى الأصل .
(٦) نوطها : متعلقها . وفى الأصل : « نقطها » ولا وجه له .
(٧) هو : « للطفر » س : « بالطفر » ط : « الطفر » بدون باء . صوابه ما أثبت . والطفر هو الطفرة فى اصطلاح المتكلمين ، وهو مذهب النظام . انظر . (٤ : ٢٠٨).

وكان يعظِّم شأنَ الهواء ، ويُخبر عن إحاطته بالأمور ودخوله فيها ، وتفضُّل قوّته عليها .

وكان يزعمُ أن الذى فى الزِّق[(١)] من الهواء ، لو لم يكن له مجازٌ[(٢)] ومنافسٌ ، ومُنِع من كل وجهةٍ ـ لأقلَّ الجملَ الضخم .

وكان يقول : وما ظنك بالرِّطل من الحديد أو بالزُّبْرَةِ[(٣)] منه ، أنه متى أُرسل فى الماء خرَقه ، كما يخرق الهواء ! قال : والحديد يسرعُ إلى الأرض إذا أرسلتَه فى الهواء ، بطبعه وقوّته ، ولطلبه الأرضَ للمشاكلة له ، ودفعِ الهواء له ، وتبرّيه منه ، ونفيه له بالمضادة ، واطِّرادِه[(٤)] له بالعداوة .

قال : ثمّ تأخذُ تلك الزُّبْرَةَ[(٥)] فتبسُطها بالمطارق ، فتنزل نزولا دون ذلك ؛ لأنها كلما اجتمعتْ فكان الذى يلاقيها من الماء أصغرَ جِرْمًا ، كانت أقوى عليه .

ومتى ما أشخَصْتَ[(٦)] هذه[(٧)] الزُّبْرَةَ المفطوحة[(٨)] المبسوطةَ المسطوحة ، بِنتْق الحيطان[(٩)] فى مقدارِ غِلظِ الإصبع ، حَمَلَ مثلَ زِنَتِهِ[(١٠)] المرارَ الكثيرةَ

---

(١) الزق ، بكسر الزاي : كل وعاء من الجلد اتخذ لشراب ونحوه . هو : « الرق » س : « الدن » صوابهما فى ط .

(٢) هو : « مجاز » أى مكان يجوز منه . والأسلوب يقتضي ما أثبت من ط ، س .

(٣) الزبرة ، بضم الزاي : القطعة من الحديد ، جمعها زبر ، بضم ففتح ، وفى الكتاب : « آتوني زبر الحديد » وفى الأصل : « بالزيادة » تحريف .

(٤) اطراده ، بتشديد الطاء : طرده . انظر التنبيه التاسع من الصفحة ١١٢ . ط : « ولمدادة » س : « والحدادة » وأثبت الصواب من هو .

(٥) فى الأصل : « الزيادة » . وانظر التنبيه ٣ من هذه الصفحة .

(٦) أشخصت : رفعت . ط : هو : « ومتى ما أشخص » س : « ومتى أشخصت » .

(٧) فى الأصل : « لهذه » .

(٨) المفطوحة : التى فطحت ، أي جعلت عريضة . ط ، هو : « المطبوخة » س : « المطرقة » والصواب ما أثبت .

(٩) النتق : الرفع . وفى ط ، هو : « يفتق » وموضعها فى س بياض متروك . والوجه ما أثبت .

(١٠) الضمير فى « حمل » للحديد . و« زنته » هى فى الأصل : « زنة » محرفة .

وليس إلا لما حصَرَتْ تلك الإصبعُ من الهواء . وكلما كان نتوءُ الحيطان أرفع[1] كان للأثقال أحمَلَ ، وكان الهواء أشدَّ انحصاراً .

قال : ولولا أن ذلك الهواءَ المحصورَ متّصلٌ بالهواء المحصور في جرم [الحديد ، وفي جرم[2]] الخشبِ والقارِ ، فرفَعَ بذلك الاتصال السفينةَ عُلُوًّا — لما كان يبلغُ من حصر ارتفاع إصبع الهواء ما يحملُهُ البَغْل .

ويدلّ على ذلك شأن السكّابة[3] . فإنك تضعُ رأسَ السكّابة التي يلي الماء[4] في الماء ، ثم تمصه من الطرف الآخَر . فلو كان الهواء المحصورُ في تلك الأنبوبةِ إنما هو مجاورٌ لوجهِ الماء ، ولم يكن متصلا بما[5] لابَس جِرْم الماء من الهواء ، ثم مصصتَهُ بأضعافِ ذلك الجذْبِ إلى ما لا يتناهى لما ارتفع إليك من الماء شيءٌ رأساً .

وكان يقول في السّبيكة التي تُطيل عليها الإيقاد ، كيف لا تتلوّى ، فما هو إلا أن يُنفخ عليها بالكِير[6] حتى تدخلَ النيرانُ في تلك المداخلِ ، وتُساوِرَها الأجزاء التي فيها من الهواء .

وبمثل ذلك قامَ الماء في جوف كُوزِ المِسْقاة المنكس . ولعلهم بصَنيع

(١) أرفع ، أي أعلى .

(٢) هذه الزيادة من عندي .

(٣) سبقت في ص ٩٠ س ٧ بلفظ « الشرابة » فجعلها من الشرب مرة ، ومن السكب أخرى . وفي الأصل هنا : « السكافة » بالفاء . وتسمى هذه الآلة أيضاً « سارقة الماء » كما سبق في التنبيه ٥ ص ٩٠ . ويشبه هذه الآلة ما تسمى « الزرافة » بالزاي وتشديد الراء . انظر الفصل (١ : ٣٢ و ٥ : ٧٠) .

(٤) في الأصل : « التي تلي الماء » والموصول إنما هو صفة الرأس . والرأس مذكر .

(٥) في الأصل : « لما » .

(٦) الكير ، بالكسر : الزق الذي ينفخ فيه الحداد .

الهواء إذا احتَصَر وإذا حُصِر[١] ، جعلوا سَمْكَ[٢] الصِّينية مِثلَ طولها .
أعنى المركبَ الصِّينىّ .

وكان يخبر عن صنيع الهواء بأعاجيب .

وكان يزعم أنّ الرّجلَ إذا ضُرِبت عنقُه سقط علَى وجهه ، فإذا[٣] انتفخ انتفَخ غُرْمُوله وقامَ وعَظُم . فقَلَبَهُ[٤] عند ذلك على القفا . فاذا جاءت الضَّبُع لتأكله فرأته على تلك الحال[٥] ، ورأت غُرمُوله[٦] على تلك الهيئة ، استدْخَلَتْه وقضتْ وطرَها من تلك الجهة ، ثم أكلَت الرّجلَ ، بعد أن يقوم ذلك عندها أكثر من سِفاد الذِّيخ .

والذِّيخ : ذَكر الضِّباع التَرفاء[٧] .

وذكر بعضُ الأعراب أنه عاينَها عند ذلك ، وعند سِفاد الضَّبُع لها ، فوجد لها عند تلك الحال حركةً وصياحاً ، لم يجده عندها فى وقت سِفاد الذِّيخ لها .

ولذلك قال أبو إسحاق[٨] لإسماعيل بن غَزْوان : « أشهدُ بالله إنك لضَبُعٌ » . لأن إسماعيل شدّ جاريةً له على سُلّم وحلَفَ ليضربَنّها مائةَ سَوْطٍ دونَ الإزار — ليلتزِقَ جلدُ السَّوط بجلدها ، فيكون أوجَعَ لها —

---

(١) احتصر هو ، وحصره غيره . ولم أجد الأول فى المعاجم . وفى ط ، هـ : « وإذا حصروا » صوابه فى س .
(٢) السمك ، بالفتح : الارتفاع ، وسمك البيت من أعلاه إلى أسفله .
(٣) ط ، هـ : « وإذا » ، وأثبت ما فى س .
(٤) ط ، هـ : « يقلبه » ، وأثبت ما فى س .
(٥) س : « الحالة » .
(٦) ط : « عزموله » صوابه فى س ، هـ .
(٧) الترفاء : الكثيرة شعر الرقبة . وفى الأصل : « المرجاء » تحريف . وفى اللسان : « الذيخ : الذكر من الضباع ، الكثير الشعر » . وفى هـ : « ذكر الضبع » .
(٨) هو إبراهيم بن سيار النظام .

فلما كشفَ عنها رَطْبةً بَضَّةً خَدْلَةً[١] ، وقَع عليها ، فلما قضى حاجته منها وفَرَغَ ، ضرَبها مائة سوط . فعند ذلك قال أبو إسحاقَ ما قال .

(اختلاف أحوال الغرق)

وإذا غرقت المرأةُ رسبتْ . فاذا انتفخت وصارت فى بطنها ريح[٢] وصارت فى معنى الزقّ ، طفا[٣] بدنُها وارتفع ، إلا أنها تكون مُنْكبّةً ، ويكونُ الرّجل مستلقياً .

وإذا ضُربتْ عُنقُ الرّجلِ وأُلقى فى الماء لم يَرسُب ، وقام فى جوف الماء وانتصب ، ولم يغرَق ، ولم يَلزم القعر ، ولم يظهر . كذلك يكونُ إذا كان مضروبَ العُنق ، كان للماء جاريا أو [كان[٤]] ساكنا . حتى إذا خفَّ وصار فيه الهواء ، وصار كالزِّقِّ المنفوخ[٥] ، انقلبَ وظهرَ بدنه كله ، وصار مستلقيا ، كان الماء جاريا أو كان قائما . فوُقوفُه[٦] وهو مضروب العُنقِ ، شبيهٌ بالذى عليه طباعُ العقربِ التى فيها الحياة ، إذا ألقيتَها فى ماء غَمْر[٧] ، لم تطفُ ولم ترسبْ ، وبقيتْ فى وسط عُمْق الماء ، لايتحرك منها شىء .

---

(١) الخدلة ، بفتح الخاء المعجمة بعدها دال مهملة : الممتلئة الأعضاء لحما فى رقة عظام . ط ، هـ : « جدلة » س : « حدلة » كلاهما تصحيف ما أثبت . وانظر التنبيه ٧ من ص ١٠٤ .

(٢) س : « وصارت فى معنى الزق » . هـ : « وصار فى بطنها ريح » .

(٣) طفا يطفو : ارتفع فوق الماء وعلا . ط ، هـ : « طفى » .

(٤) الزيادة من س .

(٥) ط ، هـ : « وصار فيه كالزق المنفوخ » والوجه حذف « فيه » كما فى س .

(٦) فى الأصل : « فغرقه » . وانظر قوله من قبل : « وقام فى جوف الماء » .

(٧) الغمر ، بالفتح : الماء الكثير .

(مايسبح من الحيوان)

والعقرب من الحيوان الذى لايسبّح . فأما الحيّة فإنها تكونُ جيّدةَ السابحِ ، إذا كانت من اللواتي تنسلب وتزحف[1] . فأمّا أجناس الأفاعى التى تسير على جنبها[2] فليس عندها فى السباحة طائل . ٤١

والسباحة المنعوتة ، إنما هى للإوزّةِ والبقرةِ والكلبِ . فأمّا السمكةُ فهى الأصل فى السباحة ، وهى المثل ، وإليها جميع النسبة .

وللضروب التى يكون فى عُمق الماء قائما . والعقربُ [يكون[3]] على خلاف ذلك .

(مناغاة الطفل للمصباح)

ثمّ[4] رجع بنا القول إلى ذكر النار[5] .

قال : وللنار من الخصال المحمودةِ أنّ الطفل لايُناغى شيئا كما يُناغى للمصباح[6] . وتلك المناغاة نافعةٌ له فى تحريك النفْس ، وتهييج الهمة ، والبحثِ على الخواطر ، [و] فى فتق اللّهاة ، وتسديد اللسان[7] ، [وفى] السرور الذى له فى النفس أكرمُ أثر .

---

(١) تزحف : تمشي على أثنائها وبطونها . وفى الأصل : « تلعب » .

(٢) انظر الكلام فى مشى الحيات ما سبق فى (٤ : ٢٧٤ — ٢٧٥) .

(٣) هذه الزيادة من س . والعقرب يذكر ويؤنث ، والغالب عليه التأنيث .

(٤) من هذه الكلمة يبتدئ الجزء الخامس من نسخة كوبريلى ، حيث أعارض بها وأثبت زياداتها بين معقفين دون أن أنبه عليها . وأما الزيادات من النسخ الأخرى أو من مقتضيات التركيب فإني أنبه على كل منها .

(٥) ل : « إلى القول فى النار » .

(٦) هو : « المصابح » تحريف . وقد سبق للجاحظ مثل هذا الكلام فى (٤ : ٣٤٩) .

(٧) تسديد اللسان : تقويمه . وفى الأصل : « تشديد » بالشين .

(قول الأديان فى النار)

قال : وكانت النار معظَّمةً عند بنى إسرائيل ، حيث جعلها الله تعالى تأكل القربان[١] ، وتدل على إخلاص المتقرِّب ، وفساد نية المُدْغِل[٢] ، [و] حيث قال الله لهم[٣] : « لاتُطْفِئُوا النَّارَ مِنْ بُيُوتِي[٤] » . ولذلك لاتجد الكنائس والبِيَع أبداً إلا وفيها المصابيح تزْهر[٥] ، ليلاً ونهاراً ، حتى نَسَخَ الإسلام ذلك ، وأمرنا[٦] بإطفاء النيران ، إلا بقدر الحاجة .

---

(١) القربان بالضم ، ما كانوا يتقربون به إلى الله من ذبائح وغيرها ، وفى الأصحاح الرابع من سفر التكوين « أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب ، وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها » . وكان العرب فى جاهليتهم يقدمون القرابين لأصنامهم ، وكان لبكر ابن وائل صنم يقال له (عوض) ، وفيه يقول رشيد بن رميض العنزي :

حلفت بمائرات حول عوض ... وأنصاب تركن لدى سعير

والمائرات : الدماء الجارية . وهو ما تشير إليه آية : « وما ذبح على النصب » . واللفظ مشترك فى اللغات السامية ، فهو فى العبرية : (قربان) وبالسريانية (قربانا) وأصله فى العربية مصدر قرب الشئ قربانا ، ونظير هذا الوزن من المصادر العربية : شكران ، وغفران ، وسلوان .

(٢) المدغل : الذى يدخل فى أمره ما يفسده . وفى حديث على : « ليس المؤمن بالمدغل » ط ، هـ : « الدغل » ، وهو بفتح فكسر : ذو الدغل . وأثبت ما فى س ، ل .

(٣) فى جميع النسخ ما عدا ل : « قال الله عز وجل » .

(٤) ل : « النيران » . وقد سبقت هذه العبارة فى (٤ : ٤٧٩) وهو إشارة إلى ما ورد فى سفر الخروج ٢٩ : ٤١ — ٤٢ « رائحة سرور وقود للرب ، محرقة دائمة فى أجيالكم » وإلى ما ورد فى هذا السفر أيضاً ٣٠ : ١ « وتصنع مذبحا لإيقاد البخور » و ٣٠ : ٨ « وحين يصعد هارون السرج فى العشية يوقده بخورا دائما أمام الرب فى أجيالكم » .

(٥) زهر السراج والقمر والوجه ، كمنع ، زهورا : تلألأ . فى كل النسخ عدا ل : « مصابيح » .

(٦) فى جميع النسخ عدا ل : « أمر » .

فذَكَرَ[١] ابنُ جُرَيجٍ قال : أخبرني أبو الزُّبير[٢] ، أنه سمع جابرَ بنَ عبدِ الله يقول : أمرني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال[٣] : « إذا رَقَدْتَ فأغلق بابك ، وخَمِّرْ إناءك ، وأوْكِ سِقَاءك[٤] ، وأطفئْ مصباحك ، فإن الشيطان لا يفتح غَلَقاً[٥] ولا يكشفُ إناء ، ولا يحلُّ وِكاء . وإن الفأرة الفُوَيسِقَة[٦] تحرقُ أهلَ البيت[٧] » .

وفِطْر بن خليفة[٨] عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أغْلِقُوا[٩] أبوابكم ، وأوْكُوا أسقيتكم[١٠] وخَمِّروا آنيتكم ، وأطفئوا سُرُجَكم[١١] ، فإن الشيطان لا يفتحُ غَلَقاً[٥] ، ولا يحُلُّ وِكاء ، ولا يكشفُ غِطاء . وإن الفويسقة تضرِّم البيتَ على أهله .

---

(١) فيما عدا ل : « وذكره » .

(٢) هو أبو الزبير المكي ، محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي . وفي تقريب التهذيب ٤٢٠ أنه صدوق ، إلا أنه يدلس ، من الرابعة ، توفي سنة ست وعشرين ، أي بعد المائة . وفي التهذيب أنه روى عن جابر ، وابن عباس ، وعائشة ، وعبد الله بن عمر .

(٣) فيما عدا ل : « قال » .

(٤) ط فقط : « سقاءك » وقد جاءت مقصورة في سائر النسخ . والسقاء : القربة للماء واللبن .

(٥) الغلق ، بالتحريك : ما يغلق به الباب . وفيما عدا ل : « بابا » .

(٦) الفويسقة : مصغر الفاسقة ، سميت بذلك لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها . ط ، هـ : « وقال فإن الفويسقة » س : « فإن الفويسقة » . وأثبت ما في ل . وانظر تأويل مختلف الحديث ١٦٩ — ١٧٠ .

(٧) فيما عدا ل : « تحرق على أهل البيت » .

(٨) فطر بن خليفة القرشي ، مولاهم ، أبو بكر الحناط ، بالمهملة والنون . صدوق رمي بالتشيع ، مات بعد سنة خمسين ومائة . انظر تهذيب التهذيب (٨ : ٣٠١) والمعارف ٣٠١ جوتنجن . وفيما عدا ل : « ذكر ابن خليفة » تحريف . وفي مشارق الأنوار (٢ : ١٦٨ طبع فاس) : « وفطر بن خليفة بكسر الفاء وآخره راء . ومن عداه قطن بالقاف والطاء ساكنة والنون » .

(٩) في عامة النسخ عدا ل : « غلقوا » .

(١٠) الأسقية : جمع سقاء . ط ، س : « أركوا » تحريف ، وأثبت ما في ل ، هـ .

(١١) السرج ، بضمتين : جمع سراج . ط ، س : « سراجكم » وأثبت ما في ل ، هـ .

وكُفُّوا مَوَاشِيَكُم[١] وأهليكم حينَ[٢] تغرُب الشمس ، حتى تذهبَ فحمةُ العِشاء[٣] » .

قال : ويدل على أنه صلى الله عليه وسلم [لم] يأمر بحفظها إلا بقَدر[٤] الحاجةِ [إليها] ، ويأمر[٥] بإطفائها إلا عند الاستغناء عنها — ما حدَّث به عبَّادُ بن كثير[٦] قال : حدَّثني الحسن بنُ ذَكْوان[٧] عن شَهْر بن حَوْشب[٨] قال : « أمر [رسولُ الله] صلى الله عليه وسلم أن تحبسوا صبيانَكم عند فحمة العشاء ، وأن تُطفئوا المصابيح ، وأن توكِئوا الأسقية ، وأن تخمِّروا الآنية ، وأن تغلِّقوا الأبواب[٩] » . قال : فقام رجلٌ فقال : يارسول الله ، إنه لابدَّ لنا من المصابيح ، للمرأةِ النُّفساء ، والمريض ،

---

(١) الكف : الجمع والضم . فيما عدا ل : « فراشكم » .

(٢) كذا على الصواب في ل . وفي سائر النسخ : « حتى » .

(٣) يقال الظلمة التي بين صلاتي العشاء : الفحمة . ل : « فحمة الليل » وعند ابن الأثير في مادتي (كفت ، فحم) : « اكفتوا صبيانكم حتى تذهب فحمة العشاء » .

(٤) ط ، س : « أمر » . وفي سائر النسخ عدا ل : « إلا على قدر الحاجة » .

(٥) فيما عدا ل : « ولم يأمر » .

(٦) عباد بن كثير الثقفي البصري . روى عن أبي أيوب السختياني ، ويحيى بن أبي كثير ، وعمرو ابن خالد الواسطي وغيرهم . وروى عنه إبراهيم بن طهمان وأبو خيثمة ، وهما من أقرانه ، وإسماعيل بن عياش ، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي . ط ، س ، ه : « عباد بن بكير » ل : « عباد بن كثير » بنون مكسورة مشدودة بعدها ياء . صوابه ما أثبت .

(٧) الحسن بن ذكوان ، أبو سلمة البصري . روى عن عطاء بن أبي رباح ، وأبي إسحاق السبيعي ، وطاوس ، والحسن ، وابن سيرين . وعنه ابن المبارك ويحيى القطان ، وصفوان بن عيسى وغيرهم . انظر تهذيب التهذيب (٢ : ٢٧٦) .

(٨) هو شهر بن حوشب الأشعري الشامي ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن . صدوق كثير الأوهام والإرسال ، من الثالثة . توفي سنة ١١٢ وكان من جلة القراء والمحدثين . وبه يضرب المثل في قولهم : « خريطة شهر » ، وذلك أنه دخل بيت المال فأخذ خريطة فيها دراهم ، فقال فيه القائل — ثمار القلوب ١٣٣ — :

لقد باع شهر دينه بخريطة فمن يأمن القراء بعدك يا شهر

(٩) ل : « أن يحبسوا » ، وكذا سائر الأفعال بالغيبة . وفي سائر النسخ بالخطاب .

والحاجة تسكونُ قال : فلا بأسَ إذًا ، فإن المصباح[1] مَطْرَدَةٌ للشيطان ، مذْبَةٌ الهوام[2] ، مَدَلَّةٌ على اللصوص[3] .

(نار الغول)

قال : ونارٌ أخرى ، وهي [النار] التي تذكر الأعرابُ أن الغولَ تُوقِدُها بالليل ، للعبث[4] والتخييل ، وإضلال السابلة . ٤٢

قال أبو المطراب[5] عبيد بن أيوبَ العَنْبَرِيّ :

فلله دَرُّ الغُولِ أيُّ رَفيقةٍ لصاحبِ قَفْرٍ خائفٍ مُتَقَتِّرٍ[6]
أرَنَّت بلَحْنٍ بعدَ لَحْنٍ وأوقَدَتْ حَوَالَيَّ نِيرانًا تبوخُ وتَزهرُ[7]

(جَمَرات العرب)

قال : وجَمَرَاتُ العرب : عبسٌ ، وضَبَّةُ ، ونُمَيْر[8] . يقال لكلِّ واحد منهم : جمرة .

---

(١) فيما عدا ل : « كان » .
(٢) الهوام : جمع هامة ، وهي كل ذات سم يقتل ، أو ما يدب من الحيوان كالحشرات . والمذب : المطرد . ل : « ملعة » تحرف .
(٣) مدلة : أي يدل ، وهي صيغة معناها الحمل على الشيء . وفي اللسان : « وكانت العرب تقول : « الولد مجهلة مجبنة مبخلة » ، أي يحمل الوالد على الجهل والجبن والبخل . ل : « مذلة » تحريف .
(٤) ل : « العيث » . والعيث : الإفساد .
(٥) أبو المطراب ، آخره باء ، كما في ل ، وكما سبق في (٤ : ٤٨٢) حيث ترجمة عبيد بن أيوب .
(٦) المتقتر : المتنحي عن الناس . وفيما عدا ل : « ينتشر » محرفة . وفي (٤ : ٤٨٢) : « متقفر » .
(٧) أرنت : صوتت . تبوخ : تسكن وتفتر . تزهر ، وبابه منع : تضيء وتتلألأ . فيما عدا ل : « تبرح » . وما أثبت من ل هو رواية (٤ : ٤٨٢) .
(٨) إنما سموا بذلك لأنهم يتوافرون في أنفسهم ، لم يدخلوا معهم غيرهم . والتجمير في كلام العرب : التجميع . وقد اختلف العلماء في تعيين الجمرات . انظر الثعالبي في ثمار القلوب ١٢٦ والعمدة (٢ : ١٥٨) وزهر الآداب (١ : ٢٠) وجنى الجنتين ٣٦ وشمس العلوم ص ٢٢ والعقد (٢ : ٢٣٣ – ٢٣٤) والشريشي (١ : ٢٩٨) .

وقد ذكر أبو حَيَّةَ النُّمَيْرِى قومَه خاصّةً فقال :

ومِنْ جَمْرَةٍ لا يَصْطَلِى الناسُ نارَهم   تَوَقَّدُ لاتُطْفَا لِرَيْبِ النَّوائبِ (١)

[ويروى : النوائر (٢)] .

ثم ذكر هذه القبائل فسمّاهُمْ بذلك ، لأنها كلّها مُضَرِيَّةٌ ، فقال :

لنا جَمَرَاتٌ ليس فى الأرض مثلهم   ثَلاثٌ فَقَدْ جُرِّبْنَ كلَّ التَّجارِبِ (٣)

نُمَيْرٌ وعَبْسٌ تُتَّقَى صَقَرَاتُها (٤)   وضَبَّةُ قَوْمٌ بَأْسُهُمْ غَيْرُ كاذِبِ

ـ [يعنى شدّتها (٥)] ـ

إلى كلِّ قومٍ قَدْ دَلَفْنا بِجَمْرَةٍ   لها عارِضٌ جَوْنٌ قَوِىٌّ المناكبِ (٦)

---

(١) فيما عدا ل : «ما يصطلى» وفيما عدا ل أيضا : «لا تطفى بريب الرواهب» تحريف . وتطفا مسهل تطفأ ، فلذا رسمت بالألف .

(٢) كذا فى ل .

(٣) هذه رواية ل ، وفى س : «ليس للناس مثلها» وفى ط ، هو : «وليس الناس مثلها» وفى اللسان : «فليس فى الأرض مثلها كرام وقته» .

(٤) الصقرات ، بالقاف : جمع صقرة ، وهى شدة وقع الشمس وشدة حرها . قال ذو الرمة :

إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها   بأفنان مربوع الصريمة معبل

ط ، س : «صفراتها» بالفاء ، هو : «صعراتها» بالعين . صوابهما فى ل . وفى اللسان : «نفياتها» .

(٥) هذا تفسير لكلمة «صقراتها» كما فى التنبيه السابق .

(٦) العارض : السحاب المعترض فى الأفق ، والجبل ، ومنه عارض اليمامة . شبه الجيش به . والجون : الأسود ، كأن ذلك لما علاه من صدأ الحديد ; والجون . الأبيض أيضا لما فيه من بريق السيوف والرماح . هو ، س : «حزن» ط : «مزن» صوابهما فى ل .

(سقوط الجمرة)

وعلى ذلك المعنى قيل : « قد سقطت الجمرة »، إذا كان في استقبال زمان الدِّفاء[1] . ويقولون[2] : قد سقطت الجمرة الأولى ، والثانية ، [والثالثة[3]] .

(استطراد لغوى)

والجمار : الحصى[4] [الذى يُرمَى به . والرَّمْى : التجمير] قال الشاعر[5] :

---

(١) الدفاء : مصدر دفئت من البرد . فيما عدا ل : « من الدفء » .

(٢) الكلام من « قد سقطت » إلى هنا ساقط من سه .

(٣) سقوط الجمرات في شهر « شباط » من الشهور السريانية ، ويقابله شهر فبراير من الشهور الرومية . انظر مروج الذهب (١ : ٣٥٢ — ٣٥٣) في الكلام على الشهور السريانية . تسقط الأولى في السابع منه ، والثانية في الرابع عشر منه ، والثالثة في الحادي والعشرين منه . وقد أوضح القزويني تعليل هذه التسمية في عجائب المخلوقات ٧٣ قال : « معنى سقوط الجمرات أن الناس كانوا يتخذون في قديم الزمان أخبية ثلاثة في الشتاء ، بعضها بالبعض . وكانت دوابهم الكبار كالإبل والبقر في البيت الأول ، ودوابهم الصغار كالغنم في البيت الثاني ، وهم كانوا في البيت الثالث . وكانوا يشعلون جمرات النار في كل بيت ، ويتخذون الجص للاصطلاء . فلما كان السابع من شباط أخرجوا دوابهم الكبار إلى الصحراء وجعلوا الصغار مكانها ، وهم سكنوا مكان الصغار ، فحينئذ سقطت من الجمرات الثلاث جمرة . فإذا مضى أسبوع آخر أخرجوا الغنم أيضا إلى الصحراء وهم سكنوا مكانها . فسقطت جمرة أخرى . فإذا مضى أسبوع آخر خرجوا إلى الصحراء وتركوا إشعال النار لقلة البرد وطيب الهواء . فسقطت الجمرات الثلاث » . وهذا التعليل وإن يكن فيه بعض الخيال فإنه يقدم لنا صورة من هذا التعبير المجازي عن تدرج الدفء . وانظر الأزمنة والأمكنة (١ : ٢٧٦) .

(٤) فيما عدا ل : « والجمار هى الحصا » . وإنما الجمار الحصى نفسها ، الواحدة جمرة . ورمى الجمار من مناسك الحج . ويقال أيضا للموضع الذى ترمى فيه الجمار : « جمرة » . وهى ثلاث جمرات . وانظر تفصيل ذلك في كتب الفقه الإسلامى .

(٥) هو عمر بن أبي ربيعة ، والبيت آخر أبيات ستة في ديوانه ١٢٨ أولها :

وكم من قتيل لا يباء به دم ... ومن غلق رهنا إذا ضمه منى

ومن مالئ عينيه من شىء غيره ... إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

ولم أرَ كالتجميرِ منظرَ ناظرٍ ولا كليالى الحجّ أفتنَ ذا هوى(١)

والتجمير أيضا : أن يُرْمَى بالجُنْد فى ثغر من الثغورِ(٢) ، ثم لا يُؤْذَنَ لهم فى الرجوعِ . وقال حُمَيْدٌ الأرقطُ(٣) :

فاليومَ لاظلم ولا تَتْبِيرُ ولا لغازٍ إنْ غزا تجميرُ(٤)

وقال بعضُ مَنْ جُمِّرَ من الشعراء فى بعض الأجناد(٥) :

مُعَاوِىَ إمّا أنْ تُجَهِّزَ أهْلَنَا إلينا ، وإما أنْ نَؤُوبَ مُعاويا(٦)

أَجَمَّرْتَنَا تجميرَ كِسْرى جُنُودَهُ ومَنَّيْتَنَا حتى مَلِلْنا الأمانيا(٧)

---

(١) فى اللسان (١٧ : ١٩٤ س ٢١) : « أفتنت إخاثا فهو مفتن ، وأفتن الرجل وفتن فهو مفتون : إذا أصابته فتنة فذهب ماله أو عقله » . فيما عدا ل : « أقتر » بالراء تحريف . وانظر الموشح ٢٠٣ والأغانى (١ : ١٠٣) وكامل المبرد ٣٧٠ ليبسك .

(٢) الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان ، وهو أيضا الموضع الذى يكون حدا فاصلا بين بلاد المسلمين والكفار ، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد . فيما عدا ل : « من ثغور المسلمين » .

(٣) حميد الأرقط ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصرا للحجاج . وهو حميد بن مالك بن ربعى بن مخاشن ، ينتهى نسبه إلى زيد مناة بن تميم . وسمى الأرقط لآثار كانت بوجهه . الخزانة (٢ : ٤٥٤) .

(٤) التتبير : الإهلاك . ل : « تسيير » وأراه محرفا . هـ : « لغازٍ إن غذا » تصحيف .

(٥) الأجناد : جمع جند . والجند : العسكر ، والمدينة . وخص به أبو عبيدة مدن الشام . وأجناد الشام خمس كور . ابن سيده : يقال الشام خمسة أجناد : دمشق ، وحمص ، وقنسرين ، والأردن ، وفلسطين ، يقال لكل مدينة منها جند .

(٦) جهز المسافر : أعد له مايحتاج إليه فى وجهه . وكذا تجهيز الغازى : إعداد ما يحتاج إليه فى غزوه . فيما عدا ل : « تجمير » محرف .

(٧) كسرى هذا ، وهو كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان . وفى أيامه كانت حروب ذى قار ، لتمام أربعين من مولد الرسول عند البعثة . وجاء فى رسالة ابنه شيرويه إليه : « ومنها تجميرك الجنود فى ثغور الروم وغيرها وتفريقك بينهم وبين أهليهم » . انظر كامل ابن الأثير (١ : ٢٩٤) . فيما عدا ل : « إجمار كسرى » محرف . ورواية اللسان .

وجمرتنا تجمير كسرى جنوده ومنيتنا حتى نسينا الأمانيا

وقال الجعدىّ :

كالخلايا أنشأنَ من أهل ساباطَ بجندٍ مُجمَّرٍ بأوالِ[١]

ويقال [قد] أجمر الرَّجُل ، إذا أسرع [أ] وأعجلَ مَرْكَبَهُ .

وقال لَبيد :

وإذا حرَّكتُ غَرْزِى أجمرَتْ أو قِرابي ، عَدْوَ جَوْنٍ قد أَبَلْ[٢]

وقال الراجز :

أُجمِرَ إجمارًا له تَطْميمُ[٣]

[التَّطميم : الارتفاع والعلوُّ] . ويقال أُجْمِرَ [ثوبُه ، إذا دخَّنه[٤] .

وللمِجْمَرة : والمِجْمَر الذى يكون فيه الدُّخنة[٥] . و] هو مأخوذٌ من الجمْر .

---

(١) فيما عدا ل : « بالخلايا أتاك » . ط : « أهل غرسان » س ، هو : « غسان »
وأوال : قرية ، واسم موضع ما يلى الشام . قال الجعدي فيه أيضا (اللسان (١٣ : ٤١ — ٤٢) :

ملك الخورنق والسدير ودانه ما بين حمير أهلها وأوال

فيما عدا ل : « بأزال » . وأزال : اسم مدينة صنعاء . وهو تحريف . وساباط : موضع بالمدائن .

(٢) الغرز ، بالفتح : هو للجمل مثل الركاب للبغل ، وهو ما يكون مما كا للرجلين فى المركب . هو ، س : « مودى » . والقراب ، بالكسر : غمد السيف . ل « قراى » هو ، « أوقدت » س : « أو ترهب » صوابه فى ط والديوان ١١ واللسان (غرز ، جمر) وأخبار مكة للأزرق (٢ : ١٤٥) . والجون : الأبيض ، عنى به حمار الوحش وهو يوصف بالبياض . اللسان (١٦ : ٢٠٥) . وأبل : اجتزأ بالرطب عن الماء ، يقال : أبل من باب ضرب وخرج ، أبلا وأبولا ، وأبل كعلم ، وتأبّل .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، هو : « أجمرت إجمار الذي يجمهم » و س : « أجمر فاجمار اللذي يجمهم » .

(٤) فى اللسان : « أجمرت الثوب وجمرته : إذا بخرته بالطيب » .

(٥) الدخنة ، بالضم : بخور يدخن به الثياب أو البيت .

٤٣ ويقال : قد جَمَّرت المرأةُ شَعْرَها إذا ضَفَرَته . و[الضَّفر] يقال له الجمير[١] . [قال : ويسمى الهلالُ قبل ليلةِ السِّرار[٢] بليلة « ابن جَمير » قال أبو حَرْدَبة[٣] :

فعل الإله يُشيعنى بفوارسٍ لبَنِى أمَيَّةَ فى سِرار جَمير[٤]]

وأنشد [فى] الأصمعىُّ :

ضَفُورُها يُطوَى على جَميرها[٥]

ويقال : قد تجمَّرَ القوم ، إذا هم[٦] اجتمعوا حتى [يصير] لهم بأسٌ ، ويكونوا[٧] كالنارِ على أعدائهم فكأنَّهم جمرةٌ ، أو[٨] كأنَّهمْ جَميرٌ من شعر مضفور ، أو حَبل مُرَصَّعِ القُوَى[٩]

وبه سمِّيت تلك القبائلُ والبطونُ من تميم : الجمار[١٠] .

والمجمَّرُ مشدَّد الميم[١١] : حيثُ يقع حصى الجمار[١٢] . وقال الهذلى[١٣] :

---

(١) الضفر ، بالفتح : مثل الضفيرة ، وهى العقيصة . اللسان (٦ : ١٦١ س ٢١) . والجمير : ما جمر من الشعر أي ضفر . اللسان (٥ : ٢١٧ س ٢) .

(٢) السرار ، بالكسر والفتح : آخر ليلة من الشهر .

(٣) أبو حردبة ، هو أحد لصوص العرب ، من بنى أثال بن مازن ، وكان رفيقا لمالك بن الريب ، وشظاظ ، فى أول أيام بنى أمية . وانظر أخبارهم فى ترجمة مالك بن الريب ، فى الأغانى (١٩ : ١٦٣ — ١٦٩) وتاريخ الطبرى ، القسم الثانى ص ١٧٩ . فى الأصل ، وهو هنا ل : « ابن حدربة » تحريف .

(٤) أشاعه الشىء : أصحبه إياه .

(٥) ل : « يطفو على جميرها » . سه : « يطوى على جميرها » .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل ، هو .

(٧) ط فقط : « ويكونون » تحرف .

(٨) كذا فى ل . وفى سائر النسخ : « فكأنهم جمروا حتى » .

(٩) القوى : طاقات الحبل . مرصع : معقود عقدا مثلثا متداخلا ، وذلك الترصيع . فيما عدا ل : « موضع » وهو تحريف .

(١٠) انظر التنبيه الثامن من الصفحة ١٢٣ .

(١١) ل : « مشددة الجيم » صوابه فى سائر النسخ .

(١٢) سه ، هو : « حصن » ط : « حصا » صوابه فى ل .

(١٣) هو حذيفة بن أنس الهذلى ، كما فى اللسان (٥ : ٢١٧) ومعجم البلدان (٧ : ٢٨٩) وقد أنشد ابن السكيت بيتاً من هذه القصيدة فى الألفاظ ٥٣٣ وهو : =

لأدركهمْ شُعْثَ النَّوَاصِي كأنهمْ سَوابقُ حُجّاجٍ تُوَافِي الجِمَرَا[1]

ويقال خُفّ مجمَّر: إذا كان مجتمعا شديداً.

ويقال: عدَّ فلانٌ إبله أو خيله أو رجاله جَمَارًا[2]. إذا كان ذلك جملة واحدة. وقال الأعشى:

[فَمَنْ مُبْلغٌ وائلاً قومَنا] وأعْني بذلك بَكراً جَمَارا[3]

قال: ويقال في النار وما يسقط من الزَّند: السَّقط، والسُّقط، [والسِّقْط].

ويقال: هذا مَسقِط الرمل، أي مُنْقَطَع الرمل[4]. ويقال أتانا مَسْقِط النَّجْمِ، إذا جاء حين غاب[5].

ويقال رَفَعَ الطائرُ سِقْطَيْهِ[6]. وقال الشاعر[7]:

حتى إذا ما أضاء الصُّبْحُ وانبعثتْ عنهُ نَعامةُ ذِي سِقْطَيْنِ مُعْتَكِرِ[8]

= ألا يا فتى ما نازل القوم واحداً بنعمان لم يخلق ضعيفاً منثرا

(١) قال التبريزي: «مدح رجلا من قومه». وقبل هذا البيت، كما في المعجم:

فلو أسمع القوم الصراخ لقوربت مصارعهم بين الدخول وعرعرا

(٢) جمارا، بالفتح: أي جماعة، كما ضبط في اللسان والقاموس، وصرح في الأخير أنه كسحاب. وفي ل: «جمارا» بالكسر. وفي سائر النسخ «تأجمر» تصحيف. وفيما عدا ل أيضا: «ويقال: عد إلى إبله وخيله». وفي س: «وخيله ورجاله».

(٣) فيما عدا ل: «وأغني بذلك». وصوابه في ل والحيوان ٤٣ واللسان (جمر). و«جمار» ضبطت في الحيوان، وفي اللسان بالفتح، وانظر التنبيه السابق. وصدر البيت في الحيوان: «فمن مبلغ قومنا مالكا».

(٤) المسقط، بكسر القاف، وفتحها لغة نادرة، وإن كانت القياس.

(٥) ط فقط: «أتاك»، والضمير في غاب النجم.

(٦) السقطان، بالكسر: الجناحان. فيما عدا ل: «ورفع الطائر سقطه» صوابه في ل واللسان (٩ : ١٩٢).

(٧) هو الراعي، كما في اللسان (٩ : ١٩٢ س ٤).

(٨) عنى بالنعامة: سواد الليل، وسقطاه: أوله وآخره. أي مضى الليل غير السقطين، وصدق الصبح. فيما عدا ل: «عنا» صوابه في ل واللسان. والمعتكر: الذي اشتد سواده واختلط والتبس. فيما عدا ل: «متشكر» صوابه فيها وفي اللسان.

(١) أراد ناحيتى الليل .

ويقال : شبّت النار والحرب تَشِبّ شَبًّا ، وشببْتها أنا أشبُّها شبًّا(٢) ، وهو رجل شَبُوبٌ(٣) للحرب .

ويقال : حَسَبٌ ثاقب ، أى مضىء متوقد(٤) . وكذلك يقال فى العلم .

ويقال : هب لى ثَقوبا ، وهو ما أثقبْتَ به النار(٥) ، من عُطْبَةٍ أو من غيرها(٦) .

ويقال : أثقب النار إذا فتح عَيْنَيها(٧) لتشتعل . وهو الثّقوب ، ويقال(٨) ثَقَبَ الزندُ يثقُب ثُقوبا ، إذا ظهرت ناره . وكذلك النار . والزند الثاقب : الذى إذا قدح ظهرت النار منه .

ويقال : ذَكَتِ النارُ تَذْكو ذُكُوًّا ، إذا اشتعلت . ويقال ذَكَّها إذا أريد(٩) اشتعالها . وذُكاء : [اسم] للشمس(١٠) ، مضموم الذال المعجمة . وابن ذُكاء : الصبح ، ممدود(١١) مضموم الذال . [و] قال العجّاج(١٢) :

---

(١) هنا فيما عدا ل : « ويروى معتكر » .

(٢) ط فقط : « واشبها شبا » ، وهو نقص وتحريف .

(٣) شبوب : يشبها ، ويذكى نارها . فيما عدا ل : « مشبوب » محرف .

(٤) هو : « حشب » تصحيف . وفيما عدا ل : « أى فى معنى متوقد » وفيه ركة .

(٥) أثقب النار : وثقبها بالتشديد : أشعلها . هو : « ثقب » وهى صحيحة كما رأيت . س « الدار » محرف .

(٦) العطبة ، بالضم : واحدة العطب بضم وبضمتين ، وهو القطن ، أو خرقة تؤخذ بها النار . ط ، هو : « حطبة » ولم أجد هذا المفرد من الحطب . والحطب : ما يتخذ شبوبا للنار تشعل به . س : « خطبة » تصحيف ، وأثبت ما فى ل . وكلمة « من » ساقطة من ل .

(٧) فيما عدا ل : « فتح ضمها » .

(٨) فيما عدا ل : « ويقال أيضا » .

(٩) ل : « أراد » س : « أردت » .

(١٠) فيما عدا ل : « الشمس » .

(١١) ط ، هو : « مضموم الذال ممدودا » .

(١٢) نسبه فى اللسان (٦ : ٤٦٤) إلى حميد . والبيت فى المقصور ٤٤ وثمار القلوب ٢١٠ مسبوقا بـ « قال الراجز » فيهما . وفى المخصص (٩ : ١٩) مسبوقا بكلمة : « وأنشد » .

وابنُ ذُكاءِ كامنٌ في كَفَرِ (١)،

وقال ثَعلَبة بن صُعَير المازنى . وذكر ظليما ونعامة :

فتذكَّرا ثَقَلاً رثيداً بعدَ ما ألقَتْ ذُكاءُ يمينَها في كافرِ (٢)

وأما الذكاء مفتوح الذال ممدود فحِدَّة الفؤاد ، وسُرعة اللَّقْنِ (٣) .

وقالوا : أضْرَمْتُ النارحتى اضطرمتْ ، وألهبْتُها حتى التهبت ، وهما واحد .

والضِّرام من الحطب : ما ضَعُفَ منه ولاَن . والجَزْل : ما غلُظ واشتدَّ .

فالرِّمْث (٤) وما فوقه جَزْل . والعَرْفَج ، وما دونه ضِرام . والقصب (٥) وكل

شىء ليس له جمر فهو ضِرام . وكل ماله جمر فهو جَزل .

ويقال : ما فيها نافخ ضَرَمَة ، أى ما فيها أحدٌ ينفخ ناراً . ٤٤

ويقال: صَلَيْتُ الشاةَ فأنا أصليها صَلْياً إذا شَوَيتها، فهى مَصْلِيّة . ويقالُ

---

(١) الكفر ، بالفتح : ظلمة الليل وسواده ، وقد يكسر . وفى اللسان : « أى فيما يواريه من سواد الليل » . ط ، هـ : « فى كفره » وهو تحريف . وقبله :
فوردت قبل انبلاج الفجر

(٢) ضمير « فتذكرا » النعامة والظليم . والثقل ، هنا : البيض . الرثيد : المنضود بعضه فوق بعض . وهو ما خالف فيه ثعلبة الشعراء ، فهم يذكرون أن النعامة تضع بيضها طولا وعرضا على خط وسطر . انظر الحيوان (٤ : ٣٢٨) ، وعيون الأخبار (٢ : ٨٧ — ٨٨) . والكافر : الليل ، لأنه يكفر الأشياء أى يسترها . وانظر لهذا البيت المخصص (٩ : ١٩ و ١٧ : ٩) والأمالى (٢ : ١٤٥) ، وزهر الآداب (٤ : ١١٥) ، وإعجاز القرآن ٢٠٠ ، والشعراء ٥٥ ، والمقصور ٤٤ ، والمفضليات ١٥٢ واللسان (٦ : ٤٦٣—١٨ : ٣١٤) . هـ : « رييدا » ش : « رشيدا » تصحيف .

(٣) ل : « ممدود مفتوح الذال » . واللقن ، بفتح اللام وسكون القاف : مصدر لقن الشىء يلقنه : أسرع فى فهمه .

(٤) الرمث ، بالكسر : شجر يشبه الغضى . هـ : « كالرثم » ش : كالرمث » عرفان .

(٥) القصب ، هو القصب الفارسى . ط ، هـ : « العصب » ، وهو بفتح فكسر : ضرب من الشجر ، ويبدو أن صوابه ما أثبت من ل . والكلام من هذه إلى كلمه « ضرام » ساقط من ش .

صَلِيَ الرجُلُ النارَ يَصْلاها[1] ، وأصلاه الله حرَّ النارِ إصلاءً . وتقول: هو صالٍ حرَّ النار ، في قومٍ صالين وصُلًّى[2] .

ويقال: هَمَدت النار تَهْمُدُ هُمُوداً ، وطفِئَتْ تطفَأُ طُفُوءاً[3] إذا ماتت . وخَمَدَتْ تَخْمُدُ خُمُوداً ، إذا سكَنَ لهبُها وبَقِيَ جمرُها[4] حاراً .

وشبّت [النار] تشبُّ شُبوباً إذا هاجتْ والتهبت[5] وشبَّ الفرسُ يديه فهو يشبُّ شِباباً[6] ، وشبَّ الصبيّ يشِبُّ شَباباً[7] . ويقال: ليس لك عضّاضٌ ولا شَبّاب[8]

ويقال: عَشَا[9] إلى النار [فهو] يعشو إليها عَشْواً وعُشُوًّا ، وذلك يكونُ من أول الليل ، يرى ناراً فيعشو إليها يستضيء بها . قال الحطيئة :

متى تأتهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ   تجِدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ[10]

ويقال: عَشِيَ الرجل يَعْشَى عَشاوةً ، وهو رجلٌ أعشى ، وهو الذى [لا] يبصر بالليل . وعشِيَ الرجلُ عَلَى صاحبِهِ يعشَى عشًا شديداً[11] .

---

(١) ط ، سم : « فهو يصلاها » .

(٢) فيما عدا ل : « صال وصلاة » . تحريف .

(٣) ط ، قو : « طفوا » بالتسهيل . وأثبت ما في ل ، سم .

(٤) فيما عدا ل : « وبقى جمرها » . وخمد ، بابه نصر وسمع .

(٥) ل ، س : « إذا هيجت » . وفي ل : « وألهبت » من الإلهاب .

(٦) الشباب ، بالكسر ، ومثله الشبيب والشبوب ، وهو أن يرفع يديه جميعا كأنه يثب . ل : « شبيبا » وهي مصحفة .

(٧) الشباب ، هنا ، بالفتح . وهذه الفقرة ساقطة من ل .

(٨) أي فرس يعض أو يشب ، وفيما عدا ل : « غضاض » بالغين المعجمة .

(٩) كذا على الصواب في س . وفي سائر النسخ : « عشى » . والحق أن فيها لغتان : عشا يعشو ، وعشى يعشي ، الثانية من باب فرح .

(١٠) من قصيدة له في ديوانه ٢١ — ٢٥ . وبعد هذا البيت في ل زيادة : « وقال الأعشى وبات على النار الندى والمحلق » ولم أجد لها وجها .

(١١) في القاموس : « عشى عليه عشا ، كرضى : ظلمه » . وفي اللسان : « عشي عليه عشى : ظلمه » فرسم المصدر بالياء ، ووجهه بالألف ، لأن أصله الواو ، كالرضا .

(نار الحرب)

ويذكرون ناراً أخرى ، وهى على طريق المثل لا على طريق الحقيقة ، كقولهم فى نار الحرب[١] . قال ابن ميّادة :

يداه يدٌ تنهلّ بالخيـــر والندا ... وأخرى شديدٌ بالأعادى ضَرِيرُها[٢]

ونارانِ : نارٌ نارُ كلّ مُدَفَّعٍ ... وأخرى يُصيبُ المجرمين سَعِيرُها[٣]

وقال ابن كُناسة[٤] :

خَلَقُها عارضٌ يَمُدُّ على الآفا ... قِ سِتْرَيْنِ مِنْ حديدٍ ونارٍ[٥]

نارُ حربٍ يشُبُّها الحَدُّ والجِـ ... ـدُّ وتَعْشَى نوافذَ الأبصارِ[٦]

وقال الرّاعى :

وغارَتُنا أوْدَتْ ببَهْراءَ ، إنها ... تُصيبُ الصريحَ مَرّةً وللمواليا[٧]

---

(١) هى غير نار الحرب الحقيقية التى سبق حديث الجاحظ عنها فى (٤ : ٤٧٤ — ٤٧٥).

(٢) ط ، هو : « بالغيث » . والضرير ، بالضاد المعجمة : الشدة ، وبه فسر قوله :

بمنسحة الآباط طاح انتقالها ... بأطرافها والعيس باق ضريرها

ط ، س : « صريرها » بالمهملة ، صوابه فى ل ، هو .

(٣) المكل ، بالفتح : من يعوله غيره ، أو اليتيم . المدفع ، بتشديد الفاء المفتوحة : الفقير الذليل ، لأن كلا يدفعه عن نفسه .

(٤) هو محمد بن كناسة . واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى الأسدى ، شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كوفى المولد والنشأة ، قد حمل عنه شىء من الحديث ، وكان إبراهيم ابن أدهم الزاهد خاله . وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها : دنانير ، وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة فى الشعر . وله مؤلفات : منها « كتاب سرقات الكميت من القرآن » . ولد سنة ١٢٣ وتوفى سنة ٢٠٧ . انظر ابن النديم ١٠٥ مصر ٧٠ ليبسك ، والأغانى (١٢ : ١٠٥ — ١١٠) . ط ، هو : « ابن كنانة » صوابه فى ل ، س .

(٥) العارض : السحاب يعترض فى الأفق ، أراد به الجيش . ل : « ستران » .

(٦) الحد ، بفتح المهملة : الحدة والبأس . فيها عدا ل : « الجد » محرف . النوافذ : النافذات الحديدات النظر . تعشى البصر : تضعفه . ط : « تغشى » ل : « يعشى » صوابه فى س ، هو .

(٧) بهراء : قبيلة . فيها عدا ل : « بيداء » محرف . الصريح : الخالص النسب .

وكانتْ لنا ناران : نارٌ بجاسِمٍ وناٌر بدَمْخ يُحرِقانِ الأعاديا[1]

جاسم : بالشام . ودمْخ جَبَلٌ بالعالية[2] .

(نار القِرى)

ونار أخرى ، وهى مذكورةٌ عَلَى الحقيقة لاعلى المثل ، وهى مِن أعظم مفاخر العرب ، وهى [النار] التى تُرْفَع للسفْرِ[3] ، ولمن يلتمسُ القِرَى . فكلما[4] كان موضعُها أرفَعَ كان أفخر . [و] قال أميّةُ بن [أبى] الصلْت:

لا الغيابات ُ مُنْتَوَاكَ ولكنْ فى ذُرَى مُشْرِفِ القصورِ ثَوَاكا[5]

وقال الطائى[6]

وبوّأْتَ بيتَكَ فى مَعْلَمٍ رَفيعِ المَبَاءةِ والمَسْرَحِ[7]

---

(١) جاسم : قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ . ودمخ : جبل كان به يوم من أيامهم . فيما عدا ل « بمرخ » تحرف .

(٢) أى عالية نجد . فيما عدا ل : « ومرخ بالعالية » تحريف .

(٣) السفر ، بالفتح : المسافرون .

(٤) فيما عدا ل : « فكل ما » مفصولة . والوجه الوصل .

(٥) الغيابة : ما انهبط من الأرض . ط ، هو : « الغيابات » سه : « الغبابيات » صوابه فى ل . والمنتوى : الموضع ينتويه القوم حين يتحولون من مكان إلى مكان . والذرى : الأعالى . والثواء : الإقامة ، قصره الشعر . فيما عدا ل : « ذرا كا » ، وقد سبق البيت محرفا فى (١ : ٣٨٢) .

(٦) ل : « الكنانى » . ولعل صوابهما « الهانى » ، فان له قصيدة فى هذا الوزن والروى يمدح بها عبد الملك بن صالح الهاشمى ، وأنشد منها أبو الفرج فى الأغانى (١٧ : ٨١ ساسى) بيتين ، وهما :

نمته العرانين من هاشم إلى النسب الأوضح الأصرح

إلى نبعة فرعها فى السماء ومغرسها سرة الأبطح

(٧) المباءة : المنزل . وفى (١ : ٣٨١) : « رحيب المباءة » .

كَفَيْتَ العُفَاةَ طِلاَبَ القِرَى ... وَنَبْحَ الكِلاَبِ لِمُسْتَنْبِحِ[١]

ترى دَعْسَ آثارِ تِلْكَ المطـ ... ـىِّ أخاديدَ كالقَمِ الأَفْيَحِ[٢]

ولو كنتَ في نَفَقٍ رائغٍ ... لَكُنْتَ عَلَى الشَّرَكِ الأَوْضَحِ[٣]

وأنشد [نى] أبو الزِّبْرقان[٤] :

له نارٌ تُشَبُّ بكلِّ رِيعٍ ... إذَا الظلماء جَلَّلَتِ القِنَاعَا[٥]

وما إن كان أكْثَرَهُمْ سَوَامًا ... ولكنْ كان أرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا[٦]

[ويروى: « ولَمْ يَكُ أَكْثَرَ الفِتْيَانِ مالا »] .

وفى نار القِرَى يقول الآخر :

عَلَى مِثْلِ هَمَّامٍ ولَمْ أَرَ مِثْلَهُ ... تُبَكِّى البَوَاكِى أو لِبِشْرِ بنِ عامرِ

غلامان كان استَوْرَدَا كلَّ مَوْرِدٍ ... مِنَ المجدِ ثمَّ استوسعا فى المصادرِ[٧]

---

(١) العفاة : جمع عاف ، وهو من يطلب المعروف . فيما عدا ل : « ضيف القدور » وفى الجزء الأول : « كلاب الضرام » عرفان . والمستنبح : الذى ينبح لترد عليه الكلاب بنباحها ، فيستدل على أهل المنزل . يقول : كفيتهم ذلك باختيارك هذا المنزل العالى .

(٢) الدعس : أثر الوطء . والأخدود : الشق الغامض المستطيل . والقم ، بالتحريك : وسط الطريق . والأفيح : الواسع . أراد : آثار مطايا الذين يقصدونه للمعروف .

(٣) النفق : السرب فى الأرض له مخلص إلى مكان آخر . والرائغ : مائل . ط ، س : « رائع » بالمهملة محرف . وفى هو ، والجزء الأول : « زائغ » وهو بمعنى ما أثبت من ل . والشرك : وسط الطريق . يقول : لو اضطررت إلى ذلك ما اعتزت إلا حيث يطرق الناس .

(٤) ط ، س : « وأنشده » . هو : « وأنشدنى أبو الزبير قال » . والبيتان اختارهما أبو تمام فى الحماسة (٢ : ٢٦٨ — ٢٦٩) منسوبين إلى أبى زياد الأعرابى الكلابى .

(٥) الريع ، بالكسر : المكان المرتفع . ورواية الحماسة : « على يفاع » ل : « ربع » س : « ربيع » وأثبت ما فى ط ، هو . جللت : غطت . ط : « القناعا » س : « الصناعا » صوابه فى ل ، هو . وفى الحماسة :

« إذا النيران ألبست القناعا »

(٦) السوام : الإبل الراعية .

(٧) ط : « استوثقا » س ، هو : « استوسقا » . ط ، س : « بالمصادر » .

كأن سنَا ناريهما كلَّ شتْوَةٍ   سنَا الفجرِ يبدُو للعيُونِ النّواظرِ

وفي ذلك يقولُ عوفُ بن الأحوص[1]

وَمُسْتَنْبِحٍ يَخْشَى القَوَاءَ وَدُونَهُ   مِنَ اللّيلِ بَابَا ظُلْمَةٍ وسُتُورُهَا[2]

رَفَعْتُ لَهُ نَارِي فلمَّا اهتدَى بها   زَجَرْتُ كِلَابِي أن يَهِرَّ عَقُورُهَا[3]

فلا تسأليني واسألي عَنْ خليقتي   إذا رَدَّ عافي القِدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا[4]

تَرَى أنَّ قِدْرِي لاتزالُ كأنَّها   لِذِي الفروة المقرور أمٌّ يَزُورُهَا[5]

مبرَّزَةٌ لايُجْعَلُ السِّتْرُ دُونَهَا   إذا أُخْمِدَ النيرانُ لاحَ بشيرُهَا[6]

إذا الشَّوْلُ راحَتْ ثم لمْ تفدِ لحمَهَا   بألبانِها ذاقَ السِّنَانَ عَقِيرُهَا[7]

---

(١) عوف بن الأحوص : هو عوف بن ربيعة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . والأحوص لقب أبيه . وتقدمت ترجمة عوف في (٢ : ٨) . والأبيات من قصيدة له في المفضليات ص ٧٨ ، أو (١ : ١٧٤ طبع المعارف) . ط : « عبيد ابن الأبرص » ، سه ، هو : « عبيد بن الأحوص » صوابه ما أثبت من ل .

(٢) القواء : الخالي من الأرض : أي يخشى أن يهلك فيه . فيما عدا ل : « العداة » صوابه في ل والمفضليات .

(٣) ط ، هو : « نارا » وأثبت ما في ل ، سه والمفضليات .

(٤) ط ، هو : « فلا تسألي واسألي » وأثبت ما في ل ، سه والمفضليات . عاقي القدر ، قال الأصمعي : كانوا في الجدب إذا استعار أحدهم قدرا رد فيها شيئا من طبيخ ، فالعاقي ما يبقونه .

(٥) ذو الفروة : السائل المستجدي . وفروته : جعبته التي يضع فيها ما يعطى . المقرور : الذي اشتد به البرد . ط ، سه : « للفرث » هو « الفرث » صوابه في ل والمفضليات . ل : « المقرور » هو : « المفرور » صوابه في ط ، سه والمفضليات .

(٦) مبرزة : ظاهرة بارزة ، يعني النار ، فيما عدا ل : « مبروزة » صوابه في ل والمفضليات و « الستر » هي في سه ، ط : « الشر » وفي هو : « الشر » صوابه في ل والمفضليات وفيما عدا ل : « خد » . بشيرها : ضوءها يبشر الناظر إليه ويستدل به على الخير .

(٧) الشول : الإبل التي شولت ألبانها ، أي ارتفعت . راحت : رجعت من المرعى . يقول : إذا راحت ولم يكن بها لبن عقرتها . فيما عدا ل : « لم يفد » و « إن السنان » وما أثبت من ل هو رواية المفضليات .

(خبر وشعر فى الماء)

(١) أما إن ذكرْنا جُملةً من القول فى الماء(٢) من طريقِ الكلام وما يدخُل فى الطب ، فسنذكُر من ذلك جملة فى باب آخر :

قالوا : مدَّ الشعبى(٣) يدهُ وهو على مائدة قتيبة بن مسلم(٤) يلتمس الشرابَ ، فلم يَدْرِ صاحبُ الشرابِ اللبن ، أم العسلَ ، أم بعضَ الأشربة؟ فقال له: أى الأشربةِ أحبُّ إليك ؟ قال: أعزُّها مفقوداً ، وأهونُها موجوداً ! قال قُتيبة : اسقِهِ ماء(٥) .

وكان أبو العتاهية فى جماعة من الشعراء عند بعض الملوك ، إذ شربَ رجلٌ منهم ماء ، ثم قال : « بَرَدَ الماء وطابَ » فقال أبو العتاهية : اجعله
شِعْرًا(٦) . ثم قال : مَنْ يُجيز هذا البيت ؟ فأطرق القومُ منكرين ، فقال ٤٦
أبو العتاهية : سبحان الله ! وما هذا الإطراق ؟! ثم قال :

بَرَدَ الماء وطابا حبَّذا الماء شرابا

وقال الله عز وجل : ﴿أنهارٌ مِنْ ماءٍ غيرِ آسِن(٧)﴾ ثم لم يذكرْهُ

---

(١) الكلام من هنا إلى الصفحة ٤٩ من طبعة الساسى ساقط من نسخة كوبريلى ، المرموز إليها بالحرف ل .

(٢) فى الأصل : « النار » وسياق الكلام يقتضى ما أثبت .

(٣) هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبى الحميرى . وكان من كبار الحفاظ ، واستقضاه عمر بن عبد العزيز . ولد بالكوفة سنة ١٩ وتوفى بها سنة ١٠٣ . ونسبته إلى « شعب » بالفتح ، وهو بطن من همدان .

(٤) سبقت ترجمته مع ولده سلم بن قتيبة فى (٢ : ٤٥٠) .

(٥) روى هذا فى عيون الأخبار (٣ : ٢٠٠) مع اختصار . وفيها أيضا « سلم بن قتيبة » وهو ولد آخر لقتيبة ، وأخوه مسلم بن قتيبة .

(٦) يصح أن تقرأ بضبط الأمر ، وبضبط المضارع أيضا .

(٧) فى الآية ١٥ من سورة محمد . وفى الأصل : « وأنهار من ماء غير آسن » بزيادة الواو ، وهو من شنيع التحريف . انظر (٤ : ٩٤٨ ، ١٥٩٤ ، ١٦٠٠) وص ٣٢ من هذا الجزء والآية : « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين » . والآسن : المتغير .

بأكثر من السلامة من التغيُّر ؛ إذ كان الماء متى كان خالصا سالمًا لم يحتجْ إلى أن يُشربَ بشيء غيرِ ما في خلقته من الصَّفاء والعُذوبة ، والبَرْدِ والطِّيب ، والحُسنِ ، والسَّلَس في الحلْق . وقد قال عديُّ بن زَيد[1] :

لوْ بغَيرِ المـاء حَلْقِي شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماء اعتصاري[2]

قال أبو المطراب[3] عبيد بن أيُّوبَ العنبريُّ :

وأولُ خُبْثِ الماء خُبْثُ تُرَابِهِ وأولُ خُبْثِ النجلِ خُبْثُ الحلائلِ[4]

وأوصَى رجلٌ من العرب[5] ابنته ليلةَ زفافها بوصايا ، فكان مما قال لها : « احذَرِي مَوَاقِعَ أنفه[6] ، واغتسلي بالماء القَرَاح[7] ، حتى كأنكِ شنٌّ ممطور[8] ! » .

وأوصت امرأة ابنتها بوصايا ، فكان منها : « وليكنْ أطيبَ طيبك الماء » .

وزعموا أنها القائلةُ لبنتها[9] :

---

(١) هو عدي بن زيد العبادي ، شاعر فصيح من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانياً ، وكذلك كان أبوه وأمه وأهله . وأخباره مسهبة في الأغاني (٢ : ١٧ — ٤٠ ساسي) . ط « علي بن زيد » صوابه في س ، هو .

(٢) الاعتصار . أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا . والبيت من أبيات ذكرها أبو الفرج في الأغاني (٢ : ٢٤) أولها :

أبلغ النعمان عني مالكا أنه قد طال حبسي وانتظاري

(٣) ط : أبو المطراد » س ، هو : « أبو المطران » . وانظر التنبيه للحلبي ص ١٢٢ .

(٤) النجل : الولد . والحلائل : جمع حليلة ، وهي الزوج . والبيت في المستطرف (٢ : ٢١٨) ، وعجزه فيه : « وأول خبث القوم خبث المناكح » .

(٥) هو الفرافصة الكلبي ، يوصي ابنته نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو ، حين جهزها إلى عثمان بن عفان . انظر الوصية بتمامها في الأغاني (١٥ : ٦٧) وعيون الأخبار (٤ : ٧٦) . والنص فيهما : « حتى يكون ريحك ريح شن أصابه المطر » .

(٦) أي حيث يشم .

(٧) القراح ، بالفتح : الماء الخالص .

(٨) الشن ، بالفتح : القربة الخلق . والممطور : الذي أصابه المطر .

(٩) س : « لابنتها » .

بُنَيّتى إن نامَ نابِى قَبلَه[١]   وأكرِمى تابعهُ وأهلَهُ
ولا تكونى فى الخِصامِ مِثلَهُ   فتَخْصِيهِ فتكونى بَعْلَه[٢]

ومن الأمثال :

فأصبحتُ مما كانَ بينى وبينَها   سوى ذِكْرِها كالقابضِ الماءَ باليد[٣]

وأخذ المسيحُ عليه السلام فى يده اليُمنى ماء ، وفى يده اليسرى خُبزاً فقال : « هذا أبى ، وهذا أمّى[٤] » ، فجعل الماء أباً ، لأن الماء من الأرض يقومُ مقام النطفةِ من المرأة .

وإذا طُبِخ الماء ، ثم بَرَدَ لم تَلقَحْ عليه الأشجار ، وكذلك قُضبان الشجر[٥] . والحبوبُ والبذور[٦] لو طُبِخت طبخةً ثمّ بُذِرَت لم تَعلَق[٧] .

وقالوا فى النظر إلى الماء الدائم الجريان[٨] ما قالوا

وجاء فى الأثر : من كان به برصٌ قديمٌ فليأخذْ دِرْهَمًا حلالا ، فليَشترِ به عسلًا ، ثم يشربْهُ بماء سماء ؛ فإنه يبرأ بإذن الله .

والنزيف[٩] هو الماء عند العرب .

---

(١) فى الأصل : « بنى إن نام فناى قبله » .

(٢) خصمه يخصمه : غلبه فى الجدال . ولصاحب القاموس فى هذه الصيغة بحث ممتع .

(٣) مثله قول المجنون .

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض   على الماء خانته فروج الأصابع

(٤) النص فى إنجيل متى (٢٦ : ٢٦ — ٢٨) : « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ ، وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى . وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم ، لأن هذا هو دمى » .

(٥) فى الأصل : « الشجرة » .

(٦) سه ، هو : « والبزور » بالزاى . وهما سيان ، يقال : بذر ، وبزر .

(٧) هو من قولهم : علقت المرأة : حبلت . وقد تكون : « تفلق » من الفلق .

(٨) ط : « الجارى » . سه : « الجرايان » وهذه محرفة . وهو يشير إلى نحو ما جاء فى الأثر « ثلاثة يذهبن الحزن : الماء ، والخضرة ، والوجه الحسن » .

(٩) الذى فى المعاجم أن « النزفة » القليل من الماء ، جمعها نُزَف ، كغرفة وغرف . هو : « النزيف » محرفة .

وما ظنُّكم بشرابٍ خَبُثَ ومَلحَ فصار مِلحًا زُعاقًا(١) ، وبحراً أُجَاجاً(٢) ، ولَد العنبر الوَرْدَ(٣) ، وأَنسَلَ الدرَّ النفيس(٤) فهل سمِعْتَ بِفَحْلٍ أكرَمَ من نَجْله ، ومن نِتاجٍ أشرفَ من نَسْله(٥) .

[وَ(٦)] ما أحسن ما قال أبو عبَّاد ، كاتبُ ابن أبي خالد(٧) حيث يقول :

٤٧ ماجلسَ بين يدىَّ رجلٌ قط ، إلا تمثَّل لى أنى سأجلسُ بين يديه .
وما مَرَّ بى دهرٌ قطُّ ، إلا شغلنى عنه تذكُّرُ مايليق بالدهور من الغِيَر(٨) .

قال الله عز وجل: ﴿ قِيلَ لها ادْخُلِي الصَّرْحَ فلمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا(٩) ﴾ ؛ لأن الزجاجَ أكثرُ ما يُمدحُ به أن يقال : كأنه الماء فى القياق .

---

(١) الزعاق ، بالضم ، وآخره قاف : الشديد الملوحة . ه : « زعافا » بالفاء تحريف ، وإنما تصلح وصفاً للسم ، يقال : سم زعاف : أى سريع القتل .

(٢) البحر : الماء العظيم الملح . والأجاج ، بضم أوله وفتح ثانيه : الشديد الملوحة المحرق من ملوحته .

(٣) العنبر : ضرب من الطيب ، قال داود : « الصحيح أنه عيون بقعر البحر تقذف (مادة) دهنية ، فإذا فارت على وجه الماء جمدت فيلقيها البحر إلى الساحل » وقيل : هو طل يقع على البحر ثم يجتمع » وقيل : روث لسمك مخصوص . وهذه خرافة ، لأن السمك يبلعه فيموت فيطفو فيوجد فى أجوافه » هذا زعمه . والورد : ما كان ذا لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة .

(٤) أنسل : ولد . والدر : جمع درة ، وهى اللؤلؤة العظيمة . واللؤلؤ يؤخذ من بعض السمك ذى الأصداف . فى الأصل : « فأنسل » بالفاء .

(٥) نجله ، ونسله : ولده . وفى الأصل : « من نجله » ، و : « من نسله » .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) انظر ترجمة أبى عباد فى (٢ : ١٩٣) . والخبر فى البيان (١ : ٢٠٦) مقتضباً .

(٨) لاق به : علق به . والغير بفتح وكسر : أحوال الدهر المتغيرة . قال ابن الأنبارى : « يجوز أن يكون جمعا واحدته غيرة » انظر اللسان .

(٩) من الآية ٤٤ فى سورة النمل . والصرح : القصر . وكان سليمان قد بنى لبلقيس قصراً من الزجاج ، ثم أرسل الماء تحته وألقى فيه السمك وغيره . وإنما فعل ذلك ليريها استعظاما لأمره ، وتحقيقاً لنبوته . انظر تفسير المنار (٦ : ٤١١) .

وقال الله عز وجل : ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ(١) ﴾ .

وقال القُطامىّ :

وهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ بهِ ... مواقِعَ الماء منْ ذِى الغُلَّةِ الصَّادى

وقال الله عز وجل :﴿ واللهُ خَلَقَ كلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماء(٢) ﴾

فيقال: إنه ليس شىء إلا وفيه ماء، أو قدْ أصابه ماء، أو خُلق من ماء .

والنُّطفة ماء ، والماء يسمى نُطفة . و [قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاء ﴾(٣)] . قال ابن عباس : موج مكفوف(٤) .

وقال عز وجل: ﴿ ونَزَّلنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا(٥) ﴾ .

(التسمية بماء السماء)

وحين اجتهدوا فى تسمية امرأةٍ بالجمال ، والبركة ، والحسن ، والصفاء ، والبياض قالوا : ماء السماء(٦) . وقالوا : المنذر بنُ ماء السماء .

---

(١) من الآية ١٢ فى سورة فاطر .

(٢) من الآية ٤٥ فى سورة النور .

(٣) من الآية ٧ فى سورة هود . وهذا الإكمال من عنده .

(٤) لعله من قولهم : كفف الإناء : ملأه ملأً مفرطاً .

(٥) من الآية ٩ فى سورة ق . وفى الأصل : « وأنزلنا » وهو تحريف قبيح . انظر القراءات الواردة فى سوره قٓ فى (إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشرة) ص ٣٩٨ ، وكذا (القراءات الشاذة لابن خالويه) ص ١٤٤ .

(٦) به لقبت أم المنذر بن امرئ القيس بن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمى ، وهى ابنة عوف ابن جشم ، من النمر بن قاسط . وسميت بذلك لجمالها ، وقيل لولدها : بنو ماء السماء ، وهم ملوك العراق . وماء السماء لقب أيضا لعامر بن حارثة الأزدى ، وهو أبو عمرو مزيقياء ، الذى خرج من اليمن لما أحس بسيل العرم ، فسمى بذلك ، لأنه كان إذا أجدب قومه مانهم حتى يأتيهم الخصب ، وقيل لولده بنو ماء السماء ، وهم ملوك الشام . وماء السماء أيضاً : لقب العرب عامة ، لأنهم كانوا يتتبعون قطر السماء ، فينزلون حيث كان . وفى حديث أبى هريرة : « أمكم هاجر ، يا بنى ماء السماء » يريد العرب . انظر اللسان (١٨ : ٤٤٣) وثمار القلوب ٤٤٦ .

(استطراد لغوى)

ويقال : صِبْغٌ له ماء ، ولونٌ له ماء ، وفلان ليس فى وجهه ماء ، وردَّنى فلانٌ ووجهى بمائه . قال الشاعر :

ماءُ الحياء يجولُ فى وجناتِهِ

(شعر فى صفة الماء)

وقالت أمُّ فَروة[1] فى صفة الماء :

وما ماءُ مُزْنٍ أىُّ ماءٍ تقولُه … تحدَّرَ مِنْ غُرٍّ طِوَالِ الذَّوائبِ

بمُنعَرَجٍ أو بَطْنِ وَادٍ تحدَّبت … عليه رياحُ المزْنِ من كلِّ جانبِ[2]

نَفَى نَسَمُ الرِّيحِ القَذَا عن مُتونه … فما إنْ به عيبٌ تراه لِشاربِ[3]

بأطيبَ ممنْ يقصُرُ الطَّرْفَ دونَه … تُقَى اللهِ واستحياءُ بعضِ العواقبِ

(ما يحبه الحيوان من الماء)

والإبل[4] لاتحبُّ من الماء إلا الغليظَ . والحوافرُ تحبُّ العُذوبة وتكره الماء الصافى ، حتى ربَّما ضَرَبَ الفرسُ بيده الشريعةَ[5] ليثوِّر الماء ثمَّ يشربَه .

والبقر تعافُ الماء الكدِرَ ، ولا تشرب إلا الصافى .

(١) انظر الحيوان (٣ : ٥٤) . والأبيات مروية هناك مع بعض الخلاف .
(٢) تحدبت : تعطفت ، كما تتحدب الأم على ولدها . وفى الجزء الثالث : « تحدرت » .
(٣) القذا : ما يقع فى الماء من تراب أو تبن أو وسخ . والمتون : جمع متن ، أراد صفحته .
(٤) فى الأصل : « فالإبل » .
(٥) الشريعة : مورد الماء ، يشرع فيه الحيوان .

والظباء تَكرَع فى ماء البحرِ الأُجاج ، وتخضِمُ الحنْظَلَ .

(استطراد لغوى)

والأبيضان : الماء ، واللبن . والأسودان : الماء ، والتمر .

وسواد العِراق : ماؤه الكثير . والماء إن كان له عُمْق اشتدّ سوادُه فى العين .

(شعر فى صفة الماء)

وقال العُكْلىّ فى صفة الماء :

عادَهُ مِنْ ذِكْرِ سَلْمَى عُوَّدُهْ(١) والليل داجٍ مطلخِمٌّ أسودُه(٢)
فبتُّ ليلى ساهراً ما أرقُدُه حتى إذا الليل تولى كَبِدُه(٣)
وانكبّ للغَوْرِ انْكِبابا فَرْقَدُهْ(٤) وحثّه حادٍ كَميشٌ يَطرُدُه(٥)
أغَرُّ أجلى مُغْرَبٌ مُجَرَّدُهُ(٦) أصبحَ بالقلْبِ جَوًى ما يَبردُهُ(٧) ٤٨

---

(١) البيت مخروم بنقص حرفين . ويتم بأن يكون : « قد عاده » ، أو « علوده » .
(٢) مطلخم : مظلم متراكب .
(٣) كبد الشيء : معظمه ، ووسطه .
(٤) الغور ، أراد به الغروب . والفرقد . أراد به الفرقدين ، وهما كوكبان قريبان من القطب . وفى اللسان . « وربما قالت العرب لهما : الفرقد . قال لبيد :

خالفَ الفرقَدَ شرْباً فى الهُدى خلةٌ باقيةٌ دونَ الخُلَلْ

وفى ديوان لبيد ص ١٢ : « شركا فى السرى » .
(٥) ضمير « حثه » الفرقد ، أو الليل . والكميش : السريع الجاد فى السوق ، وقد عنى بالحادى هنا الصبح .
(٦) الأغر : الأبيض ، وهو صفة « حاد » فى البيت قبله . والأجلى : الحسن الوجه الذى انحسر الشعر عن جبهته ، وفى صفة المهدى أنه « أجلى الجبهة » . والمغرب ، بضم الميم وفتح الراء : الأبيض . والمجرد : ما يجرد عنه الثياب من الجسد .
(٧) أصبح ، جواب « إذا » فى البيت الرابع من الأرجوزة . وبرده يبرده ، من باب نصر ، وبرده بالتشديد : جعله بارداً . وفاعله « ماء غمام » فى البيت بعده .

مَاءُ غَمَامٍ فِي الرِّصَافِ مَقْلِدُهْ⁽١⁾   زَلَّ بِهِ عَنْ رَأْسِ نِيقٍ صَدَدُهْ⁽٢⁾

عَنْ ظَهْرِ صَفْوَانٍ مَزَلٍّ مُجْسَدُهْ⁽٣⁾   حَتَّى إِذَا السَّيْلُ تَنَاهَى مَدَدُهْ⁽٤⁾

وَشَكَدَ الْمَاءَ الَّذِي يَشْكُدُهْ⁽٥⁾   بَيْنَ نُعَامَى وَدَبُورٍ تَلْهَدُهْ⁽٦⁾

كُلُّ نَسِيمٍ مِنْ صَبًا تَسْتَوْرِدُهْ⁽٧⁾   كَأَنَّمَا يَشْهَدُهُ أَوْ يَفْقِدُهْ

فَهْوَ شِفَاءُ الصَّادِ مِمَّا يَصْمِدُهْ⁽٨⁾

وقال آخر في الماء :

---

(١) الرصاف ، بالكسر : جمع رصفة ، بالتحريك ، وهي حجارة مرصوف بعضها إلى بعض في مسيل ماء ، وهو أصفى الماء وأرق . والمقلد : المجمع ، قلد الماء في الحوض يقلِده قلداً : جمعه فيه .

(٢) زل به : جعله يزل ، أي يسقط . ط ، هو : « ذل » بالذال ، صوابه في س . والنيق بالكسر : الحرف من حروف الجبل ، وأعلى موضع فيه . والصدد : الناحية . وفي الأصل : « صلده » .

(٣) الصفوان : الحجارة الصلدة الضخمة ، واحده صفوانة . والمزل ، بفتح الزاي وكسرها موضع الزلل . والمجسد ، كمكرم : أصله الثوب يلي الجسد .

(٤) هو : « الليل » محرفة .

(٥) المعروف شكده يشكده ، بضم عين المضارع وكسرها من الثلاثي ، وأشكد لغة فيه ، والشكد : العطاء ، عنى به المدد الذي يتلقاه من السيل . س : « يستشكده » محرف .

(٦) النعامى ، بالضم والقصر : ريح الجنوب ، وهي أبل الرياح وأرطبها . قال أبو ذؤيب :

مرته النعامى فلم يعترف   خلاف النعامى من الشام ريحا

وفي ط ، هو : « حوام » وس : « حوامى » . والدبور : الريح الغربية . تلهده : شديداً .

(٧) الصبا ، بالفتح : الريح الشرقية .

(٨) الصاد : العطشان . وفي الأصل : « الصادي » بإثبات الياء ، وهو تحريف لا يستقيم به الوزن . وقد أجرى الراجز الوصل مجرى الوقف في لغة من يقف على المنقوص المحلى بأل بحذف الياء ، كما قرئ : « الكبير المتعال » ، « يوم التناد » . ويصمده : يقصده ، ويقصده ، ويعتمد عليه . وبابه نصر .

يا كأسِ ما ثَغَبٌ برأسِ شَظِيَّةٍ ... نَزِلٍ أصابَ عِرَاصَها شُؤْبُوبُ[١]

ضَحْيَانُ شاهقةٍ يرِفُّ بَشَامُه ... نَدِيانَ ، يقصر دونَهُ اليعقوبُ[٢]

بألذَّ منكِ مَذاقةً لمُحَلَّإٍ ... عطشانَ دَاغَشَ ثُمَّ عاد يَلوبُ[٣]

وقال جرير[٤] :

---

(١) كأس : اسم من يشبب بها . وفى الأصل : « ما كأس » تحريف . والثغب ، بالتحريك والفتح أقل : ماء مستنقع فى صخرة . والشظية : رأس من رؤوس الجبال . ط ، هو : « ثعب رأس شظية » ويلتقط : « ما » ، وفى س : « ماء ثعب رأس شظية » . وهو تحريف متراكب أصلحته بما ترى . والنزل ، بفتح فكسر : السريع السيل . والعراص جمع عرصة ، بالفتح ، وهى الأرض الواسعة بين الدور ، أراد : ساحتها . والشؤبوب : الدفعة من المطر . هو : « أصاب عراضها » ط : « أسال » صوابهما فى س .

(٢) الضحيان : البارز للشمس ، قال ابن جنى : « كان القياس فى ضحيان ضحوان ، لأنه من الضحوة ، إلا أنه استخف بالياء » على أن الياء أخف من الواو . شاهقة : أراد فى بقمة عالية . والبشام : نبت طيب الريح والطعم . يرف : يهتز خضرة ، وتلألؤا . وفى الأصل : « يرق » بالقاف ، تصحيف . نديان : أصابه الندى . انظر اللسان (٢٠ ١٨٦ س ١٨) . ورواية اللسان (٣ : ١١٣ س ٢) : « عال » . واليعقوب : الظاهر فيه أنه ذكر العقاب ، ومن فسره بذكر الحجل فقد أخطأ ، لأن الحجل لا يعرف له مثل هذا الطول فى الطيران . ويشهد بصحة هذا القول ، قول الفرزدق (انظر الديوان ٣٦ ، واللسان) :

يومًا تَرَكْنَ لإبراهيمَ عَافيةً ... مِن النُّسور عليه واليعاقيبِ

فذكر اجتماع الطير على هذا القتيل من النسور ، واليعاقيب . ومعلوم أن الحجل لا يأكل القتل .

(٣) منك : أراد الرضاب . والمحلأ : الممنوع من الماء . داغش ، من المداغشة ، وهى أن يحوم حول الماء من العطش ، وبهذا البيت استشهد صاحب اللسان فى (٨ : ١٩٤) . وروايته فى هذا الموضع وفى (٢ : ٢٤٢) :

بألذ منك مقبلا لمحلأ ... عطشان داغش ثم عاد يلوب

وفى أصل الحيوان : « داعس » محرف . يلوب : يدور حول الماء وهو عطشان لا يصل إليه .

(٤) ديوانه ٤٥٣ من قصيدة يهجو بها الفرزدق . وقبل البيت ، وهو مطلع القصيدة أيضا :

لم أر مثلك يا أمام خليلا ... أنأى بحاجتنا وأحسن قيلا

لو شئتِ قد نَقَعَ الفؤادُ بشَرْبةٍ تَدَعُ الحوائمَ لا يَجُدْنَ غليلا[1]
بالعَذْب من رصَف القِلاتِ مَقِيلُه قَضّ الأباطحِ لا يزالُ ظليلا[2]

(فضل الماء)

قال: وفي الماء أنّ أطيب شراب عُمِل ورُكِّب، مثل السَّكَنْجَبين[3]، والجُلّاب[4]؛ والبَنَفْسَج وغير ذلك مما يُشْرَبُ من الأشربة، فإنّ لذّ

(١) نقع الفؤاد: شفى غليله وارتوى. وفي الديوان: «يشرب ينقع». ويقال: وجد يجد، ويجد، والضم لغة عامرية. وبهذا البيت استشهد الجوهري ونسبه إلى لبيد، قال: «وهو عامري». واستدركه ابن برى بأن الشعر لجرير.

(٢) القلات، بالكسر: جمع قلت، وهي النُّقْرة في الصخرة من ماء السماء، ولا مادة لها من الأرض. والرصف، بالتحريك: حجارة مرصوف بعضها إلى بعض، أو مسيل كأنه مرصوف. في الأصل — وهو هنا خطأ، صحته، إذن أن هذا البيت ساقط من ﻫ —: «القلاة». وفي الديوان: «القلاة» صوابه ما أثبت من اللسان (٤ ٤٥٨). والرواية فيه وفي الديوان: «في» بدل «من». مقيله: حيث يقيل. والقض: الأرض ذات الحصباء، ومازها أعذب ماء وأصفاه. وفي الأصل: «قصر» صوابه من الديوان واللسان.

(٣) السكنجبين: معرب من الفارسية، وأصله فيها « سِكَنْكَبين » أو « سركَنْكَبين » كما في معجم استينجاس. وقد أشار إلى المأخذ الثاني داود في تذكرة أولي الألباب، وإلى الأول أدي شير في الألفاظ الفارسية المعربة. والأول مركب من «سِكِ»، و « أنكَبين »؛ والثاني من « سِركا » و « انكبين ». و «سِكِ»، و «سركا» معناهما الخل. و « أنكَبين » معناه العسل. ويراد به كل شراب حلو حامض جعل دواء للصفراء. وفي لغة الأطباء من الأوربيين (Oxymel). وانظر صنعته في مادة (شراب) من التذكرة، ومنهاج الدكان ص ٣١ — ٣٢، ٣٨ — ٣٩. ولم يذكره صاحب اللسان وذكر صاحب القاموس (السَّكَبِينَج)، وقال: «دواء معروف». وليس بالسكنجبين، بل هو نبات صمغ يتداوى به. ولم يشر إليه الجواليقي، ولا تكلم فيه صاحب شفاء الغليل. واستعمال الجاحظ لهذه الكلمة يصحح تعريبها.

(٤) الجلاب، بضم الجيم وتشديد اللام: ماء الورد، فارسي معرب. قال داود: «هو السكر إذا عقد بوزنه أو أكثر ماء ورد». وانظر المعرب ١٠٦، وشفاء الغليل، والمعتمد ص ٤٩. وهو مركب من « كُلْ » بمعنى الورد، و « آب » بمعنى الماء.

وطاب ، فإنّ تمامَ لذّته أن يَجْرعَ شاربهُ بعد شُربه له جُرَعاً من الماء ، يغسل بها[١] فمه ، ويطيِّب بها نفسه . وهو فى هذا الموضع كالخُلّة والحَمْض جميعاً[٢] وهو لتسويغ الطعام فى المرِىء[٣] ، والمركَبُ والمعبر ، والمتوصَّل به إلى الأعضاء.

فالماء يُشرَبُ صِرفًا وممزوجاً ، والأشربة لاتُشرَبُ صِرفا ، ولا يُنْتَفَعُ بها إلا بممازَجَة الماء .

وهو بعدُ طهورُ الأبدانِ ، وغَسُولُ الأدران[٤] .

وقالوا : هو كالماء الذى يطهر كلّ شىء ، ولا ينجِّسه شىء .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى بئر رُومة[٥] : « الماء لاينجِّسُه شىء[٦] » .

ومنه ما يكون منه المِلْح[٧] ، والبَرَد ، والثَّلج ، فيجتمع الحُسن فى العين ، والكرم فى البياض والصفاء ، وحسنُ الموقع فى النفس .

وبالماء يكون القَسَم ، كقول الشاعر :

---

(١) سمو : « به » محرف .

(٢) الخلة ، بالضم : ما فيه حلاوة من النبت . والحمض ، بالفتح : كل نبت فيه حموضة أو ملوحة . والعرب تقول : الخلة خبز الإبل ، والحمض فاكهتها . وذلك أن الإبل إذا شبعت من الخلة اشتهت الحمض .

(٣) المرىء ، كأمير : مجرى الطعام والشراب ، وهو رأس المعدة والكرش اللاصق بالحلقوم . ط ، هو : « بتسويغ » صوابه فى سمو .

(٤) الغسول ، بالفتح : ما يغسل به . والأدران : جمع درن ، بالتحريك ، وهو الوسخ .

(٥) رومة ، بضم الراء ، وهى فى عقيق المدينة ، اشتراها عثمان بن عفان فتصدق بها . وبالقرب منها نزلت قريش فى غزوة الخندق .

(٦) هذا محمول على الماء الكثير إذا بلغ قلتين ، أو عشرة أذرع فى مثلها كما يقول الفقهاء ويختلفون . والقلة : الجرة العظيمة . ويخصص هذا الإطلاق حديث : « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل نجساً » وهذا دليل على أن ما لم يبلغ قلتين يحمل النجس . انظر تأويل مختلف الحديث ٤٣٣ — ٤٣٤ . وهو كما تقول : النار لا يقوم لها شىء ! ولا تريد بذلك نار المصباح الذى يطفئه النفخ ، وإنما تريد نار الحريق .

(٧) سبق فى ص ٣٩ : « فيصير مطراً ، وبردا ، وثلجا ، وطلا » .

غَضبى ولا واللهِ يا أهلَهَا لا أشرَبُ البارِدَ أو تَرضَى[١]

ويقولون : لو علِمَ فلانٌ أنَّ شُربَ البارِدِ يَضَعُ من مروءتِه لما ذاقه[٢] .

٤٩ وسَمّى اللهُ عز وجلّ أصلَ الماء غَيثاً[٣] بعد أن قال : ﴿ وكانَ عَرْشُهُ عَلَى الماء[٤] ﴾ .

ومن الماء ماء زمزم ؛ وهو لِمَا شُرِبَ له . ومنه [ما[٥]] يكونُ دواء وشفاء بنفسه ، كالماء المحمّى[٦] .

(علّة ذكر النار في كتاب الحيوان)

قد ذكرنا جملة من القَول في النار[٧] ، وإن كان [ذلك] لايدخل في باب القول في أصناف الحيوان ؛ فقد يرجع[٨] إليها من وجوه [كريمة نافعةِ الذكر ، باعثةٍ على الفكر . وقد يعرِضُ من القَولِ ما عسى أن يكون أنفعَ] لقارئ هذا الكتاب من باب القول في الفيل ، والزَّنديبيل[٩] ،

---

(١) الحق أن الماء مقسم عليه لا مقسم به . وأما المقسم به فهو لفظ الجلالة : « والله » .

(٢) يضع من مروءته : يحط منها . ط : « مؤنة » هـ ، سه : « مروءته » صوابه ما أثبت .

(٣) وذلك في الآية ٣٤ من سورة لقمان ، والآية ٢٨ من سورة الشورى ، والآية ٢٠ من سورة الحديد .

(٤) من الآية ٧ في سورة هود .

(٥) ليست في الأصل .

(٦) في الأصل — وعوضنا ط ، سه ، هـ : « كالحمى » . والمراد : كالماء الذي تداوى به الحمى ينضح به المريض ، وبذلك كان يتداوى الرسول الكريم في مرضه الأخير .

(٧) من مبدأ هذه الجملة يعود الكلام في نسخة كوبريلي ، وينتهي السقط الذي نبهنا على أوله في ص ١٣٧ .

(٨) ط ، سه : « ترجع » هـ : « رجع » وأثبت ما في ل .

(٩) الزنديبيل : الفيل الكبير ، فارسي معرب ، مركب من « زنده » بمعنى الكبير . و « پيل » بالباء الفارسية . وهو الفيل . انظر معجم استينجاس والمعرب ١٧٦ .

و [فى] القرد والخنزير ، وفى الذئب والذئب ، والضَّبِّ [١] والضَّبع ، و[فى] السِّمْع والعِسبار [٢] .

وعلى أن الحَكَمة ربما كانت الذُّبابة مع لطافة شخصها ، ونذالة قَدْرها ، وخساسة حالها — أظهرَ منها فى الفرس الرائع [٣] ، وإن كان الفرسُ أنفع فى باب الجهاد ؛ وفى الجاموس مع عِظَم شخصه ، وفى دودة القزّ ، و[فى] العنكبوت — أظهرَ منها فى الليث المصور ، والعُقاب الشَّغْواء [٤] .

وربما كان ذِكْرُ العظيم الجُثة [الوثيق البدَن، الذي يجمعُ حِدّةَ النابِ وصولةَ الخلق] أكثرَ فائدةً ، وأظهرَ حِكمةً من الصغير الحقير ، ومن القليل القَمِيء [٥] . كالبعير والصؤابة ، [والجاموس] والثعلب والقملة .

وشأن الأرَضة أعجبُ [٦] من شأن البَبْر [مع مسالمة الأسد له ، ومحاربته النمر] .

وشأنُ الكُركيّ أعجبُ من شأن العَنْدَليب [٧] ، فإن الكُركيّ [من] أعظم الطير ، والعندليب [٧] أصغرُ من ابن تَمْرة [٨] .

---

(١) « الذئب » ساقط من ... . وما بعده ساقط منها ومن ... .

(٢) السمع ، بالكسر : ولد الذئب من الضبع . فيما عدا ل : « السبع » بالباء ، محرف . والعسبار ، بالكسر : ولد الضبع من الذئب . انظر ما سبق فى الحيوان (١ : ١٨١ ١٨٢) .

(٣) فيما عدا ل : « على الفرس الرائع » .

(٤) الشغواء : العقاب ، سميت بذلك لانعطاف منقارها الأعلى ، أو لفضله على الأسفل . فيما عدا ل : « الشتول » محرف .

(٥) القمى : مخفف القمىء ، وهو الصغير الجسم .

(٦) ل : « أعظم » .

(٧) العندليب : طائر يصوت ألوانا . ط ، ... ، ... « العنديل » بالقلب . ويقال أيضا « العنديل » بلامين بينهما ياء ، كما فى اللسان والقاموس . ولم يذكرا لغة القلب . وقد أثبت « العندليب » من ل . وفى الحيوان (٧ : ٢٥) : « ويقولون عندليب وعنديل وكل صواب » .

(٨) ويقال أيضا « أبو تُمْرة » و « تُمَّرة » و « التُّمَير » . قال ابن سيده فى المخصص (٨ : ١٦٥) : « أصغر ما يكون من الطير ، يحرس الزهر والشجر ، كما تحرس النحل والدبر » . وهو بالإنكليزية : Sunbird . فيما عدا ل : « ابن تمر » محرف .

وكذلك ذكر يونس[1] بعضَ لاطة الرُّواة فقال : « يضرِبُ ما بينَ الكُرْكيِّ إلى العندليب » . يقول : لايدع رجلا ، ولا صبيًّا إلاَّ عفجَه .

ويشبه ذلك هجاء خلفٍ الأحمرِ أبا عبيدة ، حيث يقول[2] :

ويضربُ الكُرْكيَّ إلى القُنبَرِ   لاعانسًا يبقى ولا مُحتلِمْ[3]

والعانس من الرجال مثله من النساء[4] .

فلسنا نُطنبُ في ذكر العظيم الجثة لِعظَم جُثَّته ، [ولا نَرْغَبُ عن ذكر الصغير الجثة ، لصغر جُثّته] . وإنما نلتمس ما كان أكثر أعجوبة ، وأبلغَ في الحكمة[5] ، وأدلَّ عند العامة على حكمة الرَّبِّ ، وعلى إنعام هذا السيِّد .

ورُبَّ شيء الأعجوبةُ فيه إنما هي في صورته ، وصَنعته ، وتركيب أعضائه ، وتأليف أجزائه[6] ، كالطاووس في تعاريج ريشه[7] ، وتهاويل

---

(١) هو يونس بن حبيب الذي سبقت ترجمته في (١ : ٣٢٩) . وانظر كنايات الثعالبي ٢٧ والمهاف (٢ : ٣٤٨) . فيما عدا ل : « ابن يونس » .

(٢) فيما عدا ل : « فقال » .

(٣) القنبر : ضرب من الحُمَّر : Lark . انظر معجم المعلوف ١٤٦ . ل : « محتلم » .

(٤) في اللسان : « العانس من الرجال والنساء : الذي يبقى زمانا بعد أن يدرك لا يتزوج . وأكثر ما يستعمل في النساء » .

(٥) ل : « بل إنما نلتمس ما كان أظهر أعجوبة وأشهر بالحكمة » .

(٦) فيما عدا ل : « ريشه » .

(٧) ل : « تقاريج » . والتفاريج ، أصلها فتحات الأصابع ، وشقوق الدرابزين ، واحدها تِفراج ، أو تِفرِجة . وانظر ما سبق في (١ : ٢١٠) ، و (٢ : ٢٤٤) .

ألوانه ، وكالزَّرافة في عجيب تركيبها ، ومواضع أعضائها . والقولُ فيهما[1] شبيهٌ بالقول في التُّدْرُج[2] والنَّعامة .

وقد يكون الحيوانُ عجيبَ صنعةِ البَدن ، ثم لا يُذْكَرُ بعدَ حُسن الخَلْق بخُلُق كريم ، [ولا حِسٍّ ثاقبٍ] ، ولا معرفة عجيبة ، ولا صنعة [لطيفة] . ومنه ما يكون كالببغاء ، والنخلة ، والحامةِ ، والتّبلبل ، والدُّرَّة[3] ولا تكون الأعجوبةُ في تصويره ، وتركيب أعضائه ، وتنضيد ألوانِ ريشه في وزن تلك الأشياء التي ذكرناها ، أو يكون العَجَبُ[4] فيما أعطى في حنجرته من الأغاني العجيبة ، والأصوات الشجيَّة[5] المطربة ، [والمخارج الحسنة ـ مِثلَ العجب فيما أُعطِيَ من] الأخلاق الكريمة[6] ، أو في صنعة الكفِّ اللطيفة ، والهداية الغريبة ، [أ] و للرِّفق النافع ، أو للمضرَّة[7] التي تدعو إلى شدَّة الاحتراس ، ودقة الاحتيال ، فيقدَّم في الذكر لذلك .

وأيُّ شيء أعجبُ من العَقْعَق[8] وصِدْق حِسِّه ، وشدةِ حَذَرِه ، وحُسْنِ معرفته ، ثم ليس في الأرض طائر [أشدُّ تضْييعاً لبيضه وفرْخه منه .

---

(١) س : « فيه » ط ، هو : « فيهما » وأثبت ما في ل .
(٢) انظر (٢ : ٢٤٤) .
(٣) الدرة ، بضم الدال المهملة وتشديد الراء المفتوحة : ضرب من الببغاوات . انظر الدميرى ومعجم المعلوف ١٨٣ . ولم يذكرها صاحب اللسان والقاموس . وقد أسلف الجاحظ ذكرها في (١ : ٢١٠) ، وجاءت هناك وهنا محرفة برسم « الذرة » بالذال المعجمة . وقد نبهني العلامة المحقق الأب أنستاس الكرملي إلى تصحيحهما في رسالة خاصة .
(٤) ط ، هو : « العجيب » .
(٥) ل : « اللحنة » .
(٦) فيما عدا ل : « وفي الأخلاق الكريمة » .
(٧) فيما عدا ل : « أو إلى المضرة » ، وكلمة « إلى » مقحمة .
(٨) العقعق ، كثعلب : طائر في قدر الحمامة وشكل الغراب طويل الذنب .

والحُبارَى ، مع أنها أحمقُ الطير ،] تحوطُ بيضَها أو فراخَها[1] أشدَّ الحياطة و بأغمَضِ معرفة ، حتى[2] قال عثمانُ بن عفان ، رضى الله عنه : « كلُّ شيء يحب ولدَه حتى الحبارى » . يَضربُ بها المثلَ فى المُوق[3] .

(العقعق)

ثم العقعقُ مع خِذقه بالاستلاب[4] ، وبسرعة الخطف ، لايستعمل ذلك [إلا[5]] فيما [لا] ينتفع به ؛ فكَمْ من عِقْدٍ ثمين خَطير ، ومن قُرْطٍ شريف نفيس ، قد اختطف[6] من [بين] أيدى قوم ، فإمّا رَمَى به بعد تحلّقه[7] فى الهواء ، و إما أحرزه ولم يلتفت إليه أبداً .

وزعم الأصمعىُّ أنّ عَقعقاً مرةً استلبَ سِخاباً[8] كريما لقوم ، فأخذَ أهلُ السِّخَاب أعرابيّةً كانت عندهم ، فبينا هى تُضْرَبُ ، وتُسْحَبُ ، وتَسُبُّ إذ مرّ العقعقُ والسِّخابُ فى منقاره[9] ، فصاحوا به فرمى به ، فقالت الأعرابية وتذكّرتِ السلامة[10] بعد أن كانت قد ابتُليت ببليّة أخرى فقالت[11] :

---

(١) ل : « وفراخها » .
(٢) فيما عدا ل : « مثله » موضع « حتى » . تحريف .
(٣) الموق ، بالضم : حمق فى غباوة . ل : « الموق » بالهمز .
(٤) الاستلاب : السلب . فيما عدا ل : « بالأسباب » . محرف .
(٥) هذه الزيادة من ل ، س ، هو .
(٦) ل : « اختطفه » .
(٧) المعروف : حلق الطائر تحليقاً إذا ارتفع فى الهواء واستدار . لكن هكذا وردت فى الأصل ، وسبق مثلها فى (٣ : ١٨٤) .
(٨) فى اللسان « الأزهرى : السخاب عند العرب كل قلادة كانت ذات جوهر أو لم تكن » واستشهد بالبيت الآتى . وهو بكسر السين .
(٩) فيما عدا ل : « فى فمه » . وأنّى يكون له الفم ؟ ! .
(١٠) فيما عدا ل : « تذكر السلامة » .
(١١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

وَيومُ السَّحَاب منْ تَعَاجِيبِ رَبِّنَا   كما أنه من بَلْدَةِ السُّوءِ نَجَّانِى[(١)]

تعنى الذين كانت نزلت بهم من أهل الحاضرة .

(كلام فى الاستطراد)

ولا بأس بذكر مايعرض ، مالم يكن من الأبواب الطِّوال ، التى ليس فيها إلا المقاييس المجرَّدة ، والكلامية المحضة ؛ فإن ذلك مما لايخفُّ سماعه ولا تَهَشُّ النفوسُ لقراءته . وقد يحتمل ذلك صاحبُ الصناعة[(٢)] ، وملتمس الثواب والحِسْبة[(٣)] ، [إذا كان حليفَ فِكْرٍ ، أليفَ عِبَرٍ] ، فمتى وجدنا من ذلك بابا يحتمل أن يوشَّح بالأشعار الطريفة البليغة ، والأخبار الطريفة العجيبة[(٤)] ، تكلَّفنا ذلك ، ورأيناه[(٥)] أجمعَ لما ينتفع به القارئ .

ولذلك استجزْنا أن نقولَ فى باب النار ماقلنا .

وأنا كاتبٌ لك بعد هذا — إذْ كنتُ قد أملَلْتُكَ بالتطويل ، وحمَلْتُك على أصعَب المراكب ، وأوْعَرِ الطُّرق ، إذ قد ذكرنا فيه جملةً صالحةً من كلام المتكلمين . ولا أرى أن أزيدَ فى سآمتك ، وأُحَمِّلَكَ استفراغ طاقتك ، بأن أبتدئ[(٦)] القولَ فى الإبل ، والبقر ، والغنَم ، والأُسْدِ ، والذئاب ، والحمير ، والظباء ، وأشباه ذلك ، مما أنا كاتِبُهُ لك .

ولكنى أبدأ بصغارِ الأبواب وقصارِها ، ومُحَقَّراتها[(٧)] ، ومِلاحِها ،

---

(١) رواية اللسان (١ : ٤٤٤) : « مِن أنه » .

(٢) يعنى صناعة الكلام .

(٣) الحسبة ، بالكسر : الأجر والثواب . فيما عدا ل « الحسنة » تصحيف .

(٤) ل : « الحسنة العجيبة » .

(٥) فيما عدا ل : « ورويناه » .

(٦) ل فقط : « ابتدأ » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « محقراتها » .

لئلا تخرج من الباب الأولِ ، إلا وأنت نشيط [١] للباب الثانى ، وكذلك الثالث والرابع [٢] إلى آخر ما أنا كاتبه لك ، إن شاء الله .

(سَرد منهج سائر الكتاب)

ونبدأ بذكر مافى العصفور [٣] ، ثم نأخذ فى ذكر [مافى] الفأر والعقرب ،
٥١ والذى بينهما من العداوة ، مع سائر خصالها .

ثم القولُ فى العقرب والخُنفساء ، و [فى] الصداقة بينهما ، مع سائر خصالها .

ثم القول فى السِّنَّوْر ، و [بعضُ] القول فى العقرب [٤] .

ثم القولُ فى البعوض والبراغيث . ثم القول فى القَمل والصِّئْبان . ثم القول فى الورَل والضَّبّ . ثم القول فى اليربوع والقنفذ . ثم القول فى النسور والرَّخَم .

ثم القول فى العُقاب وفى الأرنب . ثم القول فى القِرْدان [٥] والضفادع . ثم القول فى الحبارى وما أشبه ذلك . [وإن كنا قد استعملنا فى هذا الكتاب جملاً من أخبار ما سمينا بذلك] .

وسنذكر قبل ذكرِنا لهذا الباب أبوابا من الشعر طريفة [٦] ، تصلحُ

---

(١) فيا عدا : ل : « تنشط » .
(٢) ط فقط : « وكذا الباب الثالث والرابع » .
(٣) فيا عدا ل : « بما فى العصفور » .
(٤) هذا الصواب كما يقتضيه ترتيب الكتاب ، وسيأتى فى ص ١٠٧ ساسى . وفى الأصل : « القنفذ » فيكون تكراراً لما سيأتى .
(٥) القردان ، بالكسر . جمع قراد ، كغراب . وسيمر بك الحديث عنه فى ١٣٠ ساسى .
(٦) ط ، هو : « ظريفة » بالظاء المعجمة .

للمذاكرة، وتبعث على النشاط معه(١) وتُسْتَخَفّ معه قراءةُ ما طال من الكتبِ الطوال .

ولولا سوء ظنى بمن يُظْهِرُ التماس العلم فى هذا الزمان ، ويذكر(٢) اصطناعَ الكتبِ فى هذا الدهر — لَمَا احتجْتُ فى مداراتهم واستمالتهم ، وترقيق نفوسهم(٣) ، وتشجيع قلوبهم ، مع كثرةِ فوائد هذا الكتابِ — إلى هذه الرياضة الطويلة ، وإلى كثرةِ هذا الاعتذار ، حتى كأن الذى أُفيدُه إياهم أستفيدُهُ منهم ، وحتى كأن رغبتى فى صَلاحِهم ، رغبةُ من يَرْغَبُ(٤) فى دنياهم ، [ويتضرع(٥) إلى ما حوته أيديهم] .

هذا . ولم أذكر [لك] من الأبواب الطوال شيئا ، و [لو] قد صرت إلى ذكرِ فرقِ ما بين الجنّ والإنس ، و [فرق] ما بين الملائكة والأنبياء ، وفرق ما بين الأنثى والذكر ، وفرق ما بينهما وبين ما ليس بأنثى ولا ذكر ، حتى يمتدّ بنا القولُ فى فضيلة الإنسان على جميع أصنافِ الحيوان ، وفى ذكر الأمم والأعصار ، وفى ذكر القَسَم(٦) والأعمار ، وفى ذكر مقادير العقول والعلوم والصناعات(٧) . ثم القول فى طباع الإنسان منذُ كان نطفة إلى أن يُفْنِيهُ الهَرَم(٨) ، [وكيف حقيقةُ ذلك الردّ إلى أرذل العمر] . فإن مَلِلْتَ الكتابَ واستَثْقَلْتَ القراءة ، فأنت حينئذ أعذَرُ ، [ولحظُّك أَبْخَسُ] . وما عندى

---

(١) ط فقط « وتستحق » . وأتى بضمير « معه » مذكرا ، لأنه عاد به إلى الشعر .

(٢) فيما عدا ل : « ويظهر » والأشبه ما أثبت من ل .

(٣) ترقيق النفوس : حملها على أن ترق . فيما عدا ل : « توفيق » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « رغب » .

(٥) فى اللسان : « التضرع : المبالغة فى السؤال والرغبة » .

(٦) القسم ، بالفتح : ما قسم للانسان وقدر . ل : « القيم » : جمع قيمة .

(٧) فيما عدا ل : « بالعلوم بالصناعات » : محرف .

(٨) الهرم ، بالتحريك : أقصى الكبر ، هرم كفرح . فيما عدا ل : « تفنيه الهموم » تصحيف .

لك من الحيلة إلا أن أصوّره لك فى أحسن صورة ، وأقلّبك منه فى الفنون المختلفة ، فأجعلك لا تخرجُ من الاحتجاج بالقرآن الحكيم إلا إلى الحديث المأثور ، ولا تخرجُ من الحديث إلا إلى الشّعر الصحيح ، ولا تخرجُ من الشّعر الصحيح الظريف إلا إلى المثل السائر الواقع ، ولا تخرج من المثل السائر الواقع إلا إلى القول في [طُرف] الفلسفة ، والغرائب التى صحّحتها التجربة ، وأبرزها الامتحان ، وكشَف[1] قِناعَها البُرهانُ ، والأعاجيب التى للنفوس بها كَلَفٌ شديد[2] وللعقول الصحيحة إليها النزاع القوى[3] .

ولذلك كتبتُه لك ، وسُقتُه إليك ، واحتسبتُ الأجرَ فيك .

فانظر فيه نظرَ المنصِفِ من الأكْفاء والعُلَماء ، أو نَظَر المسترشِدِ من المتعلّمين والأتباع . فإن وجَدت الكتابَ الذى كتبتُه لك يخالفُ ما وصفتُ

٥٢ فانْقُصْنى من نشاطك له على قَدْر ما نَقَصْتُكَ مما ينشطك لقراءته[4] . وإن أنتَ وجدتنى — إذا صحّ عقلُك وإنصافك — قد وفَّيتُكَ ماضمنت لك[5] فوجدتَ نشاطك بعدَ ذلك مدخولاً ، وحَدَّكَ مفلُولاً — فاعلم أنا لم نُؤْتَ إلا من فُسولتِك[6] ، و[من] فسادِ طبعك ، ومن إيثارك لما [هو] أضرُّ بك .

---

(١) ل : « فكشف » .
(٢) الكلف : الولوع والعشق . فيما عدا ل : « كثير » .
(٣) النزاع ، بالكسر ، والنزوع أيضا : الشوق . فيما عدا ل : « نزاع شديد » .
(٤) فيما عدا ل « ما ينشطك إليه لقراءته » بالنسبة : « إليه » .
(٥) وفاه حقه وأوفاه : أعطاه إياه وافيا تاما . ط فقط : « بما » تحريف .
(٦) الفسولة ، بالضم أن يكون فسلا ، وهو أن يكون رذلا نذلا لا مروءة له .

باب

في مديح النصارى واليهود(١) والمجوس والأنذالِ وصغار الناس

من ذلك ما هو مديحُ رغبة ، ومنه ما هو إحماد(٢) .

أنشدنا أبو صالح مسعود بن قَنْد(٣) الفزاريّ ، في ناسٍ خالَطَهم من اليهود :

وَجَدْنَا في اليهودِ رجالَ صِدْقٍ ... عَلَى ما كانَ من دِينٍ يُرِيبُ(٤)
لَعَمْرُكَ إنَّنِي وابنَيْ عريضٍ(٥) ... لَمِثْلُ المَاءِ خالَطَهُ الحَلِيبُ
خَلِيلانِ اكْتَسَبْتُهُمَا وإنِّي ... لِخُلَّةِ ماجدٍ أبداً كَسُوبُ(٦)

وقال أبو الطَّمَحَان الأسديّ(٧) ، وكانَ نديماً لناسٍ من

---

(١) فيما عدا ل : « باب مديح في النصارى واليهود » ـ وكلمة « والمجوس » بعده ساقطة من ل .
(٢) الإحماد : مصدر أحمده : وجده مستحقا للحمد . فيما عدا ل : « ومن ذلك » .
(٣) ط ، هو : « قنديل » وأثبت ما في ل ، س .
(٤) يريب : يحمل على الريب . وفي الأصل : « مريب » .
(٥) عريض ، بالسين المهملة .
(٦) ل : « فيما كسوب » .
(٧) في المؤتلف ١٥٠ : « وأنشدنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش لأبي الطمحان الأسدي وذكر أنه مما نقله من خط أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، مما تلقطها من كتاب الحيوان للجاحظ ... وقال أبو الحسن الأخفش : وأنشدناه المبرد قال هو لطخيم بن أبي الطخماء الأسدي . قال : ولا أعرف أبا الطمحان إلا القيني ، وهو الشرقي بن القطامي . وأظن هذا آخر » . وهو يشير إلى ما ورد في الكامل ٢٦ ليبسك من نسبة الشعر إلى طخيم بن أبي الطخماء الأسدي . والذي يظهر لي أنهما شخص واحد ، وأن « أبا الطمحان » كنية طخيم الأسدي . يدلك على هذا أن أبا تمام في الحماسة (٢ : ٤١٢) أنشد لأبي الطمحان الأسدي ، وقد حلقه صاحب شرطة يوسف بن عمر :

وبالحيرة البيضاء شيخ مسلط ... إذا حلف الأيمان بالله برت
لقد حلقوا منها غدافا كأنه ... عناقيد كرم أينعت فاسبطرت
فظل العذارى يوم تحلق لمتي ... على عجل يلقطنها حين جزت

وروى هذه الأبيات بعينها أبو الفرج (٧ : ١١٥ ساسي) منسوبة إلى طخيم الأسدي قال : « شرب طخيم الأسدي بالحيرة فأخذه العباس بن معبد المري ، وكان على شرط يوسف بن عمر فحلق رأسه » . وفي ياقوت (٧ : ١١١) : « ابن طخماء الأسدي » صوابه : « ابن أبي الطخماء » .

بنى الحذّاء[1] وكانوا نصارى ، فأحدَ نِدامهم[2] فقال :

كأنْ لم يكنْ فى القصْرِ قصْرِ مُقَاتِلٍ ... وزَوْرَةَ ظِلٌ ناعمٌ وصَدِيقُ[3]

ولم أَرِدِ البَطْحَاء أَمْزُجُ ماءهَا ... بخَمْرٍ مِنَ البَرُّوقَتَيْنِ عَتِيقُ[4]

مَعى كلُّ فَضفاضِ القميصِ كأنه ... إذا ماجرَى فيه المُدَامُ فَنِيقُ[5]

بنو الصَّلْتِ والحذّاء كلٌّ سَمَيْدَعٍ ... له فى العروق الصالحات عروقُ[6]

وإنّى وإنْ كانوا نَصَارى أُحِبُّهم ... ويرتاحُ قلبى نحوهم ويتوقُ[7]

---

(١) ل فقط : « والجذاء » بالجيم .

(٢) النِدام ، بالكسر : المنادمة على الشراب . فيما عدا ل : « ندامَهم » والندامة بمعنى الأسف لا تليق بهذا الوجه .

(٣) قصر مقاتل : قصر كان بين عين التمر والشام . وزورة ، بلفظ واحد الزيارة : موضع بين الكوفة والشام . وروى : « زورة » بالضم ، كما نقل ياقوت . وروايته هو والمبرد :

كأن لم يكن يوم بزورة صالح ... وبالقصر ظل دائم وصديق

(٤) البطحاء : موضع بعينه قريب من ذى قار . و « ماءها » هى فى الأصل : « ماءه » صوابه فى الكامل والمؤتلف والبلدان . والبروقتان : موضع قرب الكوفة . وقد ضبطت فى الكامل بفتح الباء وتشديد الراء المضمومة . وقال ياقوت : « وجدته بخط بعض أئمة الأدب بواوين ، الأولى مضمومة » جعلها : « البرُّوُوقَتَين » .

(٥) فضفاض ، قال المبرد : « يريد أن قميصه ذو فضول . وإنما يقصد إلى ما فيه من الخيلاء » . ط فقط : « فضفاض الثياب » ولم أجدها فى مرجع . والفنيق ، بالنون : الفحل المكرم من الإبل . فيما عدا ل : « فتيق » بالتاء ، تصحيف . وعند المبرد وياقوت : « سرت فيه المدام » وعند الآمدى : « جرت فيه المدام » .

(٦) عند المبرد وياقوت : « السَّمْط » ط ، هـ : « الصلب » ل : « والجذاء » بالجيم . والسميدع : السيد الكريم السخى الموطأ الأكتاف . والشطر الثانى هو رواية ط ، هـ س وياقوت والمبرد . وفى ل : « فى خصال الصالحين طريق » والآمدى : « فى خصال الصالحين عروق » .

(٧) وهذه الرواية بعينها فى الكامل والبلدان . ل : « وتذهب نفسى نحوهم وتتوق » والآمدى : « يرتاح نفسى نحوهم وتتوق » .

وقال ابن عَبْدَل[1] ، أو غيره[2] ، في مجوسيّ ساق عنه صَدَاقاً فقال :

شهدتُ عليك بطيب المُشَا شِ وَأنَّكَ بحرٌ جَوَادٌ خِضَمّ[3]

وأنكَ سيدُ أهلِ الجحيم إذا ما تردَّيْتَ فيمن ظَلَمْ

نظيراً لهامانَ في قعرِها وفرعونَ والمكتَنى بالحكم[4]

حكفاني المجوسيُّ مَهْرَ الرّبا بِ ، فِدًى للمجوسيّ خالي وعَمّ[5]

فقال [له] المجوسيّ : جعلتَني في النار ؟ فقال : أمَا ترضى أن تكون مع مَن سمّيتُ ؟ [قال : بَلَى] قال : فمن تعني بالحكَمِ ؟ قال : أبا جهل بن هشام.[6]

وأنشدني أبو الرُّدَيني العُكْلي[7] ، لبعض العُكْليّين ، وكان قِين[8]

---

(١) هو الحكم بن عبدل الأسدي ، سبقت ترجمته في (٢ : ١٥٤) .

(٢) هو الأقيشر الأسدي ، واسمه المغيرة بن عبد الله بن معرض . نشأ في أول الإسلام ، عمر طويلا ، فأدرك الحجاج ، وعبد الملك بن مروان . وأخباره في الأغاني (١٠ : ٨٠ — ٩١ ساسي) . قال أبو الفرج : « وتزوج الأقيشر ابنة عم له ، يقال لها الرباب ، على أربعة آلاف درهم — ويقال على عشرة آلاف درهم — فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئاً ، فأتى ابن رأس البغل ، وهو دهقان الصين ، وكان مجوسيا ، فسأله فأعطاه الصداق » . ثم أنشد الشعر . وفي عيون الأخبار (٢ : ١٩٦) : « وأعرب ما قيل في مجوسي قول أعرابي » وأنشد البيت الأول والثاني . وانظر الشعراء ص ١١ .

(٣) فلان طيب المشاش : أي كريم النفس . والخضم : السيد الحمول المعطاء . وفي الأغاني :

شهدت بأنك رطب المشاش وأن أباك الجواد الخضم

(٤) هامان : وزير فرعون . وفي الكتاب : « وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب » سورة غافر ٣٦ . وأبو الحكم : كنية أبي جهل .

(٥) هذه رواية ل والأغاني . وفيما عداهما : « خال وعم » .

(٦) اسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي . وله كنيتان : أبو جهل ، وأبو الحكم . وقد غلبت الأولى على الثانية . وكان رأساً من رؤوس المشركين . انظر السيرة ١٦٧ جوتنجن .

(٧) أبو الرديني ، يروى عنه الجاحظ في البيان والحيوان . وروى في البيان (٣ : ٢٣٢) أنه هجا بني نمير فتوعدوه بالقتل فقال :

أتوعدني لتقتلني نمير متى قتلت نمير من هجاها

فشد عليه رجل منهم فقتله . وكان يهاجي عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، أحد شعراء الدولة العباسية . الأغاني (٢٠ : ١٨٣) .

(٨) فيما عدا ل : « قينا » تحريف .

٥٣ لهم أحدَ جَلَماً له ، فقال[1] [يمدحه] :

يا سَوْدُ يا أكرمَ قَيْنٍ في مُضَرْ
لك المساعي كلُّها وَالْمُفْتَخَرْ
على قُيون الناس ، والوجهُ الأغرّْ
كانَ أبوكَ رَجُلاً لا يُقْتَسَرْ[2]
ثَبْتاً إذا ما هو بالكيرِ ازبأرّْ[3]
[زادكَ نَفْخاً تلتظِي منهُ سَقَرْ]
حتى يطيرَ حولَهُ منها شَرَرْ[4]
قد عطف الكتيفَ حتى قد سَمَرْ[5]
بالشَّعْب إن شاء وإن شاء سَمَرْ[6]
مازالَ مُذْ كانَ غُلاماً يشتبر[7]
له على العَيْرِ إكافٌ وثَفَرْ[8]

---

(١) الجلم : المقراض يجز به ، يقال له : جلم وجلمان ، كما تقول مقراض ومقراضان . ل ، س : « أعد خلخالا له » وهو تحريف طريف . هو : « أعد جلماً له » صوابهما في ل . وكلمة « فقال » ساقطة من ل .

(٢) يقتسر : يقهر ويغلب . والقسر : القهر والغلبة .

(٣) الكير ، بالكسر : الزق الذي ينفخ فيه الحداد . ازبأر : انتفش وتهيأ للشر .

(٤) فيما عدا ل : « منه » .

(٥) الكتيف والكتيفة : ضبة طويلة عريضة ، وربما كانت كأنها صحيفة . فيما عدا ل « الأكتاف » بالنون تحريف .

(٦) الشعب : الجمع والإصلاح . فيما عدا ل « بالشعب » . سمر الحديد ونحوه : شده بالمسمار .

(٧) فيما عدا ل : « يستمر » . ويشتبر ، من الشبر : وهو العطاء والأجر .

(٨) العير : الحمار أيا كان ، أهليا أو وحشيا ، وقد غلب على الوحشي ، وأراد به هنا الأهلي . والإكاف : برذعة الحمار ، بكسر الهمزة وضمها . والثفر بالتحريك : سير في مؤخر السرج . أراد أنه أبدا على سفر يتنقل بين أحياء العرب ليزاول عمله .

والكَلْبَتانِ والعَلاةُ والوَتَرْ(١)
فانظر ثوابى ، والثَّوابُ يُنتظَرْ
فى جَلَمَىَّ والأحاديثُ عِبَرْ(٢)

باب

من أراد أن يمدح فهجا

قال سعيد بن سَلْم(٣) : لما قال الأخطلُ بالكوفة : أخطأ الفرزدقُ حين قال :

أبَنِى غُدَانَةَ إنَّنى حَرَّرْتُكُمْ ... فوهبتكم لعَطِيَّةَ بن جِعالِ(٤)
لولا عَطِيَّةُ لاجتَدَعْتُ أُنُوفَكُمْ ... من بينِ ألأمِ أعْيُنٍ وَسِبالِ(٥)

---

(١) الكلبتان : آلة الحداد يأخذ بها الحديد المحمى . والعلاة : سندان الحداد يضرب عليها الحديد .

(٢) الجلم ، فسر قريبا . ط س : « من حكى وفى » هو : « من حلمى وفى » صوابه فى ل .

(٣) هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى ، ولاه السلطان بعض الأعمال بمرو ، وقدم بغداد وحدث بها فروى عنه محمد بن زياد ، ابن الأعرابى . وكان سعيد عالماً بالحديث والعربية . وله أخبار مع المأمون . انظر تاريخ بغداد ٤٦٥٨ والبيان (٢ : ٤٤) . ط فقط : « سعيد بن مسلم » .

(٤) هو عطية بن جعال الغدانى ، كان صديقاً ونديماً للفرزدق ، فبلغ الفرزدق أن رجالا من بنى غدانة هجاه وعاونوا جريراً عليه ، فهم الفرزدق بهجاء بنى غدانة ، فأتاه عطية بن جعال فسأله أن يصفح عن قومه ويهب له أعراضهم ، ففعل . انظر الأغانى (١٩ : ٥٠ ساسى) . والبيتان من قصيدة له يهجو بها جريراً ، وساقهما استطراداً ليدخل فى هجاء جرير ، فإن بعدهما (النقائض ٧٢٦) :

إنى كذاك إذا هجوت قبيلة ... جدعتهم بعوارم الأمثال
أبنو كليب مثل آل مجاشع ... أم هل أبوك مدعما كعقال

(٥) اجتدعت : قطعت . والسبال : جمع سبلة ، وهى ما على الشارب من الشعر ، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية . فيما عدا ل : « أيسر » بدل « ألأم » صوابه فى ل والنقائض والأغانى . ورواية النقائض والأغانى : « آنف » موضع « أعين » . وفى سر الفصاحة ٢٤٩ : « ألأم لحية » . وفى الأغانى : « فبلغ ذلك عطية فقال : ما أسرع ما ارتجع أخى هبته ، قبحها الله من هبة ممنونة مرتجعة ! » .

— : كيف يكونُ قد وهبتم له وهو يهجوهمْ [بمثل] هذا الهجاء ؟!

[قال] : فانبرى له فَتًى من بنى تميم فقال له : [و] أنتَ الذى قلتَ فى سُوَيد بن منجوف :⁽¹⁾

وما جِذْعُ سَوْءٍ رَقَّق السُّوسُ جَوْفَه ... لِمَا حَمَّلَتْهُ وائلٌ بمطيقِ⁽²⁾

أردتَ هجاءه فزعمْتَ أنّ وائلا تعصبُ به الحاجات ، وقَدْرُ سُوَيد لايبلغ ذلك عندهم ؛ فأعطيتَه الكثيرَ ، ومنعتَه القليلَ !⁽³⁾

وأردتَ أن تهجوَ حاتمَ بنَ النعمانِ الباهليّ⁽⁴⁾ ، وأنْ تصغِّرَ شأنَه ، وتَضَعَ منه ، فقلتَ :

وسَوَّدَ حاتماً أنْ ليس فيها ... إذا ما أُوقِدَ النيرانُ نارُ

فأعطيتَه السُّوْدَدَ⁽⁵⁾ من قيس⁽⁶⁾ ومنعتَه مالايضرُّه .

---

(١) سويد بن منجوف ، كان زعيم بكر بن وائل بالبصرة . وكان الأخطل قد وفد إليه يسأله فى حمالة ، فأقبل سويد على قومه وهجبهم على الأخطل ، وذكرهم بهجائه إياهم كانوا وقالوا : إذاً واللّه لا نعطيه شيئاً . فلما خيب سويد أمل الأخطل هجاه هذا الهجاء . ط ، هو . « منجوق » سه : « منحوق » بالإهمال ، صوابه فى ل والديوان ١٩٠ .

(٢) سه : « دقق » ل : « خرق » ، وفى الأغانى (٧ : ١٧٤) والديوان ١٩٠ : « خرب السوس أصله » ، وفى الموشح ١٣٥ : « خرق السوس جوفه » . أراد : لما حمله إياه وائل . فهو حين جعله كهذا الجذع قد هجاه ، وحين جعل وائل تحمله أمورها وتعتمد عليه قد مدحه أبلغ المدح . فناقض بذلك نفسه .

(٣) فى الموشح ١٣٥ أن سويداً نفسه نقد الأخطل فى هجوه إياه ، وقال له : « يا أبامالك لا واللّه ما تحسن تهجو ، ولا تحسن تمدح ، بل تريد الهجاء فيكون مديحاً ، وتريد المدح فيكون هجاء . قلت لى وأنت تريد هجائى : لما حمله وائل بمطيق . فجعلت وائلا حملتنى أمورها ، وما طمحت فى ذلك من بنى ثعلبة فضلا عن بكر ! » . وانظر فيه سائر الخبر . وهو برواية أخرى فى الأغانى (٧ : ١٧٥) .

(٤) ذكره الجهشيارى ص ٩٦ قال : « كان يكتب لأبى جعفر المنصور عبد الملك بن حميد مولى حاتم بن النعمان الباهلى » .

(٥) السودد ، بضم السين وفتح الدال مع طرح الهمزة ، وبضم السين والدال مع الهمز لغتان ، ومعناه السيادة . ط ، وسه : « السؤدد » بالهمز .

(٦) ل : « من قيس الجزيرة » .

وأردتَ أن تمدحَ سِمَاكَ [بن زيد] الأسديّ (١) فهجوتَه فقلت :

نِعم المجيرُ سِمَاكٌ من بنى أسَدٍ   بالطَّفِّ إذ قَتَلَتْ جيرانَها مُضَرُ (٢)

قد كنتُ أحسِبُهُ قَيْنًا وأُنْبَؤُه   فاليومَ طُيِّرَ عن أثوابه الشَّرَرُ (٣)

وقلتَ فى زُفَرَ بنِ الحارث (٤) :

بنى أُمَيَّةَ إنى ناصحٌ لكمُ   فلا يَبِيتَنَّ فيكمْ آمِنًا زُفَرُ

---

(١) فى الموشح ١٢٥ : « سماك بن عير أخابنى أسد » وقال مرة أخرى : « سماك بن عير بن عمرو » ومرة ثالثة : « سماك بن خرشة » . وفى الأغانى : « وهو سماك المالكى من بنى عمرو بن أسد . وبنو عمرو يلقبون القيون » . وفى معجم البلدان . « سماك بن مخرمة بن حين بن بلث الأسدى ، من بنى المالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة » . فقد اضطربت الكتب بل الكتاب الواحد فى نسبة هذا الرجل . وفى ط ، س بلل والأسدى « المرثى » . وفى هو : « الحرق » .

(٢) الطف : أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية ، فيها كان مقتل الحسين بن على بكربلاء ، يوم عاشوراء سنة إحدى وستين . ويسمى : « قتيل الطف » . وفى البيت إشارة إلى غدر أهل العراق بالحسين ، بعد أن كتبوا إليه يطلبون منه الشخوص إليهم .

(٣) أنبؤه ، بالبناء للمجهول من قولك أنبأته الخبر . وفى الأصل : « أنباء » . صوابه فى الموشح ١٢٥ . ويروى فى الأغانى مرة : « أنبؤه » ومرة : « أخبره » . ط ، هو : « عن أثوابها » صوابه فى س ، هو والموشح والأغانى . أراد أن الشرر لا يخرج من أثوابه ، فهو ليس قينا . وكان قوم سماك يدعون : « القيون » . وفى الموشح أن سويد ابن منجوف قال للأخطل : « ومدحت سماك بن عير أخا بنى أسد ، وأردت أن تنزعه شيئا فحققته عليه » .

(٤) هو زفر بن الحارث الكلابى ، أحد بنى عمرو بن كلاب . الكامل ٢٣٥ ليبسك . وكان قد خرج على عبد الملك بن مروان وظل يقاتله تسع سنين ، ثم رجع إلى الطاعة . الجهشيارى ٣٥ س ١٥ . وفى البيان (٣ . ١٢٠) : « دخل زفر بن الحارث على عبد الملك ، بعد الصلح فقال : ما بقى من حبك للضحاك ؟ قال : ما لا ينفعنى ولا يضرك ! ... قال : فما منعك من مواساته يوم المرج؟ قال : الذى منع أباك من مواساة عثمان يوم الدار ! » . وزفر كان سيد قيس فى زمانه ، ويكنى أبا الهذيل ، وكان ع قيس يوم مرج راهط . وهو القائل :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى   وتبقى حزازات النفوس كما هيا

انظر المؤتلف ١٢٩ . وقد روى الجاحظ بيتين فى الحيوان (١ : ١٤) ورواهما أيضا فى البيان (٢ : ٢٤٢) . وكان زفر من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج . شرح شواهد المغنى ٢١٥ .

٥٤ مُفْتَرِشاً كافتراشِ الليثِ كَلْكَلَهُ   لوقْعَةٍ كائنٍ فيها لكم جَزَرُ[1]

فأردتَ أن تُنْزِى به بنى أُمَيَّةَ فوهَنْتَ أمرهم ، وتركتَهُمْ ضُعَفاءَ ممتَهَنِينَ ، وأعطيتَ زُفَرَ عليهم من القوةِ مالم يكنْ فى حسابه .

قال : ورجَعَ أبو العطاف من عند عمرو بن هدّاب ، فى يومين كانا لعمرو ، وأبو العطّاف يضحك . فسئِل عن ذلك فقال : أما أحدُ اليومين فإنَّهُ جَلَس للشعراء ، فكان أولُ من أنشده المديحَ فيه طريفُ بنُ سَوَادة ، فما زال يُنشده أرجوزةً له طويلة ، حتى انتهى إلى قوله :

أبرصُ فَيّاضُ اليدَينِ أكْلَفُ[2]   وَالبَرْصُ أنْدَى باللُّهى وأعْرَفُ[3]

[مجلوّذٌ فى الرَّحَفاتِ مِزْحَفُ[4]

الجلوَّذ : السريع .

وكان عمرو أبرصَ فصاح به ناسٌ : مالَكَ[5] ؟ قطعَ اللهُ لسانك !] .

قال عمرو : مَهْ ، البَرَصُ من مَفاخِرِ العرب . أما سمِعتمُ ابن حبناء[6] يقول :

---

(١) فيما عدا ل : « مفترشاً » تحريف . وفى حاشية ل : « خ : مفترش » أى روى فى نسخة بالرفع . وهى رواية الديوان ١٠٣ . الكلكل : الصدر . والجزر ، بالتحريك ما يجزر من الشاء ، واحدته جزرة . يقول : إن زفر يتأهب لافتيالكم والإيقاع بكم . و « لكم » هنا بمعنى منكم . ورواية الموشح : « له » وهى أصرح . وقد أظهر هنا الكون العام : « كائن » للضرورة . وفى شرح ابن يعيش المفصل (١ : ٩٠ س ٢٧) « وقد صرح ابن جنى بجواز إظهاره » وهو نص غريب . وأغرب منه رأى ابن يعيش فى تفصيل هذا الجواز . انظرها أيضاً المغنى (٢ : ٨١) .

(٢) الكلف : لون يعلو الجلد فيغير بشرته .

(٣) أندى : أكثر ندى . والندى : الجود والعطاء . واللهى ، بضم ففتح : جمع لهوة بالضم ، وهى العطية ، وأجود العطايا .

(٤) المزحف : الكثير الزحف إلى العدو .

(٥) روى هذا الخبر الأصبهانى فى المحاضرات (٢ : ١٢٣) وفيه : « اسكت » بدل : « مالك » .

(٦) هو المغيرة بن حبناء ، تقدمت ترجمته فى ٤ : ٣٢٦ . « ابن حبنا » س ، « ابن جكينا » محرف .

إنّي امرؤٌ حنظليٌّ حين تنسُبُني لامِ العَتيكِ ولا أخوالِيَ العَوَقُ(١)

لا تحسبِنّ بياضاً فيّ منقصةً إنّ اللَّهامِيمَ في أقرابِها بلَقُ(٢)

أوَ ما سمعتم قولَ الآخر :

يا كأسُ لا تستنكري نُحُولي(٣) ووضحاً أوفَى على خَصِيلي(٤)

فإنّ نَعْتَ الفرَسِ الرَّجيلِ(٥) يكمُلُ بالغُرّةِ والتحجيلِ(٦)

---

(١) حنظلي : من بني حنظلة . وهو المغيرة بن حبناء بن ربيعة بن حنظلة . العتيك ، كأمير قبيلة من ولد كعب بن يشكر بن بكر بن وائل . المعارف لابن قتيبة ص ٤٣ . و « مل حتيك » أي من العتيك ، بحذف النون على لغة من يفعل ذلك . انظر المفضليات ٢٩ : ٦ طبع المعارف) . وقد رسمت هكذا في ل ، ورسمت في سائر الكتب : « ملعتيك » ط ، هو : « من عتيك » س : « لأبي حولي ولا أخوالي » بهذا التحريف والإهمال . والعوق ، بالتحريك ، قال أبو الفرج : « العوق من يشكر . وكانوا أخوال المفضل » يعني المفضل بن المهلب .

(٢) اللهاميم : جمع لهموم ، وهو الجواد من الناس والخيل . والأقراب : جمع قرب ، بالضم ، وهو الخاصرة . فيما عدا ل : « أقرابها البلق » بالنون تحريف . والبيتان في الشعراء ٩١ وعيون الأخبار (٤ : ٦٦) وأمالي القالي (٢ : ٢٣٣) والأغاني (١١ : ١٥٩ ساسي) والمعارف ٢٠١ . وقد روى أبو الفرج خبر البيتين قال : « كان المغيرة بن حبناء يأكل مع المفضل بن المهلب ؛ فقال له المفضل :

فلم أر مثل الحنظلي ولونه أكيل كرام أو جليس أمير

فرفع المغيرة يده مغضبا ثم قال . . » . وأنشد البيتين . وعقب على ذلك بقوله : « وبلغ المهلب ما جرى فتناول المفضل بلسانه وشتمه وقال : أردت أن تضع هذا أعراضنا ! ما حملك على أن أسمعته ما كره بعد مؤاكلتك إياه ؟ أما إن كنت تعافه فاجتنبه ولا تؤاكله . ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم واستصفحه من المفضل » .

(٣) فيما عدا ل : « لا تستنكري تحويل » تحريف . وهو أيضاً على الصواب الذي أثبت في عيون الأخبار (٤ : ٦٥) .

(٤) أوفى : ارتفع . والخصيل : جمع خصيلة ، وهي الخصلة من الشعر .

(٥) الرجيل ، من الإبل والدواب : الصبور على طول السير . وفي عيون الأخبار : « الرحيل » بالحاء المهملة ، وهو القوي على الارتحال والسير .

(٦) التحجيل : بياض في قوائم الفرس .

أوَ ما سمعتَ بقول أبي مِسهر[1] :

يَشْتُمُني زَيدٌ بأنْ كُنتُ أبْرَصاً ... فكلُّ كريمٍ لا أبالَكَ أبرَصُ

ثم أقبل على الرّاجزِ فقال : ما تحفَظُ في هذا ؟ قال : أحفظُ واللهِ قولَه[2] :

يا أُختَ سَعْدٍ لا تَعَرَّى بالزَّرَقْ[3] ... ليس يضرُّ الطِّرْفَ توليعُ البَلَقْ[4]

إذا جرى في حَلْبَةِ الخيْلِ سَبَقْ

ومحمد بنُ سَلاَّم يزعمُ أنه لم يَرَ سابقاً قطُّ أبلقَ ولا بَلْقاءَ .

وقد سبق للمأمون [فرسٌ] ، إمّا أبلقُ وإما بلقاء .

وأنشدني أبو نواس لبعض بني نَهْشَل[5] :

نَفَرَتْ سَودةُ عنّي أنْ رأتْ ... صَلَعَ الرّأسِ وفي الجلدِ وَضَحْ[6]

قلتُ يا سَوْدةُ ، هذا والذى ... يَفرِجُ الكُرْبَةَ مِنّا والكَلَحْ[7]

---

(١) هو أبو مسهر الأعرابي ، من فصحاء الأعراب الذين روى عنهم العلماء . ذكره ابن النديم في الفهرس ٧١ مصر ٤٧ ليبسك . ونسبة البيت إلى « أبي مسهر » ثابتة أيضاً في عيون الأخبار (٤ : ٦٤) . وفيما عدا ل : « قول الآخر » .

(٢) انظر عيون الأخبار (٤ : ٦٥) .

(٣) عره يعره : سبه ، أو أصابه بمكروه . وفي الأصل : « لا تغري » تحريف . ورواية ابن قتيبة : « لا تعيي » . والزرق ، بالتحريك : تحجيل يكون دون الأشاعر ، أو بياض لا يطيف بالعظم كله ، ولكنه وضح في بعضه . ل : « بالروق » والروق : طول وانثناء في الأسنان ، ولا وجه له هنا .

(٤) الطرف ، بالكسر : الكريم العتيق من الخيل . والتوليع : التلميع من البرص وغيره ، إلا أن التوليع استطالة البلق وتفرقه . ورواية ابن قتيبة : « لا يضرر الطرف تواليع البلق » .

(٥) الأبيات في عيون الأخبار (٤ : ٦٥) .

(٦) الوضح : بالتحريك : البرص . ورواية ابن قتيبة : « نفرت سودة مني إذ رأت »

(٧) والذى ، الواو فيه للقسم . فيما عدا ل : « هذاك » صوابه في ل وعيون الأخبار . « منا » كذا وردت ، وليس ما يمنع صحتها . والكلح ، لعله من الكلوح ، وهو التكشر في عبوس . فيما عدا ل : « والطلح » ورواية عيون الأخبار موافقة ما أثبت من ل .

هو وَيْنٌ لِيَ في الوجهِ كما زَيَّنَ الطِّرفَ تَحاسينُ القَرَح [1]

وزعم أبو نُوَاس أنهم كانوا يتبركون [2] به ، وأن جَذِيمةَ الوضَّاحَ كان يفخَرُ بذلك .

وزعم أصحابنا أن بَلعاءَ بنَ قيس [3] ، لمَّا شاع في جِلْدِهِ [4] البَرَص قال له قائل : ما هذا يا بَلعاء ؟ فقال : « هذا سيف الله جَلاَه [5] ! » . وكنانة تقول : « سيف الله حَلاَّه [6] » .

ثم رجع الحديثُ إلى أبي القَطَّاف [7] وضَحِكه . قال : وأما اليوم الآخر فإنَّ عَمْراً لمَّا ذهبَ بصرُه ، ودخلَ عليه الناسُ يُعَزُّونَه ، دخل عليه إبراهيمُ ابنُ جامع ، وهو أبو عتَّابٍ [8] من آلِ [أبي] مَصاد [9] ، وكان كالجمل المحجوم [10] ، فقام بين يدَيْ عمرٍو فقال : يا أبا أُسَيِّد [11] لاتجزعنَّ من

---

(١) الطرف ، فسر قريبا . والقرح ، بالتحريك : بياض يسير في وجه الفرس . وفي عيون الأخبار : « القزح » بقاف بعدها زاي ، وهو تصحيف ، وفسر هناك بأنه خطوط من صفرة وحمرة وخضرة . وليت شعري أي فرس يكون كذلك !

(٢) فيما عدا ل : « وزعم يونس أنهم كانوا يتشرفون به » .

(٣) سبقت ترجمته في (٣ : ٦٠) .

(٤) ط : « بقده » صوابه في سائر النسخ .

(٥) ط ، س : « حلاق به » . هو : « جلاني به » وأثبت ما في ل والمعارف ٢١٥ وعيون الأخبار (٤ : ٦٣) . وفي الأغاني (١١ : ١٠٩) : « إنما أنا سيف الله جلاه واستله على أعدائه » . وفي كنايات الثعالبي ٣٥ : « سيف الله جلاه . ويروى حلاه بالحاء وتشديد اللام » .

(٦) كنانة ، عم قبيل بلعاء بن قيس الكناني ، وكان هو رئيسهم . فيما عدا ل : « وكني به » تحريف . هو : « جلاه » بالجيم .

(٧) ط فقط : « ابن القطاف » . وانظر ما سبق ص ١٦٤ .

(٨) فيما عدا ل : « ابن عتاب » محرف . وانظر (٢ : ٣٤ - ٣٥) حيث هذا الخبر وخبر آخر قبله .

(٩) مصاد ، بفتح الميم وتضم . س : « مضاد » بالضاد تحريف .

(١٠) المحجوم : الذي وضع على فمه الحجام — ككتاب — لئلا يعض ، فصوته أخوى صوت . وانظر (٢ : ٣٥) .

(١١) هكذا ضبط في ر .

ذَهابِ عينَيك[1] وإن كانتا كريمتَيك ؛ فإنك لو رأيتَ ثوابَهما في ميزانك تمنيتَ أن يكونَ الله عز وجل [قد] قطعَ يدَيكَ ورِجلَيك ، ودقَّ ظهرك ، وأدمَى صَلَعَك[2] .

قال : فصاحَ به القومُ وضَحِكَ بعضهم . فقال عمرو : معناه صحيح ، ونيتُه حسنة ، وإن كان قد أخطأ في اللفظ .

وقلتُ لأبي عتَّاب[3] : بلغني أن عبدَ العزيز الغزّال قال : ليتَ[4] أن الله لم يكن خَلَقَني ، وأني الساعةَ أعْوَر . قال أبو عتَّاب : بئسَ[5] ما قال ، وددتُ [والله] أن الله لم يكن خَلَقَني وأني الساعةَ أعمَى مقطوعُ اليدين والرِّجلين[6] .

ورأى بعضُ الشعراء أبا الواسع[7] وبنُوهُ حولَه ، فاستعفاه أبو الواسع[8] من إنشاد مديحه ، فلم يزَلْ به[9] حتى أَذِنَ له . فلما انتهى إلى قوله :

فكيف تُنْقَى وأنتَ اليومَ رأسُهُمُ   وحَولَكَ الغُرُّ من أبنائِكَ الصِّيدِ[10]

قال أبو الواسع[11] : ليتك تركْتَهم رأسا برأس !

---

(١) فيما عدا ل : « بصرك » والسياق يقتضي ما أثبت من ل .

(٢) ل : « ظلفك » ولا يتوجه معه المعنى إلا بعسر . وسبق في (٢ : ٣٥) : « صلعك » بالمهملة .

(٣) فيما عدا ل : « وقال لأبي عطاف » صوابه في ل وفيما سبق (٢ : ٣٤) .

(٤) فيما عدا ل : « وددت » وأثبت ما في ل مطابقاً ما سلف (٢ : ٣٤) .

(٥) ط ، هو : « ليه » . والكلام من : « وأني الساعة » إلى : « خلقني » التالية ساقط من س .

(٦) فيما عدا ل : « وأنا الساعة مقطوع اليدين والرجلين أعمى » .

(٧) أبو الواسع ، من ندماء صالح بن الرشيد ، كما في الأغاني (٦ : ١٩٤) . فيما عدا ل : « أبا الربيع » .

(٨) الكلام من « وبنوه » إلى هنا ساقط من ل . وفي الأصل : « أبو الربيع » .

(٩) ط ، هو : « فلم يقبل » فقط . تحريف . وأثبت م في س ، ل . وكلمة « به » ثابتة في ل فقط .

(١٠) فيما عدا ل : « فكيف تبقى » .

(١١) فيما عدا ل : « أبو الربيع » .

ومدح [للمزِّق[1]] أبو عبادِ بن المزِّق ، بِشْرَ بنَ أبي عمرو ـ وليس هو بشر بنَ أبي عمرو بن العلاء[2] ـ فقال :

مَنْ كانَ يزعُمُ أن بِشْراً مُلْصَقٌ   فالله يَجْزيهِ ، وربُّكَ أعْلَمُ[3]
تُنْبِيكَ قامتُه وقِلَّةُ لحيهِ   وتَشادُقٌ فيـه ولَوْنٌ أسْحَمُ[4]
أنَّ الصَّرِيحَ المَحْضَ فيـه دلالةٌ   والعِرْقُ مُنْكَشِفٌ لِمَنْ يتوسَّمُ[5]
أما لسانُكَ واحتباؤُكَ في الملا   فزُرارَةُ العُدُسيُّ عِندَكَ أعْجَمُ[6]
إني لأرجو أنْ يكونَ مقالُهُمْ   زُوراً ، وشانئُكَ الحسودُ المُرْغَمُ[7]

(خطأ الكميت في المديح)

ومِن المديحِ الخطإ الذي لم أرَ قطُّ أعجبَ منه ، قولُ الكميتِ بن زيدٍ

---

(١) المزرق ، بكسر الزاي المشددة ، وهو المزرق الحضرمي ، أنشد له دعبل بن علي الخزاعي :

إذا ولدت حليلة باهلي   غلاما زيد في عدد اللئام

قال : وابنه عباد بن المزرق ، ويعرف بالمخرق ، وله أشعار كثيرة ، وهو القائل :

أنا المخرق أعراض اللئام كما   كان المزرق أعراض اللئام أبي

المؤتلف ١٨٦ . وهذه الكلمة ساقطة من ط ، وثابتة في سائر النسخ .

(٢) سبقت ترجمة أبي عمرو بن العلاء في (٢ : ٢٢٥) .

(٣) الملصق : الدعي في القوم ، وليس منهم بنسب . فيما عدا ل : « مصلق » بتقديم الصاد تحريف صوابه في ل والبيان (٢ : ١٢٠) .

(٤) التشادق ، من الشدق ، بالتحريك ، وهو سعة الشدق . ولم ترد هذه الصيغة في المعاجم ط ، س ، هو : « تشاوق » بالواو ، وصوابه في ل والبيان . وفيه قبل إنشاد الشعر : « وربما قالوا في التشديق وفي ذكر الأشداق » .

(٥) العرق ، بالكسر : الأصل . وعرق كل شيء أصله . يتوسم : يتعرف . فيما عدا ل « يتوهم » ورواية البيان مطابقة ما أثبت من ل .

(٦) الاحتباء : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، وكذلك كان يفعل الأشراف والملا : الملأ ، وهم أشراف القوم الذين يملئون العين مهابة وإجلالا . وزرارة العدسي بضم الزاي ، وهو ابن عدس ، بضمتين ، تقدمت ترجمته في (٤ : ٣٨٢) . جعله أفصح من زرارة ، وكان زرارة حكيما من قضاة تميم . والأعجم : الذي لا يكاد يبين .

(٧) الشانئ : المبغض . والمرغم : المقهور .

وهو يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، فلو كان مديحة لبنى أُمَيَّةَ لجاز أن يعيبهم بذلك بعض بنى هاشم[١] ، [أ]وْ لومَدَحَ به بعض بنى هاشم لجاز أن يعترض عليه بَعْضُ بنى أُمَيَّةَ ، [أ]وْ لو مدح أبا بلال الخارجيَّ لجاز أنْ تعيبه العامَّة ، ٥٦أو[لو]مدح عَمرو بن عُبَيدٍ لجازَ أن يعيبَه المخالف ، [أ] وْ لو مدح المهلّب لجازَ أن يعيبه [أصحاب[٢]] الأحنفِ .

فأما مديحُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن هـذا الذى يَسوؤُهُ ذلك حيثُ قال :

فاعتَتَبَ الشَّوقُ مِنْ فُؤَادِيَ والشِّـ   ـرُ إلى مَنْ إليـه مُعْتَتَبُ[٣]

إلى السِّراجِ المنيرِ أحمدَ لا   يَعْدِلُنِى رَغْبَةٌ وَلاَ رَهَبُ[٤]

عنه إلى غيره ، ولو رفَعَ النا   سُ إلىَّ العُيُونَ وارتقَبُوا

[وقيلَ: أفْرَطتَ بل قَصَدتُ ولو   عَنَّفَنِى القائلونَ أو ثَلَبُوا[٥]]

إليكَ ياخيرَ منْ تَضَمَّنَت الأرْ   ضُ ولو عابَ قَوْلِىَ العُيَبُ[٦]

لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِسانُ ولو   أُكْثِرَ فيك الضِّجَاجِ واللَّجَبُ

أنت المصفَّى [المحضُ] المهذَّب فى النِّـ   ـسْبَةِ إنْ نَصَّ قَوْمَكَ النَّسَبُ[٧]

---

(١) فيما عدا ل : « بنى العباس » والعباس هو ابن عبد المطلب بن هاشم .

(٢) هذه من ل ، س .

(٣) الاعتتاب : الانصراف عن الشيء ، واعتتب عن الشيء : انصرف . فيما عدا ل : « إليه أجتنب » وأثبتنا منها موافقاً البيان (٢ : ١٧٢) والسان (٢ : ٦٨) والمخصص (١٢ : ١١٤) والعمدة (٢ : ١١٤) . وفى اللسان فقط : « عن فؤادى » .

(٤) ل : « تعدلنى » .

(٥) ثلبه : لامه وعابه . وزيادة هذا البيت من ل والعمدة والبيان .

(٦) تضمنه : اشتمل عليه . العيب : العيابون .

(٧) ط ، هـ : « إنك » صوابه فى س . وفى جميع النسخ : « المصطفى » بدل : « المصفى » . والوزن يأباه ، وهو من المنسرح .

(١) ولو كان لم يقلْ فيه [عليه السلام] إلا مِثلَ قوله :

وَبُورِكَ قَبْرٌ أَنْتَ فيه وَبُورِكَتْ به ، وله أهلٌ بذلك يَثْرِبُ
لقد غَيَّبُوا بِرًّا وحَزْمًا وَنَائلاً عَشِيَّةَ وَارَاكَ الصَّفِيحُ المُنَصَّبُ (٢)

فلو كان لم يمدحه عليه السلام إلا بهذه الأشعار التى لاتصلح (٣) فى عامة العرب — لما كان ذلك بالمحمود ، فكيفَ مع الذى حكَيْنا قبل [هذا (٤)] ؟ !

(غلط طائفة من الشعراء فى المديح والفخر)

ومن الأشعارِ النائطةِ لقبيلة الشاعر — وهى الأشعار التى لو ظنَّت الشعراء أن مَضَرَّتَها تَعودُ بِعُشْرِ ما عادتْ به ، لكان الخرسُ أهْوَنَ عليها من ذلك القولِ — فمنْ ذلك قولُ لَبيدِ بنِ ربيعة :

أَبَنِى كِلابٍ كيفَ تُنفَى جعفرٌ وبنو ضَبِينَةَ حاضِرُو الأجْبابِ (٥)

---

(١) الكلام من هنا إلى نهاية البيتين ساقط من هـ .

(٢) واراك : سترك وغيبك . فيما عدا ل : « وأراه » محرف . والصفيح : جمع صفيحة وهى الحجارة العريضة . والمنصب : الذى نصب بعضه على بعضه ، عنى حجارة القبر .

(٣) كلمة « لا » ساقطة من ل . وبدلها فى هـ : « لم » . و « تصلح » هى فى ط ، هـ : « تصلح » بالعين محرفة . قال ابن رشيق : « قالوا : من هذا الذى يقول فى مادح (فى الأصل : مدح) النبى صلى الله عليه وسلم : أفرطت ، أو يمنعه ، أو يطلبه ، أو يعيبه حتى يكثر الضجاج والصخب ؟ ! ... وقال من احتج له : لم يرد النبى صلى الله عليه وسلم وإنما أراد علياً رضي الله عنه ، فورى عنه بذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، خوفا من بنى أمية » .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) بنو كلاب : قوم لبيد ، وهم كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وأما جعفر فأبوهم كلاب بن ربيعة . وضبينة : كسفينة : أبو بطن . وهم من غنى بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، وكانوا حلفاء فى بنى كلاب . المعارف ٣٦ . والأجباب : مياه لبنى ضبينة . أنكر على بنى كلاب أن ينفوا جعفرا ، وهم من قومهم ، على حين يستبقون حلفاءهم ويحفظونهم . ط ، هـ : « ضبيعة » س : « صبيغة » صوابه فى ل ومعجم البلدان . وفيما عدا ل : « كيف تبقى » محرف .

لَطُوا ابنَ عُروةَ ثمّ لَطُوا دونَه ... حتى تَحاكَمْتُم إلى جَوّابِ[(١)]

يَرْعَوْنَ مُنخرَقَ القُدَيدِ كأنهمْ ... في العزِّ أُسْرَةُ حاجبٍ وشِهابِ[(٢)]

متظاهرُ حَلَقُ الحديدِ عليهمُ ... كبَنِي زُرارةَ أو بني عتّابِ[(٣)]

قومٌ لهم عَرَفَتْ مَعَدٌّ فَضْلَها ... والحقُّ يَعرِفُهُ ذَوُو الألبابِ

ومن هذا الباب قولُ منظور بن زَبّانَ بن سَيّارِ بنِ عمرو بن جابرٍ الفَزَاريّ[(٤)]، وهو أحدُ سادةِ غَطَفان :

---

(١) لطوا دونه : من لط خبره أي كتمه وستره . ولط أيضاً : لزم الشيء وثبت عليه . هو : « لظوا » بالمعجمة ، أي لزموا وثبتوا . جواب : اسم رجل من بني كلاب ، قال ابن السكيت : سمي جوابا لأنه كان لا يحفر بئرا ولا صخرة إلا أماهها . اللسان (١ : ٢٧٧) . والبيت نص على أنه كان من حكام العرب . ل : « يحاكم » .

(٢) المنخرق : حيث تنخرق الريح ، أي يشتد هبوبها وتتخلل المواضع . فيما عدا ل « منحرق » تحريف . القديد ، بالتصغير : موضع قرب مكة . ل : « القديد » بفتح فكسر ، وهو ماء لبني أسد . وحاجب ، هو حاجب بن زرارة ، تقدمت ترجمته في (٤ : ٣٨٢) . وشهاب ، بالشين . وفي ل : « سهاب » لكن ذكر صاحب القاموس أن « راشد بن سهاب ، ككتاب شاعر ، وليس لهم سهاب بالمهملة غيره » . فيما عدا ل : « في العز أسوة حاجز » تحريف .

(٣) حلق الحديد : ما تنسج منه الدروع . وتظاهر : ركب بعضه بعضا وتضاعف . وأصل التظاهر التعاون . ط : « متظاهري » تحريف .

(٤) في الأصل : « زبان بن منظور » والصواب أن « منظوراً » هو ابن زبان لا أبوه . « بن عمرو » ساقط من ل . وهو ثابت في المعارف ٥١ . ط : « في يسار » س : « في سيار » هو : « بن يسار » صوابه ما أثبت من ل والمعارف والحيوان (٢ : ٤٤٧) حيث ترجمة زبان بن سيار . وأما ولده « منظور » فقد ذكر أبو الفرج من خبره في الأغاني (١١ : ٥٣) : « حملت قهطم بنت هاشم بمنظور بن زبان أربع سنين ، فولدته وقد جمع فاه ، فسماه أبوه منظوراً لذلك ، لطول ما انتظره وقال فيه :

ما جئت حتى قيل ليس بوارد ... فسميت منظوراً وجئت على قدر

وإني لأرجو أن تكون كهاشم ... وإني لأرجو أن تسود بني بدر »

ومنظور من الذين خلفوا على أزواج آبائهم بعد موتهم ، انظر هذه الطائفة في المعارف ٥١ . وقد فرق عمر في الإسلام بينه وبين امرأة أبيه ، وقال في ذلك شعرا (في الأغاني ١١ : ٥٣) منه :

لعمر أبي دين يفرق بيننا ... وبينك قسراً إنه لعظيم

فجاءوا بجَمْعٍ مُحْزَئِلٍّ كأنهمْ ... بنو دارمٍ إذ كان في الناسِ دَارِمُ[(١)]

وذلك أن تميما لما طالَ افتخارُ قيس عليها بأن شعراء تميم [كانت] تضرِبُ المَثلَ بقبائلِ قيس ورجالها ، فصَبَرَتْ تميمٌ زمانًا لا ترفعُ رؤوسها[(٢)] حتى أصابتْ هذين الشعْرَين من هذين الشاعرينِ العظيمَي القدر ؛ فزالَ عنها[(٣)] الذُّلُّ وانتصفت . فلو علم هذان الشاعران الكريمانِ ماذا يصنعانِ بمآثرِهما — لكانَ الخرَسُ أحبَّ إليهما . ق٥٧

قال أبو عبيدة : ومن ذلك قولُ الحارثِ بن حِلِّزَة ، وأنشدَها الملكَ[(٤)] وكان به وضَحٌ[(٥)] وأنشدَه من وراء سِتر — فبلغَ من استحسانه القصيدةَ[(٦)] إلى أن أمَرَ برفعِ السِّتر .

ولكراهتهم لدُنُوِّ الأبرصِ منهم قال لبيدُ بن ربيعة ، للنُّعمان بن المنذر ، في الربيع بن زياد :

مَهْلًا أبيتَ اللَّعْنَ لا تأكلْ مَعَهْ ... إنّ استَه مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ[(٧)]

وإنّهُ يُدخِلُ فيها إصبَعَهْ ... يُدْخِلُها حتى يُوارِي أشْجَعَهْ[(٨)]

---

(١) احزأل القوم : اجتمعوا ، وانضم بعضهم إلى بعض . ودارم ، هم بنو دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٢) ط فقط : « رأسها » .

(٣) ل ، س : « عنهما » .

(٤) الملك هنا هو عمرو بن هند . انظر شرح التبريزي للمعلقات ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٥) الوضح : البرص . والذي به الوضح هو الحارث بن حلزة . انظر (البرص) في المعارف ٢١٥ .

(٦) ستأتي القصيدة بعد الاستطراد الطويل التالي .

(٧) ملمعة : ذات لُمَع ، وكل لون خالف لونا فهو لُمعة .

(٨) الأشجع : واحد الأشاجع ، وهي عروق ظاهر الكف . أو العظام التي تصل الأصابع بالرسغ .

[كأنما يَطلُبُ شيئا ضيّعه [1]]

قال ابنُ الأعرابيّ : فلما أنشدَ الملكَ لبيدٌ في الربيع بن زيادٍ ما أنشد قال الربيعُ : أبيتَ اللعن واللهِ لقد نكتُ أمّه . قال : فقال لبيد : قد كانت لَعَمْري يتيمة في حِجْرك ، وأنتَ ربيبها ، [فهذا بذاك] ، وإلا تكن فعلْتَ [ماقلْتَ] فما أولاكَ بالكذب [2] ! وإن كانت هي الفاعلة فإنها منْ نِسوةٍ لذلك فُعُلٌ [3] . يعني [بذلك [4]] أن نساء عَبْس فَواجرُ ، لأن أمه كانت عَبْسيّة .

والمرىءُ يعافُ الشيء ويهجو به غيره ، فإن ابتُلِيَ بذلك [5] فَخَر به . ولكنه لايفخرُ به لنفسه مِنْ جهةِ ماهجا به صاحبه . فافهم هذه ؛ فإن الناس يَغْلَطُونَ على العَرَبِ [6] ويزْعُمون أنهم قد يمدَحون الشيء الذى قد يهجُون به . وهذا باطلٌ ، فإنه ليس شيءٌ إلا وله وجهان [وطرَفان] وطريقان .

---

(١) رواية ابن رشيق في العمدة (١ : ٢٧) : «أودعه» قال : «ويروى : أطمعه» قلت : هي رواية الأغاني (١٦ : ٢٢) . وقبل هذه الأبيات في كل من العمدة وأمالي المرتضى (١ : ١٣٦) .

يارب هيجا هي خير من دعه ... إذ لا تزال هامتي مقزعه
نحن بنى أم البنين الأربعه ... ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعدعه ... والضاربون الهام تحت الخيضعه

وبعد هذه في الأغاني :

يا واهب الخير الكثير من سعه ... إليك جاوزنا بلادا مسبعه
يخبر عن هذا خبير فاسمعه ... مهلا أبيت اللعن لاتأكل معه

(٢) فيما عدا ل : «فإن كنت فعلت فما أولاك بذلك وإن لم تكن فعلت فما أولاك بالكذب» وأثبت ما في ل موافقاً ما في عيون الأخبار (٤ : ١٥) . وانظر رواية الخبر في أمالي المرتضى والأغاني (١٤ : ٩٢ و ١٦ : ٢٢) .

(٣) فيما عدا ل : «كذلك فعلهن» وما أثبت من ل يشبه ما في عيون الأخبار ، ففيها : «فعل لذلك» . وفعل بضمتين : جمع فعول ، كصبور وصبر . والفعول بمعنى فاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث ، ويجمعان على فعل بضمتين .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) فيما عدا ل : «به» .

(٦) ط : «يغلطون» بالغاء .

فإذا مدحوا ذكروا أحسنَ الوجهين ، وإذا ذمُّوا ذكروا أقبحَ الوجهين .

والحارثُ بنُ حِلِّزةَ فخرَ ببكرِ بنِ وائلٍ على تغلبَ ، ثم عاتبهم عِتاباً دلَّ على أنهم لا ينتصفون منهم ، فقال :

وأتانا عن الأراقمِ أنبا ٭ ءٌ وخَطْبٌ نُعْنَى به ونُساءُ(١)
يَخْلِطُونَ البريءَ منا بذِي الذَّنْـ ٭ ـبِ ولا يَنْفَعُ الخَلِيَّ الخَلاءُ(٢)
زعموا أن كلَّ مَنْ ضَرَبَ العَيْـ ٭ ـرَ مُوَالٍ لنا وأنَّا الوَلاءُ(٣)
إنَّ إخوانَنا الأراقمَ يَغْلُو ٭ نَ علينا في قِيلِهم إحْفاءُ(٤)

ثم قال :

واتركوا الطَّيْخَ والتَّعاشِي وإمّا ٭ تتَعاشَوْا ففي التَّعاشِي الدَّاءُ(٥) ٥٨
واذكروا حِلْفَ ذي المجازِ وما قُـ ٭ ـدِّمَ فيه ، العهودُ والكفلاءُ(٦)
حَذَرَ الجَوْرِ والتَّعدِّي وهل ينـ ٭ ـقُضُ ما في المَهارِقِ الأهواءُ(٧)

---

(١) الأراقم : أحياء من بني تغلب وبكر بن وائل . ونعنى : أي يعنينا غيرنا به ، يظلمنا ويتهمنا ، أو نعني به نحن ونهتم .

(٢) أي يسوون ذا الذنب بالذي لا ذنب له . الخلاء ، بالفتح : البراءة .

(٣) العير : الوتد ، أي كل من ضرب وتداً ألزمونا ذنبه ، أي ذنوب الناس جميعاً . أو العير : إنسان العين ، أي ألزمونا ذنب كل من أطبق جفناً على جفن . والولاء : أي أهل الولاء وأصحابه .

(٤) يغلون ، بالغين المعجمة : من الغلو ، وهو تجاوز الحد . فيما عدا ل : « يعلون » وما أثبت من ل هو الرواية . انظر التبريزي . والإحفاء : الاستقصاء ، أي استقصوا علينا ونقضوا العهد . أو الاسفاء من أحفيت الدابة : كلفتها ما لا تطيق حتى تحفى . رواية التبريزي : « في قيلهم » . والقيل : القول .

(٥) الطيخ : الكبر والغفلة . والتعاشي : التعامي والتجاهل . أي إن تجاهلتم ما كان من الفضل فسدت قلوبنا عليكم فأفضى ذلك بكم إلى شر عظيم . ل : « وإما تتعاشوا » .

(٦) ذو المجاز : موضع جمع فيه عمرو بن هند بكرا وتغلب ، وأصلح بينهما ، وأخذ منهما الرهائن والرهون . فيما عدا ل : « واتركوا » تحريف .

(٧) المهارق : جمع مهرق ، وهو الصحيفة ، فارسي معرب . وانظر المعرب للجواليقي ٣٠٤ والحيوان (١ : ٧٠) والتبريزي ٢٥٥ . أراد أن ما كتب في العهود لا تبطله أهواؤكم الضالة . ل : « ولا ينقض » ورواية التبريزي « ولن » .

واعلموا أننــا وإياكُمْ فيـ ـما اشترطْنا يومَ اختلفنا سواءُ(١)

أمْ علينا جُناحُ كِنْدةَ أنْ يَغْـ ـنَمَ غازِيهمُ ومنّا الجزاءُ(٢)

أمْ علينا جرّا حَنيفةَ أم ما جمّعتْ من مُحاربٍ غَبراءُ(٣)

أمْ علينا جرّا قُضاعةَ أم ليـ ـسَ علينا فيما جَنَوا أنداءُ(٤)

ليس مِنّا المُضرَّبُونَ ، ولا قَيـ ـسٌ ، ولا جَندلٌ ، ولا الحَذّاءُ(٥)

أم جنايا بَني عَتيقٍ . فمن يَغْـ ـدِرْ فإنّا من غدرهم بُرآءُ(٦)

عَنَتاً باطلاً شَدوخاً كما تُعْـ ـتَرُ عن حَجْرةِ الرَّبيضِ الظّباءُ(٧)

ومن المديح الذي يقبُحُ ، قولُ أبي الحلال(٨) في مرثيةِ يزيدَ بن معاويةَ ، حيث يقول :

---

(١) أي اعلموا أنا وإياكم في تلك الشرائط التي وثقناها يوم تحالفنا مستوون .

(٢) كانت كندة غزت تغلب وقتلت فيهم وسبت وغنمت ، فقال : أتلزموننا ما فعلت كندة ؟ !

(٣) الغبراء : الصعاليك والفقراء . والجراء والجرا : بالمد والقصر : الجناية . فيما عدا ل : « جزا » بالزاي تصحيف . أي هل علينا في العهود والمواثيق التي أعطيتموها علينا أن تأخذونا بذنوب حنيفة وما أذنبت صعاليك محارب .

(٤) الأنداء : جمع ندى ، وهو ما يصيب الإنسان ، يقال : لا يندالك مني شيء تكرهه ، أي لا يصيبك . كانت قضاعة غزت تغلب فقتلوا وسبوا . يقول : أتريدون أن تحملوا علينا ذنوب هؤلاء ؟! وليس يلحقنا مما جنوا شيء .

(٥) المضربون : قوم من بني تغلب ضربوا بالسيف . والحذاء : قبيلة من ربيعة .

(٦) يقول : إن نقضتم العهد فإنا برآء منكم . فيما عدا ل : « من جرمهم » . الزوزني والتبريزي : « من حربهم » قال التبريزي : « ويروى فإنا من غدرهم » .

(٧) شدوخا : مائلا عن القصد . وهذا البيت أحد شواهد صحة هذا المعنى . انظر اللسان (شدخ) . فيما عدا ل : « وظلما » . تعتر : تذبح . فيما عدا ل : « يعتر » . والحجرة بالفتح : الموضع الذي يكون فيه الغنم . والربيض : جماعة الشاء ، والعرب كانت تنذر النذر فيقول أحدهم : إن رزقني الله مائة شاة ذبحت من كل عشرة شاة ، فربما بخل أحدهم بما نذر ، فيصيد الظباء فيذبحها عوضاً من الشاء .

(٨) ط ، هـ : « ابن الحلال » س : « ابن الخلال » وأثبت ما في ل .

يا أيها الميتُ بحُوَّارينا ... إنكَ خيرُ الناسِ أجمعينا[١]

[وقال الآخر :

مدحتُ خيرَ العالمين عَنْقَشَا[٢] ... يشبُّ زهراءَ تقود الأعشَى[٣]]

وقال الآخر :

إنَّ الذي أمسى يُسمَّى كُوزَا ... اسمًا نبيهًا لم يكن تَنْبيزا[٤]

لما ابتدَرْنا القَصَبَ المركوزا[٥] ... وَجَدْتَني ذا وثبةٍ أبُوزَا[٦]

ودخل بعضُ أغثاث[٧] شعراءِ البَصريِّين على رجل من أشراف الوجوه يُقال في نسبِه[٨] ، فقال : إني مدَحْتُكَ بشعر لم تُمْدَحْ قطُّ بشعر هو أنفعُ لكَ منه . قال : ما أحْوَجَني إلى المنفعة ، ولا سيَّما كلُّ شيء[٩] منه يخلُدُ على الأيام . فهاتِ ما عندك . قال :

سألتُ عَنْ أمِّكَ فيما مضى ... أبناءَ سِتِّينَ وقد نَيَّفُوا[١٠]

---

(١) حوارين : بالضم وتشديد الواو ، وهي التي تعرف بالقريتين ، بينها وبين تدمر مرحلتان وبها مات يزيد بن معاوية في سنة ٦٤ . انظر ياقوت في (حوارين ، القريتين) .

(٢) عنقش ، كجعفر : اسم من أسمائهم .

(٣) الزهراء : المنيرة المضيئة ، عنى بها : النار . أي يوقد عليه النار للضيف ، فيهتدي بها الأعشى ، فما بالك بغير الأعشى ؟! وهذه الزيادة ثابتة في ل ، س ، هـ . وفي الأخيرتين : « لقيه دهرا » تصحيف .

(٤) نبه الاسم : صار معروفاً مشهوراً . والتنبيز : التلقيب . وفي اللسان : « فلان ينبز بالصبيان : يلقبهم . شدد للكثرة » . ل : « نبزا » .

(٥) ابتدروا السلاح : تبادروا إلى أخذه . والقصب ، أراد به الرماح . س : « والعصب » تحريف . والمركوز : المغروز في الأرض ونحوها .

(٦) الأبوز : الذي يأبز في عدوه ، أي يثب ويقفز ويتطلق .

(٧) الأغثاث : جمع غث ، وهو الرديء السيئ الخلق والحال . فيما عدا ل : « وأغبياء » .

(٨) أي يطعن في نسبه . وهذه العبارة بعينها في عيون الأخبار (٢ : ٥٣) . وفيما عدا ل : « وكان يطعن في نسبه » .

(٩) فيما عدا ل : « كل شعر » .

(١٠) نيفوا : زادوا ، يقال : أناف ، ونيف . فيما عدا ل وكذا في عيون الأخبار : « أبناء سبعين » .

فكلُّهُمْ يخبرُني أنه مهذَّبٌ جوهرُهُ يُعرَفُ

فقال له : قمْ في لعنةِ اللهِ وسخطِهِ ! فلعنَكَ اللهُ[1] ولعنَ مَنْ سألْتَ ولعنَ من أجابك !!

باب

(في السُّخف والباطل)

وسنذكر لك بابًا من السُّخْف ، وما نستخِفُّ به لك ، إذ كان الحق يثقل[2] ولا يخفُّ إلا ببعضِ الباطل .

أنشدنا أبو نُوَاس في التدليك :

لئنْ تَبْخَلِ بالرَّكَبِ المحلوقِ فإنَّ عندى رَاحَتِي وريقِي

وهذا الشعرُ مما يقالُ إن أبا نُوَاس ولَّدَه .

ومما يُظَنُّ أنه ولَّدَه قولُه :

لم أرَ كالليلةِ في التوفيقِ حِراً على قارِعَةِ الطريقِ

كأنَّ فيه لَهَبَ الحريقِ

٥٩ وأنشدني ابن الخارَكي[3] لبعضِ الأعرابِ في التدليك :

لا باركَ الإلهُ في الأحْراحِ فإن فيها عَدَمَ اللّقاحِ

لا خَيرَ في السفاحِ والنِّكاحِ إلا مُعاجلة بطونِ الرّاحِ

---

(١) ط ، هو : « لعنك الله » بإسقاط الفاء .

(٢) السخف ، بالضم والفتح : رقة العقل . والتسخف : أراد به التحاب مصاحب السخف . ولم تذكره المعاجم . وقد سبق في (٢ : ٣٨ س ١٠) : « وقد تسخفنا في هذه الأحاديث » فيما عدا ل : « من السخيف وربما يستخف عليك إذا كان الحق يثقل عليك » .

(٣) هو أحمد بن الخاركي المترجم في (٢ : ١٩٣) .

وأنشدني محمد بنُ عَبَّاد[١] :

تَسْألُنِي ما عَتَدِي وعن دَدِي[٢] ... فإنني يا بِنْتَ آلِ مَرْثَدِ[٣]

راحلتي رِجلايَ والمَرَاقِي يَدِي[٤]

وأنشدني بعض أصحابنا [لبعض] المدنيِّين :

أُمَنِّي هَوَى النفسِ ، غيرَ مُتَّئِبٍ ... خَليلةً لا تَسُومُني نَفَقَهْ[٥]

تَكونُ عَوني على الزمانِ ولِلْـ ... ـكَسْبِ ، إذا ما أخفقتُ ، مُرْتَفَقَهْ[٦]

وشعرٌ في ذلك معناه على وجه الدهر ، وهو قولُه[٧] :

إذا نَزَلْتَ بوادٍ لا أنيسَ به ... فاجلِدْ عُمَيْرَةَ لا عارٌ ولا حَرَجُ

---

(١) محمد بن عباد ، ذكره الجاحظ في البخلاء ١٧٧ – ١٧٨ وأورد له خبرين طريفين ، وهو « محمد بن عباد بن كاسب ، كاتب زهير ومولى بجيلة ، من سبي دابق . وكان شاعراً راوية ، وطلابة للعلم علامة » انظر البيان (١ : ٥١) . قال الجاحظ في البيان (١ : ١١١) : « وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول : والله لفلان أثقل من مغن وسط ، وأبغض من ظريف وسط » . قال الجاحظ يؤيد رأيه : « وإنما الشأن في الحار جدا والبارد جدا » .

(٢) العتد ، بالتحريك ، وبفتح فكسر : الفرس التام الخلق السريع الوثبة المعد للجري ، أو الشديد الحاضر المعد . والدد : اللهو واللعب ، ومثله الددن ، والددا ، والديد ، والديدان ، والديدبون ، كلها لغات صحيحة . ل : « ما عتدي لها » ط : « ما عتق » محرفتان عما أثبت من س ، هو . وفي ط : « وعتدي » س : « وغندي » هو : « وعتدي » صوابه في ل .

(٣) ل : « يابنة » .

(٤) المراق ، أراد المرافق : فسهل ، أو اضطره الشعر . هو : « واطلي رجلي » .

(٥) اتأب الرجل : استحيا ، افتعال من وأب . فيما عدا ل : « منتب » تحريف . وقد عنى بالخليلة كفه . تسومني : تكلفني .

(٦) فيما عدا ل : « والكسب » . ويبدأ عجز البيت في الأصل بالباء ، وصوابه أن يبدأ بالكاف ، وهو من المنسرح . مرتفقة : منتفعة . وفي اللسان (١١ : ٤٠٩) : « والمرفق ، والمرتفق من الأمر ، وهو ما ارتفقت وانتفعت به » .

(٧) ط ، هو : « وشعرا في ذلك معناه وهو » مع إسقاط سائر الكلام . وأثبت ما في ل ، س . لكن في س « وشعرا » بالنصب . ووجه الدهر : أوله . وانظر البيت وما يتعلق به في محاضرات الراغب (٢ : ١١٥) . وروايته : « إذا حللت بأرض لا أنيس بها » .

وأنشدنا أبو خالد النُّميرى(١) :

لو أنها رَخْصةٌ قَضّيْتُ مِنْ وطَرى ... لكنّ جِلْدَتَها تُرْبِى عَلَى السَّفَنِ(٢)
أشكو إلى الله نَشَظاً قدْ بُليتُ به ... وما ألاقى مِنَ الإمْلاقِ وَالحزَنِ(٣)

وقال الذَّكوانىّ(٤) يردُّ على الأولِ قولَه :

جَلْدِى عُمَيرةَ فيه العار والحُوبُ ... والعجزُ مُطَّرحٌ والفُحْشُ مَسْبُوبُ(٥)
وبالعراق نساء كلّها قُطُفٌ ... بأرخصِ السَّوْمِ خَدْلاتٌ مَنَاجيبُ(٦)
وما عُميرةُ منْ ثَدْياءَ حاليةٍ ... كالعاجِ صَفّرها الأكنانُ والطِّيبُ(٧)

قال : مَثَلُ هذا الشعرِ كمثل رجُل قيلَ له : أبوكَ ذاكَ الذى ماتَ جُوعاً(٨) ؟ قال : فَوَجَدَ(٩) شيئاً فلم يأكله ؟!

وقال الحرامى(١٠) :

عِيالٌ عالةٌ وكسادُ سُوق ... وأيرٌ لاينامُ ولا يُنِيمُ

---

(١) فيما عدا ل : « أبو عمرة النمري » .
(٢) رخصة : ناعمة لينة ، أراد يده . والسفن ، بالتحريك : قطعة خشناء من جلد ضب أو جلد سمكة يسحج بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة .
(٣) الإملاق : الفقر والحاجة . فيما عدا ل : « قد منيت به » وهما بمعنى . وفيما عدا ل أيضاً : « وما الأملاق سوى » وهذه محرفة .
(٤) سبق له رجز في (٣ : ٢٦٦) .
(٥) الحوب ، بالضم : الهلاك ، والغم ، والبلاء . والسب : القطع ، سبه يسبه سبا : قطعه .
(٦) قطف : جمع قطوف ، وهي الضيقة المشي البطيئة . فيما عدا ل : « نطف » بالنون ، تحريف . خدلات : ممتلئات الأعضاء في دقة عظام . هـ : « جدلات » بالجيم . ط ، هـ « جلالات » تصحيف . مناجيب : جمع منجاب ، وهي التي تلد النجباء .
(٧) الثدياء : العظيمة الثدي . هـ : « بدنا » . فإن صحت كان وجهها « بدناء » ، وهي الضخمة الأسكتين . س : « ثناء » محرفة . حالية : عليها الحلي . كالعاج في بياضها . الأكنان : جمع كن ، بالكسر ، وهو البيت . والعرب يمدحون بالصفرة .
(٨) فيما عدا ل : « مات من الجوع » .
(٩) كذا ، بترك همزة الاستفهام في الأصل .
(١٠) هو أبو محمد عبد الله بن كلب . انظر الحيوان (٢ : ٢٢٧) وهذا الجزء ص ١٧٩ . فيما عدا ل : « الكزامي » .

[باب
عما قالوا فى السرّ]

قال[1] ابن ميّادة :

أَتُظْهِرُ مافى الصَّدْرِ أمْ أنتَ كاتِمُه　　وَكِتمانُهُ داء لِمَنْ هو كاتِمُهْ

و إضمارُهُ فى الصدرِ داء وَعِلَّةٌ　　وإظهارُهُ شُنْعٌ لِمَنْ هوَ عالمُهْ[2]

وتقول العرب : « من ارتاد لسِرِّهِ فقد أشاعه[3] » . ٦٠

وأرى [الأول] قد أذِنَ فى واحدٍ[4] وهو قوله[5] :

وسِرُّكَ ماكانَ عندَ امرئٍ　　وسرُّ الثلاثةِ غيرُ الخَفِى

وقال الآخر[6] فيما يوافق [فيه] المثلَ [الأول] :

فلا تُفْشِ سِرَّكَ إلا إليكَ　　فإنَّ لكلِّ نصيحٍ نصيحا[7]

---

(١) فيما عدا ل : « وقال » .

(٢) الشنع ، بالضم : القبح والفظاعة .

(٣) فى عيون الأخبار (١ : ٣٨) : « من ارتاد لسره موضعا فقد أذاعه » .

(٤) أى فى إفشاء السر إلى واحد .

(٥) هو الصلتان السعدي ، كما نص الجاحظ فى (٣ : ٤٧٧ — ٤٧٨) . وفى عيون الأخبار (١ : ٣٩) وكذا الحماسة (٢ : ٥٦ — ٥٧) : « الصلتان العبدى » . وفى محاضرات الراغب (١ : ٥٩) : « الصلتان » مجردا . والبيت بدون نسبة فى لباب الآداب ٢٤٠ وأدب الدنيا والدين ٢٨١ .

(٦) فى الكامل ٤٢٤ ليبسك : « وأحسن ما سمع فى هذا — يعنى كتمان السر — ما يعزى إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقائل يقول : هو له، ويقول آخرون : قاله متمثلا . ولم يختلف فى أنه كان يكثر إنشاده » وأنشد البيتين . ونسب الماوردى ٢٧٩ إلى أنس بن أسيد . وانظر لباب الآداب ٢٤٠ والعقد (١ : ٣٥) ومحاضرات الراغب (١ : ٥٩) وعيون الأخبار (١ : ٣٩) والمحاسن والمساوى للبيهقى (٢ : ٥٨ — ٥٩) .

(٧) النصيح : الناصح الذى لايغش . وقد عنى أن لكل صفيا آخر يفضى إليه بسره ولا يضن به عليه ، فن ذلك ما يذيع السر ويتنقل فى الإخوان ، وإخوان الإخوان .

فإنى رأيتُ غُواةَ الرجا ... لِ لا يتركون أديماً صحيحا[1]

وقال مِسكينٌ الدّارِمىّ[2] :

إذا ما خليلى خاننى واتّهمتُه ... فذلكَ وداعِيهِ وذاكَ وَداعُها

رَدَدْتُ عليـه وُدّهُ وتركتُها ... مطلّقةً لايُستطاعُ رِجاعُها

وإنى امرؤٌ منى الحياءُ الذى ترى ... أعيشُ بأخلاقٍ قليلٍ خِداعُها

أُؤاخِى رجالاً لستُ أُطلِعُ بعضَهمْ ... على سِرِّ بعضٍ غيرَ أنى جِماعُها[3]

يَظَلُّونَ شتّى فى البلادِ، وسِرُّهم ... إلى صخرةٍ أعيا الرِّجالَ انصداعُها

وقال أبو مِحجَنٍ الثّقفىّ[4] :

وقد أجودُ وما مالى بذى فَنَعٍ ... وأكتُمُ السِّرَّ فيه ضربةُ العُنُقِ[5]

---

(١) غواة : جمع غاو ، وهو الضال الفاسد . وهذه الرواية توافق رواية الكامل وعيون الأخبار والعقد . وفى ل : « وجدت ضعاف » ; وعند الماوردى : « وشاة » والبيهقى : « بغاة » .

(٢) انظر المبرد ٥٢٤ ليبسك ، وعيون الأخبار (١ : ٣٩) وأمالى المرتضى (٢ : ٦٢) وحماسة أبى تمام (٢ : ٢) والقالى (٢ : ١٧٦) .

(٣) الجماع : اسم لما يجمع به الشيء . وهذا نحو قول عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود :

أؤاخى رجالا لست مطلع بعضهم ... على سر بعض إن صدرى واسعُه

ديوان المعانى (١ : ١٤١) والأغانى (٨ : ٩٢) .

(٤) هو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى . وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، معدود فى أولى البأس والنجدة ، وكان يدمن شرب الخمر ، وأقام عمر عليه الحد مرارا . وهو القائل :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفننى بالفلاة فإننى ... أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

ابن سلام ١٠٥ والأغانى (٢١ : ١٣٧ – ١٤٣) وديوان أبى محجن ٢٣ .

(٥) فى الأصل : « وقد أكون » صوابه من المصادر التالية . الفنع ، بفتح الفاء وفتح النون كثرة المال . وفى الأصل : « قنع » بالقاف ، صوابه فى اللسان والمخصص (١٢ : ٢٨٠) والفصول والغايات ٤٦٥ والأغانى (٢١ : ١٤٢) وديوان أبى محجن رواية أبى هلال العسكرى ص ٧ . وعجز البيت فى الأخيرين : « وقد أكر وراء المحجر البرق » . المحجر : الذى ضيق عليه فى الحرب . والبرق : الشاخص البصر من الفزع . وروى عجز البيت أيضا عجزا لصدر آخر ، فى الديوان وعيون الأخبار (١ : ٣٨) والعقد (١ : ٣٦) .

وقال عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه[١] : « مَنْ كَتَم سِرَّهُ كانَ الخيار فى يَدِه » .

وقال بعضُ الحكماء : « لا تُطلعْ واحداً من سِرِّك[٢] ، إلا بقدرِ مالا تجدُ فيه بدًّا من معاونتك » .

وقال آخر[٣] : « إنَّ سِرَّكَ مِنْ دَمِكِ ، فانظرْ أينَ تُرِيقهُ ! » .

[و] قال الشاعر[٤] :

ولو قَدَرْتُ عَلَى نسيانِ ما اشْتَمَلَتْ ... منى الضلوعُ من الأسرارِ والخبَرِ
لكنت أولَ من ينسى سرائرَه[٥] ... إذ كنت من نشرها يوماً على خَطَرِ

[وقال الآخر :

فإذا استودَعتَ سِرًّا أحَداً ... قد استودعتَ بالسرِّ دَمَكْ]

وقال قيسُ بنُ الخطيم[٦] :

وإنْ ضَيَّعَ الإخوانُ سِرًّا فإننى ... كتُومٌ لأسرارِ العَشيرِ أمين
يكونُ له عندى إذا ما ضَمِنْتُهُ ... مكانٌ بسوداءِ الفُؤادِ مَكين[٧]

---

(١) رواه البيهقى فى المحاسن (٢ : ٥٧) حديثا للرسول ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من كتم سره كانت الخيرة فى يديه » ثم ساق حديثاً طويلا . وقد اقتبس هذا المعنى عتبة بن أبى سفيان فى خبر له مع ابنه الوليد . انظر عيون الأخبار (١ : ٤٠) والعقد (١ : ٣٥) .

(٢) فيما عدا ل : « أخاك » وفى ط ، هـ : « على » موضع « من » .

(٣) نسبه البيهقى (٢ : ٥٦) إلى المنصور ، « كان يقول : سرك من دمك فانظر من تملكه » . قال ابن عبد ربه : « يعنون أنه ربما كان فى إفشائه سفك دمك » .

(٤) انظر عيون الأخبار (١ : ٣٩) ولباب الآداب ٢٤١ والماوردى ٢٨١ .

(٥) ل : « سريرته » وأثبت ما فى ط ، هـ ، س وسائر المصادر .

(٦) البيتان من قصيدة له فى ديوانه ٢٨ — ٢٩ عدتها ١١ بيتا وأمالى القالى (٢ : ١٧٧) وعدتها ١٣ بيتا . وانظر الشريشى (١ : ٢١٧ — ٢١٨) والعينى (٤ : ٥٦٦ — ٥٦٧) وحماسة البحترى ٢٢٦ ونوادر أبى زيد ٢٠٤ ولباب الآداب ٢٣ والمستطرف (١ : ٢٠٧) .

(٧) رواية الديوان والقالى والعينى : « إذا ما ضمنته » . وأشار القالى إلى الرواية الثانية . وفى الديوان : « مقر » وقد أشار القالى إلى رواية الديوان . ورواية الديوان والقالى : « كنين » بمعنى مكنون . وأما « مكين » فهو من التمكن .

وقيل لمَزْبَّد : يا مَزْبَّد[1] ، ما هـذا الذى تحتَ حضنك ؟ فقال :
يا أحمق ، فلِمَ خبأتُه ؟![2]

وقال أبو الشِّيص :

ضَعِ السرَّ فى صَمَّاء ليستْ بصخرةٍ   صَلودٍ كما عاينْتَ من سائرِ الصّخرِ
ولكنها قلبُ امرِئٍ ذى حفيظةٍ   يَرَى ضَيْعَةَ الأسرارِ هتراً من الهترِ[3]
٦١ يموتُ وما ماتَتْ كرائمُ فِعْلِهِ   ويَبْلَى وما يَبْلَى نَثَاهُ عَلَى الدَّهرِ[4]

وقال سُحَيْمٌ الفقعسيّ[5] ، فى أشر ما يُودَعُ من السِّرّ[6] :

---

(١) مزبد : هو مزبد المدينى ، من مشهورى أصحاب النوادر والفكاهة . ويقع التحريف فى اسمه كثيراً ، فيقال : « مزيد » بالياء المثناة التحتية ، كما ورد فى ط ، هو . وفى تاج العروس (٢ : ٣٦١) : « ومزبد ، كمحدث : اسم رجل ، صاحب النوادر . وضبطه عبد الغنى وابن ما كولا كمعظم . وكذا وجد بخط الشرف الدمياطى ، وقال : إنه وجده بخط الوزير المغربى . ووجد فى خط الذهبى ساكن الزاى مكسور الموحدة » . وقد رجعت إلى المشتبه للذهبى ص ٤٧٥ فوجدت فيه : « وبزاى وموحدة مكسورة : مزبد صاحب النوادر » . ففى ضبطه أقوال ثلاثة . وله حديث فى ثمار القلوب ٣٧٢ وقال التوحيدى فى شأن الجاحظ : « وإن هزل زاد على مزبد » . انظر المقابسات ٥٥

(٢) فيما عدا ل : « لم خبأته » وكذا فى عيون الأخبار (١ : ٣٩) . وفى جمع الجواهر للحصرى ١٢ : « وكان بين يدى مزبد المدينى جرة مغطاة ، فقال له بعض جيرانه : ما هذا ؟ فقال . يا أحمق فلم سترناه ؟! أخذه ابن الرومى فقال لمن سأله : لم تلزم العمة؟ — وكان ابن الرومى أقرع الرأس — :

يأيها السائل لأخبره   عنى لم لا أزال معتجرا
أستر شيئاً لو كان يمكننى   تعريفه السائلين ما استترا» .

(٣) الهتر ، بالفتح : مزق العرض ، وبالكسر : الباطل والخطأ فى الكلام ، وبالضم : ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن . س : « من أكبر السر » محرفة . ط ، هو : « من أكبر الشر » وأثبت ما فى ل .

(٤) النثا ، بتقديم النون : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء . فيما عدا ل : « ثناه » مصحف .

(٥) المعروف فيمن اسمه سحيم من الشعراء ثلاثة : سحيم بن وثيل الرياحى ، وسحيم بن الأعرف وهو من بنى الهجيم ، وسحيم عبد بنى الحسحاس . انظر الخزانة (١ : ٢٤٢ - ٢٤٤ سلفية) .

(٦) فيما عدا ل : « فى إفشائه ما يودع من الأسرار » .

ولا أكتُمُ الأسرارَ لكن أذيعُها ... ولا أدَعُ الأسرارَ تَغلِي عَلَى قلبِي[١]
وإن قليلَ العقلِ من باتَ ليلَةً ... تقلِّبه الأسرارُ جنبا إلى جنبِ[٢]

وقال القرّارُ[٣] السُّلَمىُّ — وهذا الشعر فى طريقِ شعرِ سُحَيم ، وإن لم يكن فى معنى السرِّ — [وهو] قوله :

وكتيبةٍ لبَّستُها بكتيبةٍ ... حتى إذا التبَستْ نفضْتُ بها يدى[٤]
[وتركتُهمْ تقِصُ الرِّماحُ ظهورَهم ... من بينِ منْجدِلٍ وآخرَ مُسْنَدِ[٥]]
ما كانَ ينفعُنى مَقالُ نسائِهم ... وقُتِلتُ دون رجالِهِمْ : لاتبعَدِ[٦]

(تخاذل أسلم بن زرعة)

وقيل لأسلمَ بن زُرعةَ[٧] إنك إن انهزمتَ من أصحاب مِرْداسٍ

---

(١) فى عيون الأخبار (١ : ٤١) والحماسة (٢ : ٤٠٢) والكامل ٤٢٧ ليبسك : « أميتها » وفى ل والحماسة : « أترك » : وفى المستطرف (١ : ٢٠٨) : « تغلو على قلبى » .

(٢) فيما عدا ل : « ضعيف العقل » . وما أثبت من ل يوافق الكامل والحماسة والمستطرف. هو فقط : « ليلة » بالتاء ، ومثلها الحماسة والمستطرف . لكن صدره فى الكامل : « وإن أحق الناس بالسخف لا مرؤ » .

(٣) القرار : شاعر إسلامى مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، واسمه حيان (ويقال : حيان) بن الحكم ، وأخذ راية سليم يوم الفتح ثم نزعت منه . وسليم بالتصغير : اسم قبيلته . انظر الإصابة ١٥٥١ والحماسة (١ : ٥٧) وشرح التبريزى . وفيما عدا ل : « الغرار » بالغين ، محرف .

(٤) أى رب كتيبة خلطتها بكتيبة ؛ فلما اختلطت نفضت يدى منهم . وأراد بنفض اليد الإعراض عنها . وفى هذا ما فيه من اطراح النخوة والخلق الفاضل . وهذا هو السر فى شبه هذا الشعر بسابقه .

(٥) تقص : تكسر ، والوقص: الكسر . المتجدل : المصروع الملقى على الجدالة ، وهى الأرض . والمسند : الذى أسند إلى ما يمسكه وبه رمق . ورواية الحماسة : « منعفر » وهذا البيت ثابت فى ل وحده فقط .

(٦) ما استفهامية أو نافية . بعد يبعد : هلك ، وبابه تعب ؛ أى ما ينفعنى أن يندبننى ويقلن لا تبعد ! فيما عدا ل : « بين رجالهم » ورواية الحماسة : « بين رجالها » .

(٧) فى تاريخ الطبرى القسم الثالث ص ٦٥ أن زياداً لما ولى العراق استعمل الحكم بن عمرو الغفارى على خراسان ، وجعل معه رجالا على كور ، وأمرهم بطاعته ، =

ابن أُدَيَّة[1] غضِبَ عليك الأمير عبيدُ الله بن زياد قال : يغضَبُ علىَّ وأنا حىٌّ أحبُّ إلىَّ مِنْ أن يرضَى عنى وأنا ميِّت .

قال : وولِىَ دَسْتَبَى[2] فخرج إليها فى أصحابه[3] ، فلما شارَفَها عرضَتْ له الخوارجُ ، وكان أكثرَ منهم عددًا وعُدَّة ، فقال : والله لأصافَّنَّهم[4] ، وَلأُعَبِّيَنَّ أصحابى[5] ، فلعلهم إذا[6] رأوا كثرتَهم انصرفوا ولا أزال بذلك[7] قويًّا فى عملى هــذا . فلما رأت الخوارجُ كثرةَ القوم نزلوا عن خيولهم فعَرْقَبُوها[8] ، وقطَّعوا أجفانَ سيوفهم ، ونبذوا[9] كل دقيقٍ كان معهم ، وصَبُّوا أسقيَتَهُم . فلما رأى ذلك رأى الموتَ الأحمر .

= فكانوا على جباية الخراج ، وهم أسلم بن زرعة ، وخليد بن عبدالله الحنفي ، ونافع بن خالد الطاحى ، وربيعة بن غسل اليربوعى ، وحاتم بن النعمان الباهلى . وفى ص ١٧٢ : « ولى عبيد الله بن زياد أسلم بن زرعة خراسان » . وفى ص ٢٩١ أن عبيد الله بن زياد أرسله إلى أبى بلال مرداس بن عمرو بن حدير .

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٥ من هذا الجزء . وله أخ يدعى « عروة » . وأدية جدة لهما من محارب نسبا إليها ، ويقال : بل كانت ظئراً لهما ، وهما ابنا عمرو بن حدير ، من ربيعة بن حنظلة . المعارف ١٨٠ .

(٢) دستبى ، بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح التاء المثناة من فوق والباء الموحدة المقصورة : كورة كبيرة كانت مقسومة بين الرى وهمذان . ط ، هـ ، سه : « تستر » ، وهى بضم التاء الأولى وفتح الثانية ، وكانت أعظم مدينة بخوزستان . ل : « دستبنى » بزيادة نون قبل الآخر ، وصواب هذه ما أثبت .

(٣) فيما عدا ل : « وخرج » ، بالواو .

(٤) المصافة ، بتشديد الفاء ، من صافه يصافه ، بالتشديد : إذا رتب صفوفه فى مقابل صفوف العدو . وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان مصاف العدو بعسفان » سه ، هـ : « لأصافنهم » تحريف .

(٥) من التعبئة ، وهى تهيئة الجيش وترتيبه للقتال .

(٦) ط ، هـ : « إن » والوجه ما أثبت من ل ، سه .

(٧) فيما عدا ل : « كذلك » .

(٨) عرقبوها : حزوا عراقيبها بالسيوف . وعرقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها .

(٩) نبذوا : رموا وألقوا . وفى ل : « ونثروا » .

فأقبل عليهم فقال : عرقبتم دوابَّكم ، وقطَّعتم أجفانَ سيوفِكم ، ونبذتم[١] دقيقكم؟ خلَّفَ اللهُ لنا ولكم ! ثم ضربَ وجوهَ أصحابه[٢] وانصرفَ عنهم .

(ضِيق النظَّام بحَمْلِ السرّ)

وكان أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن سيّارٍ النظَّام ، أضيَقَ الناس صدراً بحملِ سرٍّ[٣] وكان شرُّ مايكونُ إذا يُؤَكِّدُ عليه صاحبُ السر[٤] وكان إذا لم يؤكِّدْ عليه ربما نَسِيَ القِصَّةَ ، فيسلمُ صاحبُ السرّ .

وقال له مرةً قاسمٌ التمَّار : سبحان الله ماق الأرض أعجبُ منك[٥] أودعتُك سِرًّا فلم تصبر عن نشره[٦] يوماً واحداً ؛ والله لأشكونَّك للناس! فقال : يا هؤلاء ، سَلُوه نَسَيْتُ عليه مرةً واحدةً ، أو مرتين ، أو ثلاثاً ، أو أربعاً ، فلمن الذنبُ [الآنَ] ؟

فلم يرضَ بأن يشاركه في الذنب ، حتى صيَّر[٧] الذنبَ كله لصاحبِ السرّ .

---

(١) ل : « ونثرتم » .
(٢) أي ردهم من حيث أتوا . وهذا الخبر مثل عجيب في الاستهانة بالتبعات .
(٣) فيما عدا ل : « سره » وما أثبت من ل أشبه بلغة الجاحظ .
(٤) ل : « توكد » تحريف . والكلام بعده إلى آخر الفقرة ساقط من ل .
(٥) ل : « في الأرض » بإسقاط « ما » بمعنى « أفي الأرض » على الاستفهام وحذف الهمزة ، وذلك كثير في لغة الجاحظ .
(٦) ط ، هو : « إفشائه » .
(٧) ل : « صار » بمعنى ضم وجمع .

(شعر في حفظ السرّ)

وقال بعضُ الشعراء[1] :

خَتَمْتُ الفؤادَ على سِرِّها ... كذاكَ الصحيفةُ بالخاتمِ[2]
هوًى بي إلى حُبِّها نظرةٌ ... هُوِيَّ الفراشةِ للجاحمِ[3]

٦٢ وقال البَعِيث :

فإنْ تكُ ليلى حَمَّلتنى لُبانةً ... فلا وأبى ليلى إذاً لا أخونُها[4]
حَفِظتُ لها السرَّ الذى كان بيننا ... ولا يحفظُ الأسرارَ إلا أمينُها

وقال رجلٌ من بنى سعد[5] :

إذا ما ضاق صدرُكَ عن حديثٍ ... فأفشَتْهُ الرجالُ فمَنْ تلومُ
إذا عاتبتُ من أفشى حديثى ... وسِرِّى عندَه فأنا الظلومُ[6]
وإنى حين أسأمُ حَمْلَ سرِّى ... وقد ضَمَّنْتُهُ صدرِى سَؤُومُ[7]
ولستُ محدِّثاً سرِّى خليلاً ... ولا عِرْسى ، إذا خطرتْ همومُ
وأطوِى السرَّ دونَ الناس ، إنى ... لما استُودِعْتُ من سرٍّ كتومُ[8]

---

(١) فيما عدا ل زيادة : « فيه » فى هذا الموضع . ولا وجه له . وانظر ثمار القلوب ٣٩٩ .
(٢) فى ثمار القلوب وكذا فى الحيوان (٣ : ٣٩٨) : « على حبها » . وفيما عدا ل : « كختم الصحيفة » . وما أثبت من ل يوافق رواية الثعالبى وما سبق فى الجزء الثالث .
(٣) فى الثمار والجزء الثالث : « هوت بى » . والجاحم : كل نار عظيمة فى مهواة . فى الثمار فقط : « فى الجاحم » .
(٤) اللبانة ، بالضم : الحاجة ، والجمع لبان .
(٥) فى لباب الآداب ٢٤٣ : « وأنشد الزبير لرجل من بنى عبد شمس بن سعد » . وانظر عيون الأخبار (١ : ٣٩) .
(٦) فيما عدا ل : « عاينت » صوابه فى ل والمصدرين السابقين .
(٧) ل فقط : « كتم سرى » . والبيت التالى انفرد الجاحظ بروايته .
(٨) لم يرو هذا البيت ابن قتيبة ، ورواه أسامة بن منقذ .

(اعتذار شيخ)

قال : وقيل لشيخ : ويحك ههنا ناسٌ يسرق أحدُهم خمسين سنة ، ويزني خمسين سنةً ، ويصنع العظائم خمسين سنةً ، وهو في ذلك كله مستور جميل الأمر[2] ؛ وأنتَ إنما لُطْتَ منذُ خمسةِ أشهر ، وقد شُهِرتَ به في الآفاق ! قال : بأبي أنت ، ومن يكونُ سرُّهُ عند الصِّبْيان أيُّ شيء تكونُ حاله !

(وصية العباس لابنه)

أبو الحسن[3] ، عن محمد بن القاسم الهاشمي[4] قال : قال العباسُ بن عبد المطلب[5] لعبد الله ابنه : « يا بُنَيّ ، أنتَ أعلمُ منّي ، وأنا أفقهُ منك[6]

(١) الكلام من « ويزني » إلى هنا ساقط من ل ، هو .

(٢) فيا عدا ل : « جيد الأمر » وكلمة « كله » ساقط من ل .

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني ، صاحب الأخبار . وقد روى عنه الجاحظ في البيان أكثر من سبعين خبرا . وله تصانيف تربى على المائتين ولد سنة ١٣٥ ومات سنة ٢٢٥ . انظر ابن النديم ١٤٧ — ١٥٢ مصر .

(٤) هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر اليمامي الهاشمي ، المعروف بأبي العيناء ، ولد سنة ١٩١ وتوفي سنة ٢٨٢ وهو من كبار الأخباريين ، نشأ بالبصرة وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري ، وكان من الحسن وسرعة الجواب والدعابة على ما لم يكن عليه أحد من نظرائه . وهو الذي دخل على المتوكل في قصره فقال : كيف تقول في دارنا هذه ؟ فقال : إن الناس بنوا دورهم في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك ! وروى عنه أنه قال : « أنا والجاحظ وضعنا حديث فدك وأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه ، إلا ابن أبي شيبة العلوي » . وعمي أبو العيناء بعد الأربعين . انظر نكت الهميان ٢٦٥ ولسان الميزان (٥ : ٣٤٤ — ٣٤٦) والفهرست ١٨١ وتاريخ بغداد ١٢١٥ .

(٥) ط فقط : « أبو العباس بن عبد المطلب » . وإنما هو « العباس » والد عبد الله بن العباس .

(٦) فيا عدا : ل « أفقه مني وأنا أعلم منك » .

إن هذا الرجلَ يُدْنيك ـ يعني عُمَر بن الخطاب ـ فاحفظْ عني ثلاثًا : لاتُفْشِ له سرًّا ، ولا تَغْتَابَنَّ عنده أحداً، ولا يَطَّلِعَنَّ منك على كِذْبة » .

باب
فى ذكر المُنى [1]

قال : سُئل ابن أبي بَكْرة [2] أيُّ شيء أدْوَم إمتاعًا [3] ؟ قال : المُنَى .

[قال] : وقال يزيد [بن معاوية على مِنْبرِه [4]] : ثلاثٌ يُخْلِقْنَ العقْل [5] ، وفيها دليل على الضّعف : سرعةُ الجواب ، وطُول التَّمنّى [6] والاستغراب فى الضّحك !

وقال عبايةُ الجُعْفى [7] : ما سرّنى بنصيبى [من المنى] حُمْرُ النَّعَم [8]

---

(١) فيا عدا ل : « ما جاء فى ذم الأماني » مع إسقاط كلمة « باب » .
(٢) سبقت ترجمة أبيه فى (٤ : ٢٧٩) .
(٣) فيا عدا ل : « أحرم متاعا » صوابه ما أثبت من ل موافقاً عيون الأخبار (١ : ٢٦١) ومحاضرات الراغب (١ : ٢١٦) .
(٤) « بن معاوية » زيادة من ل وعيون الأخبار (١ : ٢٦١ — ٢٦٢) . و « على منبره » زيادة من سه ، هو .
(٥) يخلقن ، من أخلقه بمعنى أبلاه . أخلق الثوب وأخلقته أنا ، يتعدى ولا يتعدى . اللسان (١١ : ٣٧٦) . وفى عيون الأخبار : « تخلق » .
(٦) ل : « المنى » .
(٧) ل : « الحنفى » روى له الجاحظ فى البيان (١ : ١٨٥) : « لولا الدربة وسوء العادة لأمرت فتياننا أن يمارى بعضهم بعضا » .
(٨) النعم ، أكثر ما يطلق على الإبل . وفى اللسان : « والعرب تقول : خير الإبل حمرها وصهبها . ومنه قول بعضهم : « ما أحب أن لى بمعاريض الكلم حمر النعم » . ومن ذلك قول الرسول الكريم : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم »، إشارة إلى حلف الفضول . انظر السيرة ٨٦ جوتنجن .

وقال الأصمعي : قال ابن أبي الزِّناد[١] : المُنَى والحُلْم أخَوَان» .

وقال مُعمَّر بن عبَّاد[٢] : الأمانيّ للنَّفْس ، مثلُ التُّرَّهات[٣] للِّسان» .

وقال الشاعر :

[اللهُ أصدَقُ والآمالُ كاذبةٌ ... وَجُلُّ هذِي المُنَى في الصَّدرِ وسْوَاس[٤]

وقال الآخر[٥] :

إذا تَمنَّيْتُ مالاً بِتُّ مُغتبِطاً ... إنّ المُنَى رُوسُ أموالِ المَفالِيسِ

لولا المُنَى مُتُّ من هَمٍّ ومن حَزَنٍ ... إذا تذكَّرتُ ما في داخلِ الكِيسِ

وقال بعضُ الأعراب[٦]] :

مُنًى إنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أحسنَ المُنَى ... وإلا فقد عِشْنا بها زَمَنًا رَغْدَا[٧]

---

(١) لأبي الزناد ولدان : ذكرهما ابن قتيبة في المعارف ٢٠٤ — ٢٠٥ . وهما عبد الرحمن ابن أبي الزناد ، وهو المعروف بهذه الكنية . انظر تهذيب التهذيب (٦ : ١٧٠) ، وأبو القاسم بن أبي الزناد . أما عبد الرحمن فيكنى أبا محمد ، وقد ولي خراج المدينة وقدم بغداد ومات بها سنة ١٧٤ وهو ابن أربع وسبعين سنة . وأما أبو الزناد فهو أبو عبد الله بن ذكوان ، كان عمر بن عبد العزيز ولاه خراج العراق وتوفي سنة ١٣٠ وهو ابن ست وستين سنة . وقد أورد ابن قتيبة الحكمة التالية في عيون الأخبار (١ : ٢٦١) ولم ينسبها .

(٢) معمر بن عباد السلمي (بتشديد ميم معمر) : معتزلي من أهل البصرة ، ثم سكن بغداد ، وناظر النظام ، مات سنة خمس عشرة ومائتين ، ذكره ابن النديم . هذا كلام ابن حجر في لسان الميزان (٦ : ٧١) ولم أجد له ذكرا في الفهرست ، فلعله مما ضاع من الكتاب . فيما عدا ل : « بن عبادة » محرف .

(٣) الترهات : الأباطيل ، الواحدة ترهة .

(٤) في الأصل ، وهو هنا ل : « هذا المنى » .

(٥) البيت الأول في عيون الأخبار (٢ : ٢٦١) . وعجزه في محاضرات الراغب (١ : ٢١٧) وفيها : « رأس » .

(٦) وكذا في عيون الأخبار (١ : ٢٦١) وفي حماسة أبي تمام (٢ : ١٦٩) ومحاضرات الراغب (١ : ٢١٦) : « وقال رجل من بني الحارث » .

(٧) أي هي منى ، إن تكن محققة فهي أحسن الأماني ، وإن تكن كاذبة فإنا نعيش عيشاً رغداً بذكرها .

[أمانيُّ مِن سَلمى حسانٌ كأنّما سَقتْني بها سَلمى على ظمإٍ بردَا(١)]

وقال بشار :

كَرّرنا أحاديثَ الزمانِ الذي مَضَى فلَذّ لنا محمودُها وذَميمُها(٢)

٦٣ [قا] روى الأصمعيُّ عن بعضهم أنه قال : الاحتلامُ أطيبُ من الغِشيان، وتمنِّيك الشيء(٣) أوفرُ حظًّا في اللذّةِ من قُدرتِكَ عليه .

قال : كأنه [ذَهَبَ إلى أنه إذا ملكَ] وجبَتْ عليه في ذلك للمِلْك حقوقٌ ، وخافَ الزوالَ ، واحتاجَ إلى الحفظ .

وقال : وفي الحديث المأثور : « ما عظُمتْ نعمةُ [اللهِ] على أحدٍ إلا عظمَتْ مؤُونةُ الناسِ عليه(٤) » .

[قال] : وقيل لمزَبّد(٥) : أيسرُّك أن عندك قِنّينةَ شرابٍ ؟ قال : يا ابنَ أمٍّ ، مَنْ يسرُّه دخولُ النارِ بالمجاز ؟! .

قال : وقدّموا إلى أبي الحارث جُمّيز(٦) جامَ خَبيصٍ(٧) وقالوا له :

---

(١) الرواية في سائر المصادر : « أمانيّ من سعدى » و « سقتك بها سعدى » . وفي عيون الأخبار : « طايا » والمحاضرات : « حسانا » والحماسة : « رواء » . قال التبريزي : « ويروى أماني ، نصب بإضمار فعل » . والبرد : الماء البارد .

(٢) البيت في عيون الأخبار (١ : ٢٦١) .

(٣) ط فقط : « وتمنيك الشيء » .

(٤) فيما عدا ل : « إلا عظمت عليه مؤنة الناس » .

(٥) ط ، هو : « لمزيد » بالياء ، صوابه في ل ، س . وانظر التنبيه الأول ص ١٨٤ .

(٦) سبقت ترجمته في (٣ : ٨٤) بلفظ : « جمين » آخره نون . ويبدو لي أنهما لغتان في اسمه . وفيما عدا ل : « حير » مصحف .

(٧) الجام : إناء من فضة ، عربي صحيح ، وجمعه جامات ، ومنهم من يقول : جوم . والجام مؤنثة . هذا مجمل ما قاله ابن منظور . ولم يذكرها أحد في المعربات ، ولكني أذهب إلى أنها مأخوذة من الفارسية . انظر رسمة هذه المادة في الفارسية عند استينجاس ٣٥٠ — ٣٥١ ، وهي في الفارسية بمعنى الكأس ، أو القدح ، أو الطاس ، أو الإناء الصقيل ، ولم يقيد ذلك بالفضة أو غيرها . والخبيص ، سبق الحديث عنه في هذا الجزء ص ١٤ .

أهذا أطيبُ أم الفالوذَج[1] ؟ قال : لا أقضي على غائب !

قال : وقال مَدينيٌّ لرجل : أيسرُّك أن هذه الدار لك ؟ قال : نعم . قال : وليس إلا تمرٌ قط[2] ؟ قال : فما أقول ؟ قال : تقول : نعم ، وأحمّ سنة[3] ! [قال] : نعم ، وأنا أعور .

[قال] وقيل لمزبِّد : أيسرُّك أن هذه الجُبّةَ لك ؟ قال : نعم ، وأضرَبُ عشرين سوطاً[4] . قال : ولمَ تقولُ هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

قال : وقال عبدُ الرحمن بن أبي بَكْرة ، مَنْ تمنّى طول العمر فليوطّنْ نفسه على المصائب[5]

يقول : إنه لا يخلو[6] من موت أخٍ ، أو ابنٍ ، أو ابن عمٍّ أو صديق ، أو حميم .

وقال المجنون :

أيا حرَجاتِ الحيّ حيثُ تحمّلوا بذي سَلَمٍ لا جادَكُنّ ربيعُ[7]

---

(١) الفالوذج : ضرب من الحلوى ، يصنع من الدقيق والماء والعسل . فارسي معرب عن « پالوده » . وفي اللسان (مادة فلذ) : « والفالوذ والفالوذق معربان . قال يعقوب : ولا يقال : الفالوذج » . وانظر المعرب ٢٤٧ . ط ، هـ : « أهذا » بإثبات همزة الاستفهام . والجاحظ يميل إلى حذفها .

(٢) س : « أو ليس » بإثبات همزة الاستفهام . وفيما عدا ل : « إلا هذا » .

(٣) أحمّ ، من مرض الحمى . فيما عدا ل : « وأحمى سنة » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٥) ل : « المصايب » بالياء . وهو القياس ، فإن ما كان أصله حرف علة إذا جمع نحو هذا الجمع لم يهمز . لكنه لم يسمع . وفي اللسان : « أجمعت العرب على همز المصائب وأصله الواو كأنهم شبهوا الأصلي بالزائد » . ولم يسمع نظيره . ما همز إلا « معائش » وأكثر القراء على ترك الهمز فيها إلا ما روي عن نافع فإنه همزها .

(٦) « إنه لا يخلو » ليست في ل ، س . وليست ضرورية في الكلام .

(٧) الحرجات : جمع حرجة ، وهي الشجرة بين الأشجار لا تصل إليها الآكلة ، وهي ما رعي من المال . ورواية اللسان والأغاني (١ : ١٧٠) : « حين تحملوا » . وذو سلم : موضع ، فيما عدا ل : « لذي سلم » صوابه في ل واللسان والأغاني .

وخَيَاتُكِ اللاتى بمُنْعَرَجِ اللِّوَى · بَلِينَ بِلًى لم تَبْلَهُنَّ رُبُوعُ[١]
فَقَدْتُكَ من قلبٍ شَعاعٍ ، فطالما · نهيتُك عن هذا وأنتَ جميعُ[٢]
فقرَّبتَ لى غيرَ القريبِ ، وأشرَفَتْ · مُناكَ ثنَايَا مالهنَّ طُلُوعُ[٣]

(أمانىّ بعض الخوارج)

قال : وقال عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث[٤] : لولا أربعُ خِصالٍ ما أعطيتُ عربيًّا طاعة : لو ماتت أمّ عَمْرو[٥] — يعنى أمّه — ولو نَسَبْتُ[٦] ، ولو قَرَأتُ القرآن ، ولو لم يكن رأسى صغيراً .

قال : وقدِم[٧] عبدُ الملك ، وكان يحبُّ الشِّعْرَ[٨] فبعثْتُ إلى الرواة ، فما أتَتْ علىّ سنةٌ حتى رويتُ الشاهدَ والمَثَل ، وفُضُولاً[٩] بعد ذلك . وقدِم

(١) خياتك ، خطاب للمى فى البيت قبله ، لم ليل على الالتفات . والخيمة : البيت من شجر . وقد جعل ضمير « بلى » فى « تبلهن » جمعاً مؤنثا ، والقياس أن يقول « لم تبله » أى لم تبل ذلك البلى . فيما عدا ل : « يبلهن » .

(٢) قلب شعاع ، بفتح الشين والعين : متفرق موزع . ط : « شجاع » تحريف ، صوابه فى س ، هو والأغانى واللسان (١٠ : ٤٧) . وفى ل : « شعاعا » كأنه قال : فقدتك قلبا شعاعا ، كما تقول ثكلتك ولداً بارا .

(٣) أشرفت : علت وظهرت . مناك : ما تتمناه ، جمع منية . ثنايا : حال من مناك ، والثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة ، أو الجبل ، أو الطريق فيه . فيما عدا ل : « هناك » موضع « مناك » وفى الأغانى : « إليك ثنايا » .

(٤) هو المعروف بابن الأشعث ، قائد داهية ، سيره الحجاج لغزو بلاد رتبيل فانتقض عليه ، وحدثت بينه وبين الحجاج وقعة دير الجماجم التى دامت مائة يوم وثلاثة ، وانتهت بهزيمته وفراره وقتله ، سنة أربع وثمانين .

(٥) ل : « أم عمران » .

(٦) ل : « ولو شبت » والوجه ما أثبت من سائر النسخ . ونسبت : عرفت أنساب العرب .

(٧) فيما عدا ل : « وقال قدم » .

(٨) ط ، هو : « الشعراء » .

(٩) فضول : زيادات ، والفضل : الزيادة . فيما عدا ل : « وفصولا » بالمهملة .

مُصْعَبٍ[(١)] وكان يحبُّ النَّسَب ، فدعوت النَّسَّابين[(٢)] فتعلَّمتُه في سنة . ثم قَدِمَ[(٣)] الحجّاج ، وكان يُدْني على القرآن[(٤)] ، فحفظته في سَنَة .

قال: وقال يزيدُ بنُ المهلَّب : لاأخرجُ[(٥)] حتى أحجّ ، وأحفظَ القرآن ، ويموتَ أمّي. فخرج قبل ذلك كلِّه .

وقال عُبَيْدُ الله بنُ يحيى[(٦)] : كان من أصحابنا بمَرْو[(٧)] جماعة ، فجلسنا ذات يومٍ نتمنّى . فتمنيتُ أن أصيرَ إلى العراق من أيامى سللاً ، وأن أقْدَمَ

---

(١) هو مصعب بن الزبير ، وكان قد بايعه على الخلافة أهل البصرة والكوفة سنة ٦٥ ثم ثار المختار على ابن الزبير وانتهت الثورة بقتل المختار سنة ٦٧ . وسار عبد الملك لقتال مصعب فالتقوا بأرض مسكن فقتل مصعب سنة ٧٣ . فدامت فتنته تسع سنين وثلاثة أشهر وأياما . المعارف ١٥٥ — ١٥٦ . فيما عدا ل : « المصعب » . وهو جائز فى العربية . انظر الحيوان (٣ : ٣٨٢) ومجلة الثقافة ص ٢١٥٢ .

(٢) ل : « وكان يحب النسابين » .

(٣) فيما عدا ل : « وقدم » . وكان قدوم الحجاج إلى العراق سنة ٧٥ .

(٤) يدنى ، من الإدناء ، وهو التقريب . فيما عدا ل : « يدين » .

(٥) كان خروج يزيد بن المهلب بن أبى صفرة فى أيام يزيد بن عبد الملك ، فإنه لما مات عمر ابن عبد العزيز فى رجب سنة ١٠١ تمكن يزيد هذا أن يخرج من سجنه ، وسار إلى البصرة واجتمع إليه خلق عظيم ، وخلع يزيد بن عبد الملك ، والتقت جيوش اليزيدين بالعقر ، من أرض بابل ، فهزم يزيد بن المهلب وقتل سنة ١٠٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٧ — ٢٧٨ .

(٦) هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان المروزى ، وزير المتوكل : انظر مروج الذهب (٢ : ٢٧١) والتنبيه والإشراف ٣١٤ . وفى الأصل : « عبد الله بن يحيى » وليس له ذكر فى ولاة الدولة العباسية . والمعروف بهذا الإسم عبد الله بن يحيى الكندى الملقب « طالب الحق » من إباضية اليمن ، بايعه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى الإباضى على الخلافة ، وخرجت الإباضية تحت قيادة أبى حمزة إلى مكة يوم عرفة سنة ١٢٩ ثم إلى المدينة ، فالتقوا بوادى القرى ، فهزمت الإباضية ، ولحق بقيتهم بعبد الله بن يحيى فى اليمن ، فسار إليهم عبد الملك بن محمد بن عطية ، قائد الخليفة مروان بن محمد ، فلقى عبد الله ابن يحيى بناحية الطائف ، فاقتتلا قتالا شديداً قتل فيه عبد الله سنة ١٣٠ . انظر مروج الذهب (٢ : ٢٠٣) .

(٧) مرو : هى مرو الشاهجان ، أشهر مدن خراسان وقصبتها . فيما عدا ل : « هرو » تحريف .

فأتزوجَ[1] سَمَاعِ ، وأَلِيَ كَسْكَر[2]

قال : قدِمتُ سالمًا ، وتزوجتُ سَمَاعِ ، ووَلِيتُ كَسْكَرَ .

(خبر وشعر فى دجلة والفرات)

٦٤ قال : ووقف هشامُ بنُ عبد الملك على الفرات ، ومعه عبدُ الرحمنِ ابنُ رستَمَ[3] ، فقال هشام : ما فى الأرض نهرٌ خيرٌ[4] من الفُرات ! فقال عبد الرحمن : ما فى الأرض نهرٌ شرٌّ من الفرات[5] ، أوّله للمُشْرِكين ، وآخِرُه للمنافقين .

وقال أبو الحسن[6] : الفرات ودِجلة رائِدان[7] لأهل العراق [لايكذبان] .

قال الأصمعيّ [وأبو الحسن[8]] : فهما[9] الرائدان ، وهما الرّافدان .

---

(١) سماع « كقطام » : اسم امرأة . ولم أر هذا العلم المؤنث إلا فى هذا الموضع . وفى القاموس : « والسَّمَاع بطن » . هـ : « وأن أتزوج سماع ما كن » ط : « وأن أتزوج سماع » وفى الأولى نقص وتحريف ، وفى الثانية نقص .

(٢) ألى : من الولاية ، أى أصير واليا عليها . هـ : « إلى » . س : « وأكن والى » عرفتان . وكسكر : كورة من كور العراق ، مشهورة بالدجاج ووفرة الخيرات .

(٣) فى القاموس : « ورستَم بضم الراء وفتح المثناة فوق ، وقد تضم » . ورستَم من الأعلام الفارسية ، وضبطه فيها بضم الراء وفتح التاء . والمشتهر بهذا الاسم عندهم « رستم » صاحب حرب القادسية .

(٤) فيما عدا ل : « خيرا » بالنصب بجعلها خبرا لما الحجازية .

(٥) فيما عدا ل : « وقال عبد الرحمن : ما فيها نهر شرا من الفرات » . وانظر التنبيه السابق .

(٦) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى المترجم فى ص ١٨٩ .

(٧) رائدان ، مثنى رائد ، وهو الذى يرسله قومه فى طلب الكلأ . وفى المثل : « الرائد لا يكذب أهله » .

(٨) هذه الزيادة من ل ، س .

(٩) س : « ولا يكونان » . ط . « ولا يكونيان فما » . و « يكونان » و « يكونيان » هنا « يكذبان » التى أثبتها فى موضعها من ل ، تصحفت فى س ، هـ ، ثم نقلت إلى غير موضعها .

وقال الفرزدق(١) :

أميرَ المؤمنين ، وأنتَ عفٌّ   كريم ، لستَ بالوالي الحريصِ(٢)
بعثتَ إلى العـــراق ورافدَيه   فزاريًّا أحذَّ يدِ القميصِ(٣)
ولم يَكُ قبلَها راعي مَخاضٍ   ليأْمَنَهُ على وَرِكَيْ قَلُوصِ(٤)
تفيَّق بالعـــراق أبو المثنَّى   وعلَّمَ قومَهُ أكلَ الخبيصِ(٥)

(١) يقول الشعر الآتي مخاطبا يزيد بن عبد الملك ، يشكو إليه عمر بن هبيرة الفزارى والى العراق ، وكان يكنى : « أبا المثنى » . انظر الديوان ٤٨٧ والكامل ٤٧٩ ليبسك والمعارف ١٧٩ والشعراء ١١ ، وزهر الآداب (١ : ٢١) والأغانى (١٩ : ١٧) وكنايات الجرجانى ٧٤ .

(٢) الحريص : ذو الحرص ؛ والحرص : الجشع . فيما عدا ل : « عفيفا لست » تصحيحه من ل والأغانى ، وفيها : لست بالطبع » . وعند المبرد : « وأنت بر أمين لست بالطبع » . وفى الديوان : « وأنت وال شفيق لست بالوالى » .

(٣) رافدا العراق : دجلة والفرات . ولأجل هذه الكلمة ساق الجاحظ الشعر . والفزارى هو عمر بن هبيرة . والأحذ : السريع اليد الخفيفها ؛ أراد خفة يده فى السرقة . قال ابن قتيبة : « يريد أنه خفيف اليد بالخيانة ، فاضطرته القافية إلى ذكر القميص » وقال ابن حبيب : « إنما أراد أنه قصير اليدين عن نيل المعالى ، كالبعير الأحذ ، وهو الذى لا شعرَ لذنبه » . انظر اللسان (٥ : ١٥) ، والمخصص (٢ : ٤) . وصدر البيت فى معظم المصادر : « أأطعمت » وفى بعضها : « أأوليت » . وكلمة : « أحذ » محرفة فى جميع نسخ الأصل ، ففى حـ ، هـ : « أخذ » وسهو : « أبذ » ول : « أحد » .

(٤) المخاض ، كسحاب : الحوامل من النوق . والقلوص : الشابة من الإبل . ل : « إفال » وهو جمع أفيل . والأفيل : الفصيل . ط ، هـ : « لتأمنه » صوابه فى سهو ، ل . والبيت يشير إلى ما يروى الرواة أن بنى فزارة كانوا يعيرون بغشيان الإبل . وفى ذلك قول ابن دارة :

لا تأمنن فزاريا خلوت به   على قلوصك واكتبها بأسيار

(٥) تفتق ، من قولهم : تفتقت خواصر الغنم من البقل : إذا اتسعت من كثرة الرعى . وهذه رواية ل والمعارف . وعند الجرجانى : « تفنق » بالنون . تفنق : تنعم ، وامرأة فنق : ناعمة . وفى سهو ، هـ والكامل وزهر الآداب : « تفهق » من التفهق ، وهو الامتلاء . وفى ط والديوان واللسان (٥ : ١٥ ، ١٢ : ١٨٩) . « تفيهق » وفسره من التفيهق فى الكلام ، وهو التوسع فيه والتنطع . وروى فى اللسان (١٢ ، ٢٨٤) : « تبنك » أى أقام وتمكن فى عزه . والخبيص ، سبق الحديث عنه فى ص ١٤ .

قال : وبينا غَيْلان بن خَرَشَةَ[١] ، يسيرُ مع ابن عامر[٢] ، إذ وَرَدَا على نهر أمّ عبد الله[٣] فقال ابنُ عامر : ما أنفعَ هذا النهرَ لأهل هذا المصر! قال [غيلان[٤]] : أجَلْ أيها الأمير ، والله[٥] إنهم لَيَسْتَعْذِبُونَ منه[٦] ، وتفيضُ مياهُهم إليه ، ويتعلمُ صبيانهم فيه العَوم ، وتأتيهم مِيرَتُهم فيه[٧]

فلما أن كان بعد ذلك [إذ[٨]] سايرَ ذاتَ يوم زياداً — وكان زيادَ عدُوًّا لابن عامر — فقال زياد : ما أضرَّ هذا النهرَ بأهل هذا المصر ! فقال : أجَلْ والله أيها الأمير ! تنِزُّ منه دُورُهم ، ويغرقُ فيه صبيانهم ، [ويُبَعِّضُون] ويُبَرْغِثُون[٩] !

(١) هو غيلان بن خرشة الضبي ، كان أحد أصحاب أبي موسى الأشعرى ، ثم انتقض عليه ، وكان سببا فى أن يعزل عثمان أبا موسى الأشعرى ، ويولى مكانه عبد الله بن عامر . انظر الجهشيارى ١٤٨ .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن ربيعة ، وسبقت ترجمته فى (١ : ٧٣) .

(٣) نهر أم عبد الله ، بالبصرة ، منسوب إلى أم عبدالله بن عامر . وفى البيان (١ : ٢٤٩) حيث سيق هذا الخبر : « نهر عبد الله » تحريف . فيما عدا ل : « إذ ورد » .

(٤) الزيادة من هـ ، ل والبيان .

(٥) ل : « أجل والله يا أمير المؤمنين » .

(٦) يستعذبون منه ، أى يستقون ، ويحضرون الماء العذب . وفى اللسان « ويستعذب لفلان من بئر كذا أى يستقى له » . فيما عدا ل : « يستعذبون ماءه » .

(٧) الميرة ، بالكسر : الطعام يمتاره الانسان ، أى يجلبه .

(٨) هذه من هـ . وكلمة « أن » قبلها ساقطة من ل ، هـ .

(٩) فى اللسان : « بُعِضَ القوم : آذاهم البعوض » . وأما « يبرغثون » فلم أجدها فى معجم ، والمراد بها : آذاهم البرغوث . وفيما عدا ل : « ويسترعون » تحريف . ويدل هذه العبارة فى البيان والتبيين : « ومن أجله تكثر بعوضهم » . وللجاحظ تعقيب جميل على هذا الخبر فى البيان .

[القول فى العصافير]

وسنقول باسم الله وعونه فى العصفور بجملةٍ من القول .

وعلى أنّا قد ذكرنا من شأنه أطرافاً ومقطّعاتٍ [من القول] تفرّقَنَ فى تضاعيف تلك الأصناف . وإذا[1] طال الكلامُ وكثُرت فنونه ، صار الباب القصيرُ من القولِ فى غِماره مُستَهلَكاً ، وفى حومته غَرِقاً ، فلا بأسَ أن تكون تلك الفقرُ مجموعات ، وتلك المقطعاتُ موصولات[2] ، وتلك الأطراف مستقصياتٍ مع الباقى من ذِكْرنا فيه[3] ؛ ليكون البابُ[4] مجتمعاً فى مكانٍ واحد . فبالاجتماع تجتمع القوة ، ومن الأجناس يلتئم الشكل ، وبالنظام تظهرُ المحاسن .

(دعوى الإحاطة بالعلم)

ولستُ أدّعى فى شىء من هذه الأشكالِ الإحاطة به ، والجمعَ لكل شىء فيه[5] . ومن عَجَزَ عن نظم الكثير ، وعن وضعِه فى مواضعه — كان عن بُلوغ آخره ، وعن استخراجِ كل شىء فيه أعجز . والمتحُ أهونُ من الاستنباط[6] ، والحصدُ أيسَرُ[7] من الحرث .

---

(١) فيما عدا ل : « فإذا » .
(٢) ل : « موصلات » .
(٣) ل : « فى ذكر ما فيه » .
(٤) ط ، هـ : « الباقى » .
(٥) فيما عدا ل : « والجمع به لكل شىء فيه » بإقحام : « به » .
(٦) الاستنباط : استخراج الماء بحفر الأرض وبحثها . والمتح : جذب الماء من البئر بالدلو . ط : « وإنه أهون » هـ : « والمتج » صوابهما فى ل ، سمه .
(٧) فيما عدا ل : « أهون » فيكون تكراراً لما قبله .

وهذا البابُ لو ضمَّنه[1] على كتابه من هو أكثرُ منى رواية أضعافاً ، وأجودُ منى حفظاً بعيداً ، وكان أوسع [منى] علماً وأتمَّ عزماً ، وألطفَ نظراً وأصدَقَ حِسّاً ، وأغوصَ على البعيد الغامض ، وأفهمَ للعويص الممتنع ، ٦٥ وأكثرَ خاطراً وأصحَّ قريحة[2] ، وأقلَّ سآمةً ، وأتمَّ عناية ، وأحسنَ عادة مع إفراط الشهوةِ ، وفراغِ البال ، وبُعْدِ الأمل ، وقوةِ الطمع في تمامه ، والانتفاع بثمرته ، ثم مُدَّ له في العمر ، ومكَّنته القدرةِ[3] — لكان قد ادَّعى مُعْضِلة ، وضمِنَ أمراً معجزاً ، وقال قولا مرغوبا عنه ، [متعجَّباً منه ؛ ولكان لغواً ساقطاً ، وحارضاً بَهْرَجا[4]] ؛ ولكان ممن يفضُل قوله على فعله ، ووَعدُه على مقدار إنجازه[5] ؛ لأن الإنسان ، وإن أُضيفَ إلى الكمال وعُرِف بالبَراعة[6] ، وغَمَرَ العلماء[7] ؛ فإنه لا يكمُلُ أن يُحيط علمُه بكلِّ ما في جناح بَعوضةٍ ، أيام الدنيا ، ولو استمد بقوةِ كلِّ نظَّارٍ حكيم[8] واستعارَ حِفظَ كلِّ بحّاثٍ واعٍ[9] وكلِّ نقَّاب في البلاد ، ودَراسة الكتب[10] .

---

(١) فيما عدا ل : « ضمه » .

(٢) القريحة ـ استنباط العلم بجودة الطبع . فيما عدا ل : « وأحسن قريحة » .

(٣) فيما عدا ل : « القدرة » .

(٤) الحارض : الفاسد الضعيف . والبهرج : الردىء المردود ، فارسي معرب . وانظر المعرب ٤٨ .

(٥) إنجازه : إتمامه . ط فقط « نجازه » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « بالبلاغة » .

(٧) غمر العلماء : علاهم شرفا . ط ، صبح : « وفاتَش » قو : « وقاس » محرفتان عن « فاق » بمعنى « غمر » .

(٨) فيما عدا ل : « بكل نظار عليم » .

(٩) واع : حافظ . فيما عدا ل : « واستعان بعلم كل بحاث واع » .

(١٠) فيما عدا ل : ودراسة » .

(تفاوت الخلق فى العلم)

وما أشكُّ أن عندَ الوُزراء ، فى ذلك ماليس عند الرعيّة من العلماء ، وعند الخلفاء ماليس عند الوزراء ، وعند الأنبياء ماليس عند الخلفاء ، وعند الملائكةِ ماليس عند الأنبياء ، والذى عندَ الله أكثرُ ، والخلقُ عن بلوغه أعجز[1] ، وإنما عَلَّمَ اللهُ كلَّ طبقة من خَلْقِهِ بِقَدْرِ احْتِمالِ فِطَرِهم ، ومقدارِ مَصْلحتِهم .

(القول فى : علَّمَ آدمَ الأسماءَ كلها)

فإن قلت : فقد علَّمَ اللهُ عز وجلّ آدمَ الأسماءَ كلَّها — ولا يجوز تعريفُ الأسماء بغير المعانى — وقلتَ[2] : ولولا حاجةُ الناس إلى المعانى ، وإلى التعاوُن والترَافُد ، لَمَا احتاجوا إلى الأسماء . [و] على أن المعانىَ تفضُل عن الأسماء[3] والحاجاتِ تجوزُ مقاديرَ السِّمات ، وتفُوت ذَرْعَ العلامات[4] فمَا[5] لا اسمَ له خاصٌ الخاصّ . والخاصِّيَّاتُ كلها ليست لها أسماءٌ قائمة . وكذلك تراكيب الألوان ، والأرابيع ، والطعوم ، ونتائجها .

وجوابى فى ذلك : أن الله عز وجلّ لم يخبرْنا[6] أنه قد كان علَّم آدمَ كلّ شىء يعلمه تعالى ، كما لايجوز أن يُقْدِرَه على كلّ شىء يقدرُ عليه .

---

(١) فيا عدا ل : « وما عند الله عز وجل أكثر والخلق فى بلوغه أعجز » .

(٢) فيا عدا ل : « ولو قلت » . بإقحام « لو » .

(٣) تفضل : تزيد . فيا عدا ل : « على الأسماء » .

(٤) السمات : العلامات . والذرع : الطاقة .

(٥) ل : « فما » .

(٦) فيا عدا ل : « من ذلك » و « لم يكن يخبرنا » .

وإذا[1] كان العبدُ المحدودُ الجسمِ ، المحدودُ القُوَى ، لايبلُغُ صِفةَ ربِّه الذي اخترعه ، و [لا] صفةَ خالقِه الذي ابتدعه ـ فمعلومٌ أنه إنما عَنَى بقوله : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا[2] ﴾ عِلْمَ[3] مصلحتِه في دُنياه وآخرته .

وقال الله عز وجلَّ : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ[4] ﴾ . وقال الله عزو جلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ[5] ﴾ . وقال الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا[6] ﴾ . وقال تقدَّستْ أسماؤه : « وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ[7] ﴾ . وقال الله عز وجلّ : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ[8] ﴾ .

وهذا الباب[9] من المعلوم ، غيرُ باب [عِلْمِ ما يكونُ قبلَ أن يكون ؛ لأن بابَ (كانَ) قد يُعْلَمُ بعضُه ، وبابُ (يكونُ) لاسبيل إلى معرفةِ] شيء منه . والمخاطبةُ وقعتْ على جميع المتعبِّدين[10] واشتملت على جميع أصناف الممتحَنين ، ولم تقع على أهلِ عصْرٍ دونَ عصر ، ولا [على][11] أهل بلدٍ دونَ بلد ، ولا على جنسٍ دونَ جنس ، ولا على تابعٍ دون متبوع ولا [على[12]] آخرٍ دونَ أوَّل .

---

(١) ل : « وإن » .
(٢) الآية ٣١ من سورة البقرة .
(٣) ل : « كل » سه ، ﻫ : « عل » والأخيرة محرفة .
(٤) الآية ٧٦ من سورة يوسف .
(٥) الآية ٢٧ من سورة لقمان .
(٦) الآية ٧ من سورة الروم .
(٧) الآية ٣١ من سورة المدثر .
(٨) الآية ٨ من سورة النحل .
(٩) ل : « الفن » .
(١٠) المتعبدين : الذين تعبدهم الله بالطاعة فهم مستعبدون . فيما عدا ل : « المتقدمين » .
(١١) الزيادة من ل ، س . وفي ﻫ : « ولأهل بلد » .
(١٢) هذه من ل ، س .

العصافير، والخطاطيف، والزَّرازِير، والخفافيش . فبين هذه [وبين الناس[١]] مناسبَةٌ ومُشاكَلة، وإلْفٌ[٢] ومحبّةٌ .

والخطاطيفُ تقطع إليهم[٣] وتعزُب عنهم[٤] .

والعصافير لا تفارقهم . وإن وجدَتْ داراً مبنيةً لم تسكنْها حتى يسكنَها إنسان . ومتى سكنتها[٥] لم تُقِم فيها إذا خرج منها ذلك الإنسان . فبفراقه تُفارق، وبسُكناه تسكُن، وهذه فضيلةٌ لها على الخطاطيف .

والحمام لا يقيم[٦] معهم في دُورهم إلا بعد أن يثبّتوه ويطوّوه، ويُرتّبوا[٧] حاله ويدرّجوه . ومنها ماهو وحشيٌّ طُوراني[٨]، وربما توحّش بعد الأُنس والعصافير على خلاف ذلك، فلها بذلك فضيلةٌ على الحمام، وعلى الخُطّاف .

وقد يُدَرّب العصفورُ ويُثَبَّتُ فيستجيبُ من المكان البعيد، ويثبُتُ

(١) ليست بالأصل : والكلام يقتضيها . وفي ل : « فهذه » .

(٢) الإلف ، بالكسر والفتح : الأنس والملازمة . عدا ل : « ألفة » .

(٣) قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى آخر . انظر (٤ : ١٠١) .

(٤) تعزب ، تبعد وتغيب . ط ، ه : « وتغرب » وهي بمعنى الأولى . س : « وتعرب » مصحفة .

(٥) ط : « ومتى إن سكنتها » و « إن » مقحمة . س ، ه : « وحتى إن سكنتها » و « حتى » ابتدائيه داخلة على الجملة الشرطية ، نحو قول الله : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم » انظر المغني وتفسير أبي حيان (٣ : ٧٩) .

(٦) فيما عدا ل : « تقيم » وهي صحيحة ، فإن الحمام يذكر ويؤنث ، لكن سياق الكلام يقتضى ترجيح التأنيث .

(٧) فيما عدا ل : « وزينوا » تحريف .

(٨) الطوراني ، بضم الطاء : حمام وحشي ، منسوب إلى طور سيناء ، أو إلى جبل يقال له : طُرآن، نسبة شاذة . انظر (١ : ١١٨ و ٢ : ١٧٧ و ٣ : ١٤٤) . فيما عدا ل : طوراني» تصحيف .

ويَدْجُن . فهو مما يثبُت ويُعايش الناسَ ، من تلقاء نفسه مرةً ، وبالتثبيت مرةً . وليس كذلك شيء مما يأوى إلى الناس من الطير .

وقد بلغنى أن بعضَ مايستجيبُ منها قد دُرِّبَ[(١)] فرجع من ميل . فأما الهدايةُ من تلقاء نفسه فمن الفراسخ الكثيرة .

وحدثنى حَوَيْه الخُرَيْبِىّ[(٢)] وأبو جَرَّاد المَزَارِدَرِىّ[(٣)] قالا : إذا كان زمان البيادر[(٤)] لم يبق بالبصرة عُصفورٌ إلا صار[(٥)] إلى البساتين ، إلا ما أقام عَلَى بيضه وفراخه . وكذلك العصافير إذا خرَجَ أهلُ الدّار من الدّار ، فإنه لايقيمُ فى تلك الدار عُصفُورٌ إلا عَلَى بيض أو فِراخ . فإذا لم يكنْ لها[(٦)] استوحَشَتْ ، والتمسَتْ لأنفسها الأوكارَ فى الدُّور المعمورة . ولذلك قال [أبو يعقوب] إسحاقُ [الخُرَيْمىّ[(٧)]] :

فتلك بغدادُ ما تَبَنَّى من الـ ... وَحْشَةِ فى دُورِها عصافيرُها[(٨)]

---

(١) التدريب : التعليم . فيما عدا ل : « يجرب » .

(٢) حويه الخريبى ، منسوب إلى الخريبة ، وهى موضع بالبصرة . فيما عدا ل : «والحربى» .

(٣) المزاردرى : نسبة إلى المزاردر ، بفتح الهاء والزاى والدال : وهو موضع بالبصرة كما فى معجم البلدان . و«هزار» بالفارسية معناه ألف ، و«در» : باب . قال المدائنى : تزوج شيرويه الأسوارى مرجانة أم عبيدالله بن زياد ، فبنى لها قصراً فيه أبواب كثيرة فقيل : هزاردر . فيما عدا ل : « أبو جرادة المواردى » مصحف .

(٤) البيادر : جمع بيدر ، وهو الموضع الذى يداس فيه الحب . وفى ل : « البلاد » . وفى محاضرات الراغب (٢ : ٣٠١) : « فإذا كان زمان البيادر اجتمعت فى البساتين » و : « البيادر » .

(٥) فيما عدا ل : « طار » بالطاء ، ومؤداهما واحد .

(٦) أى لم يكن لها بيض أو فراخ . وفيما عدا ل : « فإذا لم يكن لها أهل » .

(٧) سبقت فى ترجمته (١ : ٢٢٤ — ٢٢٥) مع أبيات من هذه القصيدة . وقد روى هذه القصيدة الطبرى فى حوادث سنة ١٩٧ وهى طويلة أبياتها ١٣٥ بيتاً من الروائع ، يذكر فيها بغداد والفتنة التى كانت بها سنة ١٩٧ حين حاصر طاهر وهرثمة بعسكر المأمون بغداد وحصروا الأمين ، ووقع فيها النهب والحريق ، ومنعوا الميرة . والقصيدة تصور هذه الفتنة تصويراً دقيقاً ، جديراً بالدراسة والتأمل .

(٨) تبنى : حبنى ، أى تبنى بيوتاً لها . انظر (٣ : ١٩٤ س ٦) فيما عدا ل : «تبيت» وفى الطبرى : « ما يبقى من الدلة » .

قالا[١] : فعلى قدْرِ قُرب القبائل من البساتين[٢] سبقُ العصافير إليها ، فإذا جاءت العصافيرُ التى تلى أقربَ القبائل منها إلى أوائل البساتين] فوجدت عصافيرَ ما هو أقربُ[٣] إليها منها قد سبقت إليها تعدَّتها[٤] إلى البساتين التى تليها . وكذلك صنيعُ ما بَقِىَ من عصافير[٥] القبائل الباقية حتى تصير عصافيرُ آخرِ البصرة إلى آخر البساتين[٦] . وذلك شبيهٌ بعشرين فرْسخاً . فإذا قضت[٧] حاجتها ، وانقضى أمرُ البيادر[٨] أقبلت من هناك ، على أماراتٍ [لها] معروفةٍ ؛ وعلامات قائمة ، حتى تصير إلى أوكارها .

(ضروب الطير)

والطيرُ كله على ثلاثة أضرُب : فضربٌ من بهائم الطير ، وضربٌ كسباع الطير ، وضربٌ كالمشترَك المركَّب منها جميعاً .

فالبهيمة كالحَمام وأشباه الحَمام ، مما يَغتذى الحبوبَ والبزُورَ والنبات ، ولا يغتذى غير ذلك[٩] .

والسبع[١٠] : الذى لا يَغْتَذِى إلا اللحم .

---

(١) أى حويه ، وأبو جراد .
(٢) فيما عدا ل : « منها إلى البساتين » .
(٣) فيما عدا ل : « فوجدت عصافيرها ما قرب » .
(٤) ط : « قد سبقت فقلتها » صوابه ما كتاه من سائر نسخ الأصل .
(٥) فيما عدا ل : « العصافير » تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « حتى تصير إلى آخر البصرة وإلى آخر البساتين » .
(٧) ط ، س : « انقضت حاجاتها » هـ : « تقضت حاجاتها » .
(٨) انظر التنبيه ٤ من الصفحة السابقة . وفى ل : « البادى » .
(٩) فيما عدا ل : « بغير ذلك » يقال اغتذاه واغتذى به . س : « تغتذى » فى الموضعين .
(١٠) أراد السبع من سباع الطير .

وقد يأكل الأسدُ الملح[1] ، ليس على طريق التغذي ، ولكن على
٦٧ طريق التملّح والتحمّض[2] .

(ما يشارك فيه العصفور الطير والحيات)

فمما يُشاركُ فيه العصفور بهائمَ الطير ، أنه ليس بذي مِخْلَبٍ ولا مِنْسَرٍ[3] ، وهو مما إذا سقط على عُودٍ قدّم أصابعه الثلاثَ ، وأخّر الدّابرة[4] . وسباع الطير تقدّم إصبعَيْن ، وتؤخّر إصبعَيْن .

ومما شارك فيه السّبعَ أنّ بهائم الطير تزقّ فراخها[5] والسّباع تُلقِم فراخها[6] .

والفراخ على ثلاثة أضربٍ[7] : فرخٌ كالفرّوج لا يُزَقّ ولا يُلقَم[8] [وهو يظهر كاسباً[9] وفرخ كفرخ الحمام وأشباه الحمام ، فهو يُزَقّ ولا يُلقَم] . وفرخ كفرخ العُقاب والبازي ، والزّرّق ، والشاهين والصقر ، وأشباهها من

(١) هذا استطراد . وانظر له ما سبق في (٢ : ٢٦٠) .
(٢) التملح : طلب الملح . والتحمض : طلب الحمض ، وهو ما ملح من النبات .
(٣) المخلب : كالظفر لما يصيد من الطير . والمنسر : منقار الطير الجارح ، كمجلس ومنبر .
(٤) الدابرة : الإصبع التي من وراء رجل الطائر . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٨٩) ، والعقد (٤ : ٢٠٩) .
(٥) تزق : تطعم . فيما عدا ل : « تلقم » . ألقمه : أطعمه اللقمة . وهو تحريف . وقد فرق الجاحظ بين الزق والإلقام . وعنى بالزق : إدخال الطعام في منقار الطائر . وبالإلقام : إحضار الطعام للفرخ وتهيئته لتناوله . وفيما عدا ل أيضا : « وعما يشارك » .
(٦) من سباع الطير . وتلقم : تطعم . انظر التنبيه السابق . ط ، هـ : « جراها » س : « جرائها » تصحيف ما أثبت من ل . وفي عيون الأخبار (٢ : ٨٩) والعقد (٤ : ٢٠٩) : « ويشارك سباع الطير بأنه يلقم فراخه ولا يزق » .
(٧) فيما عدا ل : « أصناف » .
(٨) انظر التنبيه الخامس من هذه الصفحة . ط ، هـ : « ويطعم » .
(٩) كاسبا ، من الكسب : أي يكسب القوت لنفسه منذ يفرخ .

السِّباع فهو يُلقّم ولا يُزقّ[1] . فأشبهها العصفورُ من هذا الوجه .

وفيه من [أخلاق] السِّباع أنه يصيد الجرادة ، والنملَ الطيّار[2] ، ويأكل اللحم ، ويُلقِم فراخَه اللحم .

وليس في الأرض رأسٌ أشبهَ برأس حيّةٍ من رأس عصفور[3] .

(الأجناس التي تعايش الناس)

والأجناس التي تعايش الناس : الكلبُ ، والسِّنّور ، والفرَس ، والبعير ، والحمار ، والبغل ، والحَمام ، والخُطّافَ ، والزَّرزور[4] والخُفّاش ، والعصفور .

(أطول الحيوان عمراً وأقصره)

قالوا : وليس في جميعها أطولُ عمْرًا من البغل ، ولا أقصرُ عمراً من العصفور .

قالوا : ونظن ذلك إنما كان لقلّة سِفاد البغل[5] ، وكثرة سفاد العصفور

---

(١) ل : « فهى تلقم ولا تزق » .

(٢) انظر الحيوان (١ : ٢٩ ، ٢ : ٢٢٧ ، ٤ : ٣٥ — ٣٦) .

(٣) كلمة « حية » ساقطة من س . وبدلها في ط ، هو : « الآدمى » تحريف ، صوابه ما أثبت من ل وما سبق في (٢ : ٢٢٨س١) . وفيا عدا ل : « من رأس العصفور » .

(٤) الزرزور ، بفتح أوله وضمه : طائر من فصيلة السودانيات ورتبة الجواثم ، وهو أكبر من البلبل طويل الذنب مرقط يتلون ألوانا شتى : Sturnus vulgaris وهو يفرخ في البلاد الشمالية ، ويرحل في الشتاء إلى العراق والشام وجزيرة العرب ومصر والمغرب . انظر معجم المعلوف ٢٣٤ ، ٢٤٠ . فيا عدا ل : « الزنبور » تحريف .

(٥) ط ، هو : « وما نظن ذلك كان إلا لقلة سفاد البغل » .

ويزعمون أن محمدَ بنَ سليمان[1] أنزَى البغالَ على البغلات ، كما أنزى العِتاق على الحُجور ، والبَرَاذِينَ على الرِّماك[2] ، والحمير على الأُتن[3] ، فوجد تلك الفُحُولة من البغالِ بأعيانها ، أقصرَ أعماراً من سائر الحافر ، حين سوّى بينها في السّفاد ، ووَجد البغالَ تلقح إلقاحا فاسداً[4] لا يتمّ ولا يعيش .

وذكروا أن قِصَرَ العُمر لم يعرض لإناثها كما عَرَض لذكورتها .

وهذا شبيهٌ بما ذكر صاحبُ المنطق[5] في العصافير ، فانه ذكر أن إناثها أطولُ أعماراً . وأن ذكورتها[6] لا تعيش إلا سنةً واحدة .

(أثر السمن في الحمل)

والمرأة تنقطع عن الحبل قبل أن ينقطعَ الرجُلُ عن الإحبال بدَهْر ، وتُفرط في السمن فتصيرُ عاقراً ، ويكونُ الرجُلُ أسمَنَ منها فلا يصير عاقرًا .

---

(١) هو محمد بن سليمان بن علي العباسي أمير البصرة ، كان من ولاة أبي جعفر المنصور والمهدي والهادي والرشيد . وكان الرشيد في أول أمره يكرمه ويبره بما لا يبر به أحداً ، ثم نقم عليه واستصفى أمواله ، وكانت نيفا وخمسين ألف ألف درهم . ومات سنة ١٧٣ في اليوم الذي ماتت فيه الخيزران . لسان الميزان (٥ : ١٨٨) ومما يروى عنه من الطرائف ، أنه كانت له عطية يخلبها يوم الجمعة ولا يغيرها . البيان (١ : ١٠٥) .

(٢) البراذين : جمع برذون ، وهو من الخيل ما كان من غير نتاج العراب . ط ، س : « البراذين » مصحف . والرماك : جمع رمكة ، وهي أنثى البراذين . فيما عدا ل : « الرمك » وهي صحيحة ، جمع رمكة .

(٣) الأتان : الحمارة ، جمعها آتن ، وأتن ، وأتْن ، ومأتوناء .

(٤) ل ، سم : « فوجد » بالفاء سم : « البغلة تلقح » ط ، هو : « البغل يلقح » .

(٥) صاحب المنطق هو أرسطو ، لأنه وأول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية ، وصورها بالأشكال الثلاثة ، وجعلها آلة العلوم النظرية ، حتى لقب بصاحب المنطق » . القفطي ٢٢ وانظر ابن النديم ٣٤٧ — ٣٤٩ .

(٦) فيما عدا ل : « ذكورها » . والتاء في « ذكورة » هي ما يسمونها تاء تأكيد الجمع .

وكذلك الجِعْرُ ، والرَّمَكَة ، والأتان . وكذلك النخلة المُطْعِمَةُ(١) . ويسمَّى لُبُّ الفُحَّال(٢) فيكون أجود لإلقاحه . وهما مختلفان كما ترى .

(الأجناس الفاضلة من الحيوان)

وللعصفور فضيلة أخرى . وذلك أنَّ من فضل الجنس أن تتميز ذكورتُه في العين من إناثه ، كالرجل والمرأة ، والدِّيكِ والدجاجة ، والفُحَّال والمُطْعِمة(١) ، والتَّيْسِ والصَّفِيَّةِ(٣) ، والطاوس(٤) ، والتُّدْرُج(٥) ، والدُّرَّاج وإناثها .

---

(١) المطعمة : التي أدركت أن تثمر ، يقال : أطعمت الشجرة . وانظر (٢ : ٢٣٨) .

(٢) الفحال ، كرمان : ذكر النخل . ولبه : قلبه . وقلب النخلة بالضم : شحمتها . وكلمة « لب » ساقطة من ل . و « تسمى » هي في ط : « تسقى » وفي س ، ه : « تسمى » صوابهما في ل .

(٣) الجاحظ يجعل « الصفية » أنثى التيس . وفي ص ١٤٠ ساسي : « والتيوس قبيحة جداً ويزاد في قبحها حسن الصفايا » . وقال في باب المعز ص ١٤١ ساسي : « فمن ذلك أن الصفية أحسن من التيس » . وفيه نصوص كثيرة تدل على هذا التخصيص . ولم أجد ذلك في معجم من المعاجم . وفيها « الصفي » الناقة والشاة غزيرة اللبن . فيما عدا ل : « والظبية » تحريف .

(٤) الطاوس : يقال للذكر والأنثى .

(٥) التدرج ، بضم التاء والدال ، كما ضبطه الدميري : طائر كالدراج يغرد في البساتين بأصوات طيبة . قال ابن زهر : هو طائر مليح يكون بأرض خراسان وغيرها من بلاد فارس . وهو فصيلة من رتبة الدجاج تشمل التدرج والحجل والسمان . فارسي معرب . ولم يذكر في اللسان والقاموس والمخصص . وفارسيته « تذرو » وفي المعرب للجواليقي ٩١ : « قال بعض أهل اللغة : والتدرج الدراج فارسي معرب . وأصله تذرو » . وقد جعله استينجاس ٢٩٠ ذكر الدراج : Acock partridge وانظر ادي شير ٣٤ .

(٦) الدراج ، كرمان ، قال ابن سيده : « لا يكون بأرضهم ، وهو طير أرقط بسواد وبياض ، قصير المنقار ... والأنثى دراجة ... والذكر قَيْل وحيقطان » . وفي اللسان : « وهو من طير العراق أرقط » . وهو بالإنجليزية : Black partridge . فارسي معرب عن « تراج » . انظر ادي شير ٦٦ واستينجاس ٢٩١ .

وليس ذلك كالحِجْر والفَرَس ، والرَّمَكة والبِرذَون ، والناقة والجمل[١] ، والعير [والأتان] والأسد واللَّبُؤَة ، فإن هذه الأجناسَ تُقْبِلُ نحوَك فلا ينفصل[٢] في العين الأنثى من الذكر ، حتى تتفقّدَ مواضع القُنْبِ[٣] والأطْباء ، وموضع الضَّرع والثِّيل[٤] وموضع ثَفْر الـكلبة[٥] من القضيب . ٦٨

لأنَّ للعُصفور الذَّكَر لحيَةً سوداء[٦] وليس اللحيةُ إلا للرجل [والجمل] ، والتيس ، والدِّيك ، وأشباهِ ذلك . فهذه أيضاً فضيلةٌ للعُصفور . [وذكر ابنُ الأعرابيّ أن للناقة عُثْنُوناً كعثنون الجمل ، وأنها متى كان عُثنونها أطْوَلَ كان فيها أحْمَدَ .

(حب العصافير فراخها)

وليس في الأرض طائرٌ ، ولا سبعٌ ولا بهيمةٌ ، أحْنَى على ولدٍ ، ولا أشدَّ به شعَفاً[٧] ، وعليـه إشفاقاً ــ من العصافير] ، فإذا أصيبتْ بأولادها ، أو خافتْ عليها العَطب ، فليس بينَ شيء من الأجناسِ من

---

(١) ل : « والبعير » .

(٢) ط : « ولا تنفصل » . س : « تنفصل » هـ : « تنفصل » . والأخيرتان محرفتان .

(٣) القنب ، بضم القاف ، وسكون النون : وعاء قضيب الدابة . ل ، س ، هـ : « القتب » بالتاء ، تصحيف ما أثبت من ط .

(٤) الثيل ، بكسر الثاء المثلثة وضمها : وعاء قضيب البعير وغيره . فيما عدا ل : « السل » محرف .

(٥) الثفر : بفتح الثاء وتسكينها ، لجميع ضروب السباع ولـكل ذات مخلب ، كالحياء للناقة . ط : « نفر » بالنون ، صوابه في سائر نسخ الأصل .

(٦) التعليل عائد إلى : « وللعصفور فضيلة أخرى » في الصفحة السابقة .

(٧) شعفا ، بالعين المهملة ، كما هي في الأصل ـــ وهو هنا ل ـــ والشعف : أن يذهب الحب بفؤاده ، ومثله الشغف ، بالغين . وبهما قرئ قوله تعالى : (قد شغفها حبا) فبالمهملة قراءة الحسن وابن محيصن ، والجمهور بالغين المعجمة .

المساعدة ، مثلُ الذى مع العصافير[1] ، لأن العصفورَ يرى الحيّةَ قد أقبلت نحو جُحْره وعُشّه ووَكْره ، لتأكُلَ بيضه أو فراخه ، فيصيح ويُرَنِّق[2] فلايسمعُ صوته عُصفورٌ إلا أقبل إليه[3] وصنَعَ مِثلَ صنيعه ، بتحرُّق[4] ولوعةٍ ، وقَلَقٍ ، واستغاثةٍ وصُراخ ، وربما أفلت الفرْخ[5] وسقط إلى الأرض — وقد ذهبت الحيّة — فيجتمعن عليه ، إذا كان قد نَبَتَ ريشُه أدنى نبات ، فلا يزلْنَ يُهَيِّجْنَهُ ، ويَطِرْنَ حوله ، لعلمها أن ذلك يحدثُ للفرْخ قوةً على النُّهوض[6] فاذا نهض طِرْنَ حواليه ودونه ، حتى يحتثثنَهُ بذلك العمل[7] .

وكان الحَرَمِىُّ[8] ينشدُ :

واحتَثَّ كلُّ بازلٍ دَقُونِ[9] حتى رَفَعْنَ سَيْرَةَ الَّجُونِ[10]

---

(١) ل : « مثل العصافير » .

(٢) رنق الطائر ترنيقا : إذا خفق بجناحيه فى الهواء وثبت فلم يطر . فيما عدا ل : « يرنق » تحريف .

(٣) ط فقط : « عليه » .

(٤) التحرق : مطاوع حرقه تحريقا . ومنه قولهم : هو يتحرق جوعا ، كقولك : يتضرم . انظر اللسان (١١ : ٣٢٦ س ٢٤) فيما عدا ل : «بتحريق» محرف .

(٥) فيما عدا ل : « إلى الأرض » موضع « الفرخ » .

(٦) ل : « لعلمها بأن » و « الفراخ » .

(٧) انظر ما سبق فى (٢ : ٣٢٨ — ٣٢٩) . والاحتثاث : الحث والاستعجال . وفى الأصل : « يحسك » .

(٨) الحرمى ، بضم الخاء وفتح الراء : نسبة إلى خريم الناعم . وانظر ترجمته فى (١ : ٢٢٤ — ٢٢٥) وما سبق فى ص ٢٠٤ . فيما عدا ل : « الجرمى » بالجيم . وفى ل : « الحرمى » صوابه ما أثبت .

(٩) احتث : أسرع فى سيره . يقال : احتثه فاحتث هو : يلزم ويتعدى . ل : « واحتب » وهى صحيحة لكنها بعيدة من الاستشهاد . ورواية اللسان (٥ : ٣١٥) : « إذ حث كل بازل » . ط ، س ، ه : « واجتث » تصحيف يؤيد ما صححت به . والبازل من الإبل : ما كان فى التاسعة . والدقون من الإبل : التى تميل دفتها إلى الأرض تستعين بذلك على السير . فيما عدا ل : « بازل » ط ، س : « دفوق » ه : « دفوف » محرفات . ورواية اللسان (٥ : ٣١٥) : « إذ حث كل بازل دقون » : ابن شميل : ناقة دقون إذا كانت تذهب عن الإبل وتركب رأسها وحدها . اللسان (١٧ : ١٢) .

(١٠) اللجون ، بفتح اللام وضم الجيم : الثقيل المشى من الإبل . ورفعن سيرته : جعلنه يبالغ فى سيره . والسيرة ، بالفتح : الضرب من السير . س ، ه : « سرة » ط : ==

وينشد :

واحْتَثَّ مُحْتَثَّاتِها الْخَذُورا[1]

وتقول [العرب]: « العاشِيةُ تَهِيجُ الآبيةَ[2] » .

ولو أن إنساناً أخذ فَرْخَيْ عُصْفورٍ من وكره ، ووضعهما بحيثُ يراهما أبواهما في منزله ، لوجدَ العصفور يتقحّم[3] في ذلك المنزل ، حتى يدخل في ذلك القفص ، فلا يزالُ في تعهُّدِه بما يُعيشه حتى يستغنِيَ عنه . ثم يحتملانِ في ذلك غايةَ التغْريرِ والخِطار[4] ؛ وذلك من فرط الرِّقّة على أولادهما .

(ما لا يسمح بالمشى من الحيوان)

وأجناس الحيوان التى لا تستطيع أن تُسمِحَ بالمشى[5] ضروب : منها

= « شرة » صوابهما في ل . وفيها عدا ل : « السحق » وفي ل « السحون » والصواب ما أثبت ، كما في اللسان (٥ : ٣١٥) وأنشد في مادة (بلن) لأوس :

ولقد أريت على الحسرم بجسرة عيرانة بالردف غير بلون

(١) احتثه : حثه على السير فاحتث هو ، فهو المتحثى والمطاوع . والخذور ، كرسول : التى تخلفت من الإبل ، فلما نظرت إلى التى تسير سارت معها . ط ، هو : « واحتثت محتثاتها » س : « واحتث محتثلها » صوابه في ل واللسان (٥ : ٣١٥) . ط ، هو : « الخذورا » صوابه في س ، ل واللسان .

(٢) العاشية : واحدة العواشى، وهى الإبل والغنم التى ترعى بالليل . والآبية: التى تأبى الرعى . أى إذا رأت الإبل الآبية التى تعشى هاجتها للرعى فرعت معها . انظر اللسان (١٩ : ٢٩٢) وعيون الأخبار (٢ : ٢٢٥) والميدانى (١ : ٤١٧ — ٤١٨) وجمهرة العسكرى ١٤٥ . وهذا المثل فى معنى الرجز السابق . والكلام من هنا إلى « على أولادهما » ساقط من ل .

(٣) ط ، هو : « يقتحم » وهما بمعنى . يقال : قحم واقتحم وانقحم وتقحم . وأثبتهما فى س .

(٤) غرر بنفسه تغريرا : عرضها للهلكة . والخطار ، بالكسر : مصدر خاطر بنفسه : أشفاها على خطر . س : « والخطر » .

(٥) أسمحت الدابة : انقادت . وفى اللسان (٣ : ٣١٩) : « وأما أسمح فإنما يقال فى المتابعة والانقياد » .

الضبع ، لأنها خلقت عرجاء ، فهي أبداً تخمع[1] . قال الشاعر :

وجاءتْ جَيْألٌ وأبو بنيها أحَمُّ المَأْقِيَيْنِ به خُمَاعُ[3]

وقال مدرك بن حِصْن[4] :

من العُثْوِ ما تَدْرِى أرِجلُ شِمالِها بها الظَّلْعُ إمَّا هَرْوَلَتْ أمْ يمينُها

والذئب أقزل[6] شَنِجُ النسا ، وإن أُحِثَّ إلى المشى فكأنه يتوجّى[7] .

---

(١) تخمع : تمشى كأن بها عرجا .

(٢) هو مشعث العامري ، رجل من بني عامر ، كما في الأصمعيات ٤٣ ومعجم المرزباني ٤٧٥ واللسان (١٣ : ١٠١) . وفى اللسان (٩ : ٤٣٢) « مثلب » وهو تحريف . ولم أعثر لمشعث هذا على ترجمة أكثر مما ذكرت . وقال المرزباني : « أحسبه لقبا » . والبيت من أبيات أربعة في الأصمعيات ومعجم المرزباني ، وهي :

بإصر يتركني الحى يوما رهينة دارهم وهم سراع
تنح يا مشعث إن شيئا سبقت به الوفاة هو المتاع
وجاءت جيأل وأبو بنيها أحم المأقيين به خماع
فظلا ينبشان الترب عنى وما أنا ويب غيرك والسباع

(٣) جيأل : علم لأنثى الضباع ، وحقه المنع من الصرف . في الأصل : « وابنا أبيها » صوابه من المرزباني واللسان (٩ : ٣٢٤) وشرح الأنبارى للمفضليات ٧٥ . ورواية الأصمعيات : « وأبو أبيها » . أحم : أسود . والمأق : طرف العين مما يلي الأنف ، وفيه عشر لغات ، منها المؤق . ل فقط : « المقلتين » تصحيف . والخماع ، بالضم : شبه العرج . ليا هنا سه : « بها » وهما روايتان ، فالتذكير لأبو ، والتأنيث لجيأل .

(٤) مدرك بن حصن : حجازي ، أنشد له إسحاق الموصلى فى محمد بن هشام :

عش ما استطعت وإن نبيت على الصفا ما عام والى أمرك ابن هشام
ملك الأعنة والأسنة وانتهت حكم الأمور إليه وهو غلام

المرزباني ٤٠٦ .

(٥) العثو : جمع عثواء ، وهى الكثيرة الشعر . وفى اللسان : « وضبعان أعثى كثير الشعر ، والأنثى عثواء ، والجمع عثو وعثى على المعاقبة » . ط : « العسر » هو : « العشر » سه : « العثر » ل : « العتو » بالتاء ، مصحفات . والظلع : شبه العرج . فيما عدا ل : « من الظلع » تحريف . ط : « لما هرولت » سه ، ل ، هو : « أم هرولت » والأخيرة محرفة .

(٦) الأقزل : الأعرج الدقيق الساقين . سه ، هو : « أقول » محرف .

(٧) يتوجى ، من الوجا ، وهو أن يشتكى البعير باطن خفه ، والفرس باطن حافره . وفى ط ، هو وكذا اللسان (٣ : ١٣٤) : « يتوحى » بالمهملة ، وفى سه : « يترجاه » تصحيف .

وكذلك الظَّبيُ ، شَنِجُ النَّسا(١) ، فهو لا يُسْمِحُ بالمشي . قال الشاعر(٢) :

وقُصْرَيِ شَنِجِ الأنسا ، نَبَّاحٍ من الشُّعْبِ(٣)

[ظبيٌ أشعب : إذا كان بعيد ما بين القرنين . ولا يسمح له نُباح(٤)] .

وإذا أراد العَدْوَ ، فإنما هو النَّقْزُ(٥) والوثب ، ورفع القوائم معا

٦٩ ومن ذلك الأسد(٦) فإنه يمشي كأنه رَهيص(٧) ، وإذا مشى تخلَّع(٨) .

قال أبو زيد :

إذا تبهنَسَ يمشي خِلْتَهُ وعِثا وعَتْ سواعدُ منه بعد تكسيرِ(٩)

ومن ذلك الفرس(١٠) ، لا يُسمِح بالمشي . وهو يوصف بشَنَجِ النسا .

[وقال الشاعر :

شَنِج الأنساء من غيرِ فَحَجْ(١١)]

---

(١) شنج النسا : منقبضه . والكلام من : « وإن أحث » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) هو أبو دواد الإيادي كما سبق في (١ : ٣٩٤) والصحاح (١ : ١٩٦) واللسان (٣ : ١٣٤ و ٣ : ٤٤٨ — ٤٤٩ و ٦ : ٤١٥) .

(٣) القصرى ، بالضم : أسفل الأضلاع . والنباح : الذي ينبح . وفي الحيوان (١ : ٣٤٩) : « وذكروا أن الظبي إذا أسن ونجمت لقرونه شعب نبح » . ه : « نباج » بالجيم . ولفظها صحيح ، يقال : نبح الكلب ونبج ، نباحا ونباجا ، لغتان . والشعب ، فسرت فيما يلي . فيما عدا ل : « الشنب » تحريف .

(٤) أراد أن نباحه ضعيف لا يكاد يسمع .

(٥) النقز ، بالزاي في آخره : الوثب . ه « النقر » س : « النفزن » صوابهما في ل ، ط .

(٦) فيما عدا ل : « وكذلك الأسد » . وفي ط ، س : فإنما يمشي » .

(٧) الرهيص ، من الرهص ، وهو التمز ، وأن يصيب حافر الدابة شيء يوهنه .

(٨) تخلع : مشى مشية متفككة . ط ، ه : « تعلق » س : « تغلق » صوابهما في ل .

(٩) تبهنس : مشى مشية المتبختر . والوعث : المكسور ، وعثت يده ، كفرح : انكسرت . وعت : انجبرت بعد الكسر على اعوجاج . فيما عدا ل : « وعت سواعده من » تحريف . وفي اللسان (٢٠ : ٢٧٦) لأبي زبيد نفسه :

خبحنة في ساعديه تزايل تقول وعى من بعد ماقد تكسرا

(١٠) فيما عدا ل : « وكذلك » .

(١١) الفحج : تباعد ما بين الرجلين .

ومن ذلك الغُراب ، فإنه يحجِل كأنه مقيّد . قال الشاعر :

كتاركٍ يوماً مشْيَةٍ من سَجيةٍ لأخْرى ففاتَتْه فأصبحَ يحجِلُ[١]

وقال الطِّرِمّاح :

شَنِج النسا أدَقَ الجناحِ كأنهُ في الدّار بعدَ الظّاعِنين مُقَيَّدُ[٢]

والسَّنَوْرُ ، والفَهْدُ ، وأشباهُهما في طريق الأسَد[٣] .

والحيَّة تمشي . ومنها ما يَثِب[٤] ، ومنها ما ينتصِبُ ويقومُ على ذنَبه .

والأفعى إذا نَهَشت أو انباعت للنّهش[٥] ، لم تستقلّ بيدنها كلِّه[٦]

ولكنها تَستقِلُّ بيدنها[٧] الذى يلى الرأس ، بحركةٍ ونَشْطٍ[٨] أسرعَ

من اللّمْح .

---

(١) هذا البيت من شواهد الفصل بين المتضايفين بالظرف . ونحوه قول أبى حية النميرى (سيبويه ١ : ٩١ والإنصاف ١٨٠) :

كما خط الكتاب بكف يوما يهودى يقارب أو يزيل

ط ، هو : « يوم » وتصح بالجر مع نصب « مشية » كقول القائل (الخزانة ٢ : ٩٥ سلفية وسيبويه ١ : ٨٩) :

يا سارق الليلةِ أهل الدار

(٢) الأدق : ما طال جناحه من أصول قوادمه وطرف ذنبه . ورسمت فى الأصل بالألف . انظر اللسان (١٨ : ٢٨٨) . وروى فى اللسان (٣ : ١٣٤ ، ١١ : ٣٢٨) : « حرق الجناح » . والحرق : الذى تسل ريشه وانحص .

(٣) ط فقط : « والنسور والفهود وأشباهها فى طريق الأسد » ، وفيه تحريف .

(٤) ط ، س : « يشب » صوابه فى ل ، هو .

(٥) نهشت : عضت . وانباعت : بسطت نفسها بعد تحويها لتساور . ط : « انتهشت » س ، هو : « انتاعت » تحريفان . و« أو » هى فى الأصل : « و » والوجه ما أثبت .

(٦) تستقل ، هى من قولهم : استقل الطائر فى طيرانه ، أى نهض للطيران وارتفع . ط ، س : « تشتغل » .

(٧) ل : « يشطر » وفى سائر النسخ : « تسطر » صوابه ما أثبت ، وانظر التنبيه السابق . و : « بيدنها » هى فى الأصل : « بدنها » .

(٨) النشط ، عنى به هنا السرعة . وأصل النشط سرعة عض الحية . فيما عدا ل : « حركة ونشط » .

والجرادة تطير وتمشي وتطمر[١] . فإذا صِرْتَ إلى العصفور[٢] ذهب المشي [البتّة] وأكثر ما عند البرغوث الطُّمور والوثوب .

وقال الحسنُ بن هانئ يصفُ رجلاً يفْلِي القَمْلَ والبُرغوث [بأنامله] :

أو طـامرِيّ واثب لم ينْجِهِ منه وِثابُه[٤]

لأن البرغوث [مشّاء[٥]] وثّاب .

قال : وقول الناس : طامر بن طامر ، إنما يريدون البرغوث[٦] .

والعصفور[٧] ليس يعرِفُ إلا أنْ يجمعَ رجليه ثم يثِب ، فيضعهما معاً ويرفَعهما معاً . فليس عنده إلا النَّقَزَانُ[٨] . ولذلك سُمّيَ العصفورُ نقّازاً[٩] .

وهو العصفور والجمع عصافير ، ونقّاز والجمع نقاقيز . وهو الصَّعْو[١٠] .

[ويزعمون أن العرب تجعلُ الحُرّق[١١] والقُنبَر ، والحُمَّر ، وأشباه ذلك كله ، من العصافير . والعصفور طيَرَانه نَقَزانٌ] أيضاً [فهو لا يسمحُ بالطيران كالاً] يسمح بالمشي[١٢] .

---

(١) ل : « تطفر » وهما بمعنى الوثب .

(٢) فيما عدا ل : « إلى العصفور والبرغوث » و « البرغوث » مقحمة . وانظر قوله فيما بعد « لأن البرغوث مشاء وثاب » .

(٣) فيما عدا ل : « فليس عند البرغوث إلا الطمور والوثوب » صوابه في ل .

(٤) البيت من أبيات في نهاية الأرب (١٠ : ١٧٨) وليست في الديوان ، ولا في أخبار أبي نواس لابن منظور ، قالها في رجل اسمه « أيوب » وأولها :

من ينأ عنه مصاده فصاد أيوب ثيابه

(٥) هذه الزيادة من ل ، هو .

(٦) طامر بن طامر ، هو الذي لايعرف ولا يعرف أبوه ولا يدرى من . . هو البرغوث أيضا لطموره أي وثوبه . انظر اللسان (طمر) وثمار القلوب ٣ - فيما عدا ل : « طامر وابن طامر إنما » الخ . تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « وكذلك العصفور » .

(٨) النقزان : الوثبان . ل : « النقز » وهما بمعنى .

(٩) فيما عدا ل : « فلذلك يسمى العصفور نقازا » .

(١٠) فيما عدا ل : « وهي الصغار أيضا » .

(١١) الحرق ، بضم الحاء وتشديد الراء : ضرب من العصافير .

(١٢) فيما عدا ل : « فلا يسمح » .

(شدة وطء العصفور)

وليسَ لشيء [جِسْمُه] مثلُ جِسمِ العُصفورِ مِراراً كثيرةً ، من شدَّة الوطء ، وصلابة الوقع عَلَى الأرض ، إذا مشي ، أو عَلَى السطح ـ ما العصفور، فإنك إذا كنتَ تحتَ السَّطح الذى يمشى عليه [العصفور] حسبتَ وقْعَه عليه وقْعَ حَجَرٍ[1] .

والـكلبُ منعوتٌ بشدة الوطء ، وكذلك الخِصْيانُ من كل شيء[2] . والعصفور يَأخذ بنصيبه من ذلك[3] أكثرَ من قِسْطِ جِسْمِهِ من تلك الأجسام بالأضعاف الـكثيرة[4] .

(ما يجيد المشى من الحيوان)

والذُّباب من الطير الذى يجيدُ المشى . ويمشى مشياً سَبْطاً حثيثاً ، [وحسناً] مستوياً .

والقطاة مَليحةُ المِشْية[5] ، مقاربة الخطو .

وقد توصف مِشْيَةُ المرأةِ بمِشية القطاة[6] وقال الـكُمَيت[7] :

يمشِينَ مَشْيَ قَطَا البِطاحِ تأوُّداً قُبُّ البُطونِ رَوَاجِحَ الأَكْفَالِ[8]

---

(١) فيما عدا ل : « وقعه حجر » . وانظر ما سبق فى (٢ : ٣٢٠) .

(٢) انظر الكلام فى مشى الخصى بالجزء الأول ص ١١٦ .

(٣) ط ، هر : « فالعصفور » . فيما عدا ل : « ببعضه من الأجزاء » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « بأكثر من » . ط : « بالأصناف الـكثيرة » . محرف .

(٥) فيما عدا ل : « المشى » .

(٦) ط ، هو : « بمشى » وأثبت ما فى ل ، س واللسان (١٩ : ١٥٢) .

(٧) كذا جاءت النسبة فى ل والأغانى (١٥ : ١٩) ومعجم المرزبانى ٣٤٨ . وفى سائر النسخ : « قال الشاعر » .

(٨) قب : جمع قباء . والقبب : دقة الخصر وضمور البطن . ط : « قلب » صوابها فى سائر النسخ والمراجع المتقدمة ولباب الآداب ٣٧١ والمعارف (٢ : ٢٢) .

٧٠ وقال الشاعر :

يَمْشَيْنَ كما تمشى القطـا أو كما يمشى جِلاَلُ البَقَرَاتِ[١]

لأن البقرةَ تتبخترُ فى مِشْيَتِها .

وقلت لابن دَبُوقاء[٢] : أى شىء أول التَّشاجى[٣] ؟ قال : التباهُرُ والقَرْمَطة فى المشى[٤] . [وقال[٥] :

فدفعتُها فتــدافعتْ مَشْىَ القطاةِ إلى الغديرِ]

وكلُّ حيوان من ذواتِ الرجلين والأربع ، إذا انكسرت لها قائمة تحاملَت بالصحيحة ، إلا النعامة فإنها تسقُط البتّة .

(سفاد العصفور)

قال : وكثرةُ عددِ السِّفاد ، والمبالغةُ فى الإبطاء ، والدّوامُ في كثرة العدد لضروبٍ[٦] من الحيوان ــ فالإنسانُ يغلبُ هذه الأجناس بأن ذلك دائم منه[٧] فى جميع الأزمنة . فأما الإبطاء فى حال السِّفاد فالجمل[٨]

---

(١) هذه رواية ط ، هو : فيكون البيت بذلك من بحر الرمل . وفى س : « يتمشى » تحريف . وفى ل : « يمشين كما يمشي قطا أو بقرات » ، وهو تحريف صوابه فى اللسان (١٩ : ١٥٢) :

يتمشين كما تمـ ـشى قطا أو بقرات

فيكون البيت بذلك من مجزوء الرمل . والجلال ، بالكسر : العظيمات .

(٢) فيا عدا ل : « لأبى دبوقا » وما فى ل يطابق ما نقله ابن منظور عن الجاحظ فى (١٩ : ١٥٢) .

(٣) التشاجى : تمنع المرأة وتحازنها . وهذا ما فى ل واللسان . وفى سائر النسخ : « المشى » تحريف .

(٤) التباهر ، أراد به إظهار البهر ، وهو بالضم : انقطاع النفس من الإعياء . والقرمطة : مقاربة الخطو .

(٥) هو المنخل اليشكرى ، من قصيدة له فى الحماسة (١ : ٢٠٢) أولها :

إن كنت عاذلتى فسيرى نحو العراق ولا تحورى

(٦) ل : « بضروب » .

(٧) فيا عدا ل : « لأن ذلك دائم فيه » .

(٨) ل : « فالجمل »

والوَرَل والذِّبّان[1] والخنازير . فهذه فضيلةُ القلة لهذه الأجناس والأصناف[2] .

فأما كثرةُ العدَد فالعصافير .

(سفاد التيس)

وقد زعم أبو عبد الله العتبيّ[3] الأبرصُ ، وكان قاطعَ الشهادة عند أصحابنا البصريِّين — أن الذي يقال له الشَّرَطيّ[4] قرَعَ في يومٍ واحدٍ نيفاً وثمانين قَرْعة .

إلا أن ذلك منه ومن مثله ينسحقُ حتى يعودَ جافراً[5] في الأيام القليلة .

(تيس بني حمّان)

وبنو حمّان يزعُمون أن تيسَ بني حِمّان قرَع وألقحَ بعد أن ذُبِحَ . وفخَروا بذلك ، فقال بعضُ من يهجوهم :

وأَلْهَى بني حِمّانَ عَسْبُ عَتُودِهم   عن المجدِ حتى أحرَزَتْه الأكارمُ[6]

---

(١) الذبان : جمع ذباب ، كغربان وغراب . ط : « والذباب » بالمهملة ، محرف .

(٢) « الأجناس » ساقطة من ل . و « الأصناف » ساقطة من س .

(٣) ل : « العتبي » . وقد سبق في (٢ : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠) أنه « العمي » . وهو أحد المعتزلة .

(٤) فيما عدا ل : « المسراطي » . وقد ورد بالضبط الذي أثبته في ل .

(٥) ابن الأعرابي : أجفر الرجل وجفر وجفر واجتفر : إذا انقطع عن الجماع . وفي الحديث أنه قال لعثمان بن مظعون : « عليك بالصوم فإنه مجفرة » أي مقطعة النكاح . ل : « حافراً » بالفاء . وفي اللسان (٥ : ٢٨٤ س ١٥) : « ابن الأعرابي : حفر إذا جامع وحفر إذا فسد » ، فلها وجه من ذلك . ط ، ٩ : « حاقراً » بالقاف محرف . وأثبت ما في س .

(٦) العسب : ماء الفحل . والعتود ، بفتح العين وضم التاء : الجدي قد بلغ السفاد .

(زعم لصاحب المنطق)

وزعمَ صاحبُ المنطق فى كتاب الحيوان أن ثَوْراً فيما سلف من الدهر[١] سَفِدَ وأَلْقَحَ من ساعته بعد أنْ خُصِيَ .

فإذا أفرطَ المديحُ[٢] وخرجَ من المقدار ، أو أفرطَ التعجيبُ[٣] وخرجَ من المقدار — احتاج صاحبُه[٤] إلى أن يثْبته بالعيان ، أو بالخبر الذى لا يكذّبُ مثله[٥] ، وإلا فقد تعرّض للتكذيب .

ولو جعلوا حركتهم[٦] خبراً وحكاية ، وتبرءوا من عيْبه[٧] — ماضرّهم ذلك ، وكان[٨] ذلك أصْوَنَ لأقدارهم ، وأتمّ لمروءات كتبهم .

(القول فى الجناح واليد والرجل)

[وَ] قالوا : وكلُّ [طائر] جيِّد الجناح ، يكونُ ضعيفَ الرجلين ، كالزُّرزُور والخُطَّاف ؛ وجناحاها أجْوَدُ من جناح العصفور . ورجل العُصفور قويّة .

والجناحان هما يدا الطائر[٩] ؛ لأنهم يجعلون كلّ طائر وإنسان

---

(١) فيما عدا س : « فيما سلف من الدهر أن ثوراً » .

(٢) فيما عدا ل : « فإذا أفرط المادح فى المديح » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « أو أفرط المتعجب فى التعجب » ، تحريف .

(٤) أى صاحب المدح والتعجيب .

(٥) فيما عدا ل : « الذى لم يكذب مثله » .

(٦) كذا .

(٧) ط ، هو : « تبرءوا عن » . ل : « غيبة » وسائر النسخ : « عينه » ووجهه ما أثبت .

(٨) ط ، هو : « فكان » .

(٩) ط ، هو : « يد الطائر » بالإفراد ، تحريف .

ذا أربع . فرجلا الطائر يداه ، ويدا الإنسان جناحاه . ولذلك إن قُطعت يدُ الإنسان لم يُجِد العَدْو . وكذلك إن قُطِعَتْ رجلُ الطائر لم يُجِد الطيرَان .

والدابة قد تقوم على رجليها دون يديها ، والإنسان قد يمشي على أربع . [قالوا : فهُم في عدد الأيدي والأرجل سواء . وفي الآلات الأربع] ؛ إلا أن الآلة تكونُ في مكان بعض الأعمال أليَقَ ، وهو[1] عليها أسهل ، فتجذبُها طباعها[2] إلى ما فيها من ذلك ، كمشي الدابة عَلَى يديها ، وثِقَل[3] ٧١
ذلك عَلَى الإنسان .

والحمام يضربُ بجناحه الحمام ، ويقاتلُه به ، ويدفع به عن نفسه . فقوادمه[4] هي أصابعه ، وجناحُه هُو يدُهُ[5] ، ورجله كالقدم . وهي رجلٌ وإنْ سمّوها كفًّا ، حين وجدوها تكفّ به[6] ، كما يصنع الإنسانُ بكفّه .

وكلُّ مقطوعِ اليدين ، وكل من لم يُخلق له يدانِ فهو يصنعُ برجليه[7] عامّةَ ما يصنَعُه الوافرُ الخلق بيديه .

وكل سبُع يكون شديدَ اليدين فإنه يكونُ ضعيفَ الرجلين .

وكل شيء من ذوات [الأربع من] البرأن والحوافر ، فإن أيديَها

---

(١) فيما عدا ل : « وهي » .

(٢) ل : « طباعها » .

(٣) فيما عدا ل : « ويثقل » .

(٤) القوادم : ريشات في مقدم الجناح . فيما عدا ل : « وقوائمه » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « وجناحاه يداه » .

(٦) ضمير « به » للكف . والكف مؤنث ، وتذكيرها لغة ضعيفة ، شاهدها قول الأعشى :

رأت رجلا منهم أسيفاً كأنما يضم إلى كشحيه كفا مخضبا

وانظر المخصص (١٦ : ١٨٧ — ١٨٨) واللسان (١١ : ٢١١ — ٢١٢) .

(٧) فيما عدا ل : « برجله » . وانظر لاستعمال الإنسان رجليه ما سبق في (٢ : ٢٣٦) .

أكبرُ من أرجُلها(١) . والناس أرجلهم أكبرُ من أيديهم ، وأقدامهم أكبرُ من أكفِّهم .

وجعلوا رُكَبَهُم في أرجُلهم ، وجعلوا رُكَبَ الدّواب في أيديها(٢) .

(نفع العصافير وضررها)

والعصافير طَبَاهِجَات(٣) وقَلايا(٤) تُدْعَى العصافيريّة ، ولها حَشاوى(٥) يطيبها [السوامّ] المفلوجَ . والسوامُّ تأكلها للقوّة على الجماع . وعِظامُ سُوقِها وأفخاذِها أحَدُّ(٦) وأذْرَب من الإبر . وهي مَخُوفة على المعدة والأمعاء .

وهي تخرِّب السُّقف تخريباً فاحشاً . وتجتلبُ الحيّاتِ إلى منازلِ الناس ؛ لحِرْص الحيّاتِ عَلَى اجتلاع(٧) العصافير وفراخها و بيضها .

---

(١) فيما عدا ل : « رجليها » .

(٢) جعلوا ، أراد الجعل اللغوى ، وهو التسمية . وقد سبق مثل هذا الكلام في (٣ : ٢٣٦ س ١ - ٢) .

(٣) طباهجات : جمع طباهجة ، بفتح الطاء وكسر الهاء : ضرب من قلى اللحم . وهو ما يسمى « الكباب » . وهو معرب « تَبَاهَهْ » أو « تَبَاهْجَه » . وفي المخصص (٤ . ١٢٨) : « صاحب العين : الكباب الطباهجة » . وفي شفاء الغليل : « طباهج : الكباب ، كما في تاج الأسماء ، معرب تباهه . والعرب تسميه الصفيف . وظاهر كلام ابن النحاس في شرح المعلقات أن الكباب مولد . ويشهد له أنا لم نره في كلام فصيح » . و « طباهج » بدون تاء كما ترى ، ومثلها في معجم البلدان في رسم (كباب) . ولم يذكر هذه اللفظة المخصص واللسان والقاموس . وانظر كتاب الطبيخ للبغدادي ١٤-١٥ .

(٤) قلايا : جمع قلية ، والقلية : اللحم يقلى : أي يشوى على المقلى . وانظر كتاب الطبيخ ص ٥٥ . س : « وقلات » ط ، هـ : « وغلات » صوابهما في ل .

(٥) كذا في ل . وقد سبقت هذه الكلمة في (٢ : ٢٥٥ س ٢) . وفي ط ، س : « حواش » هـ : « حواشى » .

(٦) ل : « ابر » .

(٧) س : « اتباع » .

(عمر العصفور)

والذين زعموا أن ذكورتها لاتعيش إلا سنةً ، يحتاجون إلى أن يعرِّفوا الناس ذلك . وكيفَ يستطيعون تعريفَهم[١] ؟!

وقد تكون القُرى بقُرب المزارع والبيادر[٢] مملوءةً عصافيرَ ، ومملوءة من بَيْضها وفراخها ، وهم مع ذلك لم يروْا عصفوراً قط ميتاً .

[والذين يزعمون أن الذبابَ لايعيشُ أكثرَ من أربعين يوماً ، وكانوا[٣] لايكادون يروْن ذبابة ميتة — أعذرُ ، لأنهم ذهبوا إلى الحديث[٤] . وأصحاب الحديث لايؤاخذون بما يؤاخَذ به الفلاسفة] .

والذين زعموا أن البغل إنما طال عمره لقلّة السِّفاد ، والعصفورَ إنما قصُرَ عمره لكثرة السِّفاد وغُلْمته[٦] ـ لو قالوا بذلك عَلَى جهة الظنّ والتقريب ، لم يلُمْهم أحدٌ من العلماء . والأمور المقرِّبةُ غيرُ الأمور الموجِبة ، فينبغى أن يعرفوا فصْل ما بين الموجِبِ والمقرِّب[٧] ، وفصلَ ما بينَ الدليلِ وشبه الدليل[٨] . ولعلّ طولَ عمر البغل يكونُ للذى قالوا ، ولشىء آخر .

وليس ينبغى لنا أن نجزِمَ عَلَى هذه العِلّة فقط ، [إلا بعد أن يحيط علمنا بأن عمرَه لم يفضُلْ عَلَى أعمار تلك الأجناس إلا لهذه العِلّة] .

---

(١) فيما عدا ل : « تعريفهم ذلك » .

(٢) البيادر : جمع بيدر ، وهو الموضع الذى يداس فيه الحب . فيما عدا ل : « والمآرب » محرف .

(٣) فى الأصل ، وهو هنا ل : « كانوا » بإسقاط الواو .

(٤) وهو ما ورد أن عمر الذباب أربعون يوما . انظر (٣ : ٣١٥) .

(٥) هذه الكلمة وما قبلها ليست فى ل . وانظر التنبيه التالى .

(٦) ل : « لقلة السفاد وكثرته » وبذلك توازن عبارتها سائر النسخ ، وكلمة « غلمته » ساقطة من سه . وبدلها فى ه : « غليه » وهذه محرفة .

(٧) فيما عدا ل : « فضل ما بين » والصواب بالصاد ، أى الفرق . وفيها أيضا « الواجب » موضع « الموجب » .

(٨) فيما عدا ل : « وفرق ما بين الدليل وشبه الدليل » .

(بعض خصال العصفور)

والعصفورُ لا يستقرُّ ما كان خارجاً من وكْره ، حتى كأنه فى دوام الحركة ، وصبيٌّ . له صوت حديدٌ مؤذٍ .

وزعموا أن البلبلَ لا يستقر أبداً[1] . وهذا غلطٌ ، لأن البلبل إنما يقلق لأنه محصورٌ في قفص . والذين عاينوا البلابلَ والعصافيرَ في أوكارها[2] ، وغير محصورة فى الأقفاص — يعلَمون فضلَ العصفورِ على البُلْبل فى الحركة .

فأما حِذْق الحِسّ ، وشدّة الحذَر والإزكان[3] الذى ليس عند خبيث الطير[4] ، ولا عند الغُراب[5] — فإن عند العصفور منه ما ليسَ عندَ جميع ما ذكرنا[6] ، لو اجتمعت قواهم ، ورُكّبوا فى نصاب واحد .

٧٢ من ذلك أنه يفهم[7] بحدّة صوته بعضَ من يقرُب منه ، فيصيح به ويُهوِى بيديه إلى الأرض[8] كأنه يريد أن يرميه بحجر فلا يراه[9]

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل . ومكانها فى هـ : « أيضاً » .

(٢) الوكر : عش الطائر . فيما عدا ل : « غير أوكارها » وكلمة « غير » تفسد الكلام .

(٣) الإزكان : الفطنة والحدس الصادق ل ، سه ، هـ : « والأركان » صوابه فى ط .

(٤) ل : « عند صيد الكيس » سه : « عند خبيث الطير » ط : « حس الطواف » هـ : « حس الطراف » وأثبت ما فى سه بعد توجيهه بما رأيت . والخبيث : قوالب والخداع

(٥) الغراب يضرب به المثل فى الحذر ، فيقال : « أحذر من غراب » انظر الحيوان (٢ : ٤٢٥) ، وثمار القلوب ٣٦٥ والميدانى (١ : ٢٠٧) وفى الأصل : « الغراب » .

(٦) ل : « من ذكرنا » . نزلها منزلة العاقل . ومثل ذلك فى سياق الكلام بعده .

(٧) ل : « يعم » صوابه فى سائر النسخ . وقد سبق فى (٢ : ٣٢٩) : « فيفهم صياحه وحدة صوته » .

(٨) ط فقط : « للأرض » وقبل زيادة : « نحوه ويضرب بيده » قبل : « إلى الأرض » .

(٩) ل : « فلا تراه » .

يعقل بذلك . فإن وقعت يده على حصاةٍ طارَ من قبل أن يتمكّنَ من أخذها[1] .

وزعم صاحبُ المنطق أن بين الحِمار وعصفورِ الشَّوك[2] عداوةً . وقال : لأن الحمارَ يدخل الشجرَ والشَّوك ، فربما زاحمَ الموضع الذى فيه وَكْرُه فيدُّعثُه . وربما نهق الحمارُ فسقَطَ[3] فرخُ العُصفور أو بيضه من جوفِ وكْره . قال : ولذلك إذا رآه العصفورُ رَنَّق[4] فوقَ رأسه ، وعلى عينيه[5] وآذاه بطيرانه وصياحه .

وربّما كان العصفورُ أبلَق . ويصابُ فيه الأصبغ[6] ، والجرادِىّ[7] ، والأسود ، والققيع[8] ، [والأغبَس[9]] . فإذا أصابوه كذلك بلغوه بالثمن الكثير .

وقال أبو بدر الأَسَيدى[10] : قيل لعبد الأعلى القاصّ : لِمَ سمّى العصفورُ

---

(١) ط : « قبل يمكن » وهى لغة ضعيفة ، س : « عند الصيد قبل بأخذه » . وانظر (٢ : ٣٢٩) .
(٢) عصفور الشوك ، سمى بذلك لأنه يألف الأشجار الشائكة والسياج . ويسمى بالإنكليزية Hedge sparrow .
(٣) ل : « فسقط » .
(٤) رنق ترنيقاً : خفق بجناحيه ورفرف ولم يطر . وانظر ص ٢١١ س ١ . وفيما عدا ل : « زرق » أى رمى بسلاحه .
(٥) فيما عدا ل : « عشه » .
(٦) الأصبغ من الطير : الأبيض الذنب . س ، هو : « الأصيع » بالعين المهملة ، تحريف .
(٧) الجرادي : ما لونه لون الجراد .
(٨) الققيع الأبيض ، وهو بفتح القاف وكسر القاف كأمير . ويروى بوزن سِكّيت . انظر تاج العروس (٥ : ٤٥٥) .
(٩) الأغبس : ما لونه الغبسة ، والغبسة : لون الرماد .
(١٠) فيما عدا ل : « أبو زيد الأسدى » .

عُصفوراً ؟ قال : لأنه عَصى وفرّ . وقيل : ولِمَ[1] سمّى الطَّفْشِيل[2] طفشيلا ؟ قال : لأنه طفا وشال . وقيل له : لمَ سمى الكلبُ القَلَطِيُّ قَلَطِيًّا ؟ قال : لأنه قلّ ولَطِئَ[3] . وقيل له[4] : لمَ سمى [الكلبُ] السَّلوقيُّ سَلوقيًّا ؟ قال : لأنه يستلّ ويَلْقَ[5]

[قال] : وحدّثنا [سُفْيان] بن عيينة ، عن عمرو بن دِينار ، عن صُهَيب مولى ابنِ عامر ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مامِنْ إنسان يقتل عصفوراً أو مافوقها[6] بغير حقها إلا سألَه الله عنها » . قيل : يارسول الله : وما حقها ؟ قال : « أن تذْبحها فتأكلَها ، ولا تقطع رأسَها فترمى بها » .

(صياح العصافير ونحوها)

ويقال[7] : قد صرّ العصفورُ يصرُّ صريراً . قال : ويقال للعصافير

---

(١) ل : « ظم » . وكلمة « قيل » ساقطة من سه ، ه .

(٢) الطفشيل سبق القول فيه في (٣ : ٢٤) . واللفظ فارسى معرب . وهو بالفارسية : « تَفْشِلَه أو تَفْشِيلَه » . وقد فسره استينجاس ٣١٢ بأنه ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجزر والعسل .

(٣) لطئ بالأرض : لصق ؛ وبابه منع وفرح لطأ ولطوءاً . والكلب القلطى : ضرب من الكلاب القصيرة . انظر (١ : ١٥٧) . فيما عدا ل : « لأنه قاطى » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « قال ولم » محرف .

(٥) كذا ضبطت فى ل . والاستلال : السرقة . ط ، ه : « سلاويقى » سه : « سلاويقيه » محرفتان .

(٦) فيما عدا ل : « فما فوقها » وانظر الجامع الصغير ٨٠٢٤ .

(٧) فيما عدا ل : « ويقال العصفور » .

والمَكَاكِىّ (١) والقنابر، والخُرّق (٢)، والحُمَّر: قد صفَر يصفِرُ صفيراً. وقال طرَفةُ بنُ العبدِ (٣) :

يالَكِ مِن قُبَّرَةٍ بمعْمَرِ (٤) خَلا لكِ الجوُّ فبيضى واصفِرى

[ونقِّرى ماشِئتِ أن تُنقِّرى]

ويقال: قد نطق العصفور. وقال كُثيِّرٌ (٥) :

سوى ذِكْرةٍ منها إذا الرَّكبُ عَرَّسُوا وهبَّتْ عصافيرُ الصَّريمِ النَّواطقُ (٦)

ولذِكْرِ العصفور موضعٌ آخر: وذلك أنّ العصافير تصيحُ مع الصُّبح (٧).

وقال كلثومُ بنُ عمرو (٨) :

---

(١) المكاكى: بفتح الميم وتخفيف الكاف: جمع مكاء، بضم الميم وتشديد الكاف، وهو نوع من القنابر له صفير حسن وتسميه فى الجو وتصريب، وهو فى ذلك يمكو أى يصفر. فيما عدا ل: «ويقال فى المكاكى».

(٢) الخرق، بضم الخاء وتشديد الراء: ضرب من العصافير واحدته خرقة، وقيل الخرق واحد. فيما عدا ل: «الحرق» بالمهملة، تصحيف. وانظر ماسبق فى ص ٢١١ س ١٠

(٣) فى اللسان: «وكان يصطاد هذا الطير فى صباه». وقال ابن برى: إن هذا الرجز لكليب بن ربيعة التغلبى لا لطرفة، كما ذكر الجوهرى. وذلك أن كليب بن ربيعة خرج يوما فى حماه، فإذا هو بقبرة على بيضها؛ فلما نظرت إليه صرصرت وخفقت بجناحيها، فقال لها: أمن روعك! أنت وبيضك فى ذمتى! ثم دخلت ناقة البسوس إلى الحمى فكسرت البيض، فرماها كليب فى ضرعها، فهاجت حرب بكر وتغلب ابنى وائل بسببها أربعين سنة. وانظر ما أسلفت من الكلام على هذا الرجز فى (٣: ٦٦).

(٤) فيما عدا ل: «قنبرة»، وهى لغة فى القبرة. وفى اللسان: «والقبر والقبرة، والقنبر والقنبرة والقنبراء: طائر يشبه الحمرة». وهاء القنبرة مضموحة، كقنفذة. وفى اللسان: «والعامة تقول القنبرة» فنسبها إلى العامة. وفى القاموس أن «القنبرة» لغية.

(٥) فيما عدا ل: «جرير» ولم أجد البيت فى ديوانيهما.

(٦) فيما عدا ل: «ذكره» وفى ط: «إن الركب» تحريفان. والصريم: الصبح، وهو من الأضداد، يقال أيضاً الليل.

(٧) فيما عدا ل: «وقت الصبح».

(٨) تقدمت ترجمته فى (٢: ٢٩٦) عند إنشاد البيت التالى، والبيت كذلك فى العمدة (١: ١٧٩) والموشح ٢٩٣.

يا ليتها لي بحُوّارينَ ساهرةً حتى تكلّمَ في الصبحِ العصافيرُ

وقال خلفٌ الأحمر(١) :

لمّا أصاتَتْ عصافيرُه ولاحت تباشيرُ أرواقِهِ(٢)

غدا يقتري أنُفاً عازباً ويلقَسُ ناضِرَ أوراقِهِ(٣)

٧٣ وقال الوليد بنُ يزيد(٤) :

لمّا أنْ دنا الصبحُ بأصواتِ العصافيرِ

---

(١) فيما عدا ل : « وقال الوليد بن يزيد » .

(٢) أصاتت : صوّتت . ل ، هو ، س : « أصاخت » صوابه في ط . والأرواق : جمع روق ، بالفتح . وأرواق الليل : أثناء ظلمته ، وجعلها هنا لأثناء النور .

(٣) يقتري : يتتبع . أنفا ، بضمتين : لم يرعه أحد قبله . عازبا : بعيدا . يلقس : يتناول ويأكل . أي غدا هذا النهار أو النور يتتبع هذا الروض ويرعاه . فيما عدا ل : « آبقا عازبا ويلبس » وفي س : « آنفا » تحريف ما أثبت من ل .

(٤) فيما عدا ل : « أبو عمرو » وأثبت ما في ل مطابقا لما سبق في (٢ : ٢٩٦) ولما في حواشي الكامل ١٢ ليبسك . وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك . ولي الخلافة سنة ١٢٢ وقتل سنة ١٢٦ وله اثنتان وأربعون سنة . هذا والحق أن الشعر ليس للوليد بن يزيد ، بل هو ليزيد بن ضبة الثقفي ، وكان منقطعا إلى الوليد بن يزيد ، فلما ولي الخلافة وفد عليه ، وأنشده مديحاً في قصيدة بلغت واحداً وثلاثين بيتاً رواها أبو الفرج في الأغاني (٦ : ١٤٢ — ١٤٣) . وأولها :

سليمى تلك في العير قفي أسألك أو سيري

ورواية البيت في القصيدة :

إلى أن يفصح الصبح بأصوات العصافير
لنعمان الوليد القر م أهل الجود والخير

قالوا : فأمر الوليد أن تعد أبيات القصيدة ، ويعطى لكل بيت ألف درهم ، فعدت فكانت خمسين بيتاً ، فأعطى خمسين ألفا . فكان أول خليفة عد أبيات الشعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم . ثم لم يفعل ذلك إلا هارون الرشيد .

(أحلام العصافير)

ولها موضع آخر . وذلك أنهم يضربون المثلَ بأحلام العصافير لأحلام السُّخَفَاء[١] . وقال دُرَيدُ بنُ الصِّمَّة :

يا آلَ سُفيانَ ما بالى وبالُكمُ   أنتم كثير وفى أحلامِ عُصفورِ[٢]

وقال حسَّانُ بنُ ثابت :

لابأسَ بالقومِ من طولٍ ومن عِظَمٍ   جسم البغالِ وأحلامُ العصافيرِ[٣]

ومن هذا الباب فى معنى التَّصغير والتَّحقير ، قولُ لبيد[٤] :

فإنْ تسألينا فيمَ نحنُ فإننا   عَصافيرُ من هذا الأنامِ المسحَّرِ

والمسحَّر : المخدَّع[٥] ، على قوله[٦] :

ونُسحَرُ بالطعامِ وبالشَّرابِ

وقال لبيد[٧] :

عَصافيرُ وذِبّانٌ ودُودٌ   [وأجرأ من مُجلِّحةِ الذِّئابِ[٨]]

---

(١) كلمة : « المثل » فيما عدا ل مقدمة على : « بأحلام » .

(٢) فى ثمار القلوب ٢٨٨ : « يا آل شيبان » و : « أنتم كثيرون فى أحلام عصفور » وفيما عدا ل : « أنتم كبير وفى الأحلام » .

(٣) البيت فى ديوانه ص ٢١٤ من قصيدة يهجو بها بنى الحارث بن كعب ، ورهط النجاشى الشاعر . وانظر الخزانة (٤ : ٤٣ - ٤٦) وسيبويه (١ : ٢٥٤) .

(٤) فيما عدا ل : « وفى معنى هذا الباب من التصغير والتحقير يقول لبيد » . ومثل هذه النسبة فى البيان (١ : ١٤٠) واللسان (٦ : ١٣) . ونسب البيت فى أمالى المرتضى (٢ : ٣٢) إلى أمية بن أبى الصلت .

(٥) س ، هر : « المبدع » تحريف . ط : « المقروح » وأثبت ما فى ل . والمخدع : الذى خدع مراراً ، قال :

سح اليدين إذا أردت يمينه   بسفارة السفراء غير مخدع

(٦) فيما عدا ل . « قولهم » وهو عجز بيت لامرئ القيس ، صدره : « أرانا موضعين لأمر غيب » . وهذه النسبة ثابتة فى ديوانه ١٣٢ والبيان (١ : ١٤٠) واللسان (٦ : ١٢) .

(٧) كذا والصواب أنه « امرؤ القيس » والبيت تال لسابقه ، كما فى الديوان واللسان .

(٨) أجرأ : أشد جراءة . وفى الأصل وهو هنا ل : « وأجراء مجلحة » تحريف .

فكأنه يخبر عن ضَعف طِباع الإنسان .

وقال قوم : للسَّحَر ، يعنى كلَّ ذى سَحْر ، يذهب إلى الرئة ؛ لقوله :

ونُسْحَرَ بالطعامِ وبالشرابِ

(قولهم صريم سحر)

ولِذِكْرِ السَّحْر موضعٌ آخر ، يقول الرجلُ لصاحبه : « صرَمْتَ سَحْري منك » أىْ لستُ منك . وقال خُفافُ بن نُدْبة :

ولولا ابنا مُماضِر أن يُساءوا   وأنى منك غير صريمِ سَحْرِ [1]

فكأنه قال : لستُ كذلك [منك [2]]

وقال قيسُ بنُ الخطيم :

تقولُ ظَعِينَتِى لما استقلَّتْ   أتتركُ ما جمعْتَ صريمَ سَحْرِ [3]

أى قد تركتَه آيساً منه [4]

وأنشد الآخر :

= والجلمة ، بكسر اللام المشددة : الجريئة . والظاب ، هى فى الأصل : « الذياب » بالدال المهملة وبالراء فى آخره ، صوابه من الديوان واللسان فى الموضع السابق وفى (٢ : ٢٥٠) .

(١) فيا عدا ل : « أن تساوى وأنى فيك » . وما أثبت من ل يوافق ما فى شرح ديوان قيس بن الخطيم ٣٢ . وفى الشرح أيضاً : « وذلك أن السحر الرئة فإذا انقطعت لم يعش الإنسان » .

(٢) هذه من ل . وفى أصلها : « فيك » .

(٣) البيت فى ديوانه ٣٢ . والظعينة : الزوجة . استقلت : رحلت .

(٤) آيساً : يائساً . هو : « أيسا » محرف . وانظر التنبيه الأول من هذه الصفحة . وفى اللسان (٦ : ١٦) أن صريم سحر « معناه مصروم الرئة مقطوعها » .

أَيَذْهَبُ ما جمعتُ صَرِيمَ سَحْرٍ　　ظَلِيفاً ، إنّ ذَا لَهوَ العجيبُ[1]
كَذَبْتُمْ والَّذِى رَفَعَ المَعَــالِي　　ولَمَّا يُخْضَبِ الأَسَلُ الخَضِيبُ[2]

(العصفور والضب)

وإذا وصفوا شـدّة الحرّ ، وصفوا كيفَ يُوفِى الحِرباء على العُود والجِذْل[3] ، وكيف تلجأُ العصافيرُ إلى جِحَرة[4] الضِّباب من شدة الحرّ

وقال أبو زُبَيد[5] :

أىُّ ساعٍ سَعَى ليقطَعَ شِرْبِى　　حين لاحتْ للصَّابحِ الجوزاءُ[6]

---

(١) كذا على الصواب فى ط ، هو ، ولسان العرب (١٥ : ٢٢٩) . وفى ل : « الحوبى عجيب » وس : « لهوى عجيب » . و « ظليفا » . يقال ذهب به مجانا ، وظليفا : إذا أخذه بغير ثمن . ويقال ذهب به ظليفا ، أى باطلا بغير حق . وفى الأصل : « طليقا » وصوابه من اللسان .

(٢) الأسل : الرماح . الخضيب : الذى خضب بالحمرة ، أراد الدم فى القتال .

(٣) يوفى : يشرف . وأوفى : أشرف . فيا عدا ل : « تَرقى » وهو تحريف نص . والجذل ، بالكسر : أصل الشجرة . فيا عدا ل : « العود الجزل » تحريف .

(٤) جحرة ، بكسر ففتح : جمع جحر ، بالضم . ط : « حجر » . س . « حجرات » هو : « الحجرات » تحريف .

(٥) هو أبو زبيد الطائى المترجم فى (٢ : ٢٧٤) . وفى الأغانى (٤ : ١٨١ ساسى) : « قال ابن الأعرابى : كان الوليد بن عقبة قد استعمل الربيع بن مرى بن أوس بن حارثة بن لأم الطائى على الحمى ، فيا بين الجزيرة وظهر الحيرة ، فأجدبت الجزيرة ، وكان أبو زبيد فى تغلب ، فخرج بهم ليرعيهم ، فأبى عليه الأوسى وقال : إن شئت أن أرعيك وحدك فعلت ، وإلا فلا ! فأتى أبو زبيد الوليد بن عقبة فأعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة ، وجعلها له حمى ... وقال عمر بن شبة : فلما عزل الوليد ووليها سعيد — وهو ابن العاصى — انتزعها منه وأخرجها من يده ، فقال ... » وأنشد القصيدة .

(٦) الشرب ، بالكسر : النصيب من الماء . والصابح : من صبحت الإبل : إذا سقيتها فى أول النهار ، والإبل مصبوحة ، والقوم صابحون ، كذا فى الجمهرة لابن دريد ، وأنشد هذا البيت . انظر الخزانة (٣ : ٢٨٢ بولاق) .

واستَكنَّ العصفورُ كَرْهاً مع الضَّـبِّ وأَوْفَى فى عُودِه الحِرباءُ (١)
ونَفَى الجُنْـدُبُ الحصى بكُراعَيْهِ وأذْكَتْ نيرانَها المعزاءُ (٢)
من سَمُوم كأنَّها لَفْحُ نارٍ صَقَرتها الظهيـرةُ الغَرَّاءُ (٣)

٧٤ وأنشدوا (٤) :

تجاوزتُ والعُصفورُ فى الجُحرِ لاجئٌ مع الضَّبِّ والشُّقْذانُ تَسمو صدورُها (٥)

قال : الشُّقْذان : الحَرَابِىُّ (٦) . قوله : « تسمو » أى ترتفع (٧) على رأس العُود . والواحد من الشُّقْذان شَقَذَان (٨) ، بتحريك القاف وفتح الشين

(١) فى الخزانة والشعراء ٦٠ والأغانى : « واستظل » . ورويت مرة أخرى فى الأغانى : « واستكن » .

(٢) الكراع بالضم : الرجل . وفى اللسان (١٠ : ١٨٢) : « وكراها الجندب رجلاه » وأنشد هذا البيت . ومثل هذه الرواية فى الشعراء والخزانة والأغانى . وفى ل والأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٦٦) : « بقراعيه » . والمعزاء ، بالفتح : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة .

(٣) السموم ، بالفتح : الريح الحارة . واللفح : مصدر لفحت النار : أحرقته بحرها . فيما عدا ل : « نفح » مصحف . وروى : « حرنار » . صقرتها : اشتد وقعها بشدة حرها عليها . ل : « صفرتها » بالفاء ، وصوابه ما أثبت . وفيما عدا ل : « سجرتها » بمعنى أوقدتها . والهجيرة والهجير والهجر والهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر . والغراء : البيضاء من شدة حر الشمس . انظر اللسان (٦ : ٣١٩) . فيما عدا ل « الهاء » محرف . وفى الأغانى واللسان : « ظهيرة غراء » .

(٤) ل : « وأنشد الشاعر » . والبيت لذى الرمة كما فى الديوان ٢٠٨ واللسان (٥ : ٣٠) .

(٥) الشقذان ، بالكسر : جمع شقذان ، بالتحريك ، ككروان وكروان . أو جمع شقذ ، كصرد ، أو شقذ ، بالفتح وبكسر ، وككتف وعتب وسبب . فيما عدا ل : « والشقران يسمو » ط ، هو : « صريرها » س : « سرورها » محرف .

(٦) ط : « والشقران الحربة » س ، هو : « والشقران الحرا » صوابه فى ل .

(٧) ط فقط : « يسمو » أى يرتفع .

(٨) فيما عدا ل : « الشقران شقران » محرف .

(عصافير النعمان)

وأكرم فحلٍ كان للعرب من الإبل كانَ يسمى عصفوراً ، وتسمى أولاده عصافير النُّعمان[١] .

وكانوا يقولون : صنعَ به الملكُ كذا وكذا ، [وحَبَاه بكذا وكذا] ، ووهب له مائة من عصافيره .

وعصفور ، ودَاعر[٢] ، وشاغِر[٣] ، وذو الكَبْلين[٤] : فحولةُ إبل النعمان[٥] .

وعصافير الرَّحْل[٦] واحدها عصفور .

(عصفور القوَّاس)

وعصفورٌ القَوَّاس إليه تضاف القِسِيُّ العُصفورية[٧] . وقد ذكره

(١) هو النعمان بن المنذر . وانظر ما سبق فى (٢ : ٤١٨) . ط فقط : « عصافيره » محرف .

(٢) داعر : بالدال المهملة . وفيما عدا ل : « ذاعر » بالمعجمة ، تصحيف .

(٣) فى اللسان : (٦ : ٨٦) : « وأبو شاغر فحل من الإبل معروف كان لمالك بن المنتفق » وفى القاموس : « وشاغر فحل من آ بالهم » ، فيما عدا ل : « عامر » تحريف .

(٤) فى اللسان (١٤ : ١٠١) : « وذو الكبلين فحل كان فى الجاهلية ، كان ضبارا فى قيده » . ضبر المقيد : جمع قوائمه ووثب . والكبل ، بالفتح وبكسر : القيد . وفى الأصل : « ذو الكيلين » محرف .

(٥) ل ، س : « فحول » . وتاء فحولة هى مايسمونها تاء تأكيد الجمع .

(٦) عصافير الرحل : خشبات تكون فيه يشد بها رؤوس الأحناء . فيما عدا ل : « وعصافير الطير » تحريف .

(٧) لم يذكر هذا فى اللسان والقاموس . ط : « والرجل يسمى عصفور » س ، هو : « والرجل يسمى عصفور » إقحام وتحريف . وفيما عدا ل أيضاً « تضاف إليه » .

ابن يَسير(١) حين دَعا(٢) على حمام له بالشّواهين، والصُّقورة(٣)، والسّنانير والبنادق(٤)، فقال(٥):

مِنْ كلّ أكلفَ باتَ يُدْجِنُ لَيْلَه ... فغدَا بِغَدْوَةِ ساغِبٍ مَمْطُورِ(٦)

ضَرِمٍ يقلِّبُ طرفه مُتَأنِّساً ... شيئاً فكُنْ له من التقدير(٧)

يأتي لهنّ ميامنًا ومَياسراً ... صَكّاً بكلّ مُذَلَّقٍ مطرور(٨)

لاينجُ منه شريدُهنّ، فإنْ نجا ... شيء فصار بجانباتِ الدُّور(٩)

---

(١) هو محمد بن يسير الرياشي المترجم في (١ : ٥٩). فيما عدا ل: «بن بشير» مصحف.

(٢) ط فقط: «دعى» وهو تحريف.

(٣) فيما عدا ل: «والصقورة»، والجاحظ يميل إلى استعمال ما أثبت. وانظر (٤ : ٤٧) والسطر الخامس من الصفحة السابقة.

(٤) البنادق: جمع بندق، ذاك الذي يرمى به.

(٥) كان محمد بن يسير قد طلب من أبي عمرو المديني فراخا من الحمام الهدى (أي حمام الزاجل وفي أصل الأغاني: المهدى) فوعده أن يأعطها له من المثنى بن زهير، ثم نوّر له — أي أعطاه فراخا غير منسوبة دلسها عليه — وأعطى المنسوبة لنفسه، فدعا على حمام المديني بهذا الشعر. انظر الأغاني (١٢ : ١٢٩ — ١٣١).

(٦) الأكلف: ما لونه الكلفة، وهي لون بين السواد والحمرة. عنى الصقر. يدجن، من قولهم: أدجنت السماء: دام مطرها. والساغب: الجائع. والممطور: الذي أصابه المطر. س، هو: «يدخن» وفيهما أيضا «بغدوة» تحريف.

(٧) الضرم، ككتف: الشديد الجوع. والمتأنس: الذي ينظر رافعاً رأسه وطرفه. وضمير «كن» للحمام. أي كن ما قدر لهذا الصقر. فيما عدا ل: «يقلب كفه» ط: «متأنسا». وفيما عدا ل أيضا: «ما فكر له» تحريفات.

(٨) الصك: الضرب. المذلق: المحدد. والمطرور: الذي طر، أي حد. وقد عنى المخالب. س، ط: «مخطور» هو «مطور» صوابه في ل.

(٩) جانبات: جمع جانبة. والجانب: الغريب. أي إن نجا من الحمام شيء فقد صار إلى هذه الدور الغريبة. ط: «بجانيات» هو: «بجابيات» س: «بجانبان» صوابه في ل والأغاني.

لِمُشَمِّرِينَ عن السَّواعدِ حُسَّرٍ   عنها بكلِّ رَشيقةِ التَّوتيرِ (١)

ليسَ الذى تُشْوِى يداه رَمِيَّةً   فيهم بمعتذِرٍ ولا معذورِ (٢)

يتبوَّعون مع الشروق غُدَيَّةً   فى كل مُعْطِيَةِ الجِلابِ نَتُورِ (٣)

عُطُفُ السِّيات موانعٌ فى مَدِّها   تُرْزَى إذا نُحِيَتْ إلى عصفورِ (٤)

يَنْفُثْنَ عن جَذْبِ الأكفِّ سَوَاسِيًا   مُتَشابهاتٍ صُغْنَ بالتَّدويرِ (٥)

تجرى لهـا مُهَجُ النفوسِ وإنها   لنواصلٌ سُلُبٌ من التَّحْسِيرِ (٦)

---

(١) مشمرين عن السواعد ، عنى الصيادين بالسهام . والتوتير : شد وتر القوس ونحوها . يقول: قد صرت إلى هؤلاء الصيادين . ل : « لمشمرين » وفى سائر النسخ : « بمشمرين » ووجهه ما أثبت من الأغانى . وفيما عدا ل : « من السواعد » تحريف . وفى ط : « لكل » .

(٢) أشوى الرمية : لم يصب المقتل الذى يرميه . ل : « يشوى » ط ، هو : « برمية » وهذه تحريف صوابهما فى ل ، سه والبيان (٣ : ٤١) .

(٣) يتبوع : يمد باعه ويملأ ما بين خطوه . معطية الجلاب ، أى منقادة الحلبة ، هى القوس . والمعطية : اللينة ، ليست بكزة ولا ممتنعة على من يمد وترها . والنتور: الشديدة الجلب . فيما عدا ل : « معطية المراب » وفى الأغانى: « طائفة الجدار » تحريف . ط والأغانى : « بتور » سه: « تيور » هو : « بثور » صوابه فى ل .

(٤) سية القوس : ما عطف من طرفيها . والعطف : جمع عطفاء ، وهى المنحنية . ط : « الثبات » سه: « الثبات » هو : « السبات » صوابه فى ل : والبيان (٣ : ٤١)

(٥) ينفثن ، من النفث ، وهو النفخ . وفيما عدا ل : « ينفين » وهذه صحيحة أيضا . و « جذب » فيما عدا ل : « حرب » . وفى الأغانى « حنب » محرف . سواسيا : متشابهات . وقد عنى السهام . يقال سواسية وسواس وسواسوة . صغن ، بالبناء للمفعول من صاغ يصوغ . وفى الأغانى : « متشابهات الشد والتدوير » وفيما عدا ل : « صغن » محرف .

(٦) المهج : جمع مهجة ، وهى دم القلب . نواصل : قد نصل ريشهن . والسلب : جمع سليب ، وأصلها الشجرة قد سلبت ورقها وأغصانها . والتحسير : سقوط ريش الطائر . ط ، سه : « مهج » هو : « منهج » صوابه فى ل والأغانى : ل ، ط ، سه : « والنواصل » هو : « المواصل » والأغانى « لنواصل » صوابه ما أثبت . ط ، سه والأغانى : « سلت » صوابه فى ل ، هو . و « التحسير » هى فى ط ، هو : « التحشير » صوابها فى ل ، سه .

مَا إنْ يَنِي مُتَبايِنٌ مُتَباعِدٌ ... في الجوِّ يَحْسِرُ طَرْفَ كلِّ بصيرِ (1)
عن سَمْتِهِنَّ إذا قَصَدْنَ بِجَمْعِهِ ... مُنْقَطِرٌ مُتَضَمِّخًا بِعَبيرِ (2)
فيؤوبُ ناجِيهِنَّ بَيْنَ مُجَلْهَقٍ ... دامٍ ومَخْلوبٍ إلى مَنْسورِ (3)
عارِي الجَناحِ من القَوادِمِ والقَرَا ... كاسٍ عليه بَصائرُ التّامورِ (4)

(شعر في العصفور)

وقال أبو السَّرِيّ (5) ، وهو حَمْدانُ الأعمى الدبيري (6) ، وهو يذكر ظهورَ الإمام ، وأشراطَ خُروجه ، فقال :

---

(١) ما يني : ما يفتُر . يحسر الطرف : يجعل العين تكِلّ ، من شدة بعده . ط ، س : « ما إن يني » [illegible] : « ما إن في » ، صوابه في ل .

(٢) السمت : القصد . ل : « سمتهن » وسائر النسخ : « شيمهن » . أراد من قصد السهام لهذا المتباعد المتباين من الحمام . منقطر : ساقط على قطره أي جانبه . والمتضمخ : المتطيب . والعبير : أخلاط من الطيب . جعل هذه الحمام ، وقد أصابتها السهام فسالت دماؤها كأنها تضمخت بالعبير ، ولونه لون الدم .

(٣) المجلهق : الذي أصيب بالجلاهق . والجلاهق ، بضم الجيم وكسر الهاء : الطين المدور المعلق يرمى به عن القوس ، فارسي معرب . انظر المعرب للجواليقي ٩٦ . والمخلوب : الذي خلبه الجارح بمخلبه . والمنسور : الذي نسره بمنسره ، وهو منقاره . فيما عدا ل : « مخلس » و « مجلوب » تحريف .

(٤) القوادم : ريشات في مقدم الجناح . والقرا : الظهر . والبصائر : جمع بصيرة ، وهي الدم ، أو الدفعة منه . قال :

راحوا بصائرهم على أكتافهم ... وبصيرتي يعدو بها عتد وأى

أي تركوا دم أبيهم خلفهم ، ولم يثأروا به ، وطلبته أنا . والتامور : دم القلب أو غلافه . يعني أن السهام قد ذهبت بريش جناحه ، ونفذت من قلبه إلى ظهره ، فكسته ثوبا من الدماء . فيما عدا ل : « والقرى كاس » و « بصائر التامور » .

(٥) فيما عدا ل : « ابن السري » .

(٦) حمدان الأعمى ، هو أحمد [illegible] ، سبق الحديث عنه في (٢ : ٢٦٨) . والدبيري : نسبة إلى الدبير ، على هيئة تصغير دبر [illegible] المقابل : موضع قرب الرقة . فيما عدا ل : « الدينور » .

في زمانٍ تبيضُ فيه الخفافيـ ... ـشُ وتَسقى سُلافةَ الجِرْيالِ(١)

ويقيم العُصفورُ سِلماً مع الأيْـ ... ـمِ وتَحمى الذِّئبُ لَحمَ السِّخالِ(٢)

يقول : إذا ظهر الإمامُ فآيةُ ذلك أنْ تبيض الخفافيش — وهى اليوم تلِدُ — وتحلُّ لنا الخمرُ ، وتسالِمُ الحيّاتُ العصافيرَ ، والذّئابُ السِّخالَ .

(سجود عيسى بن عقبة)

ورَوَوْا في طولِ سجود عيسى بن عُقبة ، أنه كان يطيل ذلك حتى يظنَّ العصفورُ أنه كالشيء الذى لايخافُ جانبه(٣) ، وحتى يظنَّ العصفورُ أنه سارية(٤) ، فيسقط عليه .

وذكر عُمَرُ بن الفضل(٥) ، عن الأعمش ، عن يزيد بن حيّان(٦) قال :

---

(١) الجريال ، بالكسر : صفوة الخمر . وفي اللسان : « وزعم الأصمعي أن الجريال اسم أعجمي رومي معرب ، كأن أصله كريال » . وعند الجواليقي ١٠٣ « وزعم الأصمعي أنه رومي معرب ، تكلمت به العرب الفصحاء قديماً . قال الأعشى :

وسبيئة مما تعتق بابل ... كدم الذبيح سلبتها جريالها »

قال فرنكل : إنها مشتقة من الجورتاني : أي المرجان . انظر ادى شير ٤٠ . والخفافيش لا تبيض وإنما تلد . والجريال أي الخمر محرمة ، فهو يشير إلى أن وقت ظهور الإمام وقت عجيب . ل : « يبيض » و « يسقى » . وفي س ، هو : « وتسقى » .

(٢) الأيم ، بالفتح والكسر : الحية الأبيض اللطيف . والحيات مما ولوع بابتلاع بيض العصافير ونحوها . انظر (٣ : ٤٩٩) . والسخال : جمع سخلة ، وهي ولد الشاة . ل ، هو : « ويحمى » س : « ويحمى » بالإهمال .

(٣) ل : « ناحيه » والكلام بعدها إلى « سارية » ساقط من ل .

(٤) السارية : الأسطوانة ، وقيل : أسطوانة من حجارة وآجر . وجمعها السواري .

(٥) هو عمر بن الفضل السلمي ، أو الحرشي بفتح المهملتين وبالشين ، البصري . روى عن نعيم بن زيد ، ورقبة بن مصقلة ، وأبي العلاء بن الشخير وحبة بنت عبد الله ، وعنه ابن المبارك ، ويحيى القطان ، وحرمي بن عمارة ، وغيرهم . تهذيب التهذيب (٧ : ٥٠٠) . ط ، هو : « عمر بن أبي الفضل » س : « عمران بن الفضل » ل : « عمر بن أبي الفضل » وصواب كل ذلك ما أثبت .

(٦) يزيد بن حيان ، بفتح المهملة بعدها مثناة تحتية ، التيمي الكوفي ، ثقة من الرابعة روى عن زيد بن أرقم ، وسبرة بن الفاكه ، وكثير الضبي ، وعبس بن عقبة ، =

كان عيسى بن عقبة[1] إذا سجد وقعت العصافيرُ عَلَى ظهره ؛ من طولِ سجوده[2] . [وكان محمدُ بنُ طلحةَ[3] يسجُد حتى إن العصافير ليَسْقُطْنَ على ظهره ما يحسِبْنَهُ إلا حائطاً] .

(مثل الشيخ والعصفور)

وفى المثل أن شيخاً نصبَ للعصافير فَخًّا فارْتَبَنّ به وبالفخ[4] ، وضربه البرد[5] ، فكلما مشى إلى الفخ وقد انضم عَلَى عصفور[6] ، قبض عليه

= ومعه ابن أخيه ، والأعمش ، وفطر بن خليفة ، وسعيد بن مسروق الثورى . قال النسائى : ثقة . وذكره ابن حبان فى الثقات . انظر تهذيب التهذيب (١١ : ٣٣١) . ل : « زيد » سه : « بن حيان » صوابه ما أثبت .

(١) عيسى بن عقبة ، لم أعثر له على ترجمة . وفى الولاة والقضاة للكندى ص ٩٦ من اسمه « عيسى بن عبدة بن عقبة نافع » . وفى ط ، هو : « يزيد بن عقبة » ذكره ابن حبان فى الثقات ، ويروى عن ابن بريدة والضحاك . لسان الميزان (٦ : ٢٩١) .

(٢) فى عيون الأخبار (٢ : ٢٦٥) : « كان عيسى بن عقبة يسجد ، حتى إن العصافير ليقعن على ظهره وينزلن ، ما يحسبنه إلا جرم حائط » .

(٣) هو محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وأبوه طلحة من العشرة المبشرين بالجنة . وكان محمد عابداً زاهداً ، وكان يقال له : « السجاد » . وشهد يوم الجمل ، ونهى عنه على وقال : إياكم وصاحب البرنس ، فقتله رجل ، وأنشأ يقول :

وأشعث قوام بآيات ربه　　قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح حضنى قميصه　　فخر صريعاً لليدين وللفم
على غير شىء غير أن ليس تابعاً　　علياً ومن لا يتبع الحق يظلم
يناشدنى حاميم والرمح شاجر　　فهلا تلا حاميم قبل التقدم

انظر المعارف ١٠١ — ١٠٢ مصر ، ١١٩ جوتنجن .

(٤) ارتبن ، من الربيئة . وفى ل : « فارتبن » وفى سائر النسخ : « فارتين » صوابه ما أثبت .

(٥) فيما عدا ل : « فضربه » .

(٦) ط ، هو : « إلى العصفور » صوابه ما أثبت من ل . وفى سه : « على العصفور » .

ودقَّ جناحَه [1] ، وألقاه في وعائه . دمعت عينه مما كان يَصُكُّ [2] وجهَه من برد الشَّمال . قال : فتوامرَت العصافيرُ بأمره [3] وقلن : لا بأسَ عليكنّ [4] ، فإنه شيخٌ صالحٌ رحيمٌ رقيقُ الدَّمعة ! قال : فقال عصفورٌ منها : لا تنظروا إلى دموع عينيه ، ولكن انظروا إلى عمل يديه [5] !

(استطراد)

ومن أمثال العامّة للشيء تصرّفه بغير مؤونة [6] : « الحجَرُ مجّان ، والعصفور مجّان [7] ! » .

---

(١) دق جناحه : كسره ، ليمنعه من الطيران . فيما عدا ل : « وقبض على جناحه » .

(٢) يصك : يضرب . فيما عدا ل : « يصد » تحريف . ط ، س : « وقد دمعت » بإقحام « وقد » وفي هو : « ودمعت » بإقحام الواو .

(٣) توامرت : تآمرت ، أي تشاورت . وإبدال الهمزة في مثله واو ، لغة عامية . يقولون : واكله ، ووازيته ، وواجرته ، وواخلته ، ووامرته ، وواسيته ، وواتيته . والوجه في ذلك كله الهمز . انظر أدب الكاتب ٢٦٩ — ٢٧٠ سلفية ، ودرة الغواص ١٠٢ قال : « ومن ذلك قولهم : واخيته في آخيته بلفظ ، إلا أنها لغة ضعيفة » . وقد عللها التبريزي بقوله : « وإنما حملهم على إثبات الواو في الماضي أنهم قالوا في المضارع والمصدر : يواسي ومواساة ، فحسن تخفيف الهمزة بضم ما قبلها فجاءوا به في الماضي كذلك » . انظر شفاء الغليل ١٧ في الكلام على « آساه » . ل : « بالقرة » موضع « بأمره » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « عليكن » .

(٥) كلمة « لكن » ساقطة من ل . وقد التفت إلى هذا المعنى ديك الجن ، وكان قد قتل زوجه ثم أسف عليها فقال (انظر الأغاني ١٢ : ١٣٩) :

يقول قتلتها سفهاً وجهلا وتبكيها بكاء ليس يجدي
كصياد الطيور له انتحاب عليها وهو يذبحها بحد

(٦) ط ، هو : « وفي أمثال » ط : « فيمن يتصرف » س ، هو : « يحرفه » .

(٧) المجان : الكثير الكافي ، أو عطية الشيء بلا منة ولا ثمن . وقال الأزهري : العرب تقول : تمر مجان وماء مجان ، يريدون أنه كثير كاف . قال : واستطعمني أعرابي تمراً فأطعمته كتلة ، واعتذرت إليه من قلته فقال : هذا والله مجان ، أي كثير كاف . وفي اللسان (١٧ : ٢٨٧ س ٣) : « وقولهم : أخذه مجانا أي بلا بدل » . وهذا نص في وجه من زعم خطأ هذه العبارة .

قال : ويقال عصفور وعصفورة . وأنشدَ قوله[1] :

ولو أنها عصفورةٌ لحسِبْتَها مُسَوَّمَةً تدعو عُبيداً وأزنما[2]

(شعر فيما يصوره الفزع)

وقال في هذا المعنى جرير[3] ، وإن لم يكن ذكر العصفور ، [حيث يقول] :

ما زلتَ تحسبُ كلَّ شيء بعدَهم خيلاً تشدُّ عليكم ورجالا[4]

قال يُونس : أخذَ هذا المعنى من قول الله[5] : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ[6] ﴾ .

وقال الشاعر[7] :

كأن بِلادَ الله وهْيَ عريضةٌ على الخائفِ المطلوبِ كِفةُ حابِلِ[8]

---

(١) هو العوام بن شوذب الشيباني . جاهلي . يقوله لبسطام بن قيس وأسرته بنو يربوع يوم غبيط الفردوس — في أصل معجم المرزباني : المروت ، صوابه في معجم البلدان (٦ : ٢٦٧ ، ٣٥٧) — وفرمن قومه يوم النقال . انظر معجم المرزباني ٣٠٠ والنقائض (٤٨٤ — ٤٨٥) وعيون الأخبار (١ : ١٦٦) واللسان (١٥ : ١٦٩) ومعجم البلدان (٦ : ١٨٦) . والذي أسره هو عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي ، ففدى نفسه بأربعمائة ناقة ، ثم أطلقه وجز ناصيته . معجم البلدان (٦ : ٢٦٧) .

(٢) المسومة : الخيل المعلمة بعلامة ، أوالمرسلة وعليها ركبانها . وعبيد : هم بنو عبيد بن ثعلبة . وأزنم : هم بنو أزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . ط : « عتيكا وأزنما » س ، هو : « عتيكا وأزنما » صوابه في ل .

(٣) يهجو الأخطل من قصيدة في ديوانه ٤٤٨ — ٤٥٣ . وقبل البيت :

حلت عليك حماة قيس خيلها شعثاً عوابس تحمل الأبطالا

(٤) فيما عدا ل : « تشد عليهم » والوجه ما أثبت من ل ، والديوان ، والمختار من شعر بشار ٩ ، وفيه : « تكر عليكم » . وصدره في المختار : « تركوك تحسب » .

(٥) فيما عدا ل : « أخذ والله هذا المعنى من قول الله تعالى » .

(٦) من الآية ٤ في سورة المنافقون . وبعدها في ل : « فاحذرهم قاتلهم الله » .

(٧) البيتان في الكامل ٥٠٨ ومجموعة المعاني ١٣٨ .

(٨) كفة الصائد ، بالكسر : حبالته . والحابل : الصائد ذو الحبالة .

يُؤدِّى إليه أنَّ كلَّ ثنيّةٍ   تيمَّمَها ترْمِى إليه بقاتلِ[١]

وقال بشّارٌ في شبيه ذلك :

كأنَّ فؤادَه كُرَةٌ تَنَزَّى   حِذارَ البَيْنِ لو نفعَ الحِذارُ[٢]
جفَتْ عَيْنِي عن التغميض حتى   كأنَّ جفونها عنه قِصارُ[٣]
يروِّعُهُ السِّرَارُ بكلِّ أمْرٍ   مخافةَ أن يكونَ به السِّرارُ[٤] ٧٦

وقال عُبيدُ بن أيُّوب :

لقد خِفْتُ حتى لو تطيرُ حمامةٌ   لقلتُ عدوٌّ أو طليعةُ مَعْشَرِ[٥]
فإنْ قيل خيرٌ قلتُ هذا خديعةٌ   وإن قيل شَرٌّ قلتُ حقٌّ فشَمِّرِ[٦]
وخِفْتُ خليلِي ذَا الصَّفاء ورابَنِي   وقِيلَ فلانٌ أو فلانَةُ فاحْذَرِ[٧]

وقال أبانُ اللاحقيُّ[٨] :

اخفِضِ الصَّوتَ إنْ نَطَقْتَ بليلٍ   والتفِتْ بالنهار قبل الكلامِ

(حديث الناشرى)

ومن مُلَح أحاديثِ الأصمعيّ ، قال : حدّثني شيخٌ من أهل المدينة وكان عاليَ السِّنّ[٩] قال : قال الناشرى[١٠] : كانت هذه الأرضُ لقومٍ

---

(١) ل : «تؤدي» وفي الكامل : «يؤدي». تيممها : قصدها.
(٢) تنزى : تنزو ، أى تثب.
(٣) فيما عدا ل : «فيها قصار» تحريف. وفي الكامل ٤٠٧ والشعراء ١٧٥ : «عنها قصار». فالتذكير للتغميض ، والتأنيث للعين.
(٤) السرار : المسارة. فيما عدا ل : «بكل أرض». ورواية ل تطابق رواية الكامل ٤٠٦.
(٥) فيما عدا ل وكذا مجموعة المعاني ٧٧ : «لو تمر».
(٦) س ، هـ : «قلت هذى خديعة». وهذا البيت هو الثالث في مجموعة المعاني.
(٧) سبقت ترجمته في (٤ : ٤٤٨).
(٨) في مجموعة المعاني : «وقال فلان أو فلانة».
(٩) السن : العمر. والواو ساقطة من ل.
(١٠) الناشرى ، من أصحاب الفكاهة والنادرة ، لا يعرف إلا بهذا الاسم. وفي الأغاني (١٧ : ١٠١) : «وكان الناشرى لقيطا منبوذا لا يعرف له أب». وفيها : «كان الناشري شاعر أهل المدينة» أي الذي يطرفهم بالنوادر. وكان معاصراً.

ابتدوها وشقّوها[1] ، وكانت الثمرة إذا أدركتْ قال قائلهم [لقيّمه] : اثلُمِ الحائط ، ليصيبَ المارُّ مما فيه والمُعْتَفِى[2] . ثم يقول : أرْسِلْ إلى [آل] فلان بكذا وكذا ، وإلى [آل] فلان بكذا وكذا . فإذا يمت[3] الثمرة قال : أرسل[4] إلى فلان بكذا وكذا من دينار ، وإلى فلان بكذا وكذا . فيضجُّ الوكيل[5] . فيقول : ماأنت وهذا ؟! لا أمَّ لك ! فلما عُمِرت الأرضون وأغنَّتْ[6] أقطعتها[7] قومٌ سوام ، فإنْ[8] أحدهم ليسدُّ حائطه ، ويصغِّر بابَه ، ثم يُدْلِجُ[9] [فيمرُّ] فيقول : ماهذه الثُّلمة[10] ؟ ! ويستطيف[11] من وراء الحائط ، فهو أطول من مَعقِل أبي كُرَيْز[12]

= لأشعب الطامع أحد أبطال الفكاهة ، وكانت بينهما فى ذلك الفن منافسة شديدة . وقد مات أشعب سنة أربع وخمسين ومائة ، كما فى الأغانى (١٧ : ٨٣) . وفى عيون الأخبار (٢ : ٥٢) : « أبو حاتم عن الأصمعى عن نافع قال : كان القاصرى من أحمق الناس . فقيل له : ما حمقه ؟ ... قال : قال لى مرة : البحر من حفره ؟ وما حفر فأين طينه ؟ أترى أمير المؤمنين يقدر على أن يحفر مثله فى ثلاثة أيام ؟ » . وقد صنع فى أخباره كتاب من كتب أحاديث البطالين ، لا يعرف من ألفه . انظر ابن النديم ٤٣٥ . وانظر بعض أخباره فى البخلاء ١٧٧ والأغانى (٥ : ١٣٢) وأمالى القالى (٢ : ٢٤٢).
ط ، هـ : « العاصرى » س : « القاصرى » صوابه فى ل .

(١) ط ، هـ : « ابعثوها » ط ، هـ ، س : « وسلقوها » تحريف .

(٢) المعتفى : طالب المعروف . هـ : « والمقتفى » محرفة .

(٣) ط فقط : « يبست » . تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « فأرسل » بدل : « قال أرسل » .

(٥) يضج : يصيح . وفى ل : « فيصيح الوكيل » .

(٦) أغنت : كثر عشبها وشجرها . والوادى المغن : الخصب المعشب . وقالوا : قرية غناء : جمة الأهل والبنيان والعشب . ل : « أغنت » . هـ : « أعنت » محرفة .

(٧) الإقطاع : أن يعطيه قطعة من الأرض . فيما عدا ل : « اقتطعها » .

(٨) فيما عدا ل : « وإن » .

(٩) أدلج : سار من أول الليل . وادلج بتشديد الدال على الافتعال : سار من آخره .

(١٠) الثلمة ، بالضم : الفرجة . فيما عدا ل : « الخلة » !

(١١) استطاف : طاف ودار حول الشىء . ط ، هـ : « فأرسل يستضيف » صوابه فى ل ، س .

(١٢) المعقل : الحصن . ل : « أقرب من معقل أبى كرز » .

و إذا دخل حائطه دخل معه بجَذّافة ، فإذا رأى العصفورَ على القنا[1] رماه فيقع العصفورُ مَشوِيًّا على قُرْص ، والقُرْص كالعصفور[2] .

(العصافير الهبيرية)

و بحمص[3] العصافيرُ الهُبَيْرِيّة ، وهى تطعم على رفوف[4] . وتكون أسمَنَ من السُّمانَى . وأطيبَ من كل طير[5] . وهى تُهدَى إلى ملوكنا . وهى قليلةٌ هنالك .

(شعر فى نطق العصفور)

وقال الرّاعى :

ما زال يركبُ رَوْقَه وكَلْكَلَه   حتى استثار سَفاة دونها الثَّأَد[6]

(١) كذا على الصواب فى ط ، م . والقنا ، بالكسر وبالفتح : القنو ، وهو عذق النخلة بما فيه من الرطب . وفى ل ، س : « على القناة » . والقناة ، بالكسر : الساحة ، وليس لها هنا وجه . وموضع هذه الكلمة والحرف قبلها بعد كلمة : « رماه » فى جميع النسخ ما عدا ل .

(٢) القرص : قرص الخبز ، أى الرغيف . فيما عدا ل : « والقرص من هذا العصفور » .

(٣) حمص : إحدى مدن الشام . فيما عدا ل : « وبحمص » تحريف .

(٤) الرفوف : جمع رف ، وهو خشب يرفع عن الأرض إلى جنب الجدار يوقى به ما يوضع عليه . فيما عدا ل : « رفرف » وأصل الرفرف الرف يجعل عليه طرائف البيت .

(٥) فيما عدا ل : « طيب » . وله وجه .

(٦) الروق ، بالفتح : القرن . والكلكل : الصدر . والسفاة : التراب تسفيه الريح ، جمعه سفى . والثأد ، بالتحريك : الثرى . فيما عدا ل : « ويخلطه حتى استناد سفاها » تحريف . والبيتان فى صفة ثور وحشى .

حتى إذا تَلَقَّ العصفورُ وانكشفَتْ ... غَمَايةُ الليــل عنه وهو مُعتمِدُ[1]

وقال الراعي :

وأصْفَرَ مجدول من القِدِّ مارِنٍ ... يُلاثُ ببيِنْهِا فيُلْوى ويُطْلَقُ[2]

لَدَى ساعِدَىْ مَهْرِيَّةٍ شَدَنِيَّةٍ ... أُنِيخَتْ قليلا والعصافيرُ تنطِقُ[3]

(صيد العصافير)

قال : وتُصاد العصافيرُ بأهونِ حيلة . وذلك أنهم يسلون لها مِصْيَدَةً ،
٧٧ ويجعلون لها سَلَّةً[4] في صورة المِخْبرة التي يقال لها : اليهودية[5] ، المنكوسة الأنبوبة ؛ ثم يُنْزَل[6] في جوفها عصفورٌ واحد ، فتنقضُّ عليه العصافير ويدْخُلْن عليه ، وما دخل منها فإنه لايجد[7] سبيلاً إلى الخروج منها[8] .

---

(١) غماية الليل : ظلمته . وأصل الغماية السحابة الكثيفة المطبقة ، يقال غماية وغمامة . معتمد : يسرى طول الليل ، وأصله من قولهم « اعتمد فلان ليلته : إذا ركبها يسرى فيها » .

(٢) عنى بالأصفر المجدول زمام الناقة . القد : السير يقد من جلد غير مدبوغ . والمارن : اللين ، مرن الجلد : لان . يلاث : الوث اللى والى . ل : « وصقر ومجدول » صوابه في سائر النسخ . وفيما عدا ل : « من العد مارق ثلاث ببينها فيلوى ويبرق » تحريف صوابه في ل .

(٣) المهرية : الناقة المنسوبة إلى مهرة بن حيدان ، حى من أحياء العرب . والشدنية : المنسوبة إلى شدن ، وهو موضع باليمن ، أو رجل ، أو فحل كريم . فيما عدا ل : « سدنية » تصحيف . أنيخت : أبركت . ط ، هو : « تبلي » س « تبل » صوابهما في ل . وفي ط : « بليل » موضع : « قليلا » وفي سه ، هو « بليلا » صوابه في ل .

(٤) فيما عدا ل : « بنية » وأثبت ما في ل وأصل عيون الأخبار (٢ : ٩٥) . وفي العقد (٤ : ٢٦٣) : « شبكة » .

(٥) هو : « الهودية » .

(٦) ل : « يترك » . وفي عيون الأخبار : « يجعل » .

(٧) فيما عدا ل : « وما دخل منها لم يجد » .

(٨) ليست في ل ، سه وعيون الأخبار .

فيصيد الرجلُ منها في اليوم [الواحد[١]] المئين[٢] وهو وادع ، وهنّ أسرعُ إلى ذلك العصفورِ من الطير إلى البُوم[٣] إذا جُعِلن في المصائد[٤] .

ومتى أخذ رجل[٥] فراخ العصافير من أوكارها ؛ فوضعها في قفص بحيث[٦] تراها الآباء والأمهات ، فإنها تأتيها بالطُّعم على الخطر الشديد ، والخوف من الناس والسّنانير ، مع شدة حذرها ، ودِقّة حسّها[٧] . ليس ذلك إلا لبرّها بأولادها ، و[شدة] حبّها [لها] .

(القول في العقارب والفأر والسنانير)

نقول في العقارب والفأرِ والجرذان بما أمكن من القول[٨] . وإنما ذكرنا العقاربَ مع ذكرنا الفأر ، للعداوة التي بين الفأر والعقارب . كما رأينا أن نذكُرَ السّنانير في باب [ذكر] الفأر ، للعداوة التي بينهما .

فإن قلت : قد عرّفنا عداوة الفأر للعقرب ، فكيف تُعادى الفأرةُ السّنور ، والفأرة لاتقاوم السنّور[٩] ؟!

قيل : لعَمرى إن جِرذانَ أنطاكيَةَ لَتُساجِلُ السنانيرَ في الحربِ التي

---

(١) من ل وعيون الأخبار .
(٢) المئين : جمع مائة . فيما عدا ل : « المائتين » وفي عيون الأخبار : « مائتين » .
(٣) ط ، س : « وهي أسرع » . وفي ط : « إلى البر » هو « إلى البر » س . « إلى البرا » صوابه في ل .
(٤) كذا بالهمز . والوجه بالياء . وانظر ما سبق في (٤ : ٤٣ ، ١٤٢) .
(٥) فيما عدا ل : « الرجل » .
(٦) فيما عدا ل : « حيث » .
(٧) ط ، هو : « ورقة حنيها » بالراء . والوجه ما أثبت من ل ، س .
(٨) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « القول في الفأر والجرذان والسنانير والعقارب قال » .
(٩) فيما عدا ل : « لا تقاومه » .

بينهما ، ومايقوم لها ولايقوى عليها[١] إلا الواحد بعد الواحد . وهى بخراسان قوية جداً ، وربما قطعت أذن النائم[٢] .

وفى الفأر ما إذا عض قتل . أخبرني أبو يونس الشريطي[٣] أنه عاين ذلك .

وأما رأيتُ سنّوراً عندنا ساور[٤] جُرذاً فى بيت الحطب فأفلتَ الجرذُ منه وقد فقأ عينَ السنّور .

(قتال الحيوان)

والقتالُ يكونُ بين الدِّيَكة[٥] ، و[بين] الكباشِ والكلاب والسُّمانَى[٦] [والقبج] ، وضروبٍ مما يقبل التحريشَ ، ويواثبُ عند الإغراء .

(قتال الجرذان)

ويزعمون أنهم لم يَرَوا قتالا قطُّ بينَ بهيمتين [ولا سبعين] أشدَّ من قتال يكونُ بين جُرذين . فإذا ربط أحدُهما بطرَفِ خيطٍ ، وشدَّ رِجْل

(١) فيما عدا ل : « وما تقوم لها » ط ، هو : « وما تقدر عليها » س : « ولا تقدر » وأثبت ما فى ل .
(٢) ل : « الناس » .
(٣) فيما عدا ل : « أبوزيد يونس الشرطى » . ولم أعثر له على ترجمة .
(٤) ل : « واثب » .
(٥) الديكة ، بكسر الدال وفتح الياء : جمع ديك . فيما عدا ل : « الديك » تحريف .
(٦) السمانى ، بضم ففتح مع التخفيف ، قال الجوهرى : « ولا تقل سمانى بالتشديد » . وهو طائر من رتبة الدجاج وفصيلة التدرج وهو من الطيور القواطع ، تأتى إلينا فى شهر سبتمبر ، وتعود فى مارس وإبريل . واسمه عند العامة فى مصر « سمان » بكسر السين وتشديد الميم . وهى « السلوى » التى نص عليها القرآن الكريم . وهو بالإنكليزية : Quail وباللاتينية : Quaquila . ط : « السمانير » صوابه فى سائر النسخ .

الآخر[١] بالطَّرَف الآخر [من الخيط] فلهما عند ذلك من الخلب والخَمْش[٢] والعضّ ، والتنْييب[٣] والعِفاس[٤] ، ما لا يوجد بين شيئين من ذوات العِقار[٥] والهراش . إلا أن ذلك ما داما فى الرِّباط ، فاذا انحلّ أو انقطع[٦] ولّى كلٌّ واحد منهما عن صاحبه ، وهربَ فى الأرض ، وأخذ فى خلاف جهة الآخر[٧] . وإن جُعِلا فى إناء من قوارير[٨] . أعنى الجُرذَ والعقرب ، وإنما ذكرتُ القوارير ، لأنها لا تستر عن أعيُن الناس صَنيعَهما[٩] ، ولا يستطيعان الخروجَ ؛ لمَلاسة الحيطان . فالفأرة عند ذلك تختِلُ العقربَ .

---

(١) كلمة « رجل » ساقطة من ل . وقد سبق فى (٢ : ١٦٤) : « حتى يشد رجل أحدهن فى طرف خيط » .

(٢) الخلب ، بالخاء المعجمة : الخدش والجرح . فيما عدا ل : « الجلب » بالجيم ، تصحيف . والخمش ، بالخاء المعجمة : الخدش والجرح أيضا . فيما عدا ل : « والجمش » . وإنما الجمش المغازلة والملاعبة ، كالتجميش .

(٣) التنييب : إنشاب الأنياب . وفى حديث زيد بن ثابت : « أن ذئباً نيب فى شاة فذبحوها بمروة » . ط : « التثبيت » س ، هو : « التكبيت » صوابه فى ل .

(٤) العفاس ، بالعين بعدها فاء ، مصدر عافسه . وهو من العفس وهو أن يصرع الرجل الرجل . وقالوا : اعتفس القوم : اصطرعوا . ولم تنص المعاجم على عافسه عفاساً . فيما عدا ل : « والقعاس » . والذى فى المعاجم : تقاعسا بشعورهما ورءوسهما : تجاذبا وكذلك تقاعسا ، بتقديم القاف على العين . وفى ل : « والعقاس » بعين بعدها قاف ، صوابه بالفاء كما أثبت .

(٥) العقار : مصدر كالمعاقرة . انظر اللسان (٦ : ٢٧٥ س ٢١) . ل : « الغفار » لعلها « العفاس » التى فسرت فى التنبيه السابق ، أو لعلها مصدر لعفره . وهذا الفعل لم يذكر فى المعاجم . وعفره : ضرب به الأرض .

(٦) ط ، هو : « انحلا وانقطع » س : « انحلا وانقطعا » صوابه من ل . وفى (٢ : ١٦٤) : « فاذا انقطع الخيط وانحل العقد » .

(٧) فيما عدا ل : « فى الأرض وهرب كل واحد خلاف جهة الآخر » .

(٨) القوارير : جمع قارورة ، وهى ذلك الإناء الزجاجى . ل : « وإن جعل الفأرة والعقرب فى إناء من قوارير » . والجملة التى تليها ليست فى ل .

(٩) ل : « وإنما ذكرنا القوارير لأنه يستتر عن عيون الناس صنيعهما » .

فإن قبضَتْ على إبرتها قرَضَتها[1] ، وإن ضربتها العقربُ ضرباً كثيراً فاستنفدَتْ سمَّها[2] كان [ذلك] من أسباب حتفها .

(قتال العقارب والجرذان)

٧٨ ودخلت مرةً أنا وحَمْدان [بن] الصباح[3] على عبيد [بن] الشُّونيزي[4] فإذا عنده بَرْنيَّة زُجاج[5] ، فيها عشرون عقرباً وعشرون فأرةً[6] ، فإذا هي تقتتل[7] ، فخُيِّل لي أن تلك الفأرَ قد اعتراها ورمٌ من شدة وقْع السم . ورأيت العقاربَ قد كلَّتْ عنها وتاركتْها ، ولم أر إلا هذا القدارَ الذي وصفت.

وحدثنا عنها عبيدٌ بأعاجيبَ . ولو كان عبيدٌ إسناداً[8] لخبّرت عنه ، ولكنّ موضعَ البياض من هذا الكتابِ خيرٌ من جميع ما كان لعبيد[9]

(تدبير الجرذ)

وللجُرذِ تدبيرٌ في الشيء يأكلُه أو يحسُوه ، فإنه ليأتي القارورةَ الضَّيِّقةَ

---

(١) قرضتها : قطعتها . فيما عدا ل : « قرصتها » بالصاد المهملة . تحريف .

(٢) س : « استنفلت » تصحيف . وفيما عدا ل : « منها » موضع : « سمها » . تحريف .

(٣) ذكره الجاحظ في البخلاء ١٠٠ : « حمدان بن صباح » . فيما عدا ل : « حمدان الصباح » .

(٤) الشونيزي : نسبة إلى الشونيزية ، بالضم ثم السكون ثم نون مكسورة : موضع ببغداد بالجانب الشرقي .

(٥) البرنية ، بالفتح ، قال ابن منظور : « شبه فخارة ضخمة خضراء . وربما كانت من القوارير الثخان الواسعة الأفواه » .

(٦) فيما عدا ل ، م : « فأرا » .

(٧) ل : « تقتتل » .

(٨) أي من يصح إسناد الخبر إليه . وفيما عدا ل : « أستاذا » .

(٩) ل : « ما كان فيه » .

الرأس ، فيحتال حتى يُدْخِلَ طرفَ ذَنَبِه في عُنقها . فكلَّما ابتلَّ بالدُّهن أخرجه فلطَعَه ، ثم أعاده ، حتى لايدعَ في القارُورة شيئاً .

ورأيتُ من الجرْذان أعجوبةً ، وذلك أن الصيادة لما سقطت عَلَى جُرَذٍ منها ضخمٍ ، اجتمعْن لإخراجه[1] وسلِّ عُنقِه من الصيَّادة ، فلما أعجزهنّ ذلك قرضْنَ[2] الموضِعَ المنضمّ عليه من جميع الجوانب ، ليتسع الخَرْقُ فيجذبْنه . فعجِبْتُ على نُحاتةٍ[3] لو[4] احتذَتُ بسكين عَلَى ذلك للوضع لظننْتُ أنه لم يكن يمكنني إلا شبيهٌ بذلك[5] .

وزعم بعضُ الأطباء أن السنورَ إنما يدفِنُ خُرْأه ثم يعودُ إلى موضعه فيشتمّه[6] فإن كان يجدُ من ريحه بعدُ شيئاً زاد عليه من التراب ، لأنّ الفأرةَ لطيفةُ الحِسِّ ، جيِّدةُ الشمّ ، فاذا وجدَتْ تلك الرائحة[7] عرفَتْها فأمعنَتْ في الهرب ، فلذلك يصنَع السنَّورُ ما يصنَع .

(فأرة سيل العرم)

ولا يشكُّ الناسُ أن أرضَ سَبَإٍ[8] وجنَّتَيها إنما خرِبتا حين دخلها

---

(١) فيا عدا ل : « اجتمعت على إخراجه » .
(٢) فيا عدا ل : « فلما أعجزهم ذلك قرضوا » .
(٣) النحاتة ، بالضم : البراية . فيما عدا ل : « نحالة » تحريف . وبعد هذه الكلمة في ط : « حيث يدخل طرف ذنبه فيه » وهي جملة مقحمة . وهي أيضاً في س ، هو ، وكلمة « حيث » فيهما « حتى » .
(٤) ط ، هو : « فلو » .
(٥) فيا عدا ل : « لا يكن إلا شبيه بذلك » لكن في س : « شبيه بذلك » . وأثبت ما في ل .
(٦) فيا عدا ل : « فيشمه » .
(٧) فيا عدا ل : « فإن وجدت تلك الريح » .
(٨) فيا عدا ل : « أرض بلد سبأ » .

سيلُ العرِم — والعرِم: المسنّاة[1] — وأن الذى فجّر للسنّاة ، وسبّب لدخول الماء [الفأرة] .

والسّيل[2] إذا دخل أخرَبَ بقدر قوّته . وقوّتُه من ثلاثة أوجه[3] : إما أن تدفعه ريحٌ فى مكان يَنْخُشُ فيه الريح[4] ، وإما أن يكون وراءه وفوقَه ماء كثير ، وإما أن يُصيب حَدُورًا عميقًا[5] .

(حديث ثمامة عن الفأر)

وأما حديثُ ثمامةَ فإنه قال : لم أرَ قطُّ أعجبَ من قتال [الفأر] ، كنتُ فى الحبْس وحدِى ، وكان فى البيت الذى أنا فيه جُحرُ فأر ، يقابلُه جُحر آخر ، فكان الجرذ يخرُج من أحد الجحرَين فيرقُص ويتوعّد ، ويضرب بذنبه[6] ، ثم يرفع صدره[7] ويهزُّ رأسه . فلا يزال كذلك [حتى يخرجَ الجرذُ الذى يقابله ، فيصنع كصنيعه . فبينا هما] إذ عدَا أحدُهما فدَخل جُحره[8] ، ثم صنع الآخرُ مثلَ ذلك . فلم يزل ذلك دأبَهما[9] فى الوعيد وفى الفِرار ، وفى التحاجز وفى ترك التلاقى . إلا أنى فى كل مرةٍ أظنُّ

---

(١) العرم : سد يعترض به الوادى ، لا واحد لها من لفظها ، ويقال واحدها عرمة . وسميت المسناة مسناة ، لأن فيها مفاتح الماء بقدر ما تحتاج إليه مما لا يغلب ؛ مأخوذ من قولك سنيت الأمر والشىء : إذا فتحت وجهه .

(٢) بعدها فيما عدا ل : « الذى » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « وقوة الماء تكون من ثلاثة أوجه » .

(٤) ل : « تتخفق فيه الريح » بقافين .

(٥) الحدور كرسول : مكان ينحدر منه . وانظر ٢٩ س ٥ .

(٦) ط : « ويصوب » س ، هو : « ويصوت » صوابه فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « ويرفع صدره » .

(٨) ط ، هو : « إذا عدا أحدهما دخل فى جحره » تحريف . والكلام من « إذ عدا » إلى « دأبهما » التالية ، ساقط من س . وانظر ما سبق فى (٢ : ١٦٥) .

(٩) بعدها فى ط ، هو « فلا يزال كذلك » .

للذى[١] يظهرُ لى من جدها[٢] واجتهادها ، وشدة توعُّدِها ، أنهما سيلتقيان بشىء[٣] أهونُهُ العضّ والخمْش ، ولا والله إن التقَيا قطُّ ؟ فعجبتُ من وعيدٍ دائمٍ لا إيقاعَ معه ، ومن فِرارٍ دائمٍ لاثباتَ معه ، ومن هرب[٤] لايمنعُ ٧٩
من المَودة ، ومن إقدامٍ لايوجبُ الالتقاء . [وكيف يتوعَّدُ صاحبه ويتوعدُه الآخر ؟ و بأىّ شىء يتوعدُه ، وهما يعلمان أنهما لايلتقيان أبداً ؟ فإن كان قتالهما] ليس هو إلا الصَّخَب والتَّنْبيب[٥] فلِمَ يفرُّ[٦] كلّ واحد منهما حتى يدخل جحره ؟ [وإن كان غير ذلك فأىّ شىء يمنعهما من الصَّدْمة ؟ وهذا أعجبُ]

(أطول الحيوان ذماء وأقصره)

وتقول العرب : « الضبُّ أطولُ شىء ذَماء[٧] » .

ولا أعلمُ فى الأرض شيئاً أقصرَ ذَماء ، ولا أضعَفَ مُنّة[٨] ولا أجدرَ أن يقتُله اليسير[٩] من الفأر[١٠]

---

(١) فيما عدا ل : « الفى » تحريف .

(٢) ط : « جدها » سه ، هو : « أحدها » صوابه فى ل .

(٣) فيما عدا ل : « لشىء » باللام .

(٤) فيما عدا ل : « فرار » .

(٥) التنبيب : الغش بالأنياب . ط : « التشبث » ل : « السب » سه ، هو : « والتثبيت » صوابهما ما أثبت . وانظر ما سبق فى ٢٤٧ التنبيه ٣ .

(٦) هو فقط : « يعد » تحريف .

(٧) الذماء : بقية الروح

(٨) المنة : القوة ، وزنا ومعنى . فيما عدا ل : « ميتة » تحريف .

(٩) ط ، سه : « ولا أحذر » ط ، هو « أن يقتل الصغير » سه : « أن يقتله الصغير » صوابه فى ل .

(١٠) ط ، هو : « الفار » بالغين ، صوابه فى ل ، سه .

(لعب السنور بالفأر)

ويبلغ من تحرُّزِهِ واحتياطه ، أنه يسكن السقوف(١) ، فربما فاجأه السِّنَّور وهو يريد أن يعبُر إلى بيته ، والسِّنَّور فى الأرض والفأرةُ فى السقف ، ولو شاءت أن تدخل بيتها(٢) لم يكن للسِّنَّور(٣) عليها سبيل ، فتتحيَّر ، فيقول السِّنَّور بيده كالمشير بيساره(٤) : ارجِع . فإذا رجعت أشار بيمينه أن عُدْ(٥) فيعود . وإنما يطلب أن تَعيا أو تَزْلَق أو يُدَارَ بها(٦) . ولا يفعل ذلك بها ثلاثَ مرّات ، حتى تسقط إلى الأرض ، فيثبَ عليها . فإذا وثَبَ عليها لعِبَ بها ساعةً ثم أكلها . وربما خلَّى سبيلها ، وأظهر التغافل عنها(٧) فتمعن فى الهرَب ، فإذا ظنّتْ أنها نجتْ وثَبَ عليها وثْبة فأخذها . فلا يزال كذلك كالذى يحبُّ أن يسخَرَ من صاحبه(٨) ، وأن يخدعه ، وأن يأخُذَهُ أقوى ما يكون(٩) طمعاً فى السّلامة ، وأن يُورِثَه الحسْرةَ والأسَفَ ، وأن يلذَّ بتنغيصه وتعذيبه .

وقد يفعل مثلَ ذلك العقابُ بالأرنب ، ويفعل مثل ذلك السِّنَّورُ بالعقرب(١٠) .

---

(١) فيما عدا ل : « ويبلغ من تحرزه واحتياطه أن يسكن السقف » .

(٢) ط ، هو : « بيتها » .

(٣) ل : « للفأر » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ليساره » محرف .

(٥) ل : « أى عد » .

(٦) يدار بها : يصيبها الدوار ، وهو شبه الدوران يأخذ فى الرأس . فيما عدا ل : « يدار بها » تحريف . وفى ط ، هو : « وتزلق » بالواو . وفى س : « أن يعيا أو يزلق » وهذه محرفة .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ط فقط .

(٨) فيما عدا ل : « بصاحبه » . يقال سخر منه وبه : هزئ . والأولى لغة الكتاب .

(٩) فيما عدا ل : « ما كان » .

(١٠) فيما عدا ل : « فى العقرب » وكلمة : « مثل ذلك » مؤخرة بعد : « العقاب » وبعد « السنور » فيما عدا ل .

(أكل الجرذان واليرابيع والضباب والضفادع)

وقال أبو زيد : دخلتُ على رُؤْبةَ فإذا هو يَمُلُّ جرذاناً[١]، فإذا نضجت أخرَجَها من الجمر[٢] فأكلها ، فقلت له : أتأكل الجرذان ؟! قال هي خيرٌ من اليرابيع والضِّباب . إنها عندكم تأكل التَّمْرَ والجُبْنَ[٣] والسويق [والخبز، وتحسُو الزَّيتَ والسمن] .

و[قد] كان ناسٌ من أهل سِيفِ البحر[٤] من شِقِّ فارس[٥] يأكلون الفأر والضفادع ، مَقُورةً ومملوحةً[٦] ، وكانوا يسمونها : جَنْك جَنْك[٧] ووَال وَال[٨] .

وقال أوسُ بنُ حجَر[٩] :

(١) يملها : يشويها في الملة ، بالفتح ، وهي الرماد الحار والجمر . مله يمله ملا في الرماد الحار وفي الجمر .

(٢) فيما عدا ل : « والخبزة » . وانظر التكملة التالية من ل . وقد سبق هذا الخبر في (٤ : ٤٤) .

(٤) السيف ، بالكسر : الشاطئ . س : « سيف البحرين » .

(٥) فيما عدا ل : « عمان » .

(٦) مقورة : مملوحة قد مقرت في الخل أي نقعت . والمقر : إنقاع السمك المالح في الماء . وفيما عدا ل : « وملحة » . ملح الشيء ، بالتخفيف : وضعه في الملح . وملحه بالتضعيف : كثر ملحه .

(٧) هي بالكتابة الفارسية : « گنگ » ومعناها : جميل ، مليح . انظر استينجاس ١١٠٠ . فيما عدا ل : « حية حية » تحريف .

(٨) وال ، بالفارسية ، بمعنى سمك كبير . استينجاس ١٤٥٣ . فيما عدا ل : « وأل وأل » تحريف .

(٩) من قصيدة له في ديوانه ، أولها :

تنكرت منا بعد معرفة لمى وبعد التصابي والشباب المكرم

لمى : أي يا لميس ، فرخم . وقبل البيت الآتي :

ترى الأرض منا بالفضاء مريضة معضلة منا بجمع عرمرم

صبحن بني عبس وأفناء عامر بصادقة جود من الماء والدم

وعليهم من كل سعد ورجلة وكل غيط بالمغيرة مقسم

لَحَيْتَهُمُ لَحْيَ العَصَا فَطَرَدْتَهُم إِلَى سَنَةٍ جِرْذَانُها لم تَحَلَّمِ[1]

يقال : تَحَلَّمَ الصبى : إذا بدأ فى السِّمَن ؛ فإذا زاد عَلَى المقدار قيل قد صَبَّبَ[2] ، [أى سَمِنَ سِمَنًا متناهيا] .

(مثل وشعر فى الجُرَذ)

ويقال : « أَسْرَق من زَبَابَة[3] » . والزَّبَابة : الفأرة[4] . ويقال : « أسرق من جُرَذ » .

---

(١) يقال : لحا العود يلحاه لحيا ، إذا قشره ، ومثله : لحاه يلحوه . وفى الأصل : « لحيتهم » صوابه فى الحيوان والمخصص (١ : ٣٢ ، ٢ : ٧٨) ، وشرح الأنبارى للمفضليات ص ٥٠ ولسان العرب (١٥ : ٣٧ ، ٢٠ : ٤ ، ١٠٨) . ويروى : « لحوتهم » . و« فطردتهم » هى فى الأصل بالحاء ، صوابها فى المصادر السابقة . ويقال : تحلم الصبى والضب واليربوع والقراد : أقبل شحمه واكتنز . ويروى : « قردانها » جمع قراد . قال الأنبارى : « وإنما خص الجرذان لأنها تدخر لأنفسها ما تأكل . ولا يفعل ذلك شىء من الدواب إلا الجرذان واليرابيع والنمل ، فذلك خصها . يصف جدبها فيقول : إذا لم تحلم الجرذان التى تدخر لأنفسها — أى لم تسمن — فغيرها هالك » .

(٢) فيا عدا ل : « فاذا زاد على ذلك قيل قد صب » تحريف .

(٣) الزبابة ، بفتح الزاى وباءين موحدتين بينهما ألف ، تحدث عنها الجاحظ فى (٤ : ٤٠٩) وهى دابة تشبه الفأرة . وانظر (١ : ٢٦٨ و٣ : ٥١٠) . واسمه عند العلماء الأوربين Crocidura وبالإنكليزية Shrew . والمثل عند الميدانى (١ : ٣٢٢) . ط ، ه : « زبابة » فى هذا الموضع والذى يليه ، وهى على الصواب الذى أثبت فى ل ، س .

(٤) كذا . والصواب أنه ضرب من آكلة الحشرات . وأما الفأر فهو من القوارض . وبينهما تقارب فى الشكل فحسب . انظر معجم المعلوف ص ٢٢٧ .

وقال أنسُ بن أبي إياس[1] لحارثةَ [بن] بدرٍ[2] حينَ وليَ أرضَ سُرّق[3] :

أحارِ بن بَدْرٍ قد وليتَ ولايةً   فكنْ جُرَذاً فيها تخونُ وتَسْرِقُ[4]
وبَاهِ تميماً بالغِنَى إنّ لِلْغِنَى   لساناً به المرءُ الهَيُوبَةُ ينطِقُ
فإنّ جميعَ الناسِ إمّا مكذِّبٌ   يقولُ بما تَهوى وإمّا مصدِّقُ[5]
يقولون أقوالاً ولا يحكمُونَها   وإن قيلَ هاتوا حقِّقوا لم يحقِّقوا
فلا تحقِرَنْ يا حارِ شيئاً أصبتَه   فحظُّكَ من مُلْكِ العراقينِ سُرَّقُ[6]

فلما بلغَتْ حارثةَ بنَ بدرٍ قال : لا يعمَى عليكَ الرُّشْدُ[7] .

---

(١) هو أنس بن زنيم بن محمية بن عبد بن عدى بن الديل بن بكر بن كنانة . وقال صاحب المؤتلف ٥٥ : « شاعر مشهور محقق » . وأبو إياس كنية أبيه . وعند الآمدى : « ابن أبي أناس » . وفى أمالى المرتضى (٢ : ٥٠) : « أنس ابن أبي أنيس ، ويقال ابن أبي إياس الدئلى » . وانظر سبب النزاع بينه وبين حارثة فى الأغانى (٢١ : ١٥) :

(٢) سبقت ترجمته فى (٣ : ٢٢) .

(٣) سرق ، بضم أوله ، وفتح ثانيه وتشديده ، وآخره قاف : إحدى كور الأهواز .

(٤) ل : « وليت إمارة » .

(٥) ه وكذلك فى (٣ : ١١٦) : « بما يهوى » . والبيت ساقط من ب .

(٦) فيما عدا ل : « شيئاً وليته » و : « من أرض العراقين » . والأبيات فى العقد (٢ : ٥٥) وزهر الآداب (٤ : ٥٨) ومعجم البلدان (سرق) والأغانى (٢١ : ٢٣) منسوبة إلى أبي الأسود الدؤلى . وهى فى أمالى المرتضى (٢ : ٤٩ — ٥١) وعيون الأخبار (١ : ٥٨) منسوبة إلى أنس . قال المرتضى أيضاً : « وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدؤلى » . وانظر محاضرات الراغب (١ : ٨٢) .

(٧) فيما عدا ل : « لا يعفى » . وما أثبت من ل يوافق ما فى عيون الأخبار . وجاء فى رثاء جارية لمن تهواه (انظر العقد ٢ : ١٧٩) :

يا ساكن القبر الذى بوفاته   عميت على مسالك الرشد

(طلب كثرة الجرذان)

قال : ووقفت عجوزٌ عَلَى قيس بن سعد[١] ، فقالت : أشكو إليك قِلَّة الجرذان . قال : ما ألطفَ ما سألتِ ! [لأملأنّ بيتك جِرْذانًا] . تذكر أنّ بيتها قفْرٌ من الأُدَم والمأدوم[٢] ، فأكثِرْ لها يا غلامُ من ذلك .

قال : وسمعت قاصًّا مدينيًا[٣] يقول فى دعائه : اللهمّ أكثِرْ جِرذاننا وأقِلّ صِبياننا[٤] .

(فزع بعض الناس من الفأر)

وبين الفأرِ وبينَ طباعِ كثير من الناس منافرةٌ ، حتى إنّ بعضهم لو وطِئ عَلَى ثعبان ، أو رُمِىَ بثُعبان — لكان الذى يدخله من المكروه والوَحْشَةِ والفزَع ، أيسرَ مما يدخُله من الفأرة لو رُمِىَ بها ، أو وطِئ عليها .

وخبرنى رجالٌ من آل زائدة بن مقسم ، أن سليمان الأزرق دُعِىَ

---

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصارى الخزرجى ، صحابى جليل ، كان سخياً كريماً داهية . وانظر البيان (٣ : ٢٥٦) . وقد خدم الرسول الكريم عشر سنين ، وكان بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير . ويروى عنه أنه قال : « لولا الإسلام لمكرت مكرا لا تطيقه العرب » . وكان على قد ولاه مصر ، فاحتال عليه معاوية فلم ينخدع ، فاحتال على أصحاب علىّ حتى حسنوا له تولية محمد بن أبى بكر ، فولاه مصر ، وارتحل قيس فشهد مع على صفين . ومات فى آخر خلافة معاوية . انظر الإصابة ٧١٧١ .

(٢) الأدم ، بالضم : ما يؤكل مع الخبز . والمأدوم : الخبز يخلط بالأدم . وأنشد ابن برى :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريدُ

(٣) المدينى : نسبة إلى مدينة الرسول . فيما عدا ل : « مدنياً » . وانظر كلام ياقوت فى هذه النسبة .

(٤) فى عيون الأخبار (٢ : ١٢٩) : « اللهم أقل صبياننا وأكثر جرذاننا » .

حيّةً شَتْنَاءَ[1] قد صارت في دارهم، فدخلت في جُحر، وأنّه اقتضبها قضبا حتى قبضَ على ما ألقى منها[2]، ثم أدارها على رأسه كما يُصْنَع بالمِخراق[3]، وأهوى بها إلى الأرض ليضربها بها[4]، فابذعرّت[5] من حِضْنها فأرة كانت تزدردها. فلما رأى الفأرةَ هرَب وصرخ صرخة. قالوا: فأخذ مشايخنا الفِتيانَ بإخراج الفأرة وتلك الحيّة الشتناء إلى مجلس الحيّ[6] ليعجّبوهم من إنسانٍ قتلَ هذه وفرّ من هذه.

(علة نتن الحيات)

وسألتُ بعضَ الحوّائين ممن يأكلُ الأفاعيَ فما دونها[7]، فقلت: ما بالُ الحيات مُنتنةَ الجلود والجُرُوم[8]؟ قال: أما الأفاعي فإنها ليست بمنتنة[9]، لأنها لا تأكل الفأر[10]، وأما الحيّات عامة فإنها تطلبُ الفأرَ طلبا شديدا. وربما رأيتُ الحيّةَ وما يكونُ غلظها إلا مثل [غلظ] إبهام

---

(١) ط، هـ: «حيا بها شفاء»، س: «حيى بحية شفاء»، صوابهما في ل.

(٢) ألقى: رمى. فيما عدا ل: «ما بقي منها».

(٣) المخراق: منديل أو نحوه يلوى فيضرب به، أو يلف فيفزع به، وهو لعبة يلعب به الصبيان. ط، س: «بالمخلاف» و«بالمخلاف»: مخلاف السانية تلح به، وهو أيضا «السوط» بلغة يمانية، عن الأصمعي. قال الكلب العباني:

تكاد إذ حرك مجدافها تنسل من مثناتها واليد

لما فيها له وجه. هو: «بالمخاف» تصحيف.

(٤) فيما عدا ل: «ليضرب بها».

(٥) ابذعرت: أسرعت. ابذعر الشيء: تفرق.

(٦) فيما عدا ل: «القوم».

(٧) ط: «مما دونها» صوابه في سائر النسخ. وفيما عدا ل زيادة: «حية رقية» بعد كلمة «الأفاعي».

(٨) الجروم: جمع جرم، بالكسر، وهو الجسد. ط، هو: «الجلوم» باللام. س: «الحلوم» تصحيف.

(٩) ط، هو: «منتنة» بعينه.

(١٠) الفأر: جمع فأرة. فيما عدا ل: «الفأرة».

السكبير[١] ، ثم أجدُها قد ابتلعت الجرذَ أغلظَ من الذّراع . فأنكرَ[٢] نَحْنَ الحيَّات إلا من هذا الوجه . ولم أر الذى قال قولا .

(رجز فى الفأر)

ودخل أعرابىٌ بعضَ الأمصار[٣] ، فلقِيَ من الجِرذان جَهداً ، فرجز بها[٤] ودعا عليها ، فقال :

يُحجِّلُ . الرحمنُ بالعقاب[٥] لعامراتِ البيت بالخراب[٦]
حتى يُعجِّلْنَ إلى التباب[٧] كُحْلٍ العيونِ وقُصٍ الرقاب[٨]
مُستبطاتٍ خلفةَ الأذنابِ[٩] مثل مَدَارِى الحُصُنِ السلاّب[١٠]

---

(١) أى إبهام الرجل السكبير . ط : « الإبهام السكبير » .

(٢) فيا عدا ل : « وأنكر » .

(٣) ط ، س : « مثل قول أعرابى ودخل بعض الأمصار » . هو : « من قول أعرابى بعض الأمصار » وأثبت ما فى ل . وفى ديوان المعانى (٢ : ١٥١) : « دخل أعرابى البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر » .

(٤) رجز بها : أى قال فيها رجزاً . فيا عدا ل : « فوجد بها » وليست تصح ؛ فإنهم يقولون : إنه ليجد بفلانة وجداً شديداً إذا كان يهواها ويحبها حباً شديداً ، ويقولون فى الغضب وجد عليه يجد .

(٥) الرواية فى (٤ : ٢٧٤) : « يا حبل الرحمن » . وفى ديوان المعانى ونهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) : « عجيل رب الناس » . وفى ل : « لم يعجل » وعله محرفة .

(٦) فى ص ٢٤ من هذا الجزء . وكذا فى (٤ : ٢٧٤) : يقول : « هذا عمارتها » .

(٧) ل : « حتى تعجلن » . وفى نهاية الأرب : « إلى التباب » . والتباب : الهلاك .

(٨) كحل : جمع كحلاء ، وهى الشديدة سواد العين ، أو التى كأنها مكحولة . وقص : جمع وقصاء ، وهى القصيرة العنق ، وضم القاف للشعر ، ط : « قصر » . هو : « وقصر » صوابه فى ل ، س وديوان المعانى ، ونهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) .

(٩) الخلفة : ما يكسر : ما يخلف الشىء . س : « مستبطات خلقة » محرف . ل : « خلفها » صوابه فى ط ، س . وفى ديوان المعانى : « مجردات أجيل الأذناب » ونهاية الأرب : « مجرورات أفضل الأذناب » .

(١٠) المدارى : جمع مدرى ، وهو المشط ، كالمدراة ، والمدرية بفتح الميم وتخفيف الياء جمعه مدار ومدارى كصحارى . والحصن : جمع حصان ، ككتاب ، وهى المرأة العفيفة . ل : « الحفن » بالمعجمة ، ولا وجه له . ورواية السكرى والنوروى : « مثل مدارى الطفلة الكعاب » .

ثم دعا عليهن بالسِّنَّور فقال :

أهوَى لهن أنمرُ الإهابِ(١)   منهرتُ الشِّدْقِ حديدُ النابِ(٢)

كأنما يُرثَنَ بالحِرابِ(٣)   ٨١

(التشبيه بالجرذان)

وتُوصَف عضلُ الحفّار والماتح(٤) [و] الذي يعمَل في المعادن ، فتُشبَّه(٥) بالجِرذان ، إذا تفلّقَ لحمه عن صلابة(٦) ، وصار زِيَماً(٧) . قال الرّاجز :

أعدَدتُ للوِردِ ، إذا الوِرْدُ حفَزْ(٨)   غَرْباً جَرُوراً وَجُلالاً خُزَخِزْ(٩)

---

(١) الإهاب ، بالكسر : الجلد . والأنمر : ما على شبه النمر ، فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء . س ، هـ : « نمر » محرفة . وعند النويري والعسكري : « كيفه لها بأنمر وثاب » .

(٢) منهرت الشدق : واسعه . والحديد : الحاد .

(٣) يرثن ، أراد جعلت له براثن ، وهي أظفار المخالب ، يقول : كأن براثنه الأنفاق . ولم أجد هذا الفعل في المعاجم . وفي ديوان المعاني ونهاية الأرب : « كأنما يكثر من حراب » أي يبدي من أنياب مثل الحراب .

(٤) الماتح : الذي ينزع الماء من البئر . والعضل : جمع عضلة ، وهي كل عصبة معها لحم غليظ . فيما عدا ل : « ويوصف عضو » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « فيشبه » .

(٦) ضمير « لحمه » للحفار وما بعده . فيما عدا ل : « إذا انفلق » .

(٧) زيما ، بكسر الزاي وفتح الياء : متفرقا ليس بمجتمع . فيما عدا ل : « فصار ريما » تحريف .

(٨) الحفز : الحث والإعجال . هـ : « حفزه » تصحيف .

(٩) الغرب : الدلو العظيمة . والجرور من الجر ، عنى أنها طويلة الرشاء لبعد المستقى . س : « جزوراً » تصحيف . والجلال ، كغراب : الجليل العظيم ، عنى به البعير . والخزخز ، بضم ففتح فكسر : القوي الشديد . هـ : « وجلاليا جرز » س : « وجلاليا جرز » وصوابه في ل ، ط واللسان (٧ : ٢٦٢).

وماتِحًا لاينثنى إذا احتجز[1] كأنّ جوفَ جلدِه إذا احتفز[2]
فى كلّ عضو جُرَذَين أو خُزَز[3]

والخُزَز: ذكر [الأرانب و] اليرابيع .

(أنواع الفأر)

والزَّبابُ، والخُلْدُ[4]، واليرابيع، [والجرذان، كله فأر . ويقال لولد اليرابيع دِرص وأدراص . والخلد أعمى . لايزال كذلك . والزَّبابُ] أصمُّ . لايزالُ كذلك . وأنشد[5] :

وهمُ زَبابٌ حائرٌ لاتسمعُ الآذانُ رَعْدا

هكذا أنشدونا[6] .

(شعر وخبر فى الفأر)

وأنشد الأصمعى لمزرِّد بن ضِرار[7] ، فى تشبيه الجرع فى حُلوق الإبل

---

(١) الماتح : الذى يجذب رشاء الدلو من أعلى البئر . احتجز : شد إزاره على حجزته . والحجزة : معقد الإزار .

(٢) احتفز : استحث واجتهد . فيما عدا ل : « احتجز » تحريف .

(٣) جرذان : مثنى جرذ . فيما عدا ل : « جرذان » ، وأثبت ما فى ل . وهو اسم « كأن » مؤخر ، وخبرها المقدم « جوف » الواقعة ظرفا . هـ : « أو حرز » تصحيف .

(٤) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر . وبلغة العلماء الأوربيين : Spalax typhlus وبالإنجليزية Mole rat أو : Blind rat ليس له أذنان ولا عينان فى الظاهر . ومنه نوع مصرى يسمونه : « أبو أعمى » وأكثر وجوده فى الجهات الشمالية فى نواحى مريوط . انظر المعلوف .

(٥) البيت للحارث بن حلزة اليشكرى ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٩٥ — ٩٦) واللسان (زبب) والأغانى (٩ : ١٧٤) فى أبيات للحارث ، وحماسة البحترى ٢٤٥ والميدانى (١ : ٣٢٢) فى مثل : « أسرق من زبابة » . وانظر الحيوان (٤ : ٤١٠) والفصول للمعرى ١٠ وأدب الكاتب ١٥٣ والاقتضاب ٣٥٥ .

(٦) هذه العبارة ساقطة من ل .

(٧) مزرد بن ضرار ، سبقت ترجمته فى ٦٣ . ط : « لمزرد بن بدر ضرار » بإقحام كلمة « بدر » . هـ : « لمزرد بن بدر » بإقحام « بدر » وبإسقاط « ضرار » . والوجه ما أثبت من ل ، س .

بجُثمان الزُّهب(١) — وهو الشكل الذى وصفناه — فقال فى وصف ضيف(٢) له سقاه، فوصف جرعه :

فقلتُ له اشْرَبْ لو وجَدْتَ بهازِرًا ... طِوالَ الذُّرى من مُفْرِهاتٍ خناجرِ(٣)

ولكنما صادفتَ ذَوْدًا منيحةً ... لِمثلِكَ يأبى القِرى غيرَ عاذرِ(٤)

فأهوَى له الكفّينِ وامتدّ حلقُه ... بجَرْعٍ كأثباجِ الرِّبابِ الزّنابرِ(٥)

وقال أعرابىٌّ وهو يطنُز بغريم(٦) [له]، ويذكر قرض الفأر

---

(١) الحلوق : جمع حلق . والجثمان : الجسم . فيما عدا ل : « فى حلق الإبل » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « وصيف » تحريف .

(٣) البهازر : بتقديم الزاى على الراء : جمع بهزرة ، بضم الباء والزاى ، وهى الناقة الجسيمة الضخمة الصفية . ط ، هو : « بهازرا » ، ل ٣٠٠ : « بهادوا » وهما تصحيف ما أثبت . والذرى : أعالى أسنمة الإبل . والمفرهات : التى تنتج الفره . والفره : جمع فاره ، وهو النشيط الحاد القوى . يقال أفرهت الناقة ، فهى مفره ومفرهة . والخناجر : جمع خنجر وخنجرة ، بفتح الخاء ، وهى الناقة الغزيرة . فيما عدا ل : « من مرهفات الخناجر » تحريف .

(٤) الذود ، بالفتح : الجماعة من الإبل . فيما عدا ل : « دور » تحريف . والمنيحة : منحة اللبن ، الناقة أو الشاة ، تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك . ل : « تأبى » . فيما عدا ل : « غادر » .

(٥) أثباج : جمع ثبج ، بالتحريك ، وهو معظم كل شىء ، ووسطه ، وأعلاه . وثبج الظهر : معظمه ، وما بين عالى الضلوع . والرباب ، بالفتح ، سبق الحديث عنه فى ٢٦٠ . والزنابر : جمع زنبور ، وهو الفأر العظيم . وأنشد صاحب اللسان (٥ : ٤٢٠) بيتاً يشبه شبيها جدا . وهو :

فأتبع كفيه وأجنح صدره ... بجرع كأثباج الرباب الزنابر

وفى أصل اللسان : « كأثباج » محرف . فيما عدا ل : « فأهوى له » . س : « بجرع » هو : « كأثباج » ط : « الرباب » ط ، هو : « الفنابر » . والكلمات الأربع الأخيرة محرفة .

(٦) الطنز : السخرية ، طنز به يطنز ، كيكتب ، فهو طناز . قال الجوهرى : أظنه مولدا أو معربا . فيما عدا ل : « يمكر بلوم » تحريف .

الصّكاك عند فراره منه : «الزم الصّكّ لا يقرضه الفأر[1] !» تهزّؤًا به[2] :

أهْوَنْ عليّ بسيّارٍ وصَفْوَتِهِ ... إذا جعلتُ ضِرارًا دُونَ سيّارِ[3]

التّابعي ناشرًا عندي صحيفتَهُ ... في السوق بينَ قطينٍ غيرِ أبْرَارِ[4]

جاءوا إليّ غِضَابًا يَلْغطون معًا ... يَشْفي إراتَهمُ أنْ غابَ أنصاري[5]

لمّا أبَوْا جَهْرَةً إلا مُلازَمَتي ... أجْمَعْتُ مكرًا بهم في غير إنكارِ

وقلتُ إنّي سيأتيني غدًا جَلَبي ... وإنّ موعدكم دارُ ابنِ هبّارِ[6]

---

(١) هذه ترجمة ترجم بها الجاحظ ما سيأتي في البيت الثامن ، من القصيدة التالية . وصاحب الشعر الآتي الذي عبر عنه الجاحظ بكلمة « أعرابي » هو صخر بن الجعد الخضري ، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، سبقت ترجمته في (٤ : ٢٢٨) . وكان من خبره في هذا الشعر ما روى أبو الفرج في الأغاني (١٩ : ٦٨) ، قال : « قدم صخر بن الجعد الخضري المدينة ، فأتى تاجرا من تجارها ، يقال له سيار ، فابتاع منه بزا وعطرا ، وقال : تأتينا غدوة فأقضيك ! وركب — أي صخر — من تحت ليلته فخرج إلى البادية . فلما أصبح سيار سأل عنه ، فعرف خبره ، فركب في جماعة من أصحابه في طلبه ، حتى أتوا بئر مطلب ، وهي على سبعة أميال من المدينة ، وقد جهدوا من الحر ، فنزلوا عليها فأكلوا تمرا كان معهم ، وأراحوا دوابهم وسقوها . حتى إذا برد النهار انصرفوا راجعين ! ! وبلغ الخبر صخر بن الجعد ، فقال ... » وأنشد الشعر .

(٢) التهزؤ : السخرية ، يقال هزئ به ، وهزأ ، وتهزأ ، واستهزأ . وهذه العبارة ساقطة من ل .

(٣) الصفوة : خالص الأصدقاء . ل : « وصفوته » والمعروف « الصافية » وهم الذين يميلون مع المرء في حوائجهم . هـ : « وصفوتة » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « التالي » تحريف . والقطين : الأتباع . س : « غير أبزاز » تحريف .

(٥) يلغطون : من اللغط ، وهو الجلبة . فيما عدا ل : « حانقا يلغطون بها » صوابه في ل وعيون الأخبار (١ : ٢٥٤) . والإرات : جمع إرة بكسر ففتح ، وهي النار . وفي الأصل : « تشف آناتهم » . وفي عيون الأخبار : « يشفي أناتهم » . وصوابهما ما أثبت يقول : لقد شفا غليلهم غيبة أنصاري عني . ط : « إذ غاب » صوابه في سائر النسخ وعيون الأخبار .

(٦) الجلب : ما يجلب . فيما عدا ل : « أن يحماس » س : « عدا خل » وفيما عدا ل : « موردكم » هـ : « دارين هبار » صوابه ما أثبت من ل وعيون الأخبار .

وما أُواعِدُهم إلا لأَرْبُثَهُمْ عنى فيُخْرِجُنى نقضى وإمرارى (١)

وما جَلَبْتُ إليهم غير راحلة تخدى برحلى وسَيفٍ جَفْنُه عارى (٢)

إنّ القضاء سيأتى دونه زَمَنٌ فاطوِ الصحيفةَ واحفظها مِنَ الفارِ

[وصَفْقةٍ لايقال الربحَ تاجرُها وقعتُ فيها وقوع الكلبِ فى النار (٣)]

والعرب تعيبُ الإنسانَ إذا كان ضيقَ الفم، أو كان دقيقَ الخطم، ٨٢

[يشبّهون ذلك بفم الفأرة]. وقال عَبْدَة بن الطبيب (٤) :

ما يمَ أنكَ يومَ الوِرْدِ ذُو لَغَطٍ ضَخْمُ الجُزَارَةِ بالسَّلْمَيْنِ وَكّار (٥)

---

(١) الربث : حبسك الإنسان عن حاجته وأمره بعلل، ... عنه من أمره وحاجته يربثه بالضم ربثا. ... : «لأربثهم». والربث : ... وفي الأغاني : «وما أواعدهم إلا لأدهمهم». ط : «لأثبتهم»، هـ : «لأربيهم»، وهما تحريفان. والنقض : نقض الفتل. والإمرار : إجادة فتل الحبل. يقول : إنه يخدعهم باللين تارة، وبالشدة تارة أخرى. فيما عدا ل : «وإمراري» ... صوابه في ل وعيون الأخبار والأغاني.

(٢) تخدى : تسرع. فيما عدا ل : «تخدى برحل» تحريف، صوابه في ل وعيون الأخبار. وفي الأغاني : «وفيه رحل».

(٣) أقاله البيع إقالة : فسخه. وهذا البيت لم يرو في غير ل من جميع المصادر.

(٤) عبدة بن الطبيب، واسم الطبيب يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد نهم بن جشم بن عبد شمس. شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم، وشهد مع المثنى بن حارثة قتال هرمز سنة ١٣. وكان في جيش النعمان بن مقرن الذين حاربوا الفرس بالمدائن. انظر المفضليات (١ : ١٣٢ طبع المعارف). وعبدة، بسكون الباء. انظر الحيوان (١ : ٤٢٠ س ١١). وهو يهجو بهذا الشعر «حي بن هزال وبنيه» كما في البيان (١ : ٩٥).

(٥) ما في أول البيت زائدة. وزيادتها في أول الكلام نحو زيادة «لا» في قول الله : «لا أقسم بيوم القيامة» عند من رأى ذلك. انظر أمالي ابن الشجري (١ : ٢٧٠، ٢ : ٢٣٠، ٢٣٢). فيما عدا ل : «يا مع» صوابه في ل وأمالي ابن الشجري ونوادر أبي زيد ٤٧. واللغط : الجلبة. ورواية أبي زيد : «ذو جرز» بتقديم الراء. والجرز : القوة. والجزارة، بالضم، قال أبو زيد : القوائم، يعني بها يديه ورجليه. والسلم بالفتح : الدلو. والوكار : من وكر الدلو والسقاء والقربة والمكيال وكراً : ملأه. والوكار أيضاً : العدّاء، ومنه ناقة وكرى : إذا كانت شديدة العدو. فيما عدا ل : «ميرار».

تَبكِى الوليدةَ فى النادِى مؤتزرًا　　فاحلُبْ فإنك حَلَّابٌ وصَرّارُ(١)
ما كنتَ أولَ ضَبٍّ صابَ تَلْعَتَهُ　　غيثٌ فأمرَعَ واسترخَتْ به الدارُ(٢)
أنتَ الذى لا نُرجِّى نَيْلَهُ أبدًا　　جلدُ النَّدَى، وعِنْدَ الرَّوعِ خوّارُ(٣)
تَدعو بُنَيَّيْكَ عَبَّادًا وحِذْيَمَةً　　يا فأرةً شَجَّها فى الجُحْرِ مِخْطَارُ(٤)

(شعر أبى الشمقمق فى الفأر والسنور)

وقال أبو الشَّمَقْمَق(٥) فى الفأر والسِّنَّور :

ولقد قلتُ حينَ أقفَرَ بيتى　　من جِرابِ الدَّقيقِ والفَخّارَه
ولقد كان آهِلاً غيرَ قَفْرٍ　　مُخْصِباً خيرُه كثيرَ العِمارَه
فأرى الفأرَ قد تجنّبْنَ بيتى　　عائذاتٍ منهُ بدارِ الإمارَه(٦)
ودَعا بالرَّحيلِ ذِبّانُ بيتى　　بينَ مقصوصةٍ إلى طيّارَه
وأقامَ السِّنَّورُ فى البيتِ حَولاً　　ما يَرى فى جوانبِ البيتِ فارَه
يُنْغِضُ الرأسَ منهُ من شدّةِ الجو　　عِ وعيشٍ فيه أذًى ومَرارَه(٧)

(١) أى يبكى الجارية موثقة الحلب . ط ، هو : « تلقى » صوابه فى ل ، س . والنادى : مجمع القوم ، وهو بالتخفيف . وقد شدده كما ترى . أو لعلها محرفة من كلمة أخرى . والصرار : الذى يصر الضرع ويشده بالصرار لئلا يرضعها ولدها أو يحلبها حالب ، وذلك أجمع للبنها .

(٢) التلعة ، بالفتح : ما ارتفع من الأرض . وصابها الغيث : أمطرها . فيها عدا ل : « صب » بالمهملة . و : « استرخت » محرفان . وفى النوادر : « واسمعلت له » .

(٣) الخوار : الضعيف لا يقدر على الشدة . فيها عدا ل : « جى » بالياء ، و « فرار » .

(٤) بنييك : مثنى بنى ، وهو تصغير ابن . ل : « ابنيك » ط ، س والبيان : « بنيك » وأثبت الصواب من هو . س : « عباد وحديمة » هو : « وحذيمة » تحريف . وفيما عدا ل : « يا فارة » . شجها أى شج الفأرة . شج رأسه يشجه : كسره . والخطار والمخطر والمخطرة : المسحاة ونحوها مما يخطر به .

(٥) سبقت ترجمته فى : (١ : ٢٢٥) .

(٦) فيما عدا ل : « وقد تجنب » .

(٧) أنغض رأسه : حركه إلى فوق وإلى أسفل . وفى الأصل : « ينفض » تحريف . وانظر البيت الثامن فى ص ٢٦٦ .

قلتُ لمّا رأيتُه ناكسَ الرأ ... سِ كئيباً ، في الجوف منه حرارهْ
وَيْكَ صبْرًا فأنتَ من خير سفْرٍ ... رأتْهُ عيناي قطُّ بحاره(1)
قال : لا صبر لي ، وكيف مُقامي ... ببيوتٍ قَفْرٍ كجوف الحمارهْ(2)
قلتُ : سِرْ راشدًا إلى بيت جارٍ ... مُخصِبٍ رحلُهُ عظيمِ التجارهْ(3)
وإذا العنكبوتُ تغزِلُ في دَنٍّ ... وحُبٍّ والكوزِ والقرقارهْ(4)

(١) ويك : كلمة مثل ويب وويح ، والكاف للخطاب . مركبة من (وي) التي تقال على التعجب والكاف . أو هي ويل لك ، خففت بحذف اللامين . انظر اللسان (وي ، ويا) . وبحاره في ل : « قلت » . والحارة : كل محلة دنت منازلهم فهم أهل حارة . كذا في اللسان والقاموس . وفي شفاء الغليل ٧٥ : « قال الأزهري : كل محلة دنت منازلها فهي حارة » وفيه ص ٧٠ : « هي المحلة ، لأن أهلها يحورون إليها أي يرجعون » . وفي ل : « جارة » وفي س : « بجارة » وهذه مصحفة .

(٢) جوف الحمار ، مثل في الخلاء . ومنه قول امرئ القيس : « وواد كجوف العير قفر » وذلك أنه إذا صيد لم ينتفع بشيء مما في جوفه ، بل يرمى به ولا يؤكل . وانظر الميداني : (أخلى من جوف حمار) وثمار القلوب ٥٥ وشروح المعلقات . ل ، سه : « كجوف الحمارة » . والحمارة : التي يؤخذ عليها ، وهي للاتانة . اللسان (٧ : ١٠٠ س ٨) . وفي ط : « وسط بيت قفر » سه : « بيت » هو : « بيت » والأخيرة محرفة .

(٣) ط ، هو : « إلى بيت خان » سه : « خال » تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « كثير التجارة » .

(٤) الدن : الراقود العظيم ، وهو كهيئة الحب ، إلا أنه أطول ، مستوي الصنعة ، في أسفله كهيئة قونس البيضة . والحب ، بالضم : الجرة الضخمة . قال ابن دريد هو فارسي معرب . قال : وقال أبو حاتم : أصله حنب ، فعرب . وفي المعرب ١٢٠ أنه فارسي معرب مولد أصله « خنب » فقلبوا الخاء حاء وحذفوا النون فقالوا : « حب » . وفي معجم استينجاس ٤٧٦ عند تفسير « خنب » إنه وعاء من الفخار يجعل فيه الخمر أو الماء : « An earthen vessel for holding wine or water » والقرقارة ، بالفتح : إناء ، سميت بذلك لقرقرتها . وفي القاموس : « القرقار » بطرح الهاء . فيما عدا ل : « ينزل » . والعنكبوت مؤنث ، وقد يذكرها بعض العرب كقوله :

على هطالهم منهم بيوت ... كأن العنكبوت هو ابتناها

وقد حملوه على الشعر ، كقول أبي النجم :

ما يسدي العنكبوت إذ خلا

انظر اللسان (٢ : ١٢٣) . وفيما عدا ل أيضاً : « وحتى في الكوز » تحريف .

وأصابَ الجحامُ كلبي فأضحى ... بين كلبٍ وكلبةٍ عيَّارَه[1]

وقال أيضاً :

ولقد قلتُ حين أجحرنى البر ... دُ كما تُجحِرُ الكلابُ ثُعالَه[2]

فى بُيَيْتٍ من القَضَارةِ قَفْرٍ ... ليسَ فيـه إلا النوَى والنُّخالَه[3]

عَطَّلَتْهُ الجرذانُ مِنْ قِلَّةِ الخُبْزِ ... وطارَ الذُّبابُ نحو زُبالَه[4]

هارباتٍ مِنْهُ إلى كُلِّ خِصْبٍ ... جيدةً لَمْ يُرَجِّينَ مِنْهُ بلالَه[5]

٨٣ وأقام السِّنَّوْرُ فيـه بشَرٍّ ... يسأل الله ذا العُـلا والجلالَه

أن يرى فأرةً ، فلم يَرَ شيئاً ... ناكساً رأسَهُ لطول الملالَه

قلتُ لمّا رأيته ناكسَ الرأ ... س كئيباً يمشى عَلَى شرِّ حالَه

قلتُ صـبراً يا نازُ رأسَ السَّنا ... نير ، وعلَّلته بحُسْن مقالَه[6]

قال : لاصبرلى ، وكيف مُقامى ... فى قِفارٍ كمثل بِيـدِ تَبالَه[7]

لا أرى فيـه فأرةً أنغضُ الرأ ... سَ ومَشْيِي فى البيت مشى خَيالَه[8]

---

(١) الجحام ، بتقديم الجيم المضمومة على الحاء : داء يأخذ الكلب فى رأسه فيكوى ما بين عينيه . وفى الأصل : « الحجام » بتقديم الحاء ، تصحيف . فيما عدا ل : « فأمسى » . والعيَّارة : التى تذهب كأنها منفلتة من صاحبها تتردد .

(٢) ثعالة : علم الثعلب . أجحره : جعله يدخل فى جحره ، وهو بتقديم الجيم . وفيما عدا ل : « أحجرنى » بتقديم الحاء ، تصحيف .

(٣) القضارة ، بالفتح : الطين الحر ، وقيل الطين اللازب الأخضر . بييت : مصغر بيت . ط ، ه : « فى بييت » .

(٤) س ، ه « من قلة الخبز » . وزبالة : موضع بعد القاع من الكوفة .

(٥) البلالة ، بالضم : النَّدوة .

(٦) ناز : اسم السنور بالفارسية . ولفظه فيها : « نازو » . انظر استينجاس ١٢٧٢ . فيما عدا ل : « ويك صبراً فأنت » .

(٧) بيد : جمع بيداء ، وهى الفلاة . وتبالة ، بالفتح : بلد من أرض تهامة فى طريق اليمن .

(٨) أنغض رأسه : حركه إلى فوق وإلى أسفل ، أو حركه كالمتعجب أو كالمستنكر . وفى الكتاب : (فسينغضون إليك رءوسهم) . والخيالة ، كالخيال : ما تشبه لك فى اليقظة والحلم من صورة . وفى الأصل : « خباله » بالباء الموحدة . وليست فى المعاجم ، وإنما تعرف المعاجم « الخبال » بطرح الهاء ، وهو الجنون وفساد العقل . فيما عدا ل : « قد أراني أنغض الرأس جوعا ثم أمشى » .

قلت : سِرْ راشدًا غفر الله لك ولا تعدُ كُرْبُجَ البقالَه[1]

فإذا ما سمعت أنّا بخير في نعيم من عيشةٍ ومَنالَه[2]

فأتِنا راشدًا ولا تعدُونّا إن من جاز رحلنا في ضلالَه[3]

قال لى قولة : عليك سلامٌ غيرَ لِبْثٍ منه ولا بَطّالَه[4]

ثمّ ولّى كأنه شيخُ سَوءٍ أخرجوه من مَحبِسٍ بكفالَه[5]

وقال أيضاً :

نزل الفأرُ ببيتي رفقةٌ من بعد رفقَه[6]

حِلَقًا بعد قطارٍ نزلوا بالبيت صفقَه[7]

---

(١) حيّاه الله له : أعطاه ما هو خير له . وفى ل : « أو استغفر الله » واستغفار الله : طلب منه المغفرة . والكربج ، بضم الكاف وفتح الباء وضمها ؛ ويقال فيه أيضاً كربق ؛ و « كربق » بضم أولها وفتح الباء وضمها أيضاً ، وهو حانوت البقال . انظر المعرب ٢٦٢ . وأصله بالفارسية « كربه » بضم الكاف بمعنى الحانوت . استينجاس ١٠٢١ والمعرب ٢٨٠ . وأنشد الجواليقى :

لا فرس ما دام في السوق كاربج وما دام في رجل الميدان إصبع

والبقالة : مؤنث البقال ، أو جمع بقال ، وهو بائع البقل . وهو من النبات ما ليس بشجر . والتاء فى مثل هذا للدلالة على الجمع . ونحوه : بغالة وحمارة وجمالة ، للبغالين والحمارين والجمالين . انظر المخصص (١٦ : ١٠١) واللسان (٥٠ : ٢٩١) . وقد حقق الرضى هذه المسألة فى شرح الكافية (٢ : ١٥٢ س ١٨ — ٢٣) بأنها للتأنيث ، وأن الكلمة صفة لجماعة مقدرة ، كأنك تقول الجماعة البغالة والحمارة وهو تحقيق جيد . ط ، هو : « طلع البقاله » س : « كربج البقاله » ل : « كربج البقاله » وصوابه ما أثبت .

(٢) ط ، هو : « وإذا » وفيها عدا ل : « من نعيم فى عيشة » . والمنالة : مصدر نال ينال .

(٣) فيا عدا ل : « فى ضلاله » . والرحل ، هنا : مسكن الرجل وما يصحبه من الأثاث .

(٤) البطالة ، بالفتح : الهزل ، واللهو ، والجهالة . هو ، س : « قال لى قوله » .

(٥) المحبس : موضع الحبس . ط ، هو : « من مجلس » تحريف .

(٦) الرفقة ، مثلثة : القوم والجماعة ترافقهم .

(٧) حلقا ، بالتحريك وبكسر ففتح : جمع حلقة ، وهى كل شىء استدار كحلقة الحديد والذهب والفضة ، وكذلك هى فى الناس . انظر اللسان (١١ : ٣٤٦) . ط ، =

ابن عِرس رأس بيتي ... صاعدًا في رأس نبقه[1]
سيفُه سيفٌ حديدٌ ... شقّه من ضلع سِلقه[2]
جاءنا يطرُق بالليـــل ... فدقّ الباب دقّه[3]
دخل البيتَ جهارًا ... لا يدَعْ في البيت فِلقه[4]
وتترّس برغيف ... وصفَقْ نازُويَه صفقه[5]
صفقة أبصرتُ منها ... في سوادِ العين زُرقه
زرقة مثلَ ابنِ عِرس ... أغبشٌ تعلوهُ بُلقه[6]

وقال أيضاً :

أخذ الفأرُ برِجلي ... جَفَلوا منها خِفافِي[7]
وسراويلاتِ ســـوء ... وتبابينَ ضِعافِ[8]

= س : « خلقا » تصحيف . والقطار : أصله أن تشد الإبل على نسق ، واحد خلف واحد . صفقة : أي صفقة واحدة ، والصفقة : البيعة ، أراد طلعة واحدة .

(١) فيما عدا ل « فتقه »، وعند الدميري (٢ : ٢٤٢) : « طبقه ».

(٢) حديد : حاد . والسلقة ، بالكسر ، الأنثى من الثعالب .

(٣) س : « جاش » ل : « جاء ليطرق بليل حين دق الباب دقه ».

(٤) الفلقة ، بالكسر : الكسرة من الخبز . ط : « بالبيت » . والبيت ساقط من س .

(٥) تترس به : جعله كالترس . ونازويه : مصغر « نازو » على طريقة أهل البصرة في التصغير ، كما نص الجاحظ في الحيوان (٧ : ١٢٢ نسخة كوريل) . ونازو هو القط بالفارسية كما سبق في ٢٦٦ . وفي الأصل : « نازولة » تحريف . والصفق : الضرب يسمع له صوت . وقد سكن سين « تترس » وقلب « صفق » للشعر . وفيما عدا ل :

وأتى يصفق حتى عين باب الدهر صفقه

لكن في س : « الفار » و ط : « الدير » موضع : « الدهر ».

(٦) الأغبس : ما لونه الغبسة ، وهي لون الرماد . فيما عدا ل : « أغبش » . والبلقة : سواد وبياض . ط فقط : « يعلوه ».

(٧) جفلوا : نحوا ونزعوا : وفي الأصل : « جعلوا » . خفاف : جمع خف . فيما عدا ل : « خفاف ».

(٨) التبابين ، جمع تبان ، كرمان ، وهو سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط ، يكون للملاحين . وهو أصدق ما يطلق على لباس البحر في عصرنا هذا .

حرّجوا حول بزَفْنٍ ويضرب بالدُّفافِ(١)
قلت: ما هذا؟ قالوا: أنت من أهل الزِّفافِ(٢)
ساعةً ثمّتَ جاءوا عن هوايَ في خلافِ(٣)
[شربوا إسقي وجاءوا دون أهلي في لحافي]
لقّوا إسقي وقالوا ريحُ مِسكٍ بسُلافِ(٤)
صفعوا نازويه حتى استهلّت بالرُّعافِ(٥)

(أحاديث في الفأرة والهرة)

يُرْوَى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خمسٌ يُورِثنَ النِّسيان: ٨٤
أكلُ التفاح، وسؤر الفأرة، والحِجامةُ في النقرة(٦)، ونبذُ القملة، والبولُ في الماء الراكد».

[و] ابن جُريج قال: أخبرني أبو الزبير(٧) أنه سمع جابرَ بنَ عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا رقدتَ فأغلقْ بابكَ، وخمّرْ إناءكَ، وأوكِ سِقاءك، وأطفئْ مصباحَك(٨)؛ فإن الشيطان لا يفتح غلقًا،

---

(١) الزفن: الرقص، أو شبيه بالرقص. س: «ربق» تحريف. والدفاف: جمع دف.
(٢) فيما عدا ل: «وإنما هذا الزفاف».
(٣) ثمت، هي ثم، زيد في آخرها التاء كما تزاد في رب فيقال ربت. فيما عدا ل: «ثم» وفي ط: «فجاءوا» وفيما عدا ل: «عن هواك في خلاف».
(٤) السلاف: الخمر الخالصة.
(٥) الرعاف: سيلان دم الأنف وقطرانه. و«نازويه» أراد به الهرة. وانظر التنبيه في ص ٢٦٨. وفيما عدا ل: «سفقوا عين هرهم فاستهلت».
(٦) النقرة في القفا: منقطع القمحدوة، وهي وهدة فيها. وانظر ص ١١٥ ساسي.
(٧) هو محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي، المترجم في ص ١٢١.
(٨) س، هو: «وأطفئ مصباحك».

ولا يكشف إناء ، ولا يحل وكاء[1] ، وإن الفأرة الفُوَيسقة تحرّق على أهل البيت » .

قالوا : في قول النبي صلى الله عليه وسلم في السنانير : « إنهنّ من الطوّافات عليكم » ، وفي تفريقه بين سُؤر السِّنَّور وسُؤر الكلب — دليلٌ على حُبّه[2] لاتخاذهنّ . وليس لاتخاذهنّ وجهٌ إلا إفناء الفأر[3] وقتلَ الجرذان . فكأنّ النبي صلى الله عليه وسلم كما أحبَّ استحياء السنانير ، فقد أحبَّ إهلاك الفأر[4] .

[و[5]] عن نافع ، عن ابن عُمَر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم [قال] : « عُذِّبتِ امرأةٌ في هرّة حبستْها — و [يقال] : رَبَطَتْها — فلم تُطْعِمها ولم تَسقِها ، ولم تُرسِلْها تأكل من خَشَاش الأرض[6] » .

وعن أبي سلَمة[7] ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دخلتِ امرأةٌ ممن كان قبلكم[8] النارَ في هرّة ربطتها ، فلا هي

---

(١) الغلق ، بالتحريك : ما يغلق به الباب . والوكاء ، بالكسر : كل سير أو خيط يشد به فم السقاء أو الوعاء . ل : « فإن الشياطين لا تفتح غلقا ، ولا تكشف إناء ، ولا تحل وكاء » . وانظر رواية هذا الحديث فيما سبق ص ١٢١ .

(٢) فيما عدا ل : « على حثه » من الحث .

(٣) ل : « ولا تخافهن » وفي ل ، س « ؛ ولا لإفناء الفأر » .

(٥) زيادة هذه الواو من ﻫ .

(٦) الخشاش ، بالكسر ويفتح : الحشرات والهوام وما أشبهها . وهذا الحديث في البخاري عن ابن عمر : الجامع الصغير ٤١٩١ . وروايته التالية عن أبي هريرة ثابتة في مسند أحمد ، وفي صحيح البخاري ، ومسلم ، وعند ابن ماجه .

(٧) أبو سلمة هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل ، ثقة مكثر وكان فقيهاً يحمل عنه الحديث . توفي سنة أربع وتسعين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، ويقال إنه مات سنة أربع ومائة . انظر المعارف ١٠٥ وتهذيب التهذيب (١٢ : ١١٥) . وفي البيان (٢ : ١٧٧) : « قال الشعبي : سايرت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، فكان بيني وبين أبي الزناد ، فقال : بينكما عالم أهل المدينة ! فسألته امرأة عن مسألة فأخطأ فيها ! » .

(٨) ط ، ﻫ : « في من كان قبلكم » .

أطعَمَتْها ، ولا هي تَرَكَتْها تُصِيب من خِشاش الأرض ، حتى ماتت[١] فأدخِلَتِ النارَ[٢] ، كلما أقبلَت نهشَتْها ، وكلما أدبرتْ نَهَشَتْها » .

قال : وذَكَرَ النبي صلى الله عليه وسلم ، صاحبَ المِحْجَن يجرُّ قُصْبَه في النار[٣] حتى قال : « وحتى رأيتُ فيها[٤] صاحبةَ الهِرّةِ التي رَبَطَتْها ، فلم تدعْها تأكلُ من خشاش الأرض » .

(وصف السنور بصفة الأسد)

قال ابن يسير[٥] في صفة السِّنَّور — فوصفه بصفةِ الأسَد ، إلا ما وصفَه به من التنمير[٦] ، فإن السنوْر يوصفُ بصفةَ الأسد ، إذا أرادوا به الصورةَ

---

(١) ل : « في هر ربطته فلا هي أطعمته ولا هي تركته يصيب من خشاش الأرض حتى مات » .

(٢) فيما عدا ل : « وأدخلت النار » .

(٣) المحجن : كل عصا معوجة . والقصب ، بالضم : المعى ، والجمع أقصاب . وقيل القصب اسم للأمعاء كلها . والحديث طويل ، وقد اقتضبه الجاحظ ، وقد رواه أحمد في مسنده (٣ : ٣١٨) ومسلم في صحيحه (١ : ٢٤٨) برواية عطاء عن جابر قال : « كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك اليوم الذى مات فيه إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الناس : إنما كسفت الشمس لموت إبراهيم » . وبعد أن روى صلاة الكسوف ، روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « يأيها الناس ، إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل ، لا ينكسفان لموت أحد من الناس ، فإذا رأيتم ذلك فصلوا حتى تنجلى . وإنه ما من شيء توعدونه إلا رأيته في صلاتي . ولقد جيء بالنار ، وذلكم حين رأيتموني تأخرت ، مخافة أن يصيبني من لفحها . وحتى رأيت صاحب المحجن يجر قصبه في النار ، كان يسرق الحاج بمحجنه ، فإن فطن له قال : إنما تعلق بمحجنى ! وإن غفل عنه ذهب به . وحتى رأيت صاحبة الهرة ... » إلى نهاية الحديث .

(٤) ل : « ورأيت صاحبه الهرة » .

(٥) هو محمد بن يسير الرياشي ، المترجم في (١ : ٥٩) .

(٦) التنمير : من النمرة ، والأنمر : ما فيه نقطة بيضاء وأخرى سوداء . وقالوا : طير منمر : فيه نقط سود . اللسان (٧ : ٩٤ س ٦) ولم تذكر المعاجم « التنمير » . وفي المخصص (٩ : ٩٥) : « أبو زيد : نمر السحاب . صاحب العين : المنمر من السحاب الذى ترى فيه كالتنمير من كثرة مائه » . فيما عدا ل : « من الشبه » .

والأعضاء ، والوثوبَ والتخلُّع في المشي . ألا إن في السنانير السودَ والنُّمر(1) والبُلْق ، والخَلَنجيّة(2) . وليس في ألوان الأسد من ذلك شيء ، إلا كما تروْنَ في النوادر : من الفأرة البيضاء(3) ، والفاختة البيضاء ، والوَرَشان الأبيض ، والفرَس الأبيض — فقال ابن يسير في دعائه على حمام ذلك الجار حين انتهى إلى ذكر السنور(4) :

وَخَبَعْثِنٍ في مَشْيِهِ متبهنسٍ ... خَطِف المؤخَّر كاملِ التصديرِ(5)
ما أُعِيرَ مَفَرَّ أغضفَ ضيغمٍ ... عنْ كلِّ أعصَلَ كالسِّنانِ هَصُورِ(6)

---

(1) النمر : جمع أنمر . انظر التنبيه السابق . وفي ل : «المنمر» .

(2) الخلنجية : التي لها خطوط وطرائق ، مثل الخطوط والطرائق التي ترى في خشب الخلنج ، والتي ترى في الجزع ، وهو الخرز اليماني . وفي الجماهر ١٧٥ : «ولفظة خلنج لا يختص بها الجزع بل يقع على كل مخطوط بألوان وأشكال . فيوصف به السنانير والثعالب والزرازير والزرافات وأمثالها ، بل هو بالخشب التي تكون كذلك أخص . ومنها تنحت الموائد والقصاع والمشارب وأمثالها بأرض الترك» . وشجر الخلنج مما أخذت الفارسية من العربية ، كما يفهم من إشارة استينجاس ٤٧٢ . وفي الفارسية «خلنج» و «خلنـگ» بمعنى متعدد الألوان . وهنا ما يقلل فيه أخذ العربية من الفارسية ، وإن صرح اللسان والمعرب بأن شجر الخلنج فارسي معرب .

(3) ل : «في الفأرة البيضاء» .

(4) هذه تكملة القصيدة التي سبق له بعض أبياتها في ص ٢٣٤ — ٢٣٦ .

(5) الخبعثن ، أراد به السنور . وإنما الخبعثن الأسد . والمتبهنس : المتبختر . والخطف ، بفتح فكسر : وصف من الخطف ، بضم وبضمتين ، وهو الضمر . والمعروف من ذلك الوصف : أخطف ومخطوف ومخطف . ط ، هو : «خلف المؤخر» تحريف . والتصدير : أصله حزام البعير . أراد به موضع الحزام .

(6) يقال فر الدابة يفرها بالضم : كشف عن أسنانها . فأراد بالمفر هنا المصدر الميمي منه . والأغضف من الأسد : ما استرخى جفنه الأعلى على عينه ، يكون ذلك من الغضب والكبر ، ويقال للغضف في الأسد كثرة أوبارها وتثني جلودها . والأعصل من الأنياب : المعوج الشديد . فيما عدا ل : «أعضل» تحريف . وفي ط : «من كل» بدل : «عن كل» تحريف . والهصور : من الهصر ، وهو الكسر .

مُتَسَرْبِلٍ ثوبَ الدُّجَى أو غُبْشَةً   يثِبِيتَ عَلَى سَغَبٍ بالتَّسْمِيرِ [1]
يختص كلَّ سليلٍ سابقٍ غايةٍ   مَحْضِ النِّجارِ مُهَذَّبٍ مَحْبُورِ [2]

(فزع الناقة من الهر)

وإذا وصفوا الناقة بأنها رُوَاعٌ [3] شديدةُ التفزع، لفَرْطِ نشاطها ومَرَحِها، ٨٥
وصفوها [4] بأن هِرًّا قد نَيَّبَ في دَفِّها [5] . وأكثرُ ما يذكرون في ذلك
الهِرّ ؛ لأنه يجمعُ العضَّ بالناب [6] ، والخَمْشَ بالمخالب [7] . وليس كلُّ
سَبُعٍ كذلك .

وقال ضابئُ بن الحارث [8] :

---

(١) الغبشة : ظلمة آخر الليل . سه : « غبسة » . والغبشة الظلمة . والتسمير ، سبق القول فيه ص ٢٧١ . فيما عدا ل : « سهب على سهبه بالتشمير » لكن في هـ : « سهبين » تحريف .

(٢) يختص : أي يختص لطعامه وافتراسه . والسليل : الولد والنجل . سابق غاية : أي يسبق إلى الغاية . وله في المهام التي دعا عليه . وانظر (٢ : ٢٢٢) . محبور : من حبره يحبره : امتحنه . ط : « مجبور » تحريف . ل : « محبور » . والمحبور : المكرم إكراماً يبالغ فيه . وأثبت ما في سه ، هـ .

(٣) رواع : وصف من الروع وهو الفزع . يقال ناقة رواع الفؤاد ورواعة : شهمة ذكية . وقد ضبطت بالضم في القاموس نصا ، وفي اللسان بالشكل . وهي في ل مفتوحة الراء . فيما عدا ل : « رواغة » بالغين المعجمة ، تصحيف .

(٤) فيما عدا ل : « وصفوا » .

(٥) نيب : من التنييب ، وهو العض بالناب . فيما عدا ل : « ثبت » . والدف ، بالفتح : الجنب .

(٦) ل : « الهرة ، لأنها تجمع العض بالناب » .

(٧) الخمش : الخدش . فيما عدا ل : « العض » تحريف .

(٨) هو ضابئ بن الحارث بن أرطاة البرجمي ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وجنى جناية في زمن عثمان فحبسه ، فجاء ابنه عمير فأراد الفتك بعثمان ثم جبن عنه ، ثم لما قتل عثمان وثب عمير عليه ، فكسر ضلعين من أضلاعه . انظر الإصابة ٤٢٠٠ والخزانة (٤ : ٨٠ بولاق) والحيوان (١ : ٢٦٩) .

بأدماء حُرجُوجٍ ترى تحتَ غَرْزِها ... تهاويلَ هِرٍّ أو تهاويلَ أخيلا(١)

وقال أوس بن حَجَر :

كأنّ هرًّا جنيباً تحتَ مَغرِضها ... والتَفَّ ديكٌ برجليها وخنزيرُ(٢)

وقال عنترة :

وكأنّما ينأى بجانبِ دفِّها الـ ... ـوَحشيِّ من هَزِجِ العَشيِّ مُؤوَّمِ(٣)

هِرٍّ جَنيبٍ كلّما عطفَتْ له ... غضبَى اتّقاها باليدين وبالفمِ

والفيلُ يفزَعُ من السنّورِ(٤) فزعاً شديداً .

---

(١) الحرجوج ، بضم الحاء والجيم : الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض . والغرز ، بالفتح : هو للناقة مثل الحزام للفرس . والتهاويل : التصاوير والنقوش ، وهي أيضاً : ما يهول به ويفزع ، مفرد تهويل . والأخيل : طائر صغير أخضر وفي أجنحته سواد ، ويسمى أيضاً : الشقراق Roller . وهو مشؤوم ، تقول العرب : « أشأم من أخيل » . قال ثعلب : وهو يقع على دبر البعير ، يقال إنه لا يقع على دبرة بعير إلا خزل ظهره . وإنما يتشاءمون به لذلك . فيما عدا ن : « أختلا » تصحيف .

(٢) جنيباً : مجنوباً ، جنب الدابة : قادها إلى جنبه . والمغرض : كالحزام للفرس ، موضع الحزام . فيما عدا ل : « حديثاً تحت محجرها » تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « برجليها » وأثبت ما في ل موافقاً ما سبق في (١ : ٢٧٨) . ورواية الديوان : « تحت غرضتها » و : « بحقويها » . ورواية الموشح ٨٦ والعمدة (٢ : ١٢٥) : « عند غرضتها » . وجعله ابن رشيق من التشبيهات العقم . وانظر معاهد التنصيص (١ : ٤٧) .

(٣) الدف : الجنب . والوحشي : الجانب الأيمن ، لأنه لا يركب منه الراكب ، ولا يحلب الحالب . وعنى بهزج العشي الهر ، لأن السنانير أكثر صياحها بالعشيات . والمؤوم : المشوه الخلق ، أو الضخم الرأس . فيما عدا ل : « مرج » و : « العشا » وفيما عدا ل أيضاً : « مورم » وكل ذلك تحريف صوابه في ل والمعلقات .

(٤) فيما عدا ل : « الهر » .

(السنور فى الهجاء)

ومما يقع فى [باب] الهجاء ، السنور ، قول عبد الله بن عمرو بن الوليد(١) ، فى أمّ سعيد بنت خالد(٢) :

وما السِّنورُ فى نفسى [بأهل] لغزلانِ الخمائلِ والبِرَاقِ(٣)
فطلِّقها فَلَسْتَ لهـا بأهل ولو أعطيْتَ هِنْدًا فى الصَّداقِ(٤)

(الرجم بالسنانير)

قال صاحب الكلب : قالوا : ولما مات القصيّ(٥) — وكان من موالى [بنى] ربيعة بن حنظلة ، وهو عمرو القصى ، ومات بالبصرة — رُجم بالسنانير الميّتة . قال(٧) : وقد صنعوا شبيهاً بذلك بخالد بن طليق(٨) ، حين

---

(١) فيما عدا ل : « عمرو بن عبد الله بن الوليد » .

(٢) فيما عدا ل : « أم سعد بنت خالد » .

(٣) الخمائل : جمع خميلة ، وهى الموضع الكثير الشجر . والبراق ، بالكسر ، جمع برقة بالضم ، وهى أرض ذات حجارة مختلفة الألوان . ل : « الخايل » بوضع الحرف ح تحت الكلمة ، ولم أرلها وجهاً . ط : « لغويا بالخمائل و سه » ، هو : « لعولا الخمائل » تحريفات .

(٤) الصداق : المهر . فيما عدا ل : « هرا » تحريف . والهند والهنيدة : اسم المائة من الإبل .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) فيما عدا ل : « عمرو القصبى » . كما أن جملة : « وهو عمرو القصى » ساقطة مما عدا ل .

(٧) فيما عدا ل : « وقالوا » .

(٨) هو خالد بن طليق بن عمران بن حصين الخزاعى ، ولاه المهدى قضاء البصرة سنة ١٦٦ ، بعد عزل عبيد الله بن الحسن العنبرى ، فلم يحمد ولايته . وهجاه ابن مناذر هجاء كثيرا ، وروى منه الجاحظ أربع مقطعات فى البيان (٢ : ٢٣٩) جاء فى إحداها :

يا عجباً من خالد كيف لا يخطئ فينا مرة بالصواب

وقال ابن النديم . إنه كان أخباريا ، وكان من النسابين . انظر لسان الميزان (٢ : ٢٢٩) وتاريخ الطبرى (١٠ : ٢ ، ٨) .

زعم أهلُه أن ذلك كان عن تدبير محمد بن سليمان[1] .

وقالوا : ولم نر الناس رَمَوْا أحداً بالكلاب الميّتة . والكلابُ أكثر من السنانير حيّة وميتة . فليس ذلك إلا لأن السنانير أحقرُ عندهم وأَنْتَن[2] .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال الجرذان العِضلان[3] . وأولادُ الفأر أدراص ، والواحد دِرص . وكذلك أولاد اليرابيع . يقال[5] : أدراص ودُروص . وقال أوسُ ابن حَجَر :

[وودّ أبو ليـــلى طُفَيل بن مالكٍ   بمنعرَج السُّوبان لو يتقصّع[6]

قال : واليرابيع : ضربٌ من الفأر . قال : ويقال : نفّق اليربوع ينفّق تنفيقاً : إذا عمل النافقاء ، وهى إحدى مجاحره ومخابئه . وهى النافقاء والقاصعاء ، والدّامّاء ، والراهطاء . وقال الشاعر] :

---

(١) ط ، هو : « حتى زعم » وفيما عدا ل : « من تدبير » . وكان محمد بن سليمان بن على ابن عبد الله الهاشمى أمير البصرة ، ولاه المنصور ثم عزله عنها وولاه الكوفة ، ثم ولاه المهدى ثم عزله ، ثم أعاده الهادى ، وأقره الرشيد إلى أن مات سنة ثلاث وسبعين ومائة. انظر ص ٢٠٨ من هذا الجزء وتاريخ بغداد ٥ : ٢٩١ .

(٢) فيما عدا ل : « وليس ذلك » سمه ، هو : « إلا أن السنانير » .

(٣) العضلان ، بالكسر : جمع عضل . والعضل بالتحريك : الجرذ ، أو ذكر الفأر . ط ، هو : « النطلان » سمه : « النظلان » صوابه فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « والأولاد » .

(٥) فيما عدا ل : « يقال لها » .

(٦) يتقصع : أراد يختفى ، وأصله من تقصع اليربوع ، وهو أن يدخل فى قاصعائه . والبيت فى ديوان أوس من قصيدة مطلعها :

ألم تر أن الله أرسل مزنة   وعفر الظباء فى الكناس تقمع

فما أمُّ الرُّدين وإن أدلَّت بعالمةٍ بأخلاق الكرامِ[1]
إذا الشيطانُ قصَّعَ فى قفاها تنفّقناه بالحبـل التُّؤامِ[2]

فإذا طُلِبَ من [إحدى] هذه الجحَرة نافق ، أى فخرج النّافقاء[3] ، وإن طُلِب من النافقاء قصَّع . ويقال : أنفقته إنفاقاً : إذا صاح به حتى يخرُج ، ونَفِقَ هو : إذا خَرَجَ من النافقاء[4] .

(احتيال اليربوع)

وفى احتيالِ اليرابيعِ بالنافقاء والقاصعاء ، والدّامّاء والرّاهطاء ، وفى جمعها التراب على فمِ باب الجحر ، وفى تقدمها بالحيلة[5] والحراسة ، وفى تمليطها ٨٦
لمن أرادها ، والتَّوريةِ بشىء عن شىء ، وفى معرفتها بباب الخديعة[6] ، وكيف تُوهِم عدُوَّها خلاف ماهى عليه ، ثم فى وطئها على زَمَعاتها[7] ، فى السهولة وفى الأرض اللينة ، كى لايعرِفَ أثرها الذى يقتَصُّه[8] ، وفى استعمالها

---

(١) ط فقط : « فما أم الدرين وقد أدلت » . والبيتان فى اللسان (١٢ : ٢٢٧) والثانى منهما فى (١٠ : ١٤٨) .

(٢) قصع ، أصله من قصع الضب دخل فى قاصعائه . تنفقناه : استخرجناه ، كما يستخرج اليربوع من نافقائه . والتؤام : المزدوجات ، جمع توأم ، وهو من الجمع العزيز . فيما عدا ل : « بالحبل » تحريف . ومثل هذا التحريف فى اللسان فى الموضعين .

(٣) ط ، و : « فخرج » س : « يخرج » . وأثبت ما فى ل .

(٤) يقال . نفَق ونفِق وانتفق ونفّق : خرج من النافقاء .

(٥) ل : « فى الحيلة » .

(٦) فيما عدا ل : « بيان الخديعة » ، تحريف .

(٧) الزمعات : الشعرات المدلاة فى مؤخر رجل الشاة والظبى والأرنب .

(٨) فيما عدا ل : « أثلا » . واقتص الأثر وقصه : تتبعه . فيما عدا ل : « يقصه »

[واستعمال (١)] بعض ما يقاربها في الحلية التوبير (٢) — والتوبير : الوطء على مآخير أكفّها (٣) — العجبُ العجيب (٤) .

(أنفاق الزباء)

وزعم أبو عقيل بن دُرُست (٥) ، وشدّاد الحارثي (٦) ، وحسين الزهري أن الزباء [الروميّة (٧)] إنما عملت تلك الأنفاق التي ذكرها [الشاعرُ] قال (٨) :

---

(١) هذه من ل ، هـ .

(٢) فيما عدا ل : « بعض ما يقال له في الحيلة التوبير » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « والتوبير الوطء على مؤخر أنفها » تحريف عجيب . وقد أوضح الزمخشري اشتقاق التوبير ، فقال في حديث عبد الرحمن يوم الشورى : « لا تغمدوا السيوف عن أعدائكم فتوبروا آثاركم » : هو من توبير الأرنب ، مشيها على وبر قوائمها لئلا يقتص أثرها . انظر اللسان (٧ : ١٣٣) .

(٤) هذا المبتدأ الموصوف تقدم خبره في قوله : « وفي احتيال اليرابيع » .

(٥) درست ، بضم الدال والراء . وأبو عقيل ، له أخبار في البيان والتبيين .

(٦) شداد الحارثي ، ذكره الجاحظ في أول كتاب فخر السودان ص ٥٤ من رسائله طبع الساسي ، قال : « وقال شداد الحارثي وكان خطيباً عالماً : قلت لأمة سوداء بالبادية : لمن أنت يا سوداء ؟ قالت : لسيد الحضر يا أصلع ! قال : قلت : أولست سوداء ؟ قالت : أو لست أصلع ؟ قلت : ما أغضبك من الحق ؟ قالت : الحق أغضبك ! لا تشتم حتى ترحب . ولأن تتركه أمثل ! » . وفي البيان (٢ : ٦٤) أنه كان يكنى أبا عبد الله . وساق الخبر المتقدم برواية مقاربة .

(٧) كذا . وأغلب القول أنها عربية . وهي الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة ابن السميدع بن هوبر العملقي . انظر ابن الأثير (١ : ١٩٨) والطبري (٢ : ٣١ — ٣٦) والمسعودي (١ : ٢٩٠) . وقال المسعودي : « وقال بعضهم : بل كانت رومية وكانت تتكلم بالعربية » . وفي المخصص (١٥ : ١٢٦) « وَزَبِّىٌ مشدد مقصور اسم الملكة الرومية صاحبة قصير . . . وزبى أيضاً امرأة من بني قيس » . وفي ثمار القلوب ٢٤٨ : « هي امرأة من العماليق وأمها من الروم ، ملكت الجزيرة وعظم شأنها فكانت تغزو بالجيوش » . وفي أمثال الميداني : « أعز من الزباء » ، هي امرأة من العماليق وأمها من الروم وكانت ملكة الحيرة » . ففي هذين النصين ما يكشف السر في نسبتها إلى الروم . وانظر دائرة المعارف الإسلامية مادة (تدمر) .

(٨) هو عدي بن زيد العبادي ، من قصيدة له طويلة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٨٣) .

أقام لها على الأنفاقِ عَمْرٌو ولم تَشعُرْ بأنّ لَهَا كَمِينا[1]

ــ على تدبير اليرابيع فى نَوافِقها هذه[2] ، ومخارجها التى أعدّتها ومداخِلها ، على قدر ما يفجؤها من الأمر[3] .

وأن أهل تُبَّت[4] والرُّوم ، إنما استخرجوا الاحتيال بالأنفاق[5] والمطامير والمخارق[6] على تدبير اليرابيع

(اشتقاق المنافق)

وإنما سمّى الله عز وجل الكافرَ فى باطنه المورّىَ بالإيمان ، والمستتر[7]

---

(١) على الأنفاق ، أى على أنفاقها التى عملها . فيما عدا ل : «أقام به ... ولم يشعر» تحريف . والرواية فى بلوغ الأرب :

ودس لها على الأنفاق عمرا بشكته وما خشيت كمينا

وعمرو هذا هو عمرو بن عدى ، المطالب بثأر خاله جذيمة . وكان عمرو قد سار إلى الزباء فى ألفى دارع على ألف بعير فى جوالق ، بحيلة دبرها «قصير» الذى جدع أنفه احتيالا ، وصانع الزباء حتى وثقت به وأطلعته على سر أنفاقها ، فلما دخلت الإبل مدينة الزباء ثاروا بأهلها ضربا بالسيف ، فهربت تريد النفق ، فوجدت عمرو بن عدى على باب النفق فتلقاها فجللها بالسيف . وقيل : بل وجدت «قصيرا» قائما عنده بالسيف ، فانصرفت راجعة ، واستقبلها عمرو فضربها . وقيل : بل مصت خاتمها وقالت : بيدى لا بيد عمرو ! انظر قصة الزباء فى كامل ابن الأثير (١ : ١٩٨ — ٢٠١) والطبرى (٢ : ٣١ — ٣٦) والمسعودى . وفى شرح المقامات الشريشى (٢ : ٧) أن مقتل والد الزباء كان بعد بعث عيسى عليه السلام .

(٢) ل : «فى نافقها» مع حذف «هذه» .

(٣) الجار والمجرور ساقط من ط ، هـ . وفى س : «من الأمور» وأثبت ما فى ل .

(٤) تبت : بلاد بالصين . ط ، هـ : «بيت الفرس» صوابه فى ل .

(٥) الأنفاق : جمع نفق . وهذه الكلمة ثابتة فى ل ، س فقط .

(٦) المطامير ، سبق الحديث عنها فى ١٠٩ . والمخارق ، كذا وردت بالقاف .

(٧) ل : «والمستر» .

بخلاف ما يُسِرّ ــ بالمنافق ، على النافقاء والقاصعاء ، وعلى تدبير اليربوع في التورية بشيءٍ عن شيء . قال الشاعر :

إذا الشيطانُ قصّع في قفاها تنفّقناه بالحبْل التُّؤام[1]

وهذا الاسمُ لم يكن في الجاهلية [لمن عمل] بهذا العمل . ولكن الله عز وجل اشتق لهم هذا الاسم من هذا الأصل .

(كلمات إسلامية)

وقد علمنا أن قولهم لمن لم يحُج : «صَرُورة» ولمن أدرك الجاهلية والإسلام : «مخضرم» ، وقولهم [وتسميتهم] لكتاب الله : «قرآنا[2]» [«فرقانا»] ، وتسميتهم التمسّحُ[3] بالتراب : «التيمُّم» ، وتسميتَهم القاذف بـ «فاسق[4]» ــ أن ذلك لم يكن في الجاهلية .

وإذا كان للنابغة أن يبتدئ الأسماء على الاشتقاق من أصل اللغة ، كقوله :

والنُّؤيُ كالحوضِ بالمظلومة الجلَدِ[5]

(١) سبق هذا البيت في ص ٢٧٧ . ط فقط : «الحبل» تحريف .

(٢) كلمة : «وقولهم» ليست في ل . وبدلها : «وتسميتهم» . وهذه الأخيرة ثابتة أيضاً في سو . وفيما عدا ل : «قرآن» .

(٣) فيما عدا ل : «المسح» .

(٤) القاذف : من يقذف المحصن أو المحصنة وينسبها إلى الزنا صريحا أو دلالة . وإطلاق لفظ (الفاسق) عليه ما هو فهمه من قول الله : «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون» . سورة النور (الآية ٤) . وفي اللسان : «قال ابن الأعرابي : لم يسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم : فاسق» . وانظر ما سبق في (١ : ٣٣٠ — ٣٣٤) .

(٥) صدره : «إلا الأواري لأيا ما أبينها» . والمظلومة : الأرض يعمل فيها حوض وليست موضعا للحياض . وأصل الظلم : وضع الشيء في غير موضعه .

وحتى اجتمعت العَرَب[1] على تصويبه ، وعلى اتباع أثره ، وعلى أنها لغة عربية — فالله الذى له أصلُ اللغةِ أحقُّ بذلك .

(شعر شمَّاخ فى الزموع)

وذكر شمَّاخُ بنُ ضرارٍ الزَّموعَ ، وكيف تطأ الأرنبُ على زَمَعاتها لتغالطَ الكلابَ وجميعَ ما يطالبها — فذكر بديئاً[2][3] شأن العَيرِ والعانة ، فقال :

إذا ما استافَهُنَّ ضَرَبْنَ منهُ ... مكانَ الرُّمحِ من أنفِ القَدُوعِ[4]
وقد جَعَلَتْ ضغَائِنُهنَّ تبدُو ... بما قد كان نالَ بلا شفيعِ[5]
مُدِلَّاتٍ ، يُرِدْنَ النأْىَ منه ... وهُنَّ بِمَيْنِ مُرتَقِبٍ تَبُوعِ ٨٧

ثم أخذَ فى صفة العُقاب ، وصار إلى صفة الأرنب[6] فقال :

كأنَّ مُتُونَهنَّ مولَّياتٍ ... عِصِىُّ جَناحِ طالبةٍ لَمُوعِ[7]

---

(١) ل : « أجمعت العرب » .

(٢) الزموع ، بالفتح : التى تمشى على زمعتها إذا دنت من موضعها لئلا يقتص أثرها . فيما عدا ل : « الزيروع » محرف .

(٣) بديئاً : أولا . وفى ، ط ، ه : « بدءا » وفى س : « بدا » .

(٤) استافهن : شمهن ، يعنى الحمار . والقدوع : الذى يقدع ويرد بالرمح ، وهو الفحل إذا قرب من الناقة ليقعو عليها فيضربون أنفه بالرمح أو غيره ويحمل عليها غيره . ل ، ط : « استافهن » س ، ه : « اشتافهن » صوابه ما أثبت من الحيوان ٦٠ والأمالى (١ : ١٠٧) واللسان (١١ : ٦٦ و ١٠ : ١٣٢) وفيما عدا ل : « فى أنف » صوابه فى ل وسائر المصادر .

(٥) أى صارت أحقاد هذه الأتن تبدو وتظهر ، فقد كن يكنه أول الأمر بلا شفيع ، فلما حلن منه أبدين هذه الضغائن التى كن يخبأنها . ل : « ظعائنهن » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « الأرانب » .

(٧) المتون : جمع متن ، وهو الظهر . موليات : مدبرات . والعصى : العظام التى فى الجناح . اللسان (١٩ : ٢٩٢ س ٦) . طالبة : تطلب الصيد ، عنى بها العقاب . واللموع : التى تلمع بجناحيها : أى تحركهما فى الطيران ، وتخفق بهما ، ويقال لجناحى الطائر مثنياه . جعل لسرعة هذه الأتن مثلا من سرعة العقاب .

قليلا ما تَرِيثُ إذا استفادتْ   غريضَ اللحمِ عن ضَرِمٍ جَزُوعِ (١)

ثم قال :

فما تنفكُّ بين عُوَيرِضاتٍ   تَجُرُّ برأسِ عكرِشةٍ زَمُوعِ (٢)
تطاردُ سِيدَ صاراتٍ ، ويوماً   على خزّانِ قاراتِ الجُموعِ (٣)
تلوذُ ثعالبُ الشَّرَفَينِ منها   كما لاذَ الغريمُ من التَّبيعِ (٤)
نَماها العِزُّ في قَطَنٍ ، نماها   إلى فرخَينِ في وَكْرٍ رفيعِ (٥)
ترى قِطَعاً من الأحناشِ فيها   جماجِمُهُنَّ كالخَشَلِ النَّزيعِ (٦)

والزَّموع : التي تمشي على زَمَعاتها : مآخيرِ رجليها (٧) .

---

(١) تريث : تبطئ ، أي قليلا إبطاؤها . فيما عدا ل : « قليل » . واللحم الغريض : الطري . والضرم ، بالكسر ، ويفتح فيكسر : فرخ العقاب ، هاتان من الصحاح . والضرم ، كفرح : الشديد الجوع . أراد : قليلا ما تبطئ هذه العقاب عن فرخها إذا حصلت على هذا الطعام ، فهي تسرع إليه إسراعا . هـ ، س : « استفادت » هـ : « عريض » ل : « صرم » محرفات .

(٢) عويرضات : موضع . والعكرشة : الأرنب الضخمة ، أو الأنثى . والزموع : سيفسرها الجاحظ . يقول : ما تنفك تصيد الأرانب .

(٣) السيد ، بالكسر : الذئب . وصارات : اسم جبل . والخزان ، بالكسر : جمع خزز ، كصرد ، وهو الذكر من الأرانب . وفي ط ، هـ : « عزان » صوابه في ل ، س . وفي الديوان : « حزان » جمع حزيز ، وهو الموضع الغليظ الكثير الحجارة . والقارات : جمع قارة ، وهي الجبيل الصغير . وفي الأصل : « فلاات » صوابه في الديوان . وفيما عدا ل : « خوع » صوابه في ل والديوان . والجموع : الجماعات .

(٤) الشرفين : مثنى شرف ، وهو ما أشرف من الأرض . ل ، س ، هـ : « الشرقين » بالقاف ، وأثبت ما في ط ، وهي رواية الديوان . وفي الأصل : « منه » صوابه في الديوان . والغريم : الذي عليه الدين . والتبيع : صاحب الدين . هـ : « الفريم » محرف .

(٥) نماها : رفعها . ط ، هـ : « الفرء » صوابه في ل ، س والديوان .

(٦) الخشل ، فسره الجاحظ فيما يلي بأنه المقل السخيف اليابس الخفيف ، وفسر في اللسان (١٣ : ٢١٨) بأنه ما تكسر من رءوس الحلي وأطرافه . وأنشد البيت . فيما عدا ل : « كالحسل » صوابه في ل والديوان واللسان . النزيع : المنزوع . هـ ، س : « الزبيع » تحريف .

(٧) مآخير : جمع مؤخر . فيما عدا ل : « بمؤخره » وفي س فقط : « برجليها » .

قال أبو الفضل[(١)] : تُوبِّرُ[(٢)] يديها ، وتمشي على زَمَعاتها على رجليها[(٣)] ، وهي مواضع الثُّنَن[(٤)] من الدوابّ ، والزَّمَع المعلَّق خلفَ الظِّلْف من الشاة والظبي [والثور] قال : وكل ذلك توبير[(٥)] . وهو أن تطأ على مآخير[(٦)] قوائمها ، كي لا يعرفَ أثرها إنسانٌ ولا كلب .

وذكر أنها تطاردُ ذئباً مرّةً ، وخُزَزاً مرة ، وهو الذَّكر من الأرانب والعِكْرِشة : الأنثى[(٧)] ، والخِرنِق : ولدها . فإذا قلتَ أرنب أو عُقاب فليس إلا التأنيث . تقول[(٨)] : هذه العُقاب ، وهذه الأرانب ، إلا أن تقول خُزَز[(٩)] .

وقطَن : جَبَل معروف . والأحناش : الحيات وأحناش الأرض . الضبّ ، والقُنفذ ، واليربوع ، وهي أيضاً حشراتُ الأرض . فجعل الحيةَ

---

(١) أبو الفضل العنبري ، يبدو أنه أحد أولئك الأعراب الذين كانوا يردون إلى البصرة ويروي عنهم العلماء . فقد روى الجاحظ من خبره في البيان (٢ : ١٦٢) أن أبا الفضل العنبري قال لعلي بن بشير : إني التقطت كتاباً من الطريق فأنبئت أن فيه شعراً أفتريده حتى آتيك به ؟ قال : نعم ، إن كان مقيداً ! قال والله ما أدري أمقيد أم مغلول ؟ وقد روى الجاحظ هذا الخبر أيضاً في البيان (١ : ١٢٣) وأوله : « وسمعت ابن بشير وقال له الفضل العنبري ... » . قال الجاحظ معقباً : « ولو عرف التقييد لم يلتفت إلى روايته » وقد عنى أن ذلك الأعرابي لو عرف معنى التقييد الاصطلاحي ، وهو الإعجام والضبط ، لكان جديراً أن تسقط روايته ، لما يدل ذلك على مخالطته أهل الحاضرة . فقد رأيت أنه جاء في البيان مرة برسم « أبو الفضل العنبري » ومرة برسم « الفضل العنبري » . ط ، هو : « أبو الفضل » وأثبت ما في ل . والكلام من : « وقال » إلى : « قال » التالية ساقط من س .

(٢) ط ، هو : « توبر » صوابه في ل .

(٣) ط ، هو : « برجليها » .

(٤) الثنن ، بنونين في آخره : جمع ثنة ، كقوة ، وهي شعرات مدلاة مشرفات في مؤخرة الحافر . ط ، هو : « الأثن » وفي ل : « الثبن » صوابه ما أثبت .

(٥) ط ، هو : « توتير » صوابه في ل .

(٦) ط ، هو : « مؤخر » وأثبت ما في ل .

(٧) ل : « والأنثى عكرشة » .

(٨) ط ، هو « وتقول » بزيادة واو .

(٩) يريد أن « الخزز » مذكر . ل : « الخززة » تحريف .

حنشاً على قولهم : «قد آدَتني دوابُّ رأسي»، يعنون القمل. وعلى قوله تعالى : ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ[١] ﴾ .

قال أبو الفضل[٢] [العنبريّ] : ما أراد إلا الحيّاتِ بأعيانها فى هذا الموضع ، فإن العِقبان أسرعُ إلى أكل الحيّاتِ ، من الحيّاتِ إلى أكل الفأر . ويدلُّ على أنه إنما أراد رؤوسَ الحيّات بأعيانها ، قولُه :

تَرَى قِطَعاً من الأحناش فيها ... جَمَاجِمُهُنَّ كالخَشَلِ النزيعِ[٣]

لأن أرؤُسَ الحياتِ سخيفةٌ ، قليلةُ اللّحم والعظام[٤] . فلذلك شبّهها بالخَشَلِ النزيع[٥] . والخشل : المُقْل السخيف اليابس الخفيف .

(شعر فيه ذكر المقل والحتيّ)

قال خلفٌ الأحمر :

٨٨ سَقَى حُجَّاجَنَا نَوْءُ الثُّرَيَّا ... عَلَى مَا كَانَ من مَطْلٍ وبُخْلِ[٦]

هُمُ جَمَعُوا النِّعالَ فأحرَزُوها ... وسَدُّوا دونَها باباً بقُفْلِ[٧]

---

(١) من الآية ١٤ فى سورة سبأ . والمنسأة : العصا . ودابة الأرض ، هى الأرضة .

(٢) فيما عدا ل : « أبو الفضل » وأثبت ما فى ل . وانظر التنبيه الأول من الصفحة السابقة .

(٣) انظر الكلام على هذا البيت فى ص ٢٨٢ . فيما عدا ل : « كالحسل » تحريف .

(٤) ط فقط : « والعظم » .

(٥) فيما عدا ل « بالحسل » كما أن كلمة « الخشل » التالية جاءت بالحاء والسين فيما عدا ل . وهو تحريف .

(٦) هذه الأبيات رواها الجاحظ فى البيان (٣ : ٦٤) وابن قتيبة فى عيون الأخبار (٣ : ٣٨) . والنوء : المطر الذى ينزل موافقا لسقوط نجم فى المغرب مع الفجر وطلوع نجم آخر يقابله فى المشرق . والثريا غزيرة النوء . وفى اللسان : « والثريا من الكواكب ، سميت لغزارة نوئها » . فى عيون الأخبار « من بخل ومطل » .

(٧) ط فقط : « البغال » صوابه فى سائر المصادر . وفيما عدا ل والبيان : « وأحرزوها » بالواو .

إذا أهديتُ فاكهةً وشاةً ... وعشرَ دجائجٍ بعثوا بنَعْلِ (١)

ومِسواكَيْنِ طولُهما ذِراعٌ ... وعشرٍ من رَدِيِّ المُقْلِ خَشْلِ (٢)

فإن أهديتُ ذلك ليحملوني ... على نعلٍ فدقَّ اللهُ رِجْلي (٣)

أناسٌ تائهونَ ، لهم رُواءٌ ... تغيمُ سماؤهم من غيرِ وَبْلِ (٤)

إذا انتسبُوا ففرعٌ من قُريش ... ولكنّ الفعالَ فعالُ عُكْلِ (٥)

والحَقِين ، المُقْلُ على وجهه (٦) وقال أبو ذؤيب (٧) :

لا دَرَّ دَرِّيَ إن أطعمتُ نازلَكم ... قِرْفَ الحَتِيِّ وعندي البُرُّ مكنوزُ (٨)

---

(١) في عيون الأخبار : « فإن أهديت فاكهة وجديا » .

(٢) رهن : مسحل ردئ ، والأخيرة رواية ابن قتيبة . والمقل : ثمر الدوم . والخشل : فسره الجاحظ فيما سبق . وحكى ابن برى عن أبي عمر الزاهد وابن خالويه وابن فارس وغيرهم ، في الخشل المقل ، أنه بالإسكان لا غير ، وأن ما ورد منه محركا فهو على جهة الضرورة ، كبيت الكميت وكبيت الشماخ الذي سبق في ٢٨٢ س ٧ . اللسان (١٣ : ٢١٨) . فيما عدا ل : « مسحل » تحريف .

(٣) الدق : الكسر والرض . ط ، هو : « أدق » س : « أحق » صوابه في ل وسائر المصادر .

(٤) تائهون ، من التيه ، وهو الكبر . والرواء : حسن المنظر في البهاء والجمال ، وهو من الرؤية . والوبل : المطر الغزير . وهذا البيت ساقط من ل ، ولم يرو في البيان .

(٥) عكل : قبيل فيهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه غفلة ويستحمق : عكلى . اللسان (١٣ : ٤٩٤ — ٤٩٥) . والصطيب الثالث والبيت بعده ساقطان من ل .

(٦) في اللسان : « الحتى ، على فعيل : سويق المقل ، وقيل رديئه ، وقيل يابسه » ، وأنشد البيت التالي .

(٧) روى في أشعار الهذليين (٢ : ٨٧) منسوبا إلى المتنخل الهذلي ، وكذلك نسب إلى المتنخل في البيان (١ : ٣٢) وجمهرة ابن دريد (١ : ٢٧) .

(٨) في أشعار الهذليين واللسان وجمهرة الأمثال للعسكرى ١٧٩ : « نازلكم » . وفي جمهرة ابن دريد (١ : ٢٧ ، ٢ : ٦) : « واللحم » . وفي اللسان (٥ : ٣٦٥) : « نازلهم » كما هنا . قال العسكرى : « ويقولون منه للمدح لله در فلان ، ومنه الذم لادر دره . . . ومعنى قولهم لا در دره أي لا كان له خير يدر على الناس » . والقرف ، بالكسر : ما قرف ، يعني قشره . وفي الأصل : « مكنوز » صوابه في الهذليين واللسان والبيان وجمهرة ابن دريد وجمهرة الأمثال . =

باب آخر

مما للسنور فيه فضيلة[١] على جميع أصناف الحيوان ماخلا الإنسان

وإذا قال القائل : فلان وضعَ كتاباً فى أصناف الحيوان — فليس يدخل فيها الملائكةُ والجنُّ . وعلى هذا كلام الناس .

والحيوان موضع آخر ، وهو قول الله عز وجل فى كتابه : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ[٢] ﴾ .

قد علمنا أن العُجْم من السِّباع والبهائم ، كلما قرُبت من مُشاكَلة الناس ، كان أشرف [لها] . والإنسان هو الفصيحُ وهو الناطق .

(إطلاق الناطق على الحيوان)

وقد يشتقون لسائر الحيوان الذى يُصَوِّتُ ويصيح[٣] ، اسم الناطق إذا قرنوه فى الذكر إلى الصامت . ولهذا الفرق أعطوه هذه المشاكلةَ ، وهذا الاشتقاق . فإذا تهيأ من لسانٍ بعضها من الحروف مقدارٌ يَفضُلُ به[٤] على مقادير الأصناف الباقيةِ ، كان أولى بهذا الاسمِ عندهم .

= والبيت أول أبيات زائية عددها ١١ بيتاً ، وبعده :

لو أنه جلفق جوعان مهتلك من بؤس الناس عنه الخير محجوز

(١) فيا عدا ل : « فضيلة » . وكلمة : « أصناف » الثانية ساقطة من ل .

(٢) الحيوان ، فى الآية الكريمة : مصدر كالحياة . الآية ٦٤ من سورة العنكبوت .

(٣) فيا عدا ل : « التى تصوت وتصيح » .

(٤) ط ، هو : « مقدار ما تفضل به » .

فما تهيأ القطاة ثلاثة أحرف . قاف ، وطاء ، وألف ، وكان[1] ذلك هو صوتها ، سمّوها بصوتها ، ثم زعموا أنها صادقةٌ فى تسميتها نفسها قطا ، قال الـكُمَيت :

كالناطقات الصادقا ... تِ الواسقاتِ مِنَ الذَّخائرِ[2]

وقال الآخر وذَكَرَ القطاة[3] :

وصـادقةٍ قـد خبّرتْ ، ما بعثتها ... طُرُوقاً ، وباقى الليـل فى الأرض مُسْدِفُ[4]

فجعلها مُخبِرة ، و [جعل] خبرها صدقاً ، حين زعمت أنها قطا ؛ وإن كانت القطاة لم تَرُمْ ذلك[5] .

والعرب تتوسع فى كلامها . وبأى شىء تفاهمَ الناسُ فهو بيانٌ ، ٨٩
إلا أن بعضه أحسنُ من بعض .

والذى تهيأ للشاةِ قولها : ما ، و [لذلك] قال ذو الرُّمة :

لا يرفعُ الصَّوتَ إلا ما تخوّنَه ... داعٍ يناديه باسم (الماء) مَبغُومُ[6]

---

(١) فيما عدا ل : « فكان » .
(٢) هـ : « كأن خلقات » ط : « كأن الناطقات » صوابه فى ل ، س والعمدة (٢ : ٢٣) . الواسقات : الجامعات .
(٣) ل ، ط ، هـ : « فى ذكر القطاة » .
(٤) طروقا : ليلا . وفى اللسان (١٢ : ٨٧) : « وأتانا فلان طروقا إذا جاء بليل » . مسدف : مظلم . ل : « قد تبعثها » . وفيما عدا ل : « مسرف » تحريف .
(٥) رام الشىء يرومه : أراده . ل : « لم ترد ذلك » .
(٦) الرواية فى الحيوان واللسان (١٦ : ٣٠٢) : « لا يرفع الطرف » أى العين . وفى الديوان ٥٧١ واللسان (٨ : ٢٤٨ و١٤ : ٣١٧ و٢٠ : ٣٦٣) : « لا ينعش الطرف » ينعش : يرفع . تخونه : تعهده . وإنما وصف ولد ظبية أودعته خمراً من الأرض ، وهى ترتع بالقرب منه ، وتتعهده بالنظر إليه ، وتؤنسه ببغامها ، فهو لا يرفع طرفه إلا أن يسمع صوت أمه تناديه . ط ، س : « تخوفه » فى ل ، هـ وسائر المصادر . والماء : حكاية صوت الشاة ، جعله للظبية . مبغوم : باغم ، وضع مفعولا موضع فاعل . بغمت الظبية : صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها .

وقال أبو عبّاد النميرىّ لخُرَيق النُّمَيرى[١] ، وكان يتعشّقه[٢] ورآه قد اشترى أضحيَةً ، فقال :

يا ذابح الشاه ماه   فَعَلتَ فعل الجفاه[٣]
أما رَحِمتَ مِنَ الموْ   تِ يا خُرَيق شاه[٤]

والصبيان هم الذين يسمون الشاة : ماه[٥] ، كأنهم سمّوها بالذى أسمعوه[٦] منها ، حين جهلوا اسمها .

وقيل لصبى يلعب على بابهم : مَن أبوكَ يا غُلام ؟ — وكان اسم أبيه كلباً — فقال : وَو وَو[٧] .

وزعم صاحبُ المنطق ، أن كل طائر عريض اللسان ، فالإفصاح بحروف الكلام منه أوجَد[٨] .

ولابن آوى صياحٌ يشبهُ صِياحَ الصبيان . وكذلك الخنزير . وقد تهيأ للكلب مثلُ : عَفْ عَفْ ، ووَو وَو ، وأشباه ذلك . وتهيّأ

---

(١) ط ، هو : « لخويتق » س : « لخرنيق » وأثبت ما فى ل . و« النميرى » عوض ط فقط « النميرى » .

(٢) فيما عدا ل : « يتعسفه » تحريف

(٣) فيما عدا ل : « للشاه » و« والجفاة » .

(٤) خريق : تصغير خرىق . ط ، هو : « خوينق » س : « خرنيق » وأثبت ما فى ل .

(٥) وفيما عدا ل « ماما » .

(٦) فيما عدا ل : « سمعوا » .

(٧) ورد هذا الخبر برواية الهيثم بن عدى فى الحيوان (٢ : ١٦٨) والبيان (١ : ٦٣) .

(٨) أوجد : أكثر وجوداً . ط فقط : « أوجه » تحريف . فى هو ، س : « لحروف الكلام » تحريف . وفى البيان (١ : ٦١) عن صاحب المنطق أنه زعم فى كتاب الحيوان « أن الطائر ، والسبع ، والبهيمة ، كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين ، وأحكى لما يلقن ولما يسمع » .

الغراب القاف(1). [وقد تهيَّأ الهزاردَستان(2) — وهو العندليب — ألوانٌ أُخر]، و[قد] تهيَّأ للببغاء من الحروف أكثرُ . فإذا صرتَ إلى السنانيرِ وجدتَها قد تهيَّأ لها من الحروفِ العددُ الكثير، ومتى أحببتَ أن تعرفَ ذلك فتسمع تجاوُبَ السنانيرِ ، وتوعُّدَ بعضها لبعض في جوف الليل ، ثم أحصِ ما تسمعه وتتبّعه ، وتوقّفْ عنده ، فإنك ترى من عدد الحروف مالو كان لها(3) من الحاجاتِ والعقولِ والاستطاعات ؛ ثم ألّفتْها لكانت(4) لغة صالحة الموضِع(5) ، متوسّطة الحال .

(العلة في صعوبة بعض اللغات)

واللغاتُ إنما تشتدُّ وتعسُرُ على المتكلم بها ، على قدر جهله بأماكنها التي وُضعت فيها ، وعلى قدر كثرةِ العدد وقلّته ، وعلى قدرِ مخارجها ، وخفتها وسَلَسِها ، وثِقلها وتعقّدِها في أنفسها ، كفرق ما بين الزّنجي والخُوزي فإن الرجلَ يتنخّس في بيع الزّنج وابتياعهم شهراً واحداً(6) فيتكلمُ بعامّة كلامهم ، ويبايع الخُوزَ ، ويجاورُهم زماناً فلا يتعلّق منهم بطائل .

---

(1) أي في قوله : «غاق غاق» . وهذه الجملة ساقطة من ل . وفي س : «أساف» بدل «القاف» ، وفي هو : «وتهيأ للقاف أساف» تحريف .
(2) هذه الكلمة الفارسية مركبة من «هزار» بمعنى ألف . و «دستان» بمعنى أغنية أو لحن . وذلك لأنه يغني ألحاناً كثيرة .
(3) فيما عدا ل : «ما إن كان بها» .
(4) فيما عدا ل : «صارت» .
(5) س : «الوضع» .
(6) يتنخس : أراد يحترف النخاسة . والنخاسة ، بكسر النون وفتحها : بيع الرقيق والعبيد وأصل النخاس بائع الدواب ، سمي بذلك لنخسه إياها . والفعل «يتنخس» لم تذكره المعاجم . ط فقط : «وإن الرجل» ، ل : «ويتخاصم» .

والجملةُ : أن مِنْ أعوَنِ الأسباب عَلَى تعلُّم اللغة[١] فرط الحاجة إلى ذلك . [وعلى قدر الضرورة إليها فى المعاملةِ يكونُ البلوغُ فيها والتقصير عنها]

(مناسبة الهر للإنسان)

والسنور يناسبُ الإنسان فى أمور[٢] : منها أنه يعطِسُ ، ومنها أنه يتثاءب ، ومنها أنه يتمطَّى ويغسل وجهَهُ وعينَيه بلعابه . وتلطع المرةُ وبَرَ جلدِ ولدِها[٣] بعد الكبر ، و [فى] الصغر ، حتى يصير كأن الدِّهان تجرى فى جلده[٤] .

(ما يتهيأ للغربان من الحروف)

ويتهيأ لبعض الغِربان من الحروف والحكايةِ ما لا يَعْشِرُهُ الببغاء[٥]

(نفع الفأر)

وزعمت الأطباء أن خُرْءَ الفأر يُسقاهُ صاحبُ الاسر فيُطْلَق [عن]

---

(١) فيما عدا ل : « اللفظ » تحريف . والكلام من مبدأ : « والجملة » إلى : « يكون » الثالثة ساقط من س .
(٢) فيما عدا ل : « بأسباب » .
(٣) تلطع : تلحس . س ، ه : « يلطع » تحريف . ط : « وتبرق جلد ولدها » س : « ويبرق » ه : « ويبر » صوابه فى ل .
(٤) الدهان : جمع دهن . فيما عدا ل : « يجرى » وفى س : « فيه » بدل « فى جلده » .
(٥) يعشره : يبلغ عشره . ط : « وتقسره » س ، ه : « يفسره » صوابه فى ل . وكلمة « والحكاية » ليست فى س .

بوله . والأسر هو حُصْر البول ولكن لايسمّى بذلك[1] . وهو الأسر بالألف، دون الياء

ويصيب الصبيَّ الحصرُ[2] فيحتمل من خُرْء الفأر فيُطْلِق عنه[3] . قد تهيأ فى خرء الفأر دواءان[4] لداءين قاتلين مجهزين[5] . ولذلك قيل لأعرابىّ قد اجتمعت فيه أوجاعٌ شداد : أىَّ شىء تشتكى ؟ قال : أما الذى يعمِدنى[6] فحصرٌ وأسر .

(استطراد لغوى)

يقال : خَثَى الثور يَخثِي خَثْياً . وواحد الأخثاء خِثْىٌ كما ترى .

ويقال : خَزَق[7] الطائر ، وذَرَق ، ومَزَق[8] ، وزَرَق .

قال ابنُ الأعرابىّ : لايكون النجوُ جَعْراً[9] حتى يكون يابساً .

ويقال : وَنَم الذُّبابُ . واسم نجوِه : الونيم . وقال الشاعر[10] :

---

(١) أى لا يقال به حصر من البول ، وإنما يقال به أسر فقط . وفى اللسان : « الأصمعى واليزيدى : الحصر من الغائط ، والأسر من البول » .

(٢) الحصر ، بضم وبضمتين : احتباس البطن .

(٣) ل : « خرء الجرذان » .

(٤) فيما عدا ل : « وقد تهيأ منه » وفى ل : « خرو الفأر » . ط ، هو : « دوآن » ل : « دواءين » صوابه فى س .

(٥) أجهز : أسرع فى القتل . وهذه الكلمة ساقطة من ط ، هو . وبدلها فى س : « مجهدين » تحريف ما أثبت من ل .

(٦) عمده : أشجاه ، وأوجعه ، وفدحه . ط ، س : « يقيقف » هو : « يقرقل » صوابه فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « خزق » تحريف .

(٨) مزق ، بالزاى . وفى حديث ابن عمر : « أن طائرا مزق عليه » أى ذرق ورمى بسلحه . فيما عدا ل : « مرق » تحريف .

(٩) كذا على الصواب فى ل . وفيما عداها : « رجعا » . والرجع : الروث .

(١٠) هو الفرزدق ، كما فى صحاح الجوهرى (ونم) ونقله صاحب اللسان : وليس فى ديوانه . وفى الاقتضاب ٣٤٩ : « والبيت للفرزدق فيما رواه أبو العباس المبرد » . وأنشد قبله بيتا آخر فيه كلام طويل . ولم يرو البيت أبو العباس المبرد فى الكامل .

وقد وَنَّمَ الذُّبابُ عليه حتى كأنَّ ونيمَهُ نَقطُ المِدادِ[١]

وهو[٢] ونِيم الذُّباب، وعُرَّة الطائر[٣]، وصوم النعام، ورَوث الحافر، وبعر البعير والشاةِ والظبي، وخِثى البقرِ[٤].

وقال الزُّبير[٥]: «مَن أهدَى لنا مِكتلاً من [عُرَّةٍ أهدَينا له مِكتلاً مِن] تمر[٦]».

قال: العرَّة[٧] اسمٌ لجميع ما يكونُ من جميع الحيوان. ولذا قال الزبير[٥] ما قال.

[قال]: ويقال: رَمَصَت الدجاجة[٨]، وذرقت، وسَكَحَت. فإذا صاروا إلى الإنسان والفأرة قالوا: خُرء الإنسان وخُرء الفأرة. ويقال:

---

(١) الرواية في المخصص (٨ : ١١٦) وأدب الكاتب ١٢٤ واللسان (ونم): «لقد ونم».

(٢) فيما عدا ل: «وهو».

(٣) العرة، بضم العين: ذرق الطائر. ط: «عره» س، هو: «قرأ» صوابه في ل.

(٤) الخثي، بالكسر. فيما عدا ل: «خثاه» تحريف.

(٥) هو الزبير بن العوام الأسدي، حواري الرسول، وأحد العشرة الذين سموا للجنة. وكان رسول الله أقطعه حضر فرسه، فركض حتى أعيا فرسه. ويروى أنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فكان لا يدخل بيته منه شيئا، يتصدق به كله. قتله ابن جرموز بوادي السباع يوم الجمل سنة ست وثلاثين. الإصابة ٢٧٨٣ والمعارف ٩٦ — ٩٧. وفي طبقات ابن سعد (٣ : ٧٧) عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: «كان قيمة ما ترك الزبير أحداً وخمسين أو اثنين وخمسين ألف ألف». فيما عدا ل: «ابن الزبير». على أن الكلام روي منسوبا إلى سعد بن أبي وقاص، أنه كان يدمل أرضه بالعرة فيقول: «مكتل عرة مكتل بر». انظر اللسان (٦ : ٢٢٣ س ٥ و ١٣ : ٢٦٦ س ١٥). دمل أرضه وأدملها: أصلحها بالدمال، والدمال، كسحاب: السرجين يصلح به الأرض. وفي جمهرة ابن دريد (١ : ٨٤): «وفي الحديث أن سعدا كان يحمل إلى أرضه العرة».

(٦) المكتل، كمنبر: شبه الزبيل يسع خمسة عشر صاعا.

(٧) ط: «العذرة»، س: «القرة» صوابه ما أثبت من ل.

(٨) رمصت، بالصاد المهملة. وفيما عدا ل: «رمضت» تحريف.

خُروءة الفأرة[1] أدخلوا الماء فيه ، كما قالوا ذُكورة الذُّكران[2] . وقد يُستعار ذلك لغير الإنسان والفأرة . قالت دَخْتَنُوس بنتُ لَقيطِ بن زُرارة ، في يوم شِعْب جَبَلة[3] :

فرّتْ بنو أسَدٍ خرُو ءَ الطَّير عن أربابها

فلذلك يقال لبني أسد : خروء الطير[5] . وقيل لهم : عبيد العصا[6] [ببيت] قاله صاحبهم بشرُ بن أبي خازم ، قالها لأوس بن حارثة[7] :

عَبيدُ العَصَا لم يَتَّقُوكَ بذمةٍ سِوى سَيْبِ سُعْدَى إنَّ سَيْبَكَ واسعُ[8]

---

(١) فيما عدا ل : « خروءة » تحريف . وفي ل : « الفحل » صوابه في سائر النسخ .
(٢) فيما عدا ل : « الذكر » تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « أدخلوا فيها الماء » .
(٣) ترثي أباها لقيط بن زرارة . وروى ابن الأثير أن لقيطا تزوج ابنته دختنوس على عادة المجوس ، وأنه قتل وهي تحته . والبيت التالي من أبيات رواها ابن الأثير في الكامل (١ : ٣٥٧) ثلاثة عشر بيتا ، وروى منها صاحب العقد (٣ : ٣٠٩) ثلاثة أبيات وكان يوم شعب جبلة لعامر وعبس على ذبيان وتميم ، واجتمعت فيه أسد وغطفان إلى لقيط . ودارت الدائرة على ذبيان وتميم وقتل لقيط ، وأسر أخوه حاجب . وكان شعب جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد الرسول الكريم .
(٤) فيما عدا ل : « بخرء الطير » تحريف . وفي الكامل والعقد : « فرار الطير » .
(٥) فيما عدا ل : « خرء الطير » .
(٦) انظر المثل : « عبيد العصا » مجمع الميداني (١ : ٤٢٦) وثمار القلوب ٤٠٤ .
(٧) هو أوس بن حارثة بن لأم الطائي . وكان بشر قد حلف على هجاء أوس وجعلت له في ذلك جعالة ، فهجاه بخمس قصائد ، ثم وقع بشر في الأسر ، وظفر به أوس بعد أن أعطى من أسروه مائتي بعير وأوقد له ناراً ليحرقه ، فبلغ ذلك أم أوس ، وهي سعدى بنت حصن ، فأنذرته أن يخلي سبيله ويصفح عنه خوف الهجاء ، فعفا عنه وكساه وحمله وأمر له بمائة ناقة ، فكان ذلك سببا في أن يغسل بشر هجاء أوس بخمس قصائد في مدحه . انظر مختارات ابن الشجري ٦٥ — ٨٣ . والبيت الآتي من أبيات المديح ، وهي كذلك هجو في بني أسد ، وبنو أسد هم قوم بشر بن أبي خازم الأسدي ، فكأنه يتقرب إلى أوس بهجائه عشيرته وقومه .
(٨) سعدى ، وهي بنت حصن ، وهي أم أوس ، كما في التنبيه السابق . ل : « ولا يتقوك » . وتصحيحها لا النافية . وما أثبت من سائر النسخ يوافق رواية ثمار القلوب ٤٠٤ . وفيما عدا ل : « سوى سب شعرى إن سيبك واسع » . تحريف . وعند الثعالبي : « سوى أنهم غل وفضلك واسع » .

(ميسم الشعر)

فيجب على العاقل بعدَ أن يعرف مِيسم الشِّعر ومَضَرّتَه ، أن يتّقى لسانَ أخسِّ الشُّعراء وأجهلهم شِعراً بشِطْر ماله ؛ بل بما أمكنَ من ذلك . فأما العربىُّ أو المولى الرّاوية[1] ، فلو خرجَ إلى الشعراء من جميع مِلكه[2] لما عنَّفته .

والذى لا يكترث لوقع نِبالِ الشعر : كما قال الباخَرْزِى[3] :

مالى أرَى الناسَ يأخُذُونَ ويُعطُو   نَ ويستمتعون بالنَّشَبِ[4]

وأنتَ مثلُ الحمار أبهمَ لا   لاتشكو جراحاتِ ألسُنِ العَرَبِ[5]

ولأمرٍ مّا قال حذيفةُ لأخيه[6] ، والرماحُ شوارعُ فى صدره : « إياكَ والكلامَ المأثور[7] ! » .

---

(١) فيما عدا ل : « وأما العربى والمولى الرواية » .

(٢) فيما عدا ل : « ماله » .

(٣) أى هو كما قال الباخرزى . والباخرزى نسبة إلى باخرز ، بفتح الخاء وسكون الراء وزاى . وفى ه : « الناحزوى » تصحيف . وفى عيون الأخبار (٢ : ٤١) « قال الشاعر فى جاهل » .

(٤) النشب : المال .

(٥) أبهم ، فى اللسان (١٤ : ٣٢٢) : « والأبهم كالأعجم » . فيما عدا ل وعيون الأخبار : « إنهم شكوا جراحات » تحريف .

(٦) حذيفة ، هو حذيفة بن بدر الفزارى ، وكان رئيس فزارة فى حرب داحس . وأخوه الذى عنى الجاحظ هو حمل بن بدر . انظر العقد (٣ : ٣١٦) والبيان (٢ : ٨٨) .

(٧) قالها يوم الهباءة ، وهو يوم لعبس على بنى ذبيان . وكان قيس بن زهير العبسى قد أدرك بفرسان بنى عبس حمل بن بدر وأخاه ، فقال حمل : ناشدتك الله والرحم يا قيس ! وقال أيضاً لبنى عبس : نؤدى السبق ، ونرد الصبيان ، وتخلون سربنا وتسودون العرب ! فانتهره حذيفة وقال : « إياك والكلام المأثور » . وفى رواية العقد : « إياك والمأثور من الكلام ! » . وفى هذا اليوم قتل حذيفة وأخوه . وانظر ليوم الهباءة معجم البلدان وكامل ابن الأثير (١ : ٣٥٢) والعمدة (٢ : ١٦١) والميدانى (٢ : ٣٦٢) والخزانة (١ : ٣٠٣ ، ٣ : ٣٥٨ ، ٤ : ٥٨٥) .

وهذا مذهبٌ فَرَعَتْ فيه العربُ جميعَ الأمم[1] . وهو مذهبٌ جامع ٩١
لأسباب الخير[2] .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لموضع الغائط : الخلاء ، والمذْهب ، والمخْرَج ، والكنيفُ
والحُشُّ[3] ، والمرحاض ، والمِرْفق .

وكل ذلك كناية واشتقاق ، وهذا أيضاً يدلك على شدةِ هربهم من
الدناءة والفُسولة ، والفُحْش والقذَع[4] .

[قال] : وعن اليزيدى[5] : رجع الرجُلُ ، من الرجيع .

وخبرنى أبو العاصى[6] عن يونس ، قال : ليس الرجيع إلا رجيع

---

(١) فرع القوم : علاهم بالشرف . فيما عدا ل : « فرعت فيه الشعراء من جميع الأمم » ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « لأصناف الخير » .

(٣) الحش ، بالضم : هو فى أصله جماعة النخل ، والبستان . وكانوا فى الزمان الأول ، يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البساتين ، وقيل إلى النخل المجتمع . وهذه الكلمة ساقطة من ط ، س .

(٤) القذع ، محركة ، وآخرها عين : الخنا والفحش . فيما عدا ل : « والقدح » والقدح : الطعن .

(٥) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوى ، أبو محمد اليزيدى النحوى المقرئ اللغوى . بصرى سكن بغداد ، وحدث عن أبى عمرو والخليل ، ومنهما أخذ العربية . أدب أولاد يزيد بن منصور الحميرى ونسب إليه ، ثم أدب المأمون ، وكان المأمون يحبه ويستشيره فى العلم . مات بخراسان سنة ثنتين ومائتين عن أربع وسبعين . بغية الوعاة

(٦) أبو العاصى ، لم أعثر له على ترجمة . ل : « أبو العاص » وهما لغتان . وفى تاج العروس (١٠ : ٢٤٥) : « قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : هو العاصى بالياء لا يجوز حذفها . وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة . يعنى أنه من الأسماء المنقوصة فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » . وانظر شرح الرضى للشافية (٢ : ٣٠٢) .

القَوْل والسَّفَر والجِرَّة[١] . قال الله تعالى : ﴿ والسَّماءِ[٢] ذاتِ الرَّجْعِ ﴾[٣]
وقال المتنخِّل ، وهو المتنخِّل[٤] :

أبيضُ كالرَّجْعِ رَسوبٌ إذا ... ما ثاخ في مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِي[٥]

وفي الحديث[٦] : « فلما قدِمنا الشامَ وجدْنا مَرافقهم قد استُقْبِلَ بها القِبْلَة[٧] ، فكنّا نتحرَّف[٨] ونستغفرُ الله » .

---

(١) في اللسان : « وكل شئ مردد من قول أو فعل فهو رجيع ؛ لأن معناه مرجوع أي مردود » . وفيه : « وسفر رجيع مرجوع فيه مراراً » وفيه : « والرجيع الجرة لرجعه لها إلى الأكل » . فيما عدا ل : « القول والشعر والخبر » . تحريف .

(٢) الآية ١١ من سورة الطارق ، والرجع في الآية بمعنى المطر .

(٣) جميع النسخ ما عدا ل تزيد هنا : « فأما نجو الإنسان فإنه رجع » .

(٤) المتنخل : بكسر الخاء المشددة ، سبقت ترجمته في (٤ : ٤١٣) . والبيت في ديوان المتنخل من أشعار الهذليين (٢ : ٨٦) . فيما عدا ل : « هو المنخل » تحريف وانظر اللسان (٣ : ٤٨٨ و ٩ : ٤٧٨) وفيه النسبة إلى المتنخل . وفي المخصص (١٠ : ١٢٩) : « وقال بعض هذيل ووصف سيفاً فشبهه في بياضه وصفائه بالرجع » . وبدون نسبة في المخصص (٦ : ٢١) .

(٥) أراد بالأبيض السيف . والرجع : الغدير يتردد فيه الماء . والرسوب : الذي يرسب في اللحم . ثاخ : نزل وغاب فيه . ومحتفل ، روى بفتح الفاء وكسرها . وفي اللسان « ومحتفل الأمر معظمه . ومحتفل لحم الفخذ والساق أكثره لحما » . وأنشد البيت ، ثم قال : « ويجوز : في محفل » . يختلي : يقطع . و « أبيض » روى بالرفع في اللسان (ثوخ وحفل) وبالنصب في المخصص (٦ : ٢١) وبالجر في المخصص (١٠ : ١٢٩) وذلك مع رفع « رسوب » ونصبه وجره . وفي أشعار الهذليين بالجر والرفع . و « ثاخ » هي فيما عدا ل : « ناخ » صوابها في سائر المصادر .

(٦) في اللسان (١١ : ٤٠٩) : « وفي حديث أبي أيوب » . وأبو أيوب الأنصاري هو خالد بن زيد بن كليب ، شهد مع علي حروراء ، وغزا مع يزيد بن معاوية ، ومات بالقسطنطينية سنة إحدى وخمسين . وكان من أكابر الصحابة وأقدمهم إسلاما . وعليه نزل الرسول الكريم لما قدم المدينة . المعارف ١١٥ والإصابة ٢١٥٩ .

(٧) كلمة « القبلة » ليست في ل . والمرافق : جمع مرفق ، بكسر الميم ، وهو المغتسل والكنيف ونحوه . ولأجل هذه الكلمة ساق الجاحظ هذا الحديث .

(٨) س ، هـ : « نتحرف » .

(شعر ابن عبدل فى الفأرة والسنّور)

وقال ابنُ عَبْدَلٍ فى الفأرة والسنّور :

يا أبا طلحةَ الجوادَ أغِثْنِى ... بسِجالٍ من سَيْبِك المقسومِ[1]

أحْيِ نفسى فَدَتْكَ نفسى فإنّى ... مفلِسٌ قد عَلِمْتَ ذاكَ عديمُ[2]

أو تطوّعْ لنا بسَلْفِ دقيقٍ ... أجرُه إن فعلتَ ذاك عظيمُ[3]

قد علِمْتُمْ — فلا تَعَامَسُ عنّى — ... ما قضى اللهُ فى طعامِ اليتيمِ[4]

ــ[أراد : لاتعامَسُوا . فاكتفى بالضمة من الواو . وأنشد :

فلو أنّ الأطبّا كان حولى ... وكان مع الأطباء الأساةُ[1]]ــ

ليس لى غيرُ جرّة وأصيصٍ ... وكتابٍ مُنَمْنَمٍ كالوُشُومِ[5]

وكساءٍ أبيعُه برغيفٍ ... قد رَقَعْنا خُرُوقَه بأديمِ[6]

وإكافٍ أعارَنِيه نَشِيطٌ ... هُوَ لحافٌ لكلّ ضيفٍ كريمِ[7]

---

(١) سجال ، بالكسر : جمع سجل ، بالفتح ، وهو الدلو العظيمة المملوءة . والسيب : العطاء . ط فقط : « المحتوم » تحريف .

(٢) عديم : فقير . فيما عدا ل : « قديم » تحريف .

(٣) التطوع : التبرع من ذات النفس . ط ، س : « تطول » . والتطول : الامتنان ، ولا وجه له . والسلف ، بالفتح : الجراب الضخم ، وقيل هو الجراب ما كان .

(٤) التعامس : التغافل والتعامى . ط ، س : « فلا تقاعس » والتقاعس : الرجوع والتأخر . لكن التعقيب التالى يشهد بتحريفه . و « ما » هو مفعول « علمتم » وهو إشارة إلى قول الله : (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) . وقوله : (أو إطعام فى يوم ذى مسغبة . يتيماً ذا مقربة . أو مسكيناً ذا متربة) .

(٥) الأصيص : الدن المقطوع الرأس ، أو الباطية ، أو إناء كهيئة الجرة له عروتان يحمل فيه الطين . وفى الصحاح . الأصيص ما تكسر من الآنية ، وهو نصف الجرة أو الخابية تزرع فيه الرياحين . ط : « إصيص » صوابه فى سائر النسخ .

(٦) الأديم : الجلد لم يدبغ .

(٧) الإكاف ، بالكسر والضم ، ومثله الوكاف : البرذعة . أو مثل الرحل ، يكون للحمير والبغال والجمال . ونشيط : علم من أعلام الناس . هو : لغة فى « هو » . وفى اللسان (٢٠ : ٢٦٨ س ١٧) : « أبو الهيثم : بنو أسد تسكن هو وهى ، فيقولون هو زيد وهى هند » . ط ، هو : « ولحاف » تحريف .

وبيذي مما يبيع صُهيبٌ   يذَر الشيخَ ريحه ما يَقوم.(١)
ربّ حَلاً قد ذكرتُ أصيص   ولحاني حتى يَغورَ النجوم.(٢)
كل بيت عليه نصفُ رغيف   ذاك قَسْمٌ عليهمُ معلومْ
فرّ منه مولّيـا فارُ بيتى   ولقد كان ساكنا مايريم.(٣)
قلتُ: هذا صومُ النصارى فخلّوا   لاتُليحُوا شيوخَكم فى السّموم.(٤)
ضحِكَ الفأرُ ثم قلْن جميعاً   أهو الحقّ كلّ يوم تصوم.(٥)
قلت : إن البراء قد قامَ فى النّـ   ـاس بإذنٍ وأنتَ فينا ذميم.(٦)
حمَلُوا زادَهم على خُنفُسَات   وقُـراد مخيّس مزموم.(٧)
٩٢ وإذا ضفدعٌ عليـه إكافٌ   علّوه بعد النّفار الرّسيم.(٨)
حطموا أنفَهُ بقطعة حبـل   يا لَقومى لأنفِـه المخطوم.(٩)
نصَبُوا منجنيقهم حولَ بيتى ،   يالقومى لِبيْتِيَ المهدوم.(١٠)

---

(١) ل : « تذر الشيخ ريحه » .

(٢) س ، هو : « رث جبل » ط : ورثحيل » ل ، هو : « هوطالى » هو « كاتغور » .

(٣) ل : « فرمنى لفته » .

(٤) ألاح يليحه : أهلكه . فيما عدا ل : « لا تبيحوا » . والسموم : الريح الحارة .

(٥) ط : « أهو حق ن » هو ، « أهو احق » وفى ل : « يصوم » .

(٦) البراء ، بالفتح : أول ليلة أو يوم من الشهر ، أو آخرها أو آخره . فيما عدا ل : « الفناء » .

(٧) خنفسات : جمع خنفسة . ل : « خنفساة » تحريف . والقراد : دويبة . مخيس : مذلل . مزموم : وضع عليه الزمام . ط فقط : « مذموم » تحريف .

(٨) الرسيم : ضرب من السير . فيما عدا ل : « فإذا ضفدع » و : « بعد النفاد » .

(٩) ل : « يا لقوم » .

(١٠) المنجنيق ، بالفتح وتكسر : آلة ترمى بها الحجارة . مأخوذ من اليونانية (Magganon) كما نبهنى إلى ذلك الأب أنستاس فى مجلة الثقافة ص ٢٠١١ وكما فى معجم استينجاس ١٣٢٤ . وقد ذهبت عامة المعاجم العربية إلى أن الكلمة فارسية معربة ، مع أنها غير أصيلة فى الفارسية ، بل هى دخيلة عليها من اللغة اليونانية . وانظر المعرب ٣٠٥ — ٣٠٧ . ل : « يا لقوم » . وانظر التنبيه السابق .

وإذا في الغِباءِ سَمٌّ بُرَيْصٍ ... قائمٌ فوقَ بيتنا بِقَدُومِ (١)
قلتُ: بيتُ الجرينِ جمعُ صِدقٍ ... كان قِدْماً لجمعِكم معلومِ (٢)
قلنَ: لولا سِنَّوْرَتاهُ احتفرْنا ... مَسْكَنًا تحتَ تمرِهِ المركومِ (٣)
إن تُلاقِ سِنَّوْرَتاهُ فضاءً ... تذرانا وجَمْعَنا كالهزيمِ (٤)
عشَّشَ العنكبوتُ في قعرِ دَنِّي ... إنَّ ذا مِن رَزِيَّتي لعظيمِ (٥)
ليتني قد غمرتُ دَنِّيَ حتى ... أبصرَ العنكبوتَ فيه يعومِ (٦)
غرِقاً لا يُغيثُه الدهرَ إلا ... زَبَدٌ فوقَ رأسِهِ مركومِ (٧)
مُخرِجاً كفَّهُ يُنادِي ذُباباً ... أنْ أغِثْني فإنني مظلومْ
قال ذَرْني فلنْ أُطيقَ دُنُوًّا ... من نَبيذٍ يَشُمُّهُ المزكومِ (٨)

---

(١) الغباء: الغبار، وفيه لغات: كسحاب، وغبار، ويضم مع القصر: انظر اللسان (٢٠ : ٢٥٠ س ١٦). ل، سه: «الغبار» وهما سواء، كما رأيت. و«سم بريص»: أراد به سام أبرص، وهو الوزغة. وهذا اللفظ لم يرد في المعاجم، ولا أحسبه إلا لغة عامية. ط، هو: «وسم برقص» سه: «سح برقص» تحريفان.

(٢) الجرين: موضع التمر الذي يجفف. ل: «الغريب» سه، هو: «الغريف» ط: «العرين» ووجهه ما أثبت. وفيما عدا ل: «هو قدما بجمعكم».

(٣) الضمير في «قلن» لجماعة الفأر. وفي الأصل: «قلت» تحريف. وسنورتاه: مثنى سنورة مضاف إلى الضمير. ولم يرد تأنيث السنور في المعاجم، لكن قال الدميري: «قال ابن قتيبة: يقال في الأنثى سنورة، كما يقال في أنثى الضفادع ضفدعة» والمركوم: المجموع. فيما عدا ل: «ثمرة» تحريف.

(٤) ل: «تلاق». وفيما عدا ل: «فضاء» وهذه محرفة. وفي ل: «يذراننا».

(٥) في الأصل: «في قعر بيتي» والوجه ما أثبت.

(٦) غمرته: ملأته. وفي الأصل: «غمرت». ط: «يقوم» صوابه في سائر النسخ. والعنكبوت قد يذكر.

(٧) غرقا: غريقا. فيما عدا ل: «عرفا» تحريف. يغيثه، من في ط، سه: «يغيثه» و هو: «يعيبه» وصوابه ما أثبت من ل.

(٨) من شدة رائحته. ل: «يقطر» بمعنى يصرع.

وقال فى الفأر والسنور :

قد قال سِنَّوْرُنا وأَعْهَدُهُ ... قد كان عضباً مُفَوَّهاً لَسِناً[1]

لو أصبحتْ عندنا جِنازتُها ... حُنِّطت واشترى لها كَفَنا[2]

ثم جمعْنا معابق وغدَوا ... فيهم كُرَيْبٌ يَبْكى وقام لنا[3]

كلُّ عجوزٍ حُلْوٍ شمائلُها ... كانت لِجِرْذانِ بيتنا شَجَنا[4]

من كلّ حدباءَ ذاتِ خَشْخَشةٍ ... أو جُرَذٍ ذى شوارب أرِنا[5]

سَقْياً لِسِنَّوْرةٍ فُجِعْتُ بها ... كانتْ لميثاء حقبةً سكنا[6]

(ضروب الفأر)

قال : والفأر ضروب : فمنها[7] الجرذان والفأر المعروفان ، وهما كالجواميس والبقر ، وكالبُخْت والعِراب . ومنها الزباب . ومنها الخُلْد

(١) ل : « وأعهده » وبكل منهما يستقيم الشعر . والعضب : الحديد فى الكلام ، وفيما عدا ل : « غضبا » .

(٢) حنطت : طيبت بالحنوط ، وهو طيب يخلط للميت خاصة . ل : « واشترى لها » .

(٣) كريب ، كذا وردت مضبوطة فى ل . ولعلها علم لسنور من سنانيره . فيما عدا ل : « كالب » . وفى ل : « لمس فأزلنا » .

(٤) عجوز ، أى من السنانير ، كانت شجنا وحزنا للفيران ، لما تصطادهم وتفتك بهم .

(٥) حدباء ، أى من الجرذان . والحدب : خروج الظهر . والخشخشة : صوت كل شىء يابس ، وأراد ما تحدث من الخشخشة حين تقرض الخبز اليابس والخشب ونحوها والأرن : النشيط . ل : « مرنا » .

(٦) ميثاء : اسم امرأة ، لعلها زوجه أو بنته . قال الأعشى :

لميثاء دار قد تعفت طلولها ... عفتها نضيضات الصبا فسيولها

بدلها فى ط : « كيت » ، س : « ليث » ، و : « ليت » صوابه فى ل . وفيما عدا ل « أشغيه » موضع « حقبة » تحريف . والحقبة : مدة من الدهر . والسكن : كل ما سكنت إليه واطمأننت به من أهل وغيره .

(٧) فيما عدا ل : « منها » .

واليرابيع شكلٌ من الفأر ، واسم ولدِ اليربوع دِرص ، مثل ولد الفأر[١]

ومن الفأر فأرةُ المِسك ، وهى دويبّةٌ تسكونُ فى ناحية تُبّت ، تصادُ لنوافجها وسُرَرِها[٢] . فإذا اصطادها [صائد] عصَب سُرتَها بعصاب شديد ، وسُرتها مدلاة ، فيجتمع فيها دمها[٣] فإذا أحكمَ ذلك ذبحها — وما أكثرَ من يأكلها — فإذا ماتت قوّر السرةَ التى كان عصبَها له والفأرة حيّة ، ثم دفنها فى الشعير حتى يستحيلَ ذلك الدمُ المحتقِنُ ٩٣ هناك[٤] ، الجامدُ بعد موتها ، مِسكا ذَكيًا[٥] ، بعد أن كان ذلك الدّمُ لا يُرام نَتْنا .

قال : وفى البيوت أيضاً قد يوجد فأرٌ مما يقال له : فأر المسك ، وهى جرذانٌ سودٌ ليس عندها إلا تلك الرائحةُ اللازمةُ له .

قال : وفى الجرذان جنسٌ لها عبثٌ بالنقود والشُّنوف[٦] ، والدراهم [والدنانير ، على شبيه بالذى عليه خُلُق العَقعَق[٧] إلا أن هذه الجرذان

---

(١) الكلام من : « واسم ولد اليربوع » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) النوافج : جمع نافجة ، وهى وعاء المسك ، أى الجلدة التى يجتمع فيها ، وترى المعاجم العربية أنه فارسى معرب ، وصرح صاحب المعيار وادى شير أنه معرب « نافه » قال المحقق الأستاذ أحمد شاكر فى شرح المعرب ٣٤١ : « وكل هذا دعوى لا دليل عليها لأن مادة « ن ف ج » عربية ، وكل ما ارتفع فقد نفج ، ثم استعمل فى معان كثيرة ترجع إلى هذا الأصل ، ونافجة المسك لا تخرج عنه » . والسرر : جمع سرة . فيما عدا ل « سرتها » . وما أثبت من ل يوافق مانقل النويرى عن الجاحظ فى نهاية الأرب (١٠ : ١٧١) .

(٣) كذا فى ل ونهاية الأرب والسان (٦ : ٣٤٨) نقلا عن الجاحظ . وفى سائر النسخ : « الدم » .

(٤) ل : « هنالك » .

(٥) ذكيا : ساطع الريح . ط فقط : « زكيا » صوابه فى سائر النسخ والنويرى والسان .

(٦) الشنوف : جمع شنف ، بالفتح ، وهو القرط ، أو القرط يلبس فى أعلى الأذن .

(٧) العقعق : طائر له ولوع بالسرقة . وانظر ص ١٠٢ — ١٠٣ من هذا الجزء .

تفرح بالدنانير والدراهم] ، وبخشخاش الحلى[1] وذلك أنها تخرجها من جُحرها في بعض الزمان ، فتلعب عليها وحواليها ، ثم تنقلها[2] واحداً واحداً ، حتى تُعيدَها عن آخرها إلى موضعها .

فزعم الشَّرقيُّ بنُ القُطَاميّ[3] ـ[وقد رَوَوْهُ عن شَوْكَرٍ[4]]ـ أن رجلاً من أهل الشام اطَّلع على جُرَذٍ يُخرجُ من جُحره ديناراً[5] [ديناراً] ، فلما رآه قد أخرج مالا صالحًا استخفَّه الحِرصُ ، فهمّ أن يأخذَه[6] ، ثم أدركه الحزْم ، وفتح له الرزقُ للقــوم باباً من الفطنة[7] ، فقال : [الرأيُ] أن[8] أمْسِك عن أخذه[9] ما دامَ يخرجُ ، فإذا رأيتُه يُدخِلُ فعند أول دينار[10] يغيِّبه ويُعيده إلى مكانه أثِبُ عليه ، فأجترفُ المــال .

---

(١) الخشخاش من الحلى : ما له خشخشة وصوت . فيما عدا ل : « وخشخشة الحلى » .
(٢) فيما عدا ل : « تنقله » .
(٤) الشرقى لقب له . واسمه الوليد بن الحصين ، أحد النسابين الرواة للأخبار والأنساب والدواوين ، وكان وافر الأدب ، أقدمه المنصور بغداد ، وضم إليه المهدي ليأخذ من أدبه . تاريخ بغداد ٤٨٣٧ وابن النديم ١٣٢ ولسان الميزان (٣ : ١٤٢ — ١١٣) . والقطامى لقب أبيه ، واسمه الحصين بن حمال ، يقال بفتح القاف وضمها : مأخوذ من القطامى بفتح القاف وضمها ، وهو ، الصقر . ويسمى : « القطامى الكلبى » . وهو شاعر محسن ، ذكره صاحب المؤتلف ١٦٦ — ١٦٧ .
(٤) هذه الزيادة من س فقط . وفى لسان الميزان (٣ : ١٥٨) : « شوكر ، أخبارى مؤرخ لا يعتمد عليه ، شيعى ، كان فى المائة الثانية . ذكره عمر بن شبة فى أهل البصرة وقال : كان يضع الأخبار والأسفار (صوابه : الأشعار) . وقد قرنه خلف الأحمر فى شعر له بابن دأب ، يقول فيه :
أحاديث ألفها شوكر وأخرى مؤلفة لابن دأب » .
وفى الأصل ، وهو هنا س : « لوكر » باللام ، تحريف .
(٥) فيما عدا ل : « من جحره دينار » تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « فهم بأن يأخذها » .
(٧) كلمة « القــوم » ليست فى ل . وبدلها فى س : « المقدور » . وكلمة : « الفطنة » ساقطة من س .
(٨) ط ، هو : « أنا » سه « وإن » بكسر الهمزة ، تحريف .
(٩) ط ، هو : « أن أخذها » صوابه فى ل ، سه .
(١٠) سه : « فأول دينار » .

قال : فقمتُ وعدتُ إلى موضعي الذي كنتُ أراه منه . [فبينا هو يخرجُ إذ ترك الإخراج ، ثم جعل يرقصُ ويثبُ إلى الهواء ، ويذهبُ يَمنة ويَسرةً ساعة ، ثم أخذ دينارا فولّى به][1] ، فأدخله [الجُحر ، فلما رأيتُ ذلك قمتُ إلى الدنانير فأخذتها] ، فلما عادَ ليأخذَ ديناراً آخر فلم يجد الدنانير[2] أقبل يثبُ في الهواء ، ثم يضربُ بنفسه الأرضَ ، حتى مات .

وهذا الحديثُ من أحاديثِ النساء وأشباه النساء .

بابٌ آخر
يدَّعونه القأر[3]

وهو الذي ينظر فيه أصحاب الفراسة في قرض الفأر ، كما ينظر بعضهم في الخيلان[4] ، وفي الأكتاف ، وفي أسرار الكف[5] :

ويزعمون أن أبا جعفر المنصور نزلَ في بعض القُرى ، فقرض الفأرُ مِسْحاً له كان يجلسُ عليه ، فبعث به ليُرفَأ[6] ، فقال لهم الرفّاء : إن هنا أهل بيتٍ يَعرِفون بقَرْضِ الفأر ما ينال صاحب المتاع من خير أو شر ، فلا عليكم[7] أن تعرضوه عليهم قبل أن تصلحوه . فبعث المنصورُ إلى

---

(١) قبل هذه الكلمة فيما عدا ل : « فظل يخرج ما شاء الله تعالى » .
(٢) فيما عدا ل : « الدينار » تحريف .
(٣) ط : « في الفأر » .
(٤) الخيلان : جمع خال ، وهي نكتة سوداء في البدن .
(٥) أسرار الكف : خطوطها ، الواحد سر ، بالكسر والضم ، قال الأعشى :
فانظر إلى كفٍّ وأسرارِها هل أنت إن أوعدتني ضيري
(٦) رفأ الثوب : لأم خرقه وضم بعضه إلى بعض . ل ، س : « ليرفاه » بالتسهيل .
(٧) فيما عدا ل وكذا نهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) : « فما عليكم » .

شيخهم ، فلما وقعت عينُه على موضعِ القرضِ وثَب وقام قائما[1] ثم قال : مَن صاحبُ هــذا المِسح ؟ فقال المنصور: أنا . فقام ثم قال[2] : السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاتُه ! والله لَتَلِيَنَّ الخِلافة أو أكون جاهلا أو كذابا !

[ذكر هذا الحديث عمر بن السَّكونى الصريمى[3] وقد قضى على بعض البلدان].

(فأرة المسك)

وسألت بعض العطارين من أصحابنا المعتزلة[4] عن فأرة المسك فقال : ليس بالفأرة ، وهو بالخِشف[5] أشبه . ثم قصَّ عَلَيَّ شأن المسك وكيف يُصْطنع . وقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تطيَّب بالمِسْك ٩٤
لَمَا تطيَّبْت به ، فأما الزَّبادُ[6] فليس مما يقرب ثيابى منه[7] شىء

---

(١) س ونهاية الأرب : « وثب قائما » ل : « وثب فقام قائما » .

(٢) فيما عدا ل : « فقال » فقط .

(٣) فى أنساب السمعانى (٢ : ١٠١) : « أبو المنذر عمر بن مجمع السكونى الكندى من أهل الكوفة . يروى عن هشام بن عروة وابن أبى خالد ... روى عنه أحمد بن حنبل وأهل العراق » .

(٤) فيما عدا ل : « من أصحاب المعتزلة » .

(٥) الخشف ، مثلثة : ولد الظبية أول ما يولد .

(٦) الزباد ، كسحاب : ضرب من الطيب ، وهو عرق حيوان يشبه السنور البرى . قال صاحب مباهج الفكر : « لا يغادر شيئا منه إلا أنه أطول خطما وذنبا وأكبر جثة » ويسمى سنور الزباد : (Civet Cat) يوجد كثيرا بمقدشيو (مقدشو) من أعمال الحبشة ، يرعى المراعى الطيبة ، ويعلف السنبل الرطب ، ويوضع فى أقفاص الحديد ، ويلاعب فيسيل الزباد من حلم صغار بين فخذيه ، فتعد له ملاعق الفضة أو الذهب ويؤخذ . وهذا الحيوان لا يعيش غالبا إلا بالبلاد الحارة كالحبشة وأطراف الصين . وأجوده الموجود بشمطرى (سومطرا) من أعمال الهند . انظر تذكرة داود والمعتمد . قال صاحب القاموس : « وغلط الفقهاء واللغويون فى قولهم : الزباد دابة يجلب منها الطيب . وإنما الدابة السنور والزباد الطيب » . فيما عدا ل : « وأما الزباب » تحريف .

(٧) ط ، س : « مما يقرب منه فى شىء » هر : « مما يقرب فى شىء » ل : « مما يقرب ثيابى » فقط .

قلت له: وكيف[1] يرتضعُ الجديُ من لبنِ خنزيرةٍ فلا يحرمُ لحمه؟
[قال]: لأن ذلك اللبن استحال لحماً، وخرجَ من تلك الطبيعة، ومن تلك الصورة، ومن ذلك الاسم. وكذلك لحومُ الجلالة[2]. فالمسكُ غيرُ الدم، والخلُّ غير الخمر. والجوهرُ ليس يحرُمُ بعينه، وإنما يحرم للأعراض[3] [والعِلَل]. فلا تقزَّزْ منه عند تذكرك الدمَ المقين[4]؛ فإنه ليس [به].
وقد تتحوَّل النار هواء، والهواء ماء، فيصير الشبه الذي بين الماء والنار بعيداً جدًّا.

(بيت الفأر)

والجِرذانُ لا تحفرُ بيوتَها على قارعةِ طريقٍ[5]، وتجتنبُ الخفض[6]؛ لمكان المطَر، وتجتنبُ الجوَادَّ[7]؛ لأن الحوافر تهدمُ عليها بيوتَها. فإذا أخرجها وقعُ حافرِ فرس، مع هذا التّنبيع[8]، دلَّ ذلك على شدة الجرى والوقع
وقال امرؤ القيس [يصفُ فرسَه]:

فلِلسَّوطِ ألهوبٌ وللرِّجْلِ دِرّةٌ ... وللزَّجْرِ منه وقعُ أهْوَجَ مِنْعَبِ[9]

---

(١) ل: «وقد».
(٢) الجلالة: التي تأكل العذرة، أو تتبع النجاسات، أو التي تأكل الجلة والعذرة.
(٣) في الأصل: «تحرم» وفيما عدا ل: «الأعراض».
(٤) تقزز: تتقزز، بحذف إحدى التاءين. والتقزز: التباعد من الدنس. والمقين: المحقن، كما يحدث في الشراجات والمعاليل. أراد أن المسك، وهو الذي كان من قبل دماً حقيناً، أصبح الآن جوهراً آخر واستحال، فلا ينبغي الاشمئزاز منه. فيما عدا ل: «فلا تقذر منه على تذكرك الدم الحقيني»، تحريف.
(٥) قارعة الطريق: وسطه أو أعلاه. فيما عدا ل: «الطريق».
(٦) الخفض: المطمئن من الأرض. ل: «الحفص» تحريف.
(٧) الجواد: جمع جادة، وهي معظم الطريق.
(٨) فيما عدا ل: «الصنع».
(٩) الألهوب: شدة جرى الفرس، وكذلك الدرة. يقول: إذا مسه بساقه ألهب، وإذا ضربه بالسوط در بجريه. والأهوج: الأحمق. والمنعب، بكسر الميم: الأحمق المصوت. أراد: إذا زجره تم الزجر منه موقعه من الأهوج. وفي الأصل: «منصب» صوابه في الديوان ٨٨ واللسان (نعب).

فأدركَ ، لم يَعرَقْ مَناطُ عِذارِه ... يَمُرُّ كَخُذْرُوفِ الوليدِ المُثَقَّبِ (1)

ترى الفأرَ في مستكدِ الأرضِ لاحِبًا ... إلى جَدَدِ الصحراءِ من شدِّ مُلهِبِ (2)

خفاهنَّ من أنفاقِهنَّ كأنّما ... خفاهنَّ ودْقٌ من سحابٍ مُركَّبِ (3)

خفاهنَّ : أظهرهنَّ . وقرأ بعضهم (4) : ﴿ إنَّ السّاعةَ آتيةٌ أكادُ أَخفيها (5) ﴾ بفتح [الألف] أي أظهرها . وقال امرؤ القيس (6) :

فإنْ تكتموا الداءَ لا نَخْفِهِ ... وإن تبعثوا الحربَ لا نَقعُدِ (7)

---

(١) يدر : يعدو عدوا شديدا . والخذروف : عود أو قصبة مشقوقة ، يفرض في وسطه ثم يشد بخيط ، فإذا أمر دار وسمعت له حفيفا ، يلعب به الصبيان ، ويوصف به الفرس لسرعته . فيما عدا ل : « المثقب » وما في ل هو رواية الديوان .

(٢) المستكد : في اللسان : استكد الماء : اجتمع . وأنشد بيت امرئ القيس برواية « في مستكد الماء لاحيا » . وهذا بعيد عن روايتنا هذه . وأرى أنه أراد بالمستكد : الغليظ من الأرض . وعرق الأصل الجبر والقصب يسمن ويضخم . والجدد ، بالتحريك : المستوي من الأرض . والملهب ، كمحسن : الشديد الجري المثير الغبار . ورواية الديوان : « لاحيا » . على جدد الصحراء : أي ظاهرا عليه . ط : « لاجئا » م : « لاحيا » صوابه في ل ، س . وفي ط : « إلى الجدد والصحراء » م : « إلى جدد الصحراء » تحريف صوابه في ل والديوان واللسان . وهذا العجز وشطر البيت التالي ساقطان من س .

(٣) الودق : المطر . وانظر نوادر أبي زيد ٩ والقالي (١ : ٢١١) وابن سيده (١٠ : ٤٦) .

(٤) هي قراءة أبي الدرداء ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، ومجاهد ، وحميد ، ورويت عن ابن كثير وعاصم . انظر تفسير أبي حيان (٦ : ٢٣٢) . وقد روى القالي وابن منظور (١٨ : ٢٥٦) قراءة سعيد بن جبير فقط .

(٥) الآية ١٥ من سورة طه . قال أبو حيان : « أي أنها من صحة وقوعها وتيقن كونها تكاد تظهر ، ولكن تأخرت إلى الأجل المعلوم » وقال في قراءة الضم : « وفيها أخفيها بضم الهمزة بمعنى أظهرها فتتحد القراءتان . وأخفى من الأضداد ، بمعنى الإظهار وبمعنى الستر » .

(٦) هو امرؤ القيس بن عابس الكندي ، جاهلي أدرك الإسلام ، وفد على رسول الله ، ولم يرتد في أيام أبي بكر ، وقام على الإسلام ، وكان له غناء في الردة ، بما كان يعظ قومه على الثبات على الإسلام . المؤتلف ٩ والإصابة ٢٤٨ .

(٧) رواية اللسان : « فإن تكتموا السر لا نخفه » مع نسبته إلى امرئ القيس بن عابس وعند أبي حيان بدون نسبة : « وإن توقدوا الحرب لا نقعد » .

وقال أعرابي[1] : إن بني عامرٍ جعلتني على حنديرة أعينها[2] ، تريد أن تخفق دمي[3] .

(استطراد لغوى)

وقال أبو عبيدة : أربعة أحرف تهمزُها عُقَيل[4] من بين جميع العرب ، تقول : فأرة ، ومُؤْسَى ، وجُؤْنة ، [وحؤت] .

(الفأرة في اللغة)

فأصناف ما يقع عليه اسمُ الفأرة[5] : فأرة البيش[6] ، [وفأرة البيت] ،

(١) ط ، س : « ابن الأعرابي » تحريف . وفي اللسان (١٨ : ٢٥٨) : « ومنه قول الشرى لأبي العالية : إن بني عامر أرادوا أن يخفقوا دمي » . وأبو العالية كان مولى لبني رياح ، واسمه رفيع بن مهران البصري الرياحي . روى عن أبي، وعلي، وحليفة ، وعنه قتادة ، وثابت، وداود بن أبي هند . وتوفي سنة ٩٠ . المعارف ٢٠٠ ولسان الميزان (٦ : ٨٠٢) .

(٢) الحنديرة : حدقة العين . قال الفراء : « يقال : جعله على حنديرة عيني وحنذورة عيني : إذا جعله نصب عينك » . وفي اللسان أيضاً : « يقال هو على حنذر عينه وحنذورة عينه ، إذا كان يستثقله ولا يقدر أن ينظر إليه بغضاً » . فيما عدا ل : « على خنزيرة أعينها » تحريف .

(٣) تخفق دمي : أي تقتلني خفية من غير أن يعلم بي . هر : « يريد أن يخفق دمي » ط : « تريد أن تخفى دمي » س : « تريد أن تخفي دمي » صوابه في ل واللسان .

(٤) هم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة . المعارف ٤٠ . وعقيل ، بهيئة التصغير . الاشتقاق ١٨١ . ل : « ثلاثة أحرف تهمزها عقيل » صوابه في سائر النسخ . وقد سقط الحرف « جؤنة » من ل كما سقط « حؤت » من سائر النسخ، والصواب ما أثبت من الجمع بين النسخ . وفي اللسان (٦ : ٢٤٨) : « وعقيل تهمز الفأرة والجؤنة والمؤسى والحؤت » . والجؤنة ، بالضم : سفط مغشى بجلد ، ظرف لطيب العطار . والمؤسى : موسى الحلاق ، يذكر ويؤنث ، وينون ولا ينون . والحوت : السمكة العظيمة .

(٥) ط : « فأكثر ما يقع عليها اسم الفأرة » . س ، هر : « فأكثر ما يقع عليها مع اسم الفأرة » وصوابه في ل .

(٦) البيش ، بالكسر : نبت هندي سام ، ويقال له بيش موش ، وموش بالفارسية معناه الفأر .

وفأرة المِسْكِ ، وفأرة الإبل . وفى فأرة المسك يقول حُمَيْدٌ الأرقط[1] :

مَطْورَةٍ خالَطَ منها النَّشْرُ ذا أرَجٍ شُقِّقَ عنه الفأرُ[2]

وفى فأرة الإبل قال الشاعر[3] :

كأنَّ فأرةَ مِسْكٍ فى مباءتها . إذا بدا من ضياء الصُّبح تبشيرُ[4]

٩٥ وهذا شبيهٌ بالذى قال الراعى — وليس به — :

تبيتُ . بناتُ القَفْرِ عند لَبَانِه . بأحْقَفَ من أنقاء تُوضِحَ هائلِ[5]

كأن القِطارَ حرَّكتْ فى مَبِيته جَدِيَّةَ مِسْكٍ فى مُعَرَّس قافلِ[6]

---

(١) سبقت ترجمته فى ٩٨ ، ١٢٦ .

(٢) فى اللسان : « رجل مطور إذا كان كثير السواك طيب النكهة » . وذو الأرج ، أراد به المسك . شقق عنه الفأر ، فأر المسك : نوافجه التى يكون فيها . عنى بذلك طيب رائحتها .

(٣) فيما عدا ل : « يقول الشاعر » .

(٤) مباءة الإبل : مناخها ومراحها وعطنها ط ، هـ « مبائها » سـ « مثانتها » صوابه فى ل . وفى ثمار القلوب ٣٢٩ : « بابتها » تحريف . تبشير الصبح : مبادؤه وأوله ، ومثله التباشير . فيما عدا ل : « ينشر » تحريف صوابه فى ل وثمار القلوب . وبعد هذا البيت فى ل : « وهذا شبيه بالذى قلنا ولم نأت بعد بعين الشىء » . وفى سـ : « وهذا يشبه بالذى قال ولم يأت بعد بعين الشىء » وهما عبارتان متشابهان ، ولم أبد لها وجهاً فى الكلام .

(٥) بنات القفر ، عنى بها بنات النقا . وبنت النقا : علاءة صغيرة تغوص فى الرمل كما يغوص السمك فى الماء ، قصيرة اليدين والرجلين ، ويقال لها شحمة الأرض انظر المخصص (٨ : ١٠١ ، ١٠٢) وثمار القلوب ١٠٣ واسمها فى مصر « السحلية » . وهى باليونانية : Chalcides : خلقياس . انظر معجم المعلوف ٥٩ . واللبان : الصدر . والأحقف : المائل من الرمل . والأنقاء : كثبان الرمل . وتوضح : موضع . والهائل من الرمل : الذى لا يثبت مكانه حتى ينهال ويسقط .

(٦) القطار : جمع قطر ، وهو المطر . ط ، سـ : « كأن القطا إن حركت » . هـ : « القطان حركت » صوابه فى ل . والجدية ، بفتح فكسر مع تشديد الياء : القطعة من المسك ، كما فى القاموس . سـ ، هـ : « حدية » تحريف . والمعرس : مبيت القوم من آخر الليل . والقافل : الراجع من السفر . ط ، سـ : « قاتل » هـ : « قابل » صوابهما فى ل

(الأصمعي وأبو مهدية)

قال الأصمعيّ : قلت لأبي مهدية[1] : كيف تقول : لاطيبَ إلا المسْك [: قال] فأين أنتَ من العنبر ؟! قال : فقلت : [لاطيب إلا المسك والعنبر . قال : فأين البان[2] ؟! فقلتُ : لاطيب إلا المسك والعنبر والبان . قال : فأين أنت عن أدهان بحجْر[3] ؟! قال : فقلت] : لاطيب إلا المسك ، والعنبر، والبان[4] ، وأدهانُ بحَجْر . [قال : فأين فأرة الإبل صادرة[5] ؟!] قال الأصمعيّ : [فأرة الإبل[6]] .

(فأرة البيش ، والسمندل)

وفأرة البيش دويْبَّة تغتذى السُّمومَ فلا تضرها . والبيش سمّ ، وحكمه حكم الطائر الذى يقال له : سَمَنْدَل[7] ؛ فإنه يسقط فى النار فلا يحترق ريشُه

---

(١) أبو مهدية ، أعرابي روى عنه البصريون . سبقت ترجمته فى (٢ : ٢١٤) . وفيما عدا ل : « لابن مهدية » تحريف .

(٢) البان : شجر يقارب الأثل ، ومنه قصير دون شجر الرمان وورقه يقارب الصفصاف شديد الخضرة ، له زهر ناعم الملمس مفروش زغبه كالأذناب ، يخلف قرونا داخلها حب إلى البياض كالفستق لولا استدارة فيه ، ينكسر عن حب عطرى إلى صفرة . داود الأنطاكى .

(٣) حجر ، بالفتح : كانت قصبة اليمامة .

(٤) ط : « أليان » تحريف . وانظر التنبيه السابق .

(٥) ليس للإبل فأرة فى الحقيقة ، وإنما هى أن تفوح منها رائحة طيبة ، وذلك أنها إذا رعت العشب وزهره ، ثم شربت وصدرت عن الماء نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيبة ، فيقال لذلك : فأرة الإبل . وهذه العبارة من ل ، س ، ه .

(٦) تكملة من ل ، س ، ه .

(٧) السندل ، لفظ فارسى ، ويقال فيه أيضا : « سمندور » قيل إنه مشتق من « سام » بمعنى النار ، و « أندرون » بمعنى داخل . استينجاس ٦٩٧ . وللأب أنستاس مقالة ضافية فى مجلة المشرق (٦ : ٩) أثبت فيه أن كتاب العرب كانوا =

(ما لا يقبل الاحتراق)

وَنُبِّئتُ[1] عن [أمير المؤمنين[2]] المأمون أنه قال : لو أُخِذَ الطُّحْلُبُ فجُفِّف فى الظلّ ، ثم أُسقِطَ فى النيران لم يحترق[3] .

ولولا ما عاينوا من شأن الطَّلق[4] والعُود الذى يُجاء به من كَرْمان[5] لاشتدَّ إنكارهم .

وزعم ابن أبى حرب[6] أن قَسًّا راهنَ عَلَى أن الصليبَ الذى فى عُنقه من خشب ، [أنه] لا يحترق ؛ لأنه من العود الذى كان صُلب عليه المسيح[7] ، وأنه كان يفتِن بذلك ناساً من أهل النظر[8] ، حتى فطن له بعضُ المتكلمين ، فأتاه بقطعة عودٍ يكون بكِرمان[9] . فكان[10] أتى عَلَى النار من صليبه .

= يطلقون لفظ « السمندل » على الحيوان المسمى : Salamandra وهو السلمندة ، وعلى الطائر المسمى بالفنقس : Phoenix وهو العنقاء الخرافية ، وعلى الحجر المعروف بحجر الفتيل : Asbestos . وقد علل عدم احتراقه بأنه يفرز مادة تطفئ النار ، فزعموا أنه يدخلها ولا يحترق .

(١) نبيت : نبئت ، أى أخبرت . فيما عدا ل : « وثبت » .

(٢) هذه من ل ، س . وكلمة « المأمون » بعدها ليست فى س .

(٣) فيما عدا ل : « فى النار » .

(٤) انظر ص ٨٤ ، ٩٢ من هذا الجزء .

(٥) كرمان ، بالفتح وربما كسرت ، والفتح أشهر : ولاية بين فارس ومكران وسجستان وخراسان .

(٦) فيما عدا ل : « ابن أبى الحارث » . وقد ذكر ابن قتيبة فى المعارف ١٩٢ من أعقبه « أبو حرب بن أبى الأسود الدؤلى » . وقال إنه كان عاقلا شاعرا ، وولاه الحجاج جوخى فلم يزل عليها حتى مات الحجاج ، وقد روى عن أبى حرب الحديث ، وله عقب بالبصرة وعقد ، وذكره ابن حجر فى باب الكنى من تهذيب التهذيب ، وقال إنه مات سنة ثمان ومائة . فلعل هذا الذى ذكره الجاحظ من عقب هذا الرجل .

(٧) فيما عدا ل : « الذى كان المسيح صلى الله تعالى على سيدنا محمد وعليه صالب عليه » .

(٨) فيما عدا ل : « من غير أهل النظر » .

(٩) كرمان : ولاية ، سبق الحديث فيها قريبا . فيما عدا ل : « تكون » تحريف .

(١٠) أى العود . وفى س : « فكانت » أى القطعة .

(مساوي السنانير)

قال صاحب الكلب[1] : والسنور لصٌّ لئيم ، وشَرِهٌ خَؤُون
فمن ذلك أن صاحب المنزل يرمى إليه ببعض الطعم ، فيحتمله احتمال المُريب ،
واللص المُغير ، حتى يُولِجَ[2] به خَلْفَ حُبّ أو راقود[3] ، أو عِدْلٍ[4]
أو حطب ، ثم لا يأكله إلا وهو يتلفَّت[5] يمينًا وشمالا ، كالذى يخافُ أن
يُسْلَبَ ما أعطِىَ[6] ، أو يُعثَرَ على سَرِقته فيعاقَب . ثم ليس فى الأرض
خِبْثَةٌ[7] إلا وهو يأكلها ، مثل الخنافس والجِعْلان ، وبناتِ وَرْدان ،
والأوزاغ ، والحيَّاتِ ، والعقارب ، والفأر ، وكلِّ نتن وكل خِبْثة[8] وكلِّ
مستقذَر .

وهذه الأنعام تَدخل الرياض ، فتجتنبُ مواضع السموم بطبائعها ، وتتخطاها
ولا تلتفت لِفْتَها[9] . وربما أشكل الشيء على البعير[10] ، [فيمتحِنُه[11]]

---

(١) فى ل : « قال صاحب الكلب والديك » .
(٢) أى يدخل به نفسه . ط فقط : « يلج » .
(٣) الحب ، بالضم : الجرة الضخمة ، فارسى معرب ، كما سبق فى ٢٦٥ . والراقود : إناء خزف مستطيل مقير ، مما أخذته الفارسية من العربية . انظر استينجاس ٥٦٤ . وعند الجواليقى ١٦٠ أنه فارسى معرب . وكذا فى اللسان ، لكن قال ابن دريد : « لا أحسبه عربيا » .
(٤) العدل ، بالكسر : نصف الحمل يكون على أحد جنبى البعير .
(٥) س : « ثم لا يأكلها » . وفيما عدا ل : « إلا وهو يلتفت » .
(٦) فيما عدا ل : « ما أعطيه » .
(٧) الخبثة ، بالكسر : الخبيثة غير الطيبة . فيما عدا ل : « خبيثة » .
(٨) ط ، هر : « خبثة » س : « حبثة » . صوابهما ما أثبت من ل . وانظر التنبيه السابق . و « وكل نتن » ساقط من ل .
(٩) يقال لا يلتفت لفت فلان ، بالكسر : أى لا ينظر إليه . فيما عدا ل : « ولا يلتفت إليها » .
(١٠) فيما عدا ل : « وربما أشكل الشىء على اليقين » تحريف .
(١١) يمتحنه : يختبره . فى الأصل ، وهو هنا ل : « فيمتحنه »

بالشّة الواحدة . فلا تغلط الإبلُ [إلا في البيش وحده . ولا تغلط الخيل إلا] في الدِّفْلَى[1] وحدَه .

والسنانيرُ تموت عن[2] أكْلِ الأوزاغ والحيّات والعقارب ، وما لا يحصى عددُه[3] من هذه الحشرات ، فهذا يدلُّ على جهلٍ بمصلحة المعاش ، وعلى حسٍّ غليظ وشَرَهٍ شديد .

(هَيْج الحيوان)

قالوا : وكلُّ أنثى من جميع الحيوان ، ما خلا المرأة ، فلابدَّ لها من
٩٦ هَيْجٍ في زمانٍ معلوم ، ثم لا يُعْرَف ذلك منها وفيها إلا بالدلائل والآثار ، أو ببعض المعاينة .

وإناثُ السنانير ، إذا هِجْنَ للسِّفاد ، آذَيْنَ بصياحهنّ أهلَ القبائل ليلاً ونهاراً ، بشيءٍ ظاهرٍ قاهرٍ جليّ[5] . لا يعتريهن فترةٌ ولا ملالة[4][6] [ولا سآمة] . فربَّ رجلٍ حُرٍّ شديدِ الغَيرة ، [وهو] جالسٌ مع نسائه ، وهنّ يتردَّدْن على مثل هذه الهيئة[7] ، ويصرُخْن في طلب السِّفاد . فكم من حُرَّة قد خجلت ، وحُرٍّ قد انتقضت طبيعته[8] .

---

(١) الدفلى ، بالكسر مقصور : شجرة مرة من السموم .
(٢) فيما عدا ل : « من » .
(٣) فيما عدا ل : « عدده » .
(٤) كلمة « أهل » ليست في ل . وبدلها في س : « على » .
(٥) كذا في ل . وفي ط : « بشيء حر ظاهر قاهر » ل « تحريف . وفي س : « بشيء قاهر جليل ظاهر » وفي هـ : « بشيء قاهر ظاهر » فقط .
(٦) الملالة : الملل والضجر . ط ، هـ : « منامة » ل : « ملامة » صوابهما ما أثبت . وفي س : « سآمة » .
(٧) س : « الحالة » وفيها أيضاً « يرددون » مكان « يترددن » . وكلمة : « مثل » ليست في ل .
(٨) فيما عدا ل : « تقضت طبيعته » .

[وليس لشيء من غُرولتها[1] مثلُ ذلك . فكل جنس فى العالم من الحيوان فذُكورته أظهر هيجاً ، إلا السنانير] .

وليس لشيء من غُرلة الأجناس مثلُ الذى للجمل[2] من الإزباد ، وهجْران الرَّعْى ، وترْكِ الماء ، حتى تنضمّ أياطله[3] ، ويتورَّمَ رأسُه ، ويكونُ كذلك الأيامَ الكثيرة . وهو فى تلك الوقت لو حُمِّلَ على ظهره — مع امتناعه شهراً من الطعام — ثلاثةَ أضعافِ حِمْله لحملها .

(المكى وإسماعيل بن غزْوان)

ونظر المكىّ إلى جمل قد أزبدَ وتلغَّم[4] ، وطار على رأسه منه كشقق البِرْس[5] ، وقد زمّ بأنفه ، وهو يهدر [ويقبقب[6]] لا يعقل [شيئاً] إلا ما هو فيه ، فقال لإسماعيل بن غزوان : والله لوددت أن أهل البصرة رأونى يوماً واحداً إلى الليل على هذه الصفة ، وأنى خرجتُ من قليلِ مالى وكثيره ! فقال له إسماعيل : وأى شىء لك فى ذلك ؟ قال : كنت والله لا أصبحُ حتى يوافىَ دارى جميعُ نساء أهل البصرة ، [وجواريك فيهنّ] فلا أبدأ إلا بهنّ ! قال إسماعيل : إنك والله ما سبقتنى إلا إلى القول ، وأما النية والأمنيّة فأنا والله أتمنّى هذا منذ أنا صبيّ !

---

(١) أى غرولة السنانير ، وهى ذكورها .

(٢) فيما عدا ل : « مثل ما للجمل » .

(٣) الأياطل : جمع أيطل ، وهو الخاصرة . وانضمامها : ضمورها .

(٤) تلغم : بل مشافره باللغام ، وهو زبد أفواه الإبل .

(٥) الشقق : جمع شقة ، بالضم ، وهى السبيبة المستطيلة من الثياب . والبرس ، بالكسر والضم : القطن ، أو قطن البردى . قال :

ترى الغلام على هاماتها قزعاً ... كالبرس طيّره ضرب الكرابيل

(٦) يقبقب : يرجع فى هديره .

(حال بعض الحيوان عند معاينة الأنثى)

والحمار والفرس عندَ معاينَةِ الحِجْر والأتان هَيْجٌ[1] وصياحٌ ، وقلق وطلب . والجملُ يقيم على تلك الصَّفةِ عاين أو لم يعاين ، ثم يدنى من هذه المذكورة إناثُها[2] فلا تسمحُ بالإمكان[3] إلا بعد أن تسوَّى وتدارَى[4]

(مقايسة بين السنور والكلب)

قالوا : والسنانير إذا انتقل أربابها من دار إلى دار ، كان وطنُها أحبَّ إليها منهم ، وإن أثبتَت أعيانهم . فإن هم حوّلوها فأنكرت الدار لم تُقِمْ علَى معرفتهم ، فربما هربت من دارهم الحادثة ولم تعرف دارَهم الأولى ، فتبقى متردِّدة : إما وحْشيةً[5] ، [وإما مأخوذةً] ، وإما مقتولة .

والكلب يخلّى الدار ، ويذهب مع أهل الدار . والحمام في ذلك كالسنّور[6] .

---

(١) فيما عدا ل : « تهيج » . وما أثبت من ل أشبه بلغة الجاحظ

(٢) ل « ثم تدنى منها إناثها » .

(٣) ط ، هو : « ولا تسمح بإمكانها » س : « ولا تسمح بإمكان »

(٤) تسوى : من التسوية ، وهي من التهيئة . فيما عدا ل : « تبارى » والمداراة المخاتلة .

(٥) فيما عدا ل : « وحشية » بالخاء المعجمة ، ولا وجه له

(٦) ل : « مثل السنور »

(اختلاف أثمان السنور)

قال صاحب الكلب[1] : السنور يسوَى[2] في صغره درهما ، فإذا كبر لم يَسْوَ[3] شيئاً وقال العمَى[4] :

[فإنك فيما قد أتيتَ من الخَنا سَفاهاً ، وما قد زِدْتَ فيه بإفراطِ]
كسِنَّوْرِ عبدِ الله بِيعَ بدرهمٍ صغيراً فلما شبَّ بيع بقيراطِ[5]

وصاحب هذا الشعر ، لو غبرَ مع امرئِ القيس بن حُجْر ، والنابغة الذُّبيانى ، وزهير بن أبي سُلْمَى ، ثم مع جرير والفرزدق ، [والراعى] والأخطل ، ثم مع بشار وابن هَرْمة [وابن أبي عُيينة[6] ، ويحيى بن نوفل]

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .
(٢) ط فقط : « يساوى » وهما صحيحتان ، ولكن قال الليث : « يسوى نادرة » . وفي اللسان : « وقولهم لا يسوى أحسبه لغة أهل الحجاز ، وقد روى عن الشافعى » . وفي المصباح : « وفي لغة قليلة سوى درهماً يسواه من باب تعب ، ومنعها أبو زيد » .
(٣) ط فقط : « لم يساو » وانظر التنبيه السالف .
(٤) فيما عدا ل : « العمى » . وقد نسب هذا الشعر إلى بشار ، ففي العقد (١ : ٣٤٤) : « وكان يزيد بن منصور يجرى لبشار العقيلى وظيفة فى كل شهر ، ثم قطعها عنه ، فقال :

أبا خالد مازلت سابح غمرة صغيراً فلما شبت خيمت بالشاطى
جريت زماناً سابقاً ثم لم تزل تأخر حتى جئت تخطو مع القاطى
كسنور عبد الله بيع بدرهم صغيراً فلما شب بيع بقيراط

ومثل هذه النسبة مع إنشاد البيت الأول والثالث فى ثمار القلوب ٣٢٧ . وقد نص الجاحظ فيما نقل على فساد هذه النسبة . وقال الثعالبى : « وقال قبله الفرزدق :

رأيت الناس يزدادون يوماً فيوماً فى الجميل وأنت تنقص
كمثل الهر فى صغر يغالى به حتى إذا ما شب يرخص »

(٥) روى هذا البيت الميدانى فى نهاية حرف الكاف مسبوقاً بكلمة : « وقال القحذمى » .
(٦) هو محمد بن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة . وكان أبوه يتولى الرى لأبى جعفر المنصور ، ثم قبض عليه وحبسه . وكان محمد من شعراء الدولة العباسية من ساكنى البصرة . وأخباره فى الأغانى (١٨ : ١١ — ٢٩) .

وأبى يعقوب الأعور ، ألف سنة ـ لما قال بيتاً [واحداً] مرضياً أبداً

وقد يضافُ هذا الشعر(١) إلى بشّار ، وهو باطل

(حُلاق الحيوان)

٩٧ وزعم [لى] من لا أردُّ خبرَه ، أن الحُلاقَ قد يَعرض للسنانير ، كما يعرض للخنازير والحمير .

وزعم [لى] بعضُ أهلِ النظر ، أنّ الزّنج أشبهوا(٢) الحميرَ فى كلّ شىء ، حتى فى الحُلاق ؛ فإنه ليس على ظهرها(٣) زنجىٌّ إلا [وهو] حَلِقىٌّ

وقد غلط . ليس [عليها] زنجىٌّ عليه مَؤُونة من أن يُنَاكَ(٤) . وليس هذا تأويلَ الحُلاق . وتأويلُ الحلاق أن يكون هو الطالب .

والنبيذ يهتِكُ ستر الحَلَقِىّ ، وينقُضُ عزْم التجمّلِ(٥) وهم يشربون النبيذ أبداً . وسوء الاحتمال له ، وسرعة السكْر إليهم عامٌّ فيهم

وعندنا [منهم] أمرٌ . فلو كان هذا للمنى حقًّا لكان علمُه ظاهراً

فيرنى صاحبُنا هذا(٦) أن فى منزل أبى يوسف [يعقوب] بن إسحاق الكِنْدى(٧) هرّينِ ذكرَيْن عظيمين ، يكومُ أحدُهما الآخَر ، وذلك كثيراً

---

(١) فيما عدا ل : « البيت » . وانظر التنبيه الرابع من الصفحة السابقة .

(٢) ل : « اشبهوا » هو : « أشبه » صوابهما فى ط ، س .

(٣) ظهرها : أى ظهر الأرض . فيما عدا ل : « ظهر الأرض » .

(٤) فيما عدا ل : « مؤنة من ارتياد نياك » .

(٥) التجمل : التصبر الذى يظهر للناس خلاف ما يبطن من الألم . انظر شرح التبريزى للمفضليات ٨ . ط ، هو : « التحمل » س : « التصمل » وأثبت ما فى ل .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفيما عدا ل : « وخبرنى » بالواو .

(٧) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث من قيس الكندى ، كان يسمى فيلسوف العرب ، وكان بخيلا . وله =

ما يكون ، وأن المنكوحَ لا يمانعُ الناكحَ ؛ ولا يحسُّ منه مثلَ الذي يجده !

(أكل الهرة أولادها)

قالوا : والهرة تأكلُ أولادَها . فكفاك[1] بهذه الخصلة لؤمًا وشرَهًا ، وعقوقًا وغلظَ قلب !

وقال السيِّد الحِميريُّ — وذكر مَسيرَ عائشةَ ، رضى الله تعالى عنها ، إلى البصرةِ مع طلحةَ والزُّبير ، حينَ شهِدَتْ مالم يشهدَا ، وأقدمت على ما نكَصا عنه[2] — :

جاءت مع الأشقَينَ في هودجٍ ... تُزْجى إلى البَصرةِ أجنادَها
كأنَّها في فِعْلِها هِرَّةٌ ... تُريد أن تأكلَ أولادَها

ولبئس[3] ما قال في أمِّ المؤمنين [وبنت الصدِّيق] ! وقد كان قادرًا على أن يوفِّر على عليٍّ — رضى الله عنه — فضلَه ، من غير أن يشتُمَ الحوَلِيِّينَ ، وأمّهاتِ المؤمنين ، ولو أراد الحقَّ لسار فيها وفي ذكرها سيرةَ علي بن أبي طالب . فلا هو جعل عليًّا قدوة[4] ، ولا هو رعَى النبي صلى الله عليه وسلم حُرمة

= سرد ابن النديم مؤلفاته في الفهرست ٢٥٨ — ٢٦٥ وهو قدر عظيم جدا . وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميراً على الكوفة . وكان يعقوب عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم وعند ابنه أحمد . ل : « إبراهيم » موضع « إسحاق » تحريف ، وكلمة « الكندى » ساقطة من ل . والخبر سبقت رواية الجاحظ له في (٣ : ١٨٦) وأوله : « وكان عند يعقوب بن صباح الأشعثي » .

(١) فيما عدا ل : « وكفاك » .

(٢) فيما عدا ل : « وأقامت على ما نكصا عنه » . وانظر الخبر والشعر في (٢ : ١٩٧) .

(٣) كذا في س . وفي ل : « وبئس » . وفي ط ، هو : « وليس » وهذه محرفة .

(٤) فيما عدا ل : « فلا هو جعل عليها قدرة » ، تحريف .

وذكورةُ سنانير الحيوان تأكلُ أولادَ الهرة ، ما دُمْنَ صغاراً أو فوقَ الصغار شيئاً[1] ، وتقتلها وتطلبُها أشدَّ الطلب . والأمهات[2] تحرسُها [منها] وتقاتلُ دونَها ، مع عجزها عن الذكورة .

(الألوان الأصيله فى الحيوان)

[قال أبو إسحاق : السنور الذى هو السنور ، هو المنمّر ، وهو الأنمر ، وهو الذى يُقال له : البَقّالى ، وذلك لكثرة اتخاذ البقالين لها ، من بين سائر السنانير ، لأنها أصيد للفأر .

قال : وجميعُ ألوانِ السنانير إنما هى كالشِّيَاتِ الدَّاخلةِ على اللون .

قال : وكذلك الحمار ، إنما هو الأخضر ، والألوانُ الأُخَرُ داخلةٌ عليه .

قال : فأما الأسدُ فليستْ بذاتِ شياتٍ ، ولا تعدو لوناً واحداً ، ويكونُ ذلك اللونُ متقاربا غير متفاوتٍ .

(أحوال إناث السنانير وذكورها)

قال : ومن فضيلةٍ ما فى السنانير ، أنها تَضَعُ فى السَّنَةِ مرتين وكذلك الماعزة فى القُرى ، إلا ما داس الحبَّ[3] .

---

(١) فيما عدا ل : « صغار » .

(٢) فيما عدا ل : « فالأم » . و الأصل فى « الأمهات » أن تكون للآدميين ، وأن تكون « أمات » لغير الآدميين . لكن سمع استعمال كل واحدة منهما مكان الأخرى انظر اللسان (١٤ : ٢٩٤) .

(٣) أى إلا ما يدوس الحب منها فى البيادر ، والأصل فى الدياس أن تستعمل البقر . قال الجاحظ فى ص ١٤٢ سابقى من هذا الجزء : « والماعزة قد تولد فى السنة مرتين إلا ما ألقى منها فى الدياس ، وهما فى الدياس تقع مواقعه عظيم » .

قال : ويحدُثُ لإناث السنانير من القوة والشجاعة إذا كانها الفحل وهرب منها عند الفزاع . فلو لحِقَتْهُ قطّعته .

ويحدثُ للذكر استخذاء ، كما يحدُث الذئب القوىّ إذا ناله الخدشُ اليسير ، ويحدث الضعيف من الجرأةِ عليه حتى يثبَ عليه فيأكلَه ؛ فلا يمتنع منه . كما قال الشاعر[1] :

وكنتَ كذئب السَّوءِ لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحالَ على الدمِ[2]

ويحدث مثلُ ذلك الجرذ[3] إذا خُصِي ، من الحَرْد على سائر الجرذان[4] ، حتى يثب فيقطعها ، وتهرب منه ضعفاً عنه .

وسائرُ الحيوانِ إنما يعتريه الضَّعفُ عن أمثاله إذا خُصى وترك أمثاله على حالها] .

(قول زَرَادشت فى الفأر والردُّ عليه)

ثم رجَعنا إلى قول زَرادُشتَ فى الفأر .

زعم زَرَادُشتُ أن الفأرة[5] من خَلْق الله ، وأن السنَّورَ من خَلْق الشيطان . فقيل للمجوس[6] : [ينبغى[7]] على أصل قولكم أن يكون الشىء

---

(١) هو الفرزدق ، كما فى اللسان (١٣ : ٢٠٤) و ديوانه ص ٧٤٩ . وهو منسوب إليه أيضاً فى ابن سلام ١٢٧ وجعله من مقلدات الفرزدق ، وهى الأبيات المستغنية بأنفسها ، المشهورة ، التى يضرب بها المثل . ونسب إليه أيضاً فى الأغانى (١٩ : ١٠) نقلا عن ابن سلام . وانظر قصة انتحال الفرزدق هذا البيت فى الأغانى (٥ : ١٥٧) .

(٢) أحال الذئب على الدم : أقبل عليه . ورواية اللسان : « فكان كذئب » .

(٣) الجرذ : ضرب من الفأر . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « الجراد » تحريف عجيب .

(٤) الحرد : الغضب ، وأن يغتاظ فيتحرش بالذى غاظه ، يقال بالفتح وبالتحريك ، والفتح أفصح ، وهو لغة الكتاب : « وغدوا على حرد قادرين » .

(٥) ل : « الفأر » .

(٦) فيما عدا ل : « المجوسى » . وكل منهما صحيح .

(٧) هذه التكملة من ل .

الذى خلق اللهُ خيراً كله ونفعاً كلَّه ، ومرفقاً كله[1] ، ويكونَ ما خلقَ الشيطان على خلافِ ذلك . ونحن نجدُ عياناً أن الذى قلتم به خطأ رأينا الناس كلهم يرون أنِ الفأرَ بلاء ابتلوا به[2] ، فلم[3] يجدوا بداً من الاحتيالِ لصرف مضرّته ، كالداء النازل [الذى] يلتمسُ له الشفاء . ثم وجدناهم قد أقاموا السنانير [مُقامَ التداوى والتعالج ، وأقاموا الفأر مُقامَ الداء الذى أنزله الله ، وأمر بالتداوى منه ، فاجتلبوا لذلك[4] السنانير] و بناتِ عِرْس ، ثم نصبوا لها ألوانَ الصيّاداتِ[5] ، وصنعوا لها ألوان السُّمومِ [و] للمعجونات ٨٩
التى إذا أكلت منها ماتت . واستفرهُوا السنانير[6] واختاروا الصيّادات

واجتبَوا السنّورَ دون ابنِ عِرس[7] ، لأن ابنَ عِرسٍ يعمل فى الفأر والطير كَعمل الذِّئبِ بالغنم[8] ، [فأوّلُ[9]] ما يصنع بالفريسة أن يذبحَها . ثم لا يأكلُها إلا فى القَرْط . والسنوْر يقتل ثم يأكل . فالفار[10] [من السنور[11]] أشدُّ فَزَعاً[12] ، وهو الذى قو بل به طباعها وطباعه .

وكما أن الذى يأكل الدجاجَ كثيرٌ ، [وأن] الذى جُعِل بإزائِه ابن آوى . وكما أن الذى يأكلُ الغنمَ كثيرٌ ، والذى جُعِلَ بإزائها الذئب .

---

(١) المرفق ، كنبر ومسجد ومقعد : ما استعين به . ط ، هو : « موفقا » وصوابه فى ل ، س .
(٢) ل : « بلوا » .
(٣) ل : « لم » .
(٤) هذه التكملة من ل ، س . وفى ل : « واجتلبوا » .
(٥) س : « ثم نصبوا لها السنانير واختاروا الصيادات » .
(٦) يستفره : يختار الفاره الجيد .
(٧) اجتبوا : اختاروا . فيما عدا ل : « واختاروا السنور على ابن عرس » .
(٨) فيما عدا ل : « على الذئب بالغنم » وفى ط بعد ذلك : « فالأول أكثر » .
(٩) هذه من ل ، س ، هو .
(١٠) فيما عدا ل : « والسنور يقتل ويأكل . والفار » .
(١١) هذه من س فقط .
(١٢) فيما عدا ل : « أشد منه فزعا » وكلمة « منه » مقحمة .

والأسد [أقوى منه] على النعجة ، والنعجة منْ الذِّئب أشد فَرَقًا[(١)]

والحيَّاتُ تُطَالِبُ الفأرَ والجِرذان ، وهي من السنور أشد فزَعا[(٢)] .

وإن كان في الجُرذان مايُساوي السنور فإنها منه أشد فزعا .

فإن كنتم إنما جعلتموه من خَلْق الشيطان [لأَكْلِهِ صِنفاً واحداً من خلق الله — فالأصناف التي يأكلها من خَلْق] الشيطان أكثر[(٣)] .

وزعم زَرَادُشْتُ أن السِّنَّوْرَ لو بال في البحر ، لقَتَل عشرةَ آلافِ سَمَكة .

فإن كان إنما استبصرَ[(٤)] في ذمِّه في قتل السمك[(٥)] فالسمكُ أحقُّ بأن[(٦)] يكون من خلق الشيطان ؛ [لأن السمكَ يأكلُ بعضه بعضاً ، والذكر يتبع الأنثى في زمان طرْح البيض] ، فكلما قذفتْ به التهمه[(٧)] .
وإن غرق إنسان في الماء ، بحراً كان أو وادياً ، أو بعضُ ذوات الأربع — فالسمكُ أسرعُ إلى أكله من الضِّباع[(٨)] والسنور إلى الجِيَف .

وعلى أن اعتلاله على السنور ، وقوله : لو بال في البحر قتل[(٩)] عشرة آلافِ سمكة . فما يقول فيمن زَعَم أن الجرذَ لو بالَ في البحر قَتَلَ[(١٠)]

---

(١) الفرق : الخوف . ل : « خوفا » .
(٢) ﻫ ، س : « ذعرا » .
(٣) فيما عدا ل : « فالشيطان أكثر » .
(٤) استبصر في رأيه : تبين ما يأتيه من خير أو شر ، واستعمل بصيرته . فيما عدا ل : « استنصر » .
(٥) أي في قتل السنور السمك ببوله في البحر . ﻫ : « في قتله » .
(٦) فيما عدا ل : « أن » .
(٧) فيما عدا ل : « فكل ما قذفت به التقمه » .
(٨) ل : « السباع » .
(٩) فيما عدا ل : « وإن بال » وفي ط فقط : « لقتل » .
(١٠) فيما عدا ل : « لقتل » . وهما وجهان جائزان . وفي الكتاب : (لو نشاء لجعلناه حطاما) و : (لو نشاء جعلناه أجاجا) . سورة الواقعة ٦٥ ، ٧٠ .

مائة ألفِ سَمَكة ؟ وبأى شىء يَبين منه[(١)] ؟ وهل ينبغى لمن كسر هذا القول الظاهر الكسْر[(٢)]، للمكشوف للموق[(٣)] [أن يفرح] ؟ ! وهل تعرّ الجاعةُ والأممُ بأن فى الفأر شيئاً من المرافق ؟ ! وهل يمازجُ مضرّتَها شىء من الخير وإن قلّ ؟ ! أوليست الفأرُ والجرذانُ هى التى تأكل كُتُبَ الله تعالى، وكتبَ العِلْم، وكتب الحساب؛ وتقرِض الثِّيابَ الثمينة، وتطلب سِرّ نوى القطن[(٤)]، وتفسد بذلك اللُّحُفَ والدّواويج[(٥)] والجباب[(٦)]، والأقبية[(٧)]، والخفاتين[(٨)]، وتحسو الأدهان، فإن عجزتْ أفواهُها أخرجَتْها

---

(١) يَبين منه: أى يفترق. فيما عدا ل: «يتبين منه».

(٢) ط: «وهل يتبين» صوابه فى سائر النسخ. وفى ل «الكبير» موضع «الكسر» تحريف.

(٣) الموق: الحمق. ط، هو: «المرق» مس: الرأى صوابهما فى ل.

(٤) سر النوى: جوفه ولبه. ط: «كسر» مس، هو: «ثمر» صوابهما فى ل.

(٥) الدواويج: جمع دواج، كرمان، وهو ضرب من الثياب. قال ابن دريد: لا أحسبه عربيا صحيحا، ولم يفسره، كذا فى اللسان. وفى القاموس: «الدواج كرمان وغراب: اللحاف الذى يلبس». وفى المعرب ١٤٧: «قال أبو حاتم: حدثنى من سمع يونس يقول: هو الدواج بالتخفيف، الذى تقول له العامة دواج بالتشديد. قال أبو حاتم: وهو فارسى معرب». وقال أدى شير ٦٨: «الدواج والدواج اللحاف الذى يلبس، فارسيته دواج». لكن الذى عند استينجاس ٥٣٩ أن هذا اللفظ مما اشتركت فيه اللغتان، وجعله بمعنى ملاءة السرير أو لحافه، أو بمعنى الملاءة مطلقا. مس: «الدواج» ط، هو: «الدواتج» صوابهما فى ل.

(٦) تجمع الجبة على جبب وجباب. فيما عدا ل: «والقباب» تحريف.

(٧) الأقبية: جمع قباء، بالفتح، سمى بذلك لاجتماع أطرافه.

(٨) الخفاتين: جمع خفتان، بفتح الخاء. وهو لفظ فارسى، لم تذكره المعاجم العربية، ولا تعرض له الجواليقى. وقال أدى شير ٥٦: «فارسى محض، وهو ثوب من القطن يلبس فوق الدرع، ومنه التركى قَفْطَان». وعند استينجاس ٤٦٨ أنه ثوب يلبس تحت السلاح، أى الدرع ونحوه: «A vest worn under armour». ط، مس: «الخفاف» هو: «الخفاش» صوابه فى ل.

بأذنابها؟! أوليست التي تنقب السِّلال وتقرض الأوكية[1] وتأكل الجُرُبَ حتى يُعلَّقَ المتاعُ في الهواء إذا أمكن تعليقُه ؟!

وتجلبُ إلى البيوتِ الحيَّات ؛ للعداوة التي بينها وبين الحيَّات، [و] لحرص الحيَّات على أكلها[2] ، فتكونَ سبباً في اجتماعها[3] في منازلهم ، وإذا كَثُرن[4] قتلنَ النفوس[5] .

وقال ابن أبي العجوز : لولا مكانُ الفأر لما أقامت الحيَّاتُ في بيوت الناس ، إلا ما لا بال به[6] من الإقامة .

وتقتل الفسيل والنخل[7] ، وتهلك السلفَ والزرع ، وربما أهلكن القَرَاحَ[8] كله ، وحملنَ شعير الكدْس[9] وبُرَّه[10] . ٩٩

أو ليس [معلوماً[11]] من أخلاقها اجتذابُ فتائل المصابيح رغبةً في تلك الأدهان ، حتى ربما جذَبَتْها جهلا وفي أطرافها الأخر الشُّرج

(١) الأوكية : جمع وكاء ، بالكسر ، وهو رباط القربة . فيما عدا ل : « تنقب الأوكية وتنقب السلال » .

(٢) الكلام من : « إذا أمكن تعليقه » إلى هنا ساقط من س .

(٣) ط : « تكونَ سبباً لاجتماعهما » . س : « فيكون سبباً لاجتماعهما » .

(٤) ط : « كثُرت » س : « كبرت » هر : « كبرن » . والأخيرتان محرفتان .

(٥) ط و س « قلت النفوس » .

(٦) البال : الاكتراث . ط : « ما لا بد له » س : « مالابال له » . وأثبت ما في ل ، هر .

(٧) الفسيل : صغار النخل ، واحدته فسيلة . فيما عدا ل : « الفس والنحل » تحريف .

(٨) القراح ، بالفتح : الأرض المخلصة لزرع أو لغرس ، وكل قطعة على حيالها من منابت النخل وغير ذلك ، والجمع أقرحة ، كمقذال وأقذلة . فيما عدا ل : « القراخ » تحريف .

(٩) الكدس ، بالضم والفتح : العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك ، والجمع أكداس . فيما عدا ل : « الكرس » تحريف .

(١٠) س : « وبزره » تحريف .

(١١) في الأصل ، وهو هنا ل : « معلوم » وفي ل أيضاً قبلها : « وليس » .

تستوقد[1] فتحرق[2] بذلك القبائلَ الكثيرة ، بما فيها من الناس والأموال والحيوان ؟!

وهى بعدُ آكل للبيض[3] وأصناف الفراخ منَ الحيّات لها .

فكيف لم تكن من هذه الجهة من خَلْق الشيطان ؟!

هذا ، وبين طِباعها وطِباع الإنسانِ مُنافَرة شديدةٌ ، ووَحشةٌ مفرِطة .

وهى لاتأنسُ بالناس وإن طالتْ معايشتُها لهم[4] والسِّنَّوْرُ آنسُ الخلق بهم .

وكيف تأنس بهم وهم لا يُقلعون[5] عن قتلها ما لم تقلع [هى] عن مَساءتهم ؟! فلو كنّ مما يؤكل لكان فى ذلك بعض للرفق[6] . فكيف وإنها لتُلقى فى الطريق[7] ميّتة ، فما يعرض لها الكلبُ الجائع !

فالأمم كلها على التفادى منها[8] واتخاذ السنانير لها .

وزَرَادُشْت بهذا العقل دعا الناس إلى نكاح الأمهات ، و[إلى]

---

(١) ط ، هـ : « وفى طرفها الآخر » وأثبت ما فى ل ، سه . السرج : جمع سراج ، وهو المصباح . فيما عدا ل : « السراج يستوقد » .

(٢) فيما عدا ل : « فتحترق » .

(٣) ط فقط : « آكل البيض » تحريف . آكل : أشد أكلا .

(٤) عايشه : عاش معه . فيما عدا ل : « معاشرتهم » . وأنشد ابن منظور قول قعنب :

وقد علمت على أنى أعايشهم لا نبرح الدهر إلا بيننا إحن

(٥) أقلع عن الشئ : كف . فيما عدا ل : « يغفلون » تحريف نص . وكلمة : « بهم » ليست فى ل .

(٦) المرفق : المنفعة . ط ، سه : « فلو كانت » هـ : « فلو كان » وهذه محرفة . وفيما عدا ل : « المرافق » .

(٧) لتلقى ، من لقيه يلقاه . هى كذلك بالقاف فى نسخ الأصل . وفيما عدا ل : « فى الطرق » .

(٨) تفادى من كذا : إذا تحاماه وانزوى عنه . فيما عدا ل : « والتأذى » .

التوضؤ بالبول[(١)] ، وإلى التوكيل في نيك المغيبات[(٢)] ، وإلى إقامة سُورَاسُنْب[(٣)] ، وصاحب[(٤)] الحائض والنفساء .

(علة نجاح زرادشت)

ولولا أنه صادف دهراً في غاية الفسادِ ، وأمّةً في غاية البُعْد من الحرية ومن الغَيْرة والأَنَفة ، ومن التقزُّز والتنظف[(٥)] ، لما تمَّ له هذا الأمر .

وقد زعم ناسٌ أن ذلك إنما كان وإنما تمّ لأنه بدأ بالملك فدعاه[(٦)] على قدْر ما عرَف من طباعه وشهوته وخُلُقه . فكان الملكُ هو الذى حَمَل على ذلك رعيَّته .

والذى قال هذا القولَ ليس يعرُف من الأمور [إلا بقدر] ما بايَنَ به العامّة[(٧)] ؛ لأنه لا يجوزُ أن يكون للملكُ حملَ العامّة على ذلك ، إلا بعد أن

---

(١) فيما عدا ل : « والوضئ بالأبوال » . وفي اللسان (١ : ١٩٠) : ولا تقل توضيت وبعضهم يقوله » . وفي تاج العروس (١ : ١٣٤) : « ذكر قاسم عن الحسن أنه قال يوماً : توضيت — بالياء — فقيل له : أتلحن يا أبا سعيد ؟ فقال : إنها لغة هذيل وفيهم نشأت » .

(٢) المغيبات ، بضم فكسر : جمع مغيب ومغيبة ، وهى التى غاب عنها زوجها . ل : « المنيات » تحريف .

(٣) كذا وردت الكلمة بهذا الضبط في ل . ولم أهتد إلى تحقيقها . وفي معجم استينجاس « سُوراخ سُنْب » بمعنى المثقب . ط ، هو : « سوراست » سه : « سورلست » .

(٤) كذا بالأصل .

(٥) التنظف ، بالظاء المعجمة . وفي اللسان : « قال أبو منصور : التظف عند العرب التنطس والتقزز وطلب النظافة » .

(٦) ط : « بدأ بدعاء الملك » هو : « بدا » مع سقوط الكلمتين بعدها . وأثبت ما في ل ، هو . والملك هو « كيشتاسب » أتاه زرادشت بدين المجوسية ، فقبلها وحمل أهل مملكته عليها . وقاتل عليها حتى ظهرت . التنبيه والاشراف ٧٩ .

(٧) باينهم : فارقهم . ط ، هو : « تأتى » سه : « يأتى » وأثبت ما في ل .

يكون زَرَادشتُ ألقى على ذلك الفسادِ أجنادَ المُلك . ولم يكن [المُلك] ليقوى[1] على العامة بأجناده ، وبِعشرة أضعاف أجناده ، إلا أن يكون فى العامة عالَم من الناس[2] ، يكونون أعواناً للأجناد على سائر الرعية .

وعلى أن الملوكَ ليس لها فى مثل هذه الأمور عِلّةٌ تدعو إلى المخاطرةِ بملكها ، وإنما غايةُ الملوكِ كل شىء لابد للملوك منه ، فأما ما فضَلَ عن ذلك فإنها لا تخاطر بأصول المُلْك تطلُبُ[3] الفضول ، إلا من كان مُلْكه فى نصاب إمامة ، وإمامتُه فى نصاب نُبوّة ، فإنه يتّبع كلَّ شىء توجبه الشريعة ، وإن كان ذلك سبيلَ الرأى ؛ لأن الذى شرع الشريعة أعلمُ بغيب تلك المصلحة[4] .

وقد ينبغى أن يكون ذلك الزمان [كان] أفسدَ زمان ، وأولئك الأهل[5] كانوا شرَّ أهل . ولذلك لم ترتَدّ ذا دين تحوّل إلى المجوسيّة عن دينه . ولم يكن ذلك للمذهبُ إلا فى شِقِّهِم وصُقْعهم من فارسَ[6] والجبالِ وخُراسان . [وهذه] كلها فارسية .

(أثر البيئة فى العقيدة)

١٠٠ فإن تعجّبْتَ[7] من استسقاطى لعقل كِسْرَى أبرَوِيز وآبائه ،

---

(١) فيما عدا ل : « يقوى » .
(٢) فيما عدا ل : « عامة من الناس » .
(٣) ل : « لطلب » .
(٤) ط : « بغيب تلك المصلحة » صوابه فى سائر النسخ .
(٥) فيما عدا ل : « وذلك الأهل » .
(٦) الشق والصقع : الناحية . فيما عدا ل : « فى نسخة من أهل فارس » .
(٧) فيما عدا ل : « فإن عجبت » .

وأحبّائه وقَرابينه[١] وكُتّابه وأطبائه ، وحكّامه وأساورته — فإنى أقول فى ذلك قولاً تَعرِف به أنى[٢] ليس إلى العصبيّة ذهبت .

اعلم أنى لم أعْنِ بذلك القول الذين وُلِدوا بعدُ على هذه المقالة ، ونشئوا[٣] على هذه الدِّيانة ، وغُذُّوا بهذه النِّحلة ، ورُبُّوا [جميعاً] على هذه الملة[٤] ؛ فقد علِمْنا جميعاً أن عقولَ اليونانيةِ فوقَ الدِّيانة بالدهرية[٥] والاستبصار فى عبادة [البروج و] الكواكب ؛ وعقول الهند فوقَ الديانة بطاعة البُدّ[٦] ، وعبادة البِدَدَة[٧] ، وعقول العرب فوق الدِّيانة بعبادة الأصنام والخشب المنجور[٨] ، والحجر المنصوب ، والصخرة المنحوتة

فداء المنشأ والتقليد ، داء لا يُحْسِنُ علاجَه جالينُوس[٩] [ولا غيرُه

---

(١) قرابين الملك : وزراؤه وجلساؤه وخاصته ، واحدهم قربان بالضم . ل : « وقرابته » وهذه إنما تكون جمع قريبة . وفيما عدا ل : « قرابته » وهى لغة مقول فيها . ولعل الوجه ما أثبت . وفى ط : « وأحبابه » بدل : « أحبائه » .

(٢) فيما عدا ل : « يعرف به أنى » .

(٣) س ، هـ : « ونشوا » .

(٤) فيما عدا ل : « وربوا بهذه الملة » .

(٥) أى عقولهم فوق أن تدين بمذهب الدهرية التى اعتنقوه . وهذا وما بعده تقرير المبدأ القائل بأن العقيدة لا تتبع العقل . فيما عدا ل : « فوق عقول الديانة بالدهرية » وكلمة : « عقول » مقحمة . والكلام من هنا إلى كلمة « الديانة » التالية ساقط من هـ .

(٦) البد ، بالضم : الصنم ، فارسى معرب . والجمع البددة ، بكسر ففتح . مأخوذ من كلمة « بُتْ » الفارسية ومعناها الصنم . استينجاس ١٥٤ . وجعلها صاحب القاموس معرب « بت » بالباء الفارسية ! ط ، هـ : « فوق العادة » صوابها فى ل .

(٧) البددة : جمع بد . انظر التنبيه السابق . ط : « البدة » هـ : « البدوة » صوابها فى س . وهذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ل .

(٨) ط ، هـ : « والخشب المنجورة » على أن تكون « الخشب » بضمتين جمعا . وأثبت ما فى ل . والكلام من : « والخشب » إلى : « المنحوتة » ساقط من س .

(٩) جالينوس : يونانى ، كان إمام الأطباء فى عصره . وقد نقل العرب كتباً كثيرة له فى التشريح . وفيه يقول أبو الطيب :

يموت راعى الضأن فى جهله ميتة جالينوس فى طبه

والكلام من : « والتقليد » إلى هنا ساقط من ل .

من الأطباء[1]] . وتعظيمُ الكبراء[2] ، وتقليدُ الأسلاف ، وإلفُ دينِ الآباء ، والأُنس بما لا يعرفون غيره يحتاج إلى علاج شديد ، والكلام فى هذا يطول .

فإن آثرت أن تتعجب ، حتى دعاك التعجُّب إلى ذكر أبرويز — فاذكر ساداتِ قُريش ، فإنهم فوق كسرى وآل كسرى .

(دفاع صاحب السنور)

[و] قال المحتجُّ للسنانير : قد قالوا : « أبر من هرّة ! » و : « أعقُّ من ضَبٍّ[3] ! وهذا قول الذينَ عاينوها تأكلُ أولادها . وزعموا أن ذلك من شدة الحُبِّ لها . وقال بعضهم : إنما يعتريها ذلك من جنونٍ يعتريها عند الولادة ، وجوعٍ يذهبُ معه علمها بفرقٍ مابين جرائها وجراء غيرها من الاجناس[4] ، ولأنها متى[5] أشبِعَتْ أو أطعمت شِطرَ شِبَعِها لم تعرض لأولادها . والرد[6] على الأمم أمثالها على مسخوط . والعربُ لا تتعصّب للسنّور عَلَى الضبِّ فيتُوهّم[7] عليها فى ذلك خلافُ الحقِّ ، وإنما هذا منكم عَلَى جهة قولكم فى السنور إذا نَجَثَ[8] لنجوه ثم ستره ، ثم عاودَ ذلك المكان

---

(١) هذه من سه .

(٢) هاتان الكلمتان ساقطتان من ل .

(٣) انظر ما سبق فى (٢ : ١٩٧) ، وكذا أمثال الميدانى (٢ : ٤٥١) فى المثل : « أعق من ضب » .

(٤) الجراء ، بالكسر : جمع جرو ، مثلثة ، وهو الصغير من ولد الكلاب والسباع ونحوها . ويجمع أيضا على أجراء وأجر وأجرية . فيما عدا ل : « أجرائها وأجراء غيرها من الأجناس » .

(٥) فيما عدا ل : « لو » .

(٦) ط ، هو : « فالرد » .

(٧) سه : « فيقرمم » تحريف .

(٨) نجث : بحث . الأصمعى : « نبثوا عن الأمر ونجثوا ونجلوا بمعنى واحد » . ونبيث البئر والحفرة ونجيثتهما : ما خرج من ترابهما . فيما عدا سه : « بحث » وهما بمعنى .

فشمّه[1] فإذا وجد رائحةً زاد عليه من التراب[2] . فقلتم : ليس الكرمَ وسترَ القبيح أراد ، وإنما أراد تأنيس الفأر . فنحنُ لا نَدَعُ ظاهر صنيعه الذى لا حُكْم له إلا الجميل لِمَا يدّعى مُدَّعٍ من تصاريف الضمير[3] .

وعلى أن الذى قُلْتموه إن كان حقًّا فالذى أعطيتموه من فضيلة التدبير أكثر مما سلبْتموه من فضيلة الحياء[4] .

(العيون التى تسرج بالليل)

قال : والعيون التى تُسرج بالليل : عيونُ الأسْد ، والأفاعى ، والسنانير ، والنُّمور .

والأسْد سُجْرُ العيون[5] . وعيون [السنانير] منها زُرْقٌ ، ومنها ذهبيَّة ، كعيون أحْرار الطير وعتاقها . وعيونُ الأفاعى بين الزُّرْق[6] والذهبية . وقال حسان بنُ ثابت[7] :

نَرِدُ كأنّ السَّمْنَ فى حَجَرَاتِه ... نُجومُ الثُّرَيَّا أو عُيُونُ الضَّيَاوِنِ[8]

الضَّيْون : السِّنَّور[9] .

---

(١) فيما عدا ل : بالشم » .

(٢) فيما عدا ل : « فإن وجد رائحة زاد عليه بالتراب » . وانظر (٢ : ٢٦٣) .

(٣) فيما عدا ل : « وتقضى بما يدعى » الخ .

(٤) فيما عدا ل : « الجميل » تحريف . والمراد بالحياء : ستره نجوه .

(٥) السجرة : أن يشرب سواد العين حمرة . فيما عدا ل : « سحر » بالمهملة ، تحريف ؛ وانظر ما سبق فى (٤ : ٢٣١ س ٢) .

(٦) ل : « الزرقة » تحريف . وانظر الكلام على ألوان العيون ما سلف فى (٤ : ١١٦ ، ٢٢٩) .

(٧) لم أجد هذا البيت فى ديوانه .

(٨) الحجرات ، بفتحتين : جمع حجرة ، بالفتح ، وهى الناحية . والثريا : مجموعة متقودية من النجوم وليست نجما واحدا . فيما عدا ل : « كأن الشمس » صوابه فى ل ولسان العرب (١٧ : ١٢٢) .

(٩) فى اللسان : « الضيون : السنور الذكر ، وقيل هو دابة تشبهه » .

(تحقيق فى الألوان)

و إذا قال الناس : ثوب أزرق فإنهم يذهبون إلى لون واحد . و إذا وصفوا
١٠١ بذلك العينَ وقعَ على لونين ؛ لأن البازىَ يسمى أزرق[(١)] وكذلك العقاب ، والزُّرَّق ، وكل شىء ذهبىُّ العَين . فإذا قالوا : سنور أزرق لم يُدْرَ ، أذهبوا[(٣)] إلى ألوان الثياب أم إلى[(٤)] ألوانِ عيون البزاة .

و [قد] قال صُحَارٌ العبدىُّ[(٥)] حين قال له معاوية : يا أزرق ! قال : البازى أزرق . وأنشد :

ولا عَيْبَ فيها غيرُ شُكْلَةِ عينِها … كذاك عِتاقُ الطيرِ شُكْلٌ عيونُها[(٦)]

والذهب قد يقال له أصفر ، ويقال له أحمر .

وقال بعض بنى مَرْوَانَ لبعض ولد متمِّم بن نُوَيرة : يا أحمر[(٧)] ! قال : الذهب أحمر . فذلك زعم أن عِتاقَ الطير شُكْلٌ عيونها .

وقال الأخطل :

وما زالت القَتْلى تَمُورُ دماؤهم … بدِجْلةَ حتى ماء دِجلةَ أشكلُ[(٨)]

فالشُّكلة عندهم تقع على الصُّفرة والحمرة إذا خالطا غيرهما .

---

(١) ل السان : « والبازى يكون أزرق » . فيما عدا ل : « ليس أزرق » تحريف .

(٢) الزرق بضم الزاى وتشديد الراء المفتوحة : طائر بين البازى والباشق يصاد به ، وقال الفراء : هو البازى الأبيض . فيما عدا ل : « الزارق » صوابه فى ل .

(٣) ط فقط : « سنور أزرق ذهبوا » بإسقاط ما بين الكلمتين الأخيرتين .

(٤) فيما عدا ل : « وإلى » .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٩٠) .

(٦) سبق البيت والخبر قبله فى (٤ : ٢٢٠) فارجع إليه .

(٧) الأحمر ، مما يعيب به العرب ، وهم يسمون العجم الحمراء لبياضهم ، ولأن الشقرة أغلب الألوان عليهم ، ويسمون أيضاً الموالى الحمراء . وبذلك فسر حديث : « أرسلت إلى الأحمر والأسود » . انظر ص ٧١ من هذا الجزء .

(٨) تمور : تموج وتتردد . فيما عدا ل : « تمارء . أمارء : أساله وأجراه .

(الزرق العيون من العرب)

فمن الزرق[١] [من الناس] مُحارُ العبديُّ ، وعبدُ الرحمن ابنُه ، وداوُد بن متمِّم بن نويرة ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك [بن مروان] ومروان بن محمد بن مروان[٢] ، وسعيد بن قيس الهمدانى[٣] ، وزرقاء اليمامة . وهى عَنْز ، من بنات لُقمانَ بن عاديا .

ومن الزُّرق ممن كانوا يتشاءمون به : قيس بن زهير ، [وكان أزرق] وكان بكراً وابن بِكْرين[٤]

وكانت البسوسُ زَرْقاء [و] بكراً بنتَ بِكرين . ولها[٥] حديثٌ لا أحقّه .

وكانت الزّبّاء زرقاء[٦] . والزرق العيونِ ، من بنى قَيس بن ثعلبةَ منهم المرقِّشان[٧] ، وغيرهما .

---

(١) المراد بالزرق ، زرق العيون .

(٢) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية بويع سنة ١٢٧ ، وكان مقتله ببوصير الأشمونين من صعيد مصر سنة ١٣٢ .

(٣) نسبة إلى همدان ، قبيلة فى اليمن . وكان من خبره أن عليا كان قد أهدر دم حارثة بن بدر الغدانى ، فكان قيس شفيعاً له عند على ، واحتال لذلك بحيلة طريفة ؛ فعفا عنه على ، وانصرف سعيد إلى حارثة وأعلمه بذلك ، وكساه ، وأجازه بجائزة سنية ؛ ولما أراد الانصراف إلى البصرة شيعه فى ألف راكب . وكان مما قال فيه حارثة (الأغانى ٢١ : ٦٥) :

اللهُ يجزى سعيد الخير نافلة   أعنى سعيد بن قيس قرم همدان
أنقذنى من شفا غبراء مظلمة   لولا شفاعته ألبست أكفانى

(٤) كان العرب يتشاءمون بالبكر ابن البكرين . انظر ثمار القلوب ٥٣٣ — ٥٣٤ .

(٥) فيما عدا ل : « ولها » .

(٦) انظر حديثها فى ص ٢٧٨ . فيما عدا ل : « وكانت الزرقاء بكراً » تحريف .

(٧) هما المرقش الأكبر والمرقش الأصغر ، سبقت ترجمتها فى (٤ : ٢٧٥) .

(الحمر الحماليق من العرب)

والحُمرُ الحماليق[1] ، من بنى شيبان . وكان النعمان [أزرقَ ، أقشَرَ[2] ، أحمرَ] العينين ، أحمر [الحماليق]. وفيه يقول أبو قُردودة حين نهى ابن عمار[3] عن منادَمته :

إنى نَهيتُ ابنَ عمّار وقلتُ له لا تأمَنَنْ أحمرَ العَينين والشَّعَرَهْ
إن الملوكَ متى تَنْزِلْ بساحتهم تطِرْ بنارك من نيرانهم شَرَرَه
ياجَفْنَةً كإزاء الحوض قد هدَموا وَمَنْطِقًا مِثلَ وشْي اليمنة الحِبَرَهْ

(شعر فى الزرق)

وقال عبد الله بن همام السّلولىّ :

ولا يكونَنَّ مالُ الله مَأْكُلَةً لِكلِّ أزرقَ من هَمْدَانَ مكتَحِلِ[4]

وقال آخر[5] :

لقد زَرِقَتْ عيناك يا ابنَ مُكَعْبِرٍ كما كلُّ ضَبِّيٍّ من اللؤم أزرقُ[6]

---

(١) الحملاق : باطن أجفان العين الذى يسوده الكحل .
(٢) الأقشر : الشديد الحمرة كأن بشرته متقشرة ، و يقال للأبرص أيضا . وانظر الحديث عن البرص ص ١٦٤ — ١٦٧ .
(٣) هو عمرو بن عمار الطائى ، والمترجم فى (٤ : ٢٤٣) وانظر الخبر والشعر ومراجعهما هناك .
(٤) المأكلة ، بفتح الكاف وضمها : اسم مكان من الأكل ، ولغة الضم مسموعة . وعبارة الجوهرى: المأكلة والمأكلة الموضع الذى منه تأكل .
(٥) هو سويد بن أبى كاهل ، كما فى الأغانى (١٩ : ٤٩) .
(٦) ابن مكعبر هذا هو عمرو بن مكعبر الضبى ، شاعر من شعراء المفضليات ، له المفضلية ٦٠ من طبع المعارف . والمكعبر ، بكسر الباء ، وفى اللسان : ويقال كعبره بالسيف أى قطعه ، ومنه سمى المكعبر الضبى لأنه كعبر قوما بالسيف . ويروى بالفتح أيضا . وانظر مقدمة المفضلية ٦٠ . ورواية البيت فى المخصص (١ : ١٠٠): « كذا كل ضبى » .

وفى باب آخر يقول زُهير :

فلما وردْنَ الماءَ زُرْقًا جِمامُه وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضر المتخيِّمِ[١]

(معارف فى حمرة العين)

وقال يونس : لم أرَ قرشيًّا قطُّ[٢] أحمرَ عروقِ العينين إلا كان ١٠٢
سيِّدا شُجاعا .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان أشكلَ العينين[٣]
ضليع الفم[٤] .

(شعر فى الدعاء على الفأر)

قال : ونزل أبو الرُّعْل الجرمىُّ[٥] بعضَ قرى أنطاكيَةَ فلقىَ من
جِرذانها شرًّا ، فدعا عليها[٦] بالسنانير فقال :

يا رَبِّ شُعْثٍ يَرَى الإسآدَ أوجبهم ومُنْزِلَ الحكمِ فى طه وحاميم[٧]

---

(١) يقال ماء أزرق إذا كان صافيا . وجمام : جمع جم وجمة وهو الماء المجتمع . والحاضر : النازل على الماء . ويقال وضع عصاه : إذا ترك السير .

(٢) ط ، هو : « قطان » صوابه فى ل ؛ سه .

(٣) فسره سماك بن حرب بأنه طول شق العين . قال ابن سيده : « وهذا نادر » يعنى هذا التفسير . وقال ابن الأثير : أى فى بياضها شىء من حمرة . وهو محمود محبوب . فيما عدا ل : « أشهل » وهى رواية أخرى ثابتة فى اللسان (١٣ : ٣٨١ ٣٩٦) .

(٤) ضليع الفم : أى عظيمه ، وقيل واسعه . والعرب تحمد عظم الفم وسعته ، وتذم صغره . انظر ص ٢٦٣ .

(٥) فيما عدا ل : « الحربى » .

(٦) ط ، هو : « عليهم » .

(٧) الشعث : جمع أشعث ، وهو المتلبد الشعر . والإسآد : سير الليل كله . وأراد بطه وحاميم سور القرآن بجميعها . فيما عدا ل : « يا رب شعب يرى » ط : « الأستار وجبهم » . هو : « الأسناد وجبهم » تحريفات . وفيما عدا ل : « وطسم » تحريف .

أقِمْ لشيخٍ ثَوَى بالشام مُغتربًا ... نائى النصيرِ بعيدِ الدار مهمومِ
تَكَنَّفَتْهُ قريباتُ الخُطَى دُكُنٌ ... وقْصُ الرِّقابِ لطيفاتُ الخراطيمِ[1]
حُجْنُ المخالبِ والأنيابِ شابكةٌ ... غُلْبُ الرِّقابِ رَحيباتُ الحيازيمِ[2]
ثارُوا لمنْ فما تنفكُّ من قَنَصٍ ... لكلِّ ذَيَّالةٍ مَقَّاءِ عُلجومِ[3]
حتى أبيتَ وزادِى غيرُ مُتَّمَسكٍ ... على النَّزيلِ ولا كُرْزِى بمَحكومِ[4]

وأنشدَنى ابنُ أبى كريمةَ ، ليزيدَ بنِ ناجيةَ السَّعْدِى[5] : سعدِ بن بكر . وكان لقِىَ من الفأر جَهْدًا ، فدعا عليهن[6] بالسنانير ، فقال :

أزُهيرُ مالَكَ لايهمُّك مابى ... أخزَى الإلهُ محمّدٍ أصحابى
كُحْلَ العيون ، صغيرة آذانُها ... جُنحَ الحنادِسِ يتورْنَ جِرابى[7]
شُمُّ الأنوفِ لريحِ كلِّ قَفِيَّةٍ ... يلحقْنَ لحظ مُروَّعٍ مُرتابِ[8]

---

(١) دكن : جمع دكناء ، والدكنة لون يضرب إلى الغبرة بين الحمرة والسواد . فيما عدا ل : « ذكره » تحريف . وقص : جمع وقصاء ، وهى القصيرة العنق .

(٢) الأحجن : المعوج المعقف . شابكة : مشتبكة ، وانظر (٤ : ١٨٣ ، ٢٨١ ، ٣٠٩) . والأغلب : الغليظ الرقبة . والحيزوم : الصدر .

(٣) أى ثارت السنانير الجرذان . والقنص : الصيد ، قنصه يقنصه قنصا وقنصا ، بالفتح وبالتحريك . والذيالة : الطويلة الذيل . والمقاء : الطويلة فى دقة . والعلجوم : الشديد السواد ، أو الطويل ، الذكر والأنثى سواء . فيما عدا ل : « فما ينفك » تحريف .

(٤) حكم المتاع يحكمه حكما : شده بثوب . والنزيل : الضيف . والكرز ، بالضم : ضرب من الجوالق ، أو هو الخرج . فيما عدا ل : « كورى » والكور : الرحل ، ولا وجه له .

(٥) لم أجد له ترجمة أكثر ما قال الجاحظ ، إنه من بنى سعد بن بكر .

(٦) فيما عدا ل : « عليم » .

(٧) جنح الحنادس : أى فى جنح الظلام . يقال جنح وجنح ، بالضم والكسر ، وهو جانب الليل ، أو أوله ، أو قطعة منه نحو النصف . يتورن : يتداولن ، كلما سكن أحدها نهض الآخر للعمل . فيما عدا ل : « غمس الحنادس » تحريف . ط : « يحورون » س : « يحورن » صوابهما فى ل .

(٨) القفية : المختار ، واقتفاه : اختاره . ط ، هو : « كريم » تحريف . وفيما عدا ل : « كل بغية » . والبغية : ما يبتغى ويطلب . والأوفق ما أثبت من ل .

دُكْنُ الجِبابِ تدرَّعَتْ أبدانُها ... صُعْلُ الرُّؤوسِ طويلةُ الأذنابِ (١)

شُنُحُتُ المخالبِ والأنايبِ والشَّوَى ... نُجُلُ الخصورِ رَحِيبةُ الأقرابِ (٢)

أسقَى الإلهُ بلادَهُنَّ سحائباً ... غُرَّ النَّشاصِ بعيدةَ الأطنابِ (٣)

تَرْمِي بِغُبْسٍ كالليوثِ تَسَرْبَلَتْ ... منها الجلودُ مَدَارِعَ السِّنْجابِ (٤)

غُلْبِ الرِّقابِ لطيفــة أعجازُها ... فُطْحِ الجِباهِ رَهِيفةِ الأنيابِ (٥)

مُتَبَهْنِسَاتٍ للطِّرادِ كأنَّها ... آسادُ بِيشةَ أُدْمِجَتْ بخِضابِ (٦)

ونحنُ نظنُّ أن هذه القصيدةَ من توليد ابنِ [أبي] كريمة .

---

(١) الدكنة : لون يضرب إلى الغبرة بين الحمرة والسواد . والجباب : جمع جبة ، وهي موصل ما بين الساق والفخذ . فيما عدا ل : « وكر الجباه » والكلمة الأولى محرفة ، والثانية وجه . تدرعت : هو من الدرع ، وهو اختلاف اللون . والصعل : جمع صعلاء وأصعل ، وهو الخفيف الرأس .

(٢) شنحت : جعله جمعا لشنحيت . والشنحيت : الدقيق . وجمع فعيل صفة على فعل نادر ، كنذير ونذر . والأنايب : جمع الناب ، وأصلها الأنانيب ، فسلفت الياء الثانية على مذهب الكوفيين . انظر اللسان (٢ : ١٧٤ س ٨ — ٩) وحواشي الحيوان (٢ : ٣٧٠) . والشوى : اليدان والرجلان ، الواحدة شواة . نجل : جمع أنجل ، وهو العظيم الواسع . والأقراب : جمع قرب ، بالضم ، وهو الخاصرة ، يقولونه جمعا وإنما هما قربان اثنان . ط ، هو : « حل الحصون » س : « عل الحصون » صوابهما في ل . وفي ل أيضا : « سفيرة الأسلاب » .

(٣) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والأطناب : جمع طنب ، بضم وبضمتين ، وهو حبل الخباء والسرادق ، أراد عظم هذه السحائب . فيما عدا ل : « غر البشام » تحريف . وقد دعا عليهن بالمطر ، وهو أخوف ما يخفن .

(٤) الغبس : جمع أغبس وغبساء ، وهو ما لونه لون الرماد . ط : « بعرس » س ، هو : « بعس » صوابهما في ل . والمدارع : جمع مدرع ، وهو ضرب من الثياب ، وقيل جبة مشقوقة المقدم . والسنجاب : حيوان على حد اليربوع ، أكبر من الفأرة وشعره في غاية النعومة ، فارسيته « سِنْــجاب » ولم يذكر في اللسان والقاموس والمعرب وشفاء الغليل ، وذكره ادى شير ٩٥ . وهو رمادي اللون ، كما في معجم استينجاس ٧٠٠ . وهو بالإنجليزية : Grey squirrel وبالفرنسية : Petit gris .

(٥) غلب : غلاظ ، جمع أغلب وغلباء . فطح : واسعات عريضات : جمع أفطح وفطحاء .

(٦) متبهنسات : متبخترات . ط ، س : « متبهكات » هو : « متبهيات » وأثبت ما في ل . وبيشة : موضع تنسب إليه الآساد .

(معارف في السنور)

والسنّور ثاقبُ البصر بالليل . وكذلك الفأرة سوداء العينين . وهي في[1] ذلك ثاقبة البصر .

والسنّورُ ضعيفُ الهامة . وهامته من مقاتله . ولا يستطيعُ أنْ يذوقَ الطعامَ الحلوَ ولا الحامضَ .

(مقارنة بين السّنور والكلب)

قال : وللسنور فضيلةٌ أخرى : أنه[2] كثيرُ الأسماء القائمةِ بأنفسها ،
١٠٣ غيرِ المشتقات . ولا أنها[3] تجمع الصفاتِ والأعمالَ بل هي أسماء قائمةٌ .
من ذلك : القطُّ ، والهِرُّ ، والضَّيْوَن[4] ، والسنَّوْر .

وليس للكلب اسمٌ سوى الكلبِ[5] ، ولا للدِّيك اسمٌ إلا الديك . وليس للأسد اسمٌ إلا الأسد والليث . [وأمّا الضيغم ، والخنابس ، والرِّئبالُ[6] ، وغيرها ـ فليست بمقطوعة] ، والباقي ليسْت بأسماء مقطوعةٍ[7] ولا تصلح[8] في كل مكان .

فيما عدا ل : « مع » . وانظر (٤ : ٢٢١) .
(٢) ل : « لأنه » .
(٣) ط : « لأنها » وبإسقاط الواو قبلها س ، هو : « ولأنها » صوابهما في ل .
(٤) انظر ما سبق في ص ٣٢٩ . وكلمة « السنور » في ل تالية لكلمة : « القط » .
(٥) ل : « إلا الكلب » .
(٦) الضيغم : مشتق من الضغم ، وهو العض . والخنابس ، مشتق من الخنبسة : وهي الجرارة والشدة . والرئبال ، مشتق من الرأبلة ، وهي الخبث ، أو المشي متكفئاً كأنه يتوجى .
(٧) ذكر السيوطي في باب معرفة خصائص اللغة (١ : ١٨٩) أن أبا عبد الله بن خالويه كان يقول : « جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين » . وأراد الجاحظ بالمقطوعة الأسماء التي هي نص في مسماها . ل : « ليست أسماء مقطوعة » .
(٨) فيما عدا ل : « تطلع » .

وكذلك الخمر . فإذا قالوا : قهوة ، ومُدامةٌ ، وسُلافٌ ، [وخَنْدَرِيسٌ] وأشباه ذلك ـ فإنما تلك أسماء مشتركة . وكذلك السيف[١] . وليس هذه الأسماء عند العامة كذلك .

قال : وعلى السِّنَّور من المحبة ، ولا سيما من مَحَبَّةِ النِّساء ، ومعه من الإلف والانس والدُّنُوِّ ، والمضاجعة ، والنوم فى اللِّحاف الواحد ـ ماليس مع الكلب ، ولا مع الحمام ، ولا [مع] الدَّجاج ، ولا مع شىء مما يعايش الناس .

هذا ، ومنها الوحشى والأهلىّ . فلولا قُوَّةُ حبهِ للناس لما كان فى هذا المعنى أكثرَ من الكلاب ، والكلاب كلّها أهلية .

قالوا : وليس بعجيبٍ أن يكون الكلبُ طيِّبَ الفم ؛ لكثرةِ ريقه ، ولبُعد قرابَتِهِ ومشاكَلَتِه للأَسد ، وإنما العجبُ فى طيبِ فم السنَّور ، وكأنه فى الشَّبه من أشبال الأسد .

ومن يُقَبِّلُ أفواه السنانير وأجْرامها من الخرائد[٢] وربّات الحِجال ، والخَدَّرات ، والمطهَّمات[٣] ، [والقينات[٤]] أكثرُ من أن يُحصى لمن عدّ ، وكلهنّ[٥] يخبرنَ عن أفواهها[٦] بالطِّيب والسلامةِ مما عليه أفواهُ السباع . وأفواهُ ذوات الجِرَّة[٧] من الأنعام .

---

(١) فيما عدا ل : « الضيف » تحريف . ومما يجدر ذكره أن صاحب القاموس صنع كتاباً سماه « الروض المسلوف » جمع فيه ما ينيف على ألف اسم من أسماء السيف . انظر القاموس (سيف) .

(٢) الخرائد : جمع خريدة ، وهى البكر لم تمسس قط ، أو الحيية الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت الخفرة . فيما عدا ل : « الحرائر » جمع حرة بالضم ، وهى الكريمة ، أو ضد الأمة .

(٣) المطهمات : البارعات الجمال . والمطهم : الحسن التام كل شىء منه على حدته .

(٤) القينة : الأمة مغنية كانت أو غير مغنية .

(٥) ط : « والشكل » س ، هو : « ولكن » وهذه محرفة . وأثبت ما فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « أفواههن » .

(٧) الجرة ، بالكسر : ما يخرجه البعير ونحوه من جوفه ثم يمضغه ويبلعه . فيما عدا ل : « ذى الجرة » .

ومارأينا وضيعةً قطُّ ولا رفيعة ، قبّلتْ فَمَ كلبٍ أو ديكٍ (١)
وما كان ذلك من حارس قطُّ ، ولا من كلّابٍ ، ولا من مكلِّبٍ (٢)
ولا من مُهارِش (٣) .

والسنور يُخضَب (٤) ، وتُصاغُ له الشنوفُ والأَقْرِطَةُ (٥) ، ويُتحف ويدلَّل (٦) .

ومَنْ رأى السنورَ كيف يَختِلُ العُصفورَ ، مع حَذَرِ العُصفورِ ، وسُرعة طيرانه — على أن جهتَه في الصيدِ جهةُ الفهد والأسد . ومنْ رآه كيفَ يرتفعُ بوثبته إلى الجرادة في حال طيرانها — علم أنه أسرَعُ من الجرادة (٧) .

وله إهاب فضفاض ، وقميص من جِلده واسع ، يموج فيه بدنُه وهو مما يضبع (٨) لسعَة إبطيه ، ولوشاء [إنسان] أن يعقِدَ صُلْبَهُ ، ويَثْنِيَ أوَّلَه عَلَى آخِره ، كما يُثْنَى للخُراق (٩) ، وكما (١٠) يثنى قضيبُ الخيزُران [لفعل] .

ويوصفُ الفرَسُ بأنه رِهل اللَّبان (١١) ، رحيبُ الإهاب ، واسع

---

(١) ليس للديك فم ، وإنما له المنقار .
(٢) الكلّاب : صاحب الكلاب . والمكلب : الذي يعلم الكلاب أخذ الصيد . « ولا من كلاب » ساقط من ل .
(٣) الهراش : تحريش الكلاب بعضها على بعض . وانظر (قتال الحيوان) في ص ٢٤٦
(٤) يخضب بالخضاب ، وهو الحناء ونحوه . ل : « تخضب » .
(٥) الشنوف : جمع شنف ، بالفتح ، وهو القرط يعلق في أعلى الأذن . والقرط يجمع على أقراط وقراط وقروط وقرطة بفتح فكسر . ل : « والقرطة » . وفي ل أيضاً : « تصاغ لها » .
(٦) يتحف : تقدم إليه التحف والطرف . ل : « تتحف وتدلل » .
(٧) ل : « الجراد » .
(٨) يضبع : يمد ضبعيه في سيره . ط : « يضع » س ، هو : « يصنع » صوابها في ل .
(٩) الخراق ، سبق تفسيره في ٢٠٧ .
(١٠) فيما عدا ل : « أو » .
(١١) اللبان ، بالفتح : الصدر . والرهل ، بفتح فكسر : ذو الرهل ، وهو الاضطراب والاسترخاء .

الآباط . وعيب الحاز الكزَّ لزة التى فى [يديه ، وفى] منكبيهِ ، وانضمامهما[١] إلى إبطيه ، وضيق جلدِهِ ، وإنما يعدُو[٢] بعُنقه

(التجارة فى السنانير)

قالوا : وللسنور تجّار وباعة ، ودلاّلون ، وناس يعرفون بذلك . ولها رُاضَةَ[٣]

وقال السِّنْدِى بن شاهَك : ماأعيانى أحد من أهل الأسواق : من التجّار[٤] ، و [من] الباعة والصنّاع ، كما أعيانى أصحابُ السنانير ، يأخذون السنّوْر الذى يأكل الفِرَاخ والحمامَ ، ويواثب أقفاص الفواخِت[٥] والوراشين والدّبابِى[٦] [والشِّفانين[٧]] ، ويدخلُونه فى دنّ ، ويشُدُّون ١٠٤
رأسَه[٨] ، ثم يدحرِجونه على الأرض حتى يَشْغَلَه الدُّوَار ، ثم يدخلونه فى قفص فيه الفراخُ والحمام ، فإذا رآه المشترى رأى شيئا عجباً[٩] ، وظنّ أنه قد ظفر بحاجته . فإذا مضى به إلى البيت مَضى بشيطانٍ ، فيجمع عليه

---

(١) أى انضمام يديه ومنكبيه .

(٢) س ، ه : « يعدو » تحريف .

(٣) راضة : جمع رائض ، كباعة وبائع ، وهو الذى يروض الدواب و يسوسها .

(٤) فيا عدا ل : « ومن التجار » .

(٥) الفواخت : جمع فاختة ، وهى ضرب من الحمام المطوق : Ringdove . وانظر (١ : ١٤٤) . فيما عدا ل : « الفواخيت » . وزيادة الياء فى نحوه مذهب الكوفيين .

(٦) الدباسى ، جمع دبسى ، بالضم . وهو ضرب من الحمام الوحشى : Palmdove or Little brown dove منسوب إلى دبس الرطب ، بالكسر ، على التغيير فى النسب كالدهري ، أو هو على لفظ المنسوب وليس بمنسوب . وانظر (٣ : ٢٠١ ، ٢٤٣) . فيما عدا ل : « الدباس » محرف .

(٧) الشفانين : جمع شفنين ، بالكسر ، وهو ضرب من الحمام حسن الصوت .

(٨) فيما عدا ل : « يسدون » بالسين المهملة . والمشدود : المربوط .

(٩) فيما عدا ل : « عجيبا » .

باثنتين[1] إحداهما أكلُ طيوره وطيور الجيران ، والثانية أنه إذا ضَرِىَ عليها لم يطلُبْ سِواها .

ومررت يوماً وأنا أريدُ منزلَ المكىّ بالأساورة[2] وإذا امرأةٌ قد تعلقَتْ برجُل وهى تقول : بينى وبينك صاحبُ المَسْلَحَة[3] فإنك دَلَلْتَنى عَلَى سنور[4] ، [وزعمتَ أنه لايقربُ الفراخ ، ولا يكشفُ القدُور ، ولا يدنو من الحيوان ، وزعمت أنك أبصرُ الناس بسنور] ، فأعطيتُك[5] على [بصرك و] دلالتك دانِقا[6] فلما مضيتُ [به] إلى البيت مضيت بشيطان قد والله أهلَكَ الجيرانَ بعد أن فرَغَ منا . ونحنُ منذُ خمسة أيام نحتال فى أخذه . وهاهو [ذا[7]] قد جئتُك به فرُدَّ عَلَىَّ دانقى ، وخذْ ثمنه من الذى باعنى[8] . ولا والله إن تُبْصِرُ من السنانير قليلا ولا كثيراً !

---

(١) فيما عدا ل : « فيجتمع عليه بليتان » .

(٢) الأساورة : قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً ، كالأحامرة بالكوفة . وأراد الجاحظ محلتهم التى كانوا ينزلون فيها . والمكى : أحد معاصرى الجاحظ ، وكانت له معه مداعبات . وانظر (٣ : ٣٢٤ — ٣٢٧) . وبدله فيما عدا ل : « البكاء » .

(٣) المسلحة : قوم ذوو سلاح ، والمسلحة أيضاً القوم الذين يحرسون الثغور من العدو . ل : « المصلحة » .

(٤) ط ، هو : « السنورة » .

(٥) فيما عدا ل : « وأعطيتك » .

(٦) البصر هنا بمعنى العلم وجودة المعرفة . والدلالة ، كسحابة وكتابة : الجمع بين البائع والمشترى . والدانق بكسر النون وفتحها : سدس الدرهم أو ثمنه ، ومرجع الاختلاف إلى تفاوت ما بين الدراهم أنفسها . وهو بالفارسية : « دانگ » أو « دانگ » وهو فى الفارسية بمعنى ربع الدرهم ، أو السدس من أى شىء . انظر استينجاس ٥٠١ والمعرب ١٤٥ وأدى شير ٦٦ .

(٧) هذه التكملة من ل ، س .

(٨) أى الذى باعنى إياه . وفيما عدا ل : « باعه » .

قال الدلاَّل : انظروا بأىِّ شىء تستقيلنى[1] ؟ ! ولا والله إنْ فى ناحيتنا فتًى هو أبصرُ بسنور منِّى ، وذلك من مَنِّ سيِّدي ومولاى[2] !

فقلتُ للدلاَّل : ولا والله إن فى هذه الناحية فتًى هو أشكر لله منك[3]

(أكل السنانير)

وناس يأكلون السنانيرَ ويستطيبونها . وليس يأكل الكلبَ أحدٌ[4] إلا فى القرْط .

والعامة تزعم أن من أكل السِّنَّوْر الأسود لم يَعْمَلْ فيه السحر . والكلبُ لا يؤكل .

(أكل الديك)

والديك خبيث اللحم عَضِلِه[5] ، إلا أن يُخْصَى . وتلك حيلة لأهل حِمْص ، وليست عندنا فيه [حيلة . وقال جَحْشويه[6] :

كيفَ صبرى عن مثلِ جُمجمةِ المـــرِّ تُثْنَى بعُنْـــبَطِرٍ متينِ
ليس يخفى عليك حين تراها أنها عُـــدّةٌ لداء دفينِ]

---

(١) استقاله : طلب إليه أن يقيله ، أى يفسخ ما بينه وبينه . ط : « تستقلنى » ل . س : « تحتيلنى » .

(٢) أراد : من نعمة الله وفضله . ل : « وذلك من سيدى ومولاى » .

(٣) كلمة : « هو » ليست فى ل : س .

(٤) ليها عدا ل : « واحد » ، والأكثر فى النفى استعمال « أحد » .

(٥) العضل : الكثير العضلات ومثل العضل ، كحل . وهذا الحرف ساقط من ل .

(٦) جحشويه : من شعراء الحيون . وقد سبق فى (٤ : ١٨١) قول الجاحظ : « ولقد ولدوا على لسان جحشويه فى الحلاق أشعاراً ما قالها جحشويه قط » . وقد روى له الجاحظ شعراً آخر فى الحيون . انظر البيان (٢ : ٣٢) .

(سكينة التابوت)

قالوا : وزعم بعضُ أهلِ الكتاب ، وبعضُ أصحاب التفسير[١] ، أن السَّكينة التي كانت في تابوت موسى[٢] [كانت] رأس هِرٍّ[٣]

(استطراد لغوى)

قالوا : وقلتم في الاشتقاق من اسم الكلب : كَلِيب ، وكِلاب[٤] ، ومَكْلَبة ، ومُكالِب[٦] ، وأصاب القومَ كُلْبَةُ الزمان ، مثل هُلْبَة[٧] ، وهي الشدّة

والكِلابُ واحِدُها كَلْب ، و[تجمع] على[٨] كلاب [وأكلب] وكليب ، كما يجمع البُخْت بَخيتاً وأبختا[٩]

والكَلَّاب بتثقيل اللام : صاحب الكلاب . والمُكَلِّب ، بتثقيل اللام وضمّ الميم : الذي يعلِّمُ الكِلابَ الصَّيْدَ[١٠] . وقال طُفيلٌ الغَنَوِيّ :

---

(١) ط ، هو : « أهل التفسير » .

(٢) هذه إشارة إلى قول الله : (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم) الآية ٢٤٨ من سورة البقرة .

(٣) في تفسير أبي حيان : « وقيل السكينة صورة من زبرجد أو ياقوت ، لها رأس كرأس الهر ، وذنب كذنبه ، وجناحان » .

(٤) كلاب ، بالكسر : اسم لأبي قبيلة ، وبالفتح داء الكلب .

(٥) المكلبة : الأرض يكثر فيها الكلاب ، والقيادة .

(٦) المكالبة : المشارة والمضايقة . والمكالب أيضاً : الجرىء ، يمانية .

(٧) هلبة الشتاء ، بالضم شدته .

(٨) هذه الكلمة ليست في الأصل .

(٩) كذا في ل . وفي سائر النسخ : « كما يجمع النجب نجيب » . ولم أجد في المعاجم ما يؤيد صحة إحدى العبارتين .

(١٠) سبق مثل هذا في الجزء ٢ ص ٢٢٨ . والكلام من : « صاحب » إلى : « وضم الميم » ساقط من ل .

تُبَارِي مَرَاخِيها الزِّجَاجَ كَأَنَّها ... ضِرَاءٌ أَحَسَّتْ نَبْأَةً من مُكَلِّبِ (١)

وقال الآخر (٢) :

خُوصٌ تَرَاحُ إلى الصُّدَاحِ إذا غَدَتْ ... فِعْلَ الضِّرَاءِ تَرَاحُ للكَلَّابِ (٣)

والكَلَب : داء يقع فى الإبل ، فيقال كَلِبت الإبلُ تَكْلَب كَلَباً ، وأَكْلَبَ القَوم : إذا وقع فى إبلهم الكَلَب . ويقال كَلِبَ الكلبُ واستكلب : إذا ضَرِيَ وتعوَّدَ أَكْلَ الناس ، ويقال للرّجل إذا عضَّه الكلبُ الكَلِبُ : قد كَلِبَ الرَّجُل . ١٠٥

ويقال إن الرَّجُلَ الكَلِبَ يَعَضُّ إنساناً آخر ، فيأتون رجلا شريفاً ، فيقطُرُ لهم من دَمِ إصبعه ، فيَسْقُونَ ذلك الكلبَ فيبرأ . وقال الكُمَيت :

أحلامُكم لِسِقَامِ الجهلِ شافيةٌ ... كما دماؤكم يُشْفَى بها الكَلَبُ (٤)

قالوا : فقد يقولون للسنور هِرّ ، وللأنثى هِرّة . ويقال من ذلك هَرَّ الكلبُ يهِرُّ هريراً ، وتسمَّى المرأةُ بهرّة ، ويكنى الرَّجُل أبا هِرّ (٥) ، وأبا هُرَيرة . وقال الأعشى :

وَدِّعْ هُرَيرةَ إن الركبَ مُرْتحِلُ ... وهل تُطيق وَداعاً أيها الرجلُ

وقال امرؤ القيس :

دارٌ لهِرٍّ والرَّبابِ وفَرْتَنَى ... ولَمِيسَ قبلَ تفرُّقِ الأيّامِ (٦)

---

(١) سبق إنشاد هذا البيت وشرحه فى (١ : ٢٧٦) وكرر أيضاً فى (٢ : ٨١) . فيما عدا ل : « كأنه » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « وقال آخر » . والبيت سبق فى (١ : ٢٧٧ و ٢ : ٢٠١) .

(٣) الخوص : جمع خوصاء ، وهى الغائرة العين من الإبل . تراح : تجد راحة وفرجاً . والصداح ، بالدال : رفع الصوت بالغناء ، عنى صوت الحادى . والرواية فيما سبق : « الصراخ » . وفى الجزء الأول من ل وكذا اللسان (٣ : ٢٨٧) : « إلى الصياح » . والضراء ، جمع ضرو : وهو الكلب الضارى . فيما عدا ل : « الظباء » . و « بالكلاب » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « تشفى من الكلب » .

(٥) سه : « أباهرة » .

(٦) البيت من قصيدة له فى الديوان ١٦٠ — ١٦٥ يجيب بها سبيع بن عوف بن مالك .

وقال ابنُ أحمر[1] :

إن امرأَ القيسِ عَلَى عَهْدِه ... في إِرْثِ ما كان بناه ، حُجُرْ
بَنَتْ عليــــــه الملكَ أطنابَها ... كأسٌ رَنَوْنَاةٌ وطِرْفٌ طِمِرْ[2]
يلهُو بهنــدٍ فوقَ أنماطِهاَ ... وفَرْتَنَى تَسْعَى عليــه وهِرْ[3]

(أطباء الهرة وحملها)

قال : والهرة ثمانية أطباء [أربعةٌ[4]] تقابلُ أربعة ، أوّلهنّ بين الإبط والصدْر ، وآخِرُهُنَّ عند الرُّفْغ . وتحملُ خمسين يوماً ، وتضع جراها[5] عُمياً . وليس بينَ تفقيحها وتفقيح[6] جراء[7] الكلابِ إلا اليَسير .

---

(١) روى صاحب اللسان سبعة أبيات من هذه القصيدة في (١٩ : ٥٦) . والبيت الأول والثاني في تهذيب الألفاظ ٢١٩ والثاني في المقصور ٥٧ وشرح الأنباري للمفضليات ١٦٧ واللسان (١٢ : ٣٨٤) .

(٢) يروى : « بنت عليه الملك » بتشديد النون ورفع الملك ، والملك هي الكأس فلذلك أنثها . ويروى : « بنت عليه الملك » بتخفيف النون ونصب الملك ، ونصبه على أنه مصدر وضع موضع الحال ، كأنه قال ملكا ، وعلى « أطنابها » عائدة إلى الكأس . ويروى بعضهم : « بنت عليه الملك » فرفع الملك وأنث فعله على معنى المملكة . ويروى : « مدت عليه الملكَ » و « الملكُ » . والرنوناة : الدائمة على الشرب . فيما عدا ل : « رويناه » تحريف . قال ابن سيده : « ولم نسمع بالرنوناة إلا في شعر ابن أحمر » . والطرف : من الخيل العتيق الكريم . والطمر : الوثاب . وانظر لهذا البيت المخصص (١١ : ٧٣ ، ١٤ : ٢٢٧ ، ١٧ : ١٦) .

(٣) فيما عدا ل : « تسعى إليه » . وفي اللسان (١٩ : ٥٧) : « وفرتنى يعلو إليه » ، محرفة .

(٤) ليست بالأصل . والكلام يقتضيها .

(٥) الجراء : جمع جرو . و « جراها » كذا جاءت بالقصر .

(٦) فقح الجرو وتفقح ، وذلك أول ما يفتح عينه وهو صغير . وانظر (٢ : ٢٨٨) . فيما عدا ل : « تفتيحها وتفتيح » تحريف .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ط ، ﻫ . ويدلها في س : « أجراء » وأثبت ما في ل . وهما جمع جرو .

(إيثار الهرة والديك)

والهرة من الخلق الذى يؤثِر على نفسه ، ولها فضيلةٌ فى ذلك [على الدِّيك الذى له الفضيلة فى ذلك] على جميع الحيوان ، إلا أن الديك[1] لايفعل ذلك [بالدجاج] إلا مادام شاباً . ولا يفعل ذلك بأولاده ، ولايعرفهم وإنما يفعل ذلك بالدجاجِ علَى غير الزِّواج[2] ، وعلَى غير القصد إلى واحدة[3] يقصِد إليها بالهوى

والهِرَّة يُلق[4] إليها الشىء الطيبُ وهى جائعة ، فتدعو أولادها ، وقد استَغْنَيْنَ عن اللبن ، وأطَقْنَ الأكل والتقمُّم والتكسُّب ، ثم حتى ربما فعلتْ ذلك بهنّ وهنّ فى العينِ شبيهاتٌ بها فى العِظَم[5] ؛ فلا تزالُ ممسكةً عن [تلك] الشحمة على جُوعها[6] ، ومع شرَهِ السنانير ، حتى يُقبِلَ ولدُها فيأكلَه[7]

ورجلٌ من أصحابنا ائتمنوهُ على مال ، فشدّ عليه فأخذه ، فلما لامه بعض نصحائه قال : يطرحون اللحم قُدّام السنورِ فإذا أكله ضربوه !
فضرَبَ شَرَهَ السنور مثلا لنفسه[8] .

و[الهرَّة] ربما رموا إليها بقطعةِ اللحم ، فتقصدُ نحوها حتى تقف

---

(١) هنا فيما عدا ل زيادة : « إلا الديك » هو إقحام وتحريف .
(٢) الزواج ، بالكسر : المزاوجة . فيما عدا ل : « الرواج » بالمهملة ، تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « لواحدة » .
(٤) ط ، هو : « تلقى » .
(٥) « فى العين » ساقطة من س . وفى ط ، هو « وهم فى العين يشبهنها فى الظلم » تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « مع جوعها » .
(٧) الضمير للشىء الطيب . وفى ط فقط : «فيأكلها» والضمير للشحمة.
(٨) فيما عدا ل : « يضرب بشره » الخ .

١٠٦ عليها ، فإذا أقبلَ ولدها تجافت عنها . وربما قبضت عليها بأسنانها فرمت بها إليه[١] بعد شمِّ الرائحة[٢] ، وذَوق الطعم .

(نقل الهرة أولادها)

والهرَّة تنقل أولادها في المواضع ، من الخوف عليها . ولا سبيل لها في حملها إلا بفيها[٣] . وهي تعرف دِقَّةَ[٤] أطْرَافِ أنيابها ، وذَرَب أسنانها . فلها بتلك الأنياب الحِدَادِ ضرب من القبض عليها ، والعَضِّ لها ، بمقدار تبلغُ به الحاجة[٥] ، ولا تؤثِّر فيها ولا تؤذيها .

(مخالب الهرة والأسد)

فأما كفُّها والمخالب للمعَقَّفة[٦] الحِدَادُ التي فيها ، فإنها مصونة في أكمامها[٧] . فمتى وقعت كفُّها[٨] على وجه الأرض صارت في صوْن ، ومتى أرادت استعمالها نَشَرَتها[٩] وافرة ، غير مكلومةٍ ولا مثلومة[١٠] كما وصف أبو زُبَيْدٍ كفَّ الأسد [فقال] :

---

(١) ل : « إليها » فيكون الضمير عائداً إلى الولد بمعنى الجمع ، فإن الولد يكون للمفرد والجميع .
(٢) فيما عدا ل : « بغير شم الرائحة » تحريف . والمراد أن تختبر الطعام وتبلوه .
(٣) سه : « بأسنانها » .
(٤) سه ، هو : « رقة » تحريف .
(٥) فيما عدا ل : « حاجتها » .
(٦) المعقفة : المعوجة الملتوية . فيما ل : « المثقلة » تحريف .
(٧) الأكمام : جمع كِمّ ، بالكسر ، غشاء مخالب السبع . اللسان (١٥ : ٤٣٠) .
(٨) ل : « متى وضعت كفها » .
*(٩) نشرتها : بسطتها . ل : « أظهرتها » .
(١٠) مكلومة : مجروحة ، والمراد حدوث أثر فيها . وفي الحديث : « ذهب الأولون لم تكلمهم الدنيا من حسناتهم شيئاً » أي لم تؤثر فيهم ولم تقدح في أديانهم . انظر =

بمُجْن كالمحاجن في قُنُوبٍ   يَقِيها قِضَّةَ الأرضِ الدَّخيس [1]

كذلك مخالبها ومخالبُ الأسد ، وأنيابُ الأفاعى [2] . و[قد] قال الرّاجز [3] ، وهو جاهلىّ :

حتَّى دنا من رأس نَضْناض أصمّ [4]   فَخَاضَهُ بين الشِّراك والقَدَم [5]

بِمِذْرَبٍ أخرجَه من جوف كُمّ [6]

(زعم بعض المفسرين فى السنانير والخنازير)

وزعم بعض المفسرين أن السنور خُلِقَ من عطسة الأسد ، وأن الخنزير خُلِق من سلحة الفيل [7] ؛ لأن أصحابَ التفسير يزعمون أن أهلَ

= اللسان (١٥ : ٤٢٩) . س : « مكلولة » تحريف ، وإنما يقال « كليلة » . كل السيف ونحوه فهو كليل : ذهبت حدته . والمثلومة : التى كسر حرفها . فيما عدا ل : « مأثوبة » تحريف .

(١) القنوب : جمع قنب ، بالضم ، وهو ما يدخل فيه الأسد مخالبه من يده . فيما عدا ل : « قنوح » بالحاء المهملة ، تحريف . ل : « كالمخالب » وفيما عدا ل : « قصة الأرض » تحريفان . انظر لها شرح البيت ، وقد سبق فى (٤ : ٢٨٤) . وفى الأصل هنا : « يقيها » بالياء ، صوابه ما سبق .

(٢) فى (٤ : ٢٨٤) : « وكذلك أنياب الأفاعى هى سالم تمض مصونة فى أكمام لها » .

(٣) سبقت بعض أبيات الرجز فى (٤ : ١١٩ ، ٢٨٣ — ٢٨٤) وستأتى بعض أبياته فى (٦ : ٣٩ ، ٣٤ ساسى) .

(٤) النضناض : الحية تحرك لسانها . ط ، س : « نضقاض » تحريف .

(٥) خاضه ، هو من قولهم خاضه بالسيف وضعه فى أسفل بطنه ثم رفعه إلى فوق . ل ، ط : « فخاصه » وخاصه بمعنى خاطه ؛ ولها وجه ضعيف . والشراك ، بالكسر : سير النعل . س : « الشراط » تحريف .

(٦) المذرب : الحاد ، أراد به الناب . فيما عدا ل : « مطرب » صواب روايته فى ل ، وكما سبق فى (٤ : ٢٨٤) . والكم ، سبق تفسيره فى التنبيه السابع من الصفحة ٣٤٦ .

(٧) السلح : السلاح بالضم ، وهو النجو . فيما عدا ل : « عطسة » تحريف . وانظر السياق وقد سبق هذا الزعم فى (١ : ١٤٦) .

سفينةِ نوح لما تأذَّوْا بكثرة الفأر[1] وشكَوا[2] [إلى نوح ذلك] سألَ ربَّه الفَرَج ، فأمره أن يأمُرَ الأسد فيعطِسَ . فلما عطس خرج من منخرَيه[3] زوجُ سنانير : ذكر وأنثى[4] . خرج الذَّكَر من المنْخر الأيمن ، والأنثى من المنخر الأيسر . فكفَيام[5] مَؤُونة الجرذان . ولما تأذَّوْا بريح نَجْوِها[6] شكوا ذلك إلى نوح ، وشكا ذلك إلى ربِّه[7] . فأمره أن يأمر الفيل فليَسْلح[8] ، فسَلَح [زوجَ] خنازير فكفيام[9] مَؤُونة رائحة النجو .

وهذا الحديثُ نافقٌ عند العوامِّ ، وعندَ بعض القُصَّاص

(إنكار تخلُّق الحيوان من غير الحيوان ، والرد عليه)

وقد أنكر ناس[10] أن يكون الفأر تخلَّق في أرحام إناثها[11] من أصلاب ذكورتها[12] ومن أرحام بعض الأرَضين[13] كطينة القاطول[14] ؛

---

(١) فيما عدا ل : « من كثرة الفأر » . وفي الجزء الأول : « تأذوا بالفأر » .

(٢) سه : « وشكوا إليه » .

(٣) المنخر : الأنف ، وثقب الأنف . وفيه لغات ، بفتح الميم والخاء ، وضمهما ، وكسرهما ، وكمجلس وملمول .

(٤) فيما عدا ل : « من ذكر وأنثى » .

(٥) ل : « فكفوهم » وفي سائر النسخ : « فكفاهم » والوجه ما أثبت .

(٦) فيما عدا ل : « رائحة » . و « نجوها » هي في الأصل : « نجوهم » .

(٧) فيما عدا ل : « فشكى إلى الله تبارك وتعالى » .

(٨) فيما عدا ل : « فسلح » .

(٩) فيما عدا ل : « فكفوهم » . وإنما الضمير لزوج الخنازير .

(١٠) فيما عدا ل : « وقد أنكرنا » بإسقاط السين ، تحريف .

(١١) فيما عدا ل : « إلا في أرحام إناثها » و « إلا » مقحمة تفسد الكلام .

(١٢) فيما عدا ل : « ذكورها » والجاحظ يميل إلى استعمال ما أثبت من ل .

(١٣) الأرَضون ، بفتح الراء : جمع أرض . ل : « الأرض » .

(١٤) القاطول : نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمر . وقد سبق للجاحظ مثل هذا الكلام في (٣ : ٢٧٢) .

فإن أهلها زعموا[١] أنهم [ربما] رأوا الفأرة لم يتمّ خلقها بعدُ ، وإن عينيها لتبصّان[٢] ، ثم لا يريمون[٣] حتى يتمّ خلقها وتشتدّ حركتُها .

وقالوا : لا يجوز لشيء خُلِقَ من الحيوان[٤] أن يُخلق من غير الحيوان . ولا يجوز أن يكونَ شيء له فى العالم أصل أن يؤلِّفَ الناسُ أشياء تستحيل إلى مثل هذا الأصل . فأنكروا من هٰذا الوجه تحويل الشَّبَهِ[٥] ذهباً ، والزِّيبق فضة .

وقد علمنا أن النُّوشاذِر[٦] فى العالم أصلا موجوداً . وقد يصعّدُون الشعر ويدبِّرونه[٧] حتى يستحيل كجِبر النوشاذُر[٨] ، ولا يغادر منه شيئاً ١٠٧
فى عَمَلٍ ولا بَدَن .

---

(١) فيما عدا ل : « يزعمون » .

(٢) بص يبص ، بالكسر : برق وتلألأ ولمع . فيما عدا ل : « لتباصان » تحريف .

(٣) رام المكان يريمه : برحه .

(٤) ل : « تخلق من حيوان » . وكلمة « أن » التالية ساقطة من جميع النسخ ما عدا هـ ، ففيها « الحيو آن » بإسقاط الألف والنون من « الحيوان » .

(٥) فيما عدا ل : « فى هذا الوجه » . والشبه ، سبق تفسيره فى (٣ : ٣٧٤) . وفى القاموس : « الشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر ، ويكسر » . وفيما عدا ل : « الشب » محرف .

(٦) النوشاذر ، كذا جاء فى ل بالذال المعجمة ومثله فى (٣ : ٣٧٧ س ١) ومفاتيح العلوم ١٤٧ . وفى سائر النسخ بالدال المهملة . وهو صنفان طبيعى وصناعى ، فالطبيعى ينبع من عيون حمئة فى جبال بخراسان ، وهو صاف كالبلور ، وانظر الصناعى تذكرة داود والمعتمد . ولفظ النوشادر فارسى « نوشادر » استينجاس ١٤٢٤ . وبلغة العلماء الأوربيين : (Sal-ammoniac) .

(٧) التصعيد : شبيه بالتقطير ، إلا أنه أكثر ما يستعمل فى الأشياء اليابسة . وفى مفاتيح العلوم ١٤٧ : « النوشاذر ، وهو ضربان معدنى وآخر معمول يصنع من الشعر » . وانظر تذكرة داود . فيما عدا ل : « الشب » تحريف . سهـ : « ويديرونه » محرف .

(٨) النوشاذر ، بالذال المعجمة فى ل فقط . وانظر التنبيه ٦ من هذه الصفحة .

و [قد] يدبّرون الرّماد والقِلْيَ(١) فيستحيل حجارة سوداً(٢) إذا عُمل منها أرْحاء(٣) كان لها في الرّيْع فضيلة(٤).

قالوا : وللمُرْدَارسَنْج(٥) في العالم أصل قائم . والرصاص يُدَبَّر فيستحيل مُرداسَنْجاً(٦) . [وللرّصاص في العالم أصل قائم ، فيدبّرون المرداسنج فيستحيل رصاصاً(٧)] .

وللتُّوتياء أصـل قائم(٨) ، فيدبرون أقليميا النُّحاس(٩) فتستحيل تُوتياء(١٠) .

(١) القلى ، بالكسر : شيء يتخذ من حريق الحمض ، كما في القاموس . وعند داود : « هو المتخذ من الأشنان الرطب بأن يجمع ويحرق » . وفي المعتمد : « وهو يتخذ من الحمض ، وأجوده ما اتخذ من الحرض » ، والحرض هو الأشنان . ط ، ه : « والبليا » س : « والبلينا » صوابه في ل .

(٢) ط ، ه : « فتستحيل » وفي ط : « سوداء » .

(٣) الأرحاء : جمع رحى : التي يطحن بها الحب . ل : « إذا عملت منه أرحاء » .

(٤) الريع ، بالفتح : فضل كل شيء ، كريع العجين والدقيق والبزر . فيما عدا ل : « الربيع » تحريف .

(٥) المرداسنج ، بضم الميم وسكون الراءين وفتح السين ، وقد تسقط الراء الثانيةُ : معرب « مُردا ارسَنْـــك » بالفارسية ، ويكون من سائر المعادن المطبوخة ، إلا الحديد ، بالإحراق ، أكثر ما يعمل من الرصاص . وانظر صنعته في تذكرة الأنطاكي . وانظر استينجاس ١٢١٢ وادى شير ١٤٤ والمعرب ٣١٧ . فيما عدا ل : « المرداسنج » وهي لغة أخرى كما أسلفت .

(٦) ل : « مرداسنج » . وليس ما يمنع تنوينه .

(٧) هذه الزيادة من ل ، س . وفي س : « ويدبرون » تحريف . وكلمة « المردارسنج » في النسختين براء واحدة .

(٨) في اللسان : « التوتياء معروف حجر يكتحل به معرب » . وهو باللاتينية (Tutia) وبالإنكليزية : (Tutty) وقد عرفها الطبيب محمد شرف بأنها « أوكسيد الزنك غير النقي » . قال داود : « وأصل التوتيا إما معدني يوجد فوق الأقليميا ... وإما مصنوع عن الأقليميا المسحوقة » . وانظر بقية الكلام فيه .

(٩) أقليميا : زبد يعلو المعدن عند سبكه ، وثقل يرسب تحته إذا دار . هذا قول داود . وفي مفاتيح العلوم ١٤٩ : « اقليميا خبث كل جسد يخلص » . ط : « اقليميا النار » ، تحريف .

(١٠) توتياء . رسمت في هذا الموضع والذي قبله بدون همزة فيما عدا ل .

وكذلك الْمِينا ، له[1] أصل قائم ، وقد عمله الناس[2]

وكذلك الحجارة السُّود للطحين وغير ذلك[3] .

فأما قولهم : لايجوز أن يكون شيء من الحيوان يُخلقُ من ذَكر وأنثى — فيجيء من غير ذكر وأنثى — فقد قلنا في جميع ذلك في صدر كتابنا هذا بما أمكننا[4] .

(معارف في الحيّات)

وقال : الحياتُ كلها تعومُ ، إلا الأفاعى ، فإنها لايعومُ منها إلا الجبَليّات[5] .

قال : والحيَّة إن رأت حيّة ميتة لم تأكلها ، ولا تأكلُ الفأرَ ولا الجرذانَ الميتة[6] . ولا العصافير الميتة ، مع حرص الحية عليها[7] ولا تأكل إلا لحمَ الشيء الحيّ ، إلا أن يُدخلَ[8] الحوّاء في حلقها

---

(١) المينا : حجر يشبه اللازورد تزخرف به الفضة ، وهو فارسي معرب . وفي معجم استينجاس ١٣٤٦ : (A ston resembling lapis lazuli, with which silver is tinged) . والمينا أيضا جوهر الزجاج الذي يعمل منه الزجاج . وذكر صاحب اللسان أنه ممدود . وهذا المعنى الأخير مأخوذ كذلك من « مينا » الفارسية . وانظر ادي شير ١٤٩ . ويبدو أن الجاحظ يريد المعنى الأول ، ولا يريد الزجاج . انظر (١ : ٨١ س ٥ — ٦) . وهذه الكلمة والتي بعدها مزويجان في الأصل ومحرفتان ففي ط : سه : « المسالة » هو : « المسألة » ل : « المثاله » والصواب ما أثبت .

(٢) ل : « عمله الناس » تحريف . وبعدها في ل : « فقد قلنا في صدر كتابنا هذا بما أمكننا » .

(٣) هذه الفقرة ساقطة من ل . وفي هو : « الحجارة السورية » .

(٤) الكلام من : « فيجيء » إلى هنا ساقط من ل .

(٥) انظر الكلام على الحيات المائية في (٤ : ١٢٨) .

(٦) ل : « والجرذان الميتة » بحذف « لا » .

(٧) ل : « مع حرص الحيات عليهما » .

(٨) ط ، س : « يلحقه » .

[السمَّ] إدخالا[١] . فأما من تلقاه نفسها[٢] فإن وجدته ، وهى جائعة لم تأكله .

فينبغى أن يكون صاحبُ المنطق إنما عَنَى بقوله : « أخبثُ ما تكون ذواتُ السمومِ[٣] إذا أكلَ بعضُها بعضاً » الابتلاعَ[٤] دون كل شيء . وهم لايعرفون ذلك فى الحيات إلا للأسود[٥] ، فإنه ربما[٦] كان مع الأفاعى فى جُونة ، فيجوع فيبتلعها . وذلك إذا أخذها من قِبَل رؤوسها[٧] ، وإن رام ذلك من جهة الرأس فضته الأفعى قتلته .

وزعموا أن الحيةَ لاتَصَّاعَدُ[٨] فى الحائط الأملس ولا فى غير الأملس[٩] فإنما يقول ذلك أصحاب المخاريق[١٠] والذين يستخرجون الحياتِ بزعمهم [من السقوف[١١]] ، ويشمون أرابيعَ أبدانها من أطراف القصَب ، إذا مَسَحوها فى ترابيع البيوت[١٢]

---

(١) سه : « إذ ذلك » .

(٢) كلمة « هى » : ليست فى ل . وفيها بدل كلمة : « فإن » التالية : « فلو » .

(٣) ل : « أخبث ما تكون دواب السموم » وفى سائر النسخ : « أخبث ما يكون ذات السموم » . وما أثبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٤) ط : « الأفاعى » سه ، هو : « الأتباع » صوابهما ما أثبت من ل :

(٥) ل : « فهم لا يعرفون ذلك إلا للأسود » .

(٦) فيما عدا ل : « ما » .

(٧) فيما عدا ل : « رأسها » . وكذلك : « متى » بدل « إن » التالية .

(٨) يقال صعد واصعد وأصاعد بمعنى واحد . انظر اللسان (٤ : ٢٤٠ س ٢٢) وبالأوجه الثلاثة قرئ قوله تعالى : (كأنما يصعد فى السماء) فى الآية ١٢٥ من الأنعام . انظر إتحاف فضلاء البشر ٢١٦ .

(٩) ط : « وغير الأملس » تحريف . وفى هو : « وفى غير الأملس » بحذف « لا » وأثبت ما فى ل ، سه .

(١٠) المخاريق : يراد بها ألاعيب المشعوذين . انظر (٤ : ٢٧٨) . فيما عدا ل : « المخاريق » . وفى ل : « وإنما » بدل : « فإنما » .

(١١) هذه الزيادة من ل . وبدلها فى سه : « من البيوت » .

(١٢) فى (٤ : ١٩١) : « فلذلك يأخذ قصبة ويشعب رأسها ، ثم يطعن بها فى سقف البيت والزوايا » .

قالوا : وقد تصعد الحيّات] فى الدَّرج[١] [وأشباه الدَّرَج ؛ لتطلبَ بيوتَ العصافير ، والفأرِ ، والخطاطيفِ ، والزَّرازير ، والخفافيش] ، وتتحامى فى السُّقُف[٢] .

القول فى العقرب[٣]

وسنذكر تمامَ القول فى العقرب ؛ إذْ كنا قد ذكرنا من شأنها [شيئاً[٤]] فى باب [القول فى] الفأر .

ولمَّا قيل ليحيى بن خالد[٥] ، النازلِ فى مُرَبَّعَةِ الأحنف — وزعموا أنهم لم يروا رجُلاً لم يختلف إلى البيمارستانات[٦] ولا رجُلاً مسلماً ليس بنصرانىّ[٧] ولا رجلا لم ينصِبْ نفسه للتكسب بالطب كان أطبَّ منه — فلما قيل [له] إن القينىّ[٨] قال : « أنا مِثْلُ العقرب أضرُّ ولا أنفع » قال : ما أقلّ عِلْمه بالله عز وجل لَعَمْرِى[٩] إنها لتنفع إذا شُقَّ بطنها ثم شُدَّ على موضع اللَّسعة ، فإنها حينئذ تنفع منفعةً بيِّنة !

---

(١) درج البناء ، بالتحريك : مراتب بعضها فوق بعض ، الواحد درجة .

(٢) تتحامى : تتوقى . والسقف ، بضمتين : جمع سقف . وهذه العبارة ليست فى ل وفى ط : « وتتحامى السقف » تحريف . وانظر التنبيه ٢ ص ١٧ .

(٣) هذا العنوان ساقط من ل .

(٤) هذه الزيادة من ل ، س .

(٥) يحيى بن خالد هذا ، لم أجد له ترجمة ولا خبراً فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ولا فيما تحت يدى من المراجع .

(٦) جمع بيمارستان ، وهو كلمة فارسية يراد بها « دار المرضى » فلفظ « بيمار » معناه المريض ، و « ستان » الموضع . انظر شفاء الغليل ٤٩ وادى شير ٣٣ واستينجاس ٢٢٤ . ويقال فيها أيضاً : « مارستان » بفتح الراء وطرح الباء والياء . انظر المعرب ٣١٢ والقاموس واللسان فى مادة (مرس) . ط ، س : « البيارستانات » هو : « المارستانات » صوابه فى ل .

(٧) ط ، هو : « أو نصرانيا » .

(٨) بدل هذا فى ل : « القس » وقد سبق فى (٤ : ٢١٩ س ١٢) : « وقال القينى : أنا عقرب ، أضر ولا أنفع » .

(٩) بدلها فى ل : « بل » .

(نفع العقرب)

١٠٨ والعقربُ تُجعل فى جوف فَخّار مشدودِ الرّأس[1] مطيّن الجوانبِ ثم يوضع الفَخّارُ فى تنوّر ، فإذا صارت العقربُ رماداً سُقِىَ من ذلك الرّمادِ مَنْ به الحصاةُ مِقدارَ نصفِ دانق[2] .

وقال حُنين : وقد يُسقَى منه الدانق وأكثر ، فيفتّتُ الحصاةَ من غير أن يضرّ بشىء من الأعضاء [والأخلاط . وخير الدواء ما قَصَد إلى العضْو السقيم ، وسلِمَت عليه الأعضاء] الصحيحة .

وقال يحيى[3] : وقد تَلْسَعُ أصحابَ ضروبٍ من الُحمّيات[4] العقاربُ فيُفيقُون ، وتلسع الأفاعى فتموت ، ومنها ما يلسع[5] بعضها بعضاً فيموت الملسوع . فهى من هذا الوجه تكفى الناسَ مؤونةً عظيمة[6] . وتُلقَى العقربُ فى الدُّهن وتُترَكُ فيه ، حتى يأخُذ الدهن منها ويمتصّ ويجتذبَ قواها كلها بعد الموت ، فيكونُ ذلك الدهنُ يفرّق الأورام الغِلاظ[7] وقد عرَف ذلك حُنين .

(بعض أعاجيب العقرب)

و [مِنْ أعاجيبها] أنها لا تسبَحُ ، ولا تتحركُ إذا أُلقيت فى الماء [كيف] كان الماء : ساكناً أو جارياً .

(١) انظر التنبيه ٨ من ص ٣٢٩ . والخبر كذلك بنحو هذا اللفظ فى عيون الأخبار (٢ : ١٠٣) .

(٢) الدانق مر تفسيره فى التنبيه ٦ ص ٢٤٠ .

(٣) هو يحيى بن خالد الذى سبق الحديث عنه فى التنبيه ٥ ص ٣٥٣ .

(٤) الحميات : جمع حمى . فيما عدا ل : « الحيات » تحريف . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٣) : « وقد تلسع العقرب من به الحمى العتيقة فتقلع عنه » .

(٥) فيما عدا ل : « وما يلسع » . تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وهى من هذا الوجه تكفى الناس مؤنة عظيمة » .

(٧) س ، وكذا عيون الأخبار : « الغليظة » .

والعقربُ تطلبُ الإنسان وتقصِد نحوه ، فاذا قصدَ نحوها فرّتْ وهربت . وتقصِدُ أيضا نحوالإنسان ، فإذا ضربَتْهُ هربتْ ، هربَ مَنْ قد أساء ، وتعلم ، أنها مطلوبة .

والزنابير تطالبُ من تعرّضَ لها[1] وتقصِد لِعَينه[2] ، ولا تـكادُ تعرض للسكاف عنها .

(فصل ما بين المودة والمسالمة فى الحيوان)

و بين العقارب و [بين] الخنافس مودة . والمودةُ غيرُ المسالمة

والمسالمة : أن يكون كل واحد من الجنسين[3] لايعرض للآخر بخير ولا شر ، بعد أن يكون كل واحد منهما مقرّباً لصاحبه .

والعداوة أن يعرض كل واحد منهما لصاحبه بالشرّ والأذى والقتل ؛ ليس من جهةِ أن أحدهما طعامٌ لصاحبه

والأسدُ ليس يثبُ على الإنسان والحمار[4] والبقرة والشاة من جهة العداوةِ ، و إنما يثبُ عليه من طريق طلبِ للطعم . ولو مرّ به وهو غيرُ جائع لم يعرض له الأسد[5] . والنمر على غير ذلك ولـكن [قد] يقال : إن بين البَبْرِ[6] والأسد مُسالمة .

---

(١) فيا عدا ل : « تطلب من يعرض لها » .

(٢) فيا عدا ل « ويقصد نحوها بعينه » تحريف .

(٣) فيا عدا ل : « من الجنس » .

(٤) فيا عدا ل : « كالحمار » . تحريف .

(٥) الأسد فاعل يعرض . فيا عدا ل : « والأسد » تحريف .

(٦) الببر ، بباءين موحدتين : ضرب من السباع . معرب . وهو بالفارسية « ببر » . انظر استينجاس وادى شير . ويراد به ذلك السبع المخطط الذى يشبه النمر الذى يسمونه : Tiger انظر المعلوف ٢٤٨ . وأما النمر فهو ذو النمر المرقط رقطاً سودا مجسمة كالحلق : Leoparp . وبدله فى ط ، ل : « النمر » تحريف ؛ إذ أنه لا موادة بين النمر

وللمودة : كما يكون بين العقارب والخنافس(١) ، فإنّ بعضها يتألف بعضاً(٢) ، وليست تلك بمسالمة ، وكما بين الحيّات والوزغ ، فإنها تَسالَقُ السّمّ وتَزَاقُّ(٣) ، [و(٤)] كما بينَ ضروب من العقارب وأسودَ سالخ(٥) .

والأسودُ ربّما جاعَ في جُونة الحوّاء فأكل الأفعى(٦) وربما عضتْه الأفعى فقتلتْه .

(علاقة الرائحة بالطعم)

وريح العقارب إذا شويت مثلُ ريح الجراد .

وما زلتُ أظنُّ أن الطعم أبداً يتبعُ الرائحةَ ، حتى حقّق ذلك عندى بعضُ من يأكلها مشوية ونِيّة(٧) ، أنه ليس بينها وبين الجراد الأعرابي السمين فرْق .

(رؤية الخرق الذى فى إبرة العقرب)

وزعم [لى] بختيشوع بن جبريل ، أنه عاين الخرْق الذى فى إبرة

= والأسد ، فلى طبعه « عداوة الأسد . والنمر بينهما سجال » كما فى الورقة ٤١ من قسم الحيوان فى مباهج الفكر مصورة دار الكتب . وفى الورقة ٤٠ عند الكلام على طباع (الببر) : « وهو والأسد متعاديان أبدا ، ومودته معه كمودة الخنافس والعقارب والحيات والوزغ » . فالبير هو صاحب المسالمة

(١) ط ، هو : « والمودة تكون كما بين العقارب » الخ . س : « والمودة كما تكون بين العقارب » الخ . وأثبت ما فى ل .

(٢) ل : « يألف بعضا » .

(٣) تسالق : تتساق . ط ، هو : « تتساق » . وفيما عدا ل : « وتتزاق » بتادين .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) أسود سالخ : الذى سلخ جلده من الأساود . فيما عدا ل : « بين ضرب من الحيات وأسود سالح » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « فيأكل الأفعى » .

(٧) نية ، بكسر النون : غير ناضجة . وانظر هذه الكلمة ما سبق فى (٤ : ٣٠٢) . وانظر لأكل العقارب ما مضى فى (٤ : ٣٠٢ س ٧) .

العقرب . وإن كان [صادقاً] كما قال ، فما فى الأرض أحدٌ بصراً منه[١] .
[وإنه لبعيدٌ ، وما هو بمستنكَر] .

(من أعاجيب العقرب)

وفى العقارب أعجوبةٌ أخرى ، لأنه يقال : إنها مائية الطِّباع ، وإنها ١٠٩
من ذوات الذَّرْوِ والإنسال[٢] [وكثرة الولد] ، كما يعترى ذلك السَّمَكَ والضَّبَّ والخنزيرة[٣] ، فى كثرة الخنانيص[٤] .

(موت العقرب بعد الولادة)

قال : ومع ذلك إن حَتْفها فى أولادها[٥] ، [وإن أولادها] إذا بلغنَ وحانَ وقتُ الولادة ، أكلْنَ[٦] جلدَ بطنها [من داخل] ، حتى إذا خَرَقْنَهُ[٧] خرَجْنَ منه وماتت الأمُّ .

وقد يطأ الإنسانُ على العقرب وهى ميتة ، فتنترز إبرتها فى رجله ، فيلقى الجهدَ [الجاهِدَ] وربما أمرَضَت ، وربّما قتلت .

---

(١) فيما عدا ل : « أحد أبصر منه » .
(٢) الذرو ، والذرأ ، والذرء : الذرية . فيما عدا ل : « الذر » بدال مهملة وراء ، تحريف . والإنسال : النسل . فيما عدا ل : « النسل » .
(٣) فيما عدا ل : « والخنزير والضب » وفى ل : « وبيض الضب والخنزيرة » وكلمة « بيض » فى ل مقحمة ، كما أن الوجه فيما عدا ل تأخير « الخنزير » عن « الضب » . وانظر التنبيه التالى .
(٤) الخنانيص ، بنونين بينهما ألف : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . ط ، هـ : « الخنابيص » وصوابه فى ل ، س .
(٥) فى نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلا عن الجاحظ فيما سبق فى (٢ : ١٧١) : « ولادتها » . وسبق فى (٢ : ١٧١) : « ولادها » بكسر الواو ، بمعنى ولادتها .
(٦) فيما عدا ل : « يأكلن » . وفى نهاية الأرب : « أكلت بطون الأمهات » .
(٧) فيما عدا ل : « خرقته » بالتاء .

قال : وفى أشعار الغُزْقيلَ فى أكل أولاد العقرب بطنَ الأمّ ، [وأن عطَبَها فى أولادها] :

وحاملة لا يكملُ الدهرَ حملُها   تموتُ ويبق حملها حينَ تعطَبُ[1]

[وليس هذا شيئاً .

خبَّرنى من أثق بعقله ، وأسكنُ إلى خبره ، أنه رأى العقرب عياناً وأولادُها يخرُجنَ من فيها ، وذكر عدداً كثيراً ، وأنها صِغارٌ بيضٌ على ظهورها نقطٌ سُود ، وأنها تحمل أولادها على ظهرها ، وأنه عاين ذلك مرةً أخرى . قلت ، إن كانت العقرب تلدمِنْ فيها فأخلِق بها أن يكون تلاقُحُها من حيثُ تلدُ أولادَها !] .

(العقارب القاتلة)

والعقاربُ القاتلةُ تكون فى موضعين : بشَهْرَزُور[2] ، وقرى الأهواز ، إلا أن القواتلَ التى بالأهواز [جرّارات[3]] . ولم نذكر عقاربَ نصيبين[4] ، لأن أصلها — فيما لا يشكُّون فيه — من شَهْرَزُور ، حين حُوصِرَ أهلها ورُموا بالمجانيق[5] ، وبكيزان محشوّة من عقارب شَهْرَزُور ، حتّى توالدَتْ هناك ، فأعطَى القومُ بأيديهم[6] .

(١) ط ، س ، هو ونهاية الأرب : « لا تحمل الدهر » . وأثبت ما فى ل ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٠) . تعطب : تهلك . ط ، هو : « ويحيى حملها » . وأصل نهاية الأرب : « ويتمى » . وأثبت ما فى ل ومحاضرات الراغب .

(٢) شهرزور : كورة بين إربل وهمذان . فيما عدا ل : « شهرزور » .

(٣) الجرارات : ضرب من العقارب صغار تجرر أذنابها . وانظر لجرارات الأهواز ما سبق فى (٤ : ١٤٢) والجرارات (٤ : ٢١٩) .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة . وانظر الحديث عن عقارب نصيبين فى معجم البلدان .

(٥) المجانيق : جمع منجنيق . انظر التنبيه ١٠ ص ٢٩٨ .

(٦) أعطوا بأيديهم : أطاعوا وانقادوا . س : « فأعطا القوم » تحريف .

(لغز في العقرب)

[ومن اللغز فيها في غير هذا الجنس :

وما بَكرةٌ مضبورة مقطرة ... مُسيَّرةٌ لِكبرٍ أن تَنال فتمرَضا[1]
بأشوسَ منها حين جاءت مُدِلَّةً ... لتقتل نفساً أو تصيب فتُمرِضا[2]
فلما دنا نادى أوابا بنعم غيرها ... ديراً إذا نال الفريقة أو قضَا[3]]

(استخراج العقارب بالجراد والكرّاث)

قال : والعقارب تُستخرَجُ من بيوتها بالجراد : تُشَدُّ الجرادةُ في طرف عودٍ ، ثم تُدْخَلُ الْجُحرَ ، فإذا عاينتها تعلقت بها ، فإذا أُخرج العُودُ خرجت العقربُ وهي متعلقة بالجرادة .

فأما إبراهيم بنُ هانئ فأخبرَني أنه كان يُدخِلُ في جُحرها خُوط كرّاث[4] ، فلا يبقى منها[5] عقربٌ إلا تبعته .

(ألسنة الحيات والأفاعي)

وألسِنةُ الحيّات كلها سودٌ . وألسنة الأفاعي حُمرٌ ، إلا أنها مشقوقة .

---

(١) البكرة : الفتية من الإبل . والمضبورة : المكتنزة اللحم . والمقطرة : الشديدة .
(٢) أشوس : من الشوس وهو النظر بمؤخر العين تكبراً أو غيظاً .
(٣) كذا ورد هذا البيت في الأصل ، وهو هنا ل .
(٤) الخوط ، بالضم : القضيب من النبات . فيما عدا ل : « عود » .
(٥) فيما عدا ل : « يبقى له » .

(جرّارات الأهواز)

وسنذكر عقاربَ الشعاء وعقارب الحرّ[١] . وكلّ شيء من هذا الباب ، ولكنا نبدأ بذكر جرّارات الأهواز[٢]

ذكروا[٣] أنّ أقتلها عقاربُ عَسكَر مُكرَم ، وأنها متى ضَرَبَت رجُلا فظنّ أن تلك العضة عَضّةُ نملة ، أو وخزةُ شوكة[٤] ، فنال من اللحم تضاعفَ مابه .

وربما باتت مع الرجل فى إزاره فلم تضربه .

وهى لاتدبُّ على [كل] شىء له غَفْر[٥] ، ولا تدبُّ على المُسوح[٦] ، وما أكثرَ ما تأوى فى أصول الآجُرّ الذى قد أُخرج من الأتاتين[٧] [ونضدَ فى الأنابير[٨]] .

وكان أهل العسكر يرونَ أن مِن أصلح ما يُعالج[٩] به [موضع] اللسعة أن يُحجَم ، وكان الحجّام لايرضى إلا بدنانير [ودنانير] ، لأن ثناياه ربما نَصَلَت ، وجلدَ وجهه ربما تبطّطَ[١٠] من السمّ الذى يرتفع إلى فيه ،

---

(١) ل : « وعقرب الحيران » .

(٢) ط : « حيات الأهواز » س : « حوايات » صوابهما فى ل ، هو .

(٣) فيما عدا ل : « ذكرتم » تحريف .

(٤) ط ، ه : « وخز شوكة » .

(٥) الغفر ، بالفتح : زئير الثوب ، وأصل معنى الغفر الزغب والشعر القصير . فيما عدا ل : « غفن » تحريف .

(٦) المسوح : جمع مسح بالكسر ، وهو الكساء من الشعر . وانظر المعرب ٤٦ .

(٧) الأتاتين : جمع أتون . انظر ص ٧ من هذا الجزء . فيما عدا ل : « الأساس » .

(٨) الأنابير : جمع أنبار ، والأنبار : جمع نبر بالفتح . والأنبار : أهراء الطعام . والهري ، بالضم : بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان .

(٩) فيما عدا ل : « تعالج » بالتاء ، وذلك لسقوط كلمة « موضع » .

(١٠) تبطط ، من البط ، وهو الشق . ومنه المبطة للمبضع . فيما عدا ل : « وجلدة » وفى ط ، س : « تقطف » هو : « تنتطف » صوابهما ما أثبت من ل .

بعصّه وجذبه من أذناب المحاجم[1] . حتى عمدوا بعد ذلك إلى شيء من قُطْنٍ ، فحشَوْا به تلك الأنبوبة . فإذا جذب بمصّته[2] فارتفع إليه من بخار الدّم أجزاءٌ من ذلك السم ، تعلقت بالقطن ، ولم تنفُذْ إلى فيه[3] . والقطن ليس مما يدفع قوّة المص[4] . ثم وقعوا بعد ذلك على حشيشةٍ فوجدوا فيها الشفاء !

(من أعاجيب العقرب)

ومن أعاجيب ما في العقرب أنّا وجدْنا عقارب القاطول يموتُ بعضها ٦١٠
عن لسع بعض ، ثم لا يموتُ عن لسعها شيء غير العقارب . ونجدُ العقربَ تلسع إنساناً فيموتُ الإنسان ، وتلسع آخرَ فتموت هي . فدَلّ ذلك على أنها كما تعطي تأخُذ ، وأن للناس أيضاً سُموماً عجيبة[5] ولذلك صار بعضهم[6] إذا عضّ قتل .

ومن أعاجيبها أنها تضرب الطست أو القمقم فتخرقُه[7] . وربما

---

(١) المحاجم : جمع محجم ، وهي الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة . فيما عدا ل : « أجناب المحاجم » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « بمصه » .

(٣) ل : « فمه » .

(٤) فيما عدا ل : « ليس يمنع من قوة المص » .

(٥) فيما عدا ل : « غريبة » .

(٦) أي بعض الناس : فيما عدا ل : « بعضها » .

(٧) الطست ، بالسين المهملة : إناء من آنية الصفر . فيما عدا ل : « الطشت » بالشين . وفي شفاء الغليل : « طست معرب طشت بالمعجمة . وفي المعرب أنها مؤنثة أعجمية وتعريبها طس . وخطئ فيه لأنها معربة ، وطس مخفف منها أو لغة فيها . وقال الجوهري : طست عربية وأصلها طس ، وهي لغة طيئ ، لغة أبدلت إحدى السينين تاء لدفع ثقل التضعيف . ورد . وقال الفراء : طيئ تقول طست وغيرهم يقول طس ، وهم الذين يقولون لصت في لص » . والحق أن الطست والطس عربيان ، وأما الطشت بالشين فيما اشتركت فيه اللغتان . والفردت الفارسية بلفظ : « تشت » . انظر استينجاس ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٣٠٢ . والقمقم : فسرفي ٣٧ . فيما عدا ل : « والقمقم » مع الواو .

ضربه فثبتُ فيه إبرتُها ثم تنصل حتى تَبين منها[1] .

(العنبر وأثره في الطيور والبال)

والعنبر يقذفه البحرُ إلى عبريه[2] ، فلا يأكل منه شيء [إلا مات] ، ولا ينقُره طائرٌ بمنقار إلا نصل فيه منقاره . فإذا وضع رجليه عليه نصلت أظفاره[3] . فإن كان قد أكلَ منه قلَّةً مأكل . وإن لم يكن أكلَ فإنه ميت لامحالة ، لأنه إذا بقى بغير منقار ، ولم يكن للطائر شىء يأكل به مات[4] .

والبحريُّونَ والعطَّارُون يُخبروننا أنهم ربما وجدوا فيه المنقارَ والظفر . وإنّ البال ليأكلُ منه اليسيرَ فيموت .

والبالُ سمكةٌ [ربما كان] طولها أكثرَ من خمسين ذراعاً[5] .

(أعاجيب لسع العقرب)

ومن أعاجيب العقارب أنها تلسع الأفعى [فتموتُ الأفعى] ولا تموت هي ، وتلسع[6] بعضَ الناس ، فتموتُ هي ، ولا ينال الملسوعَ منها من

---

(١) تبين : تنفصل . وفي س : « تبين » للابرة . ط ، سه : « يبين » تحريف .
(٢) عبر النهر والبحر ، بكسر العين : شاطئه وجانبه . ويقال : عبر ، بالفتح أيضاً .
(٣) نصلت أظافره تنصل ، بالضم : خرجت . فيما عدا ل : « فاذا وضع عليه رجليه » .
(٤) ل : « لم تكن للطائر شيء يأكل به » بحذف الواو وكلمة « مات » .
(٥) البال عند العرب : الحوت العظيم . قال الأزهري والجوهري : ليست بعربية . وأقول : أقرب مأخذ لها هو الفارسية « وال » انظر استينجاس ١٤٥٣ بمعنى الحوت أو السمكة الكبيرة . وفي الفارسية أيضاً « بال » لنوع كبير من السمك ذى الحراشيف : (A kind of large scaly fish) والبال من الحيوانات اللبونة التى تعيش فى الماء ، وهو باللاتينية : Balaena وباليونانية : Phlaina .
(٦) فيما عدا ل : « وهي تلسع » .

للمكروه قليلٌ ولا كثير . ويزعم العوامُّ أن ذلك [إنما] يكونُ لمن لسعتْه عقربٌ[1] وهو حَملٌ في بطنها .

وقد لسعت عقربٌ[2] رجلاً مفلوجاً ، فذهبَ عنه الفالِجُ . وقصةُ هذا المفلوج معروفة . وقد عرفها صليبا[3] وغيرُهُ من الأطباء .

[ومن العقارب طيارات ، وجرارات ، ومعقَّفات ، وخضرٌ ، وحمر] .

(اختلاف السموم ، واختلاف علاجها)

وتختلف سمومُ العقارب بأسبابٍ : منها اختلافُ أجناسها ، كالجرّارة وغيرها ، ومنها اختلافُ التُّرَب كفَرْق ما بين جرّاراتِ عقارب شهرزور[4] وعسكر مُكرَم .

وتختلف مَضَرَّةُ سمومها على قدر [طباع الملسوع . ويختلف قدر سمومها على قَدْر] مواضع اللسعة ، وعلى قدر اختلاف ما بين النهار [والليل] ، وعلى قدر ما صادفَتْ[5] عليه الملسوع من غذائه ، ومن تفتّح منافسه[6] ، وعلى قدْر ما تُصادِفُ عليه العقرب من الحَبَل وغير الحَبَل[7] وعلى قدر لَسْعَتِها[8] في أولِ الليل عند خروجها من جُحرِها [بعد أن

---

(١) ط ، ه : « العقرب » .

(٢) فيما عدا ل : « عقرب » .

(٣) صليبا : ذكره ابن النديم ٣٤١ في النقلة من اللغات إلى اللسان العربي ، ولم يذكره ابن أبي أصيبعة . فيما عدا ل : « طبيبنا » تحريف .

(٤) شهرزور : سبق الحديث عنها في ٣٥٨ . وبدلها في ل : « رامهرمز » وهي مدينة من مدن خوزستان .

(٥) فيما عدا ل : « صادف » .

(٦) فيما عدا ل : « في تفتح منافسه » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « ما يصادف عليه الملسوع من الحبل وغير الحبل » .

(٨) فيما عدا ل : « لسعها » .

أقامتْ فيه شَتوتَها] . وأشدُّ من ذلك أن تلسع أوّلَ ما تخرجُ من جُحْرها بعد أن أقامتْ فيه يومها[1] .

قال ماسرْجويه[2] : فلذلك اختلفت وجوه العلاج ، فصار ضَرْبٌ من العلاج يُفيقُ عنه إنسانٌ ولا يُصلح أمرَ الآخر[3] .

(لسعة الزنبور)

وخبرني ثمامةُ عن أمير المؤمنين [المأمون] أنه قال : قال لي بختيشوع ابن جبريل[4] ، وسَلْمَوَيْه ، وابن ماسَوَيه : « إن الذبابَ إذا دُلِكَ به[5] موضعُ لَسعةِ الزنبور سكن » . فلسَعني[6] زنبور فحككتُ على موضعه أكثر من عشرين ذبابةً فما سكَنَ إلا في قدْر الزمان الذي كان يسكنُ فيه من غير علاج . فلم يبق في يدي منهم[7] إلا أن يقولوا : كان هذا الزنبور حَتْفاً قاضياً[8] ولولا هذا العلاج لقَتَلك .

---

(١) الكلام من مبدأ : « وأشد » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) فيما عدا ل : « فلذا ماسرجويه قال » .

(٣) فيما عدا ل « ولا يصلح الآخر » .

(٤) ل : « وقال » وفيما عدا ل : « أنه قال لبختيشوع » ، وفي عيون الأخبار (٢ : ١٠٣) والعقد (٤ : ٢٦٣) : « قال المأمون قال لي بختيشوع » ، وقد صححت العبارة بالجمع بين النصوص . والقائل هم الأطباء الثلاثة . وبختيشوع هو ابن جبريل بن بختيشوع ، كان سريانيا نبيل القدر ، وكان يضاهي المتوكل في اللباس والفرش ، وكان عظيم المنزلة عنده ثم إنه أفرط في إدلاله عليه فنكبه . وكان موته سنة ٢٥٦ . وانظر أخباره في طبقات الأطباء (١ : ١٣٨ — ١٤٤) والقفطي ٧٢ — ٧٣ .

(٥) فيما عدا ل : « على » موضع « به » .

(٦) المتحدث هنا هو المأمون ، كما في عيون الأخبار والعقد .

(٧) ل : « في يدي » مع حذف « منهم » وصوابه في سائر النسخ والعيون والعقد .

(٨) فيما عدا ل : « إن هذا الزنبور كان حتفا غاضبا » تحريف .

(حُجج الأطبّاء)

وكذلك هم إذا سقَوا دواء فضرّ ، أو قطعوا عِرقاً فضرّ ، قالوا : أنت ١١١
مع هذا العلاج الصّوابِ تجِدُ ما تجد ! فلولا ذلك العلاجُ كنتَ الساعةَ
فى نار جهنم .

وقيل لى — وقرأتُ فى كتاب الحيوان — : إنّ ريحَ السَّذّابِ يشتدُّ على الحيّات . فألقيتُ على [وجوه] الأفاعى جُرَزَ السَّذّاب(١) فما كان عندها إلا كسائر البَقْل(٢) .

فلو قلت لهم فى هذا شيئاً لقالوا : الحيّاتُ غير الأفاعى . وهذا باطلٌ . الأفاعى نوع من الحيات . وكلهم قد عمّ ولم يخص .

(ما يَدَّخر من الحيوان)

وجميع الحشرات والأحناش ، و[جميع] العقاربِ وهذه الدَّبّابات(٣) التى تعضُّ وتلسع ، [التى] تسكُنُ فى الشتاء [لاتأكلُ شيئاً فى تلك الأشهر ولا تشرب . وكذا كل شىء من الهمَج والحشرات مما لايتحرك فى الشتاء] إلا النملَ والذَّرَّ والنحل ، فإنها قد ادخرت ما يكفيها ، وليستْ كغيرها مما تثبتُ حياتُه مع ترك الطعم .

---

(١) الجرز ، بضم ففتح : جمع جرزة بالضم ، وهى الحزمة من القت ونحوه . فيما عدا ل : « نور السذاب » .

(٢) البقل من النبات : ما ليس بشجر .

(٣) الدبابات : التى تدب من الحيوان ، أى تمشى على هينة . فيما عدا ل : « الذبابات » تحريف .

(حرص العقارب والحيات على أكل الجراد)

والعقرب ثماني أرجل[1] وهي حريصة على أكل الجراد . وكذلك الحيات . وما أكثر ما تلدغ وتنهش صاحب الجراد[2] .

(أثر المرضع في الرضيع)

ومن عجيب سمّ الأفاعي ما خبرني به بعض من يخبر شأن الأفاعي[3] قال : كنت بالبادية ورأيت ناقة [ترتع] ، وفصيلها يرتضع من أخلافها ، إذ نهشت الناقة على مشافرها[4] أفعى ، فبقيت واقفة سادرة ، والفصيل يرتضع . فبينا هو يرتضع إذ خرّ ميّتاً .

فكان موته قبل موت أمه من العجب[5] وكان مرور السم في تلك الساعة القصيرة أعجب ، وكان ما صار من فضول سمها في لبن الضرع حتى قتل الفصيل قبل أمه عجباً آخر .

والمرأة المرضع تشرب النبيذ فيسكر[7] عن لبنها الرضيع وتشرب دواء المشي[8] فيمشي الرضيع الخلفة[9] . فلذلك يختار[10]

---

(١) ل : « ثمانية أرجل » ، تحريف ؛ لأن الرجل مؤنثة . انظر المعاجم والمخصص (١٦ : ١٨٩) .

(٢) أي الذي يصطاد الجراد . وانظر تفصيل ذلك في (٤ : ٢٣٨ — ٢٣٩) .

(٣) ط ، هو : « ما أخبرني » وبإسقاط : « به » وفيما عدا ل : « بشأن الأفاعي » .

(٤) ل : « مشفرها » .

(٥) ط فقط : « من العجب » وكلمة : « موت » ساقطة من ل .

(٦) فيما عدا ل : « عجيب » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « ويسكر » بالواو .

(٨) المشي : استطلاق البطن . واسم الدواء المشي ، بكسر الشين وتشديد الياء . ونقل صاحب اللسان : « ولا تقل شربت دواء المَشْى » . ويرد هذا قول الراجز :

شربت مرا من دواء المشى من وجع يخطي وحقوي

انظر اللسان ، (حقل . مشى) . فيما عدا ل : « يمشي » يقال أمشاه الدواء .

(٩) الخلفة ، بالكسر : استطلاق البطن ، يقال أخلفه خلفة إذا اختلف إلى المتوضأ .

(١٠) فيما عدا ل « تختار » .

الحكاء لأولادهم الظئر البريئة[١] من الأدواء : فى عقلها ، وفى بدنها .

وتوهّموا[٢] أن اللبن إنّما نجع فى الفصيل لقرابةِ ما بينَ اللبنِ والدّم ، فصار ذلك السمُّ أسرعَ إليـه منه إلى أمه . ولعل ضعفَ الفصيلِ قد أعان أيضاً على ذلك .

(قصتان فى من لسعته العقرب)

قال أبو عُبَيْدة[٣] : لسعت أعرابيًا عقربٌ بالبصرة ، فخيفَ عليه فاشتدّ جزَعُهُ[٤] ، فقال بعضُ الناس : ليس شىء خير له من أن تُغْسَلَ له خُصيةُ زِنجىّ عَرِق — وكانت ليلة غَمِقَةً[٥] — فلما سقوه قطّبَ[٦] ، قيل [له] : طعم ماذا تجد[٧] ؟ قال : طعمَ قِرْبَةٍ جديدة .

وخبرنى محمدٌ وعلىٌّ ابنا بشير ، أن ظئراً لسليمان بن رياش[٨] لسعتْها عقربٌ فملأت الدنيا صُرَاخاً ، فقال سليمان : اطلبوا لها[٩] هذه العقرب ، فإن دواءها أن تلسعها لسعة أخرى فى ذلك المكان ، فقالت العجوز : قد برئتُ ، وقد سكنَ وجعى ، [و] لاحاجة بى إلى هذا العلاج[١٠] قال :

---

(١) البريئة : السالمة المعافاة . فيا عدا ل : « البرية » بالتسهيل .
(٢) ل : « وتوهموا » .
(٣) ل : « أبو عبيد » صوابه فى سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ١٠٢) .
(٤) كذا فى ل وعيون الأخبار . وفى سائر النسخ : « واشتد جزعه » .
(٥) غمقة : ثقيلة الندى مع سكون الريح . فيا عدا ل : « عميقة » تحريف . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٢) : « ومدة » والومدة مثل الغمقة .
(٦) قطب : زوى ما بين عينيه .
(٧) ل : « قيل له كيف طعم ما تجد » . وأثبت ما فى سائر النسخ موافقاً عيون الأخبار وكلمة : « له » ساقطة مما عدا ل .
(٨) ط ، ق : « حباس » . س : « رباس » وأثبت ما فى ل .
(٩) هذه الكلمة ليست فى ل .
(١٠) فيا عدا ل : « لا حاجة لى فى هذا العلاج » .

فأتَوْهُ بعقربٍ لا واللهِ إن يُدرَى[1] : أهي تلك أم غيرُها ؟ فأمرَ بها فلُسِعت فقالت : أنشُدُكَ باللهِ والدِين[2] فأبى وأرسلها عليها[3] ، فلسعتها فغُشِيَ عليها، ومرِضتْ [زماناً] وتساقط شعرُ رأسها . فقيل لسليمان في ذلك فقال : ١١٣ ياعجائبي! لا واللهِ إن ردَّ علىَّ رُوحَها إلا اللسعةُ الثانية . ولولا هيَ لقد كانت ماتت[4] .

باب

القول في القَمْل والصُّؤاب

وسنقول في القَمْل[5] والصُّؤاب ما وجدنا مُمكِناً مِنَ القول[6] ، إن شاء الله تعالى .

ذكروا عن إياسِ بنِ مُعاوية ، أنه زعم أن الصِّئبانَ ذكورةُ القَمْلِ

---

(١) فيما عدا ل : « والله ما ندرى » .

(٢) يقال : نشدتك الله وبالله ، وناشدتك الله وبالله : أى سألتك وأقسمت عليك ، يعدي إلى المفعولين بنفسه ، أو إلى الثاني بالباء . فيما عدا ل : « نشدتك بالله وبالدين » وكلاهما صحيح .

(٣) فيما عدا : ل « فأرسلها عليها » .

(٤) جاء الضمير هنا بعد (لولا) على أصله . فالقاعدة أنه إذا ولى لولا مضمر فحقه أن يكون ضمير رفع ، نحو : (لولا أنتم لكنا مؤمنين) . وسمع قليلا لولاي ولولاك ولولاه خلافا للمبرد وأنشد الفراء :

أيطمع فينا من أراق دماءنا ولولاه لم يعرض لأحسابنا حسن

انظر المغنى (لولا) واللسان (٢٠ : ٣٥٩ س ١٢) . ل : « بعد » بدل « لقد » تحريف .

(٥) القمل ، بالفتح ، واحدته قملة . وأما القُمّل ، بالضم وتشديد الميم المفتوحة ، وهو المذكور في القرآن الكريم ، فهو الصغار من الجراد ، أو صغار الذر ، وقيل دواب صغار من جنس القراد ، إلا أنها أصغر منها ، تركب البعير عند الهزال . وقيل القمل قمل الناس . وليس بشيء . وقرأ الحسن : (والقَمْل) من الآية ١٣٣ في سورة الأعراف . انظر تفسير البحر (٤ : ٣٧٣) .

(٦) ل : « بأوجز ما يمكننا من القول » . وهما نصان متعارضان .

والقمل إناثها ، وأن القمل من الشكل الذى تكون[1] إناثه أعظم من ذكورته .

وذكروا عنه أنه قال : وكذلك الزرارقة[2] والبزاة . فجعل البزاة فى الإناث .

وليس فيما قال شىء من الصواب والتسديد . وقد خبرنا كم[3] عن حكايته فى الشبوط[4] ، حين جعله كالبغل ، وجعله مخلوقاً من بين البنى [والزجر[5]] .

والقمل يعترى من العرق والوسخ ، إذا علاها ثوب ، أو ريش ، أو شعر ، حتى يكون لذلك المكان عفن وخموم .

(أثر الشعر فى لون القملة)

والقملة تكون فى رأس الأسود الشعر سوداء[6] ، [ورأس الأبيض

---

(١) فيما عدا ل : « يكون » .

(٢) الزرارقة : جمع زرق ، بضم الزاى وفتح الراء المشددة ، وقد جمعته المعاجم على زراريق . فيما عدا ل : « الزرارق » . وفى ل : « الزرانة » وهذه محرفة . وانظر ما سبق فى (٢ : ١٨٢) .

(٣) ط فقط : « وقد خبرنا » .

(٤) البنى ، بضم الباء : ضرب من السمك . والعامة فى مصر يكسرون باءه . قال الزبيدى : « ضرب من السمك أبيض وهو أفخر الأنواع يكون كثيرا فى النيل » Barbus . والشبوط : سمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس ، يكثر فى دجلة : Carp . فيما عدا ل : « من البنى » تحريف . وانظر ما سبق فى (١ : ١٤٩) ، وهو الموضع الذى يشير إليه الجاحظ .

(٥) الزجر : « ضرب من السمك عظام صغار الحرشف . والجمع زجور . يتكلم به أهل العراق قال ابن دريد : ولا أحسبه عربيا » . انظر اللسان (٥ : ٤٠٧) .

(٦) الزيادة التالية من ل ، س ، ه .

الشعر بيضاء ، وتكون خصيفة اللون[١] ، وكالحَبْل الأبرَق[٢] إذا كانت فى رأس الأشمَط[٣]] . وإذا كانت فى رأس الخاضب[٤] بالحمرة كانت حمراء ، وإن كان الخاضب ناصلَ الخضاب كان [فى] لونها شُكْلَة[٥] ، إلا أن يستولِيَ على الشعر النُّصول فتعود بيضاء[٦] .

وهذا شيء يعترى القملَ ، كما تعترى[٧] الخضرةُ دُودَ البَقْلِ ، وجرادَه وذبابه ، وكلَّ شيء يعيش فيه .

(أثر البيئة فى الحيوان)

وليس ذلك بأعجب من حَرَّة بنى سُلَيم[٨] ، فإن من طباع تلك الحرة أن تَسَوِّدَ[٩] كل شىء يكونُ فيها : من إنسان ، أو فَرَس ، أو حِمَارٍ ، أو شاة أو بعيرٍ أو طائرٍ ، أو حيّة .

ولم نسمع ببلدة أقوى فى هـذا المعنى[١٠] من بلاد الترك ، فإنها تصوِّر إبلَهم وخيلَهم ، وجميعَ ما يعيش فيها ، على صورةِ التُّرك .

---

(١) الخصيفة : ما فيها لونان من سواد وبياض . ل : « خصيف » س : « خليفة » صوابها فى هو .

(٢) فى اللسان : « التهذيب : الخصيف من الحبال ما كان أبرق ، بقرة سوداء ، وأخرى بيضاء » .

(٣) الأشمط : ذو الشمط ، وهو بياض شعر الرأس يخالف سواده .

(٤) فيما عدا ل : « فإذا كانت فى رأس المخضب » .

(٥) الشكلة ، بالضم : بياض وحمرة .

(٦) تعود : تصير . والعرب تقول : عاد فلان شيخاً ، وهو لم يكن قط شيخاً ، يعنون صار » . انظر سر العربية ٣٨٥ . فيما عدا ل : « فتكون بيضاء » .

(٧) ط ، هو : « تعتر » . وفى هو : « يعترى » وأثبت ما فى ل .

(٨) انظر ما سبق من الحديث عن حرة بنى سليم فى (٤ : ٧١) .

(٩) فيما عدا ل : « يسود » بالياء .

(١٠) فيما عدا ل : « من ذلك المعنى » . وانظر الكلام فى أثر البيئة فى (٤ : ٧٠ – ٧٢) .

(تولد القمل)

والقمل يعرض لثياب كل الناس[(١)] إذا عرض لها الوسخ والعرق ، والخوم ، إلا ثياب المجذَّمين[(٢)] فإنهم لا يَقْمَلون .

وإذا قَمِل إنسانٌ وأفرط عليه ذلك ، زأبق رأسه[(٣)] إن كنّ في رأسه أو جسده[(٤)] ، وإن كنّ في ثيابه ، فوّتن[(٥)] .

وقال أبو قطيفة[(٦)] لأصحابه : أتدرون ما يذرأ القمل[(٧)] ؟ قالوا : لا . قال : ذاك والله من قلة عنايتكم بما يصلح أبدانكم ؟ يذرأ القملَ القُساء[(٨)] .

فأما ثمامة فحدثني عن يحيى بن خالد البرمكي ، أن شيئين يُورثان القمل :

---

(١) فيما عدا ل : « إنسان » .

(٢) يقال رجل أجذم ، ومجذوم ، ومجذم : إذا تهافتت أطرافه من داء الجذام . ل : « المجذومين » : وأثبت ما في سائر النسخ ونهاية الأرب (١٠ : ١٧٧) .

(٣) زأبق رأسه : طلاه بالزئبق . وفي اللسان : « درهم مزأبق مطلى بالزئبق . والعامة تقول مزبق » . وفي المعرب ١٧٠ : « ودرهم مزأبق ، ولا تقل مزبق » . ه : « ربق » سه : « زئبق » تحريفان . ل : « زبق » عامية .

(٤) فيما عدا ل : « وإن كان في رأسه أو جسده » .

(٥) أي زأبق رأسه فوتن ، أي فماتت القمل . يقال موتت الدواب : كثر فيها الموت . وانظر (٣ : ٣٤٩ س ١٣) . ط ، ه : « فيتشر » . سه : « فتشر » صوابها في ل .

(٦) في البخلاء ٩٥ : « أبو قطبة » وساق هذا الخبر ، وذكر له أخوين ، هما الخليل ووبابه (؟) من ولد عتاب بن أسيد .

(٧) يذرأ : يكثر ، وبه فسر : (يذرؤكم فيه) في الآية ١١ من سورة الشورى . ل : « يذر » وفي البخلاء : « يذرء » بمعنى يكثر .

(٨) ل : « يذر » وانظر التنبيه السابق . ط ، سه : « القفا » بدل « القساء » صوابه في ل ، ه والبخلاء .

أحدُهما الإكثار من التّين اليابس[1] ، والآخر بخار اللُّبان إذا أُلقى على الجمرة[2] .

وربما كان الإنسان قَمِل الطباع ، وإن تنظَّف وتعطَّر وبدَّل الثياب[3] ، كما عَرَض لعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوّام ، استأذَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى لباس الحرير فأذن لهما فيه[4] ولولا أنهما كانا ١١٣ فى حدِّ ضرورةٍ لَمَا أذِنَ لهما فيه ، مع ما قد جاء فى ذلك من التشديد .

فلما كان فى خلافة عمر[5] ، رأى عُمرُ على بعض بنى المغيرة من أخواله ، قميصَ حريرٍ ، فعَلاَهُ بالدِّرّة[6] ، فقال المغيرىُّ : أو ليس عبد الرحمن بنُ عوفٍ يلبسُ الحرير ؟ قال : وأنت مثلُ عبد الرحمن ؟ لا أمَّ لك !

---

(١) فى تذكرة الأنطاكى : « والتين يولد القمل ويضر الكبد الضعيف والطحال » . وقد المعتمد : « واليابس جيد للمبرودين ... وهو يولد القمل » . ط ، س : « الإكثار فى اليبس » ، ه : « من اليبس » صوابهما ما أثبت من ل . وقد تكون « اليبس » محرفة من « البلس » بالتحريك ، وهو التين ، أو شئ يشبهه يكثر باليمن .

(٢) الجمرة والمجمر : ما يوضع فيه الجمر بالدخنة . ط ، ه : « على الجمر » س : « على المجمر » . وفى ل ، ه زيادة : « من » قبل : « بخار » .

(٣) فيما عدا ل : « وأبدل الثياب » .

(٤) الحديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . ففى صحيح البخارى عن قتادة بن أنس : « أن عبد الرحمن بن عوف والزبير شكوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم — يعنى القمل — فأرخص لهما فى حرير ، فرأيته عليهما فى غزاة » . وعن قتادة عن أنس : « أن النبى صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير فى قميص من حرير ، من حكة كانت بهما » . انظر البخارى (٤ : ٤٢) ومسلم (٢ : ١٥٣ — ١٥٤) ومفتاح كنوز السنة ٤٢٥ .

(٥) فيما عدا ل زيادة : « رضى الله تعالى عنه » .

(٦) الدرة ، بالكسر : التى يضرب بها . وفى التهذيب : الدرة درة السلطان التى يضرب بها .

(الاحتيال للبراغيث)

واحتاج أصحابنا إلى التسلُّم(١) من عضّ البراغيث ، أيامَ كنّا بدمشق ، ودخلنا أنطاكيَة ، فاحتالوا لبراغيثها بالأسِرَّة فلم ينفعوا بذلك ؛ لأن براغيثهم تمشى .

وبراغيثهم نوعان : الأبْجَل(٢) والبقّ(٣) ، إنما سمّوا ذلك الجنس على شيءٍ بما حَكَى لى ثُمامةُ عن يحيى بن خالدٍ البرمكىّ ، فإن يحيى زعمَ أن البراغيثَ من الخلق الذى يَعرِضُ له الطيرانُ فيستحيل بقًّا ، كما يعرض الطيرانُ للنَّمل ، وكما يعرض الطيرانُ للدّعاميص ؛ فإن الدعاميصَ إذا انسلخت صارت فَرَاشا(٤)

فكان أصحابنا قد لَقُوا من تلك البراغيث جَهْدًا ، وكانت لها(٥) بليّةٌ أخرى : وذلك أن الذى تُسهِرُهُ البراغيث لايستريحُ إلا أن يقتلها(٦) بالعرك والقتل(٧) ، وإلى أن يقبِضَ عليها فيرمىَ بها [إلى الأرض] من فوق سريره(٨) فيرى أنهنّ إذا صِرْنَ عشرينَ كان أهون عليه من أنْ يكُنَّ إحدى وعشرين(٩) . فكان الرجلُ إذا رام ذلك من واحدة منها

---

(١) التسلم : السلامة . فيما عدا ل : « التسليم » .

(٢) سه ، ه : « الأبجل » تحريف . ل : « الأبْجل » وأثبت ما فى ط .

(٣) البق : البعوض ، وقيل هى دويبة مثل القملة حمراء منتنة الريح تكون فى السرر والجدر . وبهذا المعنى الأخير تعرف فى مصر . فيما عدا ل : « البرد » تحريف .

(٤) سه : « إن الدعاميص » والكلمتان ساقطتان من ل . س : « فصارت فراشا » ل ، « إذا انسلخت فراشاً » .

(٥) فيما عدا ل « له » تحريف . والضمير للبراغيث .

(٦) كلمة « لا » ليست فى ل ، س . وفى ل ، ه : « إلى أن يقطها » وفى س : « لأن يقتلها » .

(٧) العرك : الدلك . ل : « بالفرك » . وفيما عدا س : « والقتل » بالقاف .

(٨) فيما عدا ل : « السرير » .

(٩) فيما عدا ل : « أن تكون أحدا وعشرين » تحريف .

نَتُنَتْ يده[1] وكانوا ملوكا ، ومثل هذا شديدٌ عَلَى مثلهم ، فما زالوا فى جهد منها حتى لبِسوا قُمُصَ الخزِ الصِّينىّ ، وجعلوها طويلةَ الأردان والأبدان[2] فناموا مستريحين .

(خروج القمل من جسم الإنسان)

[وخبَّرنى كم شئت[3] من أطبَّاء الناس وأصحاب التجارب ، منهم من يقشعر من الكذب ، ويتقزَّز منه — أنهم رأوا القمل عِيانا وهو يخرج من جلد الإنسان . فإذا كان الإنسان قِلاًّ كان قمله مستطيلا ، فى شبيه بخلقة الديدانِ الصغار البيض .

ويُذكر أن مثلَ ذلك قد كان عرضَ لأيوبَ النبى ، صلى الله عليه وسلم ، حين كان امتُحِن بتلك الأوجاع حتى سُمِّى : « المبتلَى » .

وخبَّرنى شيخٌ من بنى ليث[4] ، أنه اعتراه جَرَبٌ ، وأنه تطلَّى بالمَرْتَك[5] والدُّهن ، ثم دخل الحمَّام فرأى قملاً كثيراً ، يخرج من تلك الجُلَب[6] والقروح .

---

(١) فيما عدا ل : « وكان » بدل : « فكان » و « واحد » بدل « واحدة » . « وأتنت » بدل « نتنت » وهما لغتان يقال : نَتَنَ ، و نَتِن ، وأَنْتَن .

(٢) الأردان : جمع ردن ، بالضم ، وهو أصل الكم ، وأما مقدمه ، أو الكم كله . فيما عدا ل : « طويلة الأبدان والأردان » .

(٣) سبق مثل هذا التعبير فى (٢ : ٢٣١ و ٤ : ٤٦) . وانظر ما كتبت فى (٤ : ٤٦) .

(٤) هم بنو ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . والجاحظ ليثى كنانى . انظر ترجمته فى الوفيات .

(٥) المرتك ، هو المرداسنج الذى سبق شرحه فى ص ٣٥٠ . ولفظه فارسى معرب . انظر الجواليقى ٣١٧ . وضبطهما صاحب القاموس كقعد ، ومثله ضبط اللسان . ويقال أيضاً « مَرْتَج » بالجيم . قال صاحب القاموس : « معرب مُرْدَه » لكن فى معجم استينجاس ١٢١٠ أنه معرب « مُرْتَكْ » والمأخذان محتملان .

(٦) الجلب : جمع جلبة ، كغرفة ، وهى القشرة تعلو الجرح عند البرء .

وخبّرنى أبو موسى السيلىّ صديقُنا ، أنه كان له غلامٌ بمصر ، وكان الغلام ربما أخذ إبرة ففتح بها فتحاً فى بعض جسده ، فى الجلد ، فلا يلبثُ أن يطلُع من تحت الجلد فى القيح[1] قملة] .

(قمل الحيوان)

والقمل يُسرعُ إلى الدّجاج والحمام ، إذا لم يغتَسِلْ ويكُنْ نظيفَ البيت[2] و[هو] يعرض للقرْد ، ويتولّد من وسَخ جلد الأسير وما فى رأسه[3] من الوسخ . ولذلك كانوا يضجُّون ويقولون : أكلَنَا القِدُّ والقمل[4] !

(تلبيد الشعر)

وكانوا يلبِّدون شعورهم ، وذلك العسل هو التلبيد ، والحاجُّ الملبِّد هو هذا . وقال الشاعر :

يا ربِّ ، ربَّ الراقصاتِ عشيّةً ... بالقومِ بين مِنًى وبين ثَبِيرِ[5]
زُحُفِ الرّواحِ قد انقضت مُنَّاتُهُمْ ... يحمِلنَ كلَّ مُلَبِّدٍ مأجُورِ[6]

---

(١) كذا فى الأصل ، وموضعها ل : وأراها : « القيح » .
(٢) فيما عدا ل : « إذ لم يغسل ويكون نظيف البيت » تحريف .
(٣) كلمة : « ما » ثابتة فى ط فقط .
(٤) القد ، بالكسر : سير من جلد غير مدبوغ . فيما عدا ل : « أكلني » .
(٥) الراقصات : الإبل تسرع فى سيرها ، رقص البعير يرقص رقصا ، بالتحريك : إذا أسرع فى سيره . وثبير ، كأمير : من أعظم جبال مكة ، بينها وبين عرفة .
(٦) زحف ، بضمتين : جمع زحوف ، وهى الناقة أعيت فجرت فرسنها . الرواح ، أى عند الرواح . والمنات : جمع منة ، والمنة كالقوة وزنا ومعنى . والملبد : أراد به الحاج الملبد . ط ، هـ : « زحف الرواح » . س : « وجف » صوابه فى ل . وفيما عدا ل : « تراقصت تمشى بهم » .

وقال عبد الله بن العَجْلان النهدى[1] :

إني وما مارَ بالقُرَيقِ وما قَرْقَرَ بالجَلْهَتَيْنِ من سُرُبِ[2]

[جماعة من القطا وغيره ، واحدتها سُرْبَة . وعبر بها ها هنا عن الحُجَّاج[3]] .

من شَعَرٍ كالتَلِيلِ يُلْبَدُ بالـ * ـقتلِ وما مارَ من دمٍ سَرَبِ[4]

١١٤ والعِترِ عترِ النَّسيكِ يخفر بالـ * ـبُدْنِ لحِلِّ الإحرامِ والنُّصُبِ[5]

وقال أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت :

شاحِينَ آباطَهُمْ لم ينزِعُوا تَفَثاً وَلَمْ يَسُلوا لهم قَمْلاً وصِئْبانَا[6]

ويروى : « لم يقربوا تَفَثاً » . قال الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا

---

(١) عبد الله بن العجلان النهدى ، شاعر جاهلى ، أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم . وكان له زوجة يقال لها هند ، فطلقها ثم ندم على ذلك ، فتزوجت زوجا غيره فمات أسفاً عليها . انظر أخباره فى الأغانى (١٩ : ١٠٢ — ١٠٦) وتزيين الأسواق ٧٦ — ٧٨ . ل : « عبد الله بن عيلان النهدى » .

(٢) القريق ، بهيئة تصغير فرق : موضع بتهامة . وفيما عدا ط : « القريف » ولم أجده . وفي المعجم : « القُرَيق » : واد لبنى سليم . وقد أقسم بدماء الإبل التى تنحر فتمور دماؤها . ط ، ه : « من شرب » س : « شهب » صوابهما فى ل . والسرب بفتحتين وبإسكان الثانى ، كما فى تاج العروس (١ : ٢٩٦ س ٣٩) .

(٣) فى الأصل — وهو هنا — ل « الحمام » . والصواب ما أثبت . ويعنى بالقرقرة تلبية الحجيج ورفعهم أصواتهم بالدعاء .

(٤) التليل : العنق والثرى والسمين تعلفه الإبل . ط : « كالليل » وفى ل ، ه : « كالقليل » وأثبت ما فى س . والسرب ، بفتح الراء وكسرها : السائل .

(٥) العتر ، بالكسر : ما عتر أى ذبح . والعتر أيضاً الصنم يعتر له . وفى اللسان والقاموس أن النسيكة الذبيحة . ولم أجد النسيك . و« يخفره » هى فى ل : « يعفر » وفى ط ، ه : « عجل الأحزان » وفى س : « عجل الأحزان » صوابهما فى ل .

(٦) شاحين : من شحا الرجل فاه شحوا : فتحه . والآباط : جمع إبط . عنى بذلك رفع الحجاج أيديهم بالدعاء . فيما عدا ل : « ساحى آباطهم » تحريف . والتفث : الشعث . وفى اللسان : « قال أبو منصور : لم يفسر أحد من اللغويين التفث كما فسره ابن شميل ، جعل التفث التشعث » . قلت هذا البيت يشهد لتفسير ابن شميل .

تَفَثَهُم[1] ﴾ . وما أقلَّ ما ذَكَرُوا التَّفَثَ فى الأشعار[2] .

والتلبيد : أن يأخذَ شيئاً من خِطْمِيٍّ وآسٍ وَسِدْرٍ[3] ، وشيئاً من صَمْغٍ ، فيجعله فى أصول شعره[4] وعلى رأسه ، كى يتلبّدَ شعرُه ولا يعرق[5] ويدخلَه الغبار ، ويخمّ فيقمَل .

وكانوا يكرهون تسريح الشعر وقتلَ القمل . فكان ذلك العمل[6] يقِلُّ معه القمل .

وقد قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم لكعب بن عُجْرة[7] : « هل آذاك هَوَامُّ رأسِك ؟ ! » .

(تعيير هوازن وأسد بأكل القرة)

وقال ابنُ الكلبىّ : عُيِّرَتْ هَوَازنُ وأسدٌ بأكل القُرَّةِ[8] . وهما

---

(١) من الآية ٢٩ فى سورة الحج .

(٢) البيت حجة على أبى عبيدة إذ يقول : « ولم يجئ فيه شعر يحتج به » . أنظر اللسان .

(٣) السدر : النبق البرى . فيما عدا ل : « وسرو » تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « أن تأخذ » .

(٤) ط فقط : « فتجعله فى أصول شعره » .

(٥) فيما عدا ل : « يفرق » بالفاء ، محرف .

(٦) يعنى تلبيد الشعر . س : « وما كان » تحريف . ط ، هو : « وكان » وأثبت ما فى ل . وفيما عدا ل : « القتل » بدل « العمل » محرف .

(٧) هو كعب بن عجرة بن عدى ، وهو صحابى ، وفيه نزلت الفدية ، وقد أخرج ذلك فى الصحيحين من طرق ، منها رواية ابن أبى نجيح عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن كعب بن عجرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم مر به وهو محرم يوقد تحت قدر والقمل يتهافت على وجهه . فقال له : احلق رأسك وأطعم فرقا بين ستة مساكين ... » . مات بالمدينة سنة إحدى وخمسين ، وقيل ثنتين ، وقيل ثلاث ، وله خمس أو سبع وسبعون سنة . الإصابة ٧٤١٣ .

(٨) القرة ، بالضم . وفيما عدا ل : « المرة » تحريف .

بنو القملة[1] . وذلك أن أهل اليمن كانوا إذا حلقوا رؤوسهم [بِمِنًى وضع كل رجل منهم على رأسِهِ قُبْضَةَ من دقيق . فإذا حلقوا رؤوسهم] سقط[2] ذلك الشعرُ مع تلك الدقيق[2] ، ويجعلون الدقيق صدقةً . فكان ناسٌ من الضُّرَكاء[3] وفيهم ناسٌ من قيس وأسد ، يأخذون ذلك الشعر بدقيقه ، فيرمُون بالشعرِ ، وينتفعون بالدقيق .

وأنشد لمعاويةَ بن أبي معاويةَ الجرْميّ ، في هجائهم :

ألم تر جَرْماً أنجَدَتْ وأبوكمُ مع الشعر في قصِّ الملبَّدِ شارعُ[4]

إذا قَرَّةٌ جَاءت يقولُ أُصِبْ بها سِوى القملِ إنى من هَوَازِنَ ضَارعُ[5]

(شعر في هجو القمليين)

وقال بعض القُمَيليِّين ، ومرّ بأبي الملاء [القُمَيليّ] وهو يتفلّى ، فقال :

---

(١) أي بهوازن وأسد ، يعني أنهم كانوا يقال لهم : «بنو القملة» . ط ، س : «وهو سويق القمل» ، هو : «وهو شوبه القمل» وأثبت ما في ل .

(٢) فيما عدا ل : «سيط ذلك الشعر بدرمك الدقيق» وهذه العبارة في ظاهرها تحتمل الصحة ، فإن معنى سيط به : خلط . والدرمك : النقيّ من الدقيق . ولكن النظر إلى التكملة السابقة يقضي بأنها محرَّفة . وهي على الصواب الذي أثبت في اللسان (٦ : ٤٠١) .

(٣) الضركاء : جمع ضريك ، وهو الفقير البائس الهالك سوء حال . قال الكميت :

فنيت أنت الضركاء منا بسيبك حين تنجد أو تغور .

ويجمع أيضاً على ضرائك . فيما عدا ل : «الشركاء» تحريف .

(٤) أنجدت : دخلت بلاد نجد . ط ، هو : «وأجدت» تحريف . وفيما عدا ل : «وابن عجزة» بدل : «وأبوكم» . وما أثبت من ل يوافق رواية اللسان (٦ : ٤٠١) .

(٥) فيما عدا ل : «إذ امرأة جاءت تقول» صوابه في ل واللسان . وفي س : «شوا القمل» ، و هو : «شوآء» صوابهما في ل ، ط واللسان .

وإذا مررتَ به مررتَ بقانصٍ متصيِّدٍ في شَرْقَةٍ مقرورِ (١)
للقملِ حولَ أبي العلاء مَصارعٌ مِنْ بين مقتولٍ وبينَ عقيرِ (٢)
وكأنهنَّ لدى خُبُونِ قميصهِ فَذٌّ وتوأمُ سِمسِمٍ مقشورِ (٣)
ضَرِجِ الأنامل من دماء قتيلها حَنِقٍ عَلَى أخرى العدوِّ مُغيرِ (٤)

وقال الحسنُ بنُ هانئ ، في أيوبَ ، وقد ذهب عني نسبُهُ ، وطالما رأيتُه في المسجد :

مَن يَنأْ عنـه مصادُهُ فمصَادُ أيوبٍ ثيابُهْ
تكفيه فيهـا نظرةٌ فتُعَلُّ من عَلَقٍ حِرَابُهْ (٥)
يا رُبَّ محترسٍ بخَبْـ ـنِ الدَّرْزِ تَكْنُفُهُ صُؤابُهْ (٦)
فاشي النِّكاية غير معلو مٍ إذا دبَّ انسيابُهْ

(١) الشرقة : المكان الذي يتشرق فيه في الشتاء . والمقرور : الذي أصابه القر ، بالضم ، وهو البرد . فيما عدا ل : « في شرقه مغرور » صوابه في ل والحماسة (٢ : ٣٩٧) ونهاية الأرب (١٠ : ١٧٧) . وحق هذا البيت أن يكون ثاني الأبيات . لكن هكذا وردت الرواية .

(٢) العقير : المعقور . فيما عدا ل : « ما بين مقتول » وهذه ثابتة أيضاً في نهاية الأرب ومحاضرات الراغب (٢ : ١٣٣) . وما أثبت من ل هو رواية الحماسة وديوان المعاني .

(٣) الخبون : جمع خبن ، وأصل الخبن : خياطة الثوب لتقليصه . فيما عدا ل : « جيوب » والجيب : طوق القميص . وفي الحماسة : « لدى دروز قميصه » . وفي ديوان المعاني ونهاية الأرب : « إذا طرن قميصه » . والفذ : الفرد . ديوان المعاني : « فرد » . والتوأم : المزدوج ، وأصله من جمهع الحيوان المولود مع غيره في بطن ، من الاثنين إلى ما زاد ، ذكراً كان أو أنثى ، أو ذكراً مع أنثى . س : « مشور » محرف .

(٤) الضرج : المصبوغ بالحمرة . فيما عدا ل : « صرح » تحريف صوابه في سائر المصادر . وقد ضبط بالجر في ل والحماسة . إنما يستقيم هذا الضبط إذا روى البيت الأول بعد البيت الثاني فيكون صفة للقانص . والوجه الرفع . ومع الرفع الإقواء .

(٥) تعل : من العلل ، وهو الشرب مرة بعد مرة . والعلق ، بالتحريك : الدم . والحراب : جمع حربة . س : « جرابة » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « محترز » والمحترس والمحترز بمعنى . والخبن : خياطة الثوب لتقليصه =

أو طامريّ وائبٍ لم يُنْجِهِ عنــه وثابُه[1]

[الطامريّ : البرغوث ثم قال] :

أهوَى لهُ بمذلَّقِ الـــقَرْنين إصبَعُه رِضابُه[2]

لله درُّك من أخي قنص أصابتُه كِلابُه[3]

(أحاديث وأخبار فى القمل)

وفى الحديث أن أكل التفاح ، وسُؤْرَ الفأرة ، ونَبْذَ القملة يورث النِّسيان[4] .

وفي حديث آخر أنّ الذى ينبذ القملة لا يُكفَى الهمّ .

والعامة تزعم أن لُبس النِّعال السودِ يورث [الغمّ و] النسيان .

وتناول أعرابيٌّ قملة دبّتْ على عُنقه ، فقدغَها[5] ثم قتلها[6] [بين] باطنِ إبهامه وسبّابته ، فقيل له : ما تصنعُ ويلك [بحضرة الأمير] ؟ ! فقال :

= وأراد به الموضع . والدرز : موضع الخياطة وفيه يختبئ القمل والصئبان ، ولذلك يقال لها « بنات الدروز » . انظر شفاء الغليل . وفى اللسان أن الزئبر ما يظهر من درز الثوب . أي أن الزئبر هو الأهداب التى تظهر من موضع الخياطة . وقد نصت المعاجم أن « الدرز » فارسى معرب ، وقالت إنه معروف ، فحسب . ومعنى « درز » فى الفارسية : الشق الذى خيط من الثوب : Arend in a garment which has been sewed up انظر استينجاس ٥١١ . ومنه « درزى » الفارسية بمعنى الخياط ، وهى أصل : « ترزى » فى العامية المصرية . س : « بجير الردن » ط « بجيرالردن » ط : وجيب الردنه وأثبت ما فى ل . وفى س : « تكشفه سزابه » تحريف .

(١) ل فقط : « لم ينجه » . والوثاب : الوثب . وقد سبق البيت فى ص ٢١٦ .

(٢) مذلق : محدد . والقرين : مثنى قرن ، وهو حد السلاح . فيما عدا ل : « بمزلق » تحريف . وفى ط فقط : « ما بين أصبعيه » صوابه فى سائر النسخ .

(٣) أخو قنص : صاحب صيد . فيما عدا ل : « من أبى قنص » .

(٤) سبق هذا الحديث فى ص ٢٦٩ .

(٥) قدغها : شدخها . والقدغ شدخ الشيء الأجوف . فيما عدا ل : « فقرصها » .

(٦) فيما عدا ل « قتل » وفى ل : « قطها » ووجهه بالقاف كما أثبت .

بأبي أنتَ وأمّي ، وهل بقي منها إلا خِرشاؤها ؟ يعني جلدَتَها وقِشرَتَها . وكل وعاء [فهو] خرشاء .

(المأمون وسعيد بن جابر)

وحدثني [إبراهيمُ بنُ هانئ[1] ، قال : حدثني[2]] سعيدُ بنُ جابر ، قال : لما كادت الأجنادُ تحيطُ ببغداد[3] من جوانبها ، قال لنا المخلوع[4] : لو خرجنا هكذا إلى قُطْرُبُّل[5] على دوابنا ، ثم رجعنا من فَوْرِنا ، كان لنا في ذلك نُشرة[6] . قال : فلما صرنا هناك هجمنا على موضعِ خَمّارين ، فرأى أناساً قد تطافروا من بعض تلك الحانات[7] ، فسأل عنهم ، فإذا هم أصحابُ قِمارٍ ونَرْدٍ [ونبيذٍ] ، فبعث في آثارهم [فرُدُّوا] وقال لنا[8] : أشتهي أن أسمع حديثَهم ، وأرى مجلسهم وقِمارهم . قال : فدخلنا

---

(١) إبراهيم بن هانئ أحد معاصري الجاحظ ، قال فيه الجاحظ : « وكان ماجناً خليعاً كثير العبث ، متمرداً » . انظر البيان (١ : ٨٩ — ٨٠) . ويروى عنه خبراً في البخلاء ١٠٦ . وذكره صاحب لسان الميزان (١ : ١١٨) .

(٢) هذه التكملة من ل ، سه .

(٣) فيما عدا ل : « بغداد » بالمهملة في آخره . وهما لغتان . لكن قال ياقوت : « ويأبى أهل البصرة ولا يجيزون بغداذ في آخره الذال المعجمة » .

(٤) المخلوع هو الخليفة محمد الأمين .

(٥) قطربل ، بضم فسكون ففتح فباء مشددة مضمومة : قرية بين بغداد وعكبرا ، ينسب إليها الخمر ، وقد ضبط في اللسان والقاموس بضم الراء ، ولكنه ضبط قلم لا نص . وانظر المعرب ٢٧٣ .

(٦) النشرة ، هي في أصلها ضرب من الرقية والعلاج يعالج به المجنون والمريض ، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء ، أي يكشف ويزال . انظر اللسان (٧ : ٥٦) . فيما عدا ل : « تنزه » .

(٧) تطافروا : تواثبوا . والطفر : الوثوب . فيما عدا ل : « تظافروا » بالظاء المعجمة . تظافر القوم عليه وتظاهروا بمعنى . وليس مراداً . وفيما عدا ل : « فرأينا ناساً قد تطافروا في بعض تلك الحانات » .

(٨) ل ، سه : « وأنا » .

إلى موضعهم ، فإذا تخت (١) النَّردِ قطعةُ لِبْد ، وإذا فصوص النَّردِ من طين ، بعضُهُ مسوَّد وبعضُهُ متروك ، وإذا الكعبان من عُروة كوز مُحَكَّكة ، وإذا بعضُهمْ يتكئُ عَلَى دَنّ خال (٢) وتحتهم بَوَارٍ قد تنشَّرت (٣) .

قال : فبينا هو يضحك منهم إذ رأيت قملة تدب عَلَى ذيله ، فخففتُه وأخذتها (٤) فرآنى وقد تناولتُ شيئاً ، فقال [لى] : أى شيء تناولتَ ؟ قلتَ : دوَيبّة دبت عَلَى ذيلكَ مِنْ ثياب هؤلاء . قال : وأىُّ دابة هى (٥) ؟ قلت : قملة . قال : أرِنيها ؛ فقد والله سمعتُ بها !

قال : فتعجبتُ يومئذ من المقادير (٦) كيفَ ترفَع رجالا فى السماء ، وتحط آخرين (٧) فى الثَّرى !

---

(١) التخت ، فى المعاجم العربية : وعاء تصان فيه الثياب ، فارسى معرب ، لم يذكروا غير ذلك . ويبعد أن يكون الجاحظ قصد هذا المعنى . وإنما أراد بالتخت اللوح الذى يوضع فوقه النرد . وجاء فى معجم استينجاس ١٢٩٥ فى تفسير (تَخْتِ نَرْدْ) أنه لوح يتخذ لعب النرد : A board for playing at nard . وأراد ، جعلوا قطعة اللبد بدلا من اللوح . فيما عدا ل : « تحت » : ظرف المكان .

(٢) الدن سبق تفسيره فى ص ٢٦٥ . فيما عدا ل : « حكى على دن خان » تحريف .

(٣) البوارى : جمع بارية بتشديد الياء ، وهى الحصير المنسوج من القصب ، فارسيته (بوريا) انظر اللسان والمعرب واستينجاس ٢٠٦ . فيما عدا ل : « بوارى » . وهى لغة ضعيفة انظر سيبويه (٢ : ٢٨٨) والهمع (٢ : ٢٠٥ — ٢٠٦) تنشرت : انتشرت يقال تنشر الحبل وانتشر طرفه : أى انتقض وذهب شيئاً بعد شيء . فيما عدا ل « تشرت » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « فخلفته فأخذتها » تحريف .

(٥) ل : « وأى دابة هذه » .

(٦) المقادير : جمع مقدار ، وهو القدر . فيما عدا ل : « الأيام »

(٧) ط ، س ، هو : « كيف ترفع رجلا فى السماء وتحط آخر » ومثله فى هو ، لكن فيها : « وتحط أخرى » ، وأثبت ما فى ل .

(معارف وخبر في القمل)

قال : والقردُ يتفلَّى ، فإذا أصاب قملةً رمَى بها إلى فيه[١] .

ونساء السوادِ يعجبُهنَّ [صوتُ] قصْع القمل على الأظفار[٢] .

ورأيتُ مرةً أنا وجعفر بن سعيد[٣] ، بقّالًا في العتيقة[٤] ، وإذا امرأته جالسةٌ بين يديه ، وزوجها يحدثها وهي تفلي جَيْبَها[٥] وقد جمعت بين باطن إبهامها وسبّابتها عدّةَ قمل ، فوضعتها على ظفر إبهامها الأيسر[٦] ، ثم قلبت عليها[٧] ظفرها الأيمن فشدختْها به ، فسمِعْتُ لها فرقعةً[٨] ، فقلت لجعفر : فما منعها أن تضعَها بين حجَرين[٩] ؟ قال : لها لذةٌ في هذه الفرقعة . وللمباشرةُ أبلغُ عندها في اللذة . قلت : فما تكرهُ مكانَ زوجها ؟ قال : لولا أن زوجها يُعجبُ بذلك لنهاها !

(شعر لابن ميادة)

وقال ابن مَيَّادة[١٠] :

---

(١) ط فقط : « وإذا أصاب » . ط ، هـ : « في فمه » س : « في فيه » وأثبت ما في ل .
(٢) قال أبو عبيد : القصع ضمك الشيء حتى تقتله أو تهشمه . قال : ومنه قصع القملة . فيما عدا ل : « وضع القمل » تحريف .
(٣) سبقت ترجمته في (٣ : ٤٦٦) .
(٤) البقال : بائع البقول ، والبقل من النبات ما ليس بشجر . هـ : « بقالا » .
(٥) الجيب : جيب القميص ونحوه ، وهو طوقه . ط ، هـ : « تفلي ثوبها » .
(٦) ط ، هـ : « على ظهر إبهامها الأيسر » تحريف ما أثبت من ل ، س .
(٧) فيما عدا ل : « لها » .
(٨) س : « وقعة » .
(٩) ل ، س : « ما منعها » ... إلخ .
(١٠) هو الرماح بن أبرد ، سبقت ترجمته في (٤ : ٣٢١) . ومن أجداده ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وكان يفخر بجده ظالم ، كما في البيت الأول من الأبيات التالية . وكما في قوله (انظر الأغاني ٢ : ٨٧) : =

١١٦ سَقَتنى سُقاةُ المجدِ منْ آلِ ظالمٍ   بأرشيةٍ أطرافُها فى الكواكبِ[1]

وإنْ بأعلى ذى النُّخَيلِ نُسَيَّةً   يُسَيِّرْنَ أعياراً شدادَ المناكبِ[2]

يَشُلْنَ بأستاهٍ عليهنَّ دُسْمَةٌ   كاشالِ بالأذنابِ سُمْرُ العقاربِ[3]

باب

(القول فى البرغوث)[4]

والبرغوثُ أسودُ أحدبُ نَزّاءٌ[5] ، من الخلق الذى لا يمشى [صرفاً]

وبما قال بعضهم : دبيبُها من تحتى أشدُّ علىَّ من عضِّها .

= أنا ابن أبى سلمى وجدى (ظالم)   وأمى حصان أخلصتها الأعاجم
أليس غلام بين كسرى و (ظالم)   بأكرم من نيطت عليه التمائم
لو ان جميع الناس كانوا بتلعة   وجئت بجدى (ظالم) وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا   سجوداً على أقدامنا بالجماجم
وإنما سقت هذه الأبيات لأبين أن ما فى ل : « وقال ابن مناذر » تحريف ، والصواب نسبتها لابن ميادة .

(١) الأرشية : جمع رشاء ، وهو حبل الدلو . وانظر لكلمة « ظالم » التنبيه السابق .

(٢) ذو النخيل ، بهيئة التصغير : موضع قرب مكة . نسية : مصغر نسوة ، وأراد بالتصغير تحقيرهن . والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار أهليا كان أو وحشيا ، وهم يتهاجون برمى النساء الحمير ، ومنه قول الراعى :

هن الحرائر لاربات أحمرة   سود المحاجر لا يقرأن بالسور

ط ، س : « أسنة » بدل : « نسية » وهى فى هو : « لسنة » تحريفان . ط ، هو : « فشرين » بدل : « يسيرن » ط : « شدد المناكب » محرفان . وفى س : « سرراعيا أشداد المناكب » بهذا الإهمال والتحريف .

(٣) شالت العقرب بذنبها : رفعته . والدسمة ، بالضم ، أصله ما يشد به خرق السقاء . وانظر لتفسير هذا المعنى شرح الأنبارى للمفضليات ص ٤٧ — ٤٨ . هو : « دمة » تحريف . وسمر : جمع سمراء . فيما عدا ل : « سم العقارب » تحريف .

(٤) بدله فى ل : « القول فى البرغوث » .

(٥) نزاء : وثاب . نزا ينزو : وثب .

وليس ذلك بدبيب . وكيف يمكنهُ الدَّبيبُ ــ وهو مُلزَق عَلَى النِّطع[١] بجلد جَنبِ النائم[٢] ؟! ولـكنَّ البرغوثَ خبيثٌ ، فمتى أرادَ الإنسان[٣] أن ينقلب من جنب إلى جنب ، انقلب البرغوث واستلقى عَلَى ظهره ، ورفع قوائمه فدغدغه [بها] ، فيظنُّ من لا علم عنده أنه إنما يمشى تحت جنبه[٤]

وقد ذكرنا من شأنه فى مواضع . ولو كان البابُ يكبر حتى يكون لك مجموعاً ولم تعرفه تكلفت لك جمعه[٥]

(شعر فى البرغوث)

وقال بعض الأعراب :

ليلُ البراغيث عنّانى وأنصَبنِى ... لابارك اللهُ فى ليـل البراغيث[٦]
كأنهنّ وجلدى إذْ خَلونَ به ... أيتامُ سَوْء أغاروا فى مواريثِ[٧]

---

(١) النطع ، بالكسر : بساط من الأديم ، أى الجلد .
(٢) ط ، هو . « بجنب جلد النائم » تحريف ما أثبت من ل ، س .
(٣) فيما عدا ل : « الإنسان » .
(٤) ط ، هو : « أنها تمشى تحت جنبه » وبإسقاط « أنه » تحريف ، وأثبت ما فى ل . والكلام من : « انقلب البرغوث » إلى هنا ساقط من س .
(٥) ل : « ولو كان الباب يكثره حتى إنه لم يكن مجموعا لم تعرفه . فتكلفت لك جمعه » .
(٦) عناه : أنصبه وجشمه العناء . س ، هو : « عنانى » تحريف . وفى ط : « أعيانى » ، أعياه : أعجزه . وأثبت ما فى ل ، وهو رواية محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) .
(٧) أغاروا : فعلوا فعل المغير يهجم على القوم وينهب مالهم . وأغاروا أيضاً : أسرعوا . ط ، س : « قضاة سوء » و : « أغاروا » محرفان . فيما عدا ل « المواريث » وأثبت ما فى ل مع ما فيه من صرف ما لا ينصرف للضرورة . ورواية ل تطابق رواية محاضرات الراغب .

وقال محبوب بن أبي العَشَنَّط النهشلي[1] :

لروضةٌ من رياضِ الحَزْنِ أو طَرَفٌ ... من القُرَيَّةِ جَرْدٍ غيرُ محروثِ[2]

للنَّوْرِ فيـه إذا مجَّ النَّدَى أَرَجٌ ... يشفِي الصُّداعَ ويشفِي كلَّ ممْغوثِ[3]

أملا وأحلَى لعيني إنْ مررتُ به

مِن كَرْخِ بغدادَ ذِي الرُّمّانِ والتُّوثِ[4]

الليلُ نِصفانِ : نصفٌ للهموم فما ... أقضِي الرُّقادَ ، ونصفٌ للبراغيثِ

أبيتُ حين تُساميني أوائلُها ... أنزو وأخلِطُ تسبيحاً بتغويثِ[5]

---

(١) العشنط ، بفتح العين والشين وتشديد النون المفتوحة : معناه الطويل جداً ، أو التار الظريف الحسن الجسم . ولم أجد له ترجمة إلا نسبة هذا الشعر له . وفيما عدا ل : « محمد بن أبي القاسم النهشلي » تحريف ، صوابه في ل واللسان (٢ : ٣٢٢) ومعجم البلدان (٧ : ٧٦) والخزانة (٤ : ٥٠٤) .

(٢) الحزن ، بالفتح : موضع . س « الحسن » تحريف . والطرف ، بالتحريك : الناحية أو الطائفة من الشيء . في الأصل : « طرق » صوابه من المصادر السابقة . والقرية قرية بني سدوس ، وهي أخصب قرى اليمامة . وقد جعلها مصغرة ، وأصلها : « القرية » انظر ياقوت . س ، هو : « القرية » تحريف . والجرد ، بالفتح : الذي لا نبات فيه ، مع أنه قليل النبات . فيما عدا ل : « جود » تحريف صوابه في ل واللسان والمعجم . وفي الخزانة : « حزن » . وفيما عدا ل : « محروث » بالدال ، محرفة .

(٣) النور ، بالفتح : الزهر . والممغوث : المحموم . فيما عدا ل : « ويشفي كل مبحوث » تحريف . وفي المعجم واللسان : « يشفي الصداع وينقى » بالقاف .

(٤) أملا : تسهيل أملأ ، أي أكثر ملئاً ، أي أتم منظراً وحسناً ، وهو مالئ العين إذا أعجبك حسنه وبهجته . فيما عدا ل : « أحلى وأملى » والمعجم : « أملى وأحلى » واللسان : « أملى وأشهى » والخزانة : « أشهى وأحلى » . والكرخ : موضع ببغداد ، وفي اللسان : « الكرخ : سوق بغداد نبطية » . وانظر معجم البلدان .

(٥) تساميني : تعاليني . فيما عدا ل : « حتى تساميني » تحريف صوابه في ل والمعجم . وفي الخزانة : « حيث » . أنزو : أثب وأقفز . والتغويث : أن يصيح : واغوثاه ! استغاث وغوث بمعنى . ط ، « أزود أخلط » هو : « أزرود أخلط » صوابه في ل ، س والمعجم واللسان .

سُود مَدَالِيجُ فى الظلماء مُؤْذِيَةٌ   وليس مُلْتَمَسٌ منها بمَشْبُوثِ (١)

وقد جعل « البُوثَ » بالثاء . ووجه الـكلام بالتاء . وتعجيمها نقطتان [من فوقها] .

وقال آخر :

لقد عَلِمَ البُرغوثُ حين يَعَضُّنِى   ببغدادَ أنى بالبلاد غريبُ

وقال آخر (٢) :

وَإنّ امرأً تؤذى البراغيثُ جلدَه   وتُخْرِجُهُ من بيته لذليلُ (٣)

ألاَ رُبَّ برغوثٍ تَرَكْتُ مجدّلا   بأبيضَ ماضى الشَّفْرَتَيْنِ صَقيلِ (٤)

وقال آخر : ١١٧

لقيتُ منَ البُرغوثِ جَهْداً ولا أرى

أميراً عَلَى البرغوثِ يقضى ولا يُعْدِى (٥)

يقلّبنى فوقَ الفِرَاشِ دبيبُهُ   وتصبح آثارٌ تَبيّنُ فى جِلْدِى (٦)

وقال آخر (٧) :

---

(١) المداليج : جمع مدلاج ، وهو كثير سفر الليل بطولها . انظر المفضليات (١ : ٢٧ البيت ١٢ طبع المعارف) . وفى المعجم : « مدالج » . مؤذية : من الإيذاء . ورواية اللسان : « مؤدنة » . قال ابن منظور : « المؤدن ، بالهمز : القصير العنق ، والمودن بغير الهمز : الذى يولد ضاويا . نقلته من حواشى ابن برى » . مشبوث : مأخوذ . شبث الشىء : علقه وأخذه . وفى اللسان : « بمنبوث » منبوث : مستخرج .

(٢) فيما عدا ل : « وقال آخر » .

(٣) ل ، سه : « إنذا امرأ » بالخرم . فيما عدا ل : « وتخرجه من بيته » .

(٤) مجدلا : ملقياً على الجدالة ، وهى الأرض . والأبيض : السيف ، وإنما عنى أظفاره . وانظر محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) . وهذا البيت وما قبله متقدمان فى ل ، سه على البيت السابق . وفى هذا البيت إقواء .

(٥) أراد : ولا أميراً يعدى . أعداه الأمير على ظالمه : انتصف له منه ، ونصره ، وأعانه .

(٦) الدبيب : المشى الضعيف على هينة . فيما عدا ل : « وبيت » تحريف .

(٧) جعل الجاحظ البيتين التاليين فى البراغيث ، لكنه جعلهما فيما سيأتى ص ١٢١ فى القردان ، وقال : « وبعضهم يجعلها فى البراغيث . وهذا باطل » !

ألا ياعبادَ الله مَنْ لقبيلة ... إذا ظهرت في الأرض شَدَّ مُغيرُها[1]

فلا الدينُ ينهاها ولا هي تنتهي ... ولا ذُو سِلاحٍ من مَعَدٍّ يَضيرُها

وقال يزيد بن نُبَيه الكلابيّ[2] :

أصبحتُ سالتُ البراغيثَ بعد ما ... مَضَتْ ليلة مني وقَلَّ رُقُودها[3]

فياليت شعري هل أزُورَنَّ بلدة ... قليلٌ بها أوباشُها وسَنيدُها[4]

وهل أسمعنّ الدهرَ أصوات خُمَّر ... تُطالِع بالركبان صُعْراً خُدُودها[5]

وهل أرَيَنّ الدهرَ نلراً بأرضها ... بنفسي وأهلي أرضُها ووُفودها[6]

تَرَاطَنُ حولى كلما ذَرَّ شارقٌ ... ببغداد أنباطُ القُرَى وعبيدُها[7]

وقال آخر :

لا بارك اللهُ في البرغوثِ ، إن له ... لذعاً شديداً كلَذْعِ الكيِّ بالنار

أقولُ والنجمُ قد غارت أوائله ... وغَلَّسَ للدُّلِج السارى بأسحار[8]

لَبُرْقَةٌ مِنْ بِراقِ الحزنِ أعْفَرُها ... فيها الظباء تَرَاعى غِبَّ أمطار[9]

---

(١) ط ، هـ : « أي قبيلة » صوابه في ل ، سه ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) وانظر نهاية الأرب (١٠ : ١٧٢) . وفي ديوان المعاني (٢ : ١٤٩) : « فيالعباد الله ما لقبيلة » .

(٢) نبيه ، كذا جاء مضبوطاً بهيئة التصغير في ل . وفي سائر النسخ : « نبية » .

(٣) ط ، هـ : « وأصبحت » . وفيما عدا ل : « قليل رقودها » .

(٤) الأوباش : الأخلاط من الناس . والسنيد : الدعي . ط : « وسيدها » سه ، هـ : « وسيدها » بالباء ، صوابهما في ل .

(٥) الخمر : الإبل الضامرة . صعراً : جمع أصعر ، وهو المائل .

(٦) الوفود : جمع وفد . ط ، هـ : « ورقودها » وفي ل : « وحديدها » وأثبتنا في سه .

(٧) تراطن : تتراطن ، بحذف إحدى التاءين ؛ والشارق : الشمس . ط : « كما ذر شارق » تحريف . ل : « ببداد » بالدال : في آخره . وانظر ما أسلفت ص ٢٨١ .

(٨) غلس : سار في الغلس ، وهو ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح .

(٩) البرقة ، بالضم : غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة . والبراق ، بالكسر : جمع برقة . أعفرها : أسكنها . فيما عدا ل : « أعفها » تحريف . تراعى : ترعى مع غيرها . غب أمطار : بعدها . فيما عدا ل : « نبت أمطار » .

أشكو إلى الله من دَرْبٍ به نَبَطٌ ... ومَنْزِلٍ بين حَجّام وجزّارِ[1]
مَنْ يَنحرُ الشَّوْلَ لا يُخْطِي قوائمَها ... بمُدْيَةٍ كشرارِ النار بتّارِ[2]

وقال آخر :

إنّ هـذا الصلوبَ لاشكّ فيـه ... هو من بعد صَلْبِهِ مَبْعُوثُ
حلّ من حيثُ ليس يأكله البَـقُّ ولا يهتدى له البرغوثُ
بينَ حِنْوَىْ مَطِيّةٍ إنْ يَسُقْها ... ساقَها فذاك سَيرٌ مَكيثُ[3]
فعليهِ الدبارُ والخِزْىُ لمّا ... قلتُ مَنْ ذا فقال لصٌّ خبيثُ[4] ١١٨

وقال أبو الرماح الأسدى[5] :

تطاوَلَ بالفسطاطِ ليلى ولم يكن ... بحِنْوِ الغَضَا ليلٌ عَلَىَّ يطولُ[6]

---

(١) الدرب : باب السكة الواسع . والنبط : قوم كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين ، وهم السريانيون . وانظر التنبيه والإشراف ص ٣٨ ، ٣٢ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٦٨ . قال في ص ٥٠ : « والفرس إلى هذا الوقت تقارب الروم في هذه التسمية ، فيسمون العراق والجزيرة والشأم سورستان إضافة إلى السريانيين ، الذين هم الكلدانيون . ويسمون سريان ، والشام سورية ، وتسميهم العرب النبط » . ل : « به نبط » وفي سائر النسخ : « بها نبط » والصواب ما أثبت . والحجام : الذى يمص الدماء بالمحجم . ل : « حمام » ه : « حاره » .

(٢) الشول : الإبل التى نقصت ألبانها . وكلمة « من » ليست فى ل . و « يخطى » مهموزة فيما عدا ل . والمدية : الشفرة . والبتار : القطاع . وقد ذكر الوصف بتأويل المدية بالسكين ، والسكين مذكر ، وقد يؤنث .

(٣) الحنو بالكسر : كل شىء فيه اعوجاج ، ومنه حنو الرحل والقتب والسرج ، كل عود معوج من عيدانه . والسير المكيث : البطئ . فيما عدا ل : « حثيث » والحثيث : السريع ، تحريف .

(٤) الدبار ، بالفتح : الهلاك ، مثل الدمار . وفى اللسان : « ويقال عليه الدبار أى العفاء ، إذا دعوا عليه بأن يدبر فلا يرجع » . فيما عدا ل : « والدمار » . وفى ط ، ه : « فقيل لص خبيث » .

(٥) ل : « أخو الرماح » وفى سائر النسخ : « أبو الرياح » وفى ديوان المعانى (٢ : ١٥٠) : « وقد شكاها الرماح الأسدى » . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٣) : « ومن ذلك قول أبى الرماح الأسدى » . وقد جمعت بين ما فى النسخ معتمدا ما فى نهاية الأرب . وفى المؤتلف ١٢٤ من اسمه : « الرماح بن نهشل الأسدى » .

(٦) فى نهاية الأرب : « ولم أكن » وفى ه ونهاية الأرب وديوان المعانى : « ليل على يطول » .

يؤرِّقُنى حُدْبٌ صغارٌ أذلةٌ … وإن الذى يؤذينَهُ لذليلُ[1]
إذا جُلت بعض الليل منهن جَولةً … تعلقنَ بى أو جُلنَ حيثُ أجولُ[2]
إذا ما قتلناهنّ أضْعَفْنَ كَثْرةً … علينا ولا يُنعى لهنّ قتيلُ[3]
ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلةً … وليس لبرغوث علىّ سَبيلُ[4]

وقال أبو الشَّمقمق :

يا طولَ يومى وطول ليلَتِيَهْ[5] … إن البراغيثَ قد عَبِثْنَ بِيَهْ
فيهنّ بُرغوثةٌ مُجوّعةٌ … قد عقدَتْ بَنْدَها بِقفْقَتِيَهْ[6]

وقال آخر :

هنيئاً لأهل الرّى طيبُ بلادهم … وأن أميرَ الرّىّ يحيى بنُ خالدِ[7]
تطاولَ فى بغدادَ ليـلى ومن يكُنْ … ببغداذَ يلبثْ ليلَه غيرَ راقدِ[8]
بلادٌ إذا جَنَّ الظلامُ تَقافَزَتْ … براغيثُها مِن بين مَثْنَى وَوَاحِدِ[9]

---

(١) فى نهاية الأرب : « يورقله » بدل : « يؤذينه » .
(٢) جال : طاف ودار . وفيما عدا ل : « إذا جال » تحريف . وفى ط ، س : « حول الناس فيهن » وهو : « بعض الناس منهن » صوابهما ما أثبت من ل .
(٣) أضعفن ، بالبناء للفاعل : كثرن وصرن أضعافاً . وبالبناء للمفعول : أضعفهن غيرهن جعلهن ضعفين .
(٤) فى النهاية وديوان المعانى : « إلى سبيل » .
(٥) ط ، هو : « وليله » صوابه فى ل ، س . والبيتان فى محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) مع تحريف ظاهر .
(٦) البند : العلم الكبير ، فارسى معرب . وأبو الشمقمق يكثر من استعمال الألفاظ المعربة . فيما عدا ل : « كتفها » محرف . وفى محاضرات الراغب : « قد عقدت بندها على جسدى » والثانية محرفة .
(٧) فى الأصل : « لأهل الريف » والوجه ما أثبت من ديوان المعانى (٢ : ١٤٩) .
(٨) « بغداذ » بالذال المعجمة . وانظر ما سبق ص ٢٨١ . وانظر رواية البيت فى معجم البلدان (٢ : ٢٤٣) .
(٩) فيما عدا ل : « تناثرت » وأثبت ما فى ل موافقاً لما فى ديوان المعانى ، وفى معجم البلدان : « تطايرت » .

ديازِجَةٌ سود الجلود كأنَّها ... بِغالُ بريدٍ أرسلتْ في مذاودِ (١)

وقال آخر :

أرَّقني الأُسَيْوِدُ الأَسَكُّ (٢) ... ليلةَ حَكٍّ ليس فيها شكُّ (٣)

أحُكُّهُ حتى ماله مُحَكُّ ... أحُكُّهُ حتى رِسْغي مُنْفَكُّ (٤)

وقال آخر :

يا أمَّ مَثْوايَ عَدِمْتُ وَجْهَكِ ... أقلقني ربُّ العُلا من بيتِكِ (٥)

ولَدْغِ برغوث أراهُ مُهْلِكي ... أبيتُ ليلي دائمَ التحكُّكِ

تَحكُّكَ الأجربِ عند المَبْرَكِ (٦)

وقال آخر :

الحمد لله برغوث يُؤرِّقني ... أُحَيْلِكُ الجِلْدِ لا سمعٌ ولا بصرُ (٧)

---

(١) ديازجة : جمع ديزج ، وهو الأخضر ، كما في أدب الكاتب ١٠٥ . وفي مبادئ اللغة : « والأخضر الأدخم المسمى بالفارسية الديزج » وهو معرب : « ديزه » . ط ، هو : « زيارحة » س : « ذيارجة » صوابه في ل وديوان المعاني ومعجم البلدان . وفي معجم البلدان : « شهب البطون » . فيما عدا ل : « بغال بريد » صوابه في ل والمعجم وديوان المعاني . « أرسلت في مذاود » : أي أطلقت في معالفها لتأكل . والمذاود : جمع مذود ، كمنبر ، وهو معلف الدابة . فيما عدا ل : « في موارد » وفي ل : « من مذاود » وأثبت ما في معجم البلدان . وفي ديوان المعاني : « في المزاود » صوابه بالذال . شبهها بتلك البغال القوية المختارة قد أرسلت في مذاودها فهي لا تألو قضماً وخضماً .

(٢) الأسيود : تصغير أسود . س : « الأسود » . والأسك : الأصم . قال ابن منظور (١٢ : ٣٢٤) : « يعني البراغيث ، وأفرده على إرادة الجنس » . وروايته للبيت : « أسهرني الأسيود الأسك » .

(٣) ل فقط : « ليس فيها حك » وما أثبت من سائر النسخ يوافق رواية اللسان .

(٤) س ، هو : « منفك » تحريف . وفي اللسان : « حتى ساعدي منفك » .

(٥) ل ، هو : « رب العلى » .

(٦) أي تحكك البعير الأجرب عند مبركه .

(٧) أحيلك : مصغر أحلك ، والحلكة : شدة السواد .

وقال آخر :

قَبيلةٌ في طولها وعَرْضِهَا ... لم يُطْبِقُوا عيناً لهم بغُمْضِهَا[1]

خَوْفَ البراغيثِ وخوفَ عضِّها ... كأنَّ في جلودها من مَضِّهَا[2]

١١٩ عقاربا تَرفضُّ من مُرْفَضِّها[3] ... إن دام هذا هربت مِنْ أرضِها[4]

يارَبُّ فاقْتلْ بعضَها ببعضِها

(معارف في البرغوث)

[قال : والبرغوثُ في صورة الفيل . وزعموا أنها تبيض وتفرخ ، وأنهم رأَوْا بيضها رؤيةَ العين . والبراغيث تتَناكَحُ وهي مستديرة ومتعاظِلة[5] . وهي من الجنس الذي تطول ساعة كَوْمِها .

(استقذار القمل)

وليس الناسُ لشيء مما يعضُّهم ويؤذيهم ، من الجرجس ، والبقِّ ، والبراغيثِ والذِّبان — أشدَّ استقذاراً منهم للقمل . ومن العجب أنَّ قرابته أمسُّ . فأما قملة النَّسر ، وهي التي يقال لها بالفارسية : « دَدَه[6] » وهي تكون بالجبل ، فإنها إذا عضّت قتلت] .

---

(١) فيا عدا ل : « لم يطعموا عينا » .

(٢) المض : الحرقة والألم . يقال مضه الهم والجرح وأمضه : آلمه .

(٣) ترفض : تتفرق . والمرفض : اسم الموضع منه . فيا عدا ل : « ترقص » تحريف .

(٤) أي هربت القبيلة فراراً من أذى البراغيث .

(٥) متعاظلة : يركب بعضها فوق بعض .

(٦) دده ، بفتحتين : هي في أصلها بالفارسية اسم لكل حيوان مفترس . انظر استينجاس ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

(القول في البعوض)

حدثني إبراهيم بن السِّنْديّ[1] قال : لما كان أبي بالشام واليًا ، أحبّ أن يسوِّيَ بين القَحْطانيّ والعَدْنانيّ ، وقال : لسنا نقدِّمُكم إلا على الطاعة لله عز وجل ، والخلفاء[2] وكلُّكم إخوة وليس للنِّزاريّ [عندي] شيءٌ ليس اليمانيّ مثله .

قال : وكان يتغدّى مع جِلّة من جِلّة الفريقين[3] ، ويسوِّي بينهم في الإذن والمجلس . وكان شيخُ اليمانية يدخل عليه معتمًا ، وقد جذب كَوْرَ عمامته[4] حتى غطى بها حاجبه[5] وكان لاينزعها في حر ولا برد ، فأراد فتى من قيس — و [قد] كان أبي يستخليه ويقرِّبه[6] — أن يُسْقِطه من عين أبي ويوحِشَه منه ، فقال له ذات يوم ووجدَ المجلسَ خاليًا[7] : إني أريدُ أن أقول شيئًا ليس يُخْرِجُه مني إلا الشكر والحرية[8] ، وإلا المودة والنصيحة ، ولولا ما أعرفُ من تعزُّزِك وتنطُّسِك[9] وأنك

---

(١) تقدمت ترجمته في (٤ : ٤٢٣) . وفي الأصل : « إبراهيم السندي » .
(٢) ل : « لله والخلفاء » .
(٣) جلة : جماعة . فيما عدا س : « جلة من جلة الفريقين » . والجلة ، بالكسر : العظماء ذوو الأخطار .
(٤) الكور ، بالفتح : الدارة من دارات العمامة . هـ : « كورة » س : « كرة » صوابه ما أثبت من ل ، ط . والواو من : « وقد » ليست في ل .
(٥) ط فقط : « حاجبه » بالإفراد .
(٦) يستخليه ، بالخاء المعجمة : يخلو به وينفرد . ل : « يستحليه » بالمهملة ، تصحيف . وفي هـ ، س : « ويستقربه » بدل : « ويقربه » .
(٧) ط ، « ووجد المجلس خال » ، س ، هـ : « ووجد المجلس خاليا » صوابه ما أثبت من ل .
(٨) الشكر : عرفان الإحسان ونشره .
(٩) ط ، هـ : « وإلا ما أعرف » . تعريف التعزز : التطس والتباعد من الدنس . والتطس : التقذر والتعزز . ط : « تعززك وتنشطك » س : « وتقذرك وتنشطك » هـ : « تقززك وتنشطك » والصواب ما أثبت من ل . وكلمة : « تقذرك » في س صحيحة .

متى انتبهت على ما أنا مُلقِيه إليك[1] لم آمَنْ أن تستغشّني[2] ، وإن لم تُظْهِره لي . إن هذا الجانيّ إنما يتم أبداً ، ويعدُّ طُرّةَ السماءة[3] حتى يغطِّيَ بها حاجبيَه ؛ لأن به داء لو عَلِمْتَ به لم تؤاكِلْه !

قال : فقال أبي : فرماني والله بمعنى كادَ ينقضُ [عَلَيّ] جميعَ ما بيدَيّ ، وقلتُ : والله لئنْ أكلت معه وبه الذى به إنّ هذا لهو البلاء ولئن منعت الجميع مؤاكلتي لأوحِشَنّهم جميعاً بعد المباسطة والمباثّة[4] والملابسة والمؤاكلة . ولئن خصصتُه بالمنع [أ]و أقعدتُه على غير مائدتي[5] ليغضَبَنّ . ولئن غضب ليغضبنّ معه كل قحطاني بالشام . فبتُّ بليلة طويلة . فلما كان الغدُ وجلست ، ودخلوا للسلام ، جرى[6] شيء من ذكر السموم وغرائبِ أعمالها ، فأقبل عَلَيّ [ذلك] الشيخُ فقال : عندي [من هذا] بالمعاينةِ ما ليس عند أحد . خرجت مع ابن [أخي هذا ، ومع ابن[7]] عمّي هذا ، ومع ابني هذا ، أريد قَريتي الفُلانية ، فإذا بقُرب الجادّةِ بعير قد نهشته أفعى ، وإذا هو وافرُ اللحم ، وكل شيء

(١) فيما عدا ل : « وأنت متى انتبهت إلى ما أنا ملقيه عليك » محرف .

(٢) استغشه واغتشه : ظن به الغش . وهو خلاف استنصحه . هـ : « تستغثى » وليس لها معنى إلا من استغث الرجل الجرح : أخرج غثيثه أي قيحه . ولا وجه لها هنا .

(٣) طرة الشيء : طرفه . فيما عدا ل : « سرة » تحريف .

(٤) المباثة : مفاعلة من البث ، وهو إظهار الحديث والخبر . ط : « الملاينة » س ، هـ : « المباينة » والأخيرة محرفة .

(٥) المائدة : الخوان عليه الطعام . فيما عدا ل : « على غير ما يرى » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « أجرى » .

(٧) كلمتا : « أخي هذا » تكملة من ل ، س ، هـ . وكلمتا : « ومع ابن » تكملة من س ، هـ فقط .

حوالَيه من الطيْر والسباع ميت ، فقمنا [منه] على قابِ أرماحٍ[1] [نتعجب[2]] ، وإذا عليه بعوض كثيرة[3]

فبينا [أنا] أقول لأصحابي : [يا] هؤلاء ، إنكم لترون العجَب : أولُ ذلك أن بعيراً مثل هذا ينفسِخ[4] من عضةِ شيء لعله أن [لا] يكون في جسم عرقٍ من عروقه ، أو عَصَبَة من عصَبه ، فما هذا الذي مجّه فيه ، وقذفه إليه ؟ ثم لم يرضَ بأن قتلَه وفسَخَه حتى قتلَ كلَّ طائر ذاق منه ، وكلَّ سبُعٍ عضَّ عليه . وأعجب من هذا قتلُه لأكابرِ السِّباع والطيرِ ، وتركُه قتلَ البعوضة ، مع ضَعْفها ومهانتها !

١٢٠ فبينا نحنُ كذلك إذ هبَّت ريحٌ[5] من تلقاء الجبّانة ، فطيَّرت البعوضَ إلى شِقّنا ، وسقطَت[6] بعوضة على جبهتي ، فما هو إلا أن عضتْني إذ اسْمَأدَّ وجهي[7] وتورَّم رأسي ، فكنت لا أضربُ بيدي إلى شيء أحكُّه من رأسي وحاجبي ، إلا انتثر في يدي . فحُمِلْتُ إلى منزلي في محِلٍ[8]

---

(١) على قاب أرماح : على قدر طول أرماح . ط ، س : « على قاب أرماحنا » . هو : « أرماحنا » تحريف

(٢) هذه التكملة من ل ، س ، هو .

(٣) فيما عدا ل : « كثير » بالتذكير ، وكلاهما جائز .

(٤) س ، هو : « ينفسخ » .

(٥) فيما عدا ل : « فبينا أنا كذلك » . وفي ط فقط : « إذا هبت ريح » .

(٦) ط فقط : « وسقطت »

(٧) اسمأد : ورم وانتفخ . فيما عدا ل : « إذ قد اسود وجهي » .

(٨) المحمل ، كمجلس ، وضبط في نسخ الحكم كمنبر وعليه علامة الصحة : شقان على البعير يحمل فيهما العديلان . وأول من اتخذها الحجاج بن يوسف الثقفي : وفيه يقول القائل :

أول عبد عمل المحاملا أخزاه ربي عاجلا وآجلا

انظر تاج العروس (٧ : ٢٨٩) والحيوان (١ : ٨٢) والمعارف ٢٤١ واللسان (١٣ : ١٨٩)

وعولجتَ بأنواع العلاجِ ، فبرَأت(١) بعد دهر طويل . على أنه أبقى(٢) عَلَيَّ من الشَّين أنه تركنى أقرَعَ الرأس ، أمرطَ الحاجبين .

قال : والقومُ يخوضون معه فى ذلك الحديث ، خَوْضَ قوم قد قتلوا(٣) تلك القصةَ [يقيناً] .

قال : فتبسَّمتُ ، ونَكَس [الفتى] القيسىُّ رأسه ، فظن الشيخ أنه قد جرى بيننا فى ذلك ذَرْءٌ(٤) من القول ، فقال : إن هذا القَيسىَّ خبيث ، ولعله أن يكون قد احتال [لكَ] بحيلة !

قال إبراهيم : فلم أسمعْ فى السمومِ بأعجبَ من هذا الحديث .

(طلسمات البعوض)

ويزعم أهلُ أنطاكيَة أنهم لايُبَعّضون(٥) لطِلَّسمٍ هناك .

---

(١) فى اللسان : « وأهل العالية يقولون برأت أبرأ بَرْءاً وبروءاً ، وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برأ بالفتح ، وسائر العرب يقولون : برئت من المرض » . وفيه أيضاً : « وغير أهل الحجاز يقولون برئت بالكسر برءاً بالضم » . ومنه فقط : « فبرئت » وهما لغتان كما رأيت .

(٢) فيما عدا ل : « بقى » .

(٣) قتله يقيناً : أحاط به علما . وهو أحد تفسيرى قول الله : (وما قتلوه يقينا) فى الآية ١٥٧ من سورة النساء . وفيما عدا ل : « قبلوا » من القبول محرف .

(٤) فى اللسان : « بلغنى ذرء من خبر أى طرف منه ولم يتكامل ، وقيل هو الشىء اليسير من القول » فيما عدا ل : « درو » تحريف . وفى اللسان : (١٨ : ٣٢٣) : « ذرو من قول أى طرف منه ولم يتكامل . قال ابن الأثير : « الذرو من الحديث ما ارتفع إليك وتراى من حواشيه وأطرافه » فهما لغتان ، يقال ذرء وذرو ، بالهمزة والواو .

(٥) فيما عدا ل : « وزعم أهل أنطاكية » . ويعض القوم بالبناء للمجهول : آذاهم البعوض . وانظر ماسبق ص ١٩٨ . ط ، هـ : « يتبعضون » س : « يبعضون » صوابه ما أثبت من ل .

ولو ادعى أهلُ عقر الدَّير[1] ، المتوسطة[2] لأجمة مابين البصرة وكَسْكَر لكان طِلَّسْمُهُمْ أعجبَ .

ويزعم أهلُ حِمْص أن فيها طِلَّسْماً من أجلِهِ لاتعيشُ فيها العقارب . وإنْ طُرِحَتْ فيها عقربٌ غريبةٌ ماتَتْ من ساعتها .

ولَعَمْرِى إنه ليجوزُ أن تكون [بلدةٌ] تضادُّ ضرباً من الحيوان فلا يعيش فيها ذلك الجنس ، فيدعى كذَّابو أهلها أن ذلك برُقْيَة[3] ، أو دعوة ، أو طِلَّسم .

(ألم عضة البرغوث والقملة)

والبرغوثُ إذا عضَّ ، وكذلك[4] القملة ، فليس هناك من الحُرقة والألمَ مالَهُ مدةٌ قصيرةٌ ولا طويلة[5] .

وأما البعوضُ فأشهدُ أن بعوضةً عضتْ ظهر قدمى ، وأنا بقرب كاذَةَ والعَوْجاء[6] ، وذلك بعد أن صلى الناسُ المغربَ ، فلم أزَلْ منها فى أُكالٍ وحُرْقَة ، وأنا أسير فى السفينة ، إلى أن سمعتُ أذان العِشاء .

ولذلك[7] يقال : إن البعوضة لو أُلحقت بمقدار جرْم الجرَّارة[8] ـ فإنها

---

(١) ط : « عقر النير » ﻫ : « عقر الدير » صوابه فى ل ، س .

(٢) س فقط : « المتوسط » .

(٣) فيما عدا ل : « لرقية » .

(٤) فيما عدا ل : « وكذا » .

(٥) أراد أن ألم عضة البرغوث والقملة ليس له مدة تذكر لسرعة زواله .

(٦) كاذة ، بالذال المعجمة : قرية من قرى بغداد . والعوجاء : موضع . فيما عدا ل : « بيادة العرجاء » تحريف .

(٧) ط ، ﻫ : « وكذلك » .

(٨) الجرارات : عقارب صغار تجرر أذنابها . فيما عدا : « الجرادة » بالدال ، تحريف . وانظر ما سبق فى (٢ : ٣٥٢ س ١١ — ١٣) . وفى س : « جسم » بدل « جرم » .

أصغرُ العقارب ـ ثم زيدت[1] من تضاعيفِ ما معها من السُّمِّ عَلَى حَسَبِ ذلك لـكانت شَرًّا من الدُّوَيْبَّة التي تسمى بالفارسية : «دَدَه[2]» وهى أكبر من القملة شيئاً ، وتكون بمهرجان قَذَق[3] . فإنها مع صِغَر جسمها تفسَخُ الإنسان فى أسرعَ من الإشارة باليد ، وهى تعضُّ و[لا] تلسع ، وهى من ذوات الأفواهِ ، وهى التى يزعمهم يقال لها[4] «قملة [النَّسر» . وذلك أن النَّسر فى بعض الزمان ، إذا سقط بتلك الأرض سقطت منه قملة] تستحيل[5] هذه الدابةَ الخبيثةَ .

والبعوضةُ من ذواتِ الخراطيم .

وحدَّثنى محمد بن هاشم السِّدْرى[6] قال : كنتُ بالزُّطِّ[7] . فكنت والله أرَى البعوضةَ تطير عن ظهر الثور[8] فتسقط على الغُصْن[9] من

---

(١) فيما عدا ل : « زادت » .

(٢) دده ، بدالين مهملتين . انظر ما سبق ص ٣٩٢ . والكلمة محرفة فى الأصل فهى فى ط : «دروه» وفى س : « ذوه » وفى هـ : « ذرة » وفى ل : « دذه » .

(٣) قال ياقوت : « كورة حسنة ذات مدن وقرى ، قرب الصيمرة من نواحى الجبال ، عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همذان فى تلك الجبال » . وهى مركبة من ثلاث كلمات : « مهر » بالكسر ، معناه الشمس أو المحبة . و « جان » معناه النفس أو الروح و « قذق » بقاف مفتوحة ، وذال معجمة وقاف ، قال ياقوت : « أظنه اسم رجل . فيكون معناه : محبة ، أو شمس نفس قذق » ل : « بمهرجا قَذَف » وفى سائر النسخ : « بمهرجان فرق » صوابه ما أثبت من معجم البلدان .

(٤) فيما عدا ل : « إنها » . والكلمة بعدها ساقطة من هـ .

(٥) فيما عدا ل : « استحالت » .

(٦) س « فقط » : « السندى » .

(٧) نهر الزط ، بالضم : نهر قديم من أنهار البطيحة ، وهى أرض واسعة بين واسط والبصرة . ط ، س : « بالزانط » . ل : « بأحوط » ولعل صوابه ما أثبت من هـ .

(٨) فيما عدا ل : « من على ظهر الثور » .

(٩) فيما عدا ل : « على غصن » .

الأغصان ، فتقلِسُ[١] مافى بطنها ، ثم تعود .

[و] البعوضة تَغْمِس[٢] خرطومها فى جلد الجاموس . كما يغمِس الرجلُ أصابعَه فى الثريد .

[ومن العجب أن بين البصرة وواسط شطرين . فالشَّطر الذى على الطّف وباب طَنج يبيت أهلُه فى عافية ، وليس عندهم من البعوض ما يذكر ، والشطر الذى على زقاق المِفَة[٣] لاينامُ أهله من البعوض . فلو كان هذا ببلاد الشام أو بلاد مصر لادَّعَوا الطِّلَّسم[٤]] .

وحدثنى إبراهيم النَّظَّام قال : وردنا [فم] زقاق المفة[٥] ، فى أجمة ١٢١
البصرة ، فأردنا النفوذ فمنعَنا صاحبُ المَسْلحة[٦] ، فأرَدْنا التأخُّر إلى المَوْر[٧] الذى خرَجْنا منه ، فأبى علينا . ووَرَدْنا عليه وهو سكرانُ وأصحابُه سُكارى ، فغضِبَ على مَلاَّح نَبَطِىّ ، فشدَّهُ قِماطاً ، ثم رمى به فى الأجمة ، على موضع

---

(١) تقلس : تقيء . والقلس ، بالتحريك ، وبالفتح : القئ .

(٢) فيما عدا ل : « فتغمس » .

(٣) المفة ، ضبطت بالكسر فى الأصل ، وهو هنا ل . وضبطت فى المعجم ضبط قلم بالفتح ، وهى مدينة قديمة كانت فى طرف سواد العراق .

(٤) الطلسم : بكسر الطاء وتشديد اللام وسكون السين المهملة : لفظ يونانى ، قال الخفاجى : « لم يعربه من يوثق به » وقال : « وفى السر المكتوم : هو عبارة عن علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية لأجل التمكن من إظهار ما يخالف العادة والمنع مما يوافقها » . وقال صاحب كشف الظنون : « ومعنى الطلسم عقد لا ينحل » . وانظر استينجاس ٨١٨ .

(٥) الزقاق : طريق نافذ أو غير نافذ ، ضيق دون السكة . والمفة ، هى فى ط ، س : « المبة » صوابه فى ل ، هو . وقد ضبطت فى ل بالكسر . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(٦) انظر تفسير المسلحة ما سبق فى ص ٢١٠ .

(٧) المور ، بالفتح : من قولهم جرف هور أى واسع بعيد ، وقولهم خرق هور أى واسع . فيما عدا ل : « الجوز » . وجوز الشيء : وسطه .

أرض تتصل بموضع أكواخ صاحب المَـلَحة(1) . فصاح الملاح : اقتلني أيَّ قتلة شئتَ وأرِحْني ! فأبى وطرحه ، فصاح ، ثم عاد صياحه إلى الأنين ، ثم خَفَتَ ، وناموا في كِلَلِهم وهم سكارى(2) . فجئتُ إلى القموط ، وما جاوز وقت عتمة(3) ، فإذا هو [ميتٌ ، وإذا هو] أشد سواداً من الزنجي ، وأشد انتفاخاً من الزقّ المنفوخ ، وذلك كله [بقدر] ما بين العِشاء والمغرب . قلت : إنها [لمَّا] لسَبَتْه ولسعته من كلّ جانب لسْعاً علَى لسع إن اجتماعَ سمومها [فيه] أرْبَتْ علَى نهشة أفعى بعيداً(5) . فهي ضررٌ ومحنةٌ(6) ، ليس فيها شيء من المرافق .

(نفع العقرب)

والعقاربُ يأكلها مَشْويةً من بعينه ريح السَّبَل(7) ، فيجدُها صالحة . ويرمَى بها في الزيت ، حتى إذا تفسَّختْ وامتصَّ الزيتُ ما فيها من قُوَاها

---

(1) الملحة سبق تفسيرها في ص ٢٤٠ . والأكواخ : جمع كوخ بالضم ، فارسي معرب ، فارسيته (كوخ) بالضمة المائلة إلى الفتحة ، وهو بيت من قصب بلا كوة . فيما عدا ل : « يتصل بموضع إخراج صاحب الملحة » تحرف .

(2) في اللسان : « خفت الصوت خفوتاً : سكن . ولهذا قيل للميت خفت إذا انقطع كلامه وسكت » . والكلة ، بالكسر : ستر رقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البعوض . فيما عدا ل : « ثم سكت وناموا كلهم سكارى » .

(3) العتمة ، بالتحريك : ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق ، والعتمة أيضاً : مقدار أن ترضع السخلة أمها ثم تحبس ثم تعود للرضاع . فيما عدا ل : « وما جاء وقت العتمة » تحريف .

(4) ط ، ه : « وإذا » .

(5) أربت : زادت ، أربى يربى . والنهش : العض . ط ، ه : « لسعة » وهي صحيحة . وفي اللسان : « يقال لسعته الحية والعقرب » . وبعض اللغويين يجعل اللسع خاصاً بذوات الإبر من العقارب والزنابير ، وأما الحيات فإنها تنهش . بعيداً : أي إرباء بعيداً . بدلها فيما عدا ل : « هذا » .

(6) فيما عدا ل : « وهي ضرر محنة » .

(7) في اللسان : « ريح السبل : داء يصيب في العين . الجوهري : السبل داء في العين شبه غشاوة كأنها نسج العنكبوت بعروق حمر » . ط ، ه : « من بعينيه ريح السبل » .

فطلَوْا بذلك الدُّهنِ الخُصَى التي فيها النفخ[1] — فرقّ تلك الريح حتى تخمُصَ[2] الجلدةُ، ويذهب الوجع.

فإذا سمعتَ بدُهْنِ القلوب فإنما يعنونَ هذا الدهن.

باب[3]

في البقّ، والجرجس[4]، والشُّرّان[5]، والفَرَاش، والأذَى[6]

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا[7]﴾ قال: يريد[8] فما دونها.

وهو قول القائل للرجل يقول[9]: فلانٌ أسفلُ الناسِ وأنذلُهم!

---

(١) فيما عدا ل: «التي فيه النفخ» تحريف. والخصى: جمع خصية.

(٢) خمص الجرح يخمص خموصاً، وانخمص بالكلية: ذهب ورمه، كخمص وانخمص بالمد. ط: «ويخمص» وهي لغة صحيحة. ط، س: «وكحص» تحريف.

(٣) بدلها في ل: «أجناس البعوض» مع إسقاط كلمة: «في» التالية.

(٤) الجرجس، بجيمين: لغة في القرقس، وهو البعوض الصغار. ط، س: «الحرجس» تحريف.

(٥) الشران، بوزن كتان: دواب مثل البعوض، واحدتها شرانة، لغة لأهل السواد. وفي التهذيب: هو من كلام أهل السواد، وهو شيء تسميه العرب «الأذى»، وهو بعوض يغشى وجه الإنسان ولا يعض. ل: «والسران» بالسين مع ضبطها بالضم. وفيما عدا ل: «السرار» وهما تحريف ما أثبت من القاموس واللسان (٦: ٦٩ س ٢٢) والمخصص (٨: ١٨٦ س ٦ — ٧).

(٦) فيما عدا ل: «الأدى» بالمهملة، صوابه في الموضعين السابقين من اللسان والمخصص.

(٧) من الآية ٢٦ في سورة البقرة.

(٨) ط فقط: «يزيد» تحريف.

(٩) فيما عدا ل: «وهو كقول القائل الرجل يقال»، وفيه تحريف.

فيقول[1] : هو فوق ذلك ! يضع[2] قوله [فوق] ، فى موضع : هو شرٌّ من ذلك[3] .

قال : وضروب من الطير لاتلتمسُ [أرزاقها[4]] إلا بالليل ، منها الخُفَّاش ، والبُومة ، والصَّدَى ، والضُّوَع ، وغُرابُ الليل .

والبعوض بالنهار بعض الأذى[5] . وإنما سلطانها بالليل . وكذلك البراغيث .

وأما القملُ فأمره فى الحالات مستو . وليس الذِّبّان[6] بالليل عملٌ . إلا أنِّى متى بيَّتَ معى فى القبة[7] ما صار إليها[8] ، وسكن [فيها] من الذِّبّان ، ولم أطرُدْها بالعشىِّ [و] بعد العصر ، فإنى لا أجدُ فيها بعوضة واحدة .

(شعر ورجز فى البعوض)

وقال [الرَّاجز] فى خرطوم البعوضة :

مثل السَّفَاةِ دائم طَنينُها[9] ... رُكِّبَ فى خُرْطُومِها سِكِّينُها

---

(١) أى القائل . فيما عدا ل : «فتقول» ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : «تقع» تحريف .

(٣) س : «فى موضع ما هو شر من ذلك» . وكلمة : «من» مقحمة .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ط ، و . وبدلها فى س : «رزقها» .

(٥) فيما عدا ل : «والبعوض بالنهار كأنه بعض الأذى» .

(٦) فيما عدا ل : «الذباب» .

(٧) فيما عدا ل : «باتت معى فى المنزل» .

(٨) ط فقط : «إليه» .

(٩) السفاة : واحدة السفا ، وهو شوك البهمى والسنبل ، أو كل الشوك . فيما عدا ل : «السقاة» تحريف ، صوابه فى ل وما سبق فى (٣ : ٢١٦) والأمالى (٣ : ١٢٩) . وانظر رواية الرجز فى حياة الحيوان فى مادة (البعوض) .

وقال الهذليّ[1] : ٩٢٢

كأنّ وغَى الخموشِ بجانبَيْهِ وغَى رَكْبٍ أُمَيمَ ذَوِي هِياطِ[2]

والخموش : أصناف البعوض[3] والوغَى : أصوات اللغة التي لا يُبين واحدُها عن معنى[4] ، وهو كما تسمع من الأصوات الجيشين إذا التقيا عَلَى الحرب ، وكما تسمعُ من ضجّة السوق .

وقال الكُمَيت [وهو] يذكر قانصاً وصاحبَ قُتْرَة[5] ـ لأنه لا يَبْتَنِي[6] بيته إلّا عند شريعةٍ ينتابها الوحش[7] ـ فقال وهو يصف البعوض[8] :

---

(١) هو المتنخل الهذلي كما في أشعار الهذليين (٢ ص ٩٣) ؛ وكما في اللسان (٢٠ : ٢٧٧) حيث أنشده مرتين ، وله أيضاً (٨ : ١٨٨) وفيه أنشده مرتين .

(٢) الوغى : صوت النحل والبعوض ونحو ذلك إذا اجتمعت . ويروى : « كأن وعى الخموش بجانبيه وعى » بالعين المهملة . والوعى : الجلبة والأصوات . والخموش ، بالفتح : البعوض في لغة هذيل ، واحدته خموشة ، وقيل لا واحد له ، وقيل واحدته بلا من غير لفظه . في هامش ل : « الخموش » صوابه في ل وأشعار الهذليين واللسان في الموضعين السابقين والمقصور ١١٤ والمخصص (٨ : ١٨٥) . وأميم : منادى مرخم أميمة . والهياط ، بالكسر : الصياح والجلبة ، كالمهايطة . في هامش ل : « هباط » بالموحدة ، تحريف . وفي ط ، م : « ذي » بالإفراد ، تحريف أيضاً . ويروى في اللسان مادة (لغط) :

كأن لغا الخموش بجانبيه لغا ركب أميم ذوي لغاط

ورواية الجوهري والأزهري ، كما ذكر ابن منظور — وهي كذلك رواية الراغب في المحاضرات (٢ : ٣٠٦) — :

كأن وغى الخموش بجانبيه مآتم يلتدمن على قتيل

وقبل البيت :

وماء قد وردت أميم طام على أرجائه زجل الغطاط

(٣) في هامش ل : « والخموش » وفي ط مع ذلك : « أصناف البعوضة » تحريف .

(٤) في هامش ل : « عن معنى صاحبه » وكلمة « صاحبه » مقحمة .

(٥) القترة ، بالضم : ناموس الصائد . أبو عبيدة : القترة البئر يحفرها الصائد يكمن فيها .

(٦) في هامش ل : « يبنى » .

(٧) الشريعة : مورد الماء . ينتابها الوحش : يقصدها مرة بعد مرة . في هامش ل : « يغنى بها الوحش » . يقال غني بالمكان يغنى : أقام وأطال الإقامة . وهي مع صحتها لا تلائم وجه الكلام .

(٨) في هامش ل : « فقال وهو يصف البعوض » .

بهِ حاضِرٌ من غيرِ جِنٍّ يَرُوعُه ولا أَنَسٌ ذو أَرْوَنانٍ وذو زَجَلْ[١]

والحاضر : [الذى] لايبرحه البعوض ، لأن البعوض من الماء يتخلَّق[٢] فكيف[٣] يفارقه ، والماء الراكد لايزال يولِّدُه ؟! فإن صار نطافاً أو ضَحْضَحاً[٤] استحال دعاميص ، وانسلخت الدَّعاميص فصارت فراشاً[٥] و بعوضاً . وقال ذو الرُّمة :

وأيقنَ أنَّ القِنْعَ صارتْ نِطافُهُ فَرَاشاً وأن البَقْلَ ذاوٍ و يابسُ[٦]

وصَفَ الصَّيفَ[٧] . وقال أبو وجْزَةَ[٨] ، وهو يصِفُ القانصَ والشريعةَ والبعوض .

---

(١) أى ليس به أنس ذو أرونان . والأنس ، بالتحريك : السكان وأهل الحل . والأرونان : الصوت . والزجل ، بالتحريك : الجلبة . ط ، س : « من كل جن » صوابه فى ل ، هو والسان (١٧ : ٢٥) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) . فيما عدا ل : « يروعه » وهما وجهان . ط : « إلا ذوزيات » هو : « دواديان » س : « دواديان » بإهمال ما بعد الدال الأخيرة . تحريفات صوابهما فى ل واللسان . والشطر الأخير محرف فى المحاضرات .

(٢) س : « تخلق » وفى سائر النسخ : « تخلق » وما أثبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٣) فيما عدا ل : « وكيف » بالواو .

(٤) النطاف ، بالكسر : جمع نطفة : وهى القليل الماء . ل : « رقراقا » وليس فى معناه من لفظه إلا الرقارق ، بضم الراء الأولى وكسر الأخيرة ، وكذا الرق ، بالضم ، وهو الماء الرقيق فى البحر والوادى . والضحضح ، بفتح الضادين ، وكذا الضحضاح : الماء القليل يكون فى الغدير وغيره . ل ، س : « ضحضاحا » .

(٥) الفراش ، بالفتح : دواب مثل البعوض . فيما عدا ل : « حولما » تحريف .

(٦) القنع ، بالكسر : الموضع الذى يجتمع فيه نقران الماء . فيما عدا ل : « القمع » تحريف . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤٨ ، ٣٧١) . وتفسير الفراش فى الموضع الأول من الجزء الثالث لا ريب أنه لغير الجاحظ فإنه مخالف للوجه الذى استشهد به ، وهو تخلق الفراش من الماء ، ولكنه أحد وجهى تفسير : « فراشا » ، وهو ثابت فى اللسان (١٠ : ٧٤) حيث أنشد البيت وقال : « والقنعة من القيعان ما يجرى بين القف والسهل من التراب الكثير . فإذا نضب عنه الماء صار فراشاً يابسا ، والجمع قنع وقِنَعة » . وقال فى (٨ : ٢٢٠) : « والفراش أقل من الضحضاح » وأنشد البيت لذلك .

(٧) هذا فيما يتعلق بالنطاف والفراش . وإلا فهو فى صفة حمر الوحش .

(٨) أبووجزة ، بالزاى ، سبقت ترجمته فى (١ : ٩٦) . وانظر (٤ : ٢١٦) .

تَبِيتُ جارَتَهُ الأفعى وسامِرُهُ   رُمْدٌ به عاذِرٌ مِنهن كالجَرَبِ (1)

رُمْدٌ (2) في لونها، يعني البعوض، وهي التي تسامِرُ القانصَ وتُسْهِره (3) والعاذِر (4): الأثر. يقول: في جلده عواذِير (5) وآثارٌ كآثارِ الجَرَبِ (6) من لسع البعوض، وهو معَ ذلك وسطَ الأفاعي.

وقال الراجز يصف البَعُوض:

وليلةٍ لم أدرِ ما كَرَاها (7)   أُمارِسُ البَعُوضَ في دُجَاها (8)

كلُّ زَجُولٍ خَفِقٍ حَشاها (9)   ستٌّ لدَى إيفائها شَواها (10)

---

(١) فيما عدا ل: «يبيت». وأثبت ما في ل موافقاً اللسان (٤ : ١٦٧) والحيوان (٤ : ٢١٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦). والرمد، بضم الراء وسكون الميم: ضرب من البعوض، مأخوذ من أرمد ورمداء، وهو ما لونه على لون الرماد. فيما عدا ل: «ربد» بالباء، تحريف. والعاذر: أثر الجرح. فيما عدا ل: «عاذر» تصحيف. وفي ط: «كالحرب» صوابه بالجيم كما في سائر النسخ.

(٢) فيما عدا ل: «ربد» بالباء، تحريف.

(٣) فيما عدا ل: «وهي التي تنبه القانص وتسهره».

(٤) العاذر بالعين المهملة والذال المعجمة. فيما عدا ل: «والعاذرة» تحريف.

(٥) عواذير: جمع عاذر. وزيادة الياء في مثله جائزة في مذهب الكوفيين. فيما عدا ل: «عوادر» تحريف.

(٦) ط، هـ: «والحرب» صوابه بالجيم كما في ل، س.

(٧) الكرى: النوم، كري الرجل، بالكسر، يكرى: إذا نام. فيما عدا ل: «طواها» صوابه ما أثبت من ل موافقاً اللسان (٨ : ٢٨٩) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦).

(٨) المراس والممارسة: شدة العلاج. ورواية اللسان: «أساهر». وانظر بيت أبي وجزة السالف.

(٩) الزجول: الكثير الزجل، بالتحريك، وهو الجلبة ورفع الصوت. والخفق الحشا: المضطرب الأحشاء، وأصله في الفرس. وفي اللسان: «وربما كان الخفق من خلقة الفرس، وربما كان من الضمور والجهد». فيما عدا ل: «زمول» تحريف. ورواية اللسان: «يتقي شذاها». والشذا: الشر والأذى.

(١٠) الشوى: اليدان والرجلان، جمع شواة. إيفاؤها: أراد إيفاء عددها. وأوفى الشيء: أتمه وأكمله. يقول: شواها ست عند إتمام عددها. ط: «وست أيديها بها سواها» صوابه ما أثبت من ل. وهذا البيت لم يرد في اللسان ولا في المحاضرات.

لا يطرَبُ السامعُ من غنائها حنّانة أعظَمُها أذَلُّها[١] .

(أرجل الجرادة والعقرب والنملة والسرطان)

وكذلك قوائم الجرادة ، هي ستّ : يدان ، ورجلان ، والمِشاران[٢] وبهما تعتمد إذا نَزَتْ[٣] .

فأما العقرب فلها ثمان[٤] أرجل . والنملة ست أرجل[٥] .

والسَّرَطان ثمان[٤] أرجل ، وهو في ذلك يستعين بأسنانه ، فكأنه يمشي على عَشْر[٦] . وعيناه في ظهره وما أكثر من يشويه ويأكله الشهوة ، لا الحاجة ولا العلاج[٧] .

(شعر ورجز في البعوض)

وقال الرّاجز ، ووصَفَ حالَهُ وحالَ البَعُوض :

لم أرَ كاليوم ولا مُذْ قَطُّ أطولَ من ليلي بنهر بَطُّ[٨]
كأنما نجومُه في رُبْط[٩] أبيتُ بين خُطّتَيْ مشتطُّ

(١) حنانة : ذات حنين ، وأصل الحنين ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها . فيما عدا ل : « جنانة » بالجيم تحريف .
(٢) في المخصص (٨ : ١٧٤) : « المنشاران اللذان تحت الساقين المنشاران » . فيما عدا ل : « المشاون » تحريف .
(٣) نزت : وثبت . فيما عدا ل : « تدب » محرف .
(٤) فيما عدا ل : « ثمانى » وهما لغتان صحيحتان .
(٥) ط : « وستة أرجل » صوابه في سائر النسخ ، إذ الرجل مؤنثة .
(٦) ل : « عشرة » وهو خطأ .
(٧) ل : « الشهوة لا العلاج » وكلمة « لا » ساقطة من س .
(٨) نهر بط بالأهواز ، قيل كان عنده مراح البط . فيما عدا ل : « لط » تحريف . وانظر ياقوت .
(٩) في ربط : أي مربوطة . ويصح أن تقرأ بالضم جمعاً لرباط مع إسكان الباء للشعر . على أنها كالثابتة لطول الليل عليه . فيما عدا ل : « ربط » بالياء ، تصحيف .

من البَعُوضِ ومن التخطِّي⁽¹⁾ إذا تَغَنَّيْنَ غِناءَ الزُّطِّ⁽²⁾ ١٢٣
ومُنّ متى بمكانِ القُرْطِ قُتِنْ بوقعٍ مثلِ وقعِ الشَّرْطِ⁽³⁾

وقال أيضاً :

إذا البعوضُ زَجِلَت أصواتُها⁽⁴⁾ وأخــذَ اللحنَ مغنّياتُها
[لم تطرب السامعَ خافضاتُها⁽⁵⁾] [وأرّق العينين رافعاتُها⁽⁶⁾]
كلُّ زَجُولٍ تُتَّقى شَذاتُها⁽⁷⁾ صغيرةٌ ، عظيمةٌ أذاتُها⁽⁸⁾
تنقُص عن بُغيتها بُغاتُها⁽⁹⁾ ولا تصيبُ أبداً رُماتُها⁽¹⁰⁾
راعفةٌ ، خُرطومُها قناتُها⁽¹¹⁾

---

(١) التخطي : أن يمشي نفسه بعطفه . مه : «التخطي» ط ، هو : «التخطي» صوابهما في ل.

(٢) الزط ، بالضم : جيل من الهند ، معرب «جت» بالفتح ، قال صاحب القاموس : «والقياس يقتضي فتح معربه . وقال الخوارزمي في الكلام على طبقات الهند : «الزط هم حفاظ الطرق، وهم جنس من السند يقال لهم : جتان» . انظر مفاتيح العلوم ص ٧٤. وفي معجم استينجاس ٣٥٦ أن «جت» اسم لجنس هندي حقير :
(Name of a despised race called Jauts in Hindustan) .

(٣) ط ، مه : «توقع متى» هو «يرتع متى» صوابها في ل ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) .

(٤) زجلت ، بالكسر : رفعت الصوت وطربت . فيما عدا ل : «أرى البعوض» صوابه في ل ونهاية الأرب (١٠ : ٣٠٢) وديوان المعاني (٢ : ١٤٨) ومجموعة المعاني ١٩٦ .

(٥) أي خافضات الأصوات . البيت من ل والمصدرين السابقين .

(٦) هذا البيت من نهاية الأرب وديوان المعاني فقط .

(٧) الشذاة : الأذى والأذى ، وجمعه الشذا . ط : «حداتها» مه : «يتقى بحداتها» هو : بالمهملة.

(٨) مه : «أداتها» بالمهملة .

(٩) ط ، س : «تنتهيا لماتها» ، هو : «تنهيا نماتها» صوابه في ل والمصادر السابقة .

(١٠) فيما عدا ل : «ولا تصاب» . وفي نهاية الأرب وديوان المعاني : «ولا يصيب» .

(١١) الراعفة : ذات الرعف ، والراعف : ذو الرعف . القناة : الرمح .

وأنشدني جعفر بن سعيد(١) :

ظَلِلْتُ بالبصرة في تَهَوّاش(٢) … وفي براغيثَ أذاها فاشي(٣)
من نافر منها وذي احتياش(٤) … يرفع جَنْبَيَّ عن الفراش
فأنا في حَكٍّ وفي تَخْراش(٥) … تتركُ في جنبيَّ كالخراش(٦)
وزوجةٍ دائمةِ الهراش(٧) … تغلي كَغَلْيِ المِرْجَلِ النَّشَّاشِ(٨)
تأكلُ ما جمَّعْتُ من تَهباشي(٩) … يا أمَّ معروفٍ حَمُوشٌ ناشِ(١٠)

وقال رجل من [بني] رِمَّانَ ، وقع في جُنْد الثغور :

أأنصُرُ أهلَ الشام ممن يكيدُهم … وأهلي بنجدٍ ساءهُ ذاك من نصرِ(١١)

---

(١) سبقت ترجمته في (٢ : ٤٦٩) .

(٢) التهواش : تفعال من الهوش ، وهو الاختلاط ، يعني أنه في أمر مختلط . فيما عدا ل : « هراش » . والهراش : القتال ، وأصله هراش الكلاب .

(٣) الفاشي : المنتشر . ط : « افشا » صوابه في سائر النسخ .

(٤) يقال للناس إذا كثروا بمكان فأقبلوا وأدبروا واختلطوا : رأيتهم يحتشون ، وكذلك الجراد ، وتقول إن البراغيث لتحتش تحت جنبي فتؤذيني بلحاشها . انظر اللسان . فيما عدا ل : « احتباش » . والاحتباش : أن يلتهب غضبا . ووجهه ما أثبت من ل .

(٥) تخراش : تفعال من الخرش ، والخرش كالخدش وزنا ومعنى ، ومعناهما الخمش ، وهو مزق الجلد والتأثير فيه بالأظفار ونحوها . ط ، س : « في جد وفي تمراش » ، هو : « في جد وفي تمواش » ، صوابهما في ل .

(٦) الخراش : جمع خرش . وانظر التنبيه السابق . ط فقط : « كالخداش » .

(٧) الهراش : القتال ، وأصله الكلاب كما سبق .

(٨) المرجل : القدر . والنشاش : التي تنش ، أي يصوت عند الغليان .

(٩) التهباش : تفعال من الهبش ، وهو الجمع والكسب . فيما عدا ل : « تهفاش » تحريف .

(١٠) الحموش : المهوش . والناش : الناهش ، شبهها بالبعوض . ل : يا أم معروف خموش ناش ، وفيما عدا ل : « يلم معروف خموش ناش » ولعل الصواب فيما أثبت .

(١١) فيما عدا ل : « فذاك حرص على النصر » تحريف .

بَراغيثُ تُرْذِينِي إذا الناسُ نَوَّموا　　وبَقٌّ أقاسيه على ساحلِ البحرِ[١]
فإن يكُ قرضٌ بَعدها لا أعُدُّ لَهُ　　وإن بذلوا حُمْرَ الدنانيرِ كالجمْرِ[٢]

باب
في العنكبوت

قال الله عز وجل : ﴿ [مَثَلُ] الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ[٣] ﴾ ثم قال على أثر ذلك : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ[٤] ﴾ يريد ذكره بالوهن . وكذلك هو . [و] لم يُرِدْ إحكام الصنعة في الرِّقَّة والصَّفاقة[٥] ، واستواء الرقعة[٦] ، وطول البقاء ، إذا كان لايحمل فيه تساوُرُ الأيام[٧] ، وسَلِمَ من جنايات الأيدي[٨] .

---

(١) أرذاه : هزله وأضعفه ، وأرذاه المرض : ثقل عليه . هو : « ترذفني » ، تحريف . ط : هو « ترذيني » وأثبت ما في ل . وفيها عدا ل : « على جانب البحر » .

(٢) القرض : جمع يفترضون فتكون لهم عطايا مفروضة . والفرض أيضاً : السلفة المرسومة . فيما عدا ل : « فإن يك قرضاً بعده لا تعده » تحريف .

(٣) الآية ٤١ من سورة العنكبوت .

(٤) الآية ٤٣ من سورة العنكبوت ، وبين هذه الآية وسابقتها آية : (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم) .

(٥) الصفاقة : الكثافة . ل : « الدقة » بدل « الرقة » .

(٦) ط ، هو : « الرقعة » بالقاف . س : « الرقة » تحريف ماأثبت من ل .

(٧) فيما عدا ل : « إذا كان لا يحمل فيه إلا تساور الأيام » محرف .

(٨) فيما عدا ل : « من جناة الأيدي » تحريف .

(شعر فى العنكبوت)

وقال الحدّانىّ[1] :

يُزهِّدُنى فى وُدّ هارونَ أنه ... غذَتْهُ بأطباءٍ مُلَمَّعَةٍ عُكْلُ
١٢٤ كأنّ قفا هارونَ إذ قامَ مُدْبِراً ... قفا عنكبوتٍ سُلَّ من دُبْرِها غَزْلُ
ألا ليتَ هاروناً يسافرُ جانباً ... وليس عَلَيَّ هارونَ خفٌّ ولا نعْلُ[2]

وقال مزرّدُ بنُ ضرار :

ولو أنّ شيخاً ذا بَنِينَ كأنّما ... على رأسِه من شاملِ الشَّيْبِ قَوْنَسُ[3]
ولم يَبْقَ من أضراسه غيرُ واحدٍ ... إذا مَسَّهُ يَدْمَى مِرارًا ويَضْرَسُ[4]
تبيَّتُ فيه العنكبوتُ بناتِها ... نواشئَ حتى شِبْنَ أو هُنَّ عُنَّسُ[5]
لظَلَّ إليها رانياً وكأنه ... إذا كشَّ ثورٌ من كريصٍ مُنَمَّسُ[6]

---

(١) الحدانى ، بضم الحاء — ويروى بفتحها — وتشديد الدال : نسبة إلى بنى حدان ، وهم بطن من قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وانظر اللسان والقاموس . والمعروف بهذه النسبة أوس بن مغراء القريعى السعدى ، مخضرم شهد الفتوح وبقى إلى أيام معاوية . انظر الإصابة ٤٩٥ وابن سلام ١٧٧ وابن قتيبة فى الشعراء ١٦٢ وتاج العروس (٢ : ٣٣٣) نقلا عن الدارقطنى والحافظ . فيما عدا ل : « الحدانى » .

(٢) فيما عدا ل : « يسافر سانيا » .

(٣) القونس : مقدم بيضة السلاح أو أعلاها . فيما عدا ل : « قرنس » تحريف .

(٤) الضرس ، بالتحريك : خور وكلال يصيب الضرس أو السن عند أكل الشيء الحامض . س : « مدارا » بدل « مرارا » تحريف .

(٥) العانس : التى تجاوزت سن الفتاء . جمعه عُنْس وعنوس وَعُنَّس .

(٦) رانيا : من رنا يرنو أدام النظر . كش : صوت ، يقال كش الضب والورل والضفدع يكش كشيشاً : صوت . شبه ذلك الشيخ بصوت هذا الحيوان . والثور : القطعة من الأقط ، وهو لبن جامد مستحجر . والكريص : الأقط المصوع المتلق . والمنمس ، كمحدث : الذى فسد وتغير وأنتن . شبه رائحة فم هذا الشيخ برائحة الأقط الفاسد . يقول : إنه مع شيخوخته ويأس النساء منه ويأسه منهن ، فإنه إذا رأى هذه المرأة فهو لا يزال يرنو إليها ويؤخذ بجمالها . ل : « لظل النهار آنيا » . س : « لظل إليها =

(أجناس العنكبوت ونسجها)

قال : ومن أجناس العنكبوت[١] جنس رديء التدبير ، لأنه ينسجُ سترهُ [على وجه] الأرض ، والصخور[٢] ، ويجعله [على ظهر الأرض] خارجا ، وتكونُ الأطرافُ داخلة . فإذا وقع عليه شيء مما يغتذيه من شكل الذّبّان[٣] وما أشبه ذلك أخذه[٤] .

وأما الدقيق الصّنعة[٥] فإنه يصمدُ بيته ويمدُّ السُّدَّة ناحيةَ القرون والأوتاد[٦] ، ثم يسدّى من الوسط ، ثم يهيّئُ اللُّحمة ، ويهيّئُ مصيدتَه في الوسط ، فإذا وقع عليها ذبابٌ وتحرّكَ ما هناك ارتبط ونشِبت به[٧] ، فيتركه على حاله . حتى إذا وثق بوَهْنِهِ وضعْفه ، غَلَّه[٨] وأدخَلَه إلى خزانته . وإن كان جائعاً مصَّ من رطوبته ورمَى به . فإذا فرَغَ رمَّ ما تشعّثَ من نَسْجه .

وأكثرُ ما يقعُ على تلك المصيدة من الصَّيدِ عند غيبوبة الشمس .

= دائيا » . وفيما عدا ل : « إذا كش نور من كريس منمس » تحريف . ونحو هذا البيت قول الطرماح يصف وعلا :

وشاخص فاه الذعر حتى كأنه منمس ثيران الكريص الضوائن

(١) فيما عدا ل : « فذلك من أجناس العناكب » لكن في هـ : « العناكيب » .

(٢) فيما عدا ل : « ينسج شركه في الأرض والصخور » . وانظر (٤ : ١٧٧ س ٢) .

(٣) ط فقط : « الذباب » .

(٤) فيما عدا ل : « أكله » .

(٥) ل : « الرقيق الصنعة » بالراء .

(٦) فيما عدا ل : « ويمد الشعر ناحية العروق والأوتاد » .

(٧) في اللسان (٩ : ١٧٥) : « ارتبط في الحبل : نشب » ، من الحوال » . نشبت به : أي علقت الصيدة به . ط ، هـ : « وتشبث فيه » . س : « وتنشب ما فيه » وما في س تحريف . وأثبت ما في ل .

(٨) غله : أوثقه وقيده . ل : « حله » .

وإنما تنسجُ الأنثى . فأما الذكَرُ فإنه ينقُض ويُفسِد .

وولدُ العنكبوتِ أعجبُ من الفرُّوج ، الذى يظهر إلى الدنيا كاسباً[1] محتالاً مكتفياً .

قال : وولد العنكبوت يقومُ عَلَى النسج ساعةَ يولد .

قال : والذى ينسِجُ به لايخرجُ من جوفه ، بل من خارج جسده .

وقال الحذّانيّ[2] :

كأنّ فنا هارونَ إذْ قام مُدْبِراً فقاعنكبوت سُلَّ من دُبْرها غزْلُ

فالنحل ، والعنكبوتُ ، ودود القزّ ، تختلف من جهات ما يقال إنه يَخْرُج منها[3] .

(العنكبوت الذى يسمى الليث)

ومن العناكبِ جنسٌ يَصيدُ الذُّبابَ صَيد الفهود ، وهو الذى يسمى : « الليث » وله ستُّ عيون[4] . وإذا رأى الذُّبابَ لطِئَ بالأرض ، وسكَّنَ أطرافه . وإذا وثَبَ لم يخطئ . وهو من آفات الذّبّان[5] ، ولا يصيدُ إلا ذِبّانَ الناس .

---

(١) كاسباً : يكسب قوته بنفسه . فيا عدا ل : « كالسا » تحريف .

(٢) ط ، هو : « الجلدى » س : « الحدي » وأثبت ما فى ل . وانظر التنبيه الأول من ص ٤١٠ .

(٣) فيا عدا ل : « فى جهاتها يقال إنها » وبعد ذلك فى ط : « تخرج منها » بالتاء ، تحريف .

(٤) ط ، س : « وفيست بعيون » هو : « وليست لعيون » صوابهما فى ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٩١) . وزاد النويرى : « وثمانى أرجل » .

(٥) فيا عدا ل : « الذباب » . وفى ط بعد ذلك : « ولا يصيد إلا ذباب الناس » .

(ذِبّان الأُسد والكلاب)

وذِبّان(١) الأُسْدِ على حِدَة ، [وذِبّانُ الكِلابِ على حِدَة] ، وليس يقوم لها شيء . وهي أشدُّ من الزنابير ، وأضرُّ من العقارب الطيّارة(٢) .
وفيها من الأعاجيب أنها تعضُّ الأُسْدَ ، كما يعضُّ الكلبَ(٣) ١٢٥
ذِبّانُ الكَلْب .

وكذلك ذِبّانُ الكَلَأ ، لِمَا يغشى الكلأ من بعيد(٤) وغيرِ ذلك . ولها عضٌّ مُنْكَر ، ولا يبلغُ مبلغَ ذِبّانِ الأُسْد .

فمن أعاجيبها سوى شدّةِ عضّها وسَمّها ، أنها(٥) مقصورة على الأُسْد ، وأنها متى رأت بأسدٍ دماً من جراحٍ أو رمي(٦) ، ولو في مقدار الخُدَيش(٧) [الصغير] فإنها تستجمعُ عليه ، فلا(٨) تقلعُ عنه حتى تقتله .

وهذا شبيهٌ بما يُرْوَى ويُخبَر عن الذَّرّ ، فإن الذَّرّ متى رأتْ بحيّة خدْشاً لم تقلعْ عنه حتى تقتله ، وحتى تأكُلَه .

(ولوع النمل بالأراك)

ولقد أردتُ أنْ أغرِسَ في داري أراكةً ، فقالوا لي : إن الأراكة(٩)

---

(١) ط : « وذباب » .
(٢) فيما عدا ل : « الكبار » .
(٣) فيما عدا ل : « الأسد » تحريف . وكلمة « ذبان » حيثما وردت في ل فهي بهذا الرسم وأحياناً تطلق عليها بعض النسخ . فاكتفيت إلى نهاية هذا الباب ، بهذا التنبيه .
(٤) فيما عدا ل : « من بعد » تحريف .
(٥) فيما عدا ل « وأنها » والواو مقحمة .
(٦) فيما عدا ل : « متى رأت بالأسد دما من خراج أو جرح » .
(٧) الخديش : مصغر الخدش . فيما عدا ل « الخدش » .
(٨) فيما عدا ل : « ولا » .
(٩) فيما عدا ل : « الأراك » . والوجه الإفراد .

إنما تنبت من حبّ الأراك ، [وفى نباتها عُسْرٌ . وذلك أن حبّ الأرَاك][1] يغرس[2] فى جوفِ طين ، فى قواصِرَ[3] ، ويُسقى الماء أياما . فإذا نبتَ الحبُّ وظهر نباتُهُ فوق الطين ، وُضعت القَوْصَرَة كما هى فى جوف الأرض ولكنها[4] إلى أنْ تصيرَ فى جوف الأرض ، فإن الفرّ يطالبها[5] مطالبة شديدة . وإن لم تُحفظ[6] منها بالليل والنهار أفسدَتها .

فصنعْتُ إلى مثارات من صُفْر[7] من هذه المسارج[8] ، وهى فى غاية الملاسة واللِّين ، فكنتُ أضعُ القوصَرَة عَلَى التُّرسِ التى فوق العمود الأملس[9] ؛ فأجد فيها[10] الفرّ الكثير ، فكنتُ أنقُل المثارةَ من مكان إلى مكان ، فما أفلحَ ذاك الحبُّ .

(ضروب المناكب)

قال : والمناكب[11] ضروبٌ : فنها هذا التى يقال له الليث ، وهو

---

(١) هذه التكملة من ل ، س ، ه .

(٢) ل : « يغرق » .

(٣) القواصر : جمع قوصرة ، بفتح القاف والصاد والراء ، وهى لغة فى القوصرة بتشديد الراء . وهى وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوارى .

(٤) ط فقط : « وتمكن » . والكلام من هذه الكلمة إلى كلمة : « الأرض » ساقط من ه .

(٥) فيما عدا ل : « تطلبه » .

(٦) فيما عدا ل : « تحفظ » تحريف .

(٧) الصفر بالضم : النحاس الأصفر ، أو أجوده . ه « سكرات من صفر » ، تحريف .

(٨) المسارج : جمع مسرجة ، وهى التى فيها الفتيل . فيما عدا ل : « المسارح » تحريف .

(٩) فيما عدا ل : « الذى فيه الأملس » تحريف .

(١٠) أى فى القوصرة . فيما عدا ل : « فيه » والوجه ما أثبت .

(١١) فيما عدا ل : « العناكب » .

الذى يصيد الذّبّان صيد الفهد [1] ، وقد ذكرنا فى صدر هذا الكلام [2] حِذقه ورِفقه ، وتأتّيه وحيلته [3] .

ومنها أجناس [4] [طِوَالُ الأرجل ، والواحدةُ منها] إذا مشت على جلد الإنسان تبثَّر [5] . ويقال إن العنكبوت الطويلة الأرجل ، إنما [6] اتخذت بيتاً وأعدّت فيه للصايد [7] والحبائل ، والخيوطَ التى تلتفّ على مايدخُل بيتها من أصناف الذّبان وصغار الزنابير — لأنها حين علمتْ أنها لابدّ لها من قوت [8] ، وعرفت ضعفَ قوائمها ، وأنها [9] تعجِزُ عما يقوَى عليه الليث ، احتالت بتلك الحيل [10] .

فالعنكبوتُ ، والفأرُ ، والنحلُ ، [والذَّرّ] ، والنمل ، من الأجناس التى تتقدم فى إحكام شأنِ المعيشة .

[ومنها جنس ردىء ، مشنوء الصورة [11] ، غليظ الأرجل ، كثيراً مايكون فى المكان التّرِب من الصناديق والقماطر والأسفاط . وقد قيل : إنّ بينه و بين الحيّة ، كما بين الخنفساء والعقرب [12]] .

---

(١) فيما عدا ل : « الفهود » .
(٢) انظر ص ٤١١ — ٤١٢ . فيما عدا ل : « هذا الكتاب » تحريف .
(٣) يقال تأتّى لحاجته : إذا ترفّق لها وأتاها من وجهها . ط فقط : « وتأتيه » وبعدها فيما عدا ل : « خطه » . والختل : الخداع .
(٤) فيما عدا ل : « جنس » .
(٥) تبثّر : ظهرت فيه بثور . وفيما عدا ل : « إذا مشى على جلد الإنسان سم » .
(٦) ط فقط : « إنما » تحريف .
(٧) هو : « المصائد » بالهمز ، وانظر (٤ : ٤٣ ، ١٤٢ و ٥ : ٢٤٥) . ل : « للصايد » محرفة .
(٨) فيما عدا ل : « من القوت » .
(٩) فيما عدا ل : « وإنما » تحريف .
(١٠) ل : « وتلك الحيل » بحذف الباء .
(١١) المشنوء : البغيض المكروه .
(١٢) العقارب تأوى مع الخنافس وتسالمها . انظر (٤ : ٢١٧) وهذا الجزء ص ٢٥٥ س

وإناث العناكب[1] هى النواسج : [تغزل وتنسج] . والذَّكَرُ [أخرق] ينقضُ ولا ينسِجُ . وإن كان [ما قال صاحب المنطق حقًّا فما أغربَ الأعجوبةَ فى ذلك ، وذلك أنه زعم أن العنكبوت تقوى] على النَّسج ، وعلى التقدم فى إحكام شأن المعاش حين تولد[2] .

(الكاسب من أولاد الحيوان)

وقالوا : وأشياء من أولاد الحيوان تكونُ عالمةً بصناعتها ، عارفة بما يُعيشها ويُصلحها ، حتى تكون فى ذلك كأمهاتها وآبائها ، حين تخرجُ إلى الدنيا ، كالفرُّوج من وَلَدِ الدجاج ، والحِسْل من ولد الضَّباب ، وفرخ العنكبوت .

وهذه الأجناسُ ، مع الفأر والجرذان ، [هى] التى من بين جميع الخلق تدّخرُ لنفسها ما تعيش به من الطُّعم[3] .

١٢٦ جملة القول فى النحل[4]

زعمَ صاحبُ المنطق أن خليةً من خلايا النحل[5] فيما سلفَ من الزمان ، اعتلتْ ومَرِض ما كان فيها من النحل ، وجاء نحلٌ من خليةٍ

---

(١) فيما عدا ل : « العناكب » .
(٢) فيما عدا ل : « يولد » تحريف . والكلام بعد ذلك إلى كلمة : « العنكبوت » ساقط من ل .
(٣) الطعم ، بالضم : الطعام . فيما عدا ل : « يدخر لنفسه مايعوله من الطعم » تحريف .
(٤) ط ، هو : « باب فى النحل » وس : « باب » فقط . وأثبت ما فى ل .
(٥) ل : « من خلايا النحل »

أخرى يقاتلُ هذا النحل حتى أخرجت العسل ، وأقبل القيِّمُ على الخلايا يقتل ذلك النحلَ الذى جاء إلى خليته[١] .

قال : فخرج النحلُ من الخليَّة يقاتلُ النحلَ الغريبَ ، والرجل بينها[٢] يطردُ الغريب ، فلم تلسعه نحل[٣] الخليَّة التى هو حافظُها ؛ لدفعه المكروهَ عنها .

قال : وأجودُ العسل[٤] ما كان لونه لون الذهب .

(نظام النحل)

قال : والنحل تجتمع[٥] فتقسم الأعمال بينها ، فبعضها يعملُ الشمع ، وبعضها يَعْمَلُ العسل ، وبعضها يبنى البيوتَ ، وبعضها يَسْتَقِى[٦] الماء ويصبُّه فى الثَّقْب[٧] ، ويلطخه بالعسل .

ومنه ما يبكِّرُ إلى العمل . ومن النحل ما يَكُفُّهُ[٨] حتى إذا نهضَتْ واحدةٌ طارت كلها . يقال : « بكَرَ بُكورَ اليعسوب » يريد أمير النحل[٩] لأنها تتبعه غُدوةً إلى عملها .

---

(١) الكلام من : « وأخرجت » إلى : « الذى » ساقط من س . وفيما عدا ل : « فأقبل » بدل : « وأقبل » و : « يقاتل » بدل : « يقتل » . خليته : أي خلية القيم . وفيما عدا ل : « غير خليته » أى غير خلية هذا النحل الطارئ . فالعبارتان سيان .

(٢) بينها : أى بين النحل جميعاً . وفيما عدا ل : « بينهما » أى بين الطائفتين .

(٣) ط فقط : « نحلة » تحريف .

(٤) فيما عدا ل « فأجود العسل » .

(٥) فيما عدا ل : « يجتمع » والأوفق ما أثبت من ل .

(٦) يستقى : يأخذ الماء من النهر والبئر . وفيما عدا ل : « يسقى » تحريف .

(٧) الثقب ، بالضم . ويقال أيضاً ثقب ، بضم ففتح .

(٨) يكفه : يجمعه . وفى حديث الحسن : « كفه بخرقة » أى اجمعها حوله . وفى الحديث : « المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته » أى يجمع عليه معيشته ويضمها إليه . وفيما عدا ل « يكف » .

(٩) الذى يعرفه العلماء أن النحل أميرة أنثى . ولكن العرب وهمت فى جعلها أميرة النحل .

ومنها ما ينقل العسل من أطرافِ الشجر[١] ، ومنها ما ينقل الشَّمعَ الذى تبنى به ، فلا تزالُ فى عملها حتى إذا كان الليل آبت إلى مآبها[٢] .

قال : والأرْى : عمل العسل . يقال : أرت تأرى أرْياً . والأرْى فى غير هذا الموضع : القىء[٣] . وقال أبو ذؤيب :

[بأرْى التى تأرِى إلى كل مَغْرِبٍ إذا اصفرَّ ليطُ الشمس حان انقلابُها[٤]

ومغارب : جمع مغرب . وكل شىء واراك من شىء فهو مَغرب ، كما جعله أبو ذؤيب . والأصل مغرب الشمس . وقال أبو ذؤيب[٥]] :

فبـــاتَ بجَمْعٍ ثُمَّ تمَّ إلى مِنًى
فأصبحَ راداً يبتغى المزْجَ بالسَّحْلِ[٦]

المزْجُ[٧] : العسل . والسَّحْل : النقد[٨] .

---

(١) ط : « من الأطراف » . هو : « من أطراف » بإسقاط كلمة « الشجر » فيهما . وأثبت ما فى ل ، سه .

(٢) ط : هو : « أتت إلى مأبها » سه : « أتت إلى مابها » صوابهما فى ل .

(٣) أى قىء النحل ، وهو العسل الذى تلفظه من أجوافها . ط ، سه : « الفنا » هو : « الفنا » صوابهما فى ل .

(٤) ليط الشمس : لونها . وأصل الليط القشر اللازق بالشجر . انقلابها : رجوعها . وفى الكتاب : (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) . والبيت فى اللسان (٩ : ٢٧٢) وأشعار الهذليين (١ : ٥) .

(٥) يصف رجلا حاجا طلب عسلا . انظر اللسان (٤ : ١٦٩ و ١٣ : ٢٥٠) وأشعار الهذليين (١ : ١١) . وقبل هذا البيت :

فجاء بها كيما يوفى حجه نديم كرام غير نكس ولا وغل

(٦) ضمير « بات » التاجر . وفى الأصل : « فباتت » تحريف . وجمع ، بالفتح : وهو المزدلفة . وتم : بلغ . وفى اللسان (١٤ : ٣٣٤) : « يقال تم إلى كذا وكذا أى بلغه » . ط ، هو : « تمّ » تحريف . ورواية اللسان فى الموضع الثانى وكذا المخصص (٢ : ١١٥ ، ١٢ : ٢٩) : « ثم آب » . رادا : من الرود ، وأصله طلب الكلأ . أراد طالبا ، كما فى اللسان (رود) . هو : « زادا » سه : « زاغا » ط : « زارا » صوابه فى ل وسائر المصادر . والمزج والسحل ، سيفسرهما الجاحظ . فيما عدا ل : « المرج بالسحل » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « المرج » وإنما هو « المزج » بالزاى والجيم .

(٨) السحل ، بالمهملة . والنقد : واحد النقود . فيما عدا ل : « والسخل المنفرد » تحريف .

(ماله رئيس من الحيوان)

ومن الحيوان ما يكون لكل جماعة منها رأس وأمير ، ومنها ما لا يكون ذلك له . فأما الحيوان الذى لا يجد بدًّا ولا مصلحة لشأنه إلا فى اتخاذ رئيس ورقيب[1] فمثل ما يصنع الناس[2] ، ومثلُ ما تتخذ[3] النحلُ والغَرانيق ، والكَرَاكيّ .

فأما الإبل والحمير والبقر ، فإن الرياسة لفحل الهَجْمة[4] ، ولعَير العانة[5] ، ولثَور الرَّبْرَب[6] . وذكورتها لا تتخذ الرُّقباء من الذُّكورة . ١٣٧

و[قد] زعم ناس أن الكراكيّ لا تُرَى أبداً إلا فُرادَى[7] فكأنّ[8] الذى يجمعها الذكر ، ولا يجمعُها [إلا] أزواجاً .

ولا أدرى كيف هذا القول ؟!

والنحل أيضاً تسير بسيرة الإبل[9] والبقر والحمير ، لأن الرئيس هو الذى يورِدُها ويُصْدِرها وتَنْهَضُ بنهوضه ، وتقع بوقوعه[10] . واليعسوب

---

(١) ط ، هو : « الذى لا تجد بدا » صوابه فى ل ، سـ . وبعد ذلك فيما عدا ل : « ولا مصاحبة لشأنه إلا باتخاذ رئيس ورقيب » تحريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفى الأصل : « مثل ما يصنع » والوجه إدخال الفاء لتكون فى جواب « أما » .

(٣) فيما عدا ل : « يتخذ » .

(٤) الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل ، وقيل ما بين الثلاثين والمائة .

(٥) العانة : جماعة حمر الوحش .

(٦) الربرب : القطيع من بقر الوحش .

(٧) سـ : « لا تتخذ » بدل « لا ترى » تحريف . ل : « فردا » مكان « فرادى » .

(٨) فيما عدا ل : « وكأنه » بالواو وبدون همز .

(٩) فيما عدا ل : « والنحل رئيس يسير بسيره الإبل » لكن فى هو : « بسيرة » تحريف .

(١٠) فيما عدا ل : « ويقعن بوقوعه » .

هو خلفُها[١] . فترى كما ترى ، سائر الحيوان الذى يتخذ رئيساً[٢] إنما هى إناث الأجناس ، [إلا الناس] ؛ فإنهم يعلمون أن صلاحهم فى اتخاذِ أمير وسيدٍ ، ورئيس .

وزعم بعضهم أن رياسة اليعسوبِ ، وفحلِ المَعَجمة ، والثورِ ، والعَيرِ ، لأحد أمرين : [أحدهما] لاقتدار الذَّكر على الإناث ، والآخر لما فى طباع الإناث من حبّ ذكورتها .

ولولم تتأمَّرْ [عليها] الفحولُ لكانت هى لحبّها الفحولِ تغدو بغدوِّها ، وتَرُوح برَوَاحها .

قالوا : وكذلك الترانيق والكراكىّ[٣] . فأما ما ذكروا من رؤساء الإبل والبقر والجواميس والحمير[٤] ؛ فما أبعدهم فى ذلك من الصواب .

وأما [إلحاقهم] الترانيقَ والكراكىّ بهذه المنزلة[٥] فليس على ما قالوا .

وعلى أنّا لانجدُ بُدًّا من أن نعلم أن ذكورتها أقوى على قَسرِ الإناث وجمعها إليها[٦] من الإناث .

وعلى أنه[٧] لابد من أن يكون بعض طاعة الإناث لها من جهة ما فى طباعها من حبّ ذكورتها .

---

(١) انظر التنبيه ٩ من الصفحة ٤١٧ .
(٢) فيما عدا ل : « جميع الحيوان الذى تتخذ رئيسا » .
(٣) الكلام بعد هذه إلى كلمة : « الكراكى » التالية ساقط من س .
(٤) كلمة : « والجواميس » ليست فى ل . وفى ط ، هو : « والحمير والنحل » . وكلمة : « النحل » مقحمة تفسد المعنى .
(٥) ل : « بهذه الرؤساء » .
(٦) إليها : أى إلى الذكورة . وفى الأصل : « إليه » .
(٧) ل : « ولأنه » .

ولو كان اتخاذ الغرانيق والكراكيّ الرؤساء والرقباء[1] إنما علمته للمرفة — لم يكن للغرانيق والكراكيّ في المعرفة فضلٌ على الذَّرّ والنمل ، وعلى الذئب [والفيل] ، و[على] الثعلب والحمام .

أما الغنم فهى أغثرُ وأموَقُ[2] من أن تجرى فى باب هذا القول .

وقد تخضع الحيّاتُ للحية ، والكلاب للكلب ، والديوكُ للديكِ ، حتى لا تَرُومَه[3] ولا تحاول مدافعته .

(قصة فى خنوع الكلاب)

ولقد خرجتُ فى بعض الأسحار فى طلبِ الحديث[4] ، فلما صرتُ فى مربّعة[5] الحلّة ، ثار إلىّ عِدّةٌ من الكلابِ[6] ، من ضخامها ، ومما يختارُه الحُرّاس . فبينا أنا فى الاحتيال لهنّ [وقد غشينَنى] إذ سَكَتْنَ[7] سكتةً واحدة معاً ، ثم أخذ كلٌّ واحد فى شق ، كالخائف المستخفى ، وسمعت نغْمة إنسان[8] ، فانتهزتُ تلك الفُرصةَ من إمساكهنّ عن النُّباح ، [فقلتُ] : إنّ هٰهنا

---

(١) فيما عدا ل : « ولو كان اتخاذ الكراكى والغرانيق والرقباء الرؤساء » لكن فى سه : « بالرؤساء » . وفيه تحريف .

(٢) أغثر : أى أشد حمقاً وجهلا . ط « أغره » من الغرارة وهى الغفلة وضعف التجربة . و : « أغثره » سه : « أعثر » وهذا التحريف يؤيد صحة النص الذى أثبت من ل .

(٣) يقال رومه وروم به : جعله يطلب . يعنى أنها تكلفه بمزونة الطلب .

(٤) سه : « أطلب الحديث » .

(٥) المربعة : كأنه يراد به الموضع المربع . انظر ياقوت .

(٦) فيما عدا ل : « ثار إلى من الدار عدة كلاب » .

(٧) فيما عدا ل : « سكتوا » .

(٨) النغم ، محركة وتسكن : الكلام الخفى ، الواحدة بهاء . ط : « نفحة » محرف .

لَيلةً] ! إذ أقبلَ رجلانِ ومعهما كلبٌ أزبُّ[1] ضخمٌ [دَوسر[2]] ، وهو في ساجور[3] ، لم أرَ كلباً قط أضخم منه . فقلت : إنهنَّ إنما أمسَكن عن النُّباح وتستَّرن[4] ، من الهيبة له ! وهي مع ذلك لا تتخذ رئيساً .

(سادة الحيوان)

ورُوِي عن عبّاد بن صهيب[5] ، عن عوف بن أبي جميلة[6] ، عن قَسامةَ بن زُهير قال : قال أبو موسى[7] : « إن لكل شيء سادة [حتى إن للنمل سادة[8]] . فقال[9] بعضهم : سادة النمل : المتقدِّمات . وهذا تخريج[10] ، ولا ندري ما معنى ما قال أبو موسى[11] في هذا .

١٢٨ ولو كان اتخاذُ الرئيس من النحل ، والكراكيّ ، والغرانيق ، والإبل والحمير ، والثيران[12] ، لكثرةِ ما معها من المعرفة — لكانت القرود ، [والفيلة] والذرّ ، والثعالبُ ، أولى بذلك . فلا بد من معرفةٍ ، ولابد من طباعٍ وصنْعة .

---

(١) أزب : من الزبب ، وهو كثرة الشعر وطوله .

(٢) دوسر : ضخم شديد .

(٣) الساجور : القلادة أو الخشبة التي توضع في عنق الكلب ، يقال كلب مسوجر .

(٤) فيما عدا ل : « فقلت أنهن إنما سكتن عن النباح واستترن » .

(٥) عباد بن صهيب البصري ، أحد المتروكين ، يروى عن هشام بن عروة ، والأعمش ، وكان قدريا ، روى عنه أحمد بن روح مائة ألف حديث . وكنيته أبو بكر . ومن الرواة من إذا روى عنه يقول : حدثنا أبو بكر الكلبي . مات قريبا من سنة اثنتي عشرة ومائتين . لسان الميزان (٣ : ٢٣٠ — ٢٣١) .

(٦) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم ، تقدمت ترجمته في (٤ : ١٩) .

(٧) هو أبو موسى الأشعري ، كما سبق في الحديث في (٤ : ١٩) .

(٨) هذه التكملة من ل وبما سبق (٤ : ١٩) .

(٩) فيما عدا ل : « وقال » .

(١٠) تخريج : أي تأويل وتفسير . وفيما عدا ل : « يخرج » تحريف .

(١١) فيما عدا ل : « ولا يدرى » وبعده في س ه : « ما معنى أبي موسى » .

(١٢) فيما عدا ل : « والبقر » .

والحمام يُزَجَّلْن من لُؤلؤة[(١)]، وهنّ بَصريّات و بغداديّات[(٢)]، وهنّ تُجّاعٌ من هاهنا وهاهنا[(٣)]، فلا تتخذ رئيساً.

(طعن ناس من الملحدين فى آية النّحل)

وقد طعنَ ناسٌ من الملحدين، وبعضُ من لاعلم له بوجوه اللغة وتوسُّع العرب فى لُغتها، وفَهْمِ بعضها عن بعض، بالإشارة والوحى — فقالوا: قد علمْنا أن الشمع شىء تنقله النحل[(٤)]، مما يسقط على الشجر، فتبنى بيوت العسل منه[(٥)]، ثم تنقل[(٦)] من الأشجار العسل الساقط عليها، كما يسقط التَّرَنْجُبين، والمنُّ[(٧)]، وغير ذلك. إلا أن مواضعَ الشمع وأبدانه[(٨)]

(١) لؤلؤة: قلعة قرب طرسوس. وانظر (٣ : ٢١٥ س ٣). يزجلن: يرسلن على بعد. ط، هـ: «يزجل» س: «توجل» بالإهمال، صوابهما فى ل.

(٢) فيما عدا ل: «بغداديات» بمهملتين.

(٣) فيما عدا ل: «من ها هنا ومن ها هنا».

(٤) فيما عدا ل: «ينقله النحل» بالياء.

(٥) فيما عدا ل: «فيبنى بيوت النحل منه».

(٦) فيما عدا ل: «ثم ينقل».

(٧) الترنجبين، بفتح التاء والراء وضم الجيم وفتحها، وفى ل فقط: «الطرنجبين»: مادة تتجمع فوق بعض النبات شبيهة بالعسل. وهو بالفارسية: «تَرَنْگُبين» تأويله العسل الندى، مركب من «تَرّ» بمعنى ندى، و«انگُبين» بمعنى العسل. وهو مثل «المن» الذى جاء فى قول الله: (وأنزلنا عليكم المن والسلوى) وقد فسر أبو حيان المن فى الآية بأنه الترنجبين، وقال: «وعليه أكثر المفسرين» وقد فسرت الكتب القديمة الترنجبين والمن بأنهما طل يقع على الأشجار، وهو تفسير ساذج، وإنما هو إفراز صمغى حلو لبعض النبات. كما فى معجم القرن العشرين: A sweet Juice or gum got from many trees. والمن عبرى الأصل، ولفظه فى العبرية: «مَن». بفتح الميم. انظر سفر الخروج فى النسختين العبرية والعربية (١٦ : ١٣ — ٣٦). وفيه أن المن «شىء دقيق مثل قشور. دقيق كالجليد على الأرض» و «هو كبزر الكزبرة أبيض وطعمه كرقاق بعسل» و «إذا حميت الشمس كان يذوب». ومنه أخذت العربية، والإنجليزية: Manna والفرنسية: Manne.

(٨) ط، س: «وآثاره» هـ: «وأثرانه» صوابهما ما أثبت من ل.

[خفيٌّ . وكذلك العسلُ] أخفى وأقلّ . فليس العسل بقيء ولا رجيعٍ[1] ، ولا دخَلَ النحلة في بطنٍ[2] قطُّ .

وفي القرآن قول الله عز وجل : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[3] ﴾ .

ولو كان إنما ذهبَ إلى أنه شيءٌ يُلتقَطُ من الأشجار ، كالصموغ وما يتولد من طِباع الأنداء والأجواء[4] والأشجار إذا تمازجت[5] — لما كان في ذلك عجب إلا بمقدار[6] مانجده في أمور كثيرة .

(دعوى ابن حائط في نبوة النحل)

[قلنا : قد زعم ابن حائط[7] وناسٌ من جُهّالِ الصوفيّة ، أن في النحل أنبياء ؛ لقوله عزوجل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ . وزعموا أن الحواريِّينَ كانوا أنبياء لقوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ[8] ﴾ .

[قلنا] : وما خالف [إلى] أن يكون في النحل أنبياء ؟ ! بل يجبُ أن تكون النحل كلها أنبياء ، لقوله عز وجل على المخرج العامّ : ﴿ وَأَوْحَى

(١) الرجيع : النجو والروث وفو البطن . ط فقط : « الرجيع » وهما بمعنى .
(٢) إلى هنا ينتهى كلام الملحدين ، وما بعده رد الجاحظ عليهم .
(٣) الآيتان ٦٨ ، ٦٩ من سورة النحل .
(٤) الأجواء ، جمع جو . ط ، س : « والأهواء » هو : « والأجواء » صوابهما في ل .
(٥) فيما عدا ل : « إنما تمازجت » تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « بقدر » .
(٧) هو أحمد بن حائط المترجم في (٤ : ٢٨٨) . فيما عدا ل : « ابن حائك » تحريف وقد رسمت في ل : « حايط » بالتسهيل .
(٨) الآية ١١١ من سورة المائدة .

رَبُّكَ إلى النَّحْلِ ﴾ ، ولم يخصَّ الأمهات والملوكَ واليعاسيب ، بل أطلق القول إطلاقاً .

وبعدُ فإن كنتم مسلمين فليس هذا قولَ أحد من المسلمين . وإلا تكونوا مسلمين فلِمَ تجعلون[1] الحجة على نبوة النحلِ كلاماً هو عندكم باطل ؟!

(قول فى المجاز)

وأما قوله عز وجل[2] : « يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرَابٌ » فالعسلُ ليس بشرابٍ ،[3] وإنما [هو شيء] يحوَّلُ بالماء شراباً ، أو بالماء نبيذاً . فسماه كما ترى شراباً ، إذ كان يجئُ منه الشراب .

وقد جاء[4] فى كلام العرب أن يقولوا : جاءت السماء اليوم بأمر عظيم . وقد قال الشاعر[5] :

إذا سقط السماء بأرضِ قومٍ رعيناه وإن كانوا غِضَاباَ

فزعموا أنهم رعَوَنَ السماء ، وأنَّ السماء تسقط[6] . ٩٢٩

ومتى خرج العسلُ من جهةِ بطونها وأجوافها [فقد خرج فى اللغة من بطونها وأجوافها] .

---

(١) فيما عدا ل : « فلم تجعلوا » تحريف .
(٢) ل : « فأما قوله » فقط .
(٣) كلمة « وإنما » ساقطة من هـ : س .
(٤) فيما عدا ل : « جاز » .
(٥) هو معاوية بن مالك : معود الحكماء ، من قصيدة له فى المفضليات ، وهو البيت ٢٣ من القصيدة ١٠٥ طبع المعارف . وانظر الخزانة (٤ : ١٧٤) واللسان (١٩ : ١٣٢) . والرواية فيهما : « إذا نزل السماء » .
(٦) س ، هـ : « تسقطه » صوابه فى ل ، ط .

ومَن[1] حمل اللغة على هذا المركب ، لم يفهم عن العرب قليلا ولا كثيراً وهذا الباب هو مفخرُ العربِ في لغتهم ، وبه وبأشباهه اتسعت[2] . وقد خاطبَ بهذا الكلام أهل تِهامة ، وهُذيلا[3] ، وضواحِيَ كِنانة[4] . وهؤلاء أصحابُ العسل . والأعرابُ أعرَفُ بكل صَمْغة سائلة ، وعَسَلة ساقطة ، فهل سمعتم بأحد أنكر هذا الباب[5] أو طعَنَ عليه من هذه الجهة ؟!

(أحاديث في العسل)

[حُدِّثتَ عن] سُفيان الثَّوريّ ، قال حدّثنا أبو طُعْمة[6] عن بكر ابن ماعز[7] ، عن ربيع بن خُثَيْم[8] قال : « ليس للمريض عندى دواء إلا العسل » .

---

(١) فيما عدا ل : « ومن » تحريف .

(٢) ط ، هو : « وبأسبابه » تحرف . وقبلها فيما عدا ل : « وبه قال » . و « قال » مقحمة .

(٣) فيما عدا ل : « وهذيل » والصرف ومنعه جائزان .

(٤) ضواحي كنانة ، أي أهل البادية منهم . وفي حديث أبي هريرة : « وضاحية مضر مخالفون لرسول الله » أي أهل البادية منهم . وجمع الضاحية ضواح . انظر اللسان (١٩ : ٢١٤ س ١٧ — ١٨) . فيما عدا ل : « ضواحي نجد » .

(٥) فيما عدا ل : « هذا البيان » محرف.

(٦) اسمه هلال ، وهو أبو طعمة الشامي الأموي القاص ، وكان مولى عمر بن عبد العزيز ، حدث عن مولاه ، وعنه ابن لهيعة وغيره . انظر لسان الميزان (٦ : ١٠٨) .

(٧) هو بكر بن ماعز بن مالك ، ممن روى عن كبار التابعين وبعض الصحابة . روى عن الربيع ابن خثيم وعبد الله بن يزيد الخطمي الصحابي ، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي ، ويونس ابن أبي إسحاق ، وسعيد بن مسروق . قال العجلي : تابعي ثقة . تهذيب التهذيب (١ : ٤٨٦) .

(٨) سبقت ترجمته في (٢ : ١٦٣) و (٤ : ٢٩٢) . و « خثيم » بالتصغير.

[وعن] هشام بن حسان ، [عن الحسن] أنه كان يعجبه إذا استمشى الرجل[1] أن يشربَ اللبنَ والعسل .

إبراهيمُ بنُ أبي يحيى[2] ، قال : بلغني عن ابن عباس : « أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم سُئِل : أيُّ الشرابِ أفضل ؟ قال : الحلو البارد » .

و[سفيانُ] الثوريّ عن أبي إسحاق[3] ، عن أبي الأحوص[4] [عن ابن مسعود[5]] قال : [« عليكم بالشفاءين : القرآنِ والعسلِ[6] »]

[شعبة عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال[7]] : مضى رجل[8]

---

(١) استمشى : شرب المشي ، كغنى : الدواء المسهل .
(٢) إبراهيم بن أبي يحيى المكي . قال الحاكم : اسمه إبراهيم ، وكنيته أبو إسمعيل . واسم أبيه البسع ، وكنيته أبو يحيى ، ولقبه أبو حية . قال البخاري : منكر الحديث ، وقال النسائي : ضعيف ; وقال الدارقطني : متروك . انظر لسان الميزان (١ : ١٢٤ ثم ٥٢) .
(٣) هو أبو إسحاق السبيعي ، واسمه عمرو بن عبد الله الهمداني ، من بطن من همدان يقال لهم السبيع ، بهيئة التصغير ، روى عن جرير البجلي ، وعدي بن حاتم ، وجابر ابن سمرة ، وزيد بن أرقم ، وعنه ابنه يونس ، وقتادة ، وسليمان التيمي ، وأبو الأحوص . ولد في سلطان عثمان لثلاث سنين بقين منه ، ومات سنة سبع وعشرين ومائة وله خمس وتسعون سنة . لسان الميزان (٦ : ٧٨٢) والمعارف ١٩٩ وتهذيب التهذيب (٨ : ٦٣ — ٦٧) .
(٤) هو عوف بن مالك بن نضلة الجشمي ، أبو الأحوص الكوفي ، روى عن أبيه ، وعن علي ، وابن مسعود وأبي مسعود الأنصاري ، وأبي موسى الأشعري وغيرهم . وروى عنه ابن أخيه أبو الزعراء الجشمي ، وأبو إسحاق السبيعي ، ومالك بن الحارث السلمي ، وعطاء بن السائب . تاريخ بغداد ٦٧٢٣ وتهذيب التهذيب (٨ : ١٦٩) .
(٥) هذه التكملة من ل ، س .
(٦) هذه التكملة من ل ، س . والحديث صحيح ، رواه ابن ماجه ، والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود . الجامع الصغير ٥٥٣٤ .
(٧) هذه التكملة من ل ، س . لكن في س : « عن ابن إسحاق عن ابن الأحوص قال » . تحريف .
(٨) ل : « جاء رجل » .

إلى ابن مسعود فقال [1] : إن أخي يشتكي بطنَه ، وقد نُعِتَت [2] له الخمر . فقال : سبحان الله ! ما كان الله ليجعلَ شفاءه [3] في رجس ، و إنما جُعِلَ الشفاءُ في اثنين : في القرآنِ والعسل .

سعيد بن أبي عَرُوبة ، [عن قتادةَ] ، عن أبي المتوكِّل الناجيّ [4] ، عن أبي سعيد الخدريّ [5] : « أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال [6] : إن أخي يشتكي بطنَه ، فقال [عليه السلام] : اسقهِ عسلا . ثم أتاه فقال : قد فعلت . قال [7] : اسقهِ عسلا . ثم أتاه فقال : قد فعلتُ . فقال : اسقهِ عسلا . ثم أتاه الرابعةَ ، فقال : صدق الله وكَذَبَ بطنُ أخيك . اسقه عسلا ! فسقاه فبَرَأَ الرجُل » [8] .

قال : والذي يدلُّ على صحةِ تأويلنا لقول الله عز وجل : « يَخْرُجُ

---

(١) فيما عدا ل : « قال » بدون فاء ، في هذا الموضع والموضع التالي .

(٢) ل : « نعتت » .

(٣) ط فقط : « شفاء » .

(٤) هو علي بن داود — ويقال دواد — أبو المتوكل الناجي السامي البصري . روى عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عباس وجابر وعائشة . وعنه ثابت البناني وقتادة وبكر ابن عبد الله المزني وحميد الطويل . مات سنة ١٠٨ أو ١٠٢ . تهذيب التهذيب (٧ : ٣١٨) . والناجي : نسبة إلى بني ناجية بن لؤي ، القبيلة التي بالبصرة . انظر تاج العروس (١٠ : ٣٥٩) واللسان (٢٠ : ١٨٠ — ١٨١) .

(٥) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر — وهو خدرة بضم الخاء — ابن عوف بن الحارث بن الخزرج ، أبو سعيد الخدري ، صحابي جليل ، استصغر يوم أحد ، واستشهد أبوه بها ، وغزا هو فيما بعدها . روى حديثا كثيرا ، ولم يكن من أحداث الصحابة أفقه منه . مات سنة أربع وسبعين ، وقيل سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين . الإصابة (٣١٨٩ والمعارف ١١٦) .

(٦) فيما عدا ل : « قال » .

(٧) فيما عدا ل : « فقال » .

(٨) برأ : شفي ، ومثله برئ . فيما عدا ل : « فبرئ » وهو حديث صحيح ، رواه البخاري (٧ : ١٢٢) ومسلم (٢ : ١٨٦) وأحمد (٣ : ٩٢) .

مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ » أن المعجونات كلها إنما تكون بالعسل ، وكذلك الأنبجات[1] .

(نفع العسل)

وإذا أُلقي في العسل اللحمُ الغريضُ[2] فاحتاج صاحبه إليه بعد شهر أخرجَه طريًّا لم يتغير[3] .

وإذا[4] قطرَت منه قَطْرَةٌ على وجه الأرض ، فإن استدار كما يستدير الزِّئبقُ ، ولم يَتَفَشَّ[5] ، ولم يختلط بالأرض [والتراب] فهو الصحيح وأجوده الذهبيّ .

ويزعمُ أصحابُ الشراب أنهم لم يروا شرابًا قطُّ ألذَّ ولا أحسنَ ولا أجمعَ لما يريدون ، من شراب العسل الذي يُنْتَبَذُ بمصر[6] . وليس في الأرضِ تجارُ شرابٍ ولا غيرِ ذلك أيْسَرَ منهم .

وفيه أعجوبةٌ : وذلك أنهم لايعملونه إلا بماء النيل أكدرَ ما يكون . وكلما كان أكدرَ كان أصفى . وإن عملوه بالصافي فسد .

---

(١) الانبجات ، هي المربيات . قال الخليل : « الأنبج حمل شجرة بالهند يربب بالعسل على خلقة الخوخ ، محرف الرأس ، في جوفه نواة كنواة الخوخ ، يجلب إلى العراق ، فن هناك تسمى الانبجات وهي التي ربيت بالعسل ، من الأترج والإهليلج ونحو ذلك » مفاتيح العلوم ١٠٤ . والأنبج معرب « أنبه » . استينجاس ١٠٤ وأدى شير ١٥٠ وانظر المعرب ٤٣ .

(٢) الغريض : الطري . فيما عدا ل : « وبقي » بدل : « وإذا » .

(٣) فيما عدا ل : « أخرجه بعد شهر طريا لم يتغير » .

(٤) فيما عدا ل : « وأيما » .

(٥) لم يتفش من التفشي ، يقال تفشى الحبر إذا كتب على كاغد رقيق فمشى فيه . ل « لم ينفش » وضبط بالنون الساكنة والشين المشددة . وإنما الانفشاش زوال الانتفاخ من نحو الزق والورم ، فالوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٦) ل : « ينبذ » وهما صحيحان . وسمي نبيذاً لأنه ينبذ في وعاء أو سقاء ، عليه الماء ، ويترك حتى يفور فيصير مسكراً .

وقد يُلقَى العسلُ على الزَّبيب ، وعلى عصير الكَرْم[1] فيجوِّدهما .

(التشبيه بالعسل)

١٣٠ وهو المَثَلُ[2] في الأمور المرتفعة ، فيقولون : ماء كأنه العسل . ويصفُون كلَّ شيء حلوٍ ، فيقولون : كأنه العسل[3] . ويقال : هو معسول اللسان[4] . وقال الشاعر :

لسانُكَ معسولٌ ونفسُكَ شحَّةٌ ودون الثُّرَيّا من صديقِك مالُكا[5]

(التنويه بالعسل في القرآن)

وقال الله عز وجل في كتابه ، وذكر أنهار الجنة[6] ، فقال : ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى[7]﴾ فاستفتح[8] الكلام بذكر الماء ، وختمه بذكر العسل . وذكر الماء

---

(١) فيما عدا ل : « الخمر » .

(٢) فيما عدا ل : « وبه يضربون المثل » .

(٣) الكلام من : « ويصفون » إلى هنا ساقط من ل ، س .

(٤) ل : « ويقولون هو معسل اللسان » .

(٥) شحة : شحيحة ، والشح : البخل . وقد ساق ابن منظور هذا البيت شاهداً في اللسان (٣ : ٣٢٦) مع بيت تال ، وهو :

وأنت امرؤ خلط إذا هي أرسلت يمينك شيئاً أمسكته شمالكا

وأنشده الجاحظ في البيان (١ : ١٤٣) . و « دون » هنا بمعنى فوق . انظر اللسان (١٧ : ٢٣ س ١٣) .

(٦) ل : « في ذكر أنهار الجنة » .

(٧) من الآية ١٥ في سورة محمد .

(٨) فيما عدا ل : « واستفتح » .

واللبنَ فلم يذكرْهما فى نعتهما ووصفهما[1] إلا بالسلامة من الأسَنِ والتغيُّر. وذكَرَ الخمر والعسلَ فقال: «مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ للشاربين» و: «مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى» فكان هذا ضرباً من التفضيل[2]، وذكرها فى مواضعَ أُخَرَ[3] فنفى عنها عيوبَ خَمْرِ الدنيا. فقال عز وجل اسمُهُ: ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ[4] ﴾ فكان هذا القولُ الأولُ أظهر دليل على التفضيل[5].

باب

(القول فى القراد)

يقال: «أسمَعُ من قُرادٍ[6]» و: «أَلزَقُ من قُرَادٍ[7]» و: «ملعوَ إلا قُراد [ثَفَرٍ[8]]». وقال الشاعر[9]:

---

(١) «فى نعتهما ووصفهما» ساقط من ل.

(٢) فى الأصل: «فكان هذا ضرب»، وفى هـ، س بعده: «من التفصيل» تحريف. والكلام بعد ذلك إلى آخر هذا الباب ساقط من ل.

(٣) ذكرها، أى الخمر، وفى الأصل: «ذكرها». والمواضع التى يشير إليها الجاحظ هى الآية ٤٧ من الصافات و ٢٣ من الطور و ١٨ — ١٩ من الواقعة و ٥ — ١٧ من الإنسان. وأما العسل، فلم يذكر صراحة إلا فى الآية الشاهدة. وذكر بلفظ «شراب» فى سورة النحل ٦٩: (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه).

(٤) الآية ١٩ من سورة الواقعة. وقرئ: (ينزِفون) بكسر الزاى، وبفتحها، مع ضم الياء فيهما.

(٥) هـ، س: «التفصيل» بالصاد المهملة، تحريف.

(٦) وذلك أنه يسمع صوت أخفاف الإبل من مسيرة يوم فيتحرك لها. انظر الحيوان والميدانى (١ : ٣١٩).

(٧) وذلك لأنه يعرض لاست الجمل فيلزق بها كما يلزق النمل بالحصى. الميدانى (٢ : ١٧٩ — ١٨٠).

(٨) الثفر، بالتحريك، ويسكن: مؤخر السرج، وهو يشد تحت ذنب الدابة.

(٩) هو الحصين بن القعقاع، كما فى اللسان (٢ : ٤٥٢ و ٤ : ٣٤٨). والحصين: شاعر ذكره الآمدى فى المؤتلف ٨٧. وفى النقائض ٦٨١ أنه الحصين بن القعقاع بن معبد الدارمى: وأنشد له شعراً ورجزاً فى يوم زبالة، وكان ابنه [أبكر] على بنى تميم — وقبل هذا البيت، فى اللسان (٢ : ٢٥٢):

جزى الله عنى بحتريا ورهطه بنى عبد عمرو ما أعف وأمجدا

هم السمنُ بالسَّنُّوتِ لا ألْسَ فيهم ... وهم يمنعون جارهم أن يُقَرَّدَا[1]

[السنُّوت ، عند أهل مكة : العسل[2] . وعند آخرين الكمُّون[3]].

وقال الحطيئة[4] :

لَعَمْرُكَ ما قُرَادُ بَنِى كُلَيْب ... إذا نُزِعَ القُرَادُ بمستطاع[5]

قال : وذلك أن الفحلَ يَمنعُ أن يُخْطَم[6] . فإذا نزعوا من قُرَاداتِه[7] شيئاً لذَّ لذلك ، وسكَنَ إليه ، ولانَ لصاحبه ، فعند ذلك[8] يلقى الخطامَ في رأسه .

---

(١) الألس : الخيانة ، ومثله المؤالسة ، قال صاحب اللسان : « وأصله الولس » . وهذه المادة واوية وهمزية . ط : « هو السمن » تحريف . ط ، س : « لا أنس » تحريف أيضاً . وروى في اللسان (٢ : ٣٥٢) والقصص (٢ : ٨٤) : « لا ألس بينهم » . وفي المخصص (٨ : ١٢٢) : « لا ألس عندهم » . فيما عدا ل : « الجار أن يقردا » صوابه في ل وسائر المصادر .

(٢) في اللسان : « والسنوت قيل هو العسل ، وقيل هو الرب » . والسنوت كسنور لغة فيه .

(٣) قيل الكمون يمانية ، وقيل نبت يشبه الكمون ، وقيل الرازيانج ، وقيل الشبث .

(٤) البيت من قصيدة له في الديوان ٩٢ — ٩٣ يمدح بها بنى رياح وبنى كليب من بنى يربوع . وهو كذلك في اللسان (٤ : ٣٤٨) قال : « ونسبه الأزهرى للأخطل » . وانظر العمدة (١ : ٢١٩) والميداني (١ : ٢٥) والفصول والغايات ٢٦٥ .

(٥) رواية الديوان : « بنى رياح » وهم بنو كليب أولاد يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . انظر المعارف ٣٠ . فيما عدا ل : « بنى كلاب » تحريف . ويروى المعرى : « إذا ريم القراد » . قال ابن رشيق : « زعم الحطيئة أن هؤلاء لا يخدعون عن عزمهم وإبائهم فيقدر عليهم » .

(٦) يخطم : يوضع على أنفه الخطام .

(٧) فيما عدا ل : « نزع » تحريف . وقرادات : جمع قرادة . ولم أجد هذا المفرد إلا في اللسان مادة (حلم ص ٣٦ س ١٣) ، قال فيها : « الحلمة بالتحريك : القرادة الكبيرة » . س : « قرادته » تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « حتى » .

قال وأخبرني فِراس بنُ خَنْدَق (١) ، وأبو برْزَة (٢) قال : كان جحدر (٣) إذا نزَلت رُفْقَةٌ قريبا منه ، أخذ شَنَّةً (٤) فجعل فيها قِرْدَاناً ، ثم نثرها بقرب الإبل (٥) فإذا وجدَتِ الإبلُ مَسّها نهضتْ ، وشدّ الشَّنَّةَ في ذنب بعضِ الإبل ، فإذا سمعتْ صوتَ الشَّنّة ، وعمِلتْ فيها القردانُ نفرت . ثم كان يثبُ في ذِروة ماندّ منها (٦) ، ويقول : ارحم النارةَ الضِّعاف (٧) ! يعني القِرْدان .

قال أبو برْزَة (٨) : ولم تكن هِمَّتُه تجاوزُ بعيراً .

---

(١) فراس بن خندق ، بالخاء المفتوحة وآخره قاف . أحد الرواة العارفين بأيام العرب . روى عنه أبو عبيدة بعض أيام العرب في النقائض ٣٠٥ ، ٦٣٩ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ وقال في الموضع الثالث : « حدثنا أبو الخطاب فراس بن خندق التميمي ، قيس بن ثعلبة » . فيما عدا ل : « خندف » بالفاء ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « أبو بزرة » تحريف .

(٣) جحدر ، هو ربيعة بن قيس بن ثعلبة . وتجد هذا الخبر الذي ساقه الجاحظ على هامش النحو في شرح ديوان الأعشى ١٢ . وجحدر هذا غير جحدر بن معاوية المكلي ، أحد لصوص العرب الشعراء ، كان لصا مبيرا فأخذه الحجاج وحبسه ، وله في ذلك قصيدة رواها القالي في الأمالي (١ : ٢٨١ — ٢٨٢) . وانظر المؤتلف ١١٠ . فيما عدا ل : « يطل » تحريف .

(٤) الشنة : القربة الخلق ، وهي أيضا الخلق من كل آنية صنعت من الجلد .

(٥) أي نثر القردان . فيما عدا ل : « نشرها » بدل : « ثم نثرها » .

(٦) ند : شرد . فيما عدا ل : « ثم تبيت في ذروة وما ند منها » تحريف .

(٧) النار : الفاتل . ومما هو جدير بالذكر أن القراد يصبر على فقد الغذاء مدة طويلة حتى يهزل . قال ابن زياد الأعرابي : ربما رحل الناس عن دارهم بالبادية ، وتركوها قفاراً ، والقردان منتشرة في أعطان الإبل وأعقار الحياض ، ثم لا يعودون إليها عشر سنين وعشرين سنة ، ولا يخلفهم فيها أحد من سواهم ، ثم يرجعون إليها فيجدون القردان في تلك المواضع أحياء ، وقد أحست بروائح الإبل قبل أن توافي ، فتحركت . قال ذو الرمة :

بأعقاره القردان هزلى كأنها ... نوادر صيصاء الهبيد المحطم

إذا سمعت وطء الركاب تنغشت ... حشاشاتها في غير لحم ولا دم

انظر ديوان ذي الرمة ٦٢٠ والحيوان (٤ : ٣١٩) واللسان (٨ : ١٧٢ ، ٢٥٦) ط : « العالة الضاف » . والعالة : جمع عيل من كراع . والعيل : من تعوله . س ، هو : « العادة » تحريف .

(٨) ط : « وأبو قرة » س ، ه : « وأبو فردة » صوابهما في ل . وانظر التنبيه الثاني .

(القراد فى الهجو)

قال رُشَيدُ بن رُمَيض [١] :

لنــا عِزٌّ ومَأوانا قريبٌ ومَولى لا يَدِبُّ مع القُرادِ [٢]

١٣١ وهجاهم الأعشى فقال :

فلسنا لباغى المهمَلاتِ بِقِرْفَةٍ إذا ما طَمَا بالليلِ مُنتَشِرَاتُها [٣]

أبا مِسْمَعٍ أقْصِرْ ، فإن قصيدةً متى تأتِكُم تُلْحَقْ بها أخَواتُها [٤]

وهجاهم حُضَينُ بن المنذرِ [٥] فقال :

---

(١) هو رشيد بن رميض العنزى ، من بنى عنز بن وائل ، أو من بنى عنزة . انظر تاج العروس (٥ : ٣٧) . والأرجح أنه من بنى عنزة . انظر التنبيه التالى . وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة ٢٧٣٣ فيمن أدرك الرسول . و « رشيد » و « رميض » بهيئة التصغير ، كما فى القاموس . فيما عدا ل : « أسيد بن رميض » تحريف .

(٢) الرواية فى أمالى القالى (٢ : ١٢٦) والميدانى (٢ : ٣١٩) واللسان (١ : ٣٥٧) : ومرمانا قريب » . وفى الأمالى : « قوله : مرمانا قريب ، قال : هؤلاء عنزة . يقول : إن رأينا منكم ما نكره ، أو رابنا ريب ، انتمينا إلى بنى أسد بن خزيمة » . ومثل هذا النص فى اللسان .

(٣) المهملات : الإبل المرسلة بغير رعاء . والقرفة ، بالكسر : التهمة والتهمة ، ويراد بها أيضاً المتهم والظنين . وفى اللسان : « وبنو فلان قرفتى ، أى الذين عندهم أظن طلبتى » . وطما : ارتفع وعلا . ويقال مضى يطمى : إذا مر مسرعاً . فيما عدا ل : « بباغى المهملات بعرفة » صوابه فى ل والديوان ٦٢ واللسان (١٩ : ٢٤١) . وفى الديوان واللسان : « إذا ما طها » . طهت تطهى طهواً : انتشرت وذهبت فى الأرض . وفى شرح الديوان : « وطها وطحا — الأخيرة بالحاء — : واحد ، وهو تفرقه وذهابه » .

(٤) فى شرح الديوان : « أبو مسمع : جد المسامعة ، وهو شيبان بن شهاب من بنى قيس » .

(٥) هو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى ، أحد بنى رقاش : فارس شاعر ، وكانت معه راية على بن أبى طالب يوم صفين دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة وفيه يقول على :

تنازعنى ضُبيعةُ أمرَ قومى   وما كانتْ ضُبيعةُ للأمورِ[١]
وهل كانت ضُبيعةُ غيرَ عبدٍ   تَمَمْناه إلى نسبٍ شطيرِ[٢]
وأوصانى أبى ، فحفظتُ عنهُ   بفكِّ الغلِّ عن عُنُقِ الأسيرِ
وأوصى جَحْدَرٌ فوقَ بنيهِ   بإرسالِ القُرادِ على البَعيرِ[٣]

قال : وفى القِردان[٤] يقول الآخر ـ قال : [و] بعضهم يجعلها فى البراغيث . وهذا باطل[٥] ـ :

ألا يا عبادَ اللهِ مَنْ لقبيلةٍ   إذا ظهرت فى الأرض شدَّ مُغيرُها
فلا الدينُ ينهاها ولا هى تنتهى   ولا ذُو سلاحٍ من مَعَدٍّ يَضيرُها

فمن أصناف القِرْدان : الحَمْنان[٦] ، والحَلَم[٧] ، والقِرشام[٨] ، والقَمْل[٩] ، والطِّلَّح[١٠] .

= لمن راية سوداء يخفق ظلها   إذا قيل قدمها حضين تقدما

وكان حضين من كبار التابعين ، مات على رأس المائة . انظر المؤتلف ٨٧ وتهذيب التهذيب (٢ : ٣٩٥) والخزانة (٢ : ٨٩ — ٩٠ بولاق) . و « حضين » بالضاد المعجمة وبهيئة التصغير . وفى الأصل : « حصين » بالمهملة محرف ، وانظر المصادر السابقة والقاموس . قال العسكرى : « ولا أعرف من يسمى حضينا بالضاد المعجمة غيره » .

(١) ضبيعة ، بهيئة التصغير ، هم من بنى قيس بن ثعلبة . والحضين من بنى ذهل بن ثعلبة . ل : « والأمور » بالإقواء .

(٢) الشطير : البعيد والغريب . فيما عدا ل : « شكير » محرف .

(٣) كأنه فيما يرى قد رق أبناءه من الفقر بوصيتهم هذه الوصاة . فيما عدا ل : « فوق » وفى محاضرات الراغب (٢ : ٨١) : « قدما » . وانظر التنبيه الثالث من ص ٤٣٣ .

(٤) القردان ، بالكسر : جمع قراد ، بالضم . ط فقط : « القراد » .

(٥) انظر التنبيه ٧ من ص ٣٨٧ ، وقد سبق البيتان هناك .

(٦) الحمنان ، بفتح الحاء وسكون الميم : جمع حمنانة ، وهى من صغار القردان .

(٧) الحلم ، بالتحريك : جمع حلمة ، وهى القرادة الكبيرة .

(٨) القرشام ، بكسر القاف ، وآخره ميم : القراد الضخم ، يقال قرشام وقرشوم ، وقراشم ، بضم القاف فى الأخيرتين . ط : « كقرنبان » هـ : « القرسان » س : « القرشان » وصوابه ما أثبت من ل .

(٩) القمل ، بالفتح : القراد الضخم . فيما عدا ل : « القمل » تحريف .

(١٠) الطلح ، بالكسر : القراد المهزول ، أو العظيم .

(شعر ومثل فى القراد)

وقال الطِّرِمّاح :

لمَّا وَرَدْتِ الطَّوِىَّ والحوضُ كالـ ... ـصِيرة دَفْنَ الإزاء ملتَبِدُه(١)
سافتْ قليلاً عَلَى نصائبِه ... ثم استمرَّتْ فى طامسٍ تخِدُه(٢)
وقد لوَى أنفَهُ بِمِشْفَرِها ... طِلحُ قراشيمَ شاحبٌ جَسَدُه(٣)
عَلٌّ طويلُ الطَّوَى كبالِيةِ السُّفْـــعِ متى يلقَ العُلوَّ يَصطعِدُه(٤)

---

(١) وردت ، يعنى الناقة . والبيت مختل الوزن ، وهو من المنسرح ، حذفت فيه نون مستفعلن . وهكذا جاء فى الأصل وديوان الطرماح ص ١١٨ . والطوى : البئر المطوية والصيرة ، بالكسر : حظيرة من خشب وحجارة تبنى للغنم والبقر . والدفن ، بالفتح : المدفن . والإزاء ، بالكسر : مصب الماء من الدلو فى الحوض . والملتبد : المتلبد . يقول : قد اندفن وتلبد بعضه على بعض . فيما عدا ل : « كالصرم دفين الإزاء ملتبده » صوابه فى ل والديوان .

(٢) سافت : شمت ، وفى الأصل : « سفت » بالقاف ، تصحيحه من الديوان . ونصائب الحوض : ما نصب حوله من الحجارة وجعل كالحائط له . استمرت : مرت فى سيرها . طامس : أراد طريقاً قد اندفن فيه الأثر . تخده : تسير فيه الوخد ، وهو ضرب من السير . فيما عدا ل : « تجده » صوابه فى ل والديوان . وهذا البيت روى فى ط ، هـ بعد البيت الثالث ، وقد رددته إلى موضعه الطبيعى متبعاً ما فى ل ، س والديوان .

(٣) الطلح : القراد ، وقيل القراد المهزول . والقراشيم : جمع قرشوم ، كعصفور ، وهو القراد الضخم ، أو شجرة زعمت العرب أنها تنبت القردان ، لأنها مأوى القردان . وانظر اللسان (طلح ، قرشم) .

(٤) العل ، بالفتح : القراد المهزول . ويقال للضخم أيضاً . وفى الأصل : « عل » صوابه فى الديوان . والطوى : الجوع . كبالية السفع ، يريد الحبة من الحنظل التى قد يبست فقد اسودت ، فشبه القراد بها فى قدرها ، والسفع : السود . يصطعده : يصعده . ط ، س « كصالية » هـ : « كثالثة » صوابها فى ل والديوان . ط ، هـ « الشقع » تحريف . وفيما عدا ل بعده : « مع الطرتين تصطعده » محرف ، أثبت صوابه من ل والديوان . لكن فى ل : « علوه » بدل : « العلو » وهو تحريف .

وفى لزوق القُرادِ يقولُ الراعى :

نجتْ مرافقهنَّ فوقَ مَزِلّةٍ لايستطيعُ بها القُرادُ مَقيلا[1]

والعربُ تقولُ : « ألْزَقُ من البُرَامِ[2] ! » كما تقول : « ألزَقُ من القُراد ! » . وهما واحدٌ .

(شعر لأمية فى الأرض والسماء)

وذكر أميةُ بنُ أبى الصَّلْتِ ، خَلْقَ السماء ، وإنه ذكرَ من مَلاَستِها[3] أن القُرادَ لايَعْلَقُ بها ، فقال :

والأرضُ مَعْقِلُنا وكانتْ أُمَّنا فيها مَقاقِلُنا وفيهـا نُولَدُ
فيهـا تلاميذ عَلَى قُذُفاتِها حُبِسُوا قياماً فالفرائصُ تُرْعَدُ[4]

---

(١) المزلة ، بكسر الزاى وفتحها : اسم موضع من زل يزل ويزل : إذا زلق . والمقيل : القيلولة ، مصدر ميمى . أراد أن هذه النوق ملس الجلود لا يجد القراد فيهن موضعاً يثبت فيه لشدة إملاسهن . س : « تثبت » هو : « سلت » والأخيرة محرفة . ورواية البيت فى سيبويه (٢ : ٢٤٧) والمخصص (٩ : ٥٥ ، ١٦ ، ١٢٢) واللسان (١٣ : ٣٢٥) : « بثبت » وفى أمالى المرتضى (٢ : ٦) « تبيت » وهذه محرفة . وفى ل فقط : « ما يستطيع » .

(٢) البرام ، بضم الباء بعدها راء : القراد . فيما عدا ل : « ألزم » من اللزوم . وفى ط : « البزام » ، وفى هو ، س : « البوام » صوابه فى ل والميدانى (٢ : ١٧٩) . وأنشد :

فصادفن ذا قترة لاصقا لصوق البرام يظن الظنونا

(٣) فيما عدا ل : « ملامستها » تحريف .

(٤) فى اللسان : « التلاميذ : الخدم والأتباع ، واحدهم تلميذ » . ولم يذكره صاحب القاموس إلا فى رسم (تلم) . وذكره صاحب اللسان فى الموضعين . وفى المعرب ٩١ : « التلام أعجمى معرب ، قيل هم الصاغة ، وقيل غلمان الصاغة ، وقيل هم التلاميذ » . والقذفات : جمع قذفة بالضم ، وهى النواصى والجوانب . فيما عدا ل : « تلامذ على كفاتها » ، محرف . ط ، س : « حسر قياما » هو : « حسرا » صوابهما فى ل .

فبَنَى الإلهُ عليهمُ مخصوفةً خلْقَاء لاتبْلَى ولا تتأوّدُ[١]
فلو انه تحْدُو البِرَامَ بمَتْنِهاَ زلّ البِرام عن التى لاتقْرَدُ[٢]

(استطراد لغوى)

١٣٢ قال : القُرَاد أولُ مايكون — وهو الذى لايكاد يُرَى من صِغَر[٣] — قَمْقَامَة[٤] ، ثم يصيرُ حَمْنَانَة[٥] ، ثم يصير قُراداً ، ثم يصير حَلَمَة .

قال : ويقال للقُراد : القَلّ[٦] ، والطِّلْح ، والقَتِين[٧] ، والبُرام[٨] ، والقِرْشام .

---

(١) مخصوفة : من قولهم خصف النعل يخصفها خصفا : ظاهر بعضها على بعض وخرزها . وكل ما طورق بعضه على بعض فقد خصف . عنى أنها ذات أطباق . خلقاء : ملساء . تتأود : تنثنى وتتعوج . فيما عدا ل : « مخصوفة خلقا » محرف . وفى ط ، هو : « فلا تبل » والوجه حذف الفاء كما فى ل ، سه .

(٢) تحدو : تسوق . فيما عدا ل : « يحدو » . والبرام ، هى فى ط ، سه : « البزام » وفى هو : « البوام » صوابه بالراء ، كما سبق فى التنبيه ٢ ص ٤٣٧ . تقرد : يصيبها القراد ، قرد يقرد من باب تعب . عنى أن الناقة ملساء فهى لا يستطيعها القراد . فيما عدا ل : « لبنى وألقاها التى » تحريف .

(٣) ل : « وهو لا يكاد أن يرى صغرا » .

(٤) القمقامة ، بقافين مفتوحتين بينهما ميم ساكنة : واحدة القمقام : قيل هو القراد أول ما يكون صغيرا ، لا يكاد يرى من صغره . ط ، هو : « قمامة » سه : « مقامة » صوابهما فى ل .

(٥) الحمنانة ، بفتح الحاء بعدها ميم ساكنة ثم نونان بينهما ألف ، جمعه حمنان ، ومثله الحمنة ، بالفتح ، جمعها حمن . فيما عدا ل : « حانة » تحريف .

(٦) القل ، بالفتح . وفيما عدا ل : « القمل » وهو بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة . وفى اللسان : « قال أبو عبيدة : القمل عند العرب الحمنان » . وفيه أيضاً : « وقيل القمل دواب صغار من جنس القردان إلا أنه أصغر منها ، واحدتها قملة ، تركب البعير عند الهزال » . لكن صواب النص ما أثبت من ل ، فإن القمل سيطرح هذا قريباً .

(٧) القتين ، بفتح القاف وآخره نون ، سمى بذلك لقلة دمه ، أو لقلة طعمه ؛ لأنه يقيم المدة الطويلة من الزمان لايطعم شيئاً . فيما عدا ل : « القتير » تحريف .

(٨) البرام ، كغراب ، سبق الحديث عنه فى ص ٤٣٧ . فيما عدا ل : « البزام » تحريف .

قال : والقَمْلُ [واحدتها] قَمْلة ، وهى من جنس القِردان ، وهى أصغر منها .

(تخلق القراد والقمل)

قال : والقِرْدانُ يتخلقُ[1] من عرَق البعير ، ومن الوسخ والتلطّخ بالثُّلُوط[2] والأبوال ، كما يتخلق[3] [من جلد الكلب ، وكما يتخلق[4]] القملُ من عرق[5] الإنسان ووسَخِه ، إذا انطبق عليه ثوبٌ أو شعرٌ أو رِيش .

والحَلَم يعرض لأذُنى الكلب[6] أكثَرَ ذلك[7] .

(أمثال وأخبار فى القراد)

قال : ويقال : « أقْطَفُ مِنْ حَلَمَةٍ[8] » و : « ألزَقُ من بُرَام[9] » و : « أذلُّ من قُرَاد » وقال الشاعر[10] :

---

(١) ل : « تخلق » بإهمال الحرف الأول . وفيما عدا ل : « يخلق » وما أثبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٢) الثلوط : جمع ثلط ، بالفتح ، وهو الرقيق من الرجيع والسلح . ه : « بالبلوط » تحريف .

(٣) ل : « تخلق » بإهمال الحرف الأول .

(٤) فى الأصل ، وهو هنا ل : «تخلق» بإهمال الحرف الأول .

(٥) فيما عدا ل : « درن » . والدرن : الوسخ .

(٦) ل : « لأذن الكلب » والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٧) فيما عدا ل : « أكثر من ذلك » .

(٨) أقطف : تفضيل من القطف ، وهو تقارب الخطو وبطؤه .

(٩) سبق هذا المثل فى ص ٤٣٧ .

(١٠) هو المزين الكنانى يهجو كثيرا الشاعر . وللبيت قصة طريفة فى الأغانى (٨ : ٢٨ — ٢٩) . والبيت رواه أبو تمام فى الحماسة (٢ : ٤٢١) والراغب فى المحاضرات (٢ : ١٢٩) .

يكاد خَليلٌ من تقارُبِ شَخْصِهِ   يَعَضُّ القُرَادُ باسْتِهِ وهو قائمُ[1]

وقال أبو حَنَش[2] لقيس بن زهير : « واللهِ لأَنْتَ بها أذلُّ من قُرادٍ ![3] » ، فقدّمه وضَرَبَ[4] عُنقَه .

وقال الراجز :

قِرْدانُه في العَطَنِ الخَوْلِيِّ[5]   بِيضٌ كحَبِّ الحَنْظَلِ المَقْلِيِّ[6]

من الخَلاءِ ومن الخُوِيِّ[7]

ويقال لحلمة الثدي القراد : وقال [عديّ] بن الرِّقاع[8] :

---

(١) رواية الحماسة : « أظن خليل » والمحاضرات : « رأيت خليل » والأغاني : « قصير القميص فاحش عند بيته » .

(٢) أبو حنش ، هو عصم بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر ، وكان من فرسان يوم الكلاب الأول ، وهو قاتل شرحبيل بن الحارث . وأما قيس ابن زهير بن جذيمة العبسي فهو صاحب داحس والغبراء . وترجمته في (٤ : ٨٤) . فيما عدا ل : هو أبو الحسن » صوابه في ل . وانظر النقائض ٤٥٢ — ٤٥٨ والمفضليات (٢ : ١٢ طبع المعارف) .

(٣) يقال أيضاً : « أذل من قراد بمنسم » ، كما في أمثال الميداني . قال الفرزدق :

هنالك لو تبغي كليباً وجدتها   أذل من القردان تحت المناسم

(٤) ل : « فضرب » .

(٥) العطن ، بالتحريك : مبرك الإبل حول الحوض . الخولي : الذي قام عليه الخولي . فيما عدا ل : « الحول » تحريف .

(٦) بيض : جمع أبيض وبيضاء . ط : « بيض » تحريف . ط : « عب الحنظل » س ، هو : « عب الحنظل » صوابهما في ل . وفيما عدا ل : « المقل » تحريف .

(٧) الخوى ، بضم الخاء وكسر الواو : الخلاء . فيما عدا ل : « من الخلاء ومن الحول » . تحريف .

(٨) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي . ونسبه الناس إلى « الرقاع » وهو جد جده لشهرته . وكان شاعرا مقدما عند بني أمية ، مختصاً بالوليد بن عبد الملك . وجعله ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الإسلام . وكان منزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم ، وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد . الأغاني (٨ : ١٧٢ — ١٧٧) وابن سلام ٢٠٩ — ٢١٣ والمؤتلف ١١٦ والمرزباني ٢٥٢ .

كأنَّ قُرَادَىْ صدرِه طَبَعَتْهُمَا ... بِطِينٍ من الجَوْلانِ كُتّابُ أعْجَمِ (١)

والقُرادُ يعرِضُ لأَسْتِ الجَلِ . والحَمْل (٢) يعرِضُ للخُصَى . وقال الشاعر (٣) :

وأنتَ مكانُكَ مِن وائلٍ ... مكانَ القُرَادِ مِنِ اسْتِ الجَمَلِ (٤)

وقال الممزّق :

تُنَاجِحُ طَلِيحاً ما تُرَاعُ من الشَّذَا ... ولو ظَلَّ فى أوصالها العَلُّ يَرْتَقِى (٥)

---

(١) البيت ملغى يمدح به عمر بن هبيرة . ويروى أيضاً لمنمة الجرى ، كما فى اللسان (٤ : ٣٤٨) والمعرب ١٠٥ والحماسة (٢ : ٢٥١ — ٢٥٢) من أبيات خمسة ، وأنشده فى الاقتضاب ٩٧ مسبوقا بكلمة : « وقال الجرى » وهو بدون نسبة فى المخصص (٢ : ١٤٨) . وضمير : « صدره » عائد إلى الرجل الذى يمدحه . وروى فى جميع المصادر التى أسلفت : « زوره » . والزور ، بالفتح : الصدر . والجولان ، بالفتح : جبل من نواحى دمشق . قال التبريزى : وطين الجولان إلى السواده . وروى صاحب الاقتضاب أن الجولان اسم الطين الذى يطبع به . قال : « ويقال الطين الذى يطبع به : ختام وجرجس وجولان » . س : « الحولان » تحريف . وخص كتاب العجم لأنهم كانوا أهل دواوين وكتابة . وفى اللسان : « أنشد الأزهرى هذا البيت ، ونسبه لابن ميادة يمدح بعض الخلفاء ، وقال فى آخره : كتاب أعجما » . ويبلغ الظن أنهما بيتان متشابهان .

(٢) فيما عدا ل : « والقمل » بالقاف ، تحريف . وعند الميدانى (٢ : ١٨٠) « والقراد يعرض لأست الجمل فيلزق بها كما يلزق الحمل بالخصى » .

(٣) هو الأخطل من قصيدة له يهجو فيها كعب بن جعيل . انظر ديوانه ٣٢٥ وتنبيهات البكرى ١١٩ والخزانة (١ : ٢٢٠ بولاق) والشعراء ١٥١ والاشتقاق ٢٠٣ . وقبل البيت :

وسميت كعباً بشر العظام ... وكان أبوك يسمى الجعل

(٤) فيما عدا ل : « رأيت » وأثبت ما فى ل والخزانة والتنبيهات . ورواية ابن قتيبة : « وكان محلك من وائل محل » . وابن دريد : « وإن محلك من وائل محل » .

(٥) الطليح : المعية الحسيرة . والشذا : ذباب أزرق عظيم يقع على الدواب فيؤذيها ، الواحدة شذاة . والأوصال : المفاصل والأعضاء ، جمع وصل ووُصل . والعل ، بفتح العين : القراد الضخم ، أو المهزول . وفى الأصل : « القمل » صوابه فى الأصمعيات ٤٧ . وانظر تعقيب الجاحظ . ط : « تناجى طليحى » س ، هـ : « تناج طليحى » صوابهما فى ل والأصمعيات . فيما عدا ل : « ما تراح » و « فى أوطانها » صوابهما فى ل والأصمعيات .

[ويروى : « فباتَتْ ثلاثاً لاتُراعُ »] . يصف شدّةَ جزعِها من القِردان[١] .

وقال بشّارُ بنُ بُرد :

أُعادِي الهمَّ منفرداً بشوقٍ . عَلَى كَبِدِى كما لزق القُرادُ[٢]

وكانوا إذا خافوا الجدبَ والأزمةَ تقدموا فى عمل العِلهِز . والعِلْهِز : قِرْدَانٌ يُعالَج[٣] بدم الفَصْدِ مع شيء من وَبَرٍ . فيدّخرون ذلك كما يدّخرُ مَن خاف الحِصار[٤] الأكارعَ[٥] والجاوَرْس[٦] .

والشُّعوبيّةُ تهجو العربَ بأكلِ[٧] العِلْهِز، والقَثّ[٨] ، والدُّعاع[٩] ،

---

(١) « شدة نجزعها » كذا جاءت فى الأصل . والذى يفهم من البيت هو صبرها وعدم جزعها . فيما عدا ل : « من القراد » .

(٢) ط ، هو : « أعاد » ل : « كما لصق » . ولزق ولصق ولسق بمعنى .

(٣) ط فقط : « تعالج » . وفى اللسان : « العلهز وبر يخلط بدماء الحلم كانت العرب فى الجاهلية تأكله . وفى دعاء الرسول على مضر : « اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ! » فابتلوا بالجوع حتى أكلوا العلهز . قال ابن الأثير : هو شيء يتخذونه فى سنى المجاعة ، يخلطون الدم بأوبار الإبل ، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه . قال : وقيل كانوا يخلطون فيه القردان .

(٤) ط ، هو : « كما يدخرون حافر الحمار » وهو تحريف فكه عجيب . وفى س : « كما يدخر من حافر الحمار » وهو أعجب . صوابهما فى ل .

(٥) الأكارع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق . فيما عدا ل : « والأكارع » .

(٦) الجاورس ، بفتح الواو وسكون الراء : حب الدخن بالضم ، وهو الذرة الدقيقة التى تسميها العامة فى مصر : « الذرة العويجة » بضم العين وكسر الواو . وهو بالفارسية : « گاورس » أو « گاورسه » استينجاس ١٠٧٢ .

(٧) فيما عدا ل : « يأكل » تحريف .

(٨) القث ، بفتح القاف وآخره ثاء مثلثة : حب يشبه الجاورس يختبز ويؤكل . فيما عدا ل : « القب » محرفة .

(٩) الدعاع ، بالضم : حب أسود يأكله فقراء البادية إذا أجدبوا . فيما عدا ل : « الزعاع » تحريف .

والهبيد[1] ، والمغافير[2] ، وأشباه ذلك . وقال حسانُ بنُ ثابتٍ[3] :

لم يُعَلَّلْنَ بالمغـافيرِ والصَّمْـ ... ـغِ ولا شَرْيِ حنظلِ الخُطْبَانِ[4]

وقال الطِّرِمّاح : ١٢٣

لم تأكلِ الفثَّ والدعاعَ ولم ... تنقُفْ هَبيداً يَجْنيهِ مُهْتَبِدُهْ[5]

وقال الأصمعيُّ : قال رجلٌ من أهل المدينة[6] لرجل : أيسرُّك

---

(١) الهبيد ، بفتح الهاء وكسر الباء : حب الحنظل . كانوا يستخرجونه وينقعونه لتذهب مرارته ، ويتخذ منه طبيخ يؤكل عند الضرورة .

(٢) المغافير : صمغ العرفط والرمث ، حلو يؤكل . فيما عدا ل : « البرير » . والبرير : ثمر الأراك ، له عجمة صغيرة صلبة أكبر من الحمص قليلا ، وعنقوده يملأ الكف . وفي الحديث : « ما لنا طعام إلا البرير » .

(٣) البيت من قصيدة له في ديوانه ٤١٤ — ٤١٥ يمدح بها جبلة بن الأيهم . وقبله :

قد دنا الفصح فالولائد ينظمـ ... ـن سراعا أكلة المرجان

يجتنين الجلاس في نقب البر ... د عليها مجاسد الكتان

وانظر الأغاني (١٤ : ٦) العقد (١ : ١٩٠) والأزمنة (٢ : ٣٠٣)

(٤) المغافير : جمع مغفور ، وقد سبق شرحه . ل : « بالمغاثير » تصحيف . وعلله بطعام : شغله به ليجتزأ به من غيره . والشرى ، بالفتح : الحنظل ، أو شجره ، أو ورقه . والخطبان ، بالضم ، وقد يكسر ، الحنظل يصفر وتصير فيه خطوط خضر . فيما عدا ل : « الحطبان » تحريف . ورواية البيت على هذا النحو توافق رواية المرزوقي في الأزمنة . وفي الديوان والأغاني والعقد : « ولا نقف حنظل الشريان » . ونقف الحنظل : استخراج حبه . والشريان ، بالكسر والفتح : موضع بعينه ، أو واد . يقول : هن أهل حاضرة ونعمة ، لسن كالبدويات في خشونة عيشهن ، ورداءة طعمهن .

(٥) البيت في صفة امرأة يمدحها أنها ليست من أهل البادية . الفث والدعاع قد فسرا فيما سبق . فيما عدا ل : « الفت والرعاع » تحريف . والهبيد : الحنظل أو حبه . والنقف : استخراج حبه . والمهتبد : الذي يأخذه من شجرته . فيما عدا ل : « يجتب » موضع « يجنيه » تحريف . ط : « مهتبد » صوابه في سائر النسخ والديوان ص ١١٦ واللسان (٢ : ٤٨١) وهو في الأزمنة للمرزوقي (٢ : ٣٠٢) محرفا . وقبله في الديوان :

فيهم لنا خلة نواصلها ... في غير أسباب نائل نعده

إلا حديثاً ومزحة نصل بالـ ... ـمزحة والمستفيض فيه ددم

(٦) فيما عدا ل : « البادية » تحريف .

أن تمشىَ حتى تجىء حلَمَةٌ(١) من القريةِ مشياً؟ قال : فأنتَ يسُرُّك ذلك؟ قال : أخافُ أن يقول إنسانٌ : إنها بمخيض(٢) ، فيُغشَى علىَّ!

ومخيض(٣) على رأس بَريدٍ من المدينة(٤) .

[ويقولون : أمّ القرَادِ ، للواحدةِ الكبيرة منها . ويتسمَّوْنَ بقرَاد ، ويكتنون بأبي قراد . وقد ذكر ذلك أبو النجم فقال :

للأرض من أمِّ القُرادِ الأطْحَلِ(٥)

وفى العرب بنو قُراد(٦)] .

باب
فى الحبارى

ونقولُ فى الحُبارَى بقولٍ مُوجز ، إن شاء الله تعالى

قال ابنُ الأعرابىّ : قال أعرابىٌّ : « إنه ليقتلُ الحُبارَى [هَزْلاً(٧)] ظلمُ الناس بعضهم لبعض ! » . [قال] يقول : إذا كثُرت الخطايا منَع اللهُ عز وجل دَرَّ السَّحاب . وإنما تُصِيب الطيرُ من الحبِّ ومن الثمَر(٨) عَلَى قدْر المَطر .

(١) الحلمة : واحدة الحلم ، وهى القرادة الصغيرة . وهذه الكلمة ساقطة من ط .

(٢) مخيض : على لفظ المخيض من اللبن ، فسرها الجاحظ وعينها . وانظر ياقوت وابن هشام ٧٤٨ جوتنجن . ل : « هى » بدل : « إنها » . ط : « مخيص » س ، هو : « مخنص » صوابهما فى ل .

(٣) ط : « مخيص » س : « محيض » هو : « مخنص » صوابها فى ل . وانظر التنبيه السابق .

(٤) البريد : أربعة فراسخ . والفرسخ ثلاثة أميال . والميل أربع آلاف ذراع . وكلمة : « رأس » ليست فى ل .

(٥) الطحلة : لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد .

(٦) قراد ، وردت فى ل مضبوطة بالضم .

(٧) الهزل ، بالفتح ويضم : الهزال . وفى س ، هو : « إنه ليقتل الحبارى هزلاً ظلماً بظلم » .

(٨) فيما عدا ل : « التمر » بالمثناة ، محرف . وكلمة : من الأشجرة ليست فى هو . وفى ل أيضاً : « يصيب » بالياء .

وقال الشاعر[1]:

يسقطُ الطيرُ حيثُ ينتثِرُ الحَـ ـبُّ وتغشَى منازلُ الكرماءِ[2]

وهذا مثلُ قولِه[3]:

أما رأيتَ الألسُنَ السِّلاطا[4] والأذرُعَ الواسعةَ السِّباطا[5]

إن الندَى حيثُ ترَى الضِّغاطا[6]

(ما قيل من المثل في الحبارى)

وقالوا في المثل: «مات فلانٌ كَمَدَ الحبارَى[7]». [وقال أبو الأسود الدؤلي:

وزَيْدٌ ميتٌ كَمَدَ الحُبَارَى إذا ظعنت هُنيدةُ أو تلمّ[8]

ويروى: «ملمّ» وهو اسم امرأة. وذلك أن الطير تحسَّر[9]

---

(١) هو بشار، من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سلم. وقبل البيت كما في الأغاني (٣ : ٤٣):
إنما لذة الجواد ابن سلم في عطاء ومركب للقاء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف ولكن يلذ طعم العطاء

(٢) مثل هذه الرواية في البيان (١ : ١٣٢). وفي س، ط: «ويغشى» بالياء.

(٣) في البيان (١ : ١٣١ — ١٣٢): «وقال التميمي».

(٤) السلاط: جمع سليط، وهو الفصيح الحديد. وفي الأصل: «السلاطا» ولم أجد له وجهاً. وأثبت ما في البيان.

(٥) السبط: الممتد المستوي. ويقال رجل سبط اليدين: سخي سمح. وفي ل: «والأذرع الطوال والسباطا» وبدله في البيان: «والجاه والإقدام والنشاطا».

(٦) الندى: الكرم. والضغاط، بالكسر: الزحام. وهو من القلب، أراد: إن الزحام حيث ترى الكرم. وهذا البيت رواه الجاحظ في البخلاء ٢٠٢.

(٧) س: «بجمر الحبارى». وانظر الميداني (٢ : ١٠٥) وثمار القلوب (٢٨٣).

(٨) صدر البيت في محاضرات الراغب (٢ : ٣٠١). وقد رواه العسكري في جمهرة الأمثال ١٣٢.
وزيد ميت كمد الحبارى إذا بانت وجيهة (؟) أو ملم

(٩) تحسر وتحسر: تخرج من الريش العتيق إلى الحديث.

وتتحسر معها الحبارى . والحبارى] إذا نُتِفَتْ أو تحسّرتْ أبطأ نبات ريشها ، فإذا طار صُوَيحباتُها[1] ماتت كمدا .

وأما قوله : « أو تُلِمّ » يقول : [أوْ] تقارب أن تَظْعَن[2] .

وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه : « كلُّ [شىء] يحبُّ ولدَهُ حتى الحبارى[3] ! » . يضرب بها المثل فى المُوق[4] .

(سلاح الحبارى وغيرها من الحيوان)

قال : وللحبارى خِزانةٌ بين دُبُره وأمعائه ، له فيها أبداً سَلْحٌ رقيق [لزج[5]] ، فمتى ألحّ عليها الصقرُ — وقد علمت أن سُلاحها منْ أجود سلاحها[6] ، وأنها إذا ذرقته[7] بقى كالمكتوف ، أو للدبِق[8] [المقيَّد] — فعند ذلك تجتمع الحباريات على الصقر فينتفن ريشَه كلَّه طاقةً طاقةً[9] . وفى ذلك هلاكُ الصقر .

---

(١) فيما عدا ل : « صواحباتها » .

(٢) تظعن : ترحل . وفيما عدا ل : « يتقارب أن يطعن » محرف .

(٣) انظر الجزء الأول ص ١٩٦ .

(٤) الموق ، بالضم : الحمق فى غباوة .

(٥) الزيادة من ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢١٥) .

(٦) السلاح ، بالضم : النجو ، وبالكسر : ما يدافع به . ط فقط : « قبان سلاحه » تحريف . وبعد ذلك فى ط ، هـ : « وأجود من سلاحها » وأثبت ما فى ل ، س .

(٧) فيما عدا ل : « وأنه إذا زرقه به » تحريف .

(٨) المدبق : الذى ألزق بالدبق . والدبق ، بالكسر : حمل شجر فى جوفه كالغراء يلزق بجناح الطائر فيصاد به . دبق الطير ودبقه . فيما عدا ل : « المربوق » وهو المشدود فى الربقة ، وهو خيط يثنى حلقة ثم يجعل رأس الشاة فيه ثم يشد .

(٩) الطاقة : شعبة من ريحان أو شعر ، أو قوة من الخيط أو نحو ذلك . وفيما عدا ل : كافة =

قال : وإنما الحبارى فى سلاحها كالظَّرِبانِ فى فُسائها ، وكالثعلب فى سُلاحه[1] ، وكالعقرب فى إبرتها ، والزنبور فى شعرته[2] ، والثور فى قرنه[3] ، والدِّيك فى صِيصِيَته[4] ، والأفعى فى نابها [والعُقاب فى كفّها]، والتمساح فى ذنبه .

وكلُّ شىء معه سلاحٌ فهو أعلم بمكانه . وإذا عدِم السلاحَ كان أبصَرَ بوجوه الهرب[5] ؛ كالأرنب فى إشارها الصَّعْداء[6] ؛ لقصر يديها ، ١٣٤
وكاستعمال الأرانب التوبير[7] والوطء على الزَّمَعات[8] ، واتخاذ اليرابيع القاصعاء والنافقاء ، والدّامّاء ، والراهطاء[9] .

== ويلون تكرير ، تحريف ، صوابه فى ل وثمار القلوب ٣٨٢ .

(١) السلاح بالضم : النجو . فيما عدا ل « بوله » تحريف . وفى مباهج الفكر (الورقة ٦٨ من المخطوطة رقم ٣٢٤ طبيعيات) : « وهو من الحيوان الذى سلاحه سلاحه . وهو أنتن من سلاح الحبارى » . وسبق أيضاً فى الجزء الأول من الحيوان ص ٢٩ : « ومنه ما يكون سلاحه السلح كالحبارى والثعلب » . وانظر التنبيه ٦ من الصفحة السابقة .

(٢) فيما عدا ل : « شعرتها » تحريف . والزنبور مذكر .

(٣) فيما عدا ل : « قرنيه » .

(٤) صيصة الديك : الشوكة التى فى رجله . فيما عدا ل : « صيصته » محرف .

(٥) فيما عدا ل : « وإذا عدم سلاحه صار يهرب بوجوه الهرب » .

(٦) ط ، س : « وكالأرنب » بإقحام الواو . والصعداء ، بالفتح : من قولهم أكمة صعود وذات صعداء يشتد صعودها على الراقى . فيما عدا ل : « الصعداء » . وفى مباهج الفكر : « وليس شىء قصير اليدين أسرع منها حضرا . ولقصرها يخف عليها الصعود والتوقل » . الورقة ٩٤ من مخطوطة دار الكتب رقم ٣٢٤ .

(٧) التوبير : الوطء على مآخير كفها . فيما عدا ل : « التوبين » محرف . وانظر ص ٢٧٨ .

(٨) الزمعات : جمع زمعة ، بالتحريك ، وهى الشعرة المدلاة فى مؤخر رجل الشاة والظبى والأرنب .

(٩) فيما عدا ل : « والراهطاء والدامَاء » . وانظر ما سبق ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(شعر في الحبارى)

وقال الشاعر[١] :

وهم تركوك أسْلَحَ مِنْ حُبَارَى ... رأت صقراً وأشْرَدَ من نَعَامِ[٢]

يريد : نعامة[٣] . وقال قيسُ بن زهير[٤] :

متى تحزّمْ بالمناطق ظالماً ... لتجرى إلى شأوٍ بعيد وتسبحِ[٥]

تكُنْ كالحبارَى إن أصيبتْ فمثلها ... أصيبَ وإن تُفْلِتْ من الصقر تَسْلَحِ[٦]

وقال ابن أبي فَنَنٍ[٧] ، يصفُ ناساً من الكُتَّابِ ، في قصيدة [له] ذَكَرَ فيها خيانتَهم ، فقال :

---

(١) هو أوس بن غلفاء الهجيمي يخاطب يزيد بن الصعق الكلابي . انظر المفضلية رقم ١١٨ من طبع المعارف ، وابن سلام ٦٣ والكامل ٢٧٥ .

(٢) فيما عدا ل : « وهم تركوك أشرد من نعام » وهي أيضاً رواية ابن سلام ، وما أثبت من ل يوافق رواية الضبي والمبرد . وعند الميداني (١ : ٣٥٤) : « وهم تركوك أشرد من ظليم » ولا تصح أن تكون رواية في البيت ، لاختلاف الردف ، فإن ردف القصيدة الألف ، ولا يجوز الإرداف بالألف مع الإرداف بسواها من واو أو ياء . فلعله بيت آخر .

(٣) الكلمتان ليستا في ل .

(٤) قيس بن زهير شاعر جاهلي ، وهو صاحب داحس . المؤتلف ١٦٨ — ١٦٩ والمرزباني ٣٢٢ . وفي ل : « وقال زهير » والبيتان ليسا في ديوانه .

(٥) المناطق : جمع منطقة ، وهي ما يشدُّ به الوسط . والشأو : الغاية والأمد . يسبح : يسرح في جريه . ورواية البيت محرفة فيما عدا ل :

متى يحرك المناطق ظالما ... ويجرى إلى علو بعيد ويسبح

(٦) فيما عدا ل : « يكن » والوجه الخطاب ، إلا أن أريد الالتفات . وفيما عدا ل : « فإن تفلت من الصقر » .

(٧) هو أحمد بن أبي فنن ، مولى بني هاشم . وأبو فنن كنية أبيه ، واسم أبيه صالح بن سعيد كما في وفيات الأعيان (ترجمة يزيد بن مزيد) . وقد مدح يزيد هذا ، كما مدح أبا دلف القاسم بن عيسى . وانظر طرفا من خبره في الأغاني (٣ : ١٧٢) فيما عدا ل : « وقال ابن قيس » .

رأَوْا مالَ الإمامِ لهمْ حَلالا • وقالوا الدِّينُ دِينُ بنى صُهارَى[1]

ولو كانوا يحاسِبهم أَمينٌ • لقد سَلَحُوا كما سَلَحَ الحُبارَى[2]

(الخَرَب والنَّهار)

والخَرَب[3] : ذَكَرُ الحُبارى . والنَّهارُ : فَرْخُ الحُبارى[4] . وفرخها حارض[5] ساقطٌ لاخيرفيه . وقال متمِّمُ بن نُويرة[6] :

وضَيفٍ إذا أرغى طروقاً بَعيرَه • وعانٍ ثوى فى القِدِّ حتى تَكَنَّعا[7]

وأرملةٍ تمشى بأشعثَ مُجْثَلٍ • كفَرْخِ الحُبارى رأسُهُ قد تَصَوَّعا[8]

[وقال أعرابى] :

---

(١) صهارى ، كلما وردت مضبوطة بالفتح فى ل . فيما عدا ل : « فقالوا الدين » بالفاء .

(٢) فيما عدا ل : « ولو حتى يحاسبهم أمير » تحريف .

(٣) الخرب ، بالخاء المعجمة والتحريك ، فيما عدا ل : « الحرب » تصحيف .

(٤) ومن شعر المعاياة فيما أنشده الحريرى : ورواه غلام ثعلب فى كتاب المداخل :

أكلت النهار بنصف النهار • وليلا أكلت بليل بهيم

(٥) الحارض ، بالضاد المعجمة : الضعيف البالية . فيما عدا ل : « حارف » محرف .

(٦) يرثى أخاه مالك بن نويرة . من المفضلية ٦٧ طبع المعارف .

(٧) طروقا ، بالضم : ليلا . قال الأصمعى : « إنما ضل الرجل أرغى بعيره : أى حمله على الرغاء » لتجيبه الإبل برغائها ، أو تنبح لرغائه الكلاب فيقصد الحىّ . والعانى : الأسير . ثوى : أقام . القد : السير من الجلد ، عنى القيد . تكنع : تقبض ، أراد حتى يبس القيد على جلده . فيما عدا ل : « إذا نادى » ل : « وإذا أرعى » صوابه من المفضليات . س ، ط : « بقرة » هـ : « بقفرة » صوابهما فى ل والمفضليات . ل : « ثراق القد » وفيما عدا ل : « ولعله القده » صوابهما فى المفضليات . وفيما عدا ل : « تكنعا » بتاء قبل العين ، صوابه فى ل والمفضليات .

(٨) الأرملة : التى مات زوجها . الأشعث : الملبد الشعر ، عنى ولدها . المجثل ، بفتح الثاء : الذى أسىء غذاؤه . تصوع : تقبض وتشقق . فيما عدا ل : « ريشه قد تصدعا » وأثبت ما فى ل . وفى المفضليات : « رأسه قد تضوعا » بالضاد المعجمة .

أحبُّ أن أصطادَ ضبًّا سَحْبَلا[1] ، وخَرَبًا يرعى ربيعًا ، أرملا[2]

لجعل الخرَب أرمَل ، لأن ريشه يكون أكثر . وقد ذكرنا ما في هذا الباب فيما قد سلف من كتابنا[3]] .

(خبر فيه ذكر الجبارى)

وقال أبو الحسن المدائنيّ : قال سعيد النَّوَّاء[4] : قَدِمْتُ المدينةَ فلقيتُ عليَّ بنَ الحسين ، فقلت : يا ابنَ رسولِ الله ، متى يُبعَثُ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالب ؟ قال : إذا بُعِثَ الناس .

قال . ثم تذاكرنا أيامَ الجمَل فقال : ليته كان ممنوعاً قبل ذلك بعشرين سنةً[5] ـ أو كلمةً غيرَ هذه ـ قال : فأتيت حسن بن حَسَنٍ[6] ، فذكرتُ له ما قال ، فقال . لَوَدِدْتُ والله أنه كان يقاتلهم إلى اليوم !

قال : فخرجت من فَوْرى ذلك إلى عليّ بن الحسين ، فأخبرته بما قال ، فقال : إنه لقليلُ الإبقاء على أبيه .

---

(١) السحبل : الضخم .

(٢) أرمل ، من الرملة ، بالضم ، وأصلها الخط الأسود في الثور والغزال ونحوهما ، أراد به طرائق الريش . ورواية البيت في اللسان (١٣ : ٣١٦ ، ٣٥٣) : « يرعى الربيع والشتاء أرملا » . وقد فسر الأرمل في الموضع الأول بأنه الذي لا أنثى له ، ليكون سميناً .

(٣) لم أهتد إلى الموضع الذي يشير إليه الجاحظ . ولعله مما سقط من الكتاب .

(٤) النواء ، هذه النسبة إلى بيع النواة . وجرت عادة أهل المدينة أنهم يبيعون النواة ويعلفون بها . انظر أنساب السمعاني ٥٦٩ . وفي التاج : « النواء كشداد من يبيع نوى التمر . واشتهر به جماعة من المحدثين » . فيما عدا ل : « النوا » بطرح الهمزة .

(٥) ط : « نحوها » بالتاء ، ولا وجه له . وفي ل : « بعشر سنين » . أراد : ليته كان عاجزا عن هذه المغامرات .

(٦) هو حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب . وفيه وفي أخيه زيد ينحصر عقب والدهما الحسن بن علي . ط ، س : « حسن بن حسين » تحريف . وانظر التنبيه والإشراف ٢٥٨ والمعارف ٩٢ — ٩٣ .

قال : وبلغ الخبرُ المختارَ فقال : أيُضَرَّبُ[1] بينَ ابنَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! لأقتلنَّه ! فتواريت ما شاء الله ، ثم لم أشعر[2] إلا وأنا بين يديه ، فقال : الحمد لله الذى أمكننى منك ! [قال] فقلت : أنت استمكنْتَ منِّى ؟ أما والله لولا رؤيا رأيتها لمَاَ قدَرْتَ علىّ ! قال : وما رأيت ؟ قلتُ : رأيتُ عثمان بن عفان[3] فقلت : أنت عثمانُ بنُ عفان ؟ فقال : أنا خُبَارى ، تركتُ أصحابى حَيَارى ، لا يهود ولا نصارى !

فقال : ياأهل الكوفة انظروا إلى ما أرى اللهُ عدُوَّكم ! ثم خلَّى سبيلى. [وقد رُوى هذا الكلامُ عن شُتَيْر بن شَكَل[4] ، أنه رأى معاويةَ فى النوم فقال الكلامَ الذى رُوِى عن عثمان] .

ووجهُ كلامِ علىّ بن الحسين الذى رواه عنه سعيدٌ النواء[5] ، إن كان ١٣٥
صادقاً فإنه للذى كان يسمعُ من الغالية[6] ، من الإفراط والغُلوّ والفُحْش . فكأنه[7] إنما أرادَ كسرهم ، وأن يحُطَّهم عن الغلوّ إلى القَصْد[8] .

---

(١) يضرب ، من التضريب ، وهو التحريض . انظر اللسان (٢ : ٣٩ س ١٠) .
(٢) ل : « ثم لم يشعر » .
(٣) ل : « قلت رأيت عثمان » مع حذف « ابن عفان » فى هذا الموضع وتاليه .
(٤) شتير ، بهيئة التصغير أوله شين وتاء . وشكل بالتحريك . وهو محدث تابعى ؛ وذكر بعضهم أنه أدرك النبى . وفى الإصابة : « وهو وأبوه لا نظير لهما فى الأسماء » . لكن ذكر صاحب القاموس « شتير بن نهار » من التابعين أيضاً . ولشتير رواية عن ابن مسعود وحذيفة وعلى وغيرهم . وكنيته أبو عيسى ، وروى عنه الشعبى وأبو الضحى وبلال بن يحيى وغيرهم . ومات فى ولاية الزبير أو مصعب بن الزبير . انظر القاموس (شتر ، شكل) والإصابة ٣٩٤٧ . وأما والده « شكل » فهو ابن حميد العبسى صحابى من نزل الكوفة . انظر الإصابة ٣٩١٢ . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « شتير بن شكل » تحريف .
(٥) انظر التنبيه ٤ من الصفحة السابقة . فيما عدا ل : « النوا » .
(٦) الغالية والغلاة : الذين يغلون ويبالغون فى شأن على وآله .
(٧) ل : « وكأنه » .
(٨) القصد : الاعتدال . والغلو : تجاوز الحد . ط : « العلو » تحريف .

فإن دين الله عز وجل بَيْنَ التقصير[1] [والغلوّ] وإلا فعليُّ بنُ الحسين أفقهُ في الدين ، وأعلمُ بمواضع الإمامة ، من أن يخفَى عليه [فضل[2]] ما بين عليّ و[بين] طلحةَ والزُّبير .

(شعر ومعرفة في الحبارى)

وقال الكُميت :

وعيدَ الحُبارَى من بعيد تنفَّشَتْ لأزْرَقَ مَغْلُولِ الأظافيرِ بالخضْبِ[3]

والحبارى طائرٌ حسن . وقد يُتَّخَذُ في الدور .

وناسٌ كثيرٌ من العرب وقريش يستطيبون لحمَ[4] الحبارَى جدًّا .

قال : والحبارى [من[5]] أشدّ الطير طيراناً ، وأبعدها مَسْقِطاً[6] ، وأطولها شوْطاً ، وأقلّها عرْجة[7] . وذلك أنها تُصْطاد[8] بظهر البصرة

(١) ط ، ه : « القصد » س : « التقصد » صوابهما ما أثبت من ل .

(٢) الفضل ، بالمعجمة : الزيادة . وهذا الإكمال من ل ، س .

(٣) وعيد الحبارى ، يضرب مثلا للضعيف يتوعد القوى ، ومن أمثال العرب : « وعيد الحبارى الصقر » . انظر ثمار القلوب ٣٨٢ والميداني (٢ : ٢٨٩) . وذلك أن الحبارى تقف للصقر وتحاربه ولا سلاح لها ، وربما ذرقته . تنفشت : نفشت ريشها . فيما عدا ل : « تنفست » تحريف . والأزرق : البازى ، أو العقاب أو الزرق . انظر ص ٣٣٠ . المغلول ، من قولهم غلّ شعره بالطيب أدخله فيه . فيما عدا ل : « مطلول » عله : سقاه مرة بعد أخرى . والخضب : مصدر خضبه بالخضاب ، عنى به دماء ما يقتنص من الحيوان . ل : « بالخصب » .

(٤) كذا في ل . وفيما عداها : « حشو » . وانظر ما سبق في (١ : ٢٢٥) .

(٥) هذه الزيادة من ل ، س .

(٦) المسقط ، بفتح القاف : السقوط . وبفتحها وكسرها : مسقط الرأس والمولد . فيما عدا ل : « سقطا » تحريف .

(٧) العرجة ، بالضم والفتح ، والتحريك : أن تعرج على المنزل وتحتبس .

(٨) ط ، س : « تصاد » .

عندنا ، فيشقّق[1] عن حَواصلها ، فيوجد فيه الحبّة الخضراء[2] غَضَّةً ، لم تتغير ولم تفسُد .

وأشجار البُطُم[3] وهى الحبّة الخضراء[4] بعيدةُ للنابت [منّا] . . وهى عُلوية أو ثَغْرِيّة[5] ، أو جَبَلِيّة . قال الشاعر[6]

ترعى الضَّرْوَ من بَرَاقش أو هيلا ن أو يانعاً من العُـتُمِ[7]

---

(١) فيما عدا ل : « فيشق » .

(٢) سه : « حبة الخضراء » تحريف .

(٣) البطم ، بالضم وبضمتين . وفى اللسان : « وأهل اليمن يسمونها الضرو . والبطم : الحبة الخضراء عند أهل العالية » . وهو شجر فى حجم الفستق والبلوط ، سبط الأوراق والحطب يكثر بالجبال ، وحبه مفرطح فى عناقيد كالفلفل ، وعليه قشر أخضر داخله آخر خشبى يحوى اللب كالفستق .

(٤) فيما عدا ل : « وهى حبة الخضراء » وفى اللسان (١٩ : ٢١٨ س ١٣) : « حبة الخضراء » صوابهما ما أثبت من ل .

(٥) علوية : نسبة إلى عالية نجد ، وهو ما كان من جهة نجد من المدينة إلى تهامة . وما كان من دون ذلك من جهة تهامة فهى السافلة . وثغرية : نسبة إلى الثغر . وهو واحد ثغور الشام . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٢١٥) : « ومنابتها جبال الثغور الشامية » . فيما عدا ل : « عودية » تحريف .

(٦) هو النابغة الجعدى ، كما فى الأغانى (٦ : ٦٤ — ٦٥) ومعجم البلدان (براقش ، هيلان) والإكليل للهمدانى مطبوعة الأب أنستاس ١٢٥ واللسان (١٥ : ٢٧٦ ، ١٩ : ٢١٨ ، ١٤ : ٢٤٠ ، ٨ : ١٥٣) . وانظر رسالة الغفران ٤٠ والقالى (١ : ١٧٢) وشمس العلوم ٦٥ ، ١١٢ .

(٧) ترتعى ، كذا جاءت الرواية . وصوابها : « يَسْتَنُّ » أى يستاك ، كما فى الأغانى وشمس العلوم فى الموضعين . أو « يُسَنُّ » أى يصقل ويسوك ، فى اللسان (١٤ : ٢٤٠) ورسالة الغفران . وذلك لأن قبله :

كأن فاها إذا تبسم عن طيب مشم وطيب مبتسم

كما فى الأغانى . وفى اللسان (١٤ : ٢٤٠) مثله برواية :

كأن فاها إذا توسن من طيب مشم وحسن مبتسم

وفى سائر المصادر « تستن » وصحة هذه الرواية مبنية على رواية بيت بين البيتين وفيه خبر كأن ، وهو كما فى اللآلى ٤٣١ والألفاظ ٦٣١ :

ركب فى السام والزبيب أقا حى كثيب تندى من الرهم

والضرو ، بفتح الضاد وكسرها . فيما عدا ل : « الشرى » تحريف . وفى سائر =

[شجر الزيتون[١]] . والضَّرو[٢] شجر البُطُم ، وهى الحبّة الخضراء[٣] بالجبال شجرتها[٤] . وقال الكَوْدَن العِجْلي[٥] ، [ويروى العُكْلى] : « البطم لا يعرفه أهل الجَلْس[٦] » وبلاد نجد هى الجلس[٧] ، [و] هو ما ارتفع . والغور هو[٨] ما انخفض . وبَراقِشُ : واد باليمن ، كان لقوم عاد . وبراقشُ : كلبةٌ كانت تتشاءم بها العرب[٩] . وقال حمزة بن بيض[١٠] :

= المصادر : « بالضرو » . وبراقش ، بالفتح وكسر القاف : مخلاف من مخاليف اليمن . وهيلان ، بالفتح : جبل باليمن مطل على مأرب من المغرب وعلى براقش والجوف من اليمن . انظر شمس العلوم والإكليل . ويانعاً : ناضراً ، هى فيما عدا ل : « تابعاً » تحريف . وفى الأغانى ومعجم البلدان : « يانع » وفى سائر المصادر : « ناضر » . والعتم ، بضم أو بضمتين أو بالتحريك ، الأخيرة عن اللسان ، وهو الزيتون البرى . وفى حديث أبى زيد الغافقى : « الأسوكة ثلاثة : أراك ، فإن لم يكن فعتم أو بطم » فيما عدا ل : « الغم » تحريف . وفى شمس العلوم : « السلم » وفى الأغانى : « العنم » هذه محرفة . وفى اللسان (١٩ : ٢١٨) : « ويروى : أو ضامر من العتم » . أقول : هى رواية المعرى فى رسالة الغفران .

(١) هذا تفسير العتم . وهو وجه فى تفسيره . والوجه الآخر ما أسلفت فى التنبيه السابق .

(٢) فيما عدا ل : « الشرى » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « حبة الخضراء » وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل . والكلام من : « وهى الحبة الخضراء » إلى كلمة : « البطم » التالية ساقط من هـ .

(٥) فيما عدا ل : « الكوذن » بالذال المعجمة . والمعروف فى أعلامهم بالمهملة انظر اللسان .

(٦) الجلس ، بفتح الجيم . ط : « الحلس » تحريف .

(٧) ط ، هـ : « وبلاد نجد والجلس » ، س : « والحلس » صوابهما فى ل .

(٨) هذه الكلمة ليست فى ل .

(٩) انظر لخبر براقش إكليل الممتاق ١٢٦ وأمثال الميدانى (١ : ٤٢٢) .

(١٠) حمزة بن بيض الحنفى ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية كوفى خليع ماجن . وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبى صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبى بردة ، واكتسب بشعره مالاً عظيماً بلغ ألف ألف درهم . ولم يدرك الدولة العباسية . الأغانى (١٥ : ١٤ — ٢٥) والمؤتلف ١٠٠ . و « بيض » بكسر الباء ، وضبطه الحافظ بالفتح ، وقال الفراء : « البيض : جمع أبيض » وهو الصواب . انظر تاج العروس (٥ : ١٤ — ١٥) ويشهد لصحة الضبط بالكسر قول السحيمى له ، كما فى الأغانى =

بل جناها أخٌ علَىَّ كريم ... وعلَى أهلِها براقِشُ تجنِى[1]

القول فى الضأن والمعز

قال صاحب الضأن : قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ ﴾[2] فقدّم ذِكرَ الضأن .

وقال عز وجل : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ[3] ﴾ . وقد أجمعوا على أنه كبشٌ . ولا شىء أعظمُ مما عظّم الله عز وجلّ ، [ومِنْ شىء فُدِىَ به نبىٌّ] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ[4] ﴾ ولم يقل إنّ هذا أخى له تسع وتسعون عَنْزاً ولى عنزٌ واحدة[5] ؛ لأن الناس يقولون كيف النعجة ؟ يريدون الزوجة .

وتسمى المهامِنُ[6] بقَر الوحش نعاجاً[7] ولم تسمّ بعنُوز . وجعله[8] الله عز وجل السُّنّةَ فى الأضاحى . والكبشُ للعقيقة[9] وهديّة العُرْس

= (١٥ : ١٧) والبيان (٣ : ٢٣٧ — ٢٣٨) :

أنت ابن بيض لعمرى لست أنكره ... حقاً يقينا ولكن من أبو بيض
إن كنت أنبضت لى قوسا لترميَنى ... فقد رميتك رميا غير تنبيض

ط ، ه : « وحدة » صوابه بالزاى كما فى ل ، س .

(١) فيما عدا ل : « على جناها » وهو تحريف ، إذ أنّ قبله ، كما فى أمثال الميدانى :

لم تكن عن جناية لحقتنى ... لا يسارى ولا يمينى رمتنى

(٢) من الآية ١٤٣ فى سورة الأنعام .

(٣) الآية ١٠٧ من سورة الصافات . وانظر للذبيح ما كتبت فى (٤ : ٨٤) .

(٤) من الآية ٢٣ فى سورة ص . وكلمة « هذا » ساقطة من ط ، س .

(٥) كلمة : « هذا » ساقطة من ط ، ه . وفيما عدا ل : « واحد » بدل : « واحدة » تحريف .

(٦) ه : « وتسمى المهاة » صوابه : « والمهاة » وأثبت ما فى ل ، ط .

(٧) ط ، ه : « نعجة ونعاجا » صوابه « نعجة ونعاج » وفيهما إقحام وتحريف .

(٨) أى جعل الضأن . فيما عدا ل : « وجعل » تحريف .

(٩) العقيقة : ما يذبح يوم حلق الشعر الذى يولد به الطفل . وفى الحديث أن رسول =

وجعلَ الجذَعَ من الضأن كالثَّنِيّ من المعز[١] فى الأُضْحِيَّة .

وهذا ما فضَّل الله[٢] به الضأن فى الكتابِ والسُّنَّة . ١٣٦

(فضل الضأن على المعز)

تولَّد[٣] الضأنُ مرة فى السَّنَة ، وتُفْرِد ولا تُتْئِم . وللماعزة [قد] تولد[٣] مرتين ، وقد تضعُ الثلاثَ وأكثرَ وأقلّ .

والبركة والنَّماء والعددُ فى الضأن ، والخنزيرةُ كثيرةُ الخنانيص[٤] يقال إنها تلد[٥] عشرينَ خِنَّوصاً . ولا نماء فيها[٦] .

قال : وفضل الضأن على المعز أن الصوف أغلى وأثمنُ وأكثرُ قدراً من الشعر . والمثلُ السائر : «إنما فلانٌ كبشٌ من الكِباش» . وإذا هجَوه

= أنه صلى الله عليه وسلم قال : « فى العقيقة عن الغلام شاتان مثلان ، وعن الجارية شاة » . انظر اللسان . والشاة : الواحدة من الغنم يكون الذكر والأنثى . وانظر البخارى (٧ : ٨٤) وجمع الفوائد (١ : ٢١٠ — ٢١٢) .

(١) الجذع ، بالتحريك : يكون إجذاعه من ستة أشهر إلى عشرة . والثنى من المعز : ما كان فى الثالثة .

(٢) فيما عدا ل : « فهذا ما فضل الله عز وجل » .

(٣) ط : « تلد » تحريف ، لا يقال ولدت الشاة بمعنى وضعت . وإنما يقال وَلَّدتها وأولدت هى . انظر هذا الجزء ص ١٤٥ ساسى واللسان (٤ : ٤٨٥ س ١٠) . وإذا قالوا شاة والد أو والدة فإنهم يعنون أنها حامل ، أو بينة الولاد قد عرف منها كثرة النتاج . وجاءت الكلمة على الصواب الذى يراه الجاحظ فى سائر النسخ ، وبالضبط الذى أثبت فى ل فقط . فيصح أن تقرأ : « تولد » ، أولدت هى . ويبدو لى أن هذا قول لبعض اللغويين ، وإلا ففى اللسان (٤ : ٤٨٣ س ١٥) : « وكل حامل تلد » . وانظر المخصص (٧ : ١٧٨ — ١٧٩) .

(٤) الخنانيص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير .

(٥) فيما عدا ل : « تلد » وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(٦) أراد أنها مع كثرة ما تضع لا يبقى من ولدها إلا القليل . فيما عدا ل : « ولها » وفى العقد (٤ : ٢٥٧) : « ولا نماء فيها ولا بركة » .

قالوا : « إنما هو تيسٌ [من التيوس] » إذا أرادوا النبْن [أيضاً] . فإذا أرادوا الغاية فى الغباوة قالوا : « ما هو إلا تيسٌ فى سفينة![1] » .

والحُلانُ يلعبُ بها الصبيان ، والجداء لا يُلعبُ بها . ولبنُ الضأن أطيبُ وأخثَرُ[2] وأدسم ، وزُبْده أكثر . ورؤوس الضأن المشويّةُ هى الطيبة المفضلة ، ورؤوس المعز ليس عندها طائل .

ويقال رؤوس الحُلان ، ولا يقال رؤوس امرِضان[3] .

ويقال لِلُوطيِّ[4] الذى يلعب بالحُدَّر[5] من أولاد الناس : « هو يأكل رؤوس الحُلان! » ؛ لمكان ألية الحَل ، ولأنه أخْدل وأرطب[7] . ولم يقولوا فى الكناية والتعريض : هو يأكل رؤوس العِرضان .

والشِّواء المنعوتُ شِواء الضأن ، وشحمُه يصير كلُّه إهالةً[8] أوّلُه وآخرُه . وللمعْـــز[9] يبقى شحمُه على حاله ، وكذلك لحُمه . ولذلك صار الخبّازون[10] الحُذّاقُ قد تركوا الضأن ؛ لأن المعْز يبقى شحمه ولحمه ، فيصلح

(١) انظر ما سبق فى (٢ : ١٥٠) . وقد سار المثل بهذا فى شعر أبى الشمقمق يهجو بشارا (انظر الأغانى ٣ : ٤٦ ، ٦٩) :

إن بشـــار بن برد تيس أعمى فى سفينه

(٢) الخثورة : نقيض الرقة . ل : « أخثر وأطيب » .

(٣) العرضان ، بالكسر : جمع العريض ، وهو الجدى أتى عليه نحو سنة . والكلمة ليست فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « للزطى » تحريف .

(٥) الحدر ، كركع : جمع حادر ، وهو الغلام الجميل الصبيح ، والسمين الغليظ . وفى اللسان (٥ : ٢٤٤) أنه يجمع على حدرة . فيما عدا ل : « الحرب » تحريف .

(٦) فى كنايات الثعالبى ٢٥ : « فلان يحب السلاق ويبغض النعاج » وأنشد لأبى نواس :

إنى امرؤ أبغض النعاج وقد يعجبنى من تنابها الحمـــل

(٧) الخدل : العظيم الممتلئ . فيما عدا ل : « أجزل » محرف .

(٨) الإهالة ، بالكسر : ما أذيب من الألية والشحم . فيما عدا ل : « إهالة واحدة » .

(٩) ط فقط : « المعز » صوابه فى سائر النسخ .

(١٠) المراد بالخبازين هنا الطهاة الذين يجمعون بين الخبز والطهو . وسبق فى (٤ : =

لأنْ يسخَّن مراتٍ[1] ، فيكونَ أربَحَ لأصحاب الغُرس .

والـكباشُ للهدايا وللنطاح[2] . فتلك فضيلةٌ فى النجدة و [فى] الثقافة[3] ومن الملوك من يُرَاهِنَ عليها[4] ، ويضع السَّبَق عليها[5] ، كما يراهن على الخيل .

والـكبشُ الـكراز[6] يحمل الراعىَ وأداةَ الراعى . وهو له كالحمار فى الوقير[7] . ويعيش [الـكرَّازُ] عشرين سنة .

وإذا[8] شَبِقَ الراعى وَاغتَلم اختارَ النعجة على العنز . وإذا نعتوا شكلاً من أشكال مشى البراذين[9] [الفُرَّهِ[10]] قالوا : هو يمشى مشى النِّعاج .

= ٧٦) قول الجاحظ : « والعرب تقول للرجل الصانع تجارًا . وتسميه خبازًا إذا كان يطبخ ويعجن » وفى البخلاء ١٢٣ — ١٢٤ : « وقرب خباز أسد بن عبد الله إليه ، وهو على خراسان ، شواء قد نضجه نضجاً » . وفى التاج للجاحظ ١٧٢ : ثم يأتيه الخباز بالبزماورد » . وانظر تحقيق العلامة أحمد زكى باشا فى ص ٢٠٩ ، وتحقيقاتى فى (كليلة ودمنة) فى مجلة الرسالة العدد ٤٢٨ .

(١) فيما عدا ل : « فيصلح أن يسمن مرات » تحريف .

(٢) النطاح ، يشير به إلى اللعب بالـكباش والتقامر بنطاحها . انظر (٢ : ٢٦٧ س ٣) فيما عدا ل : « النكاح » محرف .

(٣) الثقافة : الحذق والفطنة والخفة .

(٤) يراهن ، من المراهنة . ط فقط : « براهن » بالباء الموحدة ، تحريف .

(٥) السبق بالتحريك : الخطر الذى يوضع بين أهل السباق . ل : « عنها » .

(٦) الـكراز ، كشداد : الذى يضع عليه الراعى كرزه فيحمله ، ويكون أمام القوم ؛ ولا يكون إلا أجم ، لأن الأقرن يشتغل بالنطاح . انظر اللسان . والـكرز ، بالضم : الخرج الـكبير يحمل فيه الراعى زاده ومتاعه . فيما عدا ل : « الكزاز » بزايين ، محرف .

(٧) الوقير ، كأمير ، قال الرمادى : « دخلت على الأصمعى فى مرضه الذى مات فيه فقلت : يا أبا سعيد ، ما الوقير ؟ فأجابنى بضعف صوت فقال : الوقير الغنم بكلبها وحمارها وراعيها ، لا يكون وقيرا إلا كذلك » . فيما عدا ل : « الرفق » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « فإذا » ووجهه بالواو .

(٩) البراذين : جمع برذون ، وهو من الخيل ، ما كان من غير نتاج العراب . ط فقط : « البرازين » بالزاى ، تحريف .

(١٠) الفره ، بالضم وتشديد الراء المفتوحة : جمع فاره ، وهو النشيط الحاد القوى .

وقال الله عز وجلّ : ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا[1] ﴾ فقدَّم الصُّوف .

والبُخْت هي ضأنُ الإبل[2] ، منها الجمّازات[3] . والجواميس هي ضأن البقر . يقال للجاموس الفارسية : « كاوْماش[4] » .

ولا يُذْكَرُ للماعز بفضيلةٍ إلا ارتفاعَ[5] ثمن جلده ، وغَزَارةَ لبَنه . فإذا صِرْتَ إلى عددِ كثرة النِّعاج[6] وجلودِ النعاج والضأن كلِّها أرْبَى ذلك على ما يفضُلُ به الماعزُ الضأنَ في ثمنِ الجلد ، وَالنُّزْر[7] في اللبن .

(قول ابنة الخس ودغفل في المعز)

وقيل لابنة الُخسّ : ما تقولين في مائة من المعز ؟ قالت : قِنًى[8] !

---

(١) من الآية ٨٠ في سورة النحل . ولفظ : (وأشعارها) من ل فقط .

(٢) البخت ، بالضم : الإبل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج . والفالج : البعير ذو السنامين . اختلف في عربيتها ، فقال بعضهم : « أعجمي معرب » . ل : « من ضأن الإبل » .

(٣) الجمازات ، جمع جمازة : وهي التي تجمز ، أي تسرع في عدوها . وانظر (١ : ٨٢ — ٨٤) .

(٤) هي « كاوميش » بالجاف الفارسية . « كاو » بمعنى البقر . وميش ، بكسر الميم كسر إمالة ، ولذلك ساغ للجاحظ رسمها بالألف ، ومعنى « ميش » الضأن A sheed كما في معجم استينجاس ١٣٦٢ ، وكما يفهم من عبارة الجاحظ . وانظر المعرب ١٠٤ ومقدمة المعرب ٧ . ومن ذلك تفهم أن العلامة الدكتور عزام قد شاركني علم التوفيق في تخريج الكلمة ، فلماذا ارتضى « النعجة » مع أن « الكبش » من الضأن كان أولى بأن يخرج عليه ؟ ولا ريب أن الجاموس أشبه بالكباش منه بالنعاج ، لكبر قرونه وعظامة جثته .

(٥) فيما عدا ل : « إلا بانتفاخ » وهو تحريف نسكه .

(٦) كذا في الأصل .

(٧) النزر ، بالضم والفتح : كثرة الدر .

(٨) قنى ، بكسر ففتح : جمع قنية ، بالكسر والضم ، وهو ما اكتسب . ط ، س « فناء » ، ه : صوابهما في ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٢ — ٨٤) والعقد (٤ : ٢٥٧) .

قيل : فـائة من الضأن[1] ؟ قالت : غِنًى[2] . قيل: فـأنه من الإبل .
قالت : مُنًى !

وسئل دَغْفل بن حنظلة[3] عن بنى مخزوم ، فقال: مِعْزَى مَطيرة[4] ، عليها قُشَعْرِيرة ، إلا بنى المغيرة ؛ فإن فيهم تشادُقَ الـكلام ، ومصاهرة الـكرام[5] .

(ماقيل من الأمثال فى المعز)

١٣٧ وتقول العرب : « هو أصْرَدُ من عَنْز جَرْباء[6] ! » . وتقول العرب : « المعز تُبْهِى ولا تُبْنِى[7] » لأن المعز[8] تصعَدُ على ظهور الأخبِيَة

(١) فيما عدا ل : « الضأن » مع إهمال كلمة : « الإبل » التالية بكلمة : « الضأن » تحريف. صوابه فى ل والمرجعين السابقين .

(٢) سه فقط : « غنا » تحريف .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٨٩) . ط : « عيل بن حنظلة » سه : « زعبل » ه : « دعبل » ، صوابهما فى ل والمرجعين السالفين والبيان (١٠ : ٩٤) .

(٤) فى القاموس : « والمعزى قد يؤنث وقد يمنع » . مطيرة : أصابها المطر .

(٥) ل فقط : « ومصاهرة الـكتاب » تحريف .

(٦) أصرد : من الصرد ، وهو البرد . وذلك أنها لا تدفأ لقلة شعرها ورقة جلدها ، فالبرد أضر لها . فيما عدا ل : « من عين » تصحيف . ط ، ه : « حرباء » بالحاء ، تصحيف أيضاً . والمثل على الصواب الذي أثبت فى أمثال الميداني (١ : ٣٧٧) وعيون الأخبار (٢ : ٧٥) . وانظر فى الأمثال ما قيل فى : « أصرد من عين الحرباء » بالحاء . وسيأتى فى (٦ : ١٦) : « أصرد من حية جرباء » .

(٧) تبهى : من أبهى البيت : خرقه . وتبنى من أبنى أي أعان على البناء . وفى اللسان : « الأزهرى : والمعزى فى بادية العرب ضربان : ضرب منها جرد لا شعر عليها ، مثل معزى الحجاز والغور ، والمعزى التى ترعى نجود البلاد البعيدة من الريف كذلك . ومنها ضرب بأنف الريف ، وزجن — لعله يدجن — حوال القرى الكثيرة المياه يطول شعرها ، مثل معزى الأكراد بناحية الجبل ونواحى خراسان . وكأن المثل لبادية الحجاز وعالية نجد » . وفيه : « وقال القتيبى فيما رد على أبى عبيدة : رأيت بيوت الأعراب فى كثير من المواضع مسواة من شعر المعزى » . ونص المثل فى اللسان (بنى ، بهو) : « إن المعزى تبهى ولا تبنى » . وعند الميدانى وكذا فى البلغة ١٢٦ — ١٢٧ مثله مع حذف « إن » . وانظر جمهرة العسكرى ١٨٦ والمخصص (١ : ٣٧) . و « تبهى » جاءت فى ط محرفة برسم : « تهدم » و ه : « تبنى » و سه : « تهس » . والمثل يضرب لمن يفسد ولا يصلح .

(٨) ل : « لأنها » سه . « لأن المعز » .

فتفطمها بأظلافها، والنعجة لا تفعل ذلك.

هذا. وبيوتُ الأعرابِ إنما تُعمَلُ من الصوف والوبَر[1]، فليس للماعز فيها معونة، وهى تخرِّقها. وقال الأول[2]:

لو نَزَلَ الغيثُ لأَبْنَيْنَ امرأً   كانت له قُبَّةٌ، سَحْقَ بِجادِ[3]

أبناه: إذا جعل له بناء[4]. وأبنية العرب: خيامهم. ولذلك يقولون: بنى فلان على امرأته البارحة.

(ضرر لحم الماعز)

وقال [لى] شمْعُون الطبيب[5]: يا أبا عثمان، إياك ولحم الماعز؛ فإنه يورثُ الهمّ، ويحرِّك السّوداء، ويورثُ النِّسيان، ويُفسدُ الدمَ، وهو والله يخبِّل الأولاد!

---

(١) انظر الرد على هذا فى التنبيه رقم ٧ من الصفحة السابقة.

(٢) انظر المخصص (٥ : ١٢٢) والخصائص (١ : ٣٦) وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٢٠٦) واللسان (٩ : ٤ و ١٨ : ١٠٢).

(٣) الرواية فى المراجع السالفة: «لو وصل الغيث» أى لو اتصل وتتابع. والقبة: البيت من الأدم خاصة. السحق، بالفتح: الخلق. والبجاد، بالكسر: كساء مخطط. يقول: لو غثنا لأمرعنا وأخصبنا فأشرنا وأغرنا، فجعلت خيلنا هذا الرجل العزيز الذى كان يسكن فى قبة من أدم، يأوى، إلى خباء من سحق كساء، وذلك لشدة الإغارة وما يكون فيها من نهب. وقيل معناه: أن هذه الخيل لو صحبها الغيث بما ينبت لها لأغرت بها على ذوى القباب فأخذت ثيابهم حتى تكون البجد أبنية لهم بعدها. ضمير: «أبنين» للخيل. و«سحق» مفعول ثان لأبنين. ط: «لا بنى» هـ: «لأبنى» س: «لأبنين» صوابها فى ل. وفى المراجع: «أبنين» بطرح اللام. هـ، س: «وسحق» بإقحام الواو، تحريف. هـ: «نجاد» تحريف أيضاً.

(٤) ط، هـ: «إنما أراد لجعل له بناء» صوابهما فى ل.

(٥) شمعون الطبيب، لم أجد له ترجمة إلا فيما يروى الجاحظ عنه. وقد سبقت رواية الجاحظ عنه فى (٣ : ٨ — ٩). فيما عدا ل: «جشمون» تحريف.

وقال الكلابيّ[1] : « العُنُوق بعد النُّوق[2] » ولم يقل : الحَمَل بعد الجمل .

وقال عمرُو بن العاص[3] للشيخ الجُهنيّ المعترض عليه فى شأن الحكَمين : وما أنتَ والكلامَ[4] ياتيس جُهينة ؟ ! [ولم يقلْ يا كبشَ جُهينة] ؛ لأن الكبشَ مدحٌ[5] والتّيسَ ذمٌّ[6] .

وأما قوله « إن الظِّلْف لا يُرَى مع الخُفّ » فالبقرُ والجواميس والضأنُ والمَعْز فى ذلك سواء .

[قال] : وأُتِيَ عبدُ الملكِ بن مروانَ فى دخوله الكوفةَ على موائد بالجِداء[7] ، فقال : فأين أنتم عن العاريس[8] ؟ فقيل له : عاريس الشأم أطيب !

وفى المثل : « هو أذَلُّ من النَّقَد » . والنَّقَد هو المعز[9] . وقال الكذّابُ الحِرْمازيّ[10] :

---

(١) ط « الكلابى » هو : « الكلانى » بالإهمال ، صوابهما فى ل ، س .

(٢) العنوق ، بالضم : جمع عناق بالفتح ، وهو الأنثى من ولد المعزى إذا أتت عليها سنة . وهذا جمع نادر . ويجمع أيضاً على أعنق وعنق . والنوق : جمع ناقة . يضرب لمن كانت له حال حسنة ثم ساءت . أى كنت صاحب نوق فصرت صاحب عنوق . انظر الميدانى (١ : ٤٢٠) واللسان (١٢ : ١٤٨) .

(٣) فيما عدا ل : « العاصى » وانظر ما أسلفت من تحقيق فى التنبيه السابق ص ٢٩٥ .

(٤) فيما عدا ل : « والحكمين » .

(٥) انظر المفضليات (١٧ : ١٤ و ٤١ : ٢٢ طبع المعارف) .

(٦) هذه العبارة من قول عمرو بن العاص فيما يظهر .

(٧) الجداء : جمع جدى . و « على موائد » ساقطتان من ل .

(٨) العاريس : جمع عروس ، بالضم ، وهو الجدي ، لغة شامية ، كما فى اللسان . وفيه أيضاً : « وفى حديث عبد الملك بن مروان : أين أنت من عروس راضع ! » .

(٩) هذا التفسير انفرد به الجاحظ . وأعرف الأقوال فى النقد أنه جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه تكون بالبحرين . انظر اللسان (٤ : ٤٣٧) والميدانى (٢ : ٢٦٠) .

(١٠) سبق الرجز ومراجعه فى (٣ : ٤٨٩) وانظر أيضاً الأزمنة للمرزوقى (٢ : ٢٦٦) وفيه نسبة الرجز للعين المنقرى .

لو كنتمُ قولاً لكنتمْ فَنَدَا(١) أو كنتمُ ماءً لكنتمْ زَبَدا
أو كنتمُ شاءً لكنتم نَقَدَا [أو كنتم عوداً لكنتم عُقَدا]

(اشتقاق الأسماء من الكبش)

قال : والمرأة تسمى كَبْشَةَ ، وكُبَيشة . والرجل يكنى أبا كَبْشة ، وقال أبو قُرَدُودة :

كُبيشة إذ حاولتْ أنْ تَبِـ ـينَ يستبقُ الدَّمعُ منى استباقا(٢)
وقامتْ تُرِيكَ غَداةَ الفِراقِ كَشْحاً لطيفاً وفَخْذاً وساقا(٣)
ومُنْسَـــدِلاً كمثانى الحِبا لِ تُوسِمه زَنْبقاً أو خِلاقا(٤)

[وأول هذه القصيدة

كُبيشة عِرْسى تريد الطلاقا وتسألنى بعد وهنٍ فراقا]

---

(١) الفند ، بالتحريك : الكذب .
(٢) ط ، هـ : «إذا حاولت تستبين» س : «إذ حاولت تستبق يستبق» صوابهما فى ل .
(٣) الكشح : الخصر اللطيف الدقيق . ل : «كفا لطيفاً» . واستعمال «الكف» مذكراً لغة ضعيفة . انظر ما أسلفت فى ص ٢٢١ .
(٤) منسدلا : مسترسلا على شعرها . والمثانى : جمع مثناة وهو الحبل . والزنبق : دهن الياسمين . قال الأزهرى : «وأهل العراق يقولون لدهن الياسمين دهن الزنبق» . مأخوذ من «زَنْبَه» الفارسية بمعنى الورد الأبيض . انظر استينجاس ٦٢٣ ، ٦٢٤ .
ولم يتعرض أحد لهذا التأصيل فى المعاجم وكتب المعرب . توسمه : تبالغ فى دهنه . والأصل فيه : «أوسمه الشىء : جعله يسمه» . قال امرؤ القيس :
فتوسع أهلها أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع ورى
والخلاق ، بالكسر : ضرب من الطيب ، وهو الخلوق بالفتح . وروايته فى اللسان (١١ . ٣٧٩) : «ومنسدلا تفرقون العروس» . ط ، هـ : «تَوَشَّمه» س «ترشقه» صوابهما فى ل واللسان . وفيما عدا ل : «حلاقا» بالمهملة ، صوابه بالمعجمة كما فى ل واللسان .

(قول القصاص فى تفضيل الكبش على التيس)

وقال بعض القُصّاص : وممّا فضل الله عز وجل به الكبْش أن جعله مستورَ العورة من قُبُلٍ ومن دبُرٍ ، وممّا أهان الله تعالى به التيسَ أن جعله مهتوكَ الستر ، مكشوف القُبُل والدُّبرِ[(١)] .

(التيس فى الهجاء)

وقال حسّانُ بن ثابتٍ الأنصارىُّ :

سألتُ قريشاً كلها فشرارُها بنو عامرٍ شاهتْ وجوهُ الأعابِدِ[(٢)]
إذا جلسوا وسْطَ النَّدِىِّ تجاوبوا تجاوُبَ عِتْدَانِ الربيعِ السَّوافدِ[(٣)]

١٣٨ وقال آخر[(٤)] :

أعثمانُ بنُ حَيّانَ بنِ أدمٍ عَتودٌ فى مَقارِقِه يبولُ[(٥)]

---

(١) فيما عدا ل : « الدبر والقبل » وأثبت ما فى ل والعقد (٤ : ٢٥٨) وعيون الأخبار (٢ : ٧٦) .

(٢) بنو عامر ، لعله يعنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر . والنضر هو أبو قريش كلها . فيما عدا ل : « بنو مالك » تحريف . والأعابد : جمع أعبد ، وأعبد جمع عبد . انظر اللسان (٤ : ٢٦٠ س ٥) . فيما عدا ل : « الأعائد » تحريف .

(٣) الندي : النادى ، وهو مجلس القوم . والعتدان ، بالكسر : جمع عتود ، بالفتح ، وهو الجدى الذى قد بلغ السفاد . ويدغم كثيراً فيقال : « عِدّان » . وأنشد أبو زيد :

واذكر غدانة عدانا مزنمة من الحبلق تبنى حولها الصير

ل : « عبدان » س ، هو « عيدان » صوابهما ما أثبت من ط . والشعر فى الديوان ١٠٢ .

(٤) هو المرار الفقعسي كما فى اللسان (١٦ : ٦٢ س ٩ — ١٠) وهو المرار بن سعيد بن حبيب . شاعر إسلامى كثير الشعر . انظر المؤتلف ١٧٦ والمرزبانى ٤٠٨ .

(٥) عثمان بن حيان ، كان والياً على المدينة سنة ٩٤ من قبل الوليد بن عبد الملك ، =

ولو أنى أشاء قد ارفأنَّتْ   نَمامَتُهُ ويعلمُ ما أقول[1]

وقال الشاعر :

سُمِّيتَ زَيداً كى تزيد فلم تَزِد   فعادَ لكَ المُسمِّى فسَمَّاكَ بالقَحْرِ[2]

وما القحرُ إلا التيسُ يعتك بَوْلُهُ   عليه ويمذى فى اللّبان وفى النَّحْرِ[3]

(نتن التُّيوس)

فالتَّيس كالكلب ؛ [لأنه] يقزَحُ ببوله[4] ، فيريدُ به حاقَّ خَيشومه[5] .

وبول التَّيس [من] أخْثَرِ البَوْلِ وأنتنِه ، وريحُ أبدانِ التُّيوس إليها ينتهى

= ثم عزله سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ . انظر الطبرى (٨ : ٩٢ ، ١٠٢) . وكان المرار قد طرد طريدة فأخذ منها وهو يبيعها بوادى القرى ، أو بيرمق ، فرفع أمره إلى عثمان بن حيان فحبسه . الأغانى (٩ : ١٥٤) .

(١) ارفأنت نمامته : سكنت بعد غضب . ويكنون بالنمامة عن الجهل ، ويقولون : « شالت نعامته » و : « ارفأنت نعامته » أى سكن بعد غضبه . انظر اللسان (١٢ : ٤٠٠ س ٢ و ١٦ : ٦٢ س ١٠) . والرواية فيما عدا ل : « ولو أنى أشاء لشالت » . ورواية سائر البيت فى اللسان : « وأبغض ما أقول » . وقد سبق البيتان محرفين فى (١ : ٢٣٠) .

(٢) القحر : البعير المسن . فيما عدا ل : « بالقبحر » تحريف . ورواية صدر البيت فيما عدا ل : « تسمى يزيد كى يزيد فلم يزد » . وسبق فى (١ : ٢٣٠) : « دعيت يزيد كى تزيد فلم تزد » وفى ط ، س : « فقالك المسمى » ‌و : « فقالك المسمى » صوابهما فى ل .

(٣) يعتك عليه : يغلبه ، من قولهم : عتكت المرأة على أبيها : عصته وغلبته . فيما عدا ل : « وما الفى إلا التيس بعبر » تحريف . ويمذى من المذى . فيما عدا ل : « يجلى فى لبان وفى نحر » محرف .

(٤) يقزح بالقاف والزاى : أى يرى به أو يرسله دفعاً . ل : « يقترح » وفيما عدا ل : « يفرح » صوابها ما أثبت .

(٥) الحاق ، بتشديد القاف : وسط الشئ . انظر اللسان (١١ : ٣٤١) . فيما عدا ل : « فيرد حاق خيشومه » تحريف .

للبَلَ . ولو كان هذا [العرَض] في الكبش لكان[1] أعذَرَ له ؛ لأن الحموم [والدخَن] ، والعفَن والنَّتْن ، لو عرض لجلدٍ ذى الصُّوفِ المتراكِم ، الصَّفيق الدقيق ، والملتفّ المستكثِف ؛ لأن الرِّيح لاتتخلّله ، والنسيم لايتخرّقه[2] ـ لكان ذلك أشبه .

قد علِمْنا الآن أن التيسِ مع تخلخل شعره[3] ، وبروز جلده[4] وجُفوف عرَقه ، وتقطع بخار بدنه — فضلا [ليس لشيء سواه . والكلبُ يُوصَفُ بالنَّتْن إذا بلَّه المطَرُ[5] . والحيّات توصَفُ] بالنتن[6] . ولعل ذلك أنْ يجدَه مَن وَضَع أنفَه على جلودها .

[وبولُ التيس يخالطُ خيشومَه . وليس لشيء من الحيوان مايشْبِهُ هذا ، إلا ماذكرْنا من الكلب . على أن صاحب الكلب قد أنكرَ هذا .

وجلودُ التُّيوس] ، وجلودُ آباط الزِّنْج مُنتِنةَ العرَق ، وسائرُ ذلك سَليم . والتيس إبطٌ كله[7] ، ونتْنه في الشتاء كنتْنه في الصيف . وإنما لتدخلُ السكّةَ وفى أقصاها تيّاس[8] ، فتجدُ نتْنها من أدناها ، حتى

---

(١) فيما عدا ل : « كان بطرح اللام . وهما وجهان جائزان كما كتبت في ص ٢٢١ .

(٢) يتخرقه : أراد يتخلله . ولم أجد نصا على هذا الفعل إلا ما ورد في اللسان (١١ : ٣٦٢) : « قال أبو عدنان . الخارق اللاص يتخرقون الأرض ، بينا هم بأرض إذا هم بأخرى » . فيما عدا ل : « لا يخرقه » من قولهم خرقت الأرض : جبتها وقطعتها .

(٣) تخلخله : تفرقه . وانظر ما أسلفت في ص ٥١ وأساس البلاغة (خلل) والألفاظ لابن السكيت ٥١ . فيما عدا ل : « تخلل » تحريف .

(٤) بروزه : أى ظهوره لخفة الشعر الذى يعلوه . فيما عدا ل : « بروق » تحريف .

(٥) انظر ما قيل من شعر في هذا المعنى في الجزء الأول ص ٢٢٦ .

(٦) فيما عدا ل : « في النتن » .

(٧) عبارة جاحظية طريفة . عنى أنه منتن البدن كله .

(٨) التياس : صاحب التيوس وممسكها . فيما عدا ل : « التيوس » .

لايكاد أحدُنا[١] يقطعُ تلك السكة إلا وهو مخمَّرُ الأنف . إلا ما كان مما طبَعَ الله عز وجل عليه البَلَوِىَّ[٢] وعليًّا الأسوارى[٣] ؛ فإن بعضَهما[٤] صادقَ بعضاً على استطابة ريح التيوس[٥] . وكانا ربما جلسا على باب التَّيَّاس ؛ ليستنشقا تلك الرائحة ، فإذا مرَّ بهما من يعرفهما[٦] وأنكر مكانهما ، ادَّعيا أنهما ينتظران[٧] بعض من يخرجُ إليهما من بعض تلك الدُّور .

(المكِّىّ وجاريته)

فأما المكى فإنه تعشَّقَ جاريةً يقال لها سَنْدَرة[٨] ، ثم تزوجها نَهارية[٩] وقد دعانى إلى منزلها غيرَ مرّة ، وخبرنى أنها كانت ذاتَ صُنان[١٠] ،

---

(١) فيما عدا ل : « أحد منا » .

(٢) البلوى : نسبة إلى قبيلة « بلى » كغنى . ل : « الملوى » بالميم .

(٣) الأسوارى : نسبة إلى الأسوار واحد الأساورة من الفرس ، كانوا نزلوا فى بنى تميم بالبصرة ، واختطوا بها خطة واتصوا إليهم . وهناك نسبة أخرى إلى « أسوارية » بالفتح والضم ، وهى قرية من قرى أصبهان . وعلى الأسوارى كان من معاصرى الجاحظ : وكان أكولا ، روى الجاحظ فى البخلاء ٦٣ أنه « نهش بضعة لحم تعرقا فبلع ضرسه وهو لا يعلم » . وكان من المحمقين . وفى البيان (٢ : ١٨٨) : « قال على الأسوارى : عمر بن الخطاب معلق بشعرة ! قلت : وما صيره إلى ذلك ؟ قال : لما صنع بنصر ابن سيار !! يريد : نصر بن الحجاج » .

(٤) ل ، س : « فإن بعضهم » والوجه التثنية .

(٥) ل : « استطابة رائحة التيوس » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وإذا مره » . ط ، هـ : « من ينكرها » وهذه محرفة .

(٧) فيما عدا ل : « ادعوا أنهما منتظران » وفيه تحريف .

(٨) سندرة ، بالراء : من أعلام النساء ، ومنه فى المثل « كيل السندرة » كانت تبيع القمح وتوفى الكيل . والسندرة أيضا : شجرة يعمل منها القسى والسهام . فيما عدا ل : « سندوة » .

(٩) نهارية : نسبة إلى النهار . وانظر الاستدراكات .

(١٠) ط ، هـ : « ذا صنان » تحريف .

وأنه كان معجَباً بذلك منها، وأنها كانت تعالجه بالمرتك[1]، وأنه نهاها مراراً حتى غضب عليها فى ذلك. قال: فلما عرَفتْ شهوتى كانت إذا سألتنى حاجة ولم أقضها قالت: واللهِ لأتمرتسكَنَّ، ثم واللهِ لأتمرتسكَنَّ، ثُمَّ واللهِ لأتمرتسكَنَّ[2]! فلا أجِدُ بُدًّا من أن أقضى حاجتها[3] [كائناً ما كان].

(اشتهاء ريح الكرياس)

وحدّثنى مُوَيس بن عِمران ، وكان هو والكذب[4] لا يأخذان فى
١٣٩ طريق ، ولم يكن عليه فى[5] الصدق مَؤونة ، لإيثاره له حتى كان يستوى عنده ما يضرُّ وما لا يضر[6] — قال كان عندنا رجلٌ يشتهى ريح الكِرْياس[7] لا يشفيه دونه شىء ، فكان قد أعدَّ مِجْوَباً[8] أو سِكّةَ حديد[9] فى صورة للبرد ، فيأتى الكرابيس[10] التى تكون فى الأزقة القليلة

---

(١) انظر لتفسير « المرتك » التنبيه الخامس من ٣٧٤ ، ٣٥٠ .

(٢) هذا الفعل مناعى لم تعرفه المعاجم .

(٣) فيما عدا ل : « من قضاء حاجتها » .

(٤) س : « والكذاب » .

(٥) ل : « من » .

(٦) فيما عدا ل : « وما ينفع » .

(٧) الكرياس ، بالكسر وبياء مثناة ، قال أبو عبيد : هو الكنيف الذى يكون مشرفاً على سطح بقناة إلى الأرض . قال الأزهرى : سمى كرياسا لما يعلق به من الأقذار فيركب بعضه بعضاً ويتكرس مثل كرس الدمن . وهو فعيال من الكرس ، مثل جريال . وهو من الألفاظ المشتركة بين العربية والفارسية : وتفسيره فى الفارسية مثله فى العربية ، وفى معجم استينجاس ١٠٢٦ : (A privy on the roof of house having communication with a subterraneous passage) . ل ، س : « الكرباس » بالباء ، تحريف . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢٢٠ س ٣) .

(٨) المجوب ، بالكسر : آلة الجوب وهو القطع . انظر اللسان (١ : ٢٧٧ س ١١ — ١٢) . فيما عدا ل : « وتدا » .

(٩) السكة : أراد بها القطعة من الحديد ، وأصل السكة حديدة الحراث . فيما عدا ل : « من حديد » .

(١٠) ل فقط : « الكرابيس » بالباء ، تحريف . انظر التنبيه السابع .

المارة ، فيخرِق الكِرياس[1] [ولا يبالى ، أ] كان من خزَف أو من خشب ثم يضعُ منخرَيه عليه ، حتى يقضيَ وطرَه .

قال : فلقى الناسُ من سَيَلانِ كرابيسهم[2] شرًّا حتى عثَروا عليه ، فما منعَهُم من حبسه إلا الرحمة [له] من تلك البليّة ، مع الذى رأوا من حسن هيئته ، [فقال لهم : ياهؤلاء ، لو مررتم بي إلى السلطانِ كان يبلغُ من عقابى أكثر مما أبلغ من نفسى؟ قالوا: لا والله! وتركوه] .

(نتن العنز)

قالوا: وهذا شأنُ التَّيس ، وهو أبو العنز . « ولا تلد الحيّةُ إلا حيّة[3] » ولابدّ لتلك النّتْن عن ميراث [فى ظاهر] أو باطن . وأنشدوا لابن أحمر:

إنى وجدْتُ بنى أعيا وجاملهم ... كالعنز تَعطفُ رَوقَيها فترتضع[4]

وهذا عيب لايكون فى النّعاج .

(مثالب العنز)

والعَـــنز هى التى ترتضع[5] من خلفها وهى مُحَفَّلة[6] ، حتى تأتى

(١) ل ، س : « الكرياس » بالياء ، محرف . انظر التنبيه ٧ من الصفحة السابقة .
(٢) ل ، س ، هو : « كرابيسهم » بالباء ، صوابه من أثبت من ط .
(٣) ط فقط : « وهل تلد الحية إلا حية » .
(٤) أعيا : أبو بطن من أسد ، وهو أعيا أخو فقعس ، ابنا طريف بن عمرو بن الحارث ابن ثعلبة بن دودان بن أسد . والجامل : قطيع من الإبل معها رعيانها وأربابها . والروق ، بالفتح : القرن . ط ، هو : « بنى أعيان » س : « وهبان » وأثبت ما فى ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٥) . ورواية اللسان (٩ : ٤٨٤) والحيوان (١ : ٢٢٠ ، ٣٥٤) : « بنى سهم » ل : « وحاملهم » وفيما عدا ل : « حاملهم » بإسقاط الواو صوابه بالجيم وإثبات الواو . وفى اللسان : « وعزهم » . والبيت محرف فى العقد (٤ : ٢٥٧) .
(٥) ط ، هو « ترضع » .
(٦) المحفلة : التى ترك حلبها أياما حتى يجتمع لبنها . فيما عدا ل : « مخلفة » صوابهما =

على [أقصى] لبنها ، وهى التى تنزع الوتد وتقلِبُ المِلْفَ ، وتنثر ما فيه[١]

وإذا ارتعت الضائنة[٢] والماعزة فى قصيل[٣] ، نبتَ ما تأكله الضائنة[٤] ، ولا ينبت ما تأكله الماعزة ، لأن الضائنة تقرض بأسنانها وتقطع ، والماعزة تقبض عليه فتثيره[٥] وتجذبه ، وهى فى ذلك تأكله [ويضرب بها المثلُ بالموق[٦] فى جلبها حَتْفَها على نفسها] . وقال الفرزدق :

فكانت كعنز السوء قامت بظِلفها   إلى مُدْيَةٍ تحت التراب تُثيرُها[٧]

فى ل : وعيون الأخبار (٢ : ٧٥ س ١٧) والعقد (٤ : ٢٥٧) .

(١) ط : « وتثير ما فيه » س ، هـ : « وتثير ما فيه » والأول محرفة . وأثبت ما فى ل .

(٢) الضائنة : الشاة من الغنم ، يقابلها الضائن وهو الكبش من الغنم . ل ، س ، هـ : « الضانيه » وهى صحيحة ، ولكنها ليست مرادة . والضانئة ، بتقديم النون : الكثيرة الولد . وفى اللسان (١ : ١٠٦) : « الكسائى : امرأة ضانئة وماشية معناه أن يكثر ولدها » . وأثبت صواب النص من ط وعيون الأخبار (٢ : ٧٥) والعقد (٤ : ٢٥٧) .

(٣) القصيل : ما اقتصل من الزرع أخضر ، سمى قصيلا لسرعة اقتصاله ، من رخاصته . فيما عدا ل : « فصل » وكذا العقد ، تحريف . وفى عيون الأخبار : « قصير » صوابهما ما أثبت من ل .

(٤) كذا على الصواب الذى أثبت فى ط . وفى سائر النسخ : « الضانية » تحريف .

(٥) ل : « فتنثره » من النثر .

(٦) الموق : الحمق . والأوفق : « فى الموق » لكن جاءت هكذا .

(٧) قال البحترى فى حماسته ص ٢٨٤ : « يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعجة فأراد ذبحها ، ولم يكن معه شىء يذبحها به . فبينا هو يفكر فى ذلك ، وأى شىء يصنع ، إذ حفرت النعجة بأظلافها الأرض ، فأبرزت عن سكين كانت مندفنة فى التراب فذبحها بها ، فضرب العرب المثل » . وروى ثمانية أشعار فى هذا المعنى فى الباب ١١٥ . وانظر جمهرة العسكرى ٩٠ والميدانى (٢ : ١٧٨) ومعجم المرزبانى ٣٧٤ س ١٦ . والرواية فيما عدا ل : « وكانت » . وفى ديوان الفرزدق ٢٤٩ : « وكان » . وسيأتى البيت برواية الديوان فى ص ٤٧٥ .

(تيس بني حمّان)

وقال الشاعر :

لعمرُكَ ماتَدْرِى فَوَارِسُ مِنقَرٍ
أفى الرأس أم فى الإست تُلْقَى الشَّكَائمُ[١]

وألْهَى بَنِى حِمَّانَ عَسْبُ عَتُودِهِمْ عن المجد حتى أحرزَتْهُ الأكارِمُ[٢]

وذلك أن [بني][٣] حمّان تزعم أن تيسهم قرَعَ شاةً بعد أن ذُبِح[٤] ، وأنه ألقحها .

(أعجوبة الضأن)

قالوا : فى الضأن أعجوبةٌ ؛ وذلك أن النعجةَ ربما عظُمَت أَلْيَتُها حتى تسقطَ على الأرض ، ويمنعها ذلك [من] المشى ، فعند الكبش رِفقٌ فى السِّفاد ، وحِذْقٌ لم يُسْمَعْ بأعجَبَ منه ، وذلك أنه يدنو منها[٥] ويقف [منها] موقفاً [يعرِفُه] ، ثم يصكُّ أحدَ جانبى الأليةِ بصدره[٦] ، بمقدارٍ من

---

(١) منقر ، هو ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . فيما عدا ل : « منقراً » تحريف . والشكائم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس . يقول : ليسوا فرساناً ، إذ لا معرفة لهم بالخيل ولا عهد لهم بها . فيما عدا ل : « أفى الإست أم فى الرأس » .

(٢) حمان ، بكسر الحاء وتشديد الميم ، وهم بنو حمان بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . والعسب ، بالفتح : ضراب الفحل أو ماؤه أو كراء ضرابه . والعتود ، بالفتح : الجدى قد بلغ السفاد . يقول : جعلوا فخرهم فى هذا التيس فألهاهم ذلك عن المجد .

(٣) هذه التكملة من ل ، س .

(٤) فيما عدا ل : « بعد ما ذبح » . وانظر ما سبق ٢١٩ وما سيأتى فى ١٤٧ ساسى .

(٥) ل : « إليها » . وحروف الجر يخلف بعضهن بعضاً . وفى اللسان (١٨ : ٢٩٧) : « دنا عليه » .

(٦) فيما عدا ل : « ثم يصد إحدى ناحيتى الألية بصدره » وفيه تحريف .

الصكّ[١] يعرفه ، فيفرج عن حياها للقدار الذى لايعرفه غيرُه[٢] ، ثم يبقُدُها فى أسرعَ من اللّمح .

(فضل الضأن على الماعز)

وقالوا : والضأنُ أحمَلُ للبرد [والجمد[٣]] وللرِّيح والمطر .

[قالوا] : ومن مفاخر الضأن على المعز أن التمثيل الذى كان عند كسرى والتَّخيير[٤] ، إنما كان بين النعجة والنخلة[٥] ، ولم يكن هناك للمعز ذِكر . وعلى ذلك الناسُ إلى اليوم .

والموتُ إلى المعزَى أسْرَع ، وأمراضها أكثر . وإنما معادِن[٦] الغنَم الكثير الذى عليه يعتمدُ الناسُ ـ الجبالُ ، والمعز لاتعيش هناك . وأصوافُ ١٤٠
الكِباش أمنعُ للكباشِ من غِلَظ جُلودِ المعز . ولولا أن أجوافَ الماعز أبردُ ، وكذلك كُلاها ، لَمَا احتشَتْ من الشَّحم كما تحتشى .

(جمال ذكورة الحيوان وقبح التيوس)

وذكورة كلِّ جنس أتمُّ حُسناً من إناثها . وربما لم يكنْ للإناث شىء من الحسن ، وتكونُ الذكورةُ فى غاية الحسن ؛ كالطواويس

(١) الصك : الضرب . فيما عدا ل : « الصك » تحريف .

(٢) الحيا : الفرج من ذوات الخف والظلف . فيما عدا ل : « فيفرج عن جانبها المقدار الذى لا يراه غيره » تحريف .

(٣) الجمد ، بالتحريك : الثلج . والكلمة التى بعدها هى فيما عدا ل : « والريح » .

(٤) التخيير : التفضيل .

(٥) فيما عدا ل : « النحلة » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٦) المعادن : المواطن . عدن بالمكان أقام ، وعدنت البلد : توطنته .

والتَّدارج(١) . وإناثها [لاتدانيها في الحسن ، ولها من الحسن مقدارٌ] ، وربما كُنَّ دونَ الذُّكورة ، ولهنَّ من الحسن مقدار ، كإناث الدَّراريج والقَبَج(٢) والدجاج والحمام ، والورشين ، وأشباه ذلك .

[وإذا قال الناس : تيّاس ، عُرِف معناه واستُقْذِرَتْ صناعته . وإذا قالوا : كَبَّاش ، فإنما يعنُون بيعَ الكِباش واتخاذَها للنِّطاح]

والتُّيوسُ قبيحة جدًّا . وزاد في قبحها حُسْنُ الصَّفايا(٣) .

(التشبيه بالكباش والتفاؤل بها)

وإذا وصفوا أعذاق(٤) النخلِ العِظام قالوا : كأنَّها كِباش .

وقال الشاعر :

كأنَّ كِباشَ السَّاجِسيَّةِ عُلِّقَتْ دُوينَ الخَوافي أو غرايرَ تاجِرِ(٥)

[وصوَّر عُبيدُ الله بن زياد ، في زقاق قصره(٦) ، أسداً ، وكلباً ، وكبشاً . فقَرَنَه مع سَبُعين عظيمَي الشأن : وحشيٍّ ، وأهليٍّ ، تفاؤلا به] .

---

(١) التدرج : جمع تدرج . انظر ص ٢٠٩ فيما عدا ل : « التدارج » .

(٢) الدراريج : جمع دراج . انظر ص ٢٠٩ . والقبج : بالتحريك . فسر في (٢ : ١٧١) .

(٣) الصفايا : جمع صفية . انظر التنبيه الثالث ص ٢٠٩ .

(٤) الأعذاق : جمع عذق ، بالكسر ، وهو العرجون بما فيه من الشماريخ . ط فقط : « أعذاق » تحريف .

(٥) الساجسية : ضأن حمر . قال أبو عارم الكلابي (اللسان ٧ : ٤٠٨) :

فالطلق مثل الساجسي الحفضاج

والخوافي : السعفات اللواتي يلين القلبة ، وهي لفظة نجدية . وهي في لغة أهل الحجاز : العواهن . والغرائر : جمع غرارة ، وهي الجوالق . فيما عدا ل : « كأن الكباش » وفي ط ، هو : « دوين أجير » محرفة ، وموضع كلمة : « الغرائر » أبيض في س . وفيما عدا ل : « غدائر » مكان « غرائر » ، تحريف .

(٦) الزقاق ، بالضم : طريق ضيق دون السكة . وقد سبق هذا الخبر بتفصيل في =

(شعر في ذم المعز)

ومما[1] ذمُّوا فيه المعز دونَ النعجةِ قولُ أبي الأسودِ الدُّؤَلى[2] :

ولستُ بمِراضٍ إذا ما لقيته يبسُّ كالغَضْبان حين يقولُ
ولا يِسبِس كالمعز أطولُ رِسْلها ورُمّانها يومان ثم يزولُ[3]

وقال أبو الأسود أيضاً[4] :

ومن خيرِ ما يتعاطى الرجالُ نصيحةُ ذى الرأى للمجتبيها[5]
فلا تكُ مثلَ التى استخرَجَتْ بأظلافها مُدْيَةً أو بفيها[6]
فقام إليها بها ذابح ومن تَدْعُ يوماً شَعُوبُ يَجِيها[7]
فظلَّتْ بأوصالها قِدْرُها تحشُّ الوليدةُ أو تشتويها[8]

= (١ : ٣٢٥) وبلفظ : « فى دهليز قصره » . والدهليز ، بالكسر : ما بين الباب والدار ، فارسى معرب . وانظر الخبر أيضاً فى عيون الأخبار (١ : ١٤٧) .

(١) فيما عدا ل : « وما » .

(٢) هذه الكلمة ليست فى ل . س : « الدئلى » . وانظر اللسان « دأل » .

(٣) يسبس ، كذا وردت . والرسل ، بالكسر : اللبن . والرُّمان : العطف . وفيما عدا ط : « ثم تزول » .

(٤) يخاطب الحصين بن أبى الحر العنبرى . انظر الأغانى (١١ : ١١٤) .

(٥) فيما عدا ل : « للمجتليها » . وفى الأغانى : « للمجتنيها » بالنون .

(٦) ط ، هو : « مثل اللى » تحريف . وانظر قصة المثل فى التنبيه ٧ ص ٤٧٠ .

(٧) شعوب : علم للمنية ، سميت شعوب لأنها تشعب أى تفرق . وشعوب ، مؤنثة معرفة لا تنصرف . فيما عدا ل : « ومن يدع » وفيه أيضاً : « شعوبا » تحريف . يجيها : يجيئها . وفى المخصص (٦ : ١٢١ س ٤) : « يجبها » من الإجابة ، تحريف . والبيت كذلك محرفا فى حماسة البحترى ٢٨٥ .

(٨) الأوصال : الأعضاء ، واحدها وصل بالكسر والضم . تحش : أى تحش النار : تجمع إليها ما تفرق من الحب . ط ، هو : « يخش » س : « يحس » بالإهمال ، محرفان عما أثبت من ل والأغانى . و « أو » هى فى ط ، س : « أن » هو : « إذ » محرفان . وفى جميع نسخ الأصل : « تحتويها » وأثبت ما فى الأغانى .

وقال مسكين الدارمي[1] :

إذا صَبَّحَتْنى من أناسٍ ثعالبٌ ... لترفع ما قالوا مَنَحْتُهُم حقرا[2]

فكانوا كعنزِ السَّوءِ تثغو لحينها ... وتحفرُ بالأظلافِ عن حتفها حفرا[3]

[وقال الفرزدق :

وكان يُجيرُ الناس من سيف مالكٍ ... فأصبح يبغى نفسه من يُجيرُها

وكان كعنز السَّوء قامت بظلفها ... إلى مُدْيةٍ تحت التراب تثيرها[4]]

(أمنية أبي شعيب القلال)

وقال رمضان[5] لأبي شُعيبٍ القَلّال[6] — وأبو الهُذَيل حاضر — : أيّ شيء تشتهي ؟ وذلك [نصفَ النهار] ، في يومٍ من صَيف البصرة[7] . قال أبو شعيب : أشتهي أن أجيء إلى بابِ صاحب سَقَط[8] ، وله على باب حانوته أليةٌ معلقة ، من تلك البزِّرة المشرّجة[9] . وقد اصفرّت ، وودَكُها يقطر من

(١) روى البيت الثاني في حماسة البحتري ٢٨٦ منسوبا إلى الأعور الشني .

(٢) الحقر ، بالفتح : الاحتقار والاستصغار . ... : « تثالب » تحريف . وفيما عدا ل : « ليرفع » .

(٣) تثغو ، من الثغاء ، وهو صوت المعز والشاء وما شابههما . والحين : الهلاك . فيما عدا ل : « تبغى لحينها » صوابه في ل وحماسة البحتري . وصدره فيها : « ولا كانتا كالعنز » .

(٤) انظر البيت ، وقد سبق في ص ٤٧٠ .

(٥) رمضان ، أحد معاصري الجاحظ ، وقد أجرى له حديثاً في البخلاء ١٢٤ .

(٦) القلال : الذي يصنع القلل ، وهي جرار كبيرة . وكان أبو شعيب أديباً . انظر خبره مع الرشيد في البيان (٢ : ١٨٨) .

(٧) فيما عدا ل : « من الصيف بالبصرة » .

(٨) السقط ، بالتحريك : ما لا خير فيه . لعله أراد به حشوة الذبيحة : أطرافها ، كما يطلق اليوم هذا اللفظ في العامية المصرية .

(٩) البزرة : التي وضع فيها البزر ، وهو بالفتح والكسر التابل ، جمع أبزار . وفي اللسان : « بزر القدر : رمى فيها البزر » . والمشرجة : المشققة ، أو التي خالط ═

حاقّ السِّمَن[1] ، فآخُذَ بِحِضْنِها[2] ثم أنفح [لها] فى ، فلا أزال كَدْماً [كدماً] ، ونهشاً [نهشاً] ، وودكها يسيلُ على شِدْقِى ، حتى أبلغَ عَجْبَ الذَّنَب[3] ! قال أبو الهذيل : ويلك قتلتَنى[4] قتلتنى !! يعنى من الشهوة .

١٤١ ## باب
فى الماعز[*]

قال صاحب الماعز : فى أسماء الماعز وصفاتها ، ومناقبها وأعمالها ، دليلٌ على فضلها . فمن ذلك أن الصفية أحسن من النعجة[6] . وفى اسمها دليل على تفضيلها[7] . ولبنها أكثر أضعافاً ، [وأولادُها أكثرُ أضعافاً] ، وزُبْدُها أكثرُ وأطيب .

وزعم أبو عبد الله العتبى[8] أن التيس الشراطى[9] قرع فى يوم

= شحمها ببعض اللحم فيما عدا ل : « المشرحة » بالحاء ، وهى المقطعة قطعاً رقيقة .

(١) حاق السمن : كماله وتمامه . فيما عدا ل : « جانبي السمن » تحريف .

(٢) الحضن ، بالكسر : جانب الشىء وناحيته . ط ، هو : « بخصيها » س « بخصيتها » صوابهما ما أثبت من ل .

(٣) العجب ، بالفتح : أصل الذنب .

(٤) فيما عدا ل : « فتنتنى » من الفتنة .

(*) هذا العنوان ساقط من ل . وبدله فى س « باب فى أسماء الماعز وصفاتها ومناقبها وأعمالها » . كما أن الكلام من مبدأ : « وقال صاحب الماعز » إلى : « وأعمالها » ليس فى س .

(٦) يريد بالصفية أنثى المعز ، وانظر ما سبق ص ٢٠٩ . ط فقط : « أفضل » بدل : « أحسن » .

(٧) فيما عدا ل : « أسمائها » بدل « اسمها » وفى ط ، هو : « فضلها » مكان : « تفضيلها » .

(٨) ل : « العتبى » . وانظر ما سبق ص ٢١٩ .

(٩) فيما عدا ل : « الشراطى » وانظر ما سبق ص ٢١٩ ، وهو هناك بدون ألف بعد الراء .

واحد نيفًا وثمانين قَزَعَة . وكان قاطعَ الشهادة . وقد يبيع[1] من نَعْل الشِّراكيّ وغيره الجدىُ بثمانين درهما[2] . والشاةُ بنحوٍ من ذلك .

وتحلب خمسة مَكاكيك[3] وأكثر . وربما بيع [الجلد] جلد الماعز [فيشتريه الباضُوزكى[4]] بثمانين درهما وأكثر .

والشاة إذا كانت كذلك فلها غَلَّةٌ نافعة تقوم بأهل البيت .

والنعال البقرية من السِّبت وغير السِّبت[5] مقسوم نفعها بين الماعز والبقر ، لأن للشُّرُك[6] من جلودها خطرًا . وكذلك القِبال والشِّسْع[7] .

ووصفَ حُميد بن ثَوْر جلدًا من جلودها ، فقال :

تتابعَ أعوامٌ عليها أطَبْنها وأقبلَ عامٌ أصلَحَ الناسَ واحدُ[8]

---

(١) ط فقط « يباع » تحريف .

(٢) ل فقط : « دينارا » وبين التقديرين بون شاسع .

(٣) المكوك ، كتنور : مكيال : معروف لأهل العراق ، والجمع مكاكيك ومكاكى على البدل ، كراهية التضعيف . وهو ثلاث كيلجات ، والكيلجة منا وسبعة أثمان منا . والمنا رطلان . فيا عدا ل : « مكاكى » . وفى المصباح : « وربما قيل مكاكى على البدل . ومنعه ابن الأنبارى وقال : لا يقال فى جميع المكوك مكاكى ، بل المكاكى جمع المكاء ، وهو طائر » .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى ل . قال المحقق الكبير الأب أنستاس : « صوابها الباضورك براء مهملة ، لا بالزاى » . وانظر الاستدراكات .

(٥) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ ، أو جلود البقر .

(٦) الشرك ، بضمتين : جمع شراك بالكسر ، وهو سير النعل . ط ، س : « الشرط » . هـ : « الشرط » بالطاء فيهما ، تحريف صوابه فى ل .

(٧) قبال النعل ، ككتاب : زمام بين الأصبع الوسطى والتى تليها . وقبلها كمنعها وقابلها وأقبلها : جعل لها قبالين . والشسع ، بالكسر : هو السير الذى يدخل فى الخرت ، وهو الثقب الذى فى صدر النعل . فيما عدا ل : « بذلك » بدل « كذلك » تحريف .

(٨) كذا ورد البيت محرفا فى ل . وفى سائر النسخ : « علينا لطيبها » . ووجه إنشاده كما فى رسالة الغفران ص ٦٢ :

تتابع أعوام عليها هزلنها وأقبل عام ينعش الناس واحد

والبيت فى صفة عجوز كان حميد نزل عليها ، هو وصاحب له يدعى أبا الخشخاش . وقبل البيت :

وجاءتْ بذى أوَنَين مازالَ شاتُهُ ... تُعمَّرُ حتى قيل هل ماتَ خالدُ[1]

وقال راشد بن سِهاب[2] :

ترى رائداتِ الخيل حول بيوتنا ... كمِعْزَى الحجاز أعوزَتْها الزَّرائبُ[3]

(لحم الماعز والضأن)

ومن مناقضها الاقتناعُ بشَحم الثَّرْب والكُلْية ، وَهما فوقَ شحمِ الأَلْية .

وإذا مدحوا اللحمَ قالوا : لحم الماعز الخَصِيّ الثَّنِيّ ! وقال الشاعر[4] :

= جلبانة ورهاء تخصى حمارها ... بنى من بغى خيراً إليها الجلامد
إزاء معاش لا يزال نطاقها ... شديدا وفيها سورة وهى قاعد

(١) جاءت ، أي العجوز ، أحضرت وطب اللبن إلى حبيبه وصاحبه . والأونان : الخاصرتان ، كما في تاج العروس . عنى أن هذا الوطب عظيم صنع من جلد هذه الشاة المعمرة ، وذلك أعظم له . فيما عدا ل : « بلوى لونين » تحريف . وفيما عدا ل أيضا : « قد مات خالد » . ورواية المعرى :

فجاء بلوى أونين أعير شاته ... وعمر حتى قيل هل هو خالد

صواب صدره : « فجاءت بذى أونين أعير شاته » أعير الغنم : تركها عاما لا تجز . والشاة : الواحد من الغنم ، يكون للذكر والأنثى . وانظر لأبيات هذه القصيدة الشعراء ٢٣١ ليدن واللآلى ٩٦٩ .

(٢) سهاب ، بالسين المهملة المكسورة . وراشد بن سهاب شاعر جاهلى من بنى يشكر؛ قال صاحب القاموس في ترجمة (س ه ب) : « وليس لهم سهاب بالمهملة غيره » . قال المرتضى فى الشرح : « هكذا ضبطه المفجع البصرى وقال : من قاله بالمعجمة فقد أخطأ » . فيما عدا ل : « وقال وأنشد ابن شهاب » وأثبت الصواب من ل . ولراشد بن سهاب هذا المفضليتان ٨٦ ، ٨٧ طبع المعارف . على أن البيت الذى أنشده الجاحظ منسوبا إلى راشد ، ليس له ، بل هو وهم منه ، فإنه للأخنس ابن شهاب التغلبى من المفضلية ٤١ وهو البيت التاسع عشر .

(٣) الرائدات ، التى ترعى لا تعلف فى البيوت ، فهى ترود المراعى من كثرتها . أعوزتها الزرائب : لم تتسع لها لكثرتها . ط ، هـ : « زائرات » س : « زيرات » صوابهما فى ل : والمفضليات . فيما عدا ل : « بيوتها » ر : « الفجار » صوابهما فى ل : والمفضليات . ورواية المفضليات : « أعجزتها الزرائب » . وفى س : « أعجبتها » هذه محرفة . والحجاز معروفة بكثرة المعزى ، ومنه قوله (انظر الفصول والغايات ٢٩٢) :

ولا غرو إلا قومهم من نبالنا ... كما اصعنفرت معزى الحجاز من الشعف

(٤) هو ذو الرمة . كما فى اللسان (ثنى) ، ولم يرو فى صلب ديوان ذى الرمة .

كأنَّ القومَ عُشُّوا لحمَ ضأنٍ فهُمْ نَعِجُون قد مالت طلاَهُمْ[(١)]

والمَمْرورون الذين يُصرَعون ، إذا أكلوا لحم الضأن اشتد ما بهم، حتى يصرعَهم ذلكَ في غيرِ[(٢)] أوان الصرْع .

وأوان الصَّرْع الأهِلّةُ وأنصاف الشهور[(٣)] . وهذان الوقتان [هما] وقتُ مدِّ البحر وزيادة الماء . ولزيادة القمر إلى أن يصيرَ بدراً[(٤)] أثرٌ بيِّنٌ في زيادة الدِّماء والأدمغة ، و[زيادةِ[(٥)]] جميع الرطوبات .

(أمثال في المعز والضأن)

ويقال : «فلانٌ ماعزٌ من الرِّجال[(٦)] » ، و: «فلانٌ أمْعَزُ مِنْ فلان[(٧)] » والعِتاقُ مَعْزَ الخيْل ، والبراذين ضأنُها .

وإذا وصفوا الرَّجُلَ بالضعف والموق قالوا : « ما هو إلا نعجةٌ من النعاج » . ويقولون في التقديم والتأخير[(٨)] : « ماله سَبَدٌ ولا لَبَدٌ » .

---

(١) انظر لشرح هذا البيت وتحقيقه (٤ : ٣٠١) . فيما عدا ل : « يعجون » تحريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ط .

(٣) فيما عدا ل : « وانتصاف الشهور » : بلوغ النصف . وأثبت ما في ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٤) .

(٤) فيما عدا ل : « حتى يصير بدراً » .

(٥) هذه الزيادة من س .

(٦) في اللسان : « رجل ماعز ومعز معصوب شديد الخَلْق ... وفي حديث عمر رضي الله عنه : تمعززوا واخشوشنوا . هكذا جاء في رواية . أي كونوا أشداء صبراً ، من المعز ، وهو الشدة ... قال الأزهري : رجل ماعز إذا كان حازما مانعاً ما وراءه شهماً . ورجل ضائن إذا كان ضعيفاً أحمق » . فيما عدا ل : « هو والله » بدل : « فلان » . وفي س : « للمعز » بدل : « ماعز » .

(٧) انظر التنبيه السابق .

(٨) أي في تقديم السبد ، وهو شعر المعز ، على اللبد ، وهو بالتحريك أيضاً : الصوف انظر لهذا المعنى ص ١٥١ ساسي . وانظر المثل جمهرة العسكري ١٩١ والميداني (٢ : ٢٠٠) واللسان (٤ : ٣٩٢) .

وقال الشاعر :

نَشْبِي وما جمّعتُ من صَفَدٍ وحَوَيْتُ من سَبَدٍ ومن لَبَدِ[١]

١٤٢ هِمَمٌ تقاذَفت الهمومُ بها فنزَعْنَ من بلدٍ إلى بلدِ

يا رَوْحَ من حسمَتْ قناعتُه سَبَبَ المطامعِ من غَدٍ وغدِ[٢]

من لم يكنْ لله متّهماً لم يُمْسِ محتاجاً إلى أحدِ[٣]

وهذا شعر رويتُه على وجه الدهر[٤] .

وزعم لى حُسَين بن الضّحّاك[٥] أنه له . وما كان لِيَدّعِيَ ما ليس له[٦] .

وقال لى سعدانُ المكفوف[٧] : لا يكون : « فنزَعْنَ من بلد إلى بلد »

بل كان ينبغى أن يقول : « فنازعن[٨] » .

---

(١) النشب : المال . والصفد : العطية .

(٢) الروح ، بالفتح : الاستراحة والفرح والسرور . حسمت : قطعت . يقول : يالغبطة من ذهبت به قناعته عن المطامع . ط ، س : « من حسنت » ، و « حشت » صوابها فى ل . وفى ط ، س : « حب المطامع » ، و : « سبب المطامع » صوابهما فى ل .

(٣) أراد : من لم ييأس من روح الله . وفى ديوان أبى نواس ١٩٣ :

لو لم تكن لله متهما لم تمس محتاجا إلى أحد

(٤) فيما عدا ل : « وهذا الشعر » الخ . ووجه الدهر : أوله .

(٥) حسين بن الضحاك : من شعراء الدولة العباسية ، وأحد ندماء الخلفاء من بنى هاشم ، وكان ماجنا مطبوعا حسن التصرف فى الشعر ، وكان أبو نواس يغير على معانيه فى الخمر ، وعمر عمراً طويلا حتى قارب المائة ، ومات فى خلافة المستعين سنة خمسين ومائتين . انظر الأغانى (٦ : ١٦٥) وتاريخ بغداد ٤١٢٠ والمؤتلف ١١٣ وابن خلكان (١ : ١٥٤) . فيما عدا ل : « حسن بن الضحاك » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وما كان يدعي ما ليس له » . أقول : البيت الأخير من زهدية عددها عشرون بيتاً ، لأبى نواس فى ديوانه ١٩٢ — ١٩٣ .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ١٥٥) .

(٨) المنازعة : المغالبة والمجاذبة . ونزع من مكان إلى آخر : انتقل .

(فضل الماعز)

وقال : وللماعزة قد تُولِّد [1] [في السنة] مرتين ، إلا ما ألقى منها في الدِّياس [2] . و[لها في الدِّياس] نفعٌ [3] موقعُه كبير . وربما باعوا عندنا بطن الماعز [4] بثمنِ شاةٍ من الضأن .

قال : والأقِط [5] للمعز . وقرونها هي المنتفع بها [6] .

قال : والجَدْيُ أطيبُ من الحمل وأكرم . وربما قدموا على المائدة الحمل مقطوعَ الألية من أصل الذَّنَب؛ ليوهِمُوا أنه جَدْي .

وقال عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه — وعقولُ الخلفاء فوقَ عقولِ الرَّعية ، وهم أبصَرُ بالعيش ، استعملوا ذلك أو تركوه — [فقال] : أتُرَوْنَ أنى لا أعرِفُ الطيبات ؟ لبابُ البُرّ بصغار المِعْزَى [7] !

---

(١) ط فقط : « تلد » وانظر التنبيه ٣ ص ٤٥٦ .

(٢) الدياس ، بالكسر : دوس الطعام ودقه ليخرج الحب منه . ط ، س : « الرماس » هو : « الرياس » صوابهما في ل .

(٣) فيما عدا ل : « يقع » تحريف .

(٤) أراد ما في بطنها من الحمل ، وهو بيع فاسد . قال ملاسكين : « ولقد كانوا يحاذون ذلك في الجاهلية » .

(٥) الأقط ، ككتف ، وبالفتح والكسر والضم وبالتحريك ، وكرجل وإبل : شيء يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ ثم يترك حتى يمصل . ولعل الجاحظ قد أراد أن أجود الأقط ما كان من لبن المعز ، ففى اللسان ، وقال ابن الأعرابي : هو من ألبان الإبل خاصة » وهى دعوى من ابن الأعرابي يكذبها قول امرئ القيس في المعزى :

خروج أطها أقطاً وسمناً   وحسبك من غنى شبع ورى

في القاموس أن الأقط « شيء يتخذ من المخيض الغنمى » . وفى التاج : « وقال غيره : الأقط لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به » .

(٦) كلمة : « قرونها » ساقطة من ط . وبدلها في هو : « قدورنا » محرفة . وفى س : « لبنها » بدل : « منها » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « وصغار المعزى » . وانظر رواية الخبر في البيان (١ : ٢٢) .

وملوكنا يُحَمِّل(١) معهم في أسفارهم البيضة الصفايا الحوامل، للعروفات أزمان الحمل والوضع، ليكون لهم(٢) في كل منزل جداء مُعَدّة. وهم يقدرون على الحُلان السِّمان بلا مؤونة(٣).

والعناق [الحمراء] والجِداء، هي المثل في الطّيب والطّيب. ويقولون: جِداء البَصرة، وجداء كَسْكَر(٤).

وسلخ الماعز على القصّاب أهون. والنّجّار يذكر(٥) في خصال السّاج(٦) سَلَسَه(٧) تحت القَدُوم والمِثْقب والمِئشار(٨).

(أمارات حمل الشاة)

وقيل لأعرابي: بأي شيء تعرف حَمْلَ شاتك؟ قال: إذا تورّم حَيَاها(٩) ودجَتْ شَعْرتُها(١٠) واستفاضت خاصرتها.

---

(١) فيما عدا ل: «تحمل» بالتاء.
(٢) فيما عدا ل: «لها».
(٣) ط: «وهم يقدرون» تحريف. وكلمة: «السمان» ليست في ل.
(٤) كسكر: كورة من كور فارس. انظر (٤ : ١٥) و (٢ : ٢٤٨).
(٥) فيما عدا ل: «يركز» تحريف.
(٦) الساج: شجر سبق الحديث عنه في ص ٨٣.
(٧) السلس، بالتحريك: اللين والسهولة. فيما عدا ل: «سلسلة» تحريف.
(٨) في اللسان: «المئشار بالهمز هو المنشار بالنون». قال: «وقد يترك الهمز». ط، هـ، س: «والمنشار» وهي صحيحة. ثم: «والمسار» تحريف. وقد يقال ما الذي أراد الجاحظ بالجمع بين الماعز والساج؟ فالجواب أنه أراد المقارنة بين سلخ جلد الماعز ونشر سطح الساج، وثقبه، ونحته. فكما أن الساج وهو من أنفس أنواع الخشب، سهل لين في معالجته، كذلك تكون سهولة معالجة سلخ جلد الماعز دليلا على نفاسته وطرائه.
(٩) الحيا: الفرج من ذوات الظلف والخف.
(١٠) دجت شعرتها: طال شعرها وركب بعضه بعضاً. وعنز دجواء: سابغة الشعر. ط، هـ: «وخرجت» س: «وحرجت» مع إسقاط الكلمة التي بعدها.

والداجي[1] يقال : قد كان ذلك وقد دَجا ثوبُ الإسلام[2] ، وكان ذلك وثوبُ الإسلام داجٍ .

(المرعِزّى وقرابة الماعزة من الناس)

قال : وللماعز المِرْعِزى[3] ، وليس [للضأن إلا] الصوف .

والكِساء[4] كلها صوفٌ ووبرٌ وريشٌ وشعرٌ ، وليس الصوف إلا للضأن وذواتُ الوبر كالإبل ، والثعالب ، والخُزَز[5] والأرنب ، وكلاب

والصواب ما أثبت من ل . وفى عيون الأخبار (٢ : ٧٥) : « رجت شمرتها » خطأ فى النص والضبط . وقد سبق هذا الخبر فى (٣ : ٢٥١) .

(١) فيما عدا ل : « والداجى » .

(٢) المعروف : « دجا الإسلام » و« إسلام داج » لكن جاء فى اللسان فى تفسير قول القائل « أبى مذ دجا الإسلام لا يتحنف » : « قال : لج هذا الكافر أن يسلم بعد ما غطى الإسلام بثوبه كل شئ » . وانظر (٣ : ٢٥١) .

(٣) المرعزى والمرعزي وبعد إذا خفف ، وقد تفتح الميم فى الكل : شئ كالصوف يخلص من بين شعر العنز . انظر القاموس واللسان (رعز) والجواليقى ٣٠٧ . وفى كتاب التبصر بالتجارة للجاحظ ص ٢١ : « وخير الفرش وأرفعه ثمناً وأجوده المرعزى القرمزى الأرمنى المنير » .

(٤) الكساء ، بالكسر : جمع كسوة بالضم ، وهى الثوب الذى يلبس . انظر القاموس والتاج . قال الزبيدى : « نقله الصاغانى ، ومثله برمة وبرام وبرقة وبراق » . س : « الكسا » وتقرأ بالضم . ل : « الكسى » وهو مذهب الكوفيين فى الرسم . وفى المقصور ٦ : « وزعم قوم من أهل الكوفة أن ما كان من المقصور على ثلاثة أحرف ، وكان الحرف الأول مكسوراً أو مضموماً فجائز أن يكتب بالياء وإن كان أصله الواو » .

(٥) الخزز : ذكر الأرانب ، يراد به نوع كبير من الأرانب . انظر معجم المعلوف ١٥٠ . وكثيراً ما تطلق المعاجم العربية كلمة « الذكر » على الضرب الكبير من الحيوان . هو : « الخزر » تحريف . ل : « الخز » بزاء واحدة . وقد اختلف اللغويون والعلماء فى « الخز » اختلافاً كبيراً . فنحت المعاجم العربية إلى أنه ضرب من الثياب الحريرية . انظر اللسان والقاموس وشرحه ونهاية ابن الأثير

الماء[1] ، والسَّمُّور ، والفَنَك[2] ، والقاقُم[3] ، والسِّنجاب ، والدِّبَاب[4]

[والتى] لها شعر[5] كالبقر والجواميس ، والمعز ، والظباء ، والأُسْد ، والنمور ، والذئاب ، والبُبور ، والكلاب ، والفهود ، والضباع ، والعِتاق ، والبراذين ، والبغال ، والحمير ، وما أشبه ذلك[6]

والإنسان الذى جعله الله تعالى فوقَ جميع الحيوان فى الجمال والاعتدال ، و [فى] العقل والكرم ، ذو شعر .

فالمعزة بقرابتها من الناس[7] بهذا المعنى أفخر وأكرم .

= والقصص (٤ : ٦٨) . وانفرد صاحب المصباح فقال : إنه « اسم دابة ثم أطلق على الثوب المتخذ من وبرها » . وقد رد دلود صاحب التذكرة على التفريق وقال : إن الخزمائية بحرية ذات قوائم أربع فى حجم السنانير لونها إلى الخضرة » ، كما ذكر استينجاس ٤٥٨ أنه شعر الدابة البحرية التى تسمى « كلب الماء » : A five hair of tge beaver

(١) كلب الماء : حيوان طويل الذنب ، قصير القوائم والأذنين ، بين أصابعه غشاء يعينه على السباحة ولونه أحمر قاتم : Beaver or Lutra vulgaris

(٢) الفنك بالتحريك : ثعلب صغير ناعم الشعر أبيض اللون ، كبير ، يقال النوع الإفريقى منه بالإنكليزية : Fennec وللأسيوى منه : Corsac بلفظه التركى . وهو فارسى معرب ولفظه فى الفارسية كلفظه فى العربية . استينجاس ٩٤٠ وادى شير ١٢٢ والمعرب ٢٤٨ .

(٣) القاقم ، بضم القاف الأخيرة : حيوان من فصيلة بنات عرس : Ermine . قال المطوف : « تركيبه قاقم » . قلت : وهو بالفارسية « قاقم » . استينجاس ٩٨٤ . ط : « القام » ه : « الهام » صوابهما فى ل ، س .

(٤) الدباب : جمع دب ، ويقال فى جمعه أيضاً دببة ، وهو من ذوات الوبر والفراء . ل : « والدنيا » ه : « والديبا » ط ، « والبى » س : « والدب » والوجه ما أثبت . وانظر الجزء السادس ص ٨ .

(٥) كلمة : « والتى » ليست فى الأصل . وفى الأصل : « كلها » بدل : « لها » .

(٦) ل : « وأشباه ذلك » .

(٧) فيما عدا ل : « والماعزة لقرابتها من الناس » .

(الماعز التى لا ترد)

وزعم الأصمعيُّ أن لبنى عُقَيلٍ ماعزاً لا ترِد[1] فأحسِبْ لديهم أخصبَ وادٍ وأرطبَه[2] . أليس هذا من أعجب العجب؟!

(جلود الماعز)

ومن جلودها تكون القِرَبُ ، والزِّقاق ، وآلة المشاعل[3] ، وكُلّ نِحْىٍ[4] ، ١٤٣
وسِعْن[5] ، ووَطْب ، وشُكَيَّة[6] وسِقاء ، ومَزَادة ، مسطوحةً كانت أو مثلوثة[7] . ومنها ما يكون الخون[8] ، وعِكْمُ السَّلْف[9] ، والبطائن[10]

---

(١) ترد : من ورود الماء . ل : « ماعزة » . والماعزة الواحدة من الماعز .

(٢) انظر هذا الخبر فى (٦ : ٩١) سابق .

(٣) فيا عدا ل : « والمناكل » تحريف . والمشاعل : جمع مشعل ، وهو شيء من جلود له أربع قوائم ينتبذ فيه . قال ذو الرمة :

أضعن مواقيت الصلوات عمدا وحالفن المشاعل والجرارا

(٤) النحى ، بالكسر : الزق ، وقيل ما كان للسمن خاصة . فيا عدا ل : « خرج »

(٥) السعن ، بالضم والفتح : قربة تقطع من أسفلها ويشد عنقها وتعلق إلى خشبة أو جذع نخلة ثم ينبذ فيها . وهو شبيه بدلو السقائين يصبون به فى المزايد . ط ، س : « ثفر » ه : « ثفر » صوابهما فى ل .

(٦) الشكية : تصغير الشكوة ، وهى بالفتح : وعاء كالدلو أو القربة الصغيرة . ل : « شكوة » س : « شكة » ه : وشكته» ، والأخيرتان محرفتان .

(٧) الجوهرى : المثلوثة : المزادة تكون من ثلاثة جلود . ل : « مثلوثة » تحريف .

(٨) الخون : بالضم : جمع خوان بالضم والكسر ، وهى المائدة يوضع عليها الطعام . ل : « الخرز » س : « بالجون » محرفتان . ط : « الخوان » وأثبت ما فى ه . وقد تكون « الجون » بضم ففتح : جمع جونة ، وهى سليلة مستديرة مغشاة أدما تكون مع العطارين .

(٩) العكم والعكام ، بالكسر فيهما : حبل يربط به . والسلف ، بالفتح : الجراب ، أو الضخم منه . وفى الأصل : « لكم السلف » .

(١٠) ل : « الكيسان » . وفى اللسان : « والكيسانية جلود حمر ليست بقرظية » .

والجرب . ومن للعزة تكون أنطاع البُسط[1] ، وجلال الأقتال في الأسفار[2] ، وجِلال قِباب الملوك . وبقباب الأَدَم تفاخر العرب[3] والقباب الحمر قالوا : مضر الحمراء[4] . وقال عَبيد بن الأبرص :

فاذهبْ إليكَ فإني من بني أسَدٍ   أهلِ القِباب وأهلِ الجُردِ والنادي[5]

(الفخر بالماعز)

وقالوا[6] : وفخرتم بكبشة وَكبيشة وأبي كبشة ، فمِنّا عنز اليمامة[7] ، وعنز وائل[8] ، ومنا ماعز بن مالك ، صاحب التوبة النصوح[9] .

---

(١) النطع ، بالكسر وبالفتح وبالتحريك وكعنب : بساط من الأديم . فيما عدا ل : « يكون » .

(٢) في اللسان (١٣ : ١٢٦ س ٢) : « وجلال كل شيء غطاؤه نحو الحجلة وما أشبهها » . قلت : يبدو لي أنها جمع لا مفرد ، وأن مفردها جل ، وأصله غطاء الدابة .

(٣) ط ، هـ : « يتفاخر العرب » .

(٤) قالوا : إن نزاراً لما حضرته الوفاة جمع أولاده وأوصى لكل منهم ، فأوصى لمضر بقبة حمراء . وانظر حديث هذه الوصية في بلوغ الأرب (٢ : ٢٦٤ — ٢٦٦) والمفضليات القصيدة ٩٦ : ٢٢ طبع المعارف . فيما عدا ل : « قيل » موضع : « قالوا » .

(٥) الجرد : جمع أجرد ، وهي الخيل القصيرة الشعر . فيما عدا ل : « الجود » تحريف صوابه في ل والعيون ص ٧٠ نقلا عن مختارات ابن الشجري ١٠٠ . وفي شرح المختارات : « اذهب إليك : زجر . إنما ذكر النادي لأن لهم سادات يجتمعون فيه . ولا للقوم ناد إلا ولهم سيد » .

(٦) فيما عدا ل : « وقال » .

(٧) عنز هي المعروفة بزرقاء اليمامة ، كانت أبصر خلق الله على بعد . انظر الميداني : (أبصر من زرقاء اليمامة) .

(٨) هو عنز بن وائل بن قاسط .

(٩) ماعز بن مالك ، أحد الصحابة ، كان قد زنى فأقر على نفسه ، وانطلق إلى الرسول يطلب إقامة الحد ، وألح في ذلك إلحاحا بيناً ، فأمر الرسول برجمه فرجم ، فلما عضته مس الحجارة انطلق يسعى ، فاستقبله رجل بلحي جزور ، فضربه به فصرعه

[وقال صاحبُ المعز : وطعنتم على الماعزة بحفرها عن حتفها ، فقد قيل ذلك الضأن . من ذلك قولُ البكريّ(١) للعنبرية ، وهى « قَيلة(٢) » وصار معها إلى النبىّ فسأله الدّهناء(٣) ، فاعترضت عنه قيلة ، فقال لها البكريّ : إنى وإياك كما قال القائل : « عن حتفها تبحثُ ضأنٌ بأظلافها(٤) » ! فقالت له العنبرية : مَهْلاً ، فإنك ما علمتُ : جواداً بذى الرِّجْل(٥) ، هادياً فى الليلة الظلماء ، عفيفاً عن الرفيقة ! قال : لازلتِ مُصَاحَباً بعد أن أثنيتِ علىّ بحضرة الرسول بهذا !] .

(ضرر الضأن ونفع الماعز)

وقالوا: والنعجة حرَبٌ(٦) ، واتّخاذها خُسران ، إلا أن تكون فى نعاج سائمة ، لأنها لاترفعُ رأسها من الأكل . والنعجةُ آكلُ من الكبش ،

وقال فى شأنه رسول الله : « لقد تاب توبة لو تابها طائفة من أمتى لأجزأت عنهم » و : « والذى نفسى بيده إنه الآن لفى أنهار الجنة ينغمس فيها » . انظر مسند أحمد (٥ : ٢١٧) والسنن الكبرى للبيهقى (٨ : ٢٢٥ — ٢٢٨) ومسلم (٢ : ٣٣ — ٣٥) والإصابة ٧٥٨١ وتأويل مختلف الحديث ٢٣٨ — ٢٤١ .

(١) هو الحارث ، أو حريث بن حسان ، وافد بكر بن وائل ، وكان صحب قيلة فى وفادة على الرسول للمبايعة ، فبايعه حريث على الإسلام وعلى قومه ، ثم قال : يا رسول الله ، اكتب بيننا وبين بنى تميم بالدهناء لا يجاوزها إلينا منهم إلا مسافر أو مجاور . فقال : اكتب له يا غلام بالدهناء . فاعترضت قيلة ، فقال: أمسك ياغلام . وانظر القصة مفصلة فى الإصابة ٨٩٦ قسم النساء ومجمع الزوائد للهيثمى (٦ : ٩) وفيه تصحيحات قيمة كثيرة لما فى الإصابة من التحريف ، والفائق للزمخشرى (٢ : ١٢٨) والعقد (١ : ١٨٣ — ١٨٥) .

(٢) هى قيلة بنت مخرمة التميمية العنبرية . ترجمتها فى الإصابة .

(٣) الدهناء : واد فى بلاد بنى تميم ببادية البصرة .

(٤) نص المثل فى مجمع الزوائد والعقد والميدانى (٢ : ١٧٥) : « حتفها تحمل ضأن بأظلافها » .

(٥) ذو الرجل ، بكسر الراء : موضع فى ديار كلب . ورواية المجمع والعقد : « لدى الرحل » .

(٦) الحرب ، بالتحريك : أن يسلب الرجل ماله . فما هنا فى : « جرب » تحريف .

والحِجْرُ آكَلُ من الفحل ، والرَّمَكةُ آكلُ من البِرذَون . والنعجة لا يقوم ضمها بجَوْزتها[١] . والعنز تمنعُ الحيَّ الجلاء[٢] ، فإن العربَ تقول : إن العُنوق تمنع الحيَّ الجَلاء[٣] .

والصفيةُ من العِراب أغزر من بُختيةٍ[٤] [بعيداً[٥]] .

ويقال[٦] : « أحمَقُ من راعِي ضأن ثمانين[٧] ! » .

(كرم الماعز)

وأصناف أجناس الأظلاف وكرامها بالمعز أشبَه ، لأنَ الظِّباء والبقر من ذوات الأذناب والشعَر[٨] ، وليست من ذوات الألايا والصوف[٩] .

والشِّمالُ[١٠] ، والتعاويذ والقلائد[١١] ، إنما تُتَّخذ للصفايا ، ولا تُتَّخذ

---

(١) ط : « بجوزتها » تحريف .

(٢) الجلاء : الخروج من الوطن . فيما عدا ل : « الخلا » تحريف .

(٣) العنوق : جمع عناق بالفتح ، وهي أنثى المعزى إذا أتت عليها سنة . والكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ك : « القلوص » وهي الفتية من أولاد الإبل والنعام ، ولا وجه له . وفيما عدا ل : « العلوم » تحريف . وكلمة « الجلاء » هي فيما عدا ل : « الخلا » محرف .

(٤) العراب ، بالكسر : العربية . والبختية : الخراسانية تنتج بين عربية وفالج . ل : « الصفي » فيما عدا ل : « من نجيبة » .

(٥) هذه الزيادة من ل ، هو .

(٦) ط فقط : « أو يقال » تحريف .

(٧) وذلك لأن الضأن تنفر من كل شيء فيحتاج راعيها إلى أن يجمعها في كل وقت . وروى الميداني في (١ : ٢٠٥) ، رواية أخرى عن الجاحظ في هذا المثل : « أشقى من راعي ضأن ثمانين » و « أشغل من مرضع بهم ثمانين » .

(٨) فيما عدا ل : « الأوبار والشعر » وكيف يصح ذلك ؟ !

(٩) الألايا : جمع ألية ، على غير قياس . وبدلها فيما عدا ل : « الأوبار » تحريف .

(١٠) الشمال ، ككتاب : شبه مخلاة يغطى بها ضرع العنز إذا ثقل ، وجمعه شمل .

(١١) القلائد : جمع قلادة ، وهي ما يجعل في عنق الدابة . ل : « والقلائد والتعاويذ » .

للنتاج، ولا يخاف على ضروعها(١) العين والنفس.

والأشعار التي قيلت في الشاء إذا تأملتها وجدت أكثرها في المعز: في صفاياها وفي حُوِّها(٢)، وفي تيوسها وفي عُنوقها وجدائها(٣). وقال مُخارقُ ابنُ شُهابٍ المازنيّ(٤) — وكان سيداً كريما، وكان شاعراً — فقال يصف تيسَ غنمه:

وراحت أُصَيلاناً كأن ضُروعَها ... دِلاءٌ وفيها واتِدُ القَرْنِ لَبْلَبُ(٥)
له رَعَثات كالشُّنُوف وغُرَّةٌ ... شَدَيخٌ ولونٌ كالوذيلة مُذْهَبُ(٦)
وعَيناً أحَمَّ المُقلتين وعُصْمَةٌ ... ثِنًى وصَلَها دانٍ من الظِّلف مُكْثِبُ(٧)
إذا دَوحةٌ من مُخلِف الضّالِ أربَلَتْ ... عطاها كما يعطو ذُرَى الضّالِ قَرْهَبُ(٨)

---

(١) أي ضروع النتاج. فيما عدا ل: «ضروعه».
(٢) الحو: جمع حواء وأحوى. والحوة: سواد إلى الخضرة. وفي الأصل: «حورها» تحريف. وانظر البيت السادس من الشعر التالي. ومما مدحوا به الحو من المعز قول أوس بن حجر:
يصوع عنوقها أحوى زنيم ... له ظأب كما صخب الغريم
(٣) ل: «وجدائها».
(٤) في الإصابة ٨٣١٠: مخارق بن شهاب بن قيس التميمي، ذكره المرزباني، ونقل عن دعبل أنه شاعر إسلامي.
(٥) واتد: ثابت. واللبلب: ذو اللبلبة، أي الشفقة على المعزى. ل، س: «راحت» بالجزم. هـ: «صروورها» تحريف.
(٦) رعثتا الشاة: زنمتاها تحت الأذنين. والشنوف: جمع شنف، وهو القرط. والغرة الشدخ: السائلة الطويلة. والوذيلة: المرآة، أو قطعة مجلوة من الفضة. ط، هـ: «رعثات» س: «رعبات» صوابه في ل، وعيون الأخبار (٢: ٧٧). وفيما عدا ل: «كالوديلة» تحريف.
(٧) العصمة، بالضم: بياض في يديه. ثني: اثنان، كما في اللسان (١٨: ١٢٧). مكثب: قريب. فيما عدا ل وكذا عيون الأخبار: «يواصلها» تحريف. فيما عدا ل: «أحدب» موضع: «مكثب» تحريف.
(٨) المخلف: الذي أخرج الخلفة وهو الورق الذي يخرج بعد ورق. والضال: شجر. ط، هـ: «وفي مخلف» س: «من مختلف» صوابهما في ل. وفي عيون الأخبار: «من نعرف». أربلت: كثر ربلها. والربل، بالفتح: ورق يتفطر في آخر القيظ =

تِلادٌ رقيقُ الخَلْقِ إنْ عُدَّ نَجْرُهُ ... فصِرْدانِ نِمْسَ النَّجْرِ منه وأشعَبُ(١)
أبو الغُرِّ والحُوِّ اللواتي كأنها ... من الحُسن في الأعناقِ جَزْعٌ مُثَقَّبُ(٢)
١٤٤ إذا طَلَقَتْ فيها الحالبانِ تقابلت ... عثاكلُ في الأعناقِ منها تَحَلَّبُ(٣)
ترى ضيفها فيها يَبيتُ بغِبطَةٍ ... وضيفُ ابنِ قيسٍ جائعٌ يتحوَّبُ(٤)

قال: فوفد ابن قيس هذا على النعمان، فقال له: كيف المخارقُ فيكم(٥)؟

قال: سيِّدٌ شريف، [من رجلٍ(٦)] يمدح تيسه(٧)، ويهجو ابنَ عمّه!

= يورد الليل من غير مطر. فيما عدا: «أوجلت» تحريف. عطاها: تناولها متطاولا إليها. فيما عدا ل: «عضاها» تحريف. والقرهب: الثور المسن الضخم.

(١) التلاد: الذي ولد عندك. ل: «رقيق الخلد». والنجر، بالفتح: الأصل والحسب. و«صردان» كذا جاء مضبوطاً بالكسر في ل. ط، هو: «نمى النجر» سه: «سم النجر» صوابهما ما أثبت من ل. فيما عدا: «أسعب» وهو وصردان من آباء هذا التيس. والبيت لم يروه ابن قتيبة.

(٢) الغر: جمع غراء، وهي ذات الغرة البيضاء في الجبهة. والحو: جمع حواء. فيما عدا ل: «أبو الغرز الحو» تحريف. وفي عيون الأخبار: «أبو الحو والغر». وقال مسعود بن خرشة في هجاء رجل (الأغاني ٢١ : ١٦٦):

له أعنز حو تمان كأنها ... يراعين غر الخيل أو عين أنجب

والجزع بالفتح والكسر: خرز فيه سواد وبياض. أراد كأنها جزع مثقب في أعناق الحسان.

(٣) الحالبان: مثنى حالب. وكان العرب يمتدحون الرعاة والسيد بالحلب، ويتهاجون بحلب النساء. وفي اللسان (١ : ١٣٧): «وفي الحديث: أنه قال لقوم لا تسقوني حلب امرأة. وذلك أن حلب النساء عيب عند العرب يعيرون به، فلذلك تنزه عنه». والأعناق: الجماعات أو الساعات. والتحلب: السيلان. عنى غزر لبنها. ل: «طاف منها». ط: «الحالبات» تحريف. وفيما عدا ل: «تقاذفت». والبيت لم يروه ابن قتيبة.

(٤) يتحوب: يتوجع. ل: «يتخوب» بالخاء، فإن صح كان من الخوبة وهي الجوع. وفي اللسان أيضاً: «خاب يخوب خوبا افتقر». وانظر العمدة (٢ : ٣٢).

(٥) فيما عدا ل: «عندكم» وأثبت ما في ل وعيون الأخبار والعمدة.

(٦) التكملة من ل، هو وعيون الأخبار. وفي العمدة: «حسبك من رجل».

(٧) فيما عدا ل: «نفسه» صوابه في ل والعمدة وعيون الأخبار.

وقال الراجز :

أَمَتْ ضانًا أَجْرَتْ غِثاثَا[1]

والمِجَر : أن تشربَ فلا تَروَى . وذلك من مَثالبها .

وقال رجل لبعض وَلَدِ سليمان بن عبدِ الملك : « ماتت أُمُّك بَغَرًا ، وأبوك بَشَمًا[2] ! » :

وقال أعرابي[3] :

أمَوْلَى بني تَيْمٍ ، ألستَ مؤدِّياً مَنِيحتَنا كما تُؤدِّى المنائحُ[4]
فإنك لو أدَّيْتَ صعدةَ لم تزلْ بعلياءَ عندي، مااْبتغَى الرِّبحَ رابحُ[5]
لها شَعَرٌ داجٍ وجِيدٌ مُقَلِّصٌ وخَلْقٌ زُخارِيٌّ وضرعٌ مُجالِحُ[6]
ولو أُشْلِيَتْ في ليلةٍ رجَبيَّةٍ لأَرْوَاقِها هَطْلٌ من الماء سافحُ[7]

---

(١) غثاثا : جمع غثة ، وهي المهزولة . فيما عدا ل : « عيانا » .

(٢) البغر ، بالتحريك ، هو المجر ، وقد مر تفسيره . فيما عدا ل : « مجرا » . والبشم ، بالتحريك : تخمة عن الدسم .

(٣) هو جبيهاء الأشجعي المترجم في (٤ : ٢٦) . وكان مولى من بني تيم بن ضبيعة قد استمنحه عنزا وماطله في ردها ، فقال هذه الأبيات يتقاضاه المنيحة . انظر المفضلية ٣٣ طبع المعارف والمؤتلف ٧٨ والقالي (٢ : ١٥٢ ، ٢٥٣) وتنبيهات البكري ١٠٩ والأغاني (١٦ : ١٤٢) .

(٤) أصل المنيحة الناقة يمنحها الرجل صاحبه ليحتلبها ثم يردها . فيما عدا ل : « كما تؤدي » وفي المفضليات والمؤتلف والتنبيهات والأغاني : « فيما » .

(٥) صعدة : اسم العنز التي منحه إياها . ويروى : « نمرة » . العلياء : الرفعة .

(٦) شعر داج : سابغ طويل . وهذه الرواية أيضاً في المؤتلف . وفي المفضليات والأغاني والتنبيهات : « ضاف » . والمقلص ، بكسر اللام المشددة : الطويل . والزخاري ، بالضم : الكثير اللحم والشحم . ط ، هـ : « زخاوي » س : « زحاوي » صوابهما ما أثبت من ل والمفضليات والمؤتلف والأغاني . وفي الأمالي (٢ : ١٥٢ ، ٢٥٣) المخصص (١٢ : ٢٢٤) : « غزاري » خطأ نبه عليه البكري . والمجالح : التي تدر على الجوع والقر . وفي المفضليات والأغاني والمؤتلف : « وضرس مجالح » يجلح الشجر أي يقشره . وإذا فعل ذلك الحيوان كان أكثر لبنه في الشتاء .

(٧) أشليت : دعيت ، أي للحلب . رجبية : ليلة من ليالي الشتاء . لأرواقها : أراد =

جاءت أمامَ الحالبَين وضَرْعُها أمامَ صِفاقَيها مُبِدٌّ مُضارحُ[١]

ويلُ أمّها كانت نتيجةَ واحد تراى بها بِيدُ الإكام القراوحُ[٢]

(أصناف الظلف وأصناف الحافر)

ليس سبيلُ أصنافِ الظِّلفِ في التشابه سبيلَ أصناف الحافر ، والخف . [واسمُ النَّعَم[٣]] يشتمل على الإبل والبقر [والغنم[٤]] . ويُعَدُّ بعضِ الظلف من بعض ، كبعده من الحافر والخف ؛ لأن الظلف للضأن والمعز والبقر] والجواميس والظِّباء والخنازير و بقرِ الوحش ، وليس بين هذه الأجناس تسافد[٥] ولا تلاقح ، لا الغنم [في الغنم[٦]] من الضأن والماعز ، ولا الغنم في سائر الظلف[٧] ولا شيء من سائر تلك الأجناس تسافدُ غيرها أو تُلاقِحُها[٨] . فهي تختلف

= لسحابها . وخص الشتاء لأن الألبان تقل فيه . ﻫ : « ولو أسهلت » ، ط : « لأروى بها حقل » ، س : « لأروى بها » تحريفات .

(١) الصفاقان : ما اكتنف الضرع من عن يمين وشمال إلى السرة . مبد : يوسع ما بين رجليها لعظمه . مضارح : من الضرح وهو التنحية والدفع . ط : « وجهد » مكان « مبد » ﻫ : « وجد » تحريفان . وفي المفضليات : « مكارح » . كلوصه : قاتله فغلبه . ط . س : « مطارح » ، ﻫ : « مضادح » تحريفان .

(٢) ويل أمها : تعجب منها . فيما عدا ل : « وما أمها » صوابه في المفضليات والمؤتلف . نتيجة ، كذا في ل . وفيما عدا ل : « منتجة » وفي المفضليات والمؤتلف : « غبوقة طارق » . البيد : جمع بيداء . فيما عدا ل : « بهاتيك » والقراوح : جمع قرواح ، بالكسر ، وهو المنبسط من الأرض لا يستتر منه شيء . فيما عدا ل : « القرادح » تحريف .

(٣) هذه التكلة من ل ، س . والكلمة التي بعدها هي في ط ، ﻫ : « تشتمل » .

(٤) هذه الكلمة من ل ، س . وسائر التكلة من ل .

(٥) ط ، ﻫ : « من تسافد » والكلام بعده إلى كلمة : « غيرها » ساقط من ﻫ .

(٦) هذه التكلة من ل ، س . وقبل ذلك فيما عدا ل : « ولا الغنم » ، بإقحام الواو

(٧) ط ، ﻫ : « الظفر » صوابه في ل .

(٨) فيما عدا ل : « من تسافد غيرها وتلاقحها » .

في الصوف والشعر ، وفي الأُنس والوحْشة ، وفي عدم التلاقُح والتسافُد وليس كذلك الحافرُ والخفّ .

(رجَز في العنْز)

وقال الراجز :

لَهْفِي على عنزين لا أنساهما[1] كأنّ ظِلّ حَجَرٍ صُغْراهُما

وصالِغٌ مُعْطِرةٌ كُبراهما[2]

قوله : صالغ[3] ، يريد انتهاء السنّ . والمعطرة : الحمراء . مأخوذة من العِطْر[4] . وقوله : « كأن ظلّ حجَرٍ صُغراهما » يريد أنها كانت سوداء ، لأن ظِلّ الحجَر يكونُ أسودَ ، وكلما كان الساتر أشدّ اكتنازاً[5] كان الظلّ أشدّ سواداً .

(قولهم : أظل من حجر)

وتقول العرب : ليس شيء أظلّ من حجَر[6] ، ولا أدفأ من شجَر ، وليس يكون ظلٌّ أبرَدَ ولا أشدّ سواداً من ظلّ جبل . وكلما كان أرفع

(١) فيما عدا ل : « عنزى » وأثبت ما في ل ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٣) واللسان (٦ : ٢٥٩) .

(٢) فيما عدا ل : « ضالع » وفي المحاضرات : « صالح » صوابهما في ل واللسان .

(٣) فيما عدا ل : « ضالع » تحريف . قال أبو عبيد : « ليس بعد الصالغ في الظلف سن » .

(٤) العطر ، بالكسر : الطيب . فيما عدا ل : « المطرة » تحريف .

(٥) ط ، هـ : « وكل ما » والوجه الوصل . فيما عدا ل : « القائم » بدل : « الساتر » . والاكتناز : الاجتماع والامتلاء . وبعده الكلمة وجملة : « كان الظل أشد » ساقطتان من هـ .

(٦) في أمثال الميداني (١ : ٤١١) : « أظل من حجر » وذلك لكثافة ظله . =

سَمْكاً[١] ، وكان مَسْقِطُ الشمس أبعَدَ ، وكان أكثر عرضاً وأشدَّ اكتنازاً ، كان أشدَّ لسواد ظله[٢] .

١٤٥ ويزعم المنجِّمون أن الليلَ ظلُّ الأرض[٣] ، وإنما اشتدّ جدًّا لأنه ظلُّ كُرَةِ الأرض[٤] . وبقدر مازاد بدنها[٥] في العِظَم ازدادَ سوادُ ظِلِّها
وقال حُميد بن ثَوْر :

إلى شَجَرٍ أَلْمَى الظلالِ كأنها رواهبُ أحْرَمْنَ الشرابَ عُذُوبُ

والشَّفَة الحمَّاء يقال لها لَمْياء[٧] . يصِفُون بذلك اللِّثة . فجعل ظِلَّ الأشجار الملتفّة أَلْمَى .

= قال الثعالبي في ثمار القلوب ٤٤٣ : « لأنه مصمت لا يتخلله خلل » . وأنشد :

كأنما وجهك ظل من حجر

انظر الفاخر (٢ : ١٢) والتشبيهات ٩٠ وعيون الأخبار (٤ : ٤١) . قال الميداني : « ليس الظل فعل يتصرف في ثلاثيه فيبنى منه أفعل التفضيل . وحقه : أشد إظلالا » .

(١) السمك ، بالفتح : العلو والارتفاع . ط ، هو : « وكل ما » بالفلك . والوجه الوصل .

(٢) فيما عدا ل : « عله » تحريف صوابه في ل وتاج العروس (٧ : ٤٢٨ س ١٤) .

(٣) كلمة : « الأرض » ليست في ل .

(٤) هذه الكلمة ليست في س .

(٥) فيما عدا ل : « جرمها » .

(٦) ألمى : كثيف أسود ، الأنثى لمياء . وضمير : « كأنها » يعود على : « ركاب » تقدم ذكرها في بيت قبله ، وهو كما في اللسان (٢٠ : ١٢٥) :

ظللنا إلى كهف وظلت ركابنا إلى مستكفات لهن غروب

ومعنى أنها ضمير : « الشجر » . وفي المصباح ٩٦٨ : « كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء نحو بقر وبقرة فإنه يذكر ويؤنث » وانظر تفصيل اختلاف النحويين في هذه المسألة ، في المخصص (١٦ : ١٠٠ — ٢٠٢) . شبه الشجر بالرواهب . قال أبو حنيفة : « اختار الرواهب في التشبيه لسواد ثيابهن » . أحرمن الشراب : جعلنه حراما . عذوب : جمع عاذب ، وهو القائم يرفع رأسه فلا يأكل ولا يشرب . ط ، هو « أجرين » ط ، هو ، سه : « السرابه » صوابهما في ل : وفي ط ، سه : « غروب » هو : « مزوب » صوابهما في ل . وانظر اللسان (١٥ : ١٤ و ٢٠ : ١٢٥) .

(٧) الحماء : السوداء . فيما عدا ل : « الحسناء » تحريف . ط : ويقول لها عرف .

(أقط الماعز)

وقال امرؤ القيس بن حُجْر :

لنا غَنَمٌ نُسَوِّقها غِزارٌ كأنَّ قُرونَ جِلّتِها العِصِيُّ[1]

فدلّ بصفة القرون[2] [على] أنها كانت ماعزة . ثم قال[3] :

فتملأُ بيتَنا أقِطاً وسَمْناً وحسبُكَ من غِنًى شِبعٌ ورِيُّ[4]

فدلّ [على] أن الأقط منها يكون .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لذوات الأظلاف : قد وُلِّدت الشاة[5] والبقرة ، مضمومة الواو مكسورة اللام مشدودة . يقال هذه شاة تُحلَب قفيزاً ، ولا [يقال] تَحلُب ، والصواب ضم التاء وفتح اللام .

ويقال أيضاً : وضعَتْ ، فى موضع وُلِّدت . وهى شاة رُبَّى[6] ، من حين تضعُ إلى خمسةَ عشرَ يوماً — وقال أبو زيد[7] : إلى شهرين — من غنم

---

(١) ط ، هو : « غزارا » . والجلة ، بالكسر : المسان . ورواية الصدر فى الديوان ١٦٠ : « ألا إلا تكن إبل فمعزى » . وقال الوزير أبو بكر : « قال الأصمعى : امرؤ القيس لا يقول مثل هذا . وأحسبه للحطيئة » .

(٢) فيما عدا ل : « قوله » موضع : « فدل » تحريف . ط ، هو : « بصفة » صوابه فى ل ، هو .

(٣) فيما عدا ل : « فقال » صوابه ما أثبت .

(٤) الأقط : مر تفسيره فى ص ٤٨١ . ورواية الديوان : « فتوسع أهلها » .

(٥) ط ، هو : « الشيلة » س . « السيلة » صوابهما فى ل .

(٦) ربى ، على فعلى ، وجمعها رباب بضم الراء فيهما .

(٧) فيما عدا ل : « أبو زيد » تحريف . وهو أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصارى ، اللغوى الثقة ، وكان من شيوخ الجاحظ . توفى سنة ٢١٥ .

رُباب ، مضمومة الراء على فُعال ، كما قالوا : رَجُل ورُجال(١) ، وظئر وظؤار وهي رُبَّى بيِّنة الرُّباب والرِّبَّة بكسر الراء ، ويقال هي في رِبابها . وأنشد :

حَنِينَ أمِّ البَوِّ في رِبابها(٢)

والرُّباب مصدر . وفي الرُّبَّى حديث عمر : « دَعِ الرُّبَّى والماخِضَ والأكولة »(٣) . وقال أبو زيد : ومثل الرُّبَّى من الضأن الرَّغوث(٤) قال طرفة :

فليتَ لنا مكانَ المَلْكِ عمرٍو رَغُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنا تَخُورُ(٥)

---

(١) رجيل بمعنى راجل يمشي على رجليه . ووهم من صحح اللسان (١٣ : ٢٨٥) وتفسير أبي حيان (١ : ٢٤٣) أن رجالا ، بالضم وتخفيف الجيم : جمع راجل . لكن يؤيد صحة ما أثبت من ل ، س ، هو ما في تاج العروس (٧ : ٢٤٣) « ورجال جمع رجيل الراكب » . وانظر هذا الجمع العزيز (ليس في كلام العرب) ص ٢٣ والخاج (٣ : ٣٦٦ ، ٧ : ٢٤٢) . وجاء في ط : « رجل ورجال » والرجل بالكسر وككتف : الأنثى من أولاد الضأن . وهي صحيحة أيضا .

(٢) البو : ولد الناقة ، وهو أيضا جلد ولدها يحشى تبنا أو نحوه لتعطف عليه فتدر . في ربابها : أراد في وقت ربابها ، وهو مدة تقع بين خمسة عشر يوما أو شهرين ، كما سبق . فيما عدا ل : « حنين » ط ، س : « أم البركة » هو : « أم البو » محرفات صوابها في ل والمخصص (٧ : ١٧٨) والغريب المصنف ٣٢٢ مخطوطة دار الكتب ، واللسان (١ : ٣٨٩ س ١٧) .

(٣) نصه في اللسان (١ : ٣٨٧) : « ولا تأخذ الأكولة ولا الربى ولا الماخض » ، لكن ورد بنص الجاحظ في (١٣ : ٢١) . الماخض : التي أخذها المخاض لتضع . فيما عدا ل : « الماخض » صوابه في ل واللسان (ربب ، مخض ، أكل) . والأكولة : التي تسمن للأكل . قال ابن منظور : « أمر المصدق بأن يعد على رب الغنم هذه الثلاث ولا يأخذها في الصدقة ، لأنها خيار المال » . اللسان (١٣ : ٢١) . وفي (٢ : ٤٥٨) : « وفي حديث الصدقة أن لا يؤخذ فيها الربى والماخض والرغوث » .

(٤) الرغوث : المرضع من الضأن خاصة ، واستعملها بعضهم في الإبل . وقيل الرغوث من الشاء التي قد ولدت فقط . هو ، س : « والمرغوبة » تحريف .

(٥) تخور : تصيح . والبيت من قصيدة له في ديوانه ٥ — ٩ يهجو بها عمرو بن هند . وانظر الشعراء ٢٧ والميداني (١ : ٣٦٥) والكامل ٨٦ والمخصص (٧ : ١٧٨) والألفاظ ٧١ .

وقالوا[1] : إذا وضعت العنز ما في بطنها قيل سَليل ومَليط . وقال أبو زيد : هي ساعةَ تضعُهُ[2] من الضأن والمعز جميعاً ، ذكراً كان أو [أنثى]: سخلةٌ ، وجمعُها سَخْل[3] وسِخَال . فلا يزال ذلك[4] اسمَهَ ما رضعَ اللبَن ، ثم هي البَهْمة للذكر والأنثى ، وجمعُها بَهْم . وقال الشاعر :

وليس يزجرُكم ما تُوعَظُون به والبَهْمُ يزجرُها الراعى فتنزجرُ

[ويروى : «يُزْجَر أحياناً»] . وإذا بلغتْ أربعةَ أشهرٍ وفُصِلتْ عن أمهاتها ، وأكلَتْ من البقل واجترّت[5] ، فما كان من أولاد المعز فهو جَفْر ، والأنثى جَفْرة ، والجمع جِفَار[6] . ومنه حديث عمر رضى الله عنه ، حين ١٤٦
قضَى فى الأرنبِ يُصيبها المحرِمُ بجَفْر .

فإذا رَعَى وقوِيَ وأتى عليه حولٌ فهو عريض ، وجمعه عِرْضان[7] .

والعَتُود نحوٌ منه ، وجمعه أعتِدة وعِتْدان[8] . وقال يونس : جمعه أعتِدة .

---

(١) ط ، هو : «وقال» .

(٢) فيما عدا ل : «هى ما تضعه» . وفى اللسان : «المليط : الجدى أول ما تضعه العنز» .

(٣) هو : «سخلة» وهى صحيحة بكسر ففتح .

(٤) فيما عدا ل : «كذلك» .

(٥) اجترت : استخرجت من كرشها الطعام لتمضغه . ط فقط : «اجتزت» ، تحريف .

(٦) فى اللسان والقاموس : «والجمع أجفار ، وجفار ، وجفرة» . وضبطت : «جفرة» بالتحريك فيهما ضبط قلم . وفى المخصص (٧ : ١٨٦) : «هى الأجفار والجفرة» وضبطت بكسر ففتح ضبط قلم أيضاً ، ومثله فى جمهرة ابن دريد (٢ : ٨١) .

(٧) فيما عدا ل : «عرض وجمعها عرضان» تحريف .

(٨) فيما عدا ل : «أعتد» صوابه بالهاء . ويقال فى «عتدان» أيضاً : «عتان» بالإدغام .

وعتد(١) . وهو فى ذلك [كلّه] جذىٌ ، والأنثى عَناق . وقال الأخطل(٢) :

واذكر غُدَانةَ عِـدَّانًا مُزَنَّمةً   من الحَبَلَّقِ يُبْنَى حولها الصِّيَرُ(٣)

ويقال [له] إذا تبع أمَّه وفُطِم : تِلْوٌ ، والأنثى : تِلوة ؛ لأنه يتلو أمّه .

ويقال للجَدْى : إمَّر والأنثى إمَّرة(٤) . وقالوا : هِلَّع وهِلَّعة(٥) . والبدرة : العَناق أيضاً(٦) . والعُطْعُط : الجدى . فإذا أتى عليه الحولُ فالذكر تيس والأنثى عَنْز(٧) . ثم يكون جذَعا فى السَّنة الثانية ، والأنثى جذَعة . ثم ثَنيًّا فى الثالثة ، والأنثى ثَنيّة . ثم يكون رَباعياً فى الرابعة ، والأنثى رَباعية . ثم يكون سَديساً ، والأنثى سَدِيس أيضاً مثل الذكر بغير هاء . ثم [يكون] صالغاً والأنثى صالغة(٨) . والصالغ(٩) بمنزلة البازل من الإبل ، والقارح

---

(١) ط ، هـ : « وجمه أحد » صوابه فى ل ، س . وأما « وحد » فجمع قياسى لم تذكره المعاجم .

(٢) من قصيدته التى مطلعها (انظر الديوان ٩٨ — ١١٢) :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا   وأزعجتهم نوى فى صرفها غير

(٣) غدانة : ابن يربوع بن حنظلة . والمزنم : الذى له زنمتان معلقتان تحت حلقه . والحبلق : غنم صغار . والصير ، بكسر ففتح : جمع صيرة ، بالكسر ، وهى حظيرة من خشب وحجر . ط ، هـ : « عدانه » س : « عدانة » صوابهما فى ل . ط ، هـ : « عادا » صوابه فى ل . وفى س : « عدانا » بالإدغام . وهى رواية الديوان واللسان (عدا حبلق ، صير) . ط : « زنمة » هـ : « مزنمة » صوابه فى ل ، س والمصادر . ط ، هـ : « من الحقائق » صوابه فى ل ، س ، والمصادر . ط ، هـ « ساء حولها » محرفة ، س : « شاء حولها » وأثبت ما فى ل . ويروى : « تبنى فوقها » فى اللسان (٦ : ١٤٩) و : « تبنى حولها » فى الديوان واللسان (٤ : ٢٧١) والمخصص (٨ : ١١) . ط ، هـ : « الصبر » س : « الضبر » صوابهما فى ل والمصادر .

(٤) الإمر ، بكسر الهمزة وتشديد الميم المفتوحة . فيما عدا ل : « أمره » تحريف .

(٥) فى القاموس : « ماله هلع ولا هلعة كإمر وإمرة : جدى ولا عناق » .

(٦) الذى فى المعاجم أن البدرة بالفتح جلد السخلة .

(٧) ط ، هـ : « عنزة » خطأ صوابه فى ل ، س .

(٨) فيما عدا ل : « ضالعاً والأنثى كذلك » تحريف . انظر التنبيه ٢ من ص ٤٩٣ .

(٩) فيما عدا ل : « الضالع » تحريف .

من الخيل . ويقال: قد ضَلَغَ يَضْلَغُ ضُلُوغاً ، والجمع الضُّلَّغ[1] . [وقال رؤبة :
والحربُ شهباء الكِباشِ الصُّلَّغ[2]]

وليس بعد الصالغ شيء .

وقال الأصمعيّ : الُحلاّم والُحلاّن[3] من أولاد المِزْخاصة . وجاء في الحديث : « في الأرنب يصيبها المحرِمُ حُلاّم[4] » . قال ابن أحمر :

تُهْدِي إليه ذراعَ البكْرِ تَكرِمَةً إمّا ذَكِيًّا وإما كان حُلاّنا[5]

[ويروى : « ذراع الجدي »] ويروى : « ذَبِيحا » ، والذبيح هو الذي أدْرَكَ أن يضحَّى به . وقال مهلهل [بنُ ربيعة] :

---

(١) فيما عدا ل : « ضلع يضلع ضلوعا والجمع الضلع » تحريف .

(٢) البيت في اللسان (١٠ : ١٢٤) قال : « الكباش : الأبطال » . وانظر المفضليات (١٧ : ١٤ ، ٤١ : ٢٢ ، ١١٩ : طبع المعارف). جعل الأبطال شهبا لما عليهم من بياض الحديد والسلاح .

(٣) الحلام ، بضم الحاء وتشديد اللام أو تخفيفها . ط فقط : « الجلام » تحريف . وهذه بكسر الجيم وتخفيف اللام : جمع جلم وهو الجدي ، ولا وجه لها هنا . والحلان مثل الحلام بتشديد اللام . فيما عدا ل : « الحلق » تحريف .

(٤) في اللسان : « وفي حديث عمر أنه قضى في الأرنب يقتله المحرم بحلام » . ط : « جلام » صوابه في سائر النسخ واللسان .

(٥) تهدى ، بالتاء للفاعل . وضبط في اللسان (٣ : ٢٠٤ ، ١٦ : ٢٨٣) والمخصص (٧ : ١٨٧) : « تهدى » بالبناء للمفعول . وهو خطأ نبه عليه البكري في التنبيه ١٠٢ ، وذلك لأن فاعله : « هبط » في بيت بعده ، وهو كما رواه البكري :

هبط طلائل لفن القرى واجطلت ساطلفا سائربات وكتانا

يقول : تهدى إليه هؤلاء النساء الذراع تكرمة . يهزأ به ، لأن الذراع لا تهدى إلا للمهين الساقط ، لحقارتها وقلتها . البكر ، كذا وردت الرواية في ل واللسان (٢ : ٢٦٤) وضبطت في اللسان بفتح الباء . وأراه بكسر الباء ، وهو أول ولد . والرواية في سائر النسخ والمصادر : « ذراع الجدي » . حلانا ، هو في ط : « جلاما » و ، س : « حلاما » صوابهما في ل وسائر المصادر . وهو يعرض في هذا البيت برجل كان يشتمه ويهجوه ، يقال له سفيان ، يقول له في أول المقطوعة :

نبئت سفيان يلحانا ويشتمنا والله يدفع عنا شر سفيانا

وقبل البيت الشاهد ، كما في اللسان (١٦ : ٢٨٣) وتنبيه البكري : =

كلُّ قتيلٍ فى كليبٍ حُلاَّمْ ... حتى ينالَ القتلُ آلَ همَّامْ(١)

وقالوا فى الضأن كما قالوا فى المعز(٢)، إلا فى مواضع . قال الكسائى : هو خروف ، فى [موضع] العريض(٣) ، والأنثى خروفة . ويقال له حَمَل ، والأنثى من الحُملان رِخل والجمع رُخال(٤) ، كما يقال ظئر وظؤار(٥) ، وتَوأم(٦) وتؤام . والبَهْمة : الضأن والمعز جميعاً . فلا يزال كذلك حتى يَصِيف . فإذا أكل واجترّ فهو فرير وفُرارة وفُرفور(٧) ، وعُروس(٨) . وهذا كله حين يَسمَنُ ويجفر . والجِلاَم ، بكسر الجيم وتعجيم نقطة من تحت الجيم(٩) . قال الأعشى(١٠) :

= فذاك كل ضئيل الجسم مختشع ... وسط المقامة يرعى الضأن أحيانا

جعل قتلة سفيان هذا الراعى الحقير ، تهزؤا به ، واحتقاراً له .

(١) همام هذا ، هو همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، أخو جساس بن مرة . وجساس هو الذى طعن كليب بن ربيعة . والمهلهل صاحب الشعر هو أخو كليب ، وهو الذى طالب بدم أخيه . ويروى أن مهلهلا قال :

كل قتيل فى كليب حلان ... حتى ينال القتل آل شيبان

انظر اللسان (١٦ : ١٨٢) والكنز اللغوى ١٩ . وفى الأغانى (٤ : ١٤٤) :

كل قتيل فى كليب غره ... حتى ينال القتل آل مره

وهذه الرواية أيضاً فى اللسان (٦ : ٣٢٢) . وقد قتل همام بن مرة فى يوم واردات . وفى أمثال الميدانى (٢ : ٩٠) : « يقول : كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب ، بمنزلة الحلام الذى ليس بوفاء أن يذبح فى النسك ، حتى ينال القتل آل همام فإنهم وفاء به » . وانظر المخصص (٦ : ٩٦ ، ٧ : ١٨٧) والألفاظ ٢٧٦ .

(٢) فيما عدا ل : « المعزى » .

(٣) انظر التنبيه السابع من ص ٤٩٧ . فيما عدا ل : « الأرض » تحريف .

(٤) سه : « رجل والجمع رجال » ، وانظر ما سبق ص ٤٩٦ .

(٥) الظئر : المرضعة لغير ولدها . سه : « ظير وظوار » محرف .

(٦) هو ، سه : « توم » ط : « تزم » تحريف ، صوابه فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « فرفر وفرقار وفرقور » تحريف .

(٨) عروس ، بضم العين . فيما عدا ل : « عارس » تحريف . وعروس يجمع على عارس وعاريس .

(٩) الجلام ، بالكسر : جمع جلم ، وهو الجدى . وقيل الجلام غنم من غنم الطائف صغار .

(١٠) من قصيدة له فى ديوانه ٦٧ — ٧٢ يمدح بها هوذة بن على الحنفى . وقبل البيت : =

سَوَاهِمُ جِذْعَانِها كالجِلامِ وَأَقْرَحَ منها القِيادُ النُّسورا[1]

[يعني الحوافر] . والبَيْعَر : الجدي ، بإسكان العين . وقال البُرَيقُ الهذليّ[2] :

مُقِيماً بأملاحٍ كما رُبِطَ البَيْعَرْ[3]

والبَذَجُ[4] من أولاد الضأن خاصة . وقال الراجز[5] :

قد هَلَكَتْ جارَتُنا من الهَمَجْ[6] فإن تجُعْ تأكلْ عَتُوداً أو بَذَجْ[7] ١٤٧

= جيادك في الصيف في نعمة تصان الجلال وتعطى الشعيرا

(١) السواهم : الضوامر أو المتغير . والجلعان بضم الجيم وكسرها : جمع جذع ، وهو من الخيل ما استتم سنتين ودخل في الثالثة . والنسور : جمع نسر ، وهو باطن الحافر . أقرح ، هي في ط : « أقزح » سه : « أقرح » هو : « أقزع » صوابه في ل . وفيما عدا ل : « العتاد » بدل « القياد » محرف . ط ، هو : « السورا » سه : « الستورا » وأثبت الصواب من ل . ويروى : « قد أقرح » . ويروى : « قد أقرح القود » والقود والقياد بمعنى . انظر اللسان (٧ : ٦٠ ، ١٤٤ . ٢٧٠ والمخصص (٦ : ١٤٥ ، ٧ : ١٨٧) .

(٢) هو عياض بن خويلد الهذلي ، يلقب بالبريق . حجازي مخضرم . وله مع عمر بن الخطاب حديث . انظر معجم المرزباني ٢٦٨ والإصابة ٦١٢٤ . وقبل هذا الشطر ، كما في بقية أشعار الهذليين (القصيدة ١٢) ومعجم البلدان واللسان (٧ : ١٦٥) :

وإن أمس شيخاً بالرجيع وولدة ويصبح قومي دون دارهم مصر

أسائل عنهم كلما جاء راكب مقيماً بأملاح كما ربط اليعر

قال ابن منظور : « كان قد توجه قومه إلى مصر في بعث فبكى على فقدهم » .

(٣) أملاح : موضع ، قال ياقوت : « وقد تكرر ذكره في شعر هذيل ، فلعله من بلادهم » . واليعر ، بالفتح : الشاة أو الجدي تشد عند زبية الذئب ل : « البعير » تحريف ، صوابه في سائر النسخ والمعجم والمخصص (٧ : ١٨٧) واللسان وبقية أشعار الهذليين .

(٤) البذج ، بالتحريك ، آخره ذال معجمة وجيم : هو من الضأن بمنزلة العتود من أولاد المعز ، وهو الذي بلغ السفاد . ط : « البذع » سه : « البذخ » هو : « البذح » صوابه في ل .

(٥) هو أبو محرز المحاربي ، واسمه عبيد ، كما في اللسان (٣ : ٣٣) .

(٦) الهمج ، بالتحريك : الجوع . وهمج : جاع . ط : « البذخ » هو : « البذح » سه : « البذخ » صوابها في ل واللسان (٣ : ٣٣ ، ٢١٦) والميداني (١ : ٢٦١) والأضداد ٢٧٩ .

(٧) العتود : الجدي بلغ السفاد . هو : « عتوز » محرف . والبذج : محرف فيما عدا ل . ففي ط : « بلخ » سه : « بلح » هو : « أرح » .

والجمع بِذجان[1] .

(دعاء أعرابي)

وقال أعرابيّ : اللهمّ ميتةً كميتةِ أبي خارجة ! قالوا : وما ميتةُ أبي خارجة ؟ قال : أكل بذَجاً[2] ، وشرب مِشْمَلاً[3] ، ونام في الشمس ، فأتته المنيّةُ شبعانَ ريّانَ [دفآن[4]] !.

(تيس بنى حمّان)

وفي المثل : « أغلم من تيس بني حِمّان[5] » . و [بنو] حِمّان تزعم أنه قَفَط[6] سبعين عنزاً وقد فُرِيت أوداجه .

فهذا من الكذِب الذى يدخلُ في باب الخرافة[7] .

(زعم لصاحب المنطق)

وقد ذكر أرسطوطاليسُ في كتاب الحيوان ، أنه قد ظهر ثورٌ[8]

---

(١) بذجان ، بالكسر . ط : « بذنجان » س : « بلنجان » هو : « بدسمان » تحريفات .

(٢) ط : « بذنجا » هـ : « بلنجا » هو : « بدسما » صوابه في ل وعيون الأخبار (٣ : ٢٧٦) . وفي ثمار القلوب ١٠٨ : « ثردا » .

(٣) المشمل ، بالكسر : ثوب يشتمل فيه . فيما عدا ل : « مشلا » : وفي عيون الأخبار : « مسملا » . صوابهما ما أثبت من ل وثمار القلوب .

(٤) هذه التكملة من عيون الأخبار وثمار القلوب .

(٥) أغلم : من الغلمة . هو : « أعلم » تحريف . وانظر ص ٢١٩ و ٤٧١ .

(٦) قفط ، بتقديم القاف . والقفط : السفاد . ل : « فقط » تحريف .

(٧) ل : « وهذا من الكذب في باب الخرافة » .

(٨) فيما عدا ل : « وقد ذكر صاحب المنطق أنه قد أبصر ثوراً » . وانظر ٢٢٠ .

وَثَب بعد أنْ خُصِي ، فنزا على بقرةٍ فأحبَلها .

ولم يَمْلِكِ هذا عن مُعاينته(١) . وَالصدورُ تضيق بالردّ على أصحاب النظر ، وَتضيق بتصديق هذا الشّكْل .

(أحاديث فى الغنم)

قال : وَحدّثنا سعد بن طريف(٢) ، عن الأصبغ بن نُباتة(٣) قال : سمعت عليًّا يقول : « ما أهلُ بيت لهم شاةٌ إلا يقدّسون كلّ ليلة(٤) » .

وَ [قال : حدثنا] عتبة القطّان(٥) ، قال حدّثنا [السكن بن] عبد الله بن عبد الأعلى القرشىّ(٦) ، عن رجل من الأنصار ، أن رسول الله

---

(١) فيما عدا ل : « ولم نجد هذا من معاينة » لكن فى س : « من معاينة » .

(٢) ط فقط : « وحدثنى » . وهو سعد بن طريف الإسكاف الحذاء الحنظلى الكوفى ، روى عن الأصبغ بن نباتة ، وأبى إسحاق السبيعى ، وعكرمة . وعنه خلف بن خليفة ، وعلى بن مسهر ، وابن عيينة ، مفرط فى التشيع ، ورمى بالضعف والوضع . تهذيب التهذيب (٣ : ٤٧٣) . وفى الأصل : « سعيد » تحريف .

(٣) أصبغ بن نباتة التميمى الحنظلى الكوفى ، يكنى أبا القاسم . متروك رمى بالرفض ، وهو من التابعين ، روى عن عمر ، وعلى ، والحسن بن على ، وعمار بن ياسر ، وروى عنه سعد بن طريف ، والأجلح ، وثابت ، وفطر بن خليفة ، ومحمد بن السائب الكلبى . وكان شيعيا . تهذيب التهذيب (١ : ٣٦٢) . ونباتة ، بضم النون ، كما فى ل والخلاصة والقاموس مادة (صبغ) . فيما عدا ل : « لباثة » بالثاء المثلثة ، تحريف .

(٤) التقديس : التطهير والتبريك . ط فقط : « ما من أهل بيت » بزيادة « من » .

(٥) هو عتبة بن سعيد القطان الواسطى ، ويقال البصرى . روى عن الحسن ، وشهر بن حوشب ، وهشام بن عروة ، وعنه ابن أخيه سعيد بن أبى الربيع وإسماعيل بن صبيح . تهذيب التهذيب (٨ : ١٥٧) .

(٦) لم أجد له ترجمة فيما لدى من المراجع .

صلى الله عليه وسلم قال : [« امسحوا رُعام الشاء[١] ، ونقوا مرابضَها من الشوكِ والحجارة ، فإنها في الجنة » .

وقال : « ما من مسلمٍ له شاة إلا قُدِّس كلَّ يوم مرة . فإن كانت له شاتان قدِّس في كل يومٍ مرتين » .

قال : وحدثنا عتبة القطان ، بهذا الإسناد ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال] : « أوصيكم بالشاء خيراً ، فنقُّوا مرابضَها من الحجارةِ والشوكِ[٢] فإنها في الجنة » .

وعن محمد بن عجلان[٣] ، عن وهب بن كَيسان[٤] ، عن [محمد بن] عمرو بن عطاء [العامري[٥]] من بني عامر بن لؤيّ ، أن رجلا مرَّ على أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وهو بالعقيق ، فقال : أين تريد ؟ قال : أريد غُنَيمة [لي[٦]] . قال : أمسح رُعامها[٧] ، وأطِبْ مُراحها[٨] ،

---

(١) الرعام ، بالضم والعين المهملة : ما يسيل من أنوفها .
(٢) كلمة : « والشوك » ليست في ل .
(٣) ط ، ﻫ : « حدثني محمد بن عجلان » وأثبت صوابه من ل ؛ إذ أن محمد بن عجلان وقد ترجم في (٢ : ٢٩٢) قد توفي سنة ثمان وأربعين ومائة . وليس في سه إلا « محمد بن عجلان » فقط .
(٤) وهب بن كيسان القرشي ، مولى آل الزبير ، المعلم ، المكي . روى عن أسماء بنت أبي بكر ، وابن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، ومحمد بن عمرو بن عطاء . وعنه هشام بن عروة ، وأيوب ، وابن عجلان ، وابن الماجشون . قال النسائي : ثقة . ووثقه ابن حبان . توفي سنة سبع وعشرين ومائة . تهذيب التهذيب (١١ : ١٦٦) .
(٥) هذه التكملة يقتضيها الكلام . وفي تهذيب التهذيب (٩ : ٣٧٢) : محمد بن عمرو ابن عطاء بن عباس العامري . روى عن أبي حميد الساعدي ، وابن عباس ، وأبي هريرة وسعيد بن المسيب . وروى عنه أبو الزناد ، وابن عجلان ، وابن أبي ذئب . ثقة صالح الحديث .
(٦) هذه من سه فقط .
(٧) الرعام ، سبق تفسيره في التنبيه الأول . سه : « رغامها » تصحيف .
(٨) المراح ، بالضم : الموضع الذي تراح إليه الماشية ليلا . ط : « أطيب » سه ، ﻫ : « أطب » صوابهما في ل .

وصلٌ فى جانب مُراحها[1] ، فإنها من دوابِّ الجنة .

و [عن] فرج بن فضالة[2] ، عن معاوية بن صالح[3] ، عن رجل من أصحاب أبى الدرداء ، أنه عمِل طعاماً[4] اجتهد فيه ، ثم دعاه فأكل ، فلما أكل قال : الحمد لله الذى أطعمنا الخميرَ ، وألبسنا الحبيرَ[5] ، بعد الأسودَين الماء والتمر : [قال] : وعند [صاحبه] ضائنة له[6] ، فقال[7] هذه لك ؟ قال : نعم . [قال] : أطِبْ مُراحها[8] ، واغسِلْ رُعامها ، فإنها من دوابِّ الجنة[9] ، وهى صفوة الله من البهائم .

[قال : وحدثنا] إبراهيم بن يحيى[10] ، عن رجل ، عن عطاء بن

---

(١) هذه العبارة ساقطة من هو ، ط : « وأصل » بدل : « وصل » تحريف .

(٢) فرج بن فضالة بن النعمان التنوخى ، روى عن يحيى بن سعيد ، ومسافر ، وهشام بن عروة . وروى عنه ابنه محمد ، وشعبة ، ووكيع ، والنضر بن شميل وغيرهم . سكن بغداد وكان على بيت المال بها . ومولده سنة ٨٨ حديث فى تاريخ بغداد ٦٨٥٩ ومات ببغداد سنة ١٧٦ . وانظر تهذيب التهذيب (٨ : ٢٦٠) . فيما عدا ل : « فرح » بالمهملة ، صوابه بالجيم .

(٣) هو معاوية بن صالح بن حُدير ، أبو عبد الرحمن الحمصى ، قاضى الأندلس . روى عن مكحول وابن راهويه ، وربيعة بن يزيد ، وعنه الثورى ، والليث ، وابن وهب . وسمع منه الناس حين حج سنة ١٥٤ فكتب عنه أهل مصر والمدينة . وتوفى سنة ١٥٨ . تهذيب التهذيب (١٠ : ٢٠٩) .

(٤) فيما عدا ل : « جعل طعاما » .

(٥) الخمير : الخبز له خميرة . ط : « الخبز » تحريف . والحبير من البرود : ما كان موشياً مخططاً . فيما عدا ل : « الحبر » . وفى اللسان (٥ : ٢٢٠) نسبة الكلام إلى : « أبى ذر » وكذا فى نهاية ابن الأثير .

(٦) فيما عدا ل : « عنزة » مكان : « عنده » تحريف . والضائنة : الأنثى من الضأن . ل « ضأنة » سه ، هو : « ضانية » صوابهما ما أثبت من ط .

(٧) فيما عدا ل : « قال » .

(٨) المراح ، بالضم : الموضع الذى تراح إليه الماشية ليلا . فيما عدا ل : « أطيب » تحريف .

(٩) الرعام ، مر تفسيره . هو : « رغامها » تحريف . وفيما عدا ل : « دواب الله » محرف .

(١٠) إبراهيم بن يحيى [بن] محمد بن عباد بن هانئ الشجرى . روى عن أبيه . وعنه البخارى فى غير الصحيح . قال أبو حاتم : ضعيف . تهذيب التهذيب (١ : ١٧٦) .

أبي رباح[١] ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن الله عز وجل خَلَقَ الجنة بيضاء ، [وخيرُ الزِّيِّ البياض] » . قال : وبعث إلى الرُّعيان : « من كانت له غنمٌ سُودٌ فليَخْلِطْها بعُفْرٍ ، فإنَّ دمَ عفراء أزكى من دمِ سَوْدَاوَيْن[٢] » .

وحدثنا أبو المقدام[٣] قال : حدثنا عبد الرحمن بن حبيب[٤] ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا بالرُّعاة[٥] فجُمعوا [له] ، فقال: « من كان منكم يَرعَى غنماً سوداً فليخلِطْ فيها بيضاً » .

قال : وجاءته[٦] امرأةٌ فقالت : يارسول الله ، إني اتخذت غنماً[٧]

(١) عطاء بن أبي رباح القرشي المكي ، من سادات التابعين علماً وفقهاً . روى عن ابن عباس وابن عمر ومعاوية وزيد بن أرقم وأبي هريرة وعائشة . مات سنة أربع عشرة ومائة . ورباح ، بفتح الراء بعدها باء موحدة . واسم أبي رباح أسلم . وكان عطاء من المعلمين . انظر تهذيب التهذيب (٧ : ١٩٩) والمعارف ١٩٦ ، ٢٢٨ .

(٢) العفراء : الخالصة البياض . فيما عدا ل : « أرجى من دم سوداوين » . وأثبت ما في ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٦) .

(٣) هو هشام بن زياد بن أبي زيد القرشي ، أبو المقدام المدني . روى عن أبيه ، والحسن البصري ، وعمر بن عبد العزيز ، وهشام بن عروة ، وعنه وكيع ، وابن المبارك . رمي بالضعف . تهذيب التهذيب (١١ : ٣٨) .

(٤) عبد الرحمن بن حبيب بن أدرك المدني ، مولى بني مخزوم ، روى عن علي بن الحسين وعطاء ، وعنه سليمان بن بلال ، وعبد الله بن جعفر بن نجيح ، وأسامة بن زيد الليثي . ذكره ابن حبان في الثقات . وقال الحاكم : من ثقات المدنيين . انظر تهذيب التهذيب (٦ : ١٥٩) .

(٥) س ، هو : « بالرعاء » يقال رعاة ورعاء : جمع راع .

(٦) فيما عدا ل : « وجاءت » .

(٧) ط ، هو : « عنزة » تحريف ما في ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٦) . وموضع هذه الكلمة أبيض في س .

رجوت نسلها ورِسلَها[1] وإنى لا أراها تنمو[2] . قال : « فما ألوانها ؟ » قالت : سود . قال : « عفِّرى » . أى اخلطى فيها [بِيضاً[3]] .

قال : وحدثنا طلحة بنُ عمرو الحضْرَمىّ[4] ، عن عطاء ، أن رسول ١٤٨ الله صلى الله عليه وسلم قال : « الغَنم بركة موضوعة ، والإبلُ جمالٌ لأهلها ، والخيرُ معقود فى نواصى الخيل إلى يوم القيامة[5] » .

حنظلةُ بن أبى سفيان المكىّ[6] قال: سمعت طاووساً يقول: « من هاهنا أطلعَ الشيطانُ قرنَيه ، من مطلِع الشمس . والجفاء والكِبْرُ فى أهل الخيل والإبل ، فى الفدّادينَ أهل الوبر[7] . والسكينةُ فى أهل الغنم » .

---

(١) الرسل ، بالكسر : اللبن . فيما عدا ل : « رسلها ونسلها » .

(٢) صو : « لأراها سواء » ط ، هو : « لا أراها سواء » سواءهما فى ل . وفى عيون الأخبار (٢ : ٧٩) : « وأراها لا تنمو » .

(٣) عله من ل ، صو .

(٤) هو طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمى المكى ، من كبار أتباع التابعين ، روى عن عطاء وأبى الزبير ، وسعيد بن جبير ، وعنه جرير بن حازم ، والثورى ، والطيالسى ، ووكيع . رووا أنه أملى أكثر من أربعة آلاف حديث من ظهر قلب . وقد ضعفه البخارى وأبو داود والنسائى وغيرهم . تهذيب التهذيب (٥ : ٢٣) .

(٥) صو : « فى نواصى الخير » بالراء .

(٦) حنظلة بن أبى سفيان بن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية الجمحى المكى . روى عن سالم بن عبد الله ، وسعيد بن ميناء ، وطاوس ، وعكرمة ، ونافع ، وعطاء . وعنه الثورى ، وابن المبارك ، ووكيع . ذكره ابن حبان فى الثقات . وتوفى سنة ١٥١ . انظر تهذيب التهذيب (٣ : ٦٠) . ل : « قال وحدثنا حنظلة » بإقحام : « قال : وحدثنا » .

(٧) الفدادون : أصحاب الإبل الكثيرة ، الذين يملك أحدهم المائتين من الإبل إلى الألف وقيل هم الذين تعلو أصواتهم فى حروثهم وأموالهم ومواشيهم وما يعالجون منها . فيما عدا ل : « والفداد فى أهل الوبر » تحريف .

[قال] وحدثنا بكر بن خُنَيس[١] ، عن يحيي [بن عُبَيد الله] بن عبد الله بن مَوْهب[٢] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأسُ الكُفرِ قِبَلَ المشرق ، والفخرُ والخُيلاء في أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر[٣] . والسكينة في أهل الغنم ، والإيمانُ يمانٍ ، والحكمة[٤] يمانية » .

و [عن] عوف بن أبي جَمِيلة[٥] ، عن الحسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الفخرُ في أهل الخيل ، والجفاء في أهل الإبل ، والسكينة في أهل الغنم » .

و [عن] عثمان بن مِقْسَم[٦] ، عن نافع ، أن ابنَ عمرَ حدثه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « السكينةُ في أهل الغنَم » .

والفدَّاد : الجافي الصوتِ والكلامِ . وأنشدنا أبو الرُّدَيني العُكلي :

جاءت سُلَيمٌ ولها فَدِيدُ[٧]

(١) بكر بن خنيس ، بالخاء المعجمة والنون وآخره سين مهملة ، مصغرة ، كوفي سكن بغداد ، صدوق له أغلاط . وكان يوصف بالزهد والعبادة . وأرخه الذهبي في حدود السبعين ومائة . تهذيب التهذيب (١ : ٤٨١) . ط : « جيش » ، ل : « حبيش » صوابهما في ل .

(٢) يحيي بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب ، بفتح الميم والهاء بينهما واو ساكنة ، التيمي المدني . روى عن أبيه ، وعنه ابن المبارك ، وفضيل بن عياض ، ويحيي بن سعيد القطان . كان يروي المناكير ، ورمي بالضعف . انظر تهذيب التهذيب (١١ : ٢٥٢) فيما عدا ل : « يحيي بن عبد الله ، عن وهب » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « في أهل الإبل والخيل والفداد في أهل الوبر » تحريف .

(٤) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة . انظر الجامع الصغير ٤٣٧٢ .

(٥) تقدمت ترجمته في (٤ : ١٩) .

(٦) هو عثمان بن مقسم البري ، أبو سلمة الكندي البصري ، حدث عنه أبو سفيان ، وأبو عاصم ، وأبو داود ، وشيبان بن فروخ . وكان ينكر الميزان يوم القيامة ، ويقول : إنما هو العدل . وقد رمي بالكذب والغلط . انظر لسان الميزان (٤ : ١٥٥) . ومقسم ، كمنبر . والبري ، بضم الباء . انظر القاموس (برر) والمشتبه للذهبي ٣٧ .

(٧) فيما عدا ط فقط : « جاءت سليمى » .

(أخبار ونصوص في الغنم)

وكان من الأنبياء عليهم السلام مَنْ رعى الغنم . ولم يَرْعَ أحدٌ منهم الإبل . وكان منهم شعيب [١] ، وداود ، وموسى ، [ومحمد ، عليهم السلام].

قال الله جل وعز : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ [٢] ﴾ .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرعى غُنَيماتٍ خديجة .

وللمُعْزِبون بعزولهم البُعدَ من الناس ، في طباع الوحش [٣] .

وجاء في الحديث : « من بَدَا جَفا [٤] » .

ورِعاء الغنم وأربابها أرقُّ قلوباً ، وأبعد من الفظاظة والغلظة [٥] .

وراعي الغنم إنما يرعاها بقرب الناس ، [و] لا يَعْزُبُ ، ولا يبدو ولا ينتجع [٦] . [قالوا : والغنم في النوم غُنْمٌ] .

وقالوا في الغنم : إذا أقبلتْ أقبلتْ ، وإذا أدبرت أقبلت [٧] .

---

(١) ل : « وكان منهم شعيب » . وكلمة : « وكان » ساقطة من س .

(٢) الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة طه .

(٣) المعزبون : الذين أعزبوا : أي بعدوا بماشيتهم عن الناس في المرعى ، وهذه الجملة ليست في ل .

(٤) حديث حسن رواه أحمد عن البراء ، وكذا رواه الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس . وزاد الطبراني : « ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلطان افتتن » . الجامع الصغير ٨٥٥٧ ، ٨٥٥٨ . وانظر البيان (١ : ٢٩) .

(٥) فيما عدا ل : « من الغلظ والجفاء » .

(٦) يبدو : يخرج إلى البادية . ط ، هو : « يبيد » تحريف . س « ويبعد » وأثبت ما في ل . ينتجع : يطلب الكلأ في موضعه .

(٧) في عيون الأخبار (٢ : ٧٦) والعقد (٤ : ٢٥٨) أنه حديث . وبقيته فيهما : « والإبل إذا أدبرت أدبرت وإذا أقبلت أدبرت ، ولا يأتي نفعها إلا من جانبها الأشأم » . وفي الفائق للزمخشري (٢ : ٩٥) ؛ ومثله في اللسان والنهاية .

(الحامى والسائبة والوصيلة)

وكان لأصحاب الإبل مما يحرمونه على أنفسهم[١] : الحامى والسائبة[٢] ولأصحاب الشاء الوصيلة[٣] .

(العتيرة والرجَبيّة والنَذْوِىّ)

والعتيرة أيضاً من الشاء[٤] . [و] كان أحدهم إذا نذر أن يذبحَ من العتائر[٥] والرجبية كذا وكذا شاة ، فبلغ الذى كان يتمنّى فى نذره[٦] ،

= (متن) — : لأسئل صلى الله عليه وآله وسلم عن الإبل فقال : أعنان الشياطين ، لا تقبل إلا مولية ، ولا تدبر إلا مولية ، ولا يأتى نفعها إلا من جانبها الأشأم » . قال الزمخشرى : « إن الإبل لكثرة آفاتها فإن من شأنها أنها إذا أقبلت أن يعقب إقبالها الإدبار ، وإذا أدبرت أن يكون إدبارها ذهاباً وفناء مستأصلا ، ولا يأتى نفعها ، يعنى منفعة الركوب والحلب ، إلا من جانبها الذى ديدن العرب أن يتشاءموا به ، وهو جانب الشمال » .

(١) ط ، هو : « ما يحرمون » ل : « ما يحرمونه » . وأثبت ما فى س .

(٢) الحامى : الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود — قيل عشرة أبطن — فإذا بلغ ذلك قالوا : هذا حام ، أى حمى ظهره ، فيترك فلا ينتفع منه بشىء ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى . والسائبة : كان الرجل فى الجاهلية إذا قدم من سفر بعيد ، أو برئ من علة ، أو نجته دابة من مشقة أو حرب ، قال : ناقتى سائبة ، أى تسيب فلا ينتفع بظهرها ، ولا تحلأ عن ماء ولا تمنع من كلأ ، ولا تركب .

(٣) الوصيلة : كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن عناقين عناقين ثم ولدت فى الثامنة جدياً وعناقاً قالوا : وصلت أخاها ، فلا يذبحون أخاها من أجلها ، ولا يشرب لبنها النساء وكان للرجال ، وجرت مجرى السائبة . وبين المفسرين واللغويين خلاف فى تحديد معانى الحامى والسائبة والوصيلة . انظر بلوغ الأرب (٣ : ٣٦ — ٤١) .

(٤) كلمة « من الشاء » ليست فى ط .

(٥) العتائر ، كان العرب فى الجاهلية إذا طلب أحدهم أمراً نذر لئن ظفر به ليذبحن من غنمه فى رجب كذا وكذا . وفى الحديث : « هل تدرون ما العتيرة ؟ هى التى يسمونها الرجبية » . كانوا يذبحون فى شهر رجب ذبيحة وينسبونها إليه . انظر اللسان (رجب) . ل : « من النتائم » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « قدره » تحريف .

وشحٌ على الشاء قال : [و] الظُّبَاء أيضاً شاء ، وهى تُجزِى إذا كانت شاء .

فيَجعلُ عتائره من صيدِ الظباء . وقال الحارث بن حِلِّزة :

عَنَتاً باطلا وظُلماً كما تُعْـ ــتَرُ عن حَجْرَةِ الرَّبِيضِ الظِّبَاء[1]

وقال الطِّرِمَّاح[2] :

كلَوْنِ القَرِىِّ الفَرْدِ أُجْسِدَ رأسُه عتائرُ مظلومِ الهَدِىِّ المُذَبَّحِ[3]

ومنها الغَذَوِىّ[4] [والغَذَوِىّ جميعاً . و] قال الفرزدق[5] : ١٤٩

ومهورُ نِسْوَتِهِمْ إذا ما أَنْكَحُوا غَذَوِىُّ كلِّ هَبَنْقَعٍ تِنْبَالِ[6]

---

(١) ل : «عنتا باطلا» سه : «كما تعتر» تحريفان . وقد سبق البيت فى ١٧٦ .

(٢) ط ، سه : «الرماح» صوابه فى ل، هو . والبيت من قصيدة للطرماح فى ديوانه ١٧٥ .

(٣) القرى : حجر ينصب ويلطخ بالدماء ، كان ذلك فى الجاهلية يفعل به . المجسد : المصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران : أراد تلطخ رأسه بالدم . والمظلوم : ما ذبح لغير علة . والهدى : ما أهدى إلى مكة من النعم ، ومثله الهدى بفتح الهاء وسكون الدال . وبهما قرئ : (حتى يبلغ الهدى محله) فى الآية ١٩٦ من سورة البقرة . وقال : «المذبح» ولم يقل : «المذبحة» لأن الهدى فى لفظ واحد ، ومعناه معنى الجمع ، فرد المذبح على الهدى . فيما عدا ل : «كأن القرى» وفى ل : «كلون القرى» صوابهما فى الديوان . هو : «والهدى المذلج» صوابه فى الديوان وسائر النسخ . وهذا البيت فى صفة ثلب . وقبله :

صلس هلوات كأن مسانه قرى حنظب أخلى له الجو مقمح

(٤) الغذوى ، بالغين المعجمة : كل ما فى بطون الحوامل ، وقوم يجعلونه فى الشاء خاصة . فيما عدا ل : «العدوى» بالمهملة ، وهو تحريف نبه عليه الأزهرى . انظر اللسان (١٩ : ٣٦٨) .

(٥) من قصيدة له فى النقائض ٢٧٥ — ٢٩٤ والديوان ٧٢٥ — ٧٣٤ يهجو بها جريراً .

(٦) يعنى نسوة بنى كليب . أنكحوا ، رواه أبو عبيدة بفتح الهمزة والكاف . غذوى ، بالذال المعجمة . وفيما عدا ل : «عدوى بكل» محرف . ويروى : «غدوى» بالدال المهملة . وفى اللسان (٢٠ : ٢٥٥) «منسوب إلى غد ، كأنهم يمنونه ، فيقولون : تنمى إلينا غداً تعطيك غداً» . والهبنقع : القصير الملزز الخلق . والتنبال ، بالكسر : القصير . فيما عدا ل : «كتنبال» صوابه فى ل والنقائض والديوان واللسان («غذو ، غدا ، هبقع») . وفى النقائض : «وقال : مهور نسوتهم الحملان ليس بمهور الإبل» .

(ميل الحيوان على شقه الأيسر)

[و] قال أبو عتّاب : ليس في الأرض شاة ولا بعيرٌ ولا أسدٌ ولا كلبٌ يريدُ الرُّبوض إلا مال على شِقِّه الأيسر ، إبقاء على ناحية كبده .

قال : ومتى تفقدتم الصفايا التي في البيوت[1] ، والنعاج ، والجِداء ، والحُملان وجدتموها[2] كذلك .

(معالجة العقاب الفريسة)

قال : والعقاب تستعمل كفها اليمنى إذا أصعَدَتْ بالأرانب والثعالبِ في الهواء ، وإذا ضربتْ بمخالبها في بطونِ الظِّباء والذئاب . فإذا اشتكت كبدها أحست بذلك[3] ، فلا تزال إذا اصطادت شيئاً تأكلُ من كبدِه : [حتى تبرأ . وإن لم تعاينْ فريسة فربما جلّت[4] على الحمار الوحشيّ فتنقضُّ عليه انقضاضَ الصخرة ، فتقدُّ بدابرتها مابين عجْب ذنبه إلى منسِجه[5] . وقدذكرنا من شأنها في باب القول فيها ما فيه كفاية[6]] .

أخذ الحيوان على يساره حين الهرب)

قال : وليس في الأرضِ هاربٌ من حرْبٍ أو غيرها استعملَ

---

(١) فيما عدا ل : « البيت » .

(٢) ط فقط : « وجدتموها » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « واشتكت كبدها وأحست بذلك » .

(٤) جلى ببصره تجلية : أغمض عينيه ثم فتحهما ، ليكون أبصر له . في الأصل : « وربما »

(٥) الدابرة : الإصبع التي من وراء رجله ، وبها يضرب الصيد . والعجب ، بالفتح : الذنب . والمنسج ، كمجلس : ما انخفض من فروع الكتفين إلى أصل العنق .

(٦) انظر الجزء الثالث ١٧٩ — ١٨٢ والجزء الثاني ٢ : ٢١٨ — ٢١٩ .

الحُضْر(١) إلا أخذَ على يساره(٢) ، إنما ترك عزْمَه وسَوْمَ طبيعته(٣). وأنشد :

تخامَصَ عن وحْشِيِّه وهو ذاهلٌ   وفى الجوف نار ليس يخبو ضِرامُها(٤)

وأنشد الأصمعى للأعشى(٥) :

ويسَّر سَهْماً ذا غِرَار يسوقُهُ   أمِينُ القُوَى فى ضالةٍ المترنِّمِ(٦)

فمرَّ نَضِىُّ السَّهمِ تحت لبانِهِ   وجالَ على وحْشِيِّهِ لم يعتِّمِ(٧)

قال : ووضع : « على » موضع : « عن » .

(ميل شقشقة الجمل ولسان الثور)

وفى بابٍ آخرَ يقول أوسُ بن حجرَ ـ وذلك أنه ليس فى الأرض

(١) فيما عدا ل « فاستعمل الحضر » والحضر ، بالضم : العدو .

(٢) فيما عدا ل : « عن يساره » .

(٣) السوم : التكليف . ل : « وسوء طبيعته » تحريف صوابه فى سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ٦٨) .

(٤) تخامص عن الشىء : تجافى . ط ، هو : « تخامس » ، محرف . والوحشى : الجانب الأيمن .

(٥) ل : « وأنشد للأعشى » .

(٦) يسر : هيأ . والضمير للصائد الذى يبغى صيد هذه الحمر الوحشية . والغرار ، بالكسر : حد السيف والرمح والسهم . أمين القوى ، يعنى الوتر . الضالة : هى بها قطعة الضال التى صنع منها القوس . والمترنم : القوس يترنم عند الإنباض . والقوس يذكر ويؤنث . ط ، هو : « وليس » سه : « وليس » موضع : « ويسر » تحريفان . ط ، هو : « ذا غِرار » سه : « عزار » محرف . وفيما عدا ل أيضاً : « فى حالة » . وصواب كل ذلك فى ل وديوان الأعشى ٩٣ .

(٧) النضى : نصل السهم . واللبان ، بالفتح : الصدر ، أو وسطه . جال : تحول . لم يعتم : لم يبطئ . ط : « فريقى » سه ، هو : « يفى » ط ، هو : « تحت عذاره » سه : « لبانه » تحريفات صوابها فى ل والديوان واللسان (عتم ، نضا ، ثمم) . هو ، سه : « وجال » بالجيم ، ومثلها فى المواضع من اللسان ، تحريف صوابه فى ل ، ط . فيما عدا ل : « لم يحم » تحريف . ورواية الديوان واللسان فى الموضع الأخير : « لم يثمم » . والثمة : التوقف .

جملٌ هاجَ وأخرج[1] شِقْشِقَتَه إلا عدلَ بها إلى أحدِ شِقَّيْ حنكه . والثورُ إذا عدا[2] عدل بلسانه عن شِقّ شماله [إلى يمينه . و] قال عَبْدَةُ بن الطبيب :

مُستقبِلَ الريحِ يهفو وهو مُبْتَرِكٌ   لِسانه عن شِمالِ الشِّدْقِ معدولُ[3]

وقال أوسُ بن حجر :

أو سَرَّكم في جُمادَى أن نصالحكم   إذِ الشقاشق معدولٌ بها الحَنَكُ[4]

(حال الثور عند الكر والقر)

قال : وإذا كرَّ الكلبُ أو الثور [فهو] يصنَع[5] خلاف صنيعه عند القرّ[6] . وقال الأعشى :

فلما أضاءَ الصبحُ قامَ مُبادِرًا   وحانَ انطلاقُ الشاةِ من حيثُ يَمَّما[7]

---

(١) فيما عدا ل : « فأخرج » .
(٢) فيما عدا ل : « إذا عدل » تحريف .
(٣) يهفو : يسرع في خفة . المبترك : المجتهد في سيره لا يترك جهداً . معدول : مائل . ط : « الشرق » سهو ، هو : « الشرق » صوابهما في ل والمفضليات (٢٦ : ٤١ طبع المعارف) .
(٤) جمادى : هو الشتاء كله . ل : « أن يصالحكم » . الشقاشق : جمع شقشقة ، بكسر الشينين ، وهي الجلدة الحمراء التي يخرجها الجمل من حلقه . ط فقط : « الشقائق » تحريف . وفي الديوان : « إذا الشقاشق » . معدول : مائل . وفي الحديث : « ولا تعدل سارحتكم » ، أي لا تصرف ماشيتكم وتمال عن المرعى . ط فقط : « بها الجنبا » تحريف . والبيت من أبيات أربعة في ديوان أوس ، أولها :

زعمتم أن غولا والرجام لكم   ومنعجاً فاذكروا فالأمر مشترك

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وفي ط ، هو : « صنع » .
(٦) القر : القرار . ط : « العدو » مع إسقاط واو : « وقال » تحريف .
(٧) الشاة : الثور الوحشي . وفي الأصل : « الشاء » صوابه في الديوان ٢٠٢ واللسان (٨ : ٤٠٤ و ١٠ : ٨٤) . والرواية فيهما : « من حيث خيما » . خيم بالمكان : أقام . ويمم : قصد ، وأحسبها تحريفا .

فَصَبَّحَهُ عندَ الشروقِ غَدِيَّةً كلابُ الفتى البكريِّ عَوفِ بنِ أرْقَما[1]

فأطْلَقَ عن مجنوبِها فاتَّبعنَهُ كما هيَّجَ السامى المُعَسِّلُ خَشْرَما[2]

فأنحَى عَلَى شُؤْمَى يديهِ فذادَها بأظْمأَ من فرعِ الذؤابةِ أسْحَما[3]

ثم قال :

وأدبَرَ كالشِّعْرَى وُضُوحاً ونُقْبَةً يُوَاعِسُ من حُرِّ الصَّرِيمةِ مُعْظَما[4]

(علة غزو العرب أعداءهم من شق اليمين)

قال : ولعلم العرب بأن طبع[5] الإنسان داعيةٌ إلى الحرب من شقِّ

---

(١) يعنى صبح الصائد هذا الثور بكلابه .

(٢) المجنوب : الذى يقاد ، بجنبه : قاده إلى جنبه . السامى : الذى يسمو فى الجبل ليأخذ العسل : والمعسل : الذى يشتار العسل ويجمعه من الخلية . والخشرم ، بفتح الخاء والراء : جماعة النحل . يقول : أطلق هذا الصائد من كلابه فهجن كما هاج النحل . فى الأصل : « فأطرق » . و « حشرما » بالمهملة ، صوابهما فى الديوان . ل ، هـ : « الشامى » بدل : « السامى » .

(٣) أنحى : اعتمد . الشؤمى : نقيض اليمنى . الأظمأ : القرن الصلب . كذا فى شرح الديوان . قلت : الأظمى الرمح الأسمر ، مجاز . فهو له شبه القرن به ثم همزه . وأما تفسير الديوان فلم يرد فى معجم . يقول : ذاد الثور الكلاب عنه بهذا القرن . فيا عدا ل : « فأنحى » و : « فزادها » صوابه فى ل والديوان . ط : « بأسحمه » هـ : « بأسحمه » صوابه فى ل و هـ والديوان واللسان (١٥ : ٢٠٨) . وقد روى البيت فى اللسان منسوبا إلى القطامى وأوله : « فنحو » ومثل هذه النسبة فى المخصص (٢ : ٣ ، ١٥ : ١٩١) . وليس فى صلب ديوان القطامى .

(٤) أدبر : ولى . ط : « أبرز » محرف . والشعرى : نجم . والنقبة ، بالضم : اللون . فيا عدا ل : « وثلبة » تحريف . يواعس : من المواعسة ، وهو ضرب من السير . ورواية الديوان : « يوامن » وفى شرحه : « يوامن : يدخل فى الومان » . والومان : خطوط فى الجبال ، جمع ومنة ، وهو بياض فى الأرض لا ينبت شيئاً . فيا عدا ل : « يداعس » تحريف . وصريمة الثور : رملته التى هو فيها . وحرها ، بالضم : وسطها وخيرها . والمعظم : المظلم . يقول : أدبر الثور ، بعد أن قتلها ، كالشعرى فى لونه .

(٥) فيا عدا ل : « طباع » . والكلام فى ناحية المبالغة .

الشمال ، يحبّون أن يأتوا أعداءهم من شِقّ اليمين . قال : ولذلك قال شُتَيم بن خُوَيلد[(١)] :

بِجَنَام من أيمنِ الشِّقّ غُدْوَةً ويأتى الشّقّ الحَينُ من حيث لا يدرى

وأما روايةُ أصحابنا [فهى[(٢)]] : « بجَنَام من أيمنِ الشق عندهم » .

(الأعسر من الناس واليَسَر)

وإذا كان أكثرُ عمل الرجُل بيساره كان أعسَر ، [فإذا استوى عملا بهما قيل « أعسَرُ يسَرٌ[(٣)] » ، فإذا كان أعسر مُصْمَتًا فليس بمستوى الخلق[(٤)]] ، وهو عندهم إذا كان كذلك فليس بميمون الخلْق[(٥)] . ويشتقّون من اليد العُسْرى[(٦)] العُسْر والعُسرة . فلما سمّوها الشِّمال[(٧)] أجرَوْها فى الشؤم وفى المشؤوم على ذلك المعنى[(٨)] . وسموها اليد اليَسارَ واليدَ اليُسرى على نَفْى العُسر والنكَد ، [كما قالوا : سليم ، ومفازة[(٩)] . ثم أفصحوا بها فى موضعٍ فقالوا[(١٠)] اليد الشُّؤمَى] .

---

(١) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٧٢) . ل : « شيم » بياءين ، وصوابه ما أثبت من سائر النسخ ، وهو ما نص عليه صاحب القاموس فى ترجمة (شتم) . وفيما عدا ل : « ولذا » بدل : « ولذلك » .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) يسر ، بالتحريك . وفى الحديث : « كان عمر رضي الله عنه أعسر أيسر » . قال أبو عبيد : هكذا روى فى الحديث . وأما كلام العرب فالصواب أنه أعسر يسر .

(٤) فى الأصل ، وهو هنا ل : « يستوى الخلق » وما أثبت أقرب تصحيح له .

(٥) ل : « بسوى الخلق » فيكون تكراراً لما قبله .

(٦) العسرى ، بالضم والقصر : نقيض اليد اليسرى . ل : « العسراء » وهو وصف مؤنث الأعسر . وليس مراداً .

(٧) فيما عدا ل : « بالشمال » .

(٨) ل : « فى السوق » تحريف . وكلمة : « المشؤوم » ساقطة من ل ، وبدلها فى هو : « المشموم » تحريف .

(٩) السليم : اللديغ . والمفازة : البرية القفر .

(١٠) فى الأصل ، وهو هنا ل : « فقال » .

(مما قيل من الشعر فى الشمال)

ومما قالوا فى الشمال قولُ أبى ذُؤَيب :

أبِالصَّرمِ من أسماء جَدَّ بِكَ الذى ... جرَى بيننا يوم استقلّتْ رِكابُها (١)
زجَرْتَ لها طَيْرَ الشِّمالِ فإن يكن ... هَواكَ الذى تهوى يُصِبْكَ اجتنابُها (٢)

وقال شُتَيم بن خويلد (٣) :

وقلتُ لسَيِّدِنا يا حليمُ ... إنك لم تأسُ أسْوًا رفيقا (٤)
[زحَرتَ بها ليلةً كلَّها ... فجئتَ بها مُؤْيِداً خَنفقيقا (٥)]
أعنْتَ عَدِيًّا على شأوِها ... تُعادِى فريقاً وتبقى فريقا (٦)

---

(١) جد به الأمر : اشتد . اللسان (٤ : ٨٤ س ١١) . استقلت : ارتحلت . فيما عدا ل : « أبا الصرم » صوابه فى ل وأشعار الهذليين (١ : ٤) . وفى أشعار الهذليين وما عدا ل : « حدثك الذى » .

(٢) الزجر : التشاؤم والتيمن بالطير . وفى اللسان (١٣ : ٢٨٨) : « وجرى له غراب شمال أى ما يكره ، كأن الطائر إنما أتاه عن الشمال » وأنشد البيت . ط ، س ، هـ : « زجرت » تصحيف . وفى أشعار الهذليين واللسان : « فإن تكن » .

(٣) ل : « شيم » بياءين وانظر التنبيه الأول من الصفحة السابقة .

(٤) فيما عدا ل : « أمرا رفيقا » تحريف صوابه فى ل والبيان (١ : ١٢٥) والحيوان (٣ : ٨٢) والأضداد ٢٢٥ . قال الأنبارى : « أراد يا حليم عند نفسك ، فأما عندى فأنت سفيه » .

(٥) الزحر ، بالحاء المهملة : إخراج الصوت أو النفس بأنين عند عمل أو شدة ، ومنه زحرت المرأة عند الولادة . وضمير « بها » للداهية التى عناها . والمؤيد ، كمؤمن : الأمر العظيم والداهية . والخنفقيق : الداهية . يقول : سهرت الرأى ليلة كلها فجئت بداهية . فى الأصل ، وهو هنا ل وكذا فى جمهرة العسكرى ص ٤٣ : « زجرت » بالجيم ، صوابه فى معجم المرزبانى ٢٩٢ والميدانى (١ : ٥٧) والإنصاف ١٨٧ والخزانة (٢ : ٣٥٨ بولاق) . ويروى : « مخضت » فى المخصص (٢ : ٨٩) و : « سهرت » فى اللسان (١١ : ٣٨٢) . وروى : « به » فيما عدا المرزبانى والميدانى والبيان والجمهرة . وروى : « مودنا » فى الميدانى والمخصص والخزانة واللسان .

(٦) ل : « وتنفى فريقاً » .

أَلَمْ تَرَ عُرَيْبَ إِبْطَ الشِّمَالِ   تُنَحِّي لِحَدِّ الْمَوَاسِي الْحُلُوقَا[١]

وقال آخر[٢] :

وهوَّنَ وجدى أننى لم أكنْ لهم   غرابَ شِمالٍ ينفضُ الرِّيشَ حاتما[٣]

وإذا مال شِقُّه قالوا : احْوَلَّ شِقُّه[٤] . وقال الأشتر بن عُمارة[٥] :

عَشِيَّةَ يدعو مِعْتَرٌ يالَ جَعْفَرٍ   أخوكم أخوكم أحْوَلُ الشِّقِّ مائِلُهْ[٦]

وقال آخر[٧] :

---

(١) عريب ، بالضم ففتح فياء مشددة مكسورة : لقب معاوية بن حذيفة بن بدر الفزاري ، كما في معجم المرزباني ٣٩٢ . وقد ورد بهذا الضبط في ل ، وهو ما يقتضيه وزن الشعر . فيما عدا ل : « غريب » تحريف . وكان معاوية يلقب أيضاً « إبط الشمال » لقب بهذا البيت . قال المرزباني في معجمه : « وكان مشوماً » صوابه : « مشؤوما » . المواسى : جمع ، موسى ، موسى الحلاق . والحلوق : جمع حلق . عنى أنه كان يعين على قتلهم واستئصالهم . فيما عدا ل : « بحد » . وفي ط ، هو : « الحلوقا » وهذه محرفة .

(٢) فيما عدا ل : « وقال آخر » .

(٣) الحاتم : الغراب الأسود ، وهو غراب البين . فيما عدا ل : « غراب الشمال ينفض الريش جاثما » وفيه تحريف .

(٤) احول : مال ، وأصله في العين ، يقال حولت واحولت . فيما عدا ل : « حول » وهما صحيحان .

(٥) لم أعثر له على ترجمة إلا أن شعره كان في حرب هراميت ، وهي من الحروب الإسلامية ، كانت في زمن عبد الملك بن مروان ، في فتنة ابن الزبير ، وكانت بين الضباب — وهم بنو معاوية بن كلاب — وبين إخوتهم بني جعفر بن كلاب . وفي هذه الحرب طعن الأجلح الضبابي « معترا » الجعفري ، ضربه ضربة أشرعت في شقه ، فنادى معتر : يا بني جعفر إن شددتموني بثوب فلا بأس على ! فلم يلبث أن مات . فقال فيه الأشتر بن عمارة الضبابي هذا البيت التالي . انظر النقائض ٩٢٧ — ٩٣١ والعمدة (٢ : ١٦٧) .

(٦) معتر ، بكسر الميم وفتح التاء وآخره راء مهملة ، كما ضبطه في النقائض ٩٣٠ . ط ، س : « معتر » ل : « معتر » صوابهما في هو والنقائض . فيما عدا ل : « جريح صريع » بدل : « أخوكم أخوكم » صوابه في ل والنقائض . وفي النقائض : « أجدل » بدل « أحول » .

(٧) هو محمد بن حازم الباهلي ، كما في العقد (١ : ٢١٨) وسماه « ابن أبي حازم » تحريف . وهو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي ، كان من ساكني بغداد ، مولده =

أيَّ أخٍ كانَ لي وكنتُ له … أشفقَ من والدٍ على ولدِ[1]

حتى إذا قاربَ الحوادثُ من … خَطْوِى وحلَّ الزمانُ من عُقَدى[2]

احولَّ عنِّى وكان ينظرُ مِن … عينى ويرمِى بساعِدِى ويَدِى[3]

(الوقت الجيد في الحمل على الشاء)

قال الأصمعىُّ : الوقت الجيِّد فى الحمل على الشاء أن تحلَّى سبعةَ أشهُرُ بعد ولادها[4] . ويكون حملها خمسة أشهر ، فتولَّد[5] فى كل سنةٍ مرة . فإنْ حُمِل عليها فى كل سنة مرتين فذلك الإمغال ، يقال : أمغَل بنو فُلانٍ ١٥١
فهم مُمْغِلون ، والشاةُ مُمغِل .

وإذا وُلدت الشاةُ ومضَى لها أربعةُ أشهر فهى لجبة[6] ، والجميع

= ومنشؤه البصرة ، وهو من شعراء الدولة العباسية ، شاعر مطبوع ، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس فاطرح ، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون . وكان يقول المقطعات الصغيرة فيحسن . وعاتبه يحيى بن أكثم على اختصاره الشعر ، فأجابه بأبيات حسان . انظر الأغانى (١٢ : ١٥١ — ١٦٠) والمرزبانى ٤٢٩ ، وتاريخ بغداد ٧٨١ .

(١) ل : « أيا أخا » وفى العقد والمحاسن والمساوى (٢ : ٢٠٦) : « وصاحب كان » وبعد هذا البيت فى المحاسن بيتان ، ثانيهما فقط فى العقد ، وهما :

وكان لى مؤنساً وكنت له … ليست بنا حاجة إلى أحد

كنا كساق تسعى بها قدم … أو كذراع نيطت إلى عضد

(٢) فى العقد : « دبت الحوادث فى عظمى » . وفى الأصل : « وشد الزمان من عقدى » والوجه ما أثبت من العقد والمحاسن والمساوى .

(٣) هذا البيت وحده فى عيون الأخبار (٣ : ١١١) . ورواية العقد : « ينظر من طرف » . وبعد هذا البيت فى المحاسن :

حتى إذا استرفدت يدى يده … كنت كمسترفد يد الأسد

(٤) الولاد ، بالكسر : الولادة . فيما عدا س : « ولادتها » .

(٥) ط فقط : « فخلد » تحريف . وانظر التنبيه ٣ ص ٤٥٦ وص ٤٩٥ س ٨ .

(٦) اللجبة ، مثلثة ، وبالتحريك ، وكعنبة ، وفرحة . فيما عدا ل : « لحبة » بالحاء محرفة .

الصُّحاب والصَّحبات[1] . وذلك حين يأخذ لبنُها فى النقصان .

(استطراد لغوى)

قال : والأيرُ من البعير : المِقْلَم ، ومن الحافر الجُرْدَان ، ومن الظلف كله : القضيب ، ومن الفرس العتيق : النَّضِيُّ[2] . زعم [ذلك] أبو عبيدة[3] .

وما أراد من الحافر [الفحلَ] فهو الوِداق ، وهو من الإبل الضَّبَعَة[4] ، ومن الضأن الحُنُوّ . ويقال[5] : حَنَتْ تحنو [حُنُوًّا] ، وهى نعجة حانٍ كما ترى . وما كان من المَعْز فهو الحِرْمَة[6] . ويقال : عنز حَرْمَى[7] . وأنكر بعضهم قولهم : « شاةٌ صارفٌ[8] » وزعم أنه مولد .

قال : وهو من السباع الإجعال ، يقال : كلبةٌ مُجْعِل . فإذا عظُم بطنها قيل أجَحَّتْ فهى مُجِحٌّ[9] .

---

(١) ط ، هو : « الصحاب والصحبات » صحـ : « الصحاب والصحبان » صوابهما فى ل .

(٢) النضى ، بفتح النون وكسر الضاد المعجمة . فيما عدا ل : « المضا » ل : « النضى » صوابهما ما أثبت .

(٣) فيما عدا ل : « وزعم أبو عبيد » . وإنما هو أبو عبيدة . انظر اللسان (٢٠ : ٢٠٥ س ١٦ — ١٧) .

(٤) فى اللسان : « ضبعت الناقة بالكسر تضبع ضَبَعًا وضَبَعَة ، وضبعت ، وأضبعت بالأرض ، واستضبعت ، وهى مضبعة : اشتهت الفحل » .

(٥) فيما عدا ل : « وقال » .

(٦) الحرمة بكسر الحاء بعدها راء . فيما عدا ل : « الحزمة » مصحف .

(٧) حرمى ، على وزان فعلى : وجمعه حرام وحرامى ، كعجال وعجالى . فى الأصل « وقال » ووجهه ما أثبت . وفيما عدا ل : « حزى » صوابه فى ل ، لكن ضبطت فيها بتشديد الياء ، والوجه القصر .

(٨) فيما عدا ل : « شاه » والوجه بالإفراد . وكلمة : « قولهم » ليست فى صحـ .

(٩) بتقديم الجيم على الحاء . وفيما عدا ل « أسجت فهى مسج » تحريف .

وما كان من الخف فهو مِشْفَرٌ[(١)] ، وما كان من الثم فهو مِرَمّةٌ[(٢)] ، وما كان من الحافر فهو جَحْفَلةٌ[(٣)] .

وإذا قلت لكل ذات حمل وضعت ، جاز . فإذا ميّزتَ قلتَ للخف نُتِجت ، وللظلف ولَدت[(٤)] . والبقرة تجرى هذا المجرى . وقلت للحافر نَتِجَتْ .

ويقال للحافر من بين هذا كله إذا كان فى بطنها ولد : مُتوِج . وإذا عظم بطنُ الحافر قيل قد أعقّتْ فهى عَقوق ، والجماعُ عُقُقٌ[(٥)] ، وبعضهم يقول : عقائق .

ويقال للبقرة الوحشية نعجة . والبقرة تجرى مجرى الضائنة[(٦)] فى حملها .

وما كان من الخف فصوته بُغام . فإذا ضجّتْ فهو الرُّغاء . فإذا طرِبت فى إثر ولَدها قيل حنّتْ . فإذا مدت الحنين قيل سَجَرَتْ[(٧)] .

قال : والإلماعُ فى السباع وفى الخيل[(٨)] ، دون البهائم ، وهوَ أن تشرق ضروعها[(٩)] .

---

(١) المشفر ، بالكسر : واحد المشافر . ط : « مشفر » س ، هو : « شفر » صوابهما فى ل .

(٢) المرمة ، بالكسر ، وبالفتح لغة أيضاً ، وضبطت فى ل بفتح فكسر ، وهو خطأ .

(٣) هو : « جحفة » تحريف .

(٤) انظر التنبيه ٣ ص ٤٢٦ وص ٤٩٥ س ٨ .

(٥) فى اللسان : « جماع الشيء : جمعه ، تقول جماع الخباء الأخبية ؛ لأن الجماع ما جمع عدداً » . ط ، هو : « والجمع » . والعقق ، بضمتين ، كما فى القاموس . وفيه أيضاً أن جمع الجمع عقاق ، ككتاب .

(٦) ل ، هو : « الضانية » وهو تحريف نبهت عليه فى التنبيه الثالث ص ٤٧٠ .

(٧) سجرت ، بالسين المهملة . فيما عدا ل : « شجرت » تحريف .

(٨) ط : « من السباع ومن الخيل » ل : « فى الخيل والسباع » ، وأثبت ما فى س ، هو .

(٩) فى اللسان : « والإلماع فى ذوات الخلب والحافر : إشراق الضرع واسوداد الحلمة باللبن للحمل » . س : « تشرف » تحريف .

[قال : والخروف فى الخيل والضأن ، دون البهائم كلها[١] .

قال]: ويقال للطير: قد قمطها يقمطها. ويقال للتيس والكلب: قد سَفَدَ يَسْفَدُ سِفادا[٢] . ويقال فى الخيل: كامها يكُومُها كَوْما، وكذلك فى الحافر كلّه. و[فى] الحمار وحده : باكها يبوكها بَوْكا[٣] .

(قولهم : ماله سَبَد ولا لَبَد)

وتقول العرب : « ماله عندى سَبَدٌ ولا لَبَد » . فقدّموا السَّبَد[٤] . فى هذا المعنى [أنهم] قدموا الشَّعر على الصوف[٥] .

فإن قال قائل : فقد قدّموا[٦] فى مواضع كثيرة ذِكْرَ ما هو أخَسّ[٧] فقالوا : « ماله عندى قليلٌ ولا كثير[٨] » ، [و : « العِير والنَّفِير[٩] » حتى قالوا : الخلّ والزيت] ، وقالوا : ربيعة ومُضَر ، وسُلَيم وعامر ، والأوس

---

(١) فى صه تكملة تشبه هذه لكنها محرفة وهى : « والخروف فى الحمل والضأن دون البهائم وهو أن تشرف ضروعها » . والخروف فى الخيل: ولد الفرس إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة . ومنه قول القائل يصف طلحة :

ومستنة كاستنان الخروف قد قطع الحبل بالمرود

(٢) سفد ، كضرب وعلم .

(٣) هذان الفعلان ومصدرها بالباء الموحدة . فيما عدا ل : « ناكها ينيكها نيكا » ، تحريف .

(٤) انظر ما سبق ص ٤٧٩ س ١١ .

(٥) فيما عدا ل : « ومنها ذا المعنى قدموا الشعر على الصوف » تحريف .

(٦) ط ، هو : « فقلسوا » صوابه ما أثبت من ل ، صه .

(٧) أخس ، من الخساسة ، وهى النذالة والحقارة . فيما عدا ل : « أحسن » تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « كثير ولا قليل » وهو عكس ما يراد .

(٩) العير ، بالكسر : كل ما امتير عليه من الإبل والحمير والبغال . والنفير : الجماعة من الناس . أو العير ما كان من قريش مع أبى سفيان ، والنفير ما كان منهم مع عتبة بن ربيعة ، يوم بدر.

والخزرج . [وقال الله : ﴿لاَ يُغادِرُ صَغِيرةً ولاَ كَبِيرةً إلاَّ أحْصاها[1]﴾] .

والذى يدلُّ على أن ذلك الذى قلنا كما قلنا[2] قولُ الراعى :

حتى إذا هبَطَ الغيطانَ وانقطعت   عنه سلاسل رَمْلٍ بينها عقَدُ[3]
لاَقَى أطَيْلِسَ مَشّاء بأكْلُبِهِ   إثْرَ الأوابد ماينْمِي له سبَدُ[4]

فَقَدَّمَ السَّبدَ . ثم قال :

يُشْلِي سَلُوقيّةً زُلاًّ جواعِرُها   مِثْلَ اليعاسيب فى أصلابها أوَدُ[5]

١٥٢ وقال الراعى :

أما الفقيرُ الذى كانت حَلُوبَتُهُ   وَفْقَ العِيالِ فلم يُتْرَكْ له سَبَدُ[6]

وهو لو قال: لم يُترَكْ له لَبَدٌ، و[لو] قال : ما ينمى له لَبَدٌ – لقام الوزْنُ ، ولـكان له معنى . فدلَّ [ذلك] على أنه إنما أراد تقديم للقدَّم .

(مفاخرة بين صاحب الضأن وصاحب الماعز)

قال صاحب الضأن : فَخَرتم على الضأن بأن الإنسان ذو شعر ، وأنه

---

(١) من الآية ٤٩ فى سورة الكهف . وبعد هذه الآية فى الأصل : « والصغير والكبير » وهو تكرار لما أثبت فى التكملة السابقة من ل .

(٢) ل : « فالذى يدل على أن الذى قلنا كما قلنا » .

(٣) الغيطان : جمع غائط ، وهو المطمئن من الأرض الواسع . ل : « فانقطعت » .

(٤) أطيلس : مصغر أطلس ، وهو من الرجال الدنس الثياب الوسخ . وقد عنى به الصائد . فيما عدا ل : « يأكله أمر الأوابد » بتحريف الكلمتين الأوليين صوابه فى ل واللسان (٧ : ٤٣١) . ورواية صدره فى اللسان : « صادفت أطلس » صوابه : «صادف» والأوابد : الوحش .

(٥) الزل : جمع أزل وزلاء ، وهو الخفيف الوركين ، أو الأرسح . والجاعرة : رأس أعلى الفخذ . واليعسوب : طائر أصغر من الجرادة ، أو أعظم ، طويل الذنب ، لا يضم جناحيه إذا وقع ، تشبه به الخيل فى الضمر . والأود : العوج . ط : « ولا » صوابه « زلا » ل : « ول » بدل : « زلا » محرف .

(٦) وفق العيال : أى لها لبن قدر كفايتهم لا فضل فيه . انظر اللسان (١٢ : ٢٦٣) والمخصص (١٢ : ٢٨٥) وأدب الكاتب ٣٢ .

بالماعز أشبه ، فالإنسان ذو أليةٍ ، وليس بذى ذنب ؛ فهو من هذا الوجه بالضأن أشبه .

[قال صاحبُ الماعز : كما فخرتم بقوله : ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ[1] ﴾ وقلتم: فقد قدمها ، فقال الله : ﴿ يَامَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ[2] ﴾ . فإن وجب لضأنك التقديمُ على الماعز بتقديم هذه الآية ـ وجَبَ للجن التقديمُ بتلك الآية] .

(القول فى الضفادع)

[علّمك الله علماً نافعاً ، وجعلَ لك من نفسك سامعاً ، وأعاذك من العُجْبِ ، وعرّفك لباسَ التقوى ، وجعلك من الفائزين] .

اعلمْ ، رحمك الله تعالى ، أن الله جل وعز[3] قد أضاف ستّ سُوَرٍ من كتابه إلى أشكال من أجناس الحيوان الثلاثة ، منها مما[4] يسمونها باسم البهيمة ، وهى سورة البقرة ، وسورة الأنعام ، وسورة الفيل وثلاثة [منها] مما يعدون اثنتين منها من الهمج ، وواحدةً من الحشرات[5] .

فلو كان موقع ذِكر هذه البهائم ، وهذه الحشرات والهمج ، من الحكمة والتدبير ، موقعَها من قلوب الذين لايعتبرون ولا يفكرون ، ولا يميزون ،

---

(١) من الآية ١٤٣ فى سورة الأنعام .

(٢) هى أول الآية ١٣٠ من سورة الأنعام والآية ٣٣ من سورة الرحمن . وفى الكتاب أيضاً : (يا معشر الجن قد استكثرتم) فى الآية ١٢٨ من سورة الأنعام . لم يرد غيرهن بهذا النداء فى الكتاب .

(٣) فيما عدا ل : « عز وجل » .

(٤) ل : « ما » .

(٥) ل : « اثنين منها من الهمج وواحداً من الحشرات » ويشير بالهمج إلى سورتى النحل والعنكبوت . وبالحشرات إلى سورة النمل .

ولا يحصلون الأمورَ ولا يفهمون الأقدار ــ لما أضاف هذه السورَ العظامَ الخطيرة ، [و] الشريفة الجليلة ، إلى هذه الأمور المحقّرة المسخفة ،(١) والمضورة المقهورة .

ولأمرٍ مّا وضعها في هذا المكان ، ونوّه بأسمائها هذا التنويه . [فافهم ، فإن الأديبَ الفَهِم (٢) ، لايعوِّد قلبه الاسترسال . وخُذْ نفسَك بالفكرة ، وقلبَك بالعبْرة] .

وأنا ذاكرٌ من شأن الضفدع من القول ما يحضر مثلى . وهو قليلٌ في جنب ما عند علمائنا . والذى عند علمائنا لايحَسُّ(٣) في جنب [ما عند غيرهم من العلماء . والذى عند العلماء قليل في جنب ما عند الأنبياء ، والذى عند الأنبياء قليل في جنبِ] ما عند الله تبارك وتعالى .

من ذلك الضِّفدِع ، لايصيحُ ولا يمكنه الصياح حتى يدخل حنكَه الأسفل [في] الماء . فإذا صار في فمه(٥) بعض الماء صاح . ولذلك لاتسمعُ للضفادعِ نقيقاً إذا كُنَّ خارجاتٍ [من] الماء .

والضفادعُ من الحيوان الذى يعيش في الماء ، ويبيضُ في الشطّ ،(٦) مثل الرَّق(٧) والسُّلحفاة ، وأشباه ذلك .

والضفادعُ تنقّ ، فإذا أبصرت النار أمسكت(٨)

---

(١) هو من قولهم أرض مسخفة ، كمحسنة : قليلة الكلأ . فيما عدا ل : « المهيفة » .
(٢) الفهم ، ككتف : السريع الفهم .
(٣) فيما عدا ل : « لا يحسن » تحريف .
(٤) في الأصل : « غيرى » .
(٥) فيما عدا ل : « صار فيه » .
(٦) الشط : الشاطئ . فيما عدا ل : « ويستوطن في الشط » تحريف .
(٧) الرق ، بالفتح : السلحفاة المائية . فيما عدا ل : « الزق » بالزاى ، تصحيف .
وانظر : (١ : ٣٠ / ٢ : ١٢٥ / ٤ : ٤٤ ، ١٠٢) .
(٨) انظر : (٤ : ٤٨٦) .

(زعم فى الضفادع)

والضفادع من الحيوان الذى يُخلقَ فى أرحام الحيوان ، وفى أرحام الأرَضين[1] ، إذا ألقحتها المياه[2] ، لأن البَخّ[3] بخراسان يُكبس فى الآزاج[4] ، ويحالُ بينه و بين الرّيح والهواء والشمس ، بأحكم ما يقدرون عليه وأوثقِه[5] . ومتى انْخرق فى [تلك] الخزانة خَرْقٌ فى مقدار مَنْخِر الثور حتى تدخلَه الريح ، استحال ذلك البخ[6] كله ضفادع .

ولم نعرف[7] حقّ هذا وصدقَه من [طريق] حديث الرجل والرجلين ،
١٥٣ بل نجدُ الخبَرَ عنه كالإطباق ، وكالخبر المستفيض الذى لامعارضَ له .

(أعجوبة فى الضفادع)

وفيها أعجوبةٌ أخرى : وذلك أنا نجد ، من كِبارها وصغارها ، الذى لايحصى فى غِبِّ المطر[8] ، إذا كان للمطر دِيمة[9] ، ثم نجدُها[10] فى

(١) ل : « من » بدل : « فى » فى الموضعين . وفى س ، هـ : « من » فى الثانى فقط .
(٢) فيا عدا ل : « ألقحها المياه » .
(٣) البخ ، بفتح الباء وتشديد الخاء المعجمة : الثلج ، مأخوذة من الفارسية : « بخ » انظر استينجاس ١٥٢٨ . ولم تتعرض له معاجم اللغة ولا كتب المعربات . ط ، هـ : « البح » س : « البح » بالإهمال ، صوابهما فى ل .
(٤) الآزاج : جمع أزج بالتحريك ، وهو بيت يبنى طولا . وفى اللسان : « ويقال له بالفارسية أوستان » . ويجمع أيضا على آزج وإزجة ، كفيلة . وانظر ما سبق فى (٣ : ٢٧١) . ط : « الأبراج » س ، هـ : « الأزاج » صوابهما فى ل .
(٥) فيا عدا ل : « وأوثق » .
(٦) ط ، هـ : « البح » س : « البح » بالإهمال ، صوابهما فى ل .
(٧) س : « ولو لم يعرف » .
(٨) غب المطر ، بالكسر : أى بعده .
(٩) الديمة ، بالكسر : المطر يدوم .
(١٠) فيا عدا ل : « لم نجدها » تحريف .

للمواضع التي ليس بقربها بحرٌ ولا نهرٌ، ولا حوضٌ ، ولا غدير ، ولا واد ، ولا بئر[(١)] . ونجدها في الصَّحاصح الأماليس[(٢)] ، وفوق ظهورِ مساجد الجماعة . حتى زعم كثيرٌ من المتكلفين ، ومن أهل الخسارة[(٣)] ممن لا يحتفل بسوء الحال عند العلماء ، ولا يكترثُ للشكِّ ـ أنها كانت في السحاب . ولذلك طمع بعضُ الكذَّابين[(٤)] ممن نكرِّهُ اسمه ، فذكر أن أهل أيذَجَ[(٥)] مُطِروا [مرةً] أكبر شبابيطَ في الأرض ، وأسمَنَها [وأعذَبَها] وأعظمها[(٦)] ، [وأنهم اشتوَوا ، وملَّحوا ، وقرّسوا[(٧)] ، وتزوَّدَ منه مسافرُهم] . وإنما تلك الضفادع شيء يخلق في تلك الحال بمزاوجة الزمان ، وتلك المطرة ، وتلك الأرض ، وذلك الهواء .

(معارف في الضفدع)

والضفادعُ من الخلْق التى لا عظامَ له .

---

(١) كذا بالتسهيل فيما عدا سه :

(٢) الصحاصح : جمع صحصح ، وهو الأرض الجرداء المستوية . والأماليس : التي ليس بها شجر ولا يبيس ولا كلأ ولا نبات ولا يكون فيها وحش . الواحد إمليس . فيما عدا ل : « وتجدها في الصحاصح الأمالس » ، تحريف .

(٣) الخسارة : الضلال والهلاك . فيما عدا ل : « الجسارة » والواو بعدها ليست في ل .

(٤) فيما عدا ل : « أكثر الكذابين » تحريف . واسمْ هذا الرجل « حريث » كما مضى في (١ : ١٤٩ س ١١) .

(٥) أيذج : آخره جيم ، وهي وزن أحمد : كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان . ط ، سه : « أبذج » ، هو : « أيلج » صوابهما في ل ومعجم البلدان والقاموس .

(٦) انظر لمطر الشبابيط ما مضى في (١ : ١٤٩) .

(٧) قرسوا : أراد صنعوا القريس ، وهو السمك يطبخ ، ثم يتخذ له صباغ ، فيترك فيه حتى يجمد .

وزعم أصحاب الغرائب[1] أن العلاجيمَ منها الذكورةُ السود[2]

ويقال : « أرسَح من ضِفدِع[3] ! » .

وتزعمُ الأعرابُ أن الضفدِع كان ذا ذنب ، وأن الضَّبَّ سلبه إياه[4] وذلك في خُرافة من خرافات الأعراب . [ويقول آخرون : إن الضفدِع إذا كان صغيراً كان ذا ذنب ، فإذا خرجتْ له يدانِ أو رجلانِ سقَطَ[5]] .

(جملة من الأمثال)

[وتقول العرب[6]]: « لا يكون ذلك حتى يُجمع بين الأَرْوَى والنعام[7] » و : « حتى يُجمع بين الماء والنار » و : « حتى يشيبَ الغُراب » و : « حتى يَبْيضَّ القار » و : « حتى تقع السماء على الأرض » .

ومن حديث الأمثال : « حتى يجيء نشيطٌ من مَرْو[8] » . وهو لأهل

---

(١) هو ، سم : « الغريب » .

(٢) ل : « الذكور والسود » . قال المعلوف : « ولا شبهة أنهم أرادوا في قولهم الضفدع الذكر أنه جنس من الضفادع الكبار » . وانظر مادة : (Male) ففيها تحقيق جيد . وانظر لتأييده ما ذكر الجاحظ في الضفدع والدلدل (٦ : ١٢٤ ساسي) .

(٣) الرسح : خفة لحم العجز والفخذين . فيما عدا ل : « أرشح » بالشين ، تصحيف صوابه في ل وأمثال الميداني (١ : ٢٨٨ — ٢٨٩) .

(٤) هذه الكلمة ثابتة في ط فقط . وانظر هذه الخرافة في أمثال الميداني وفيما سيأتي (٦:٣٨ ساسي) .

(٥) أي سقط الذنب . والمراد ضموره وتحوره .

(٦) هذه التكملة من ل بدلها في سم ، هو : « تقول الأعراب » .

(٧) الأروى ، بالفتح والقصر : جمع أروية بالضم وتشديد الياء . ويروى : « تكلم فجمع بين الأروى والنعام » و : « لا تجمع بين الأروى والنعام » . انظر الميداني (١ : ١٢٦) واللسان (١٩ : ٧٠) . وذلك لأن الأروى تسكن شعف الجبال ، وهي شاء الوحش ، والنعام تسكن الفيافي ، فلا يجتمعان .

(٨) كان نشيط غلاما لزياد بن أبي سفيان ، وكان بناء ، فهرب قبل أن يشرف وجه دار زياد ، وكان لا يرضى إلا عمله ، فقيل له : لم لا تشرف دارك ؟ فقال : حتى =

البصرة . و : « حتى يجىء مَصْقَلةُ من طَبَرِسْتانَ[١] » ، وهو لأهل الكوفة .

وقال الله عز وجل : ﴿وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ[٢]﴾ .

وتقول العرب : « لا يكون ذلك حتى يُجمعَ بين الضبِّ والنون »

و : « حتى يُجمع بين الضفدع والضَّبّ ! » . وقال الكميت :

يؤلِّفُ بين ضِفْدِعَةٍ وضَبٍّ ... ويَعجبُ أن نَبَرَّ بنى أبينا

وقال فى النون والضبّ :

ولو أنهم جاءوا بشىء مُقاربٍ ... لشىء وبالشكل الموافق للشَّكْلِ

ولكنهم جاءوا بحيتانِ لُجّةٍ ... قوامسَ ، والمكنىِّ فينا أبا الحِسْلِ[٣]

(معارف فى الضفدع)

وهو من الخلق الذى لا يصاب له عَظْم[٤] . والضفدعُ أجحظ الخلقِ عيناً .

= يجىء لشيط من مرو ! فصار مثلا لكل ما لا يتم . انظر الميدانى (١ : ١٩٨) والمعارف ١٧٧ وثمار القلوب ٣٠ . ط فقط : « نسيط » تحريف . وفيما عدا ل : « مرد » صوابه ما أثبت .

(١) هو مصقلة بن هبيرة ، أحد بنى ثعلبة بن شيبان ، كان معاوية وجهه إلى طبرستان فسار وأوغل بجيشه ، وكان عشرين ألف رجل ، فأخذهم العدو وأهلك أكثرهم ، وهلك مصقلة ، فضرب الناس به المثل . وفيما عدا ل : « من سجستان » وصوابه ما أثبت من ل ومعجم البلدان (٦ : ٢٠) والمعارف ١٧٧ والطبرى (٨ : ١٢٠ س١٩ — ٢٢) . وانظر ثمار القلوب ٣٠ والمهرانى (٢ : ٣١٨) وفيهما : « سجستان » .

(٢) من الآية ٤٠ فى سورة الأعراف .

(٣) قوامس : جمع قامس ، والقمس : الغوص . ط ، هو : « أوامس » س : « أدامس » تحريف صوابه فى ل . وأبو الحسل : كنية الضب . والحسل ، بالكسر : ولد الضب . فيما عدا ل : « أبو الحسل » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « عظام » . وهذه العبارة تكرار ما سبق ص ٥٢٧ س ١١ .

والأسدُ تنتابُها فى الشرائع ، وفى مَناقِع المياه ، والآجامِ والنياقضِ ، فتأكلها أكلاً شديداً . وهى من الخلق المائىّ الذى يصبرُ عن الماء أياماً صالحة .

والضفادع تعظُم ولا تسمَن ، كالدُّرّاج والأرنب ، فإنّ سِمَنهما أن يحتملا اللحم[1] .

وفى سواحل فارس [ناسٌ] يأكلونها .

(قول مسيلمة فى الضفدع)

١٥٤ ولا أدرى ماهيّجَ مسيلمةَ على ذكرِها ، ولِمَ ساء رأيُهُ فيها ، حيث[2] جعلَ بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه : ياضِفْدَعُ [بنتَ ضفدعين][3] نِقّى كم تَنِقّين ! نصفُكِ فى الماء ونصفُكِ فى الطين ! لا الماء تكدِّرين ، ولا الشارب تمنعين[4] .

(معيشة الضفادع مع السمك)

والضفادعُ من الخلْق الذى يعيشُ مع السمك فى الماء . وليس كل شىء يعيشُ فى الماء فهو سَمَك . وَقد قال الصَّلَتانُ العبْدِىّ، فى [القضاء الذى

---

(١) ط : « فإنهما لا يحملان لحما » س ، هو : « فإن سمنا لا يحملان لحما » صوابهما ما أثبت من ل .

(٢) فيما عدا ل : « حتى » .

(٣) هذه الزيادة من اللسان (١٢ : ٢٢٨) .

(٤) ل : « الشراب » بدل : « الشارب » .

قضَى بين جرير والفرزدق[(١)] ، و] الفصْلِ[(٢)] [الذى] بينهما :

فإن يكُ بحرُ الحنظَلِيَّين زاخراً   فما تستوى حِيتانُه والضفادعُ[(٣)]

(طلب الحيّات الضفادع)

والحيات تأتى مناقِعَ الماء[(٤)] ، تطلب الضفادع . والفأر تكونُ بقُرب المياه كثيرةً[(٥)] ، فلذلك تأتي الحياتُ تلك المواضعَ . ولأن صيدها من أسهل الصيد [عليها] ، وهى تعرف صيْدها . ألا تراها تحيدُ عن ابن عُرْسٍ ، وإن رأتْ جُرَذاً أكبر منه لم تنهْنِهْ دون أن تبتلعه[(٦)] ؟! وترى الوَرَل فتفرُّ منه ، وترى الوَحَرةَ[(٧)] فتشدُّ عليها ، وترى القُنفُذ — وإن صغُر —

(١) الصلتان ، لقب له . واسمه قُثَم بن خَبِيَّة ، أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة ابن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . قالوا : ادعى أن جريراً والفرزدق حكماه بينهما ، فقضى بشرف الفرزدق على جرير ، وبنى مجاشع قوم الفرزدق على بنى كليب رهط جرير ، وقضى لجرير بأنه أشعرهما ، وقال فى ذلك قصيدة مطولة . انظر الخزانة (١ : ٣٠٥ — ٣٠٨ بولاق) والشعراء ١١٩ وأمالى القالى (٢ : ١٤١) والمؤتلف ١٤٥ والمرزبانى ٢٢٩ والنقائض ١٠٥٠ .

(٢) فيما عدا ل : « الفرق » .

(٣) الحنظليين ، هما جرير والفرزدق ، لأن جريراً من كليب بن يربوع بن حنظلة ، والفرزدق من مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة . انظر الخزانة (١ : ٣٠٧ بولاق) . وضبطت فى النقائض بضبط الجمع : « الحنظليين » . والرواية فى الخزانة وفى الأمالى والشعراء : « واحداً » موضع : « زاخراً » .

(٤) فيما عدا ل : « والحيات فى منقع الماء » .

(٥) فيما عدا ل : « يكون بقرب المياه كثيراً » .

(٦) لم تنهنه : لم تكفه . لكنه أراد : لم تمهله . وكلمة « رأت » ساقطة من هـ . وبدلها فى ط ، س : « رأى » تحريف .

(٧) الوحرة ، بالتحريك : ضرب من العظاء ، وهى صغيرة حمراء تعدو فى الجبابين ، لها ذنب دقيق تمصع به إذا عدت . فيما عدا ل : « الوكرة » بالكاف ، تحريف .

فلا تجترئ أنْ تمرَّ به خائفة ، وترى الوَبْرة(١) ، وهي مثلُ ذلك القنفذِ مرتين، فتأكلها .

وتطلبها الضفادعَ بالليل(٢) في الشرائع يقول الأخطل :

ضفادعُ في ظَلْماء ليـلٍ تجاوبَتْ ... فدلّ عليها صوتُها حَيّةَ البحرِ(٣)

[وقد سرق معناه بعضُ الشُّعراء(٤)، فقال ــ وهو يذكر الضفدع ، وأنه لا ينقّ حتى يدخل حنَكه الماء ــ :

يُدْخِل في الأشداق ماء ينصفُهْ ... كيما ينِقَ والنّقيقُ يُتلفُهْ]

(شعر في الضفادع)

وقال زهير(٥) :

وقابلٌ يتغنّى كلّما قدَرَتْ ... على العَرَاقِي يداه قائمًا دفَقا(٦)

يُحيلُ في جدولٍ تحبُو ضفادِعُهُ ... حبْوَ الجواري ترى في مائه نُطُقَا(٧)

---

(١) الوبْر ، بالفتح : دويبة على قدر السنور ، غبراء أو بيضاء ، من دواب الصحراء ، حسنة العينين ، شديدة الحياء ، وهي من فوات الظلف وهو في لغة العلماء الأوربيين : Hyrax .

(٢) فيما عدا ل : « في الليل » .

(٣) انظر ما سبق في شرح (٣ : ٢٦٨) .

(٤) هو الذكواني ، كما مضى في (٣ : ٢٦٦) .

(٥) يصف ناقة يستقى عليها من السانية . وقبل البيت الأول ، كما في الديوان ٣٧ :

وخلفها سائق يحدو إذا خشيت ... منه اللحاق تمد الصلب والعنقا

(٦) القابل : الذي يقبل الدلو ، أي يتلقاها ويأخذها فيصب ما فيها . وفي الأصل : « قائل » صوابه في الديوان واللسان (١٤ : ٥٩) . والعراقي : جمع عرقوة ، وهي خشبتان تجعلان في فم الدلو يشد فيهما الحبل . وقدرت : أي وصلت وتهيأت . دفق : صب الماء في الجدول . ل : « عفقا » سه ، ط : « وفقا » صوابهما في ط والديوان واللسان .

(٧) يحيل في جدول : أي يصب ماء الغرب في جدول ، وهو النهر الصغير . وذكر الضفادع ليخبر أن الجدول دائم الماء ، لكثرة ما تمده هذه الناقة . والنطق =

يخرُجن من شَرَبَاتٍ ماؤُها طَحِلٌ   على الجذوعِ يخَفْنَ الغَمَّ والغَرَقا[١]

وقال أوسُ بن حجَر :

فباكرن جَونًا للعلاجيم فَوقه   مجالسُ غَرْقَى لايُحَلَّأُ ناهِلُه[٢]

جَون[٣] [قال] : يريد غديراً كثيرَ الماء . [قال : وإذا كثر الماء] وكثر عُمْقُه[٤] اسودَّ في العين . والعلاجيم : الضفادع السود وجعلها غَرْقى ، يقول : هي فيما شاءت من الماء ؛ كقولك : فلان في خير غامر[٥] من قِبَل فلان . وجعَل لها مجالس حول الماء وفوقه ، لأن هذه الأجناس – التي تعيش مع السمك في الماء وليست بسمك[٦] – أكثرُ حالاتهن إذْ لم تكن سمكًا خالصاً[٧]

= بضمتين : جمع قطاق ، عن الطرائق التي تعلو الماء ، وإنما يكون ذلك مع كثرة الماء وهبوب الريح عليه . ل : « يحتل » وفي سائر النسخ : « يظل » صوابهما في الحيوان واللسان (١٢ : ٢٢٤ / ١٣ ٢٠٤) . هو ، سه : « تجنر » صوابه في ل ، ط والديوان واللسان .

(١) الشربات ، بفتحتين : جمع شربة بفتحتين أيضاً ، وهي كالحويض يحفر حول النخلة والشجرة ويملأ ماء ، فيكون ريها فتتروى منه . طحل : كدر ، أوكثير الطحلب . فيما عدا ل : « كحل » صوابه في ل والحيوان واللسان (١ : ٤٧٢ / ١٣ : ٤٢٤) والعمدة (٢ : ١٩٠) والموشح ٤٧ . وقد عاب كثير من النقاد هذا البيت ، قالوا : كيف والضفادع لا تخشى الغرق ؟ ! فأجاب ابن رشيق : « لم يرد أنها تخاف الغرق على الحقيقة ، ولكنها عادة من هرب من الحيوان من الماء ، فكأنه مبالغة في التشبيه ... مع أنا نجد الأماكن البعيدة القعر من البحار لا تقربها دابة خوفاً على نفسها من الملكة ، فكأنه أراد المبالغة في كثرة ماء هذه الشربات » . ومثل هذا القول للشنتمري في شرح ديوان زهير .

(٢) جونا : بالنون . فيما عدا ل : « جوبا » تحريف . يحلأ : يمنع من ورود الماء . « يحلأ » تحرف . ل : « فقط » ناهله . وأثبت ما في سائر النسخ والديوان ، والعمدة (٢ : ١٩٠) .

(٣) فيما عدا ل : « جوب » بالباء ، تحريف .

(٤) ط ، هو : « ولكثرة عمقه » س : « وكراعه » صوابهما في ل .

(٥) فيما عدا ل : « في غمر عامر » .

(٦) ط ، هو : « ولين بسمك »

(٧) فيما عدا ل : « إذا » وفي ط : « لم يكن » .

أن تظهر على شُطوط المياه ، وفى المواضع التى تبيض فيها من الدَّغَل[1] . وذلك كالسَّرطان والسُّلحفاة ، والرَّقّ ، والضفدع[2] ، وكلبِ الماء ، وأشباه ذلك .

(استطراد لغوى)

ويُقال[3] : نقَّ الضفدع ينِقُّ نقيقاً ، وأنقضَ ينقِضُ إنقاضاً[4] .

وقال رُؤْبةُ :

١٥٥ إذا دنا منهن إنقاض النُّقُقْ[5] فى الماء والساحل خُضخاض البَثَقْ[6]

(سمع الضفدع)

وقد زعم ناسٌ أن أبا الأخْزَرِ الحِمّانى[7] حيث قال :

تسمعُ القِنقِنِ[8] [صوتَ القنقنِ]

---

(١) الدغل : بالتحريك : ما استترت به . وأصله الشجر الكثير الملتف .

(٢) ل : « وذلك السرطان » بطرح الكاف . والرق : سبق تفسيره فى ص ٥٢٥ . ط ، هـ : « الزق » صوابه فى ل ، س . فيما عدا ل : « والضفادع » والتسلوق يقتضى ما أثبت من ل .

(٣) فيما عدا ل : « وقال » .

(٤) أنقض ، بالقاف . وفى ط : « أنقض ينقض إنقاضاً » ، بالفاء ، وفى س ، هـ بالغين المعجمة ، صوابهما فى ل .

(٥) النقق : يروى بضمتين وبضم ففتح : وهما جمع نقوق بالفتح ، وهو الضفدع تنق . س ، هـ : « إنقاص » تحريف .

(٦) الخضخاض ، عنى به الكثير الماء والشجر ، وفى اللسان : « ومكان خضيض وخضاخض : مبلول بالماء . وقيل : هو الكثير الماء والشجر » . والبثق : منبعث الماء حيث ينفجر . وأصله بإسكان الثاء . انظر اللسان (بثق) . وقد أراد به الزرع نفسه . فيما عدا ل : « ضحضاح البقق » صوابه فى ل وديوان رؤبة ١٠٨ .

(٧) أبو الأخزر ، بتقديم الزاي على الراء ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٨٢ / ٣ : ١٤٩) ط ، هـ : « الأخرز » بتقديم الراء ، تصحيف .

(٨) القنقن والقناقن : الذى يعرف الماء تحت الأرض ، وقيل : الذى يسمع =

إنما[1] أراد الضفدع . قالوا : وكذلك الطِّرِمّاحُ حيث يقول :

يخافِتْنَ بعضَ المضغِ من خشيةِ الرَّدَى
وينْصِتْنَ للصوتِ انتصاتَ القنـاقِنِ[2]

قالوا : لأن الضفدع جيدُ السمع إذا ترك النقيقَ وكان خارجاً من الماء . وهو فى ذلك الوقتِ أحذر من الغراب والعصفور والعَقْعَق ، [وأسمعُ من فَرَس ، وأسمع من قُرَاد[3]] ، وأسمع من عُقاب . و بكل هذا جاء الشعر .

ذكر ما جاء فى الضفادع فى الآثار

إبراهيم بن [أبى] يحيى[4] ، عن سعيد بن أبى خالد بن قارض[5] ،

= . فيعرف مقدار الماء فى البئر قريباً أو بعيداً . وانظر المعرب ٢٦١ ، وقد أتى به الجاحظ شاهداً بجملة بعض الضفادع . فيا عدا ل : « تسمع النقنق » .

(١) ط : « فأنما » هو : « و[نما » صوابه فى ل ، سه .

(٢) يخافتن : يخفين الصوت . فيا عدا ل : « تخافين » صوابه فى ل والحيوان ١٦٩ واللسان (٢ ، ٤٠٤ / ١٧ : ٢٣٠) . ينصتن : من الإنصات ، وهو السكوت للاستماع : ط ، هو : « ينصبن » صوابهما فى ل والمراجع السابقة . والانتصات : الإنصات . والقنقن : بفتح القاف الأولى وكسر الثانية : جمع القناقن بضم الأولى وكسر الثانية ، والقنقن بكسرها ، انظر التنبيه ٨ من الصفحة السابقة . ل : « انصبات القناقن » وفيا عدا ل : « انصاب القناقن » صوابهما فى المراجع السابقة . والبيت فى صفة بقر الوحش .

(٣) المثل الأول: تكملة من ل فقط . والثانى : من ل ، سه .

(٤) سبقت ترجمته فى ٤٢٧ .

(٥) كذا فى الأصل . وفى التهذيب (٤ : ٢٠) : سعيد بن خالد بن عبد الله بن قارظ القارظى الكنانى المدنى حليف بنى زهرة . روى عن عمه إبراهيم ، وربيعة بن عباد وأبى سلمة ، وأبى عبيد مولى ابن أزهر ، وإسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى ذئب . وعنه الزهرى ، وابن أبى ذئب ، وابن إسحاق . قال ابن سعد : توفى فى آخر سلطان بنى أمية .

عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن عثمان التيمى[1] «أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الضفدع[2]» .

قال : وحدثنا سعيد عن قتادة[3] قال : سمعت زرارة[4] يحدِّث أنه سمع عبد الله بن عَمْرو[5] يقول : « لاتسبُّوا الضفادع فإنَّ أصواتها تسبيح » .

قال : وحدثنا هشامٌ صاحبُ الدَّستوائى[6] ، عن قتادة ، عن زُرارةَ ابنِ أوفى ، عن عبد الله بن عمرو[7] أنه قال : « لاتقتلوا الضفادعَ ، فإن

---

(١) هو عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمى ، نسبة إلى تيم بن مرة ، وأبوه أخو طلحة ابن عبيد الله . وعبد الرحمن صحابى قتل مع ابن الزبير بمكة سنة ثلاث وسبعين . وكان يلقب : « شارب الذهب » . انظر الإصابة ٥١٥١ وتهذيب التهذيب (٦ : ٢٢٧) . ل : « اليتى » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « الضفادع » . وفى الضفدع لغات : كزبرج ، وجعفر ، وجندب ، ودرهم وهذا أقل ، أو مردود .

(٣) سعيد هذا ، هو سعيد بن أبى عروبة ، بفتح العين ، المترجم فى (٤ : ٢٩٣) قال ابن أبى خيثمة : « أثبت الناس فى قتادة سعيد بن أبى عروبة ، وهشام الدستوائى » وقال أبو داود الطيالسى : « كان أحفظ أصحاب قتادة » . ومات سنة ١٥٦ . انظر تهذيب التهذيب (٤ : ٦٣) . وترجمة قتادة سبقت فى (٣ : ٢١٠) وانظر لها أيضاً تهذيب التهذيب (٨ : ٣٥١) . ل : « شعبة عن قتادة » وروايته عن قتادة صحيحة ؛ فإن شعبة هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى الأزدى مولاهم ، أبو بسطام الواسطى ثم البصرى ، وقد روى عن أكثر من الثلاثمائة رجل عدهم ابن حجر . ومنهم قتادة . انظر تهذيب التهذيب (٤ : ٣٣٨) .

(٤) هو زرارة بن أوفى العامرى الحرشى ، أبو حاجب ، البصرى القاضى . روى عن أبى هريرة ، وعبد الله بن سلام ، وتميم الدارى ، وابن عباس ، وعائشة . وعنه قتادة وداود بن هند ، وعوف ، وبهز بن حكيم ، وغيرهم . قال ابن سعد : « مات فجأة سنة ٩٣ » . انظر تهذيب التهذيب (٣ : ٣٢٢) .

(٥) هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، صحابى جليل ، أسلم قبل أبيه ، وكان من أكثر الصحابة حديثاً ، ومات بالشام سنة خمس وستين . انظر الإصابة ٤٨٣٨ . فيما عدا ل : « عبد الله بن محمد » .

(٦) تقدمت ترجمته فى (٣ : ٣٥٧ — ٣٥٨) . ل : « صاحب الدستوى » هو : « صاحب الدستوائى » صوابه فى ط ، س .

(٧) فيما عدا ل : « عبد الله بن عمر » . وانظر التنبيه الخامس .

نقيقهن تسبيح[١] ، ولا تقتلوا الخفاش[٢] ، [فإنه إذا خرب بيتُ المقدس، قال : يا ربِّ سلِّطني على البحر حتى أغرقهم » .

وعن حماد بن سَلمة ، عن قتادة ، عن زُرارة ، قال : قال عبد الله ابن عمرو[٣] : « لاتقتلوا الخفاش] ، فإنه استأذن البحر[٤] أن يأخذ من مائه فيطفئ بيتَ المقدس حيث حُرِّق[٥] . ولا تقتلوا الضفادع ، فإن نقيقها تسبيح » .

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب[٦] ، وفي إسناد له : « أن طبيباً ذكر الضِّفدِع عند النبي صلى الله عليه وسلم ، ليجعل في دواء[٧] ، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع[٨] » .

(ما يوصف بجودة الحراسة وشدة الحذر)

[و] العربُ تصف هذه الأصناف التي ذكرناها[٩] بجودة الحراسة ، وشدة الحذَر[١٠] ، وأعطَوا الثعلبَ والذئب أموراً لايبلغها كثيرٌ من الناس .

---

(١) هذا الحديث رواه النسائي ، عن ابن عمرو : وهو حديث ضعيف . الجامع الصغير ٩٨٤٣ .

(٢) ط ، هو : « وقال لا تقتلوا الخفاش » . والكلام بعده إلى : « أغرقهم » ساقط من س .

(٣) فيما عدا ل : « عبد الله بن عمر » .

(٤) سبق في (٣ : ٣٥٨) : « استأذن في البحر » .

(٥) كذا في ر وفيما سبق (٣ : ٣٥٨)، وفي سائر النسخ : « احترق » .

(٦) سبقت ترجمته في (١ : ١٧٩) . فيما عدا ل : « أبي ذؤيب » تحريف . وكلمة : « عبد الرحمن بن » ساقط من ل .

(٧) ط ، هو : « في الدواء » س : « في الرواء » وهذه محرفة . وأثبت ما في ل .

(٨) فيما عدا ل : « الضفادع » .

(٩) فيما عدا ل : « ذكرنا » .

(١٠) فيما عدا ل : « وشدة الحذر » .

(قول صاحب المنطق فى الغرانيق)

وقال صاحبُ المنطق فى الغرانيق[1] قولا عجيباً ، فزعم أن الغرانيق من الطيور القواطع[2] ، وليست من الأوابد . وأنها إذا أحسّتْ بتغيُّرِ الزمان اعتزمت[3] على الرجوع إلى بلادها وأوكارها . وذكر أنها بعيدةٌ سحيقة . قال : فعند ذلك تتخذ قائداً [وحارساً ، ثم تنهض معاً ، فإذا طارت] ترفعت فى الجواء جدًّا[4] ، كى لايعرض لها شىء من سباع الطير[5] ، أو يبلغها سهمٌ أو بُنْدُق . وإن عاينَتْ غيما [أو مطراً ، أ] و خافَتْ مطرًا ،
١٥٦ أو سقطتْ لطلبِ مالابدَّ لها منه من طُعم[6] ، أو هجم عليها الليل — أمسكَتْ عن الصياح ، وضمّتْ إليها أجنحتها . فإذا أرادت النوم[7] أدخل كل واحد منها[8] رأسَه تحتَ جناحِه ، لأنه يرى أن الجناح أحمَلُ لما يَرِدُ عليه من رأسه[9] ، أو بعضِ مافى رأسه : من العين وغير ذلك ، ويعلمُ أنه ليس بعد ذهابِ الرأس حياة . ثم ينام كل واحد

---

(١) الغرانيق : سبق تفسيرها فى (٣ : ٣٢٨) ، وهو نوع من الكراكى ، واسمه العلمى الأوربى Balearica pavonina .

(٢) القواطع : التى تنقطع إلى الناس ، أى ترحل إليهم . وذلك فى أوقات معينة . وانظر (٤ : ١٠١ — ١٠٢) .

(٣) فيما عدا ل : « اعترضت » تحريف .

(٤) ترفعت : ارتفعت فى الجو . ط ، هـ : « وتصعد » س : « ويصعد » صوابهما فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « حتى لا » . وفى س : « له شيء » وعلمه محرفة .

(٦) الطعم ، بالضم : الطعام . ل : « لما لا بد منه من طعم » .

(٧) ط ، س : « فإن رأت النوم » وأثبت ما فى ل ، هـ .

(٨) فيما عدا ل : « منهم » . وقد يجعل ضمير العاقل لغيره .

(٩) أى أن جناحه أكثر تحملا من رأسه . فيما عدا ل : « من المكروه » .

منها وهو قائم[1] على رجليه ، لأنه يظن أنه إن مكّنها نام إن كان لايحب النوم[2] ، أو نام نوما ثقيلا إن كان يحب أن يكون نومُه غِرارًا[3] . فأما قائدها وسائقها وحارسُها ، فإنه لاينامُ إلا [وهو] مكشوفُ الرأس . وإن نام فإن نومه يكونُ أقلّ من النِشاش[4] . وينظُرُ في جميع النواحي ؛ فإن أحسّ شيئاً صاحَ بأعلى صوته .

(صيد طير الماء)

وسألتُ بعضَ من اصطادَ في يومٍ واحد مائةَ طائر[5] من طير الماء ، فقلت له : كيف تصنعون ؟ قال : إن هذا الذى تراه[6] ليس من صَيْدِ يوم واحد ، وإن كلّه صيدَ [في] ساعة واحدة . [قلت له : وكيف ذلك ؟ قال] : وذلك أنا نأتي مناقِعَ الماء ومواضِع الطير ، فنأخذ قَرعةً يابسة صحيحة[7] ، فنرمى بها في ذلك الماء ، فإذا أبصرها الطير[8] تدنو منه بدفع[9] الرِّيح لها في جهته ، مرة أو مرتين[10] فزِع . فإذا كثرذلك عليه أنس[11] .

---

(١) فيما عدا ل : « لأنه ينام كل منها قائماً » ، وفيه تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « وإن كان لا يحب النوم » .

(٣) غرارا : أي قليلا خفيفاً . فيما عدا ل : « وإن كان يحب » الخ بإقحام الواو .

(٤) النشاش ، بالكسر : القليل . ط ، صح : « النشاش » صوابه في ل ، ثم .

(٥) فيما عدا ل : « طير » . ولها وجه ؛ فإن قطربا زعم أن الطير يقع للواحد ، وأجاز ذلك أبو عبيدة . انظر اللسان (٦ : ١٨١ س ٢ — ٤) . هذا إلى أنه قد تميز المائة بالجمع ، نحو مائة رجال . انظر شرح الرضي للكافية (٢ : ١٤٤) وغير ذلك من مطولات النحو .

(٦) فيما عدا ل : « ترى » .

(٧) ل : « ضخمة » .

(٨) فيما عدا ل : « الطائر » .

(٩) ط فقط : « يدفع » بالياء ، تحريف .

(١٠) ط « ومرتين » .

(١١) فيما عدا ل : « عليها » بدل : « عليه » تحريف .

وإنما ذلك الطير طير الماء والسمك[1] ، فهي أبدًا على وجه الماء . فلا تزالُ الريح تقرِّبها وتباعدها[2] ، وتزداد [هي] بها أُنسًا ، حتى ربما سقط الطائرُ عليها ، والقرعةُ في ذلك إما واقفةٌ في مكان ، وإما ذاهبةٌ وجائية . فإذا لم نرها تنفرُ منها أخذنا قَرعةً أخرى ، أو أخذناها بعينها ، وقطعنا موضعَ الإبريق منها[3] ، وخرَقنا فيها موضعَ عينين ، ثم أخذَها [أحدُنا] فأدخلَ رأسَه فيها ، ثم دخل الماء ومشى فيه إليها[4] مشيًا رُوَيْدًا ، فكلما دنا من طائر[5] قبض على رجليه ثم غمسه في الماء[6] ، ودقَّ جَناحَه وخلَّاه[7] ، فيبقى طافيًا فوق الماء[8] يسبحُ برجليه ، ولا يطيقُ الطيران ، وسائرُ الطير لا ينكر انغماسه[9] . ولا يزال كذلك حتى يأتيَ[10] على آخر الطير . فإذا لم يبق منها شيء رمى بالقرعة عن رأسه ، ثمَّ نلقطها ونجمعها ونحملها[11] .

(علاج الملسوع)

قال : ومن جيِّدِ ما يُعالَجُ به الملسوعُ ، أن يَشُقَّ بطنُ الضفدع ،

---

(١) أي طير السمك ، الذي يغتذي بالسمك .

(٢) فيما عدا ل : « وتبعدها » .

(٣) كذا . وأراد به طرفها الدقيق .

(٤) ط : « فيها بينها » ، هو : « فيا بينها » صوابه في ل .

(٥) فيا عدا ل : « كلما أتى إلى طائر » .

(٦) س ، هو : « فقبض » ل : « رجله فغمسه » .

(٧) ل : « ثم دق جناحه ثم خلاه »

(٨) ط فقط : « بين الماء » .

(٩) ل : « لا تنكر إنغماسه » .

(١٠) كلمة : « ولا يزال » ليست في ط . وفي ل : « تأتى » بدل : « يأتى » .

(١١) فيما عدا ل : « ثم نلقطها ونجمعها ونحملها » .

ثم يرفَد به موضع اللسعة[1] . ولسنا نعنى لدغة الحية[2] ، وإنما نعنى لسعة العقرب .

[والضفدع إذا رأى النار أمسك عن النقيق ، وإذا رأى الفجر.
والأسدُ إذا رأت النار أحجمت عن الإقدام ، وإذا اشتد الأصواتُ] .

(استطراد لغوىّ)

قال : ويقال للضفدع[3] [نقّ] ينقّ ، و [هدر] يهدِر . وقال الراعى :

فأوردهُنّ قبيلَ الصباحِ عيناً ضفادعُها تَهْدِرُ

(قول صاحب المنطق فى الضفادع والسمك)

وأما قولُ صاحب المنطق فى أن الضفادع لاتنقّ حتى تُدخِلَ فكها الأسفل فى الماء ؛ لأن الصوت لايجيئها حتى يكون فى فكها ماء[4] فقد ١٥٧ قال ذلك ، و [قد] وافقه عليه ناسٌ من العلماء ، وادعوا فى ذلك البيان .

فأما زعمه أن السمكة[5] لاتبتلع شيئاً من الطعم إلا ببعض الماء ، فأىُّ بيان دلّ على هذا ؟ ! وهذا عسِرٌ[6] .

---

(١) الرفد : وضع الرفادة على الجرح ، وهى الخرقة .
(٢) فيما عدا ل : « لسعة » . والأصح أن اللسع لذوات الإبر من العقارب والزنابير .
(٣) ط ، هو : « الضفادع » تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « فى فيها ماء » .
(٥) ط : « وإنما زعمه بأن السمكة » . س ، هو : « وإنما زعمه بأن السمكة » وأثبت ما فى ل .
(٦) فيما عدا ل : « صبر » .

[القول فى الجراد[١]]

أحضِرْنى[٢] على اسم الله ذِهنك ، وفرِّغْ لما أُلقيه إليك قَلْبَكَ ، فربَّ حرْف من حروف الحِكَم الشريفة[٣] ، والأمثال الكريمة — قد عَفَا أثرُه ، ودثر ذِكرُه ، ونبا الطَّرْفُ عنه[٤] ، ولم يُشغَل الذهنُ بالوقوف عليه . وربَّ بيتٍ هذا سبيله ، وخطبةٍ[٥] هذه حالها .

ومدارُ الأمر على فهم المعاني لا الألفاظ ، والحقائقِ لا العبارات . فكم من دارس كتاباً خرجَ غُفْلاً كما دخل ، وكم من متفهِّم لم يفهم ؟! ولن يستطيع الفهم[٦] إلا من فرَّغ قلبه للتفهم ؛ كما لا يستطيعُ الإفهام إلا من صحت نيتُهُ فى التعليم .

(فضل الإنسان على سائر الحيوان)

فأقول] : إن الفرق [الذى] بين الإنسان والبهيمة ، والإنسان والسَّبُع [والحشرة[٧]] ، والذى صَيَّرَ الإنسان إلى استحقاق قول الله عز وجلَّ : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فى السموٰاتِ وما فى الأرضِ جميعاً منهُ[٨]﴾ ليس

---

(١) التكملة التالية من ل ، س فقط . وبينهما تخالف سأنبه عليه .
(٢) س : « أحضر » .
(٣) س : « فرب حروف من حروف الكلم الشريفة » .
(٤) ل : « نبا » بإسقاط الواو قبلها .
(٥) س : « وخَصلة » ووجهه ما أثبت من ل .
(٦) الكلام بعد هذا إلى كلمة : « الإفهام » ساقط من س .
(٧) كلمة : « إن » و : « الذى » و : « الحشرة » ثابتة فى ل فقط وليست فى س .
(٨) الآية ١٣ من سورة الجاثية . وتمامها : (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

هو الصورة ، وأنه خلِقَ من نطفة وأن أباه خُلق من تراب ، و[لا] أنه يمشى على رجليه ، ويتناول حوائجه بيديه[١] ؛ لأن هذه الخصالَ كلها مجموعة فى البُلْه والمجانين ، والأطفال والمنقوصين .

والفرق الذى هو الفَرقُ إنما هو الاستطاعة والتمكين . [و] فى وجُودِ الاستطاعة وجودُ العقل والمعرفة[٢] . وليس يوجِبُ وجودُهما وُجودَ الاستطاعة[٣] .

وقد شرّف الله تعالى الجانّ وفضّله على السَّبُع والبهيمة ؛ بالذى أعطاه[٤] من الاستطاعة الدالة عَلَى وجود العقل والمعرفة[٥] .

وقد شَرَّف [الله] الملائكة وفضلهم عَلَى الجانّ ، وقدمهم عَلَى الإنسان وألزمهم من التكليف عَلَى حسب[٦] ما خوّلهم من النعمة . وليست لهم صورة الإنسانِ ولم يُخْلَقُوا من النُّطَف[٧] ، ولا خُلق أبوهم من التراب . وإنما الشأن[٨] فى العقل ، والمعرفة ، والاستطاعة .

أتظنُّ أن الله عز وجل يخصُّ بهذه الخصال بعضَ خلقِه دون بعض ، ثم لا يطالبهم إلا كما يطالب بعضَ من أعدمه ذلك ، وأعراه منه[٩] ؟ ! فلِمَ أعطاه العقل ، إلا للاعتبار والتفكير ؟ ! ولِمَ أعطاه المعرفة ، إلا ليؤثر

---

(١) حوائج ، صحيحة . وانظر التفصيل فى تحقيقها فى اللسان (٣ : ٦٨) .

(٢) ط ، هو : « وجودة العقل والمعرفة » والكلام من : « والتمكين » إلى كلمة : « الاستطاعة » التالية ليس فى س .

(٣) وجودهما . أى وجود العقل والمعرفة . ل : « وجوب الاستطاعة » .

(٤) فيما عدا ل : « من الذى أعطاه » .

(٥) فيما عدا ل : « على الوجود والمعرفة » .

(٦) فيما عدا ل : « على قدر » .

(٧) فيما عدا ل : « وليست لها صورة الإنسان ولم يخلقا من النطف » .

(٨) فيما عدا ل : « فأشبها الإنسان » .

(٩) ل : « وعراه به » .

الحقَّ على هواه ؟! ولِمَ أعطاهُ الاستطاعة ؟ إلا لإلزام الحجة ؟!

فهل فكَّرْتَ قطُّ فى فصل[1] مابينك وبين [الخلق] المسخَّر لك ، [وبين الخلق الذى جعِل لك والخلق المسلط عليك] ؟! وهل فكَّرت قط فى فصل ما[2] بين ماجعله عليك عاديا ، و[بين] ما جعله لك غاذيا[3] ؟! [وهل فكرتَ قطُّ فى فصل ما بين الخلق الذى جُعل لك عذابا ، والخلق الذى جُعل لك قاتِلاً ، وبين ما آنسه بك[4] وبين ما أوْحَشَهُ منك ، وبين ما صغَّره فى عينك وعظَّمه فى نفسك[5] ، و[بين ما عظَّمه فى عينك و[6]] صغَّره فى نفسك ؟! بل هل فكرت[7] فى النحلة والعنكبوت والنملة ، وأنت ترى الله تقدَّس وعزَّ[8] كيف نوَّه بذكرها [ورفع من قدرها ، وأضاف إليها السُّوَر العظامَ ، والآياتِ الجسام] ، و[كيفَ] جعل الإخبارَ عنها قرآنا [وفرقاناً[9]] ، حيث يقول ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ . فقفْ عَلَى صغر النحلة وضَعْفِ أَيْدِها[10] ، ثمّ ارْمِ بعقلك إلى قول الله : ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً[11] ﴾ فإنك تجدُها

(١) الفصل ، بالصاد : الفرق . فيما عدا ل : « فضل » والكلام بعده إلى كلمة : « فصل » التالية ليس فى ه .

(٢) هذه الجملة ساقطة من ل . وفى الأصل : « فضل » بالضاد ، تحريف .

(٣) كلمة « ما » الأولى « ساقطة » من س ، ه وفيما عدا ل : « جعل » بدل : « جعله » فى الموضعين . غاذيا : من الغذاء . فيما عدا ل : « عاديا » فى الموضعين .

(٤) فيما عدا ل : « لك » باللام .

(٥) ط ، ه : « فى عينك » . وفيما عدا ل : « وما عظمه » بإقحام « ما » .

(٦) هذه الزيادة من ل ، س .

(٧) فيما عدا ل : « وكيف لم تفكر » .

(٨) فيما عدا ل : « تبارك تعالى » .

(٩) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « وكيف أضاف إليها السور الطوال وكيف » .

(١٠) الأيد ، بالفتح : القوة . ومنه : (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) .

(١١) الآية ٦٩ من النحل . وفى الأصل : « ثم اسلكى سبل ربك ذللا » . وهو تحريف شنيع نبهت على أمثاله فى (٤ : ١٥٩،٨ ، ١٦٠ / ٥ : ٣٢ ، ٩٣ ، ١٣٧) .

أكبر من الطود ، وأوسعَ من الفضاء . ثم انظر إلى قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وادِي النَّمْلِ ﴾(١) . فما ترى في مقدار النملة في عقل الغبيّ ، وغير الذَّكيّ ؟! فانظر كيف أضاف الوادي إليها ، وخبّر عن حذرها ونصحها لأصحابها ، وخوفها ممن قد مُكِّنَ ، فإنك تجدُها عظيمةَ القدر ، رفيعةَ الذِّكر] ، قد عظمها في عقلك ، بعد أن صغّرها في عينك

(عجز الإنسان وصغر قدره)

وخبِّرني عن الله تعالى ، أما كان قادراً(٢) أن يعذّب الكنعانيِّينَ ، والجبابرة ، والفراعنة ، وأبناءَ العمالقة : من نَسْلِ عاد وثمود ، وأهلَ العتوّ والعنود(٣) ـ بالشياطين ثم بالمردَة ، ثم بالعفاريت(٤) ، ثم بالملائكة الذين ١٥٨
وكّلهم الله تعالى ببرْق السحاب ، وبالمدّ والجزْر ، وبقبض أرواح الخلق ، وبقلب الأرَضين ، وبالماء والريح(٥) ، وبالكواكب والنيران ، وبالأُسْد والنمور [والبُبُور] ، وبالفيلة والإبل [والجواميس] ، وبالأفاعي والثعابين [وبالعقارب والجرارات] ، وبالعقبان والنسور(٦) ، وبالتماسيح(٧) ، وبالقِرش(٨) [والدلافين(٩)] .

---

(١) من الآية ١٨ في سورة النمل .
(٢) فيما عدا ل : « يقدر » .
(٣) عند الرجل يعند عنداً وعنوداً وعنداً : عتا وطغى . ط : « الجنود » تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « وبالعفاريت » .
(٥) فيما عدا ل : « وقبض أرواح الخلق وتقليب الأرضين والماء والريح » .
(٦) بعدها في ط : « والجرذان » وفي س : « والجرارات » و هـ : « والجرادات » .
(٧) ط ، س : « والتماسيح » هـ : « والتماسح » وهذه جمع تمسح ، بكسر التاء وفتح السين .
(٨) القرش ، بالكسر : سمك بحري يقال له الكوسج ، وهو من السمك القشري وفي كبير عشق شره ، وهو بالإنكليزية : Shark . ط : « والرشم » س ، هـ : « والقرم » صوابهما في ل .
(٩) الدلفين ، بالضم : ضرب من الحيتان ، زعم القدماء أنه ينجي الغريق . والكلمة معربة من اليونانية . انظر استينجاس ٥٢٢ .

. فلمَ عذَّبهم بالجرادِ والقُمَّل[1] والضفادع ؟! وهل يتلقَّ[2] عقلُه قبل التفكير إلا أنه أراد أن يعرِّفهم عجزهم ، ويذكِّرهم صِغَرَ أقدارِهم ، ويدلَّهم على ذلك بأذلِّ خلقه ، ويعرِّفهم أن له في كل شيء جُنْداً[3] ، وأن القَوِىَّ من قَوَّاه [وأعانَه] ، والضعيف من ضَعَّفه[4] ، والمنصورَ من نصَره ، والمخذول[5] من خَلاَّه وخذله ؛ وأنه متى شاء أن يقتلَ بالعسل اللذيذ والماء الزُّلال[6] [كما يقتلُ بالسمِّ السارى ، والسيفِ الماضى] قتل ؟

ولِمَ كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا رأى على جسده البَثْرَةَ ابتهلَ في الدعاء وقال : « إن الله تعالى إذا أراد أن يعظمَ صغيراً عظمه » ؟!

ولِمَ قال لنا : « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ والجَرَادَ والقُمَّلَ والضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلَاتٍ[7] » ؟! [فافهمْ عنه تعالى ذكره ، وتقدست أسماؤه قوله : « آيات » ثم قال : « مُفصَّلَاتٍ »] . فهل وقفت [قطُّ] عَلَى هذه الآياتِ ؟! وهل توهَّمت [تأويلَ] قوله[8] : هذا [آيَة وغيرُ آيَة] ؟! وهل وقفت عَلَى فصل ما بين الآية وغير الآية[9] ، وإذا كانت مفصَّلات كان ماذا ، وإذا لم تكن مفصلات كان ماذا .

---

(١) القمل ، بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة . انظر التنبيه ٦ ص ٤٣٨ و س ١ من ص ٤٣٩ .

(٢) فيا عدا ل : « تلقى » تحريف .

(٣) فيا عدا ل : « جهداً » محرف .

(٤) أضعفه وضعفه : صيره ضعيفاً . اللسان (١١ : ١٠٦) .

(٥) في الأصل : « المقتول » والمقابلة تقتضي ما أثبت .

(٦) الزلال ، بالضم : الصافي الخالص .

(٧) من الآية ١٣٣ في سورة الأعراف .

(٨) ط فقط : « توهمت قوله » .

(٩) هذه الجملة ليست في ل . وفي الأصل : « تفصل » بالصاد ، تحريف .

فاضم قوله : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ . وما فى الأرض أخمصُ معرفة وعلما ، ولا أضعفُ قوة وبطشاً ، ولا أوْهَنُ رُكْنا وعَظْماً من ضِفدِع . [فقد قال ـ كما ترى ـ : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ﴾ ، فقد جعله ـ كما ترى ـ أفضل آياته ، والعذابَ الذى أرسله عَلَى أعدائه] .

وقد قال جل وعز : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ[(1)]﴾ فأظهر الماء [جلَّ ثناؤه] من أبعد مواضع الماء من ظنونهم[(2)] ، وخَبَّرَنا بذلك كى لا نخلِّى[(3)] أنفسنا من الحذر والإشفاق ، [ولنكون علماء بالعلم الذى أعطانا ، ولنكون راجين خائفين ، ليصحَّ الاختيار ، ويحسُنَ الاختبار . ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ[(4)]﴾ . ما أحسنَ ما قدَّر ، وأتقنَ ما برأ] !

وكان السيب[(5)] الذى سلطه الله تعالى عَلَى العَرِم ، وهو مُسَنَّاة جَنَّتَىْ بلادِ سبإ ، جُرَذاً ، فهو[(6)] الذى خَرَقه ، وبدَّل نعمتَهم بُؤساً ، ومُلكَهُمْ [يَبَاباً وعِزَّهُمْ ذُلاً ، إلى] أن عادوا فقراء . فقال الله[(7)] : « وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ[(8)] » . هذا بعد

---

(١) من الآية ٢٧ فى سورة المؤمنون . ومثلها الآية ٤٠ من سورة هود : (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) وليس غيرهما فى الكتاب . وقد وقعت الآية محرفة فى الأصل ، ففى ل : « فلما جاء » وفيما عداها : « ولما جاء » . وأثنى على الله الذى وفق إلى إصلاح أمثال هذا التحريف . انظر (٤ : ٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ / ٥ : ٢٢ ، ٩٣ ، ١٣٧ ، ٥٤٤) .

(٢) فيما عدا ل : « من أبعد المواضع من ظنونهم » .

(٣) ل : « تخلوا » .

(٤) من الآية ١٤ فى سورة المؤمنون .

(٥) ط ، هو : « السيل » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وهو » .

(٧) فيما عدا ل : « وقال الله عز وجل » .

(٨) من الآية ١٦ فى سورة سبأ .

أن قال : « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ(١) آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ. فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ(٢) » .

(شعر فى سد مأرب)

وقال الأعشى :

ففى ذاكَ للمُؤتَسِى أُسْــوَةٌ ... ومأربُ قفَّى عليه العَرِمْ(٣)

رُخَامٌ بنَتْه لهم حِــمْيَرٌ ... إذا جاء ماؤُهمُ لم يَرِمْ(٤)

وأنشد أبو عمرو بنُ العلاء(٥) :

من سَبَأَ الحاضرِينَ مَأْرِبَ إذ ... يبنُونَ من دونِ سَيْلِهِ العَرِمَا(٦)

---

(١) ط ، هو : « مسكنهم » وهذه قراءة حفص وحمزة ، بفتح الكاف . وقراءة الكسائى وخلف والأعمش بكسر الكاف . وما أثبت من ل ، س هى قراءة الباقين ، بفتح السين وألف وكسر الكاف على الجمع . انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٥٨ — ٣٥٩ .

(٢) الآية ١٥ وصدر الآية ١٦ من سورة سبأ . وفيما عدا ل زيادة : (وبدلناهم بجنتيهم) .

(٣) الأسوة : ما يأتسى به الحزين ، أى يتعزى . قفى : عفى ودرس . فيما عدا ل : «أعفى» تحريف . ويروى : « عفى » فى معجم البلدان ومروج الذهب (١ : ٢٤٣) . وما أثبت من ل هو رواية الديوان ٣٤ والإكليل للهمدانى ٥٤ ، ١٢٥ واللسان (٢٠ : ٥٦ س٤) .

(٤) الرخام ، بالضم : حجر أبيض معروف . ط ، هو : « رجام » : صخور عظام . ولم أجد ما يصحح هذه الرواية . ل ، ط : « له حميرُ » . وفى الإكليل : « بناه له » و « بناها لهم » . وما أثبت من س ، هو يوافق رواية الديوان وياقوت . لم يرم : لم يفارقه ولم يبرح .

(٥) البيت النابغة الجعدى ، كما فى الكامل ٦١١ من قصيدة له فى الشعراء ٥٧ أولها :

الحمد لله لا شريك له ... من لم يقلها فنفسه ظلما

(٦) فى المخصص (١٧ : ٤٢) : « وكان أبو عمرو لا يصرف سبأ يجعله اسماً للقبيلة » . وأنشد البيت . قلت : وبها قرأ عمرو البزى فى : (لقد كان لسبأَ) وجمهرة القراء على قراءة الصرف ، يجعله اسما للحى .

(معارف فى الجراد)

ثم انظر إلى الجراد . وهذا باب القول فيه . ١٥٩

قال : فأولُ[1] مايبدو الجرادُ إذا باض سَرْءٌ ، وسَرْؤُه : بيضُه[2] . يقال : سَرأتْ تَسرأ سَرْءًا .

فانظر الآن ، فكم ترى فيه[3] من أعجوبةٍ ، [ومن آيةٍ بلينة] . فأوّل ذلك التماسُها لبيضها المَوْضعَ الصَّلْدَ[4] ، والصخور [الصُّمّ] المُلْسَ ؛ ثقةً بأنها إذا ضربتْ بأذنابها فيها انفرجت لها[5] .

(ذنب الجرادة وإبرة العقرب)

ومعلومٌ أن ذنَبَ الجرادةِ ليس فى خِلْقة المسمارِ ، ولا طرف ذنبها[6] كحدِّ السِّنان ، ولا لها من قوة الأَسْر[7] ، ولذنبها من الصّلابة ما إذا اعتمدَتْ به على الكُدْيَة والكَذَّانة[8] جرح فيهما[9] . فكيف[10] وهى

---

(١) فيما عدا ل : « ولأول » . وكلمة : « قال » ليست فى ل .

(٢) السرء ، بالفتح ويكسر . ويقال أيضاً سرو ، وأصله الهمز . ل : « إذا باض سرء وسرءه وبيضه » . وفيما عدا ل : « إذا باض يكون سرواً وسروه بيضه » . وقد جمعت بينهما بما أثبت .

(٣) فيما عدا ل : « كم فى الجرادة » .

(٤) الصلد ، بالفتح : الصلب الشديد . فيما عدا ل : « الصلب » .

(٥) فيما عدا ل : « انفجرت » .

(٦) فيما عدا ل : « ذنبه » تحريف .

(٧) الأسر ، بالفتح : الخلق ، يقال فلان شديد الأسر إذا كان معصوب الخلق غير مسترخ . فيما عدا ل : « الأسود » تحريف .

(٨) الكدية ، بالضم : الصفاة العظيمة الشديدة . والكذانة ، بالفتح : واحدة الكذان ، وهى حجارة كأنها المدر فيها رخاوة . فيما عدا ل : « فى » بدل « على » . ط ، س : « والكداية » هـ : « والكذانة » صوابهما فى ل .

(٩) ط : « عرق فيها » س ، هـ : « خرج فيهما » صوابهما فى ل . وانظر (٤ : ٣١٥) .

(١٠) فيما عدا ل : « وكيف » .

تتعدى إلى ما هو أصلبُ من ذلك ، وليس فى طرف ذنبها كإبرة العقرب ؟ !

وعلى أن العقرب ليس تخرق القمقم(١) من جهة الأيْد وقوةِ البدَن(٢) ، بل إنما يفرجُ بطبعٍ مجهول هناك . وكذلك انفراجُ الصخورِ لأذناب الجراد .

ولو أن عُقاباً أرادت أن تخرقَ فى جلد الجاموس(٣) لما انخرقَ لها إلا بالتكلُّفِ الشديدِ ؛ والعُقابةُ هى التى تنكدرُ(٤) على الذئب [الأطلس] فتقدّ بدابرتها ما بين صَلاهُ إلى موضع الكاهل(٥) .

فإذا غرزّت الجرادة(٦) وألقت بيضها ، وانضمّت عليها تلك الأخاديد التى أحدثتْها ، وصارت كالأفاحيص لها ، وصارت حافظةً لها ومربّية ، وصائنة وواقية ، حتى إذا جاء(٧) وقتُ دبيبِ الرُّوح فيها أحدث اللهُ فى أمرها عجباً آخر(٨) . [فسبحان من استخزنها حكمتَه ، وحشاها بالأدلة عليه ، وأنطقَها بأنها مدبرة ، ومُذلَّلةٌ(٩) ميسرة ؛ ليفكر مفكر ، ويعتبر معتبر ! ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وتبارك الله ربُّ العالمين(١٠) !

---

(١) القمقم ، بضم القافين : ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره ويكون ضيق الرأس . فيما عدا ل : « ليست تخرق الصم » تحريف . وانظر مثل هذا الكلام فى (٤ : ٣١٧) .

(٢) الأيد : القوة . فيما عدا ل : « من جهة الأيد فى قوة البدن » محرف .

(٣) ط فقط : « فى جلدة الجاموس » صوابه ما أثبت .

(٤) تنكدر : تنقض . ط : « تكسر » س ، هـ : « تنحدر » والوجه ما أثبت من ل .

(٥) تقدّ : تقطع . والدابرة : الإصبع التى من وراء رجلها . فيما عدا ل : « بدابرتها » تحريف . وانظر ص ٢٠٦ . والصلا ، بالفتح : وسط الظهر . والكاهل : مقدم أعلى الظهر .

(٦) غرزت الجرادة وغرزت ، بالتشديد : أثبتت ذنبها فى الأرض لتبيض .

(٧) فيما عدا ل : « كان » .

(٨) فيما عدا ل : « حدث عجب آخر » .

(٩) المذللة : الميسرة . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « مذالة » محرف .

(١٠) فى الآية ٦٤ من سورة غافر . (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) .

(مراتب الجراد)

وقال الأصمعي : [يقال : قد سرأت الجرادة تسرأ سَرْءًا] . فإذا خرجَ من بيضه فهو دَبًا والواحدة دَبَاة . ويخرج أصهَبَ إلى البياض ؛ فإذا اصفرّ وتلوّنت فيه خطوطٌ واسودّ فهو بُرقان[1] . يقال رأيت دبًا بُرقانا ، والواحدة بُرقانة ؛ فإذا بدت فيه خطوطٌ سُودٌ وبيضٌ وصُفرٌ فهو للسَّيّح[2] . فإذا بدا حجمُ جناحِه فذلك الكُتْفان[3] ؛ لأنه حينئذٍ يكتف المشي[4] ، واحدة كتفانة . قال ابن كناسة[5] :

يكتِفُ المشيَ كالذي يتخطّى   طُنُبًا أو يشُكُّ كالمتبادِي[6]

يصف فرسًا[7] . فإذا ظهرت أجنحتُه وصار أحمرَ إلى الغُبْرة فهو الغَوْغاء والواحدة غوغاءة[8]] ، وذلك[9] [حينَ] يستقلُّ ويموجُ بعضُه في بعضِه

= وفي ٥٤ من الأعراف : (تبارك الله رب العالمين) وفي ٩ من فصلت : (ذلك ربّ العالمين) فما جاء به الجاحظ هو تحميد وتنزيه فحسب .

(١) البرقان ، بالضم . فيما عدا ل : « وتلوت فيه خطوط واسود فهو » صوابه في ل . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٣) .

(٢) المسيح ، بتشديد الياء المفتوحة ، وأصل المسيح المخطط . فيما عدا ل : « فإذا صار فيه خطوط صفر وبيض وسود فهو السلح » تحريف صوابه في ل واللسان (٣ : ٣٢٤) حيث نقل رواية الجاحظ عن الأصمعي . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٣) .

(٣) الكتفان ، بضم الكاف وفتحها . ط ، س : « فإذا بدأ » بالهمزة ، تحريف . وفي ل : « فهو » بدل : « فذلك » .

(٤) كذا وردت هذه العبارة هنا وفي أصل نهاية الأرب وفي اللسان ، لكن ضبطت في اللسان بتشديد التاء . وانظر الشعر التالي . وفي المخصص (٨ : ١٧٢) : « وقيل سمي كتفانا لأنه يكتف المشي ، أي إذا مشى حرك كتفيه » .

(٥) سبقت ترجمته في ص ١٣٣ من هذا الجزء .

(٦) الطنب : حبل الخباء والسرادق ونحوها . يشك : يظلع ويخزق جريه . والمتبادي : المتموج . فيما عدا : « أو يشتد المتباري » .

(٧) هذه الجملة ليست في ل .

(٨) هذه التكملة من ل ونهاية الأرب واللسان .

(٩) فيما عدا ل : « ولذلك » .

ولا يتوجه جهةً . ولذلك قيل[1] لرعاع الناس غوغاء .

فإذا بدتْ في لونه الحمرةُ والصفرة ، وبقي بعضُ الحمرة ، واختلف في ألوانه ، فهو الخيفان ، والواحدة خَيفانة . ومن ثَمَّةَ قيل للفرَس خَيفانة[2].

فإذا أصفرت الذكورةُ واسودّت الإناثُ ذهبت عنه أسماء [غير[3]] الجراد . فإذا باض قيل قد غَرَزَ الجرادُ[4] ، وقد رزَّ[5] .

فإذا كثُر الجرادُ في السماء وكثُف فذلك السَّدُّ . ويقال : رأيتُ سدًّا مِنْ جَرادٍ ، ورأيتُ رِجْلاً من جَرادٍ ، الكثير منه . وقال العجاج :

سَيْرَ الجراد السُّدِّ يرتادُ الخضِر[6]

(مثل في الجراد)

و[مما] تقول العرب : « أَصْرَدُ منْ جرادة[7] ! » . وإنما يَصْطاد[8] الجرادُ بالسَّحَر . إذا وقع عليه الندى طلبَ مكاناً أرفع من موضعه[9] ،

---

(١) فيما عدا ل : « يقال » .

(٢) وهي الفرس الخفيفة المتوثبة . ل : « ثم » بدل : « ومن ثمة » وفي المخصص : « ومن ثم قيل للفرس خيفانة » .

(٣) هذه الكلمة ليست في الأصل . وبدونها لا يستقيم المعنى . وفي نهاية الأرب : « فإذا أصفرت الذكور واسودت الإناث سمى حينئذ جراداً » . وفي المخصص : أبو حنيفة : فإذا طار سقطت عنه هذه الأسماء وسمى جراداً » .

(٤) غرز ، بالتخفيف والتشديد . انظر التنبيه ٦ ص ٥٥٠ .

(٥) يقال أيضاً أرز . ومعناها أثبت ذنبه في الأرض ليبيض .

(٦) في ديوان العجاج ١٩ وكذا في اللسان (٤ : ١٦٢) : « سيل الجراد » قال ابن منظور في كلمة : « السد » : « إما أن يكون من الجراد فيكون اسماً ، وإما أن يكون جمع سدود ، وهو الذي يسد الأفق ، فيكون صفة » . والبيت في صفة جيش عمر ابن عبيد الله بن معمر ، ممدوح العجاج . وانظر ثمار القلوب ١٨٤ .

(٧) انظر الميداني (١ : ٣٧٨) .

(٨) ط : « تصاد » هو : « تصطاد » وأثبت ما في ل ، س .

(٩) فيما عدا ل : « إذا وقع عليها الندى تطلب مكاناً أرفع من موضعها » تحريف .

فإن كان مع النَّدى بَرَدٌ لبَدَ في موضعه . ولذلك قال الشاعر :

وكتيبةٍ لبَّسْتُها بكتيبةٍ كالثائر الحيران أشرَفَ للنَّدَى

الثائر : الجراد . أشرف : أي على شَرَف . للندى : أي من أجْل الندى .

(استطراد لغوى)

ويقال : سخَتْ الجرادة تسخُ سَخًّا[1] ، ورزّت وأرزّت ، وجرادة[2] [رزَّاء] ورازٌ ومُرِزٌ : إذا غرزت[3] ذنبها في الأرض . وإذا ألقَتْ بيضها قيل سَرأَت تَسْرأ سَرْءًا[4] .

ويقال : قد بَشَرَ الجرادُ الأرضَ فهو يبشرها بشراً : إذا حلقَها[5] فأكل ما عليها . [ويقال : جَرَدَ الجرادُ : إذا وقع على شيء فجرَدَه] . وأنشدني ابن الأعرابي[6] :

كما جَرَدَ الجارودُ بكرَ بنَ وائلٍ[7]

ولهذا البيت سُمِّي الجارود[8] .

---

(١) فيما عدا ل : « ويقال سبحت تسبح تسبيحاً » تحريف صوابه في ل واللسان والقاموس .
(٢) فيما عدا ل : « وجراد » .
(٣) ل : « غرت » بالراء .
(٤) ل : « ويقال سرأت تسرأ سرءاً : إذا ألقت بيضها » .
(٥) حلقها ، بالحاء المهملة والقاف . فيما عدا ل : « خلطها » تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « وأنشد ابن الأعرابي » .
(٧) صدر البيت كما في الروض الأنف (٢ : ٢٤٠) .

« وصنام بالخيل من كل جانب »

(٨) الجارود ، صحابي جليل ، وفد على الرسول في وفد عبد القيس ، وكان نصرانياً ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له موقف حسن في الردة . والجارود لقب له ، واسمه بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى ، العبدي ؛ من عبد القيس : انظر المعارف ١٤٧ =

[وأنشدنى آخر :

يقولُ أميرٌ : هل جرادٌ وضَبَّةٌ قد جَرَدَتْ بيتى وبيتَ عياليا

وهذا من الاشتقاق[١]]

ومنه قيل ثوبٌ جَرْدٌ ، بإسكان الراء ، إذا كان قد انجرد وأخلق .

قالت سُعْدَى بنت الشَّمَرْدَل[٢] :

سَبَّاءُ عاديةٍ وهادى سُربةٍ ومُقاتلٌ بطلٌ وليثٌ مِسْلَعُ[٣]

أجعلتَ أسعدَ للرِّماحِ دريئةً هبلتْكَ أمُّكَ أىَّ جَرْدٍ تَرْقَعُ[٤]

(تطيُّر النابغة)

ويدخلُ فى هذا الباب ما حدَّثنا[٥] به الأصمعىّ ، قال : تجهز النابغةُ

= والسيرة ٩٤٤ — ٩٤٥ جوتنجن ، والاشتقاق ١٩٧ . ولقب الجارود لأنه فر بإبله إلى أخواله بنى شيبان ، من بكر بن وائل ، وبإبله داء ، ففشا ذلك الداء فى إبل أخواله ، فأهلكها . انظر المعارف ، والاشتقاق ، والميدانى (١ : ١٧٣) واللسان (٤ : ٨٧) ورواية عجز البيت فيه محرفة .

(١) يريد : اشتق جردت من الجراد . وهذا الاشتقاق الذى عنى الجاحظ ، باب عظيم من أبواب الطيرة والتفاؤل عند العرب ، وهو أصل من أصول هذا الفن لديهم . انظر (٣ ٣٤٧ س ٥ / ٤٤٠ س ٦ / ٤٤١ س ٢ ، ٧ / ٤٤٤ س ٣ / ٤٤٦ س ٢) .

(٢) ل فقط : « السموءل » تحريف . والبيتان من قصيدة لها فى الأصمعيات ص ٤١ ليبسك وحماسة ابن الشجرى ٨١ — ٨٢ ، ترثى بها أخاها أسعد بن مجدعة ، قتله بنو بهز بن سليم بن منصور .

(٣) سباء : مبالغة من السبى ، وهو الأسر . والعادية : أول من يحمل من الرجالة دون الفرسان . والسربة ، بالضم : الجماعة من الخيل . والمسلع ، بالكسر : الذى يشق الفلاة . فيما عدا ل : « شماء عالية وهاد مشرف » و : « يلمع » بدل : « مسلع » تحريف . ويروى : « سباق عادية وهادى سربة » .

(٤) الدريئة : الحلقة يتعلم عليها الطعن . والجرد ، بالفتح الثوب الخلق . تقول لقاتله : ألم تجد غيره تروز به نفسك وتختبرها ؟! وتقول له : لقد طلبت مالا تنفع لك فيه ! فيما عدا ل : « أجعلت سعدى » تحريف . وانظر المخصص (٣ : ٣١ / ١٦ ، ٩٤) وأمثال الميدانى (١٠ : ١٤٠) ن : « ثكلتك أمك أى جرد ترقع ! » . وقد فسر البيت صاحب اللسان (٤ : ٨٦) تفسيرا لا خير فيه .

(٥) ل : « خبرنا » وقد سبق هذا الخبر فى (٣ : ٤٤٧) .

الذبيانيُّ مع زَبّانَ بنِ سَيّارٍ الفزاريّ ؛ للغزو . فلما أراد الرحيلَ نظرَ إلى جرادة قد سقطتْ عليه ، فقال : « جرادٌ تَجرُدُ ، وذات لونَين[1] » . فغزى مَنْ خرج في هذا الوجه : » ولم يلتفتْ زَبّانُ إلى طِيَرَتِه وزجْرِه ، ونفذ لوجهه فلما رجع إلى موضعه الذي كان النابغةُ فارقه فيه ، وذكر ما نال من السلامة والغنيمة ، أنشأ يذكر شأن النابغة فقال[2] :

تَخَبَّرَ طيرَهُ فيها زيادٌ ... لتُخبِره وما فيها خَبيرُ[3]

أقامَ كأنَّ لُقمانَ بنَ عادٍ ... أشارَ له بحكمته مُشيرُ

تَعَلَّمْ أنهُ لا طَيْرَ إلا ... على متَطيِّرٍ وهو الثُّبورُ[4]

بلى ، شيءٌ يوافقُ بعضَ شيءٍ ... أحايينًا ، وباطلُه كثيرُ

واسم النابغة زياد بن عمرو ، [وكنيته أبو ثُمامة[5]] . وأنشدني أبو عبيدة[6] :

وقائلةٍ ، مَنْ أمَّها واهتدَى لها ؟ ... زيادُ بنُ عمرو أمَّها واهتدى لها[7]

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أبشرت الأرض إبشارًا[8] : إذا بُذِرَتْ فخرج منها ١٦١

---

(١) في الثالث من الحيوان : « ذات ألوان » وبطرح الواو .

(٢) انظر مراجع الشعر التالي فيما سبق في الجزء الثالث .

(٣) « تخير » بالياء الموحدة . وفي الأصل : « طيرة » بالتاء . وفي ل : « ليخبره » وفي هو « لتخبرها » .

(٤) الطير ، بالفتح : اسم من التطير . والثبور : الهلاك .

(٥) في الشعراء ٧٠ ليدن : « ويكنى أبا أمامة ، ويقال أبا ثمامة » .

(٦) فيما عدا ل : « وأنشد أبو عبيدة » .

(٧) كذا روى الجاحظ عن أبي عبيدة . لكن في الحماسة نسبة هذا البيت إلى يزيد بن عمرو الطائي ، من أبيات أربعة ، برواية :

وقائلة من أمها طال ليله ... يزيد بن عمرو أمها فاهتدى لها

(٨) بالباء . وفيما عدا ل : « أنشرت الأرض إنشارًا » تحريف .

بذرها . فعند ذلك يقال : ما أحسنَ بَشَرَةَ الأرض (1) .

وقال الكميت ـ وكنية الجراد عندهم : أمُّ عوف . وجناحاها : بُرداها ـ ولما قال :

تنفَّض بُردَيْ أمِّ عوفٍ ولم تَطِرْ ... لنا بارقٌ ، بخٍ للوعيدِ وللرَّهْبِ (2)

وأنشدنا أبو زيد (3) :

كأن رِجليه رِجْلا مُقْطِفٍ عَجِلٍ ... إذا تجاوب من بُردَيه ترنيمُ

يقول : كأنّ رجلَي الجندب ، حين يضربُ بهما الأرض من شدة الحرِّ والرَّمْضاء ، رِجْلا رجُل مُقْطِف . والمقطف : الذى تحته دابّةٌ قَطُوف (4) ، فهو يهمزُها (5) برجليه :

---

(1) بشرة ، على لفظ بشرة الجسم .

(2) بردا الجراد والجندب : جناحاه . وبارق : قبيلة من الأزد ، وبارق هو سعد بن عدى ابن حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء . انظر الاشتقاق ١٥٩ . وفيهم يقول جرير (ديوانه ٢٠١ والأغانى ٧ : ٤٢) :

قد كان حقك أن تقول لبارق ... يا آل بارق فيم سب جرير

وبخ : كلمة التعظيم والتعجب من الشيء ، جعلها للتهكم والسخرية . والرهب بالفتح والضم : الخوف . يقول : إن بارقا كهذه الجرادة فهى تنفض جناحيها ولا تطير ، وتتوعد ولا تفعل . ل : « تنفض » ، هو « تنقفض » صوابهما فى ط ، س والمخصص (٨ : ١٧٤) واللسان (٤ : ٥٤) والغريب المصنف ١٣٩ . فيما عدا ل : « أم عمرو » صوابه فى ل والمراجع . وفى اللسان والمخصص : « ولم يطر » عرَّف . ط ، س « أنا تاروبخ » هو : « انا تاروخ » ل : « لنا بلاق بخ » صوابهما ما أثبت . ط ، س : « للذهب » هو : « وللذهب » صوابهما فى ل والمراجع .

(3) فيما عدا ل : « وأنشدنى أبو زيد » . والبيت لذى الرمة ، كما فى اللسان (١ : ٢٠٠/ ٤ : ٥٤ — ١١ : ١٩٤) والحيوان ٥٧٨ ، يصف به الجندب فى الرمضاء ، ويشبهه بالمقطف ، وهو صاحب الجمل القطوف فى السير ، فهو يهمزه لا يفتر عنه . وانظر جنى الجنتين ص ٢٣ .

(4) القطوف : المتقارب الخطو البطىء .

(5) الهمز : الغمز والضرب والدفع . ل : « يضربها » .

(شعر في الجندب والجراد)

وقال أبو زيدٍ الطائيّ ، ووصفَ الحرّ[1] [وشدته ، وعلقَ الجندب بكُراعيه] :

أيُّ ساعٍ سَعَى ليقطع شَرْبِى   حينَ لاحَتْ للصابحِ الجوزاءُ[2]
واستَكَنّ العُصفُورُ كَرْهاً مع الضَّبِّ   وأوفَى في عودِهِ الحِرباءُ[3]
ونَفَى الجندَبُ الحصَى بكُرَاعيهِ   وأذْكَتْ نِيرانَها المعزاءُ

وأنشدنا أبو زيد ، لعوف بن ذِرْوَة[4] ، في صفة الجراد :

قد خفت أن يحدّرنا للمصرينْ[5]   ويترك الدين علينا والدَّينْ[6]
زَحْفٌ من الخيفانِ بعد الزَّحْفينْ[7]   مِنْ كلِّ سفْعاء القفَا والخَدَّيْنْ[8]

---

(١) فيما عدا ل : « يصف الحر » .

(٢) سبق هذا البيت مشروحاً في ٢٣١ مع البيتين بعده ، وبعدها رابع . ط : « الصائح » محرف .

(٣) مضى شرح هذا البيت في ٢٣٢ . ط : « في عوده » تحريف .

(٤) الرجز في نوادر أبي زيد ٤٨ ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٠٤) .

(٥) يقال حدرتهم السنة : جاءت بهم إلى الحضر . ومنه قول الحطيئة :

جاءت به من بلاد الطور تحدره   حصاء لم تترك دون العصا شذبا

والمصران : البصرة والكوفة . فهو يخشى أن تحدره الأزمة إليهما . ل : « تحدر المصرين » . فيما عدا ل : « يحدث لي بالمصرين » صوابهما في النوادر واللسان (١١ : ٢٨) .

(٦) الدين والدين ، أراد بهما الديون الكثيرة . فيما عدا ل : « تترك » تحريف . وفاعله كلمة : « زحف » في البيت التالي . فيما عدا ل : « ويترك الدين علي » تحريف .

(٧) الخيفان ، بالفتح : جمع خيفانة . وانظر ص ٥٥٢ ، للزحف الجماعة . وفي المخصص (٨ : ١٧٤) : « أبو حنيفة : إذا كانت قطعة من جراد قدر ميل سميت الرجل . وإذا كان أكثر من ذلك فهو زحف » . قال ابن منظور : « أراد بعد زحفين ، لكنه كره الزحاف فأدخل الألف واللام لإكمال الجزء » . فيما عدا ل : « من الخيلين » صوابه في ل والنوادر واللسان .

(٨) السفعاء : السوداء . س : « سفاء » محرفة .

مُلمونَةٍ تَسلَخُ لوناً عن لونْ[1] كأنها مُلتَفّةٌ في بُردَينْ[2]

تُنحِى على الشُّراخِ مثلَ الفأسَينْ[3]

أو مثلَ مِنشارٍ غليظِ الحرْفَينْ[4]

أنصبَهُ منصِبُهُ في قِحفَينْ[5]

وعلى معنى قوله :

تُنحى عَلَى الشُّراخِ مثلَ الفأسينْ أو مثلَ مِنشارٍ غليظِ الحرفينْ

قال حمادٌ لأبي عطاء[6] :

فما صفراء تُكنَى أمّ عوفٍ كأنّ رُجيلَتَيها مِنجَلانِ[7]

(تشبيه الفرس بالجرادة)

ويُوصفُ الفرسُ فيشبه بالجرادة ، ولذا قال الشاعر[8] :

---

(١) فيما عدا ل : « لونين » وقد سبقت هذه الرواية في (٤ : ٢٢٦) وأثبت ما في ل والنوادر .

(٢) ط ، س : « ملففة » صوابهما في ل ، ﻫ والنوادر .

(٣) يقال أنحى على حلقه السكين : عرضها . الشراخ : الشكال الذى عليه البسر ، وقد يكون في العنب ، ولعله عنى به السنابل .

(٤) المنشار ، بالهمز : المنشار . فيما عدا ل : « منشار » . « غليظ » كذا جاءت روايته في الأصل ومحاضرات الراغب . والرواية في النوادر : « حديد » بمعنى حاد .

(٥) أنصبه : جعله في نصاب . والنصاب ، بالكسر : المقبض : فيما عدا ل : « منصبة » تحريف . والقحف ، بالكسر : الفلقة من القصعة إذا انثلمت .

(٦) حماد هنا ، هو حماد الراوية . وأبو عطاء ، لقب لشاعر من مخضرمي الدولتين ، واسمه أفلح بن يسار . وكان أبو يسار سنديا أعجميا لا يفصح ، وكانت في لسان أبي عطاء لكنة شديدة ولثغة . ومات في آخر أيام المنصور . انظر الأغاني (١٦ : ٧٨ — ٨٤) . وانظر الخبر الخزانة (٤ : ١٧٠ بولاق) والشعراء ١٧٩ والشريشي (٢ : ١٣٢) . فيما عدا ل : « لأبي العطاء » تحريف .

(٧) عند الشريشي : « كأن سويقتيها » . وقد أجاب أبو عطاء حماداً بقوله :

أردت زرادة وأظن زنا بأنك ما أردت سوى لساني

أي أردت جرادة وأظن ظناً أنك لن تقصد إلا أن تستخرج رطانتي .

(٨) ل : « ويشبه بالجرادة ولذلك قال الشاعر » .

فإذا أتيتَ أباكَ فاشترِ مِثلها ... إنّ الرَّدافَ عن الأحبَّة يشغَلُ[1]
فإذا رفعتَ عِنانَها فجرادةٌ ... وإذا وضعتَ عِنانَها لاتفشلُ

ولم يرضَ بشرُ بن أبي خازمٍ بأن يشبهه[2] بالجرادة حتى جعله ذكراً، ١٦٢
حيثُ يقول :

بكلِّ قِيادِ مُسْنِفَةٍ عَنُودٍ ... أضَرَّ بها المسالحِ والغِوارُ[3]
مُهارِشَةِ العِنَانِ كأنّ فيها ... جَرَادةَ هَبْوَةٍ فيها اصفرارُ[4]

فوصفها[5] بالصُّفرة ؛ لأن الصفرة هي المذكورة[6] ، [وهي] أخفُّ أبداناً ،
وتكونُ لخفة الأبدانِ أشدَّ طيراناً .

(تشبيه مسامير الدرع بحدق الجراد)

ويوصف قَتيرُ الدِّرعِ ومساميرُها [فيشبَّهُ[7]] بحَدَقِ الجراد[8] . وقال
قيس بن الخطيم :

---

(١) فيما عدا ل : « فإذا أتيت الردف فاشتر مثلها » وهذا البيت مؤخر عن التالي فيما عدا ل .
(٢) فيما عدا ل : « شبهه » .
(٣) المسنفة ، بكسر النون : المتقدمة ؛ وبفتحها : التي شد عليها السناف ، وهو لبب يشد من وراء السرج إلى صدر الفرس لئلا يتأخر السرج . والعنود : التي تعاند الطريق من مرحها ونشاطها . المسالح : المراقب والثغور . والغوار ، بكسر الغين المهملة : مصدر غاور . والمغاورة : المداولة ، أراد مغاورة الطعن والضرب . فيما عدا ل : « فكل » و : « مسبقة » وفي ط ، س : « محود » و هو : « عود » وصواب ذلك من ل والمفضليات (٩٨ : ٣ طبع المعارف) . ل فقط : « المسالح » . وفيها عدا ل : « العرار » صوابه في ل . ورواية المفضليات : « الغوار » وهو مصدر غاور كالمغاورة .
(٤) المهارشة : المقاتلة . أي تجاذب العنان من شدة المرح . والهبوة : الغبار . وخص جرادة الهبوة لأنها أشد طيراناً .
(٥) أي وصف فرسه . والفرس يذكر ويؤنث .
(٦) فيما عدا ل : « لأن الصفر المذكورة » .
(٧) ليست في الأصل ، وبها يلتئم الكلام . وانظر س ١٠ من الصفحة السابقة .
(٨) القتير : رءوس مسامير الدرع . وحدقة العين : سوادها الأعظم .

ولما رأيت الحرب حرباً تجرّدَتْ لبستُ مع البُردَيْنِ ثوبَ المحاربِ(١)
مضاعفةً يغشى الأناملَ فضلُها كأنّ قتيريْها عيونُ الجنادبِ(٢)

وقال للقَنّع الكِنْدِى(٣) :

ولى نَثرةٌ ما أبصرَتْ عينُ ناظرٍ كصُنعِ لها صُنْعًا ولا سَرْدِها سَرْدَا(٤)
تلاحَمَ منها سَردُها فكأنّما
عيونُ الدَّبا فى الأرضِ تجردُها جَرْدَا(٥)

وقال عمرو بن معد يكرِبَ(٦) :

تمنّانى ليلقانى أُبَىٌّ ودِدْتُ وأين مابِىَ ودادِى(٧)
تمنّانى وسابغَتِى دِلاصٌ عَروسُ الجِنِّ مُحكَمةُ السَّرادِ(٨)
مضاعفةٌ تخيّرَها سُلَيمٌ كأنّ سِكاكَها حَدَقُ الجرادِ(٩)

---

(١) تجردت ، يقال تجرد للأمر : جد فيه ومضى . ط : «تحدرت» سه ، هو : «تحددت» صوابهما فى ل وديوان القيس ١٢ لبيد وحماسة البحترى ٤٠ . ط فقط : «من البردين» تحريف .
(٢) مضاعفة : درع تنسج حلقتين حلقتين . فضلها : زيادتها . ط : «قتيرها» هو : «قترها» ، صوابهما فى ل والديوان .
(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ١٢٨) .
(٤) النثرة ، بالفتح : الدرع الواسعة . والسرد : نسج الدرع .
(٥) تجردها : تأكل نبتها وتحلقه . ط ، هو : «تجرها» صوابه فى ل ، سه .
(٦) كان عمرو قد غزا هو وأبى المرادى ، فأصابا غنائم ، فادعى أبى أنه كان مسانداً ، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً ، وبلغ عمراً أنه توعده ، فقال فى ذلك هذا الشعر . انظر الأغانى (١٤ : ٣٢) .
(٧) ما ، فى : «أين ما» زائدة . أراد : أين منى ما أرده من لقائه ؟! ورسمت الكلمة متصلة فى الأغانى وتبعها ل .
(٨) السابغة : الدرع الضفاضفة . وعجز هذا البيت وصدر تاليه ليسا فى ل والأغانى ، وفيهما صدر هذا البيت مع عجز البيت التالى . سه : «خروش الجن» ، هو : «عروس الجن» وأثبت ما فى ط .
(٩) سليم : أراد به سليمان بن داود . فاضطره الشعر . وقد أخطأ أيضاً فى نسبة الدرع إلى سليمان ، وإنما أراد داود أبا سليمان . انظر المعرب ١٩١ والعمدة (باب الإحالة والتغيير) . والسكاك ، بالكسر : جمع سك ، بالفتح ، وهو المسمار . قال دريد :

(تشبيه وسط الفرس بوسط الجرادة)

[ويوصفُ وسط الفرَس بوَسط الجرادة . قال رجلٌ من عبد القيس [١] يصف فرَساً :

أما إذا ما استُدْبِرت فطمَّة ... تنفى سنابكُها رضيضَ الجندَلِ [٢]]

(تشبيه الحباب بحدق الجراد)

ويوصفُ حَباب الشراب بحدق الجراد . قال المتلمِّس :

كأنى شاربٌ يومَ استَبَدُّوا ... وحثّ بهم وراء البِيدِ حادِى [٣]

عُقاراً عُتِّقَتْ فى الدّنّ حتى ... كأنّ حَبابَها حَدَقُ الجرادِ [٤]

(لُعاب الجندب)

وإذا صفاَ الشَّرابُ ورقّ شبَّهوه بلُعاب الجندب . ولذا قال [الشاعر [٥]] :

= يحفه لا ترتقى إلا إليه فزع ... من نسج داود فيها السك مقتور

فيها عدا ل وكذا فى الأصل : « فتيرها » . وفى ل : « فكاكها » بالشين ، صوابه هذه ما أثبت .

(١) هو ابن سنان العبدى ، كما سبق فى (١ : ٢٧٥) .

(٢) صدره فى الأصل ، وهو هنا ل : « وإذا استدبرت قطمة » . وقد أتممته بكلمتى : « أما » و « ما » . وروايته فى الجزء الأول :

أما إذا تشعد فهى نعلة ... تنفى سنابكها صلاب الجندل

(٣) استبد فلان بأمره وبرأيه : انفرد به . وقال ابن الشجرى فى الحماسة ٢٤٩ : « استبدوا : مضوا برأيهم . ووراء البيد : حال دونهم البيد » . ط : « وحثهم » صوابه فى سائر النسخ وحماسة ابن الشجرى والخزانة (٣ : ٧١ بولاق) .

(٤) العقار ، بالضم : التى عاقرت الدن ، أطالت المكث فيه . والحباب ، بالفتح : الفقاعات والفقاقيع التى تطفو كأنها القوارير .

(٥) عله من ل ، س .

صفراء من حَلَبِ الكُرُومِ كأنّها ماء المفاصِل أو لُعابُ الجُنْدُبِ [١]

ولُعاب الجندب سمٌّ على الأشجار ، لايقع على شيء إلا أحرقه .

(زعم في الدّبا)

ولا يزالُ بعضُ من يدّعي العِلمَ يزعمُ أن الدّبا يُريد الخضرة ، ودونها النهر الجارى [٢] ، فيصيرُ بعضه جسراً لبعضٍ ، حتى يعبُرَ إلى الخضرة ، وأن تلك حيلةٌ منها .

وليس [ذلك] كما قال : ولكنّ الزّحفَ [٣] الأول من الدبا يريد الخضرة ، فلا يستطيعها إلا بالعبور إليها ، فإذا صارت تلك القطعة فوق الماء طافيةً صارت تلك [٤] لعمرى أرضاً للزحف الثانى الذى يريد الخضرة .

١٦٣ فإن [٥] سمّوا ذلك جسراً استقام . فأما أن يكون الزحفُ الأولُ مهّد للثانى [ومكّن [٦]] له ، وآثَرَه بالكفاية — فهذا ما لا يُعرفُ .

ولو أن الزحفين جميعاً أشرفا على النهر ، وأمسَكَ أحدُهما عن تكلُّف العبور إلى أن يمهّد له الآخر — كان ذلك قولا .

(استطراد لغوى)

ويقال في الجراد : خِرقة من جراد ، والجميع خِرَق [٧] . وقال الشاعر :

---

(١) المفاصل : ماء بين السهل والجبل . انظر (٢ : ٣٥٠ — ٣٥١) وثمار القلوب ٤٤٦ .

(٢) ل : « يريد الخضرة » تحريف . وفي ل أيضاً : « ودونه الماء الجارى » .

(٣) الزحف ، بالفتح : الجماعة تزحف .

(٤) هذه الكلمة ليست في ل .

(٥) ط فقط : « فإذا » .

(٦) هذه من ل ، س ، هو .

(٧) الخرقة : بكسر الخاء المعجمة ، وجمعها خرق بكسر ففتح . ل : « حرقة » =

كأنها خِرَقُ الجرَا   دِ يثورُ يومَ غُبارِ[1]

ويقال للقطعة الكثيرة منها رِجْل جراد ، ورِجلةٌ من جراد . والثَّوْل[2] : القطعة من النحل .

وتوصف كثرة النَّبْلِ[3] ، ومرورها ، وسرعةُ ذلك بالجراد . [وقال أبو النجم[4] :

كأنما المَعْزاء من نِضالها[5]   رِجلُ جرادٍ طار عن حِدَالها[6]

= و « حزق » بالحاء المهملة والزاي ، وهي صحيحة بمعنى الأول . سو ، هو : « حرقة » و « حرق » تصحيف . وفيما عدا ل : « الجميع » موضع : « الجميع » وهما بمعنى . وينشدون في الخرقة قول الراجز (اللسان خرق والمخصص ٨ : ١٧٤ وابن دريد ٢ : ٢١٣) :

قد نزلت بساحة ابن واصل   خرقة رجل من جراد نازل

(١) هذا بيت من مجزوء الكامل، وقد أنشده أيضاً صاحب نظام الغريب ١٨٤ . ط فقط « وكأنها » بزيادة واو ، وبذلك تسلم التفعيلة الأولى من الوقص . وأثبت ما في سائر النسخ ونظام الغريب .

(٢) الثول ، بفتح الثاء ، وآخره لام . وفي اللسان : « الثول جماعة النحل ، يقال لها الثول والدبر . ولا واحد لشيء من هذا من لفظه » . فيما عدا ل : « الثورة » بالراء ، تحريف .

(٣) النبل ، بالفتح : السهام . ط ، هو : « السهام » لكن في سو : « الجراد » محرف .

(٤) يصف الحمر في عدوها وتطاير الحصى من حوافرها . انظر اللسان (١٣ : ٢٨٩ س ١٧) .

(٥) المعزاء والأمعز : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة .

(٦) الحدال ، بكسر الحاء المهملة : مصدر حادلت الأتن العير أي راوغته . قال ذو الرمة :

من القبض بالأقتاد أو سيحانها   إذا رابه استعصاؤها وحدالها

في الأصل ، وهو هنا ل : « خدالها » بالخاء المعجمة والدال . وفي اللسان والفائق (١ : ٣٣٣) : « خذالها » بالخاء والذال المعجمتين ، صوابهما ما أثبت . والرجل من الجراد تذكر وتؤنث . قال الزمخشري في الفائق : « وقد جمعهما أبو النجم في قوله » وأنشد البيت .

وإذا جاء منه ما يسدُّ الأفق قالوا : رأينا سَدًّا من جراد] . وقال للمفضل النُّكرى[1] :

كأنّ النَّبل بينهم جرادٌ   تُهيِّجه شآمِيَةٌ خَرِيق[2]

والمرتجل : الذى [قد] أصابَ رِجْل جرادٍ ، فهو يشويه .

وقال بعضُ الرُّجَّاز ، وهو يصفُ خيلاً قد أقبلت إلى الحى[3] :

حتى رأينا كدُخانِ المرتجِلْ   أوشبَهَ الحَفّانِ ، فى سفحِ الجبَلْ[4]

و[لأن] الحفّانَ[5] أتمُّ أبدانًا ، قال ابنُ الزِّبَعرَى[6] :

ليتَ أشياخى ببدرٍ شهدوا   جزَعَ الخزرجِ من وَقْعِ الأسَلْ
حينَ ألقتْ بقُباءَ بَرْكَها   واستحَرَّ القتلُ فى عبدِ الأشَلْ[7]

---

(١) هو المفضل بن عامر النكرى ، بضم النون ، نسبة إلى نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . فهو نكرى عبدى ، وهو صاحب القصيدة المنصفة . وهى فى الأصمعيات ص ٥٣ . ومنها البيت التى أنشده الجاحظ . انظر المعارف ٤٢ س ٢ والعينى (٢ : ٢٣٥) . وفى الأصل : « اليكرى » بالياء ، تحريف .

(٢) شآمية : ريح من قبل الشأم . والخريق : الباردة الشديدة الهبوب . ... : « يهيجه » ط : « خريق » صوابه فى سائر النسخ والأصمعيات والعينى .

(٣) فيما عدا ل : « مقبلة إلى الحى » .

(٤) مما جاء فى دخان المرتجل أيضاً قول لبيد فى معلقته :

فتنازعا سبطاً يطير ظلاله   كدخان مرتجل يشب ضرامها

(٥) الحفان ، بفتح الحاء وتشديد الفاء : أولاد النعام ، الواحدة حفانة . وهذا البيت الأخير ليس فى ل .

(٦) أى أتم أولاد النعام أبداناً . وفيما عدا ل : « وقال ابن الزبعرى » . وهو عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم القرشى . والزبعرى أبوه ، وهو بكسر الزاى وفتح الباء ، مقصور ، وهو فى اللغة السيئ الخلق والغليظ . كان من أشعر قريش وكان شديداً على المسلمين ثم أسلم فى الفتح سنة ثمان ، واعتذر عن إيذاء المسلمين والرسول . الإصابة ٤٦٧٠ والمؤتلف ١٣٢ . والشعر التالى قاله فى يوم أحد قبل أن يسلم ، من قصيدة فى السيرة ٦١٦ جوتنجن .

(٧) قباء ، بضم القاف : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة . والبرك ، بالفتح : الإبل الكثيرة . استحر : اشتد . فيما عدا ل : « بفنائه » . تحريف . وفى السيرة : « حين حكت » .

ساعــةً ثمَّ انتحَوا رَقَصًا رَقَصَ الحفَّانِ فى سَفْحِ الجبَلْ[1]

وقتلنا الضِّعفَ مِنْ ساداتِهِمْ وعدلْنا مَيْلَ بدْرٍ فاعتدَلْ[2]

(طيب الجراد الأعرابى)

والجرادُ الأعرابىُّ لايتقدمه فى الطِّيب شىء . وما أحصى كم سمِعتُ من الأعراب مَنْ يقول : ماشبِعتُ منه قطُّ ! وما أدَعُهُ إلا خوفًا من عاقبته أو لأنى أعيا فأتركه !

(أكل الجراد)

والجرادُ يطيب حارًّا وباردًا ، ومشويًّا ومطبوخًا ، ومنظومًا فى خيط ، ومجعولا فى مَلَّة[3] .

والبيض الذى يتقدَّمُ فى الطيب ثلاثةُ أجناس : بيض الأسبور[4] وبيض الدَّجاج[5] ، [وبيضُ الجراد . وبيضُ الجراد فوقَ بيض الأسبور

---

(١) الرقص ، بالتحريك : ضرب من الخبب .

(٢) الضعف ، أى ضعف ما قتلوا منا فى يوم بدر . والميل : الفضل والزيادة . يقول : اعتدل ميل بدر ؛ إذ قتلنا مثلهم يوم أحد . انظر أمالى القالى (١ : ١٤٢) . فيما عدا ل : « وقتلنا الصعب » وأثبت ما فى ل والسيرة .

(٣) الملة ، بالفتح : الرماد الحار ، والجمر . ط فقط : « فى آكلة » تحريف .

(٤) الأسبور : سمك يجرى سيل المطهث منه فى (٣ : ٢٠٩) . فيما عدا ل : « الأشبوره » تصحيف . ولعله معرب من اللاتينية : Sparidae . وفى ط فقط : « وبيض » بإقحام الواو .

(٥) ط ، هو : « وفوق بيض الدجاج » محرف . والتكملة التالية مأخوذة من الجمع بين ما فى ل ، س .

فى الطيب[1] . و بيضُ الأسبور فوق بيض الدَّجاج[2]] .

وجاء فى الأثر ، أنّ الجراد ذُكِرَ عندَ عمر فقال : « ليت لنا منه قَفْعَةً أو قفعتين[3] » .

وهو يؤكل يابساً وغير يابس ، و يجعل أُدْما ونَقْلا[4]

والجرادُ للأكولُ ضروبٌ ؛ فمنه الأهوازىّ ، ومنه المُذنَّب[5] ، وأطيبُهُ الأعرابىّ وأهل خُراسانَ لا يأكلونه[6] .

(قصة فى الولوع بأكل الجراد)

وحدَّثنى رَتْبيل بن عمرو بن رَتْبيل[7] قال : واللهِ إنِّى لجالسٌ[8] على

١٦٤ باب دارى فى بنى صبير ؛ إذ أقبلت امرأةٌ لم أر قطُّ أتمَّ حسناً ومِلْحًا[9]

---

(١) الكلام من : « و بيض الجراد » الأخيرة . إلى هنا من سه فقط .

(٢) هذه العبارة مشتركة بين ل ، سه . لكن فى سه : « والأكبور » فى هذا الموضع وسابقه .

(٣) القفعة ، بفتح القاف بعدها فاء ساكنة : شىء كالقفة واسع الأسفل ضيق الأعلى . ل : « قفعة أو قفحان » وفيما عدا ل : « قفة أو قفتين » صوابهما ما أثبت من اللسان (١٠ : ١٦٣) والفائق (٢ : ١٧٩) .

(٤) الأدم ، بالضم : ما يؤكل بالخبز . والنقل ، بالفتح : ما يعبث به الشارب على شرابه ويتنقل به ، ويقال أيضاً بالضم ، وقيل الضم عامية . وفى جمهرة ابن دريد (٣ : ١٦٤) : « النقل : الذى يتنقل به على الشراب ، مفتوح النون » .

(٥) فيما عدا ل : منه الأهوازى » ط ، سه : ومنه المذنب » . والعبارة الأخيرة ساقطة من هـ .

(٦) سبق مثل هذا الكلام فى (٤ : ٤٤ س ١٠) .

(٧) كذا وردت هذه الكلمة فى ل مضبوطة فى هذا الموضع والذى قبله . وفى القاموس : « رتبيل » بضم الراء . وفيما عدا ل : « زبيل » فى الموضعين . وفى سه ، هـ : فقط « بن عمرو بن عمرو » بالتكرار .

(٨) فيما عدا ل : « جالس » .

(٩) الملح ، بالكسر : الملاحة و الطيب .

وجسها منها ، ورأيت فى مشيها تأوُّداً ، ورأيتها تلفت . فلم أَلبثْ أن طلعتْ أخرى لا[1] أدرى أيتهما أقدم ، إذ قالت التى رأيتها بدئًا[2] للأخرى : مالكِ لا تلحقينى[3] ؟ قالت : أنا منذ أيام [كثيرة] أكثرُ أكلَ هذا الجراد[4] ، قد أضعفنى ! قالت : وإنكِ لتحبِّينه حبًّا تحملين له مثلَ ما أرى بكِ من الضَّعف[5] ؟ قالت : والله إنه لأحبُّ إلىَّ من الحبل ! .

(طرفة فى الجراد)

وقال الأصمعى : قال رجلٌ من أهل المدينة لامرأته : لاجزَاكِ اللهُ خيراً ، فإنكِ غيرُ مُرْعِيَةٍ ولا مبقية[6] ! قالت : لأنا والله أرْعَى وأبقى من التى كانت قبلى[7] ! قال : فأنت طالقٌ إن لم أكنْ كنتُ آتيها بجرادةٍ فتطبخُ منها أربعة ألوان ، وتَشْوى جنبَيها[8] ! فرفعَتْهُ إلى القاضى[9] فجعل القاضى يفكر ويطلبُ له المخرَج . قال القاضى : أصلحك الله أَأَشكلت[10] عليك [المسألة] ؟ هى طالقٌ عشرين[11] !

---

(١) ط ، صو : « فلا » .
(٢) بديا : بدأ . فيما عدا ل : « بدءا » . وانظر هذا الجزء ص ١٦ .
(٣) « لا تلحقينى » . بنون واحدة قبل الياء . وهو أحد مذاهب ثلاثة فى نحو : (تأمرونى) والمذهب الثانى إثبات النونين مع الفك ، والثالث إدغام النونين . وقد قرئ بهن فى السبع ، انظر المغنى (حرف النون) وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٦ . فيما عدا ل : « تلحقين » .
(٤) ل : « أكل الجراد » بطلق : « هذا » .
(٥) ل : « مثل الذى بك » وكلمة : « من الضعف » ليست فى ل .
(٦) الإبقاء : الرحمة والشفقة ، ومثله الإرعاء .
(٧) فيما عدا ل : « والله إنى لأرعى وأبقى من التى كانت قبل » .
(٨) فيما عدا ل : « جنبها » بالإفراد .
(٩) رفعته : قربته وقدمته إليه ليحاكمه . فيما عدا ل : « فرفعت » .
(١٠) ل : « أشكلت » بحذف حرف الاستفهام .
(١١) فيما عدا ل : « فهى طالق عشرين » .

(تشبيه الجيش بالدبا)

ووصف الراجزُ حرباً ، فوصفَ دنوّ الرَّجّالة من الرَّجّالة[1] ، فقال :

* أو كالدَّبا دبَّ ضُحًا إلى الدَّبا[2] *

(قول أبي إسحاق في آية الضفادع)

وقرأ بعضُ أصحابنا بحضرة أبي إسحاق[3] : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ[4] ﴾ فقال رجلٌ لأبي إسحاق : انظر كيف قرَنَ الضفادعَ مع ضعفها إلى الطوفان ، مع قوة الطوفان وغلبته . قال أبو إسحاق : الضفادعُ أعجبُ في هذا الموضع[5] من الطوفان ، وإذا[6] أراد الله تعالى أن يصيِّر الضفادعَ أضرَّ من الطوفان فعل

(شعر في تشبيه بالجراد)

وقال أبو الهِنْدِيّ[7] :

---

(١) الرجالة ، بفتح الراء وتشديد الجيم : جمع رجل ، الذي ليس له ظهر يركبه .

(٢) ط ، هو : « أتوا كالدبا » صوابه في ل ، س . وفي س : « رب ضحى إلى الربا » محرف .

(٣) هو إبراهيم بن سيار النظام ، شيخ الجاحظ . هو : « بحضر » تحريف .

(٤) الآيتان ١٣٢ ، ١٣٣ من سورة الأعراف .

(٥) ل : « في هذه المواضع » .

(٦) فيما عدا ل : « فإذا » .

(٧) اسمه غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي . وقد أدرك الدولتين ، وكان =

لما سمعتُ الدِّيكَ صاحَ بسُحْرَةٍ   وتوسّطَ النَّسْرانِ بَطْنَ العَقْرَبِ
وتتابعتْ عُصَبُ النُّجومِ كأنّها   عُقْرُ الظِّباءِ على فُروعِ الرَّقْرَبِ(١)
وبَدا سُهَيلٌ في السماءِ كأنّه   ثَورٌ وعارضَهُ هِجانُ الرَّبْرَبِ(٢)
نَبَّهتُ نَدْمانِي فقلتُ له اصطَبِحْ
يا بنَ الكرامِ من الشَّرابِ الأصْهَبِ(٣)
صفراءَ تنْزُو في الإناءِ كأنّها   عَيْنُ الجرادةِ أو لُعابُ الجُنْدُبِ
نَزْوَ الدَّبا مِنْ حَرِّ كُلِّ ظَهِيرةٍ   وقَّادةٍ ، حِرْباؤُها يتقلَّبُ(٤)

وقال أبو المندى أيضاً :

فإنَّ هذا الوَطْبَ لي ضائرٌ   في ظاهرِ الأمرِ وفي الغامضِ(٥)
إن كنتَ تسقيني فمِنْ قَهْوةٍ   صفراءَ مثلِ المُزَّةِ الماعضِ(٦)
[تنْزُو الفقاقيعُ إذا شُعْشِعَتْ   نَزْوَ جَرادِ البلدِ الرَّامِضِ(٧)]

وقال الأَفْوهُ : ١٦٥

بمناقبٍ بِيضٍ ، كأنّ وُجوهَهم   زَهَرٌ قُبيلَ تَرَجُّلِ الشمسِ(٨)

= جزل الشعر ، لطيف المعاني ، وإنما أخمله وأمات ذكره بعده من بلاد العرب ، ومقامه بسجستان وبخراسان . قالوا : وهو أول من وصف الخمر من شعراء الإسلام فجعل وصفها وكده . انظر الأغاني (٢١ : ١٧٧ — ١٨٠) .

(١) ل : « حزق الوحوش » . والحزق : الجماعات .

(٢) الهجان : البيض . والربرب : القطيع من بقر الوحش . ل : « وكأنه ثرب » وفي الأغاني : « نور » صوابهما ما في سائر النسخ .

(٣) الندمان : بالفتح ، النديم . فيما عدا ل : « مع الشراب » صوابه في ل والأغاني .

(٤) فيما عدا ل : « تتقلب » .

(٥) الوطب : سقاء اللبن ، وهو جلد الجذع فما فوقه . يقول : لا تسقني اللبن . وغامض الأمر : باطنه . فيما عدا ل : « وفي العارض » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « إن كنت ساقيها » . والقهوة : الخمر .

(٧) تنزو : تتوثب . شعشعت : مزجت بالماء . والبلد من الأرض : ما كان مأوى الحيوان وإن لم يكن فيه بناء . والرامض : الشديد الحر .

(٨) المناقب : جمع منقبة ، وهي كرم الفعل . وترجل الشمس : ارتفاعها . قال : =

دَبُّوا كمنتشر الجرادِ هوَتْ بالبطن ، فى دِرعٍ وفى تُرُسٍ[1]
وكأنها - آجالُ عادِيةٍ حطَّتْ إلى إجْل من الخُنُسِ[2]

(أقوال فيما يضر من الأشياء)

وروى[3] الأصمعى ، وأبو الحسن ، عن بعض المشايخ قال : ثلاثة أشياء ربما صرعتْ أهلَ البيت عن آخرهم : أكلُ الجراد ، ولحوم الإبل ، والقُطْر من الكَمْأة[4]

وقال غيرُهما : [شربُ الماء فى الليل يورث الخبل ، والنظر إلى المحتضر يورث ضعف القلب ، والاطلاع فى الآبار العادِيّة ينقُض التركيب[5] ، ويُسْئِل مصارعَ السَّوء] . فأما القُطْر الذى يَخْلَق[6] فى ظلٍّ شجر الزيتون

وهاج به لما ترحلت الضحى عصائب شتى من كلاب ونابل
فيما عدا ل ، « وكأن وجوهها » تحريف . س ، هو : « ترحل » بالحاء ، صوابه فى ل ، ط .

(١) البطن : بطن الوادى . والدرع والترس من السلاح ، أى فى دروعهم وتروسهم . فيما عدا ل : « دفوا » . وفى س : « لمنتشر » تحريف . فيما عدا ل . « البطن » . ط ، س ، « فى درع وفى برس » ل : « فى ذرع وفى برس » . والبرس : القطن . وأثبت ما فى هو .

(٢) الآجال : جمع إجل بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش . والعادية : التى تعدو . والخنس : جمع أخنس وخنساء ، وهو الذى قصرت قصبته وارتدت أرنبته إلى قصبته . والبقر كلها خنس . فيما عدا ل : « إقبال غادية حطت إلى حل من الحبس » تحريف .

(٣) هذه الكلمة ليست فى ل ، س .

(٤) القطر ، بالضم : جنس من الكمأة أبيض عظام . هو ، س : « القطير » تحريف .

(٥) العادية : القديمة ، كالمنسوبة إلى عاد . ينقض ، بالضاد المعجمة : يفسد .

(٦) ط ، هو : « وأما » . والقطر ، سبق تفسيره . هو فقط : « القطير » محرف . فيما عدا ل : « يتخلق » .

[فإنما هو حشفٌ قاضٍ ، وسمٌّ ناقع . وكل شيء يخلق تحت ظلال الشجر يكون رديئاً ، وأردؤه شجر الزيتون] ، وربما[1] قتل ، وإن كان مما اجتُني من أوساط الصحارى[2] .

قالوا : ومما يقتُلُ الحمّامُ على المَلأة[3] ، والجماع على البِطْنة ، و[الإكثارُ من] القديدِ اليابس[4] .

وقال الآخر : شربُ الماء البارد على[5] [الظمإ الشديد — إذا عجّل الكرعَ ، وعظّم الجرع ، ولم يقطع النفس — يقتُل] .

قالوا[6] : وثلاثٌ تورثُ الهُزال : شرب الماء عَلَى الرِّيق ، والنوم على غير وِطاء[7] ، وكثرة الكلام برفع الصوت ، [والجماعُ على الامتلاء من الطعام ودخوله . وربما[8] خيف عليه أن يكون قاتل نفسه] .

[و] قالوا : وأربعةُ أشياء تسرع[9] إلى العقل بالإفساد : الإكثار من البصل[10] ، والباقلّى ، والجماع ، والخُمار[11]

---

(١) ط فقط : « فربما » .

(٢) أوساط : ، جمع وسط . ط ، ه : « أوسط » .

(٣) الملأة ، بالكسر : الامتلاء . ل : « المليئة » وفيما عدا ل ، ط : « الملية » صوابها ما أثبت .

(٤) القديد : ما قطع من اللحم وشرر ، أي بسط في الشمس ، واللحم المملوح المجفف في الشمس .

(٥) فيما عدا ل : « على الريق » . وكلمة : « البارد » ليست في ل . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢٧٦) .

(٦) ل فقط : « قال » .

(٧) الوطاء ، بالكسر ، والفتح من الكسائي : خلاف الغطاء . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢٧١) .

(٨) هذه الكلمة ليست في الأصل ، وبها تتم ل .

(٩) فيما عدا ل ، وكذا في عيون الأخبار (٣ : ٢٧٢) : « تقصد » .

(١٠) فيما عدا ل : « من أكل البصل » .

(١١) الباقلى بشد اللام مع القصر ويخفف ، مثله الباقلاء بتخفيف اللام مع المد : الفول . انظر (٣ : ٣٥٥) . فيما عدا ل : « الباقلا » تحريف . وكلمة : « الجماع » ساقطة من س . والخمار ، بالضم : صداع السكر وأذاها .

وأما ما يذكرون فى هذا الباب من الهمّ والوحدة والفِكرة[1] ، فجميع الناس يعرفون ذلك .

وأما الذى لا يعرفه إلا الخاصة فالكفاية التامة[2] ، والتفظيع الدائم ، وإعمال الفكر ، والأخذ من العلم . هذا قول أبى إسحاق .

[وقال أبو إسحاق] : ثلاثة أشياء تخلِق العقلَ ، وتفسِد الذّهن : طولُ النظر فى المرآة ، والاستغراقُ فى الضحك ، ودوام[3] النظر إلى البحر .

وقال مُعمّر[4] : قُطِعت فى ثلاثة مجالس[5] ، لم أجِدْ لذلك علةً ؛ إلا أنى أكثرتُ فى [أحد] تلك الأيام من أكل الباذنجان ، وفى اليوم الآخر[6] من [أكل] الزيتون ، وفى اليوم الثالث مِنْ الباقلّى[7] .

وزعم أنه كلم رجلاً من الملحدين فى بعض الشكايا ، وأنه علاه عُلوًّا ظاهراً قاهراً ، وأنه بَكَرَ على بقيةِ ما فى مسألته من التخريج ، فأجْبَلَ وأصْفَى[8] ، فقال له خصمه : ما أحدثتَ بعدى ؟ قال : قلتُ : ما أتّهِمُ إلا إكثارى البارحةَ من الباذنجان ! فقال [لى] — وما خالف إلى التّهمة — : ما[9] أشكُّ أنك لم تُؤتَ إلا منه !

---

(١) ل : « فأما » و : « الكثرة » بدل : « الفكرة » تحريف .

(٢) ل ، س : « فأما » . ط فقط : « بالكفاية » وهذه محرفة .

(٣) كذا فى ل وعيون الأخبار (٣ : ٢٧٢) . وفيما عدا ل : « وطول » .

(٤) هو معمر بن عباد السلمى ، صاحب فرقة المعمرية من المعتزلة . وقد سبق بعض ترجمته فى (٣ : ٢٥٧ — ٢٥٨) . ومعمر بتشديد الميم ، كما هو فى ل ولسان الميزان (٦ : ٧١) .

(٥) قطعه قطعاً : بكته بالحق فانقطعت حجته .

(٦) فيما عدا ل : « وفى يوم آخر » .

(٧) فيما عدا ل : « وفى يوم آخر من الباقلاء » لكن فى س : « الباقلا » وهذه محرفة .

(٨) أجبل : صعب عليه القول ، كأنه انتهى إلى جبل منعه . وأصفى الرجل من المال والأدب أى خلا .

(٩) فيما عدا ل : « وما » ، بإقحام الواو .

وقال لي مَن أثقُ به: ما أخذت قط شيئًا من البلاذُر [1] فنازعت أحدًا إلا ظهَرتُ عليه [2].

وقال أبو ناصرة [3]: ما أعرف وجهَ انتفاع الناس بالبلاذُر إلا أن يأخذ العصَب. قلت: فأي شيء بقي بعد صلاح العصب، وأنتم بأجمعكم تزعمون أن الحسّ للعصب خاصة؟

(القول في القطا) ١٦٦

تقول العرب: «أصدَق من قطاةٍ [4]» و: «أهدَى من قطاة [5]».

وفي القطا [6] أعجوبة، وذلك أنها لا تضعُ بيضها أبدًا إلا أفرادًا، ولا يكونُ بيضُها أزواجًا أبدًا. وقال أبو وَجزَة [7]:

وهنّ يَنْسُبْنَ وهنًا كلَّ صادقةٍ ... باتت تباشرُ عُرْمًا غيرَ أزواجِ [8]

والعُرْم [التي عَنَى [9]]: بيض القطا؛ لأنها منقّطة. وقال الأخطل:

---

(١) البلاذر، ويقال البلادر: ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب، وفي داخلها مادة إسفنجية بها شيء شبيه بالدم، ومن أسمائه تمر الفؤاد. انظر (٣: ٣٥٩). فيما عدا ل: «البلادر» بالدال المهملة في هذا الموضع وتاليه.

(٢) ظهرت عليه: غلبته. فيما عدا ل: «فخالطت فيه» وبالعلم: «فيه».

(٣) فيما عدا ل: «أبو ناظرة». وقد سبق في (٤: ٩٣، ٩٤): «أبو ناصرة» بالصاد المهملة.

(٤) ط، هـ: «وقطا». وصفتها أن لها صوتًا واحدًا لا تغيره، وصوتها حكاية لاسمها تقول: قطا قطا. انظر أمثال الميداني (١: ٣٨٦) وثمار القلوب ٣٨١.

(٥) أهدى، من الهداية، وذلك أنها تهتدي في المجاهل وتعرف مواضع الماء. انظر ثمار القلوب ٣٨٢. وتقول العرب أيضًا: «أنسب من قطاة»؛ لأنها تنتسب حين تصوت باسم نفسها. ثمار القلوب ٣٨٢. وتقول العرب أيضًا: «أقصر من إبهام القطا» كما في ثمار القلوب.

(٦) فيما عدا ل: «القطاة».

(٧) أبو وجزة، سبقت ترجمته في (١: ٩٦). س، هـ: «أبو بيزة» تصحيف.

(٨) وهنا: نحو نصف الليل. ط: «ومثان» ل: «وهل يلسين» وما في ل تحريف. وأثبت ما في س، هـ. ورواية ط توافق رواية اللسان (١٤: ٣٨٩).

(٩) هذه التكملة من ل، س. وفي هـ: «والعرم التي   عن بيض»، بترك فراغ بين: «التي» و: «عن».

شَفَى النفسَ قتلَى مِنْ سُلَيمٍ وعامرٍ   ولم يَشْفِها قتلَى غَنِيٍّ ولا جَسْرِ (١)

ولا جُشَمٍ شرِّ القبائلِ إنهم   كبَيْضِ القطا ليسوا بسودٍ ولا حُمْرِ (٢)

وقال مَعقل بن خُوَيلد (٣) :

أبا مَعقِلٍ لا توطِئَنْكمُ بَغاضتي   رؤوسَ الأفاعِي في مَرَاصِدِها العُرْمِ (٤)

يريد : الأفاعي العُرْمِ في مراصدها . وهي منقّطة الظهور . وما أكثر (٥) ما تبيض العُقاب ثلاثَ بيضاتٍ ، [إلا أنها لا تلحم ثلاثه (٦) ، بل تخرج منهنّ واحدةً (٧) . وربما باضت الحمامةُ ثلاثَ بيضات] ، إلا أن واحدة تفسد لا محالة . وقال الآخر (٨) في صفة البيض (٩) :

وبيضاء لا تَنْحاشُ مِنّا وأُمُّها   إذا ما رأتنا زالَ منها زَويلُها (١٠)

---

(١) ط : « في قتل » وفي سائر النسخ : « من قتل » صوابهما في الديوان ١٣٢ والكامل ٤٧٥ . وغني ، هم غني بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان . وجسر ، بالفتح ، هم من بني منبه بن أعصر بن سعد . انظر المعارف ٣٦ .

(٢) هم جشم بن معاوية بن بكر . ورواية العيون والكامل : « إنها » .

(٣) تقدمت ترجمته في (٤ : ٢١٣) . ط ، هـ : « مقبل » . س : « معبد » صوابهما في ل .

(٤) انظر لشرح البيت (٤ : ٢١٣) . هـ : « لا يوطئنكم تقاصي » س : « لا يحرشكم بماسي » تحريفات .

(٥) ط ، هـ : « وإن أكثر » .

(٦) ألحمه : أطعمه اللحم . ثلاثة ، أي من فراخها .

(٧) كذا في الأصل بالتأنيث ، وهو هنا ل . أراد واحدة من البيض .

(٨) هو ذو الرمة ، كما في اللسان (٨ : ١٨٠ ، ١٢ : ٣٣٧ ، ٢٠ : ١٦٥) .

(٩) أي بيض النعام .

(١٠) تنحاش : تنفر . يقول : هذه البيضاء لا تنفر ، على حين البيض الحسان ينفرن من [illegible] . زال زويلها : ذهب قلبها من الفزع . وفي اللسان والديوان ٥٥٤ : « زيل منها زويلها » . ط ، هـ : « لا يتحاش منها وأمها » صوابه في ل ، س ، واللسان .

نَتُوجٍ ولم تُقْرِفْ لِمَا يُمتَنَى له   إذا أُنْتِجَتْ ماتَتْ وحَيَّ سَلِيلُها[١]

يعنى البيضة. نَتُوجٍ[٢] : [حامل] . ولم تُقْرِف[٣] : [لم تُدَانِ] . لما يُمتَنَى : أى للضِّراب[٤] . والامتناء : انتظارك الناقة إذا ضُرِبت ألاقِحٌ هى أم لا .

وقال ابنُ أحمر :

بتَيْهاءَ قَفْرٍ والمَطِىُّ كأنَّها   قطا الحَزْنِ قد كانت فِراخًا بُيُوضُها[٥]

وذلك أنها [قد] كانت قبل ذلك [الوقت] تشرَب من الغُدُر ، فلما[٦] أفرخت صافت ، فاحتاجت إلى طلب الماء من مكان بعيد ، فذلك أسرعُ لها .

---

(١) ط ، هـ : « بتوج » س : « تتوج » صوابهما فى ل واللسان (١١ : ١٨٨ ، ٢٠ ١٦٠) والديوان . ط : « متى » والرواية ما أثبت من سائر النسخ والديوان واللسان . أنتجت ، بالبناء للفاعل : وضعت . وهذه لغة ضعيفة . وإنما يقال نتجت بالبناء للمفعول وبدون همز . وهى رواية اللسان والديوان . س : « وحى تليجها » ط ، هـ : « وعاش نتيجها » وهو تحريف ظاهر صوابه فى ل واللسان والديوان .

(٢) ط ، هـ : « تحوج » بتاءين صوابه فى ل ، س .

(٣) تقرف ، بكسر الراء وآخره فاء ، من أقرف . فيما عدا ل : « تقرب » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « أى لم تمنَ الضراب » تحريف .

(٥) التيهاء : الأرض التى لا يهتدى فيها . والحزن ، بالفتح : ما غلظ من الأرض ؛ وأضاف القطا إليه ؛ لأنه يكون قليل الماء ، فيكون قطاه أكثر عطشا ، فإذا أراد الماء كان سريع الطيران . وكانت « هنا » بمعنى صارت . وهذا البيت من شواهد الرضى وانظر الخزانة (٤ : ٣١ بولاق) واللسان (١٧ : ٣٤٩) والأشموني (١ : ٢٤٤) . والبيوض ، بالضم : جمع بيض . ط : « فبتنا بقفر » س : « بتيها بقفر » هـ : « بتيها بقفر » . تحريف صوابه فى ل والمصادر السابقة . وقبل البيت كما فى الخزانة :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة   صحيح السرى والعيس تجرى غروضها

(٦) ط ، هـ : « وكلما » تحريف . وفى الخزانة : « قال الأصمعى ونقله ابن قتيبة فى كتاب أبيات المعانى : المراد أنها قربت من الغدر فى الربيع ، فلما فرخت ودخلت فى الصيف احتاجت إلى طلب الماء من بعد ، فيكون أسرع لطيرانها . وإنما تفرخ بيضها إذا جاء الحر » .

(تشبيه مشي المرأة بمشي القطاة)

ويشبَّه مشيُ المرأةِ إذا كانت سمينة غير جَرّاجة طوّالة بمشي القطاةِ في القرمطة والدَّل[1] . وقال ابنُ ميّادة :

إذا الطِّوال سَدَوْنَ المشيَ في خَطَلٍ   قامت تريكَ قَوَاماً غير ذي أوَدِ[2]
تمشي كَكُدْرِيَّة في الجوِّ فاردة   تَهْدِي سُروبَ قطاً يشرَبْنَ بالثَّمدِ[3]

وقال جِرانُ العَود :

فلما رأين الصُّبحَ بادَرْنَ ضوءه   رَسِيمَ قطا البطحاء ، أوهُنَّ أقطفُ[4]

١٦٧ وقال الكميت .

يمشينَ مشيَ قطا البِطاحِ تأوُّداً   قُبَّ البُطُونِ رَواجحَ الأكفالِ[5]

---

(١) ل ، سه : « بمشي القطاة » . والقرمطة : تقارب الخطو . والدل ، بالفتح : السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة . في سه إقحام : «ولابد : «القطاة» .

(٢) السدو : الطموح في المشي واتساع الخطو . ط ، هو : « شرن » ، سه : « شردنه سواهما قبل » . الأود : العوج . سه : « ولمثيه عرف » .

(٣) الكدري بالضم : ضرب من القطا غبار الألوان ، رقش الظهور والبطون ، صفر الحلوق ، وهي ألطف من الجونية . انظر نهاية الأرب (١٠ : ٢٦١) . فاردة : منفردة من أخواتها ، وذلك يشرعتها . فيا عدا ل : « واردة » . سروب : جمع سرب . والثمد : الماء القليل . يشربن به : أي منه . وفي الكتاب : (عيناً يشرب بها عباد الله) و : (عيناً يشرب بها المقربون) أي منها . الآيتان ٦ من سورة الإنسان و ٢٨ من المطففين .

(٤) ضمير بادرن ، للنسوة التي زارهن ليلاً في رحالهن . والرسيم : ضرب من السير سريع مؤثر في الأرض . ورواية الديوان ٢٢ : « دبيب » . أقطف : تفضيل من القطف ، وهو تقارب الخطو .

(٥) سبق القول في هذا البيت ص ٢١٧ من هذا الجزء .

(شعر في التشبيه بالقطاة)

وقال الآخر[1] في غير هذا المعنى :

كأن القلبَ ليلةَ قيلَ يُغدَى ... بليلَى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عزّها شَرَكٌ فباتت ... تجاذِبُه وقد عَلِقَ الجناحُ[2]

وقال آخر :[3]

وكنا كزوجٍ من قطاً بمفازةٍ ... لدَى خفضِ عيشٍ مُونقٍ مُورقٍ رَغْدِ[4]
فخانهما ريبُ الزمانِ فأُفرِدا ... ولم ترَ عيني قطُّ أقبحَ من فَرْدِ[5]

---

(١) هو المجنون ، كما في الأغاني (٢ : ٣) والأمالي (٢ : ١١) والموشح ٢٥٠ . ورواهما العسكري في ديوان المعاني (١ : ٢٧٠) منسوبين إلى قيس بن ذريح . وروى أبو الفرج من حديث الشعر ، أن المجنون سمع رجلا من قوم ليلى يقول لآخر : أنت من يشيع ليلى ؟ قال : ومتى تخرج ؟ قال : هذه العشية أو الليلة ! فبكى وأنشد الشعر .

(٢) ط ، وكذا في أمالي القالي وديوان المعاني : « عزها » يعني غلبها . وفي ل فقط : « فأمست » . وانظر تعليق العسكري على البيتين .

(٣) هو أبو دلامة . وفي الأغاني (٩ : ١٢٥) : « دخل أبو دلامة على المهدي ، وهو يبكي ، فقال له : مالك ؟ قال : ماتت أم دلامة ! وأنشده لنفسه فيها — وذكر البيتين — فأمر له بثياب وطيب ودنانير ، وخرج . فدخلت أم دلامة على الخيزران فأعلمتها أن أبا دلامة قد مات ، فأعطتها مثل ذلك وخرجت . فلما التقى المهدي والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه » . وانظر محاضرات الراغب (١ : ٢٦٣) وأمالي القالي (٢ : ٢١) وبدائع البدائه ٤٩ .

(٤) ط : « حسن رغد » هـ : « مورق عد » وعله محرفة . وفي الأغاني : « عيش ناعم مونق » والأمالي : « عيش معجب مونق » والمحاضرات : « عيش مونق ناضر » .

(٥) في الأمالي : « أسلمها » والأغاني : « فأفردني ريب الزمان بصرفه » . وفي الأمالي والمحاضرات : « ولم تر شيئا قط أوحش » والأغاني : « ولم أر شيئا قط أوحش » .

(شعر فى صدق القطاة)

وفى صدق القطاة يقولُ الشاعر :

وصادقة ما خبَّرت قد بعثتُها
طُروقاً وباقى الليل فى الأرض مُسْدِفُ[1]

ولو تُرِكَتْ نامتْ ، ولكنْ أعشَّها
أذى من قِلاصٍ كالحَنِىِّ المُعطَّفِ[2]

وتقول العرب : « لو تُرِكَ القطا[3] لنام » . ويقال[4] : أعششت القوم إعشاشاً[5] : إذا نزلْتَ بهم وهم كارهون [لك] فتحوّلوا عن منزلهم .

وقال الكميت :

لاتكذبُ القولَ إن قالت قَطًا صدَقَتْ
إذ كلُّ ذى نِسْبَةٍ لابدّ ينتحلُ[6]

وقال مُزاحمٌ العُقيلىُّ[7] ، فى تجاوب القطاةِ وفرْخها :

فنادتْ ونادَاها ، وما اعوجَّ صدرُها
بمثل الذى قالتْ له لم يبدِّلِ[8]

---

(١) سبق هذا البيت برواية أخرى فى ص ٢٨٧ . ط : « ما خبرت بعد بعثها » ط ، هو : « مشرف » وفى طرة هو : « خ مسدف » أى يروى : « مسدف » فى نسخة أخرى .

(٢) أعشها : من أعش القوم إذا نزل بهم على كره حتى يتحولوا من أجله . ل : « أعسها » تحريف . والقلاص : جمع قلوص ، وهى الفتية من الإبل . والحنى ، بالفتح : جمع حنية ، وهى القوس ، لأنها محنية . قال ابن منظور : « ويروى كالحنى بكسر الحاء » . وهو جمع حنو بالكسر والفتح ، وهو عود معوج . ل فقط : « يعطف » . لكن ورد فى سوابقها وفى اللسان بهذا الإنشاد .

(٣) انظر قصة المثل فى الميدانى (٢ : ١١٠) .

(٤) ط فقط : « ويقول » تحريف .

(٥) ل فقط : « عشاشا » صوابه فى سائر النسخ .

(٦) ط ، هو : « وإن » . وفى : « وقد » بدل : « قطا » . فيما عدا ل : « مستحل » .

(٧) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤١٨) .

(٨) أى ناداها بمثل ندائها إياه لم يبدل به . ... : « فنادت ونادا » تحريف .

والقطاة لم تُرد اسمَ نفسِها ، ولكن الناس سموها بالحروف التى تخرج من فيها[١] ، وزادَ فى ذلك أنها على أبنيةِ كلام العرب[٢] ، فجعلوها صادقةً ومُخبِرة ، ومُريدة [وقاصدة] .

(استطراد لغوى)

ويقال سِرْبُ نساء ، [وسِربُ قطًا[٣]] ، وسِربُ ظباء . كل ذلك بكسر السين وإسكان الراء . فإذا كان من الطريق والمذهب [قالوا[٤] : خَلِّ سَرْبَه[٥] . و : فلانٌ خَلِىُّ السَّرْب[٦]] بفتح السين[٧] [وإسكان الراء] . وهذا عن يونس بن حبيب . وقال الشاعر[٨] :

أما القطاةُ فإنى سوفَ أنعتُها ... نعتاً يوافقُ نعتى بعضَ ما فيها[٩]
سَكّاءُ مخطوفةٌ فى ريشها طَرَقٌ ... سُودٌ قوادمها صُهْبٌ خوافيها[١٠]

---

(١) فيما عدا ل : « خرجت » . وفى ط : « من فيها » .
(٢) س : « وزادوا فى ذلك على أبنية كلام العرب » وليس بشىء .
(٣) هذه التكملة من ل ، س .
(٤) هذه الكلمة من ل ، س فقط .
(٥) بدلها فى هو ، س : « خلا سربه » . وانظر اللسان (١ : ٤٤٧ س ٢ — ٦) .
(٦) هذه من ل ، س ، هو باتفاق .
(٧) ط فقط : « فهو بفتح السين » بإقحام : « فهو » .
(٨) فى الأغانى (٧ : ١٥١) : « الشعر مختلف فى قائله . ينسب إلى أوس بن غلفاء الهجيمى ، وإلى مزاحم العقيلى ، وإلى العباس بن يزيد بن الأسود الكندى ، وإلى العجير السلولى ، وإلى عمرو بن عقيل بن الحجاج الهجيمى ، وهو أصح الأقوال . . . وقد روى أيضاً أن الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبيات ، فقال كل واحد منهم بعضاً » .
(٩) بعد هذا البيت فى ل : « وما ينبغى لصاحب هذا البيت أن يقول شعراً أبداً ثم قال » . وبعد هذا البيت . فيما عدا ل : « وقال مزاحم العقيلى » وهما عبارتان مقحمتان .
(١٠) السكاء : التى لا أذن لها . مخطوفة : ضامرة . فيما عدا ل : « سكاء مخطومة » تحريف وفى الأغانى : « سكاء مخطوطة » .

ويقال في ريشها قَتَع، وهو اللِّين(١). ويقال في جناحه طَرَق(٢): إذا
١٦٨ علا الرِّيشُ الأعلى الأسفلَ. وقال ذو الرُّمَّة(٣):

طِراقُ الخوافِي واقعٌ فوقَ رِيعَةٍ ... نَدَى لَيلِهِ في رِيشِهِ يترقرقُ(٤)

ويقال: اطْرَقَّت الأرضُ: إذا ركب الترابُ بعضُه بعضاً، [ولزمَ بعضُه بعضاً]، فصار كطِراقِ النَّعالِ طَبَقاً طَبَقاً(٥). وقال العجاج:

فاطرقَّتْ إلا ثلاثاً دُخَّسا(٦)

والطَّرْق، بإسكان الراء: الضرب بالحصى، وهو من فِعال الحُزاة والعائفين(٧): وقال [لبيدٌ، أو] البَعيث:

---

(١) القتع، بالتحريك وآخره عين مهملة. فيما عدا ل: «فتح» تحريف. ط: «القرع» هو: «دهره» صوابه في ل، س. وفي ط فقط: «واللين» تحريف.
(٢) الطرق، بالتحريك. فيما عدا ل: «الطراق».
(٣) يصف صقراً أو بازياً، كما في الكامل ٩٠ والديوان ص ٣٠ واللسان (١٢: ٨٩) وقبله:

نظرت كما جلى على رأس رهوة ... من الطير أقنى ينفض الطل أزرق

(٤) في اللسان: «طائر طراق الريش: إذا ركب بعضه بعضاً». وفي شرح الديوان: «يريد مطارق، من مطارقة النعل». والريعة والريع، بكسر أولهما: المكان المرتفع. ط، هو: «ربعة» ل، س: «ريعه» صوابهما ما أثبت. ويروى: «ريعه» بالإضافة، كما في اللسان. فيما عدا ل: «لدى». ط، س: «ليلة» تحريفان صوابهما في المراجع.
(٥) ل: «كطراق النعل». والطراق، بالكسر: النعل يطبق على النعل.
(٦) اطرقت: تلبد ترابها بالمطر. والدخس: الأثافي، كما في اللسان (٧: ٣٨٠ س ١٩) جمع داخس. دخس: اندس. وهي تندس في الرماد، كما في القاموس. ط، هو: «ثلثا» صوابه في ل، س والديوان ص ٣١. س: «دحسا» تصحيف. ومثله للعجاج أيضاً في ديوانه ٨٢:

فاطرقت إلا ثلاثاً عكفاً ... دواخساً في الأرض إلا شعفا

(٧) الحزاة: جمع حازٍ، وهو الكاهن. والعائف: الذي يزجر الطير. فيما عدا ل: «وهو من عمل الزجر».

لعمرك ما تدري الطوارقُ بالحصَى ... ولا زاجراتُ الطيرِ ما اللهُ صانعُ(1)

قال: ويقال طرّقت القطاةُ ببيضها: إذا حان خروجه وتعضّلت به شيئاً(2).

قال [أبو عبيد(3)] ولا يقال ذلك في غير القطاة(4). وغرّه قولُ العبديّ(5):

وقد تخذت رِجلي لدى جنبِ غَرزِها ... نسيفاً كأفحوصِ القطاةِ المطرِّقِ(6)

وهذا الشاعرُ لم يقلْ إن التطريق لا يكونُ إلا للقطاة، بل يكونُ لكل بيّاضةٍ، ولكلِّ ذاتِ ولد. وكيف يقول ذلك وهم يروُون عن قابلة البادية(7) أنها قالت لجاريةٍ تسمى «سَحَابة»، وقد ضربها المخاضُ وهي تُطلَّق على يدها(8):

أيا سحابُ طرِّقي بخيرِ ... وطرِّقي بخُصيةٍ وأيرِ
ولا تُرينا طرَف البُظيرِ(9)

---

(1) البيت في ملحقات ديوان لبيد ص ٥٥ . وبعده :
سلوهن إن كذبتموني متى الفتى ... يذوق المنايا أو متى الغيث واقع

(2) تعضلت ، أراد نشب بيضها وتعسر خروجه . والذي في المعاجم : « عضل » و « أعضل » . فيما عدا ل : « تعطلت » بالطاء ، تحريف .

(3) هذه التكملة من اللسان (١٢ : ٩٣ س ١٩) وفيه هذا النص .

(4) ط ، هو : « ويقال طرقت القطا » وأثبت صواب النص من ل ، س واللسان .

(5) هو المنزق العبدي ، كما في اللسان (١١ : ٢٤٢ / ١٢ : ٩٣) ، والمخصص (١٧ : ٢٢) والأصمعيات ٤٧ ليبسك من قصيدة أبياتها عشرون . وانظر المخصص (١ : ٢١ / ١٢ : ٢٧٢ / ١٦ : ٩٧ ، ١٣٤) . فيما عدا ل : « ونحوه قال العبدي » تحريف .

(6) الغرز ، بالفتح : هو للجمل مثل الركاب للبغل ، وهو ما يدخل فيه قدم الراكب . والنسيف : أثر ركض الرجل بجنبي البعير إذا انحص عنه الوبر . س : « رجل » تحريف . فيما عدا ل : « إلى جنب » وهي رواية الأصمعيات والمخصص واللسان في الموضع الأول .

(7) القابلة : التي تقبل الولد عند الولادة . ل : « خاتنة » .

(8) الطلق ، بالفتح : وجع الولادة . وفي اللسان : « وقد طلقت المرأة تطلق طلقا على ما لم يسم فاعله ، وطلقت بضم اللام » والأخيرة لغية ، كما في التاج .

(9) ط فقط : « ولا ترينى » .

وقال أوسُ بنُ حجَر :

بكلِّ مكانٍ ترى شَطْبَةً ... مولِّيةً ، ربَّها مُسْبَطِرْ[1]

وأحمرَ جعداً عليه النسو ... رُ وفي ضِبْنِه ثعلبٌ منكسِر[2]

وفي صدره مثلُ جيب الفتا ... ةِ تشهق حيناً وحيناً تَهِرّ[3]

فإنا وإخوتَنا عامراً ... على مثلِ ما بيننا نأتمِرْ[4]

لنا صرخةٌ ثم إسكاتةٌ ... كما طرّقتْ بنفاسٍ بِكِرْ[5]

فهذا كما ترى يردُّ عليه .

(ولادة البِكر)

وإنما ذكر أوسُ بن حجرٍ البِكرَ دون غيرها ؛ لأن الوِلاد[6] على

---

(١) الشطبة ، بالفتح : الفرس الطويلة الحسنة الخلق . ربها : صاحبها وفارسها . مسبطر : ممتد ، ومنه قولهم : اسبطرت الذبيحة إذا امتدت للموت بعد النزع . فيما عدا ل : « مولية » بالياء ، تحريف .

(٢) أحمر ، أي رمحا أيضا . انظر الأضداد ٣٠٢ . والجعد : المجتمع الشديد . عليه النسور : سقطت عليه لتنال منه . والضبن ، بالكسر : الجنب ، أو الإبط وما يليه . والثعلب : ما دخل من طرف الرمح في جبة السنان . ط : « صلبه » ه : « صبه » س : « صه » بالإهمال ، تحريف صوابه في ل والأضداد ، وديوان أوس ، واللسان (ضبن) .

(٣) الجيب : جيب القميص والدرع . أراد : وفي صدره طعنة هي في اتساعها كجيب الفتاة . وشهيق الطعنة : أن تدخل الريح فيها فتصوت . وزهيرها : قبقبتها . ط ، ه : « جنب » س : « حنب » تحريف . وفيما عدا س : « الفتا » . ل : « تشاق حينا وحينا تهر » محرف . وفيما عدا ل : « يشهق حينا وحينا يهر » ومثله في الديوان .

(٤) الائتمار : المشاورة . فيما عدا ل : « وإني » محرف . وفي الديوان : « وإنا » .

(٥) فيما عدا ل : « لها » صوابه في ل والديوان .

(٦) ط فقط : « الولادة » بالهاء ، وهما سيان .

البِكر أشدّ ، وخروج الولد أعسر ، والمخرج أكزّ وأضيق . ولولا أن البِكر أكثر ما تلد[1] أصغر جُثةً وألطف جسماً ، إلى أن تتسع الرحم بعظْم الأولاد فيها[2] — لكان أعسر وأشق[3] .

(أجود قصيدة فى القطا)

وقال [المرّار ، أو العِكَبّ[4]] التغلبى ، وهى أجود قصيدة قيلت فى القطا: ٩٦٩

بلادٌ مَرَوْراةٌ يحارُ بها القطا تَرى الفَرْخَ فى حافاتها يتحرّقُ[5]

يظلُّ بها فَرْخُ القطاةِ كأنَّهُ يتيمٌ جفاعنهُ مواليهِ مُطرقُ[6]

بديمومة قد مات فيها وعينُهُ على موته تُغْضى مِراراً وترمُقُ[7]

شبيهٌ بلا شىء هنالك شَخْصُهُ يواريه قَيْضٌ حولَه متفلّقُ[8]

---

(١) ل : « ما تكون » صوابه فى سائر النسخ .

(٢) الرحم ، مؤنث وقد يذكر . فيا عدا ل : « يلمع الرحم بخطره الأولاد فيها » ، تحريف .

(٣) فيا عدا ل : « وأضيق » .

(٤) فى شعراء العرب كثيرون من يدعى « المرار » . وأما العكب ، فهو بكسر العين وفتح الكاف وتشديد الباء ، كما جاء مضبوطاً فى ل . وفى اللسان : « والعكب العجل شاعر » .

(٥) البلد : كل موضع أو قطعة مستحيزة ، عامرة كانت أو غير عامرة . والمروراة : الأرض التى لا يهتدى فيها إلا الخريت . يتحرق : أراد يتضرم جوعا . انظر اللسان (١١ : ٢٢٦ س ٢٤) . فيا عدا ل وكذا فى نهاية الأرب (١٠ : ٢٦٢) : « ثلاث مروراة بجانبها » صوابه فى ل .

(٦) فيا عدا ل : « بجانبيه مواليه » تحريف .

(٧) الديمومة : الفلاة البعيدة الأرجاء . الإغضاء : إدناء الجفون . يقول : تخاله ميتاً لضعفه ، ومع ذلك يغمض عينيه ويفتحهما . فيا عدا ل : « قد بات » ، والمقابلة تقتضى ما أثبت من ل .

(٨) القيض ، بالفتح : قشرة البيضة العليا اليابسة . فيا عدا ل : « فتك » تحريف .

له مَحْجِرٌ نابٍ وعينٌ مريضةٌ ... وشِدْقٌ بمثل الزَّعْفَرانِ مُخَلَّقُ(١)

تُناجيه كَحلاءُ للناسِ حُرَّةٌ ... لها ذَنَبٌ وحْفٌ وجِيدٌ مطوَّقُ(٢)

سِماكيَّةٌ كُدْرِيَّةٌ عُرْعُرِيَّةٌ ... سُكاكيَّةٌ غبراءُ سمراءُ عَسْلَقُ(٣)

إذا غادرتْه تبتغي ما يُعيشُه ... كفاها رَذاياها النَّجاءُ المُبتَّقُ(٤)

غدتْ تستقي من منهلٍ ليس دونه، ... مَسيرةَ شَهرٍ للقَطا، متعلَّقُ(٥)

لأزْغَبَ مطروحٍ، بجَوْزِ تَنُوفةٍ ... تظلُّ سَمُومًا قيظِه، فهو أورقُ(٦)

تراه إذا أمسى وقد كاد جلدُه ... من الحرِّ عن أوصاله يتمزَّقُ(٧)

---

(١) المحجر كمجلس ومنبر: ما دار بالعين من العظم الذي في أسفل الجفن. ناب: مرتفع، نبا ينبو. مخلق، من الخلوق، بالفتح، وهو الزعفران. ل: «له مخلوق منه» تحريف.

(٢) أصل المناجاة ألا يكون إلا لمن يروي سرها لصاحبه بشيء تعلمه به ساعة. ط: «تناجيه» سهو: «تناجية»، م: «تناجية» صوابه في ل. والوحف من النبات والشعر: ما غزر وأثّت أصوله واسود. فيها عندنا ل: «سلج».

(٣) سماكية: نسبة إلى السماك أحد السماكين: الأعزل والرامح. أراد أنها علوية. والعرعرية: نسبة إلى العرعرة، بضم العينين، وهي أعلى الجبل وأعلى كل شيء. والسكاكية، بالضم: نسبة إلى السكاك، وهو الجو والهواء بين السماء والأرض. والعسلق: الخفيف، والأنثى بهاء، لكنه جعله للأنثى. ووزنه كجعفر وزبرج. ط: «شكالية غبراء» سهو، م «سكالية غبراء» صوابهما في ل. وفيها عندنا ل: «سملق».

(٤) الرذايا: جمع رذي ورذية، وهو الضعيف، من فراخها. والنجاء: السرعة. والمبتق: الأحمق. يقول: يكفيها مؤونة صغارها تلك السرعة المتلفة التي تحصل بها على طعامهن وشيكا. ط فقط: «رزاياها» تحريف. وفي اللسان (١٢ : ٢٤٤) مع نسبته إلى ذي الرمة:

إذا فارقته تبتغي ما تعيشه ... كفاها رذاياها الرقيع المحبق

وقال: «قيل أراد بالرقيع المحبق الثمري، وقيل بل هو الكروان. وهو يوصف بالحمق، لتركه بيضه واحتضانه بيض غيره».

(٥) يقول: ليس دون هذا المنهل متعلق القطا، مسيرة شهر، تظل طائرة لا تجد ما تتعلق به. ط فقط: «عدت» بالمهملة، تحريف.

(٦) الأزغب: فرخها. جوز: وسط. التنوفة: الفلاة. والسموم، بالفتح: الريح الحارة. والأورق: الذي لونه بين السواد والغبرة.

(٧) الأوصال: المفاصل والأعضاء، جمع وصل، بالكسر والضم.

غدت فاستقلّت ثم ولّت مُغيرةً ... بها حين يَزْهاها الجناحان أولقُ (١)
تيمّمُ ضحضاحاً من الماء قد بدت ... دعاميصه فالماء أطحلُ أورقُ (٢)
فلما أتته مقذَحِرّاً تنوّثت ... تنوّثَ مخنوقٍ فيطفو ويغرقُ (٣)
تُحِيرُ وتُلقِى فى سِقاء كأنه ... من الحنظلِ العامى جَرْوٌ مفلّقُ (٤)
فلما ارتوت من مائه لم يكن لها ... أناةٌ وقد كادت من الرِّىّ تبصقُ (٥)
طَمَتْ طَمْوة صُعْداً وحدّت جرانَها ... وطارت كما طار السَّحابُ المُحلَّقُ (٦)

(شعر البعيث فى القطا)

وقال البَعيث :

---

(١) استقلت : نهضت للطيران وارتفعت فى الهواء . والأولق : شبه الجنون . فيما عدا ل : « بها حين تزهاها » تحريف .

(٢) تيمم : تقصد . والدعاميص : دويبات صغيرة تكون فى مستنقع الماء . أطحل : رمادى اللون ، ومثله الأورق . مخ : « وقد غلت » ط فقط : « فى الماء » صوابه فى سائر النسخ . فيما عدا ل : « أطرق » تحريف .

(٣) المقلسر والمقذحر : المتهيئ للشر تراه الدهر منتفشاً شبه الغضبان ، وقد شبه به الماء الثائر فيما عدا ل : « مقذحرا » وهما لغتان . تنوثت : أراد صاحت ، والمعروف غوث واستغاث : صاح واغوثاه ! ط : « تقربت تقرب مجنون » هو : « تعربت تعرب مجنون » مخ : « تعرب مجنون » ووجهه فى ل . وفيما عدا ل : « فتطفو وتغرق » .

(٤) أحار : رد وأرجع . فيما عدا ل : « تجر » . وقد عنى بالسقاء هنا حوصلتها تملؤها بالماء لتروى صغارها . والعامى : اليابس أتى عليه عام . والجرو : الصغير من كل شيء حتى الحنظل ، والبطيخ ، والقثاء . ط ، هو : « جزء » مخ : « جزؤ » صوابه ما أثبت من ل . ل : « مفلق » وله وجه . انظر البيت الرابع من المقطوعة التالية . وقد سبق البيت فى (٢ : ٢٠٨) محرفاً منسوباً إلى النمر بن تولب .

(٥) من مائه : من ماء الضحضاح . فيما عدا ل : « من مائها » .

(٦) طمت : ارتفعت . والجران : باطن العنق . والمحلق : المرتفع . ل : « كما طار الشهاب » .

نجتْ بطوالات كأنَّ نجاءها ... هُوِيُّ القطا تمرو المناهلَ جُونُها(1)
طوَين سقاء الجس ثمَّتْ قلَّصت ... لوِرْدِ المياهِ واستتبَّتْ قَرُونُها(2)
إذا ما وردْنَ الماءَ فى غَلَسِ الضُّحى ... بطَنَّ أداوَى ليس خَرْزٌ يَشِينُها(3)
أداوَى خفيفاتِ الحمائلِ أُشْنِقَتْ ... إلى ثُغَرِ اللَّبَّاتِ منها حَصِينُها(4)
جَعَلْنَ حَبابَ الماء حين حَمَلْنَه ... إلى غُصَصٍ قد ضاق عنها وتينُها
إذا شِئْنَ أن يسمعْنَ والليلُ واضعٌ ... هذاليلَهُ والريحَ تجرى فُنُونُها(5)
تناوَمَ سِرْبٌ فى أفاحيصه السَّفا ... ومَيِّتةُ الخِرْشاء حىٌّ جَنِينُها(6)
يرْوِين زُغْباً [بالفلاةِ كأنَّها ... بقايا الأفانى الصيفِ، حُمراً بطونُها(7)

« يروِّين » من قولك : روَّيت : أى حملت فى راوية(8)] .

---

(1) نجت : أسرعت . والطوالات ، بالضم : جمع طوالة ، وهى الطويلة ، وفى اللسان : « هوت الناقة والأتان وغيرهما تهوى هوياً فهى هاوية إذا عدت عدواً شديداً أرفع العدو » فيما عدا ل : « يطو المناهل » تحريف .

(2) قلصت : ارتفعت وذهبت . والقرون ، بالفتح : النفس .

(3) الغلس : أول الصبح ، وهو وقت الورود عند القطا والحمر وغيرها . فيما عدا ل : « فى رونق الضحى » . ورونق الضحى : أوله . والأداوى : جمع إداوة ، بالكسر ، وهو إناء صغير من الجلد يتخذ للماء . يشينها : يعيبها . وقد عنى بالأداوى حواصلهن . ط فقط : « ليس » تحريف .

(4) ط : « أدوى » تحريف . أشنقت : علقت . ط ، سه : « أسقمت » ، هو : « أحقت » صوابهما فى ل . والثغر : جمع ثغرة بالضم ، وهى نقرة النحر . واللبات : جمع لبة بالفتح ، وهى وسط الصدر والنحر . سه : « ثغر اللبات » ل : « ثغد » بالدال ، صوابهما فى ط ، هو .

(5) فيما عدا ل : « واضح » ط ، سه : « هدى ليلة » هو : « هدى ليله » وأثبت ما فى ل والهذاليل : التلال الصغار ، جمع هذلول . وقد عنى بها الظلمات المتراكة .

(6) الأفحوص : حيث تبيض القطاة . والسفا : شوك البهمى أو أطرافها . والخرشاء ، بالكسر : قشرة البيضة العليا اليابسة . فيما عدا ل : « ومنيته الخرشاء من حنينها » محرف .

(7) الأفانى : جمع أفانية ، كثمانية ، وهو عنب الثعلب . فيما عدا ل : « يروين زغباناً » محرف .

(8) الراوية : المزادة فيها الماء . وفى اللسان (١٩ : ٦٦) : « روى معناه استقى على الراوية » .

[إذا ملأت منها] قطاةٌ سِقاءها   فلا تُمسكُ الأخرى ولا تُسعِينها[1]

ذكر نوادر وأحاديث وأشعار وكلام يختم بها هذا الجزء[2]

قالوا: خَرِفَ النَّمِرُ بن تولب[3]، فكان هِجِّيراه[4]: اصبَحوا[5] الركْبَ، اغبِقُوا الركْبَ.

وخرِفت امرأةٌ من العرب فكان هِجِّيراها: زوِّجوني، زوِّجوني! قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لَمَا لَهِجَ به أخو عُكلٍ خيرٌ مما لَهِجَتْ به صاحبتكم[6]!

وحدثني عبد الله بن إبراهيم بن قُدامة الجمحي[7] قال: كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى رجلا يُضَرِّبُ في كلامه[8] قال: أشهدُ أن الذي خلقَكَ وخلقَ عمرو بنَ العاصِ واحدٌ!

---

(١) فيما عدا ل: «سقاؤها» محرف. مكر: انتظر. وفي الحديث: «ما مكر عنه» أي ما تحبس ولا انتظر. فيما عدا ل: «فلا تمسكي ولا تسعيها» وما أثبته من ل.

(٢) فيما عدا ل: «ذكر نوادر من أشعار وأحاديث وكلام» وبعده في ط: «تم به هذا الجزء» وفي هـ: «يتم به هذا الجزء».

(٣) سبقت ترجمته في (١ : ٢٢) والنمر بن تولب عكلي، من بني عكل بن عبد مناف.

(٤) هجيراه، بكسر الهاء والجيم المشددة المكسورة: دأبه، وشأنه، وعادته، وكلامه.

(٥) صبحه يصبحه وصبّحه يصبّحه، بالتشديد: سقاه الصبوح، وهو من اللبن ما حلب بالغداة. وغبقه يغبقه ويغبقه، بضم باء المضارع وكسرها: سقاه الغبوق، وهو اللبن يشرب بالعشي. ط فقط: «والراكب» في الموضعين، محرف. وانظر محاضرات الراغب (٢ : ٣٢٢). والخبر أكثر بسطاً في الأغاني (١٩ : ١٦٠).

(٦) انظر تفصيل الخبر في الأغاني (١٩ : ١٦٠).

(٧) كلمة: «الجمحي» ليست في ل. ونسبت رواية الخبر إلى محمد بن سلام في عيون الأخبار (٢ : ١٧١) والبيان (١ : ٤٧).

(٨) التضريب: الخلط. فيما عدا ل: «إذا رأى».

وقال علىُّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه ، لصعصعة بن صُوحان(١) فى المنذر بن الجارود(٢) : ما وجدْنا عند صاحبك [شيئاً] ! قال : إن قلتَ ذاك إنه لنظّارٌ فى عِطفَيه ، تفّالٌ فى شِرَاكيه(٣) ، تُعجبه حُمرةُ بُردَيه !(٤)

قال : وحدّثنا جريرُ بنُ حازم القَطَعىّ(٥) قال : قال الحسن : لو كان الرجُل كلما [قال] أصاب ، وكلما عمل أحسنَ(٦) ، لأوشك أن يُجَنّ من العُجْب(٧) .

[عن أبان بن عثمان] قال : سمعتُ أبا بلال(٨) فى جِنازةٍ وهو يقول : كلُّ ميتةٍ ظَنُونٌ(٩) إلا ميتةَ الشّجاء(١٠) . قالوا : وما ميتة الشّجاء ؟ قال :

---

(١) هو صعصعة بن صوحان العبدى ، كان مسلماً فى عهد الرسول ولم يره . روى عن عثمان وعلى ، وشهد صفين مع على ، وكان خطيباً فصيحا . ومات بالكوفة فى خلافة معاوية . الإصابة ٤١٢٥ . وصوحان » بضم الصاد . انظر الاشتقاق ١٩٩ .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٧) . ط ، هو : « المنذرين » تحريف .

(٣) ط فقط : « سفال » بدل : « تفال » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « يعجبه » .

(٥) هو جرير بن حازم بن عبد الله بن شجاع الأزدى البصرى ، روى عن أبى الطفيل ، وأبى رجاء العطاردى ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة ، وأيوب ، والأعمش ، وعنه الأعمش وأيوب شيخاه ، وابن المبارك ، ووكيع . مات سنة ١٧٥ . انظر تهذيب التهذيب (٢ : ٦٩) . فيما عدا ل : « العطفى » . والقطعى : نسبة إلى القطيعة واحدة القطائع .

(٦) فيما عدا ل : « كلما أصاب وكلما تجمل أحسن » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « أوشك أن يتزيد من العجب » صوابه فى ل .

(٨) هو أبو بلال مرداس بن أدية ، المترجم فى ص ٢٥ من هذا الجزء .

(٩) الظنون : المتهم وكل ما لا يوثق به ، فعول ، بمعنى مفعول . وقد ورد هذا الخبر فى اللسان (١٧ : ١٤٦) : « وقول أبى بلال مرداس ، وقد حضر جنازة فلما دفنت جلس على مكان مرتفع ثم تنفس الصعداء وقال . كل منية ظنون إلا القتل فى سبيل الله ، لم يفسر ابن الأعرابى ظنوناً هنا . قال : ومعنى أنها القليلة الخير والجدوى » . وفى أصل اللسان : « أبى بلال بن مرداس » محرف .

(١٠) هى الشجاء الخارجية . ولها خبر مع زياد فى الأمالى (٣ : ١٧٤) وانظر ما سبق فى (١ : ٧٨) . ل : « الشجاء » فيما عدا ل : « السجا » صوابهما ما أثبت .

أخذها زيادٌ فقطع يديها ورجليها ، فقيل لها : كيف ترَيْنَ يا شَجَّاء ؟ فقالت : قد شغلَنى هَوْلُ المُطَّلَع عن بَرْد حَديدِكم هذا[١] !

قال : وقيل لرابعةَ القيسيَّة : لو أذِنْتِ لنا كلَّمْنا قومَكِ فجمعوا لك ثمن خادمٍ ، وكان لك فى ذلك مَرْفِقٌ[٢] وكفَتْكِ الخدمةَ[٣] وتفرَّغت للعبادة . فقالت : والله إنى لأستحيى أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا[٤] ، فكيف أسأل الدنيا مَن[٥] لا يملكها ؟ !

والناسكات المتزهدات من النساء المذكورات فى الزُّهد والرياسة ، من نساء الجماعة [وأصحاب الأهواء[٦]] . [فمن نساء الجماعة] أمُّ الدرداء[٧] ، ومُعاذةُ العدَوية[٨] ، ورابعةُ القيسيَّة[٩] .

= وقد تكرر هذا الخطأ على النحو الذى ذكرت فى سائر المواضع التالية ، فاكتفيت بهذا التنبيه .

(١) فى اللسان : « وفى حديث عمر أنه قال عند موته : لو أن لى ما فى الأرض جميعاً لافتديت به من هول المطلع ، يريد به الموقف يوم القيامة ، أو مايشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت تشبيه بالمطلع الذى يشرف عليه من مكان عال » . والبرد : الموت . برد يبرد برداً مات . فيما عدا ل : « حديثكم » .

(٢) المرفق ، كمنبر ومسجد ومقعد : ما ارتفقت وانتفعت به . فيما عدا ل : « وكان لك فيها مرفق » .

(٣) فيما عدا ل : « المؤنة » . وهذا الخبر فى أول كتاب الزهد من البيان (٣ : ٧٣) .

(٥) يقال استحى منه واستحياه . فيما عدا ل : « لأستحى » . ط ، س : « ممن » بدل « من » .

(٥) فيما عدا ل : « ممن » .

(٦) هذه التكملة من ل ، س ، هو .

(٧) أم الدرداء ، هى زوج أبى الدرداء . واختلف علماء التراجم فى أم الدرداء ، فبعضهم يجعلها شخصين : أم الدرداء الصغرى ، وأم الدرداء الكبرى ، وبعضهم يقول : هما واحدة ، ويختلفون فى ذلك اختلافاً . انظر الإصابة ٢٨٤ قسم النساء وتهذيب التهذيب (١٢ : ٤٦٥ ٤٦٧) .

(٨) معاذة ، بضم الميم ، بنت عبد الله العدوية البصرية ، امرأة صلة بن أشيم ، روت من عائشة ، وعلى ، وهشام بن عامر ، وعنها أبو قلابة ، وقتادة ، وأيوب ، وعاصم الأحول . وكانت من العابدات . وزوجها صلة بن أشيم كان من نساك البصرة وزهادها .

(٩) جعلها الجاحظ فى البيان (٣ : ١٤٦) من نساك البصرة وزهادها .

ومن نساء الخوارج الشَّجاء، وحمادة الصُّفرية[1] وغزالة الشَّيبانية[2] قُتِلْنَ جميعاً، وصُلبت الشجاء وحمادة، وقتل خالدُ بن عتّاب[3] غزالة، وكانت امرأةَ صالح بن مُسرِّح[4].

ومن نساء الغالية الميلاء[5]، وحُمَيدة[6]، وليلى الناعظية[7].

محمد بن سلام عن أبي جُنْدُبة[8] قال: ما أبرم عُمر بنُ الخطاب أمراً قط إلا تمثل ببيت شعر[9].

---

(١) فيما عدا ل: «الصفوية»، تحريف. والصفرية، بالضم ويكسر: قوم من الحرورية الخوارج.

(٢) هي زوج شبيب بن يزيد الخارجي الشيباني، وكانت من الشجاعة والفروسة بالموضع العظيم، وكان الحجاج قد هرب في بعض الوقائع منها، فعيره أسامة بن سفيان البجلي بقوله (انظر حماسة البحتري ٣٩٢):

أسد على وفي الحروب نعامة   فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى   بل كان قلبك في جناحي طائر

وانظر ترجمة شبيب في وفيات الأعيان، والمعارف ١٨٠، وشرح الحيوان (٣: ٤١). ل: «الشانية» تحريف.

(٣) هو خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي، وانظر خبر قتل غزالة في الطبري (٧: ٢٥٣).

(٤) صالح بن مسرح التميمي الخارجي، كان يرى رأي الصفرية، وقيل إنه أول من خرج من الصفرية، وكان ناسكا مخبتا مصفر الوجه صاحب عبادة، وكان زعيما لشبيب الخارجي، وبعد مصرع صالح آل أمر أصحابه إليه وبايعوه على الخروج. انظر الطبري (٧: ٢٢١ — ٢٢٢). ويفهم من قول الجاحظ أن غزالة كانت تحت صالح بن مسرح ثم خلفها عليه شبيب، وهذا نص نادر. فيما عدا ل: «صالح بن نوح» تحريف. ومسرح، بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد الراء وكسرها وبالحاء المهملة. ابن الأثير (٤: ١٦٤).

(٥) الميلاء حاضنة أبي منصور صاحب المنصورية، الذي كان يلقب بالكسف. انظر الحيوان (٢: ١٦٦ / ٦: ١٣٠).

(٦) حميدة من أصحاب ليلى الناعظية، ولها رياسة في الغالية. انظر الحيوان (٦: ١٣٠) ل: «حمدة» صوابه في النسخ. وانظر البيت الثالث من الشعر الذي سبق في (٢: ٢٦٦).

(٧) بنو ناعظ، بالظاء المعجمة: بطن من العرب. انظر القاموس واللسان، والجمهرة (٣: ١٢١).

(٨) جندبة، بضم الجيم والدال. ط، س: «أبي جعدة».

(٩) فيما عدا ل: «إلا تمثل به ببيت شعر».

وعن أبانَ بن عثمان ، قال عبد الملك : لقد كنت أمشى فى الزَّرع فأتَّقى الجندبَ أن أقتله ، وإن الحجاجَ ليكتبُ إلىّ فى قتلِ فئامٍ من الناس[1] ١٧١
فما أحفِلُ بذلك .

[وقيل له — وقد أمرَ بضرب أعناق الاسْراء — : أقسَتْكَ الخلافةُ يا أمير المؤمنين ، وقد كنت رءوفاً ! قال : كلا ، ما أقسَتْنى ، ولكن أقسانى احتمالُ الضغن على الضغن] .

قالوا : ومات يونسُ النحوىُّ سنة اثنتين وثمانين [ومائة] وهو ابن ثمان وثمانين سنة[2] . [و] قال يونس : ما أكلت شيئاً قطُّ فى الشتاء إلا وقد بَرَدَ ، ولا فى الصيف إلا وقد سخُن .

وحدثنى محمد بن بَشير[3] قال : قال أبو عمرو المَدَائنى[4] : لو كانت البلايا بالحِصص ما نالنى كل ما نالنى : اختلفت جاريتى بالشاة إلى التيّاس [وبى إلى حملها حاجة] ، فرجعت جاريتى حاملا ، والشاةُ حائلا[5] .

محمد بن القاسم قال قال جرير : أنا لا أبتدى ، ولكنى أعتَدِى[6] .

وقال العَتبى[7] : أنا مثل العقرب ، أضرُّ ولا أنفع .

[وقال العتبىّ[8] : أنا أصدُق فى صغار ما يضرُّنى ؛ لأكذب فى كبار ما ينفعنى .

---

(١) فئام : جماعات كثيرة ، لا واحد له من لفظه . فيما عدا ل : « بقتل » .
(٢) تقدمت ترجمته فى (١ : ٣٢٩) . كما فى الخبر فى (٣ : ٤٦٩) .
(٣) ترجمته فى (١ : ٥٩) . فيما عدا ل : « محمد بن بشير » محرف .
(٤) فيما عدا ل : « المدائنى » . وقد سبق الخبر فى (٣ : ٤٦٩) .
(٥) الحائل : التى لم تحمل . فيما عدا ل : « فرجعت الشاة حائلا والجارية حاملا » .
(٦) فيما عدا ل : « ولكن أعتدى » وقد سبق الخبر فى (٣ : ٩٩) .
(٧) فيما عدا ل : « العتبى » . والخبر سبق فى ص ٣٥٣ وفى (٤ : ٢١٩) .
(٨) الخبر ساقه المبرد فى الكامل ٢٥٦ ليبسك بلفظ آخر ، وعقبه بقول الأعشى :

صدقتهم وكذبتهم ... والمرء ينفعه كذابه

وجاء برواية ثالثة فى عيون الأخبار (٢ : ٢٨ س ١٠) .

قال أبو إسحاق : استراح فلانٌ من حيث تعبَ الكرامُ] .

وقال الحجاج: أنا حديدٌ حقود حسود[١] .

وحدثنى نُفَيع قال: قال لى القَنْبِى:[٢] أنا لا أصدّق ما دام كذبى يخفى .

قال وذُكر شبيب بن شيبة[٣] عند خالد بن صفوان[٤] فقال خالد[٥]:

ليس له صديق فى السر ، ولا عدوٌّ فى العلانية !

وقال أبو نخيلة[٦] فى شبيب بن شيبة:

إذا غدَتْ سعدٌ على شَبِيبِها   على فتاها وعلى خَطيبِها

مِنْ مطلع الشمس إلى مغيبِها   عجِبْتَ مِن كثرتها وطيبِها

---

(١) سبق الخبر فى (٢ : ٤٧) .

(٢) فيما عدا ل : « خبرق » و « القنبى » .

(٣) شبيب بن شيبة ، من رهط خالد بن صفوان ، وكان بينهما منافسة شديدة ، وكان من الخطباء المصاقع الفصحاء . وهو شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم . البيان (١ : ٢٢٨) .

(٤) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم . وكان قريعاً لشبيب وعلما من أعلام الخطابة ، وقد وفد إلى هشام ، وكان من سمار أبى العباس . وكان مطلاقا ، وكان يقول : « ما من ليلة أحب إلى من ليلة قد طلقت فيها نسائى ، فأرجع والستور قد قلعت ، ومتاع البيت قد نقل ، فيبعث إلى بنى بسلة فيها طعام ، وتبعث إلى الأخرى بفراش أنام عليه » انظر المعارف ١٧٧ . ط فقط . « من » موضع : « منه » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « خله » صوابه ما أثبت من ل . وهذا الخبر أورده الجاحظ فى البيان (١ : ٥٢ ، ٢٢٠) وعقب عليه تعقيب إعجاب .

(٦) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٠٠) فيما عدا ل : « أبو بجيلة » تحريف . والرجز فى البيان (١ : ٩٠) والأغانى (١٨ : ١٣٩) . ويروى أبو الفرج من سبب الرجز أن أبا نخيلة رأى على شبيب حلة فأعجبته فسأله إياها ، فوعده ومطله ، فقال فيه :

يا قوم لا تسودوا شبيبا   الخائن ابن الخائن الكذوبا

هل تلد الذيبة إلا الذيبا

قال : فبلغه ذلك فبعث إليه بها ، فمدحه بهذا الرجز .

وقال حسين[1] بن أبي علي الكرْخيّ : أنا إنسان لا أبالي[2] ما استقبلت به الأحرار .

وقال عمرو بن القاسم : إنما قويت على خصمي بأنِّي لم أتستَّر قطُّ عن شيء من القبيح[3] ! [فقال أبو إسحاق : نلتَ اللذَّة ، وهتكتَ المروءة ، وغلبتك النفس الدَّنية ، فأرَتْك[4] مكروهَ عملك محبوباً وسيِّئ قولك حسناً . ومن كان عَلَى هذا السبيل لم يلتفتْ إلى خير يكونُ منه ، ولم يكترثْ بشرٍّ يفعله] .

وقال الفرزدق :

وكان يُجيرُ الناسَ من سيفِ مالكٍ ... فأصبحَ يبغى نفسَه من يُجيرُها[5]

ومن هذا الباب قول [التُّوت[6]] اليمانيّ :

عَلَى أيِّ بابٍ أطلبُ الإذنَ بعد ما ... حُجِبْتُ عن الباب الذى أنا حاجبُه

ومن هذا الشكل قولُ عديِّ بن زيد :

لو بغير الماء حَلْقِي شَرِقٌ ... كنت كالغَصَّانِ بالماء اعتصاري[7]

وقال زُهير :

فلما وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمَامُه ... وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ

(١) ط ، س : « يحيى » ، هـ : « حس » وأثبت ما في ل . على أن الخبر روى منسوبا إلى القيني في عيون الأخبار (٢ : ٢٨) .
(٢) فيما عدا ل : « ما أبالى » .
(٣) فيما عدا ل : « إنما خصموني لأني لم أستتر قط بشيء من القبيح » تحريف .
(٤) في الأصل ، وهو هنا ل : « فأدتك » .
(٥) انظر الديوان ص ٢٤٩ والبيان (٣ : ١٥١) .
(٦) في البيان (٢ : ٢٤٦) : « ويروى التوب بالباء والتوت هو الصواب . وهو المعروف بتويت » . وفي الأغاني (٢٠ : ٧٩) : « نويب » بالنون في أوله والباء في آخره . « واليمامي » نسبة إلى اليمامة . قال أبو الفرج : « نويب لقب له ، واسمه عبد الملك بن عبد العزيز السلولي . . . أحد الشعراء اليماميين ، من طبقة يحيى بن طالب وبنى أبي حفصة ونحوهم . ولم يفد إلى خليفة ، ولا وجدت له مديحاً في الأكابر والرؤساء ، فأخمل ذلك ذكره ، وكان شاعرا فصيحا ، نشأ باليمامة وتوفي بها » .
(٧) انظر شرح البيت وتحقيقه في ص ١٣٨ من هذا الجزء .

وكتب سُوَيد بن منجوف[١] إلى مُصعب بن الزبير :

فأبلغْ مُصْعَباً عنى رسولاً وهل يُلقَى النصيحُ بكل وادِ[٢]
تعلَّمْ أنَّ أكثرَ مَن تُواخى وإن ضحكوا إليك هم الأعادى[٣]

وحدثنى إبراهيم بن عبد الوهاب ، قال : كتب شيخٌ من أهل الرىّ

١٧٢ عَلَى باب داره : « جزى الله من لايعرفنا ولا نعرفُه خيراً . فأمّا أصدقاؤنا

الخاصةُ فلا جزاهمُ الله خيرا[٤] ؛ فإنا لم نُؤْتَ قطُّ إلا منهم ! » .

وأنشدنى النهشلىّ[٥] لأعرابى يصف نَحْلاً[٦] :

[ترى مخارفَها تُنْقَى جوانبها كأن جانىَ بِيضِ النحل جانيها[٧]

ووصف آخر نحلا فقال :

إذا علاَ قِمَّتَها الرَّاقى أهَلّْ[٨] .

وقال الشاعر[٩]] :

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٦٢ من هذا الجزء .
(٢) ل : « يلقى » بالقاف ، وهذه الكلمة ساقطة من سه .
(٣) تعلم : اعلم . ل : « تناجى » .
(٤) فيما عدا ل : « فلا جزاهم الله عنا خيراً » .
(٥) فيما عدا ل : « وأنشدنا النهشلى » .
(٦) ل : « نحلا » وفيما عدا ل : « فحلا » صوابهما ما أثبت .
(٧) المخارف : جمع مخرف ، بفتح الميم والراء . وهو الرطب يخرف ، أى يجنى من النخل
وشبه جانيها بجانى بيض النحل لبعد مرقاها وطوله ؛ إذ أن مواطن النحل شعف الجبال
عندهم . ومنه قول القائل (انظر المخصص ٨ : ١٧٨) :
رباء شماء لا يأوى لقلتها إلا السحاب وإلا الأوب والسبل
والأوب : جماعة النحل ، واحدها آئب .
(٨) الراقى : الذى يعتليها . وفى الأصل ، وهو هنا ل . « الراعى » . أهل : رفع صوته ؛
وذلك لشدة إعجابه بجناها .
(٩) هو مالك بن الحارث الهذلى ، كما فى الشعراء ١٥٧ . وقد نسب البيت الأخير فى اللسان
(٣ : ٣٠٩) إلى خالد بن مالك الهذلى ، والأول فيه (١٢ : ١٠٥) إلى أبى
سهم الهذلى .

ومن تَقْلِلْ حلوبَتُه وينْكُلْ   عن الأعداء يَغْبِقْهُ القِرَاحُ(١)
رأيتُ مَعاشِرًا يُثْنَى عليهم   إذا شَبِعوا وأَوجُهُهُمْ قِبَاحُ(٢)
يَظَلُّ المُصْرِمُونَ لهمُ سُجُوداً   وإن لم يُسْقَ عندهمُ ضَيَاحُ(٣)

وقال الشاعر :

البائتين قريباً من بيوتهمُ   ولو يشاؤون آبوا الحيَّ أو طَرَقُوا(٤)

يقول : لرَغبته في القِرَى، و[في] طعام الناس(٥)، يبيت بهم(٦)، ويدَعُ أهلَه. ولو شاء أنْ يبيتَ عندهم لَفعل .

وقال آخر، يمدحُ ضدَّ هؤلاء :

تَقرِي قدورُهم سُرَّاءَ ليلهمُ   ولا يبيتون دون الحيِّ أضيافا(٧)

وقال جرير :

وإنى لَأستَحيِي أخِي أن أرى له   عليَّ من الحق الذى لا يَرَى ليَا

---

(١) ل : « ومن يقرى » وفيما عدا ل : « ومن يعرى » وأثبت ما فى اللسان (١٢ : ١٥٥) والشعراء ١٥٧ . وجاء فى شرح البيت فى اللسان : « أى يغبقه الماء البارد نفسه » . فيما عدا ل : « يمتقه » تحريف .

(٢) فى الشعراء : « إذا ذكروا » .

(٣) المصرم : القليل الماء السيء الحال ؛ أصرم : افتقر . والضياح ، كسحاب ، أوله ضاد معجمة ثم ياء مثناة : اللبن الرقيق الكثير الماء . فيما عدا ل : « صباح » صوابه فى ل واللسان (٣ : ٣٥٩) والشعراء وعيون الأخبار (١ : ٢٤١) .

(٤) آبوا الحى : رجعوا إليهم . وآب يتعدى بنفسه وبالحرف . فيما عدا ل :

الناثمون قريباً من بيوتهم   ولو يشاؤون أبى الحى إذ طرقوا

لكن فى هـ : « آب الحى » .

(٥) سه ، هـ : « يقول لرغبتهم » تحريف . فيما عدا ل : « إطعام الناس » محرف .

(٦) بهم : أى عندهم . هـ : « عندهم » ط ، سه : « عندى » وهذه محرفة .

(٧) السراء : جمع سار ، وهو من يسير ليلا . وهذا من الجمع النادر ، ومثله غاز وغزاء . ط فقط : « قدودهم » وفيما عدا ل : « سراه ليلهم » و : « أضيافا » محرفات .

قال : أستحيي أن يكون له عندى يد [١] ولا يرى لى عنده مثلها .

وقال امرؤ القيس :

وهلْ ينعمَنْ إلا خليٌّ منعَّمٌ   قليلُ الهموم مايبيتُ بأوْجالِ [٢]

قال : وهو كقوله [٣] : « استراحَ من لاعقلَ له ! » . وأنشد مع هذا البيت [قول عمرَ بن أبي ربيعة — ويحكى أن المنصور كان يعجبه النصف الأخير من البيت الثانى جدًّا ، ويتمثل به كثيرا ، حتى اعتقده بعض من قضى به عليه أن المعنى قدَّمَهُ دهراً ، وكان لستحسانه عن فضل معرفته بإحقاقه فيه [٤] ، وصواب قوله] — :

وأعجبَها من عَيشها ظِلُّ غُرْفَةٍ   وريَّانُ مُلتفُّ الحدائقِ أخضرُ [٥]

ووالٍ كفاها كلَّ شيء يَهُمُّها   فليسَتْ لشيء آخرَ الدهرِ تَسْهرُ [٦]

وأنشد :

إذا ابتدر الناس المعالى رأيتهمْ   وقوفاً ، بأيديهم مُسُوكُ الأرانبِ [٧]

هجاهم بأنهم إنما يعيشون من الصيد . وأنشد :

إذا ابتدرَ الناسُ المكارمَ والعُلاَ   أقاموا رُتوباً فى النُّهوجِ اللَّواحِمِ [٨]

---

(١) اليد : المعروف والنعمة . فيما عدا ل : « استحى أن تكون له عندى يد » .

(٢) نعم ، كسمع ويصر وضرب ، فيما عدا ل : « وهل يعمن » . وفى الديوان ٠٠ : « وهل ينعمن إلا سعيد مخلد » .

(٣) فيما عدا ل : « كقوله » . وفى شرح البطليوسى لديوان امرئ القيس : « وقد أنشد الأصمعى هذا البيت فقال : هذا كما يقول : استراح من لا عقل له » .

(٤) الإحقاق : الإحكام . وفى اللسان (١١ : ٣٣٣) : « ويقال أحققت الأمر إحقاقا إذا أحكمته وصححته » . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « وإخفاقه فيه » تحريف . على أن فى هذه التكملة التى أثبتها من ل اضطرابا ونقصا .

(٥) فيما عدا ل : « كل غرفة » صوابه فى ل وديوان عمر ص ٣ .

(٦) الدهر : مدة الحياة . ط فقط : « الدهم » صوابه فى سائر النسخ . وفى الديوان : « الليل » .

(٧) المسوك : الجلود ، جمع مسك ، بالفتح .

(٨) الرتوب : الثبات والإقامة . فيما عدا ل : « وقوفا » .

يخبر أنهم يسألون الناس . والنهج والمنهج[1] الطريق الواسع .

وقال الآخر[2] :

لنا إبلٌ يَروين يوماً عيالَنا ... ثلاثٌ وإن يكثُرْنَ يوماً فأربعُ[3]

نُمِدُّهم بالماء لا من هوانهم ... ولكن إذا ما قلَّ شيءٌ يوسَّعُ[4]

وقال الآخر :

من للمُهَنَّيات الماء بالماء بعدما ... رمى بالمقادى كلُّ قادٍ ومُعتَمِ

وقال الآخر : ١٧٣

وَداعٍ دعا والليلُ مُرخٍ سُدولَهُ ... رجاءَ القِرَى يا مُسْلِمَ بنَ حِمارِ[6]

دَعا جُعَــلاً لا يهتدي لِمَبيتهِ ... من اللؤمِ حتى يهتدي ابنُ وبارِ[7]

وقال الحسنُ بنُ هانئ :

أضمرتُ للنيـل هِجراناً ومَقْلِيَةً ... إذ قيل لي إنما التمساحُ في النيل[8]

فمن رأى النيلَ رأيَ العينِ من كَثَبٍ ... فما أرى النيلَ إلا في البواقيل[9]

---

(١) ط فقط : «والمهجم» تحريف .

(٢) ط ، هو : «وقال الشاعر» .

(٣) يروين عيالنا ، بما تدره من اللبن . والعيال : جمع عيل ، وهو من تعوله .

(٤) تمدهم بالماء ، أي أنهم يمزجون لهم اللبن بالماء ليكثر ويتسع لهم . فيامعا ل : «لا من هوانهم» تحريف .

(٥) القادى : القادم من السفر . والمعتمى : القاصد ، وحقه أن يكتب بياء بعد الميم .

(٦) السدول : الستور ، وزنا ومعنى . عنى بها الظلمات .

(٧) الجعل : دويبة سوداء كالخنفساء كنيتها أبو جعران ، وهو بالإنكليزية : Scarab والجعل مثل عند العرب في الحقارة والدناءة . أراد : دعا بدعائه مسلم بن حمار رجلا ساقط القدر من قومه . ط : «جعل» تحريف .

(٨) المقلية : البغض . س : «خليل» .

(٩) من كثب : من قرب . والكلمتان ساقطتان من س ، هو . والبواقيل : جمع بوقال ، بضم الباء ، وهو كوز بلا عروة . ولقد عبر بذلك عن غرضه من تلميح النيل ومن قربان النيل لذلك .

وقال ابن ميّادة(١)

أتيتُ ابنَ قشراء العِجانِ فلم أجدْ ... لدى بابهِ إذناً يسيراً ولا نُزْلا(٢)
فإنَّ الذي ولاَّكَ أمْرَ جماعةٍ ... لأنقصُ مَن يمشي على قَدَمٍ عقلا(٣)

ومن هذا الباب قوله :

إنّي رأيت أبا العوراء مُرتفقاً ... بشطِّ دِجْلةَ يَشْرِي التَّمر والسَّمَكا(٤)
كشِرَّةِ الخيل تبقَى عند مِذْوَدِها ... والموتُ أعلم إذْ قَفَّى بمن تَرَكا(٥)
هَذِي مساعيكَ في آثار سادَتِنا ... ومن تكنْ أنت ساعيه فقد هَلَكا(٦)

ومن هذا الباب قوله(٧) :

ورِثنا المجدَ عن آباء صِدق ... أسأْنا في ديارهمُ الصَّنيعا
إذا المجدُ الرفيعُ تعاورتْه ... وُلاة السّوء أوشكَ أن يضيعا(٨)

وقال جِران العَوْدِ :

[أُراقبُ لمحاً من سُهيل كأنه ... إذا ما بَدَا في دُجْيَة الليل يطرِف](٩)

---

(١) فيما عدا ل : « ابن أحمر » وانظر ما سبق في (٣ : ٨٢) .
(٢) سبق شرح البيت في (٣ : ٨٢) . فيما عدا ل : « حمراء العجان » . وفي سه ، هو : « أدنى » وهذه محرفة عن « إذناً » وفي سه : « يسير » تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « ولاه » وأثبت ما في ل وما سبق في (٣ : ٨٢) .
(٤) ل : « أبا العورات » وفي ط ، سه : « مرتقفاً » تحريف .
(٥) الشرة ، بالكسر : النشاط . ط فقط : « تبنى » تحريف . وفي ط ، سه : « أعلم من يفق » هو : « من يغني » صوابهما ما أثبت من ل وما سبق في (٣ : ٨١) .
(٦) ل : « تلك » بدل : « هذي » .
(٧) هو معن بن أوس المزني ، كما في الأغاني (١٠ : ١٥٨) . والبيتان في عيون الأخبار (٤ : ١١٣) وقد سبقا في (٣ : ٨٢) .
(٨) ط : « بنات السوء » تحريف . وفي سه ، هو : « بناة السوء » جمع بان . ط ، هو « يوشك » .
(٩) سبق الكلام على هذا البيت في (٣ : ٥٢) .

وقال] :

ولم أجِـد للوقوذ تُرجَى حياتُه إذا لم يَرعْه الله ساعةَ يُنضَحُ[١]

وكان أبو عبادٍ النُّميرىُّ أتى باب بعض العمال ، يسأله شيئاً من عمل السلطان ، فبعثه إلى أستقانا[٢] فسرقوا كل شىء فى البيدر وهو لا يشعر ، فعاتبه فى ذلك ، فكتب إليه أبو عبّاد :

كنتُ بازاً أضربُ الكُرْ كِىَّ والطيرَ العظاما

فتقنَّصْتَ بِىَ الصُّعْـ ـوَ فأوهنْتَ القُدامَى[٣]

وإذا ما أرسلَ البا زِى عَلَى الصعْو تَعَامَى[٤]

أراد قول أبى النجم فى الراعى :

يمرُّ بين الثانيات الجُهَّـلِ[٥] كالصقر يجفو عن طِرادِ الدُّخَّلِ[٦]

---

(١) الموقوذ : المضروب ضرباً شديداً ، والشديد المرض الذى أشرف على الموت . فيما عدا ل : « ولم أجد الموقود يرجى جنابه » تحريف . وفى هـ : « ينضج » مصحفة بالجيم .

(٢) استقانا ، كذا وردت مضبوطة فى ل . وكلمة : « إلى » قبلها ليست فى الأصل . وفيما عدا ل : « فتبعه أسفار » وفى محاضرات الراغب (١ : ٨٢) : « فولاه أمانة قرية فسرق ما فى البيدر » .

(٣) التقنص : الصيد . والصعو : طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس ، وهى بلغة العلم الأوربى : Regulus . ومنه ما يسمى : Goldcrest or Kinglet . والقدامى القوادم ، وهى ريشات أربع فى مقدم الجناح . فيما عدا ل : « بى الصقر » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « على الصقر » تحريف .

(٥) ط فقط : « القانيات » بالقاف .

(٦) الدخل ، بضم الدال وتشديد الخاء المفتوحة : طير صغار أمثال العصافير تأوى الشجر الملتف ، وهى أنواع كثيرة كلها غريد ، يعرف كثير منها عند عامة أهل مصر بالزريقة . وهو بالإنجليزية : Sylvia or Warbler . فيما عدا ل : « تجفو » بالتاء محرفة .

١٧٤ وبات أبو عبّادٍ[1] مع أبي بكر النِفاريّ ، في ليالي [شهر] رمضان ، في المسجد الأعظم ؛ فذهبَ إليه ، وأنشأ يقول :

يا ليلةً لي بتُّ ألهُو بها مع النِفاريِّ أبي بكرِ
قمتُ إليه بعد ما قد مضى ثُلْثٌ من الليل على قدْرِ
[في ليلةِ القدْرِ ، فيامَنْ رأى أدَبَّ منّي ليلةَ القدْرِ]
ما قام خَشْداني أبو بكرٍ إلا وقد أفزَعَهُ نَخْرِي[2]

وقال في قلْبانَ صديقتِه[3] :

إن قلبانَ قد بَنَتْ لشقائي وقد طَنَتْ[4]
وإذا لم تنَلْكِ بأيْـ ـرِ عظيمِ القوى بكتْ

وقال مسكينٌ الدّارِي :

إليك أميرَ المؤمنين رحَلْتُها تثير القطا ليلاً وهنّ هُجودُ[6]
لدَى كلِّ قُرموصٍ كأنّ فراخَهُ كُلًى غيرَ أنْ كانت لهنّ جُلودُ[7]

---

(١) هو أبو عباد النميري ، تقدمت ترجمته في (٢ : ١٩٢) . هو فقط : « أبو بكر عباد » .
(٢) النخر ، عني به النخير ، وهو صوت الأنف . ط : « أقرعه » س : « أفرعه » هو : « أفزعه » ط ، س : « نمرى » هو : « بجرى » صواب هذه التصحيفات ما أثبت من ل .
(٣) الصديقة : مؤنث الصديق ، كما في اللسان (٢٢ : ٦٢ س ٤) . والأفصح أن يكون لفظ المؤنث كلفظ المذكر .
(٤) ط : « صفت » س ، هو : « صنت » صوابهما ما أثبت من ل .
(٥) ل : « فتى كافر بكت » .
(٦) يقوله لمعاوية بن أبي سفيان كما في الشعراء ١٣٢ . وهو من قصيدة سياسية أمره يزيد ابن جارية أن يصنعها ويزيد بها ترشيحه للخلافة بعد أبيه . انظر الأغاني (١٨ : ٧١ – ٧٢) .
(٧) القرموص : وكر الطائر حيث يفحص في الأرض . والكلى : جمع كلية ، شبه الفراخ بها لعرى أبدانهن من الريش .

وقال أبو الأسود الدئلي[١] ، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان[٢] :

أمِنْتَ على السرِّ امرأً غيرَ كاتمٍ ولـكنه في النصحِ غيرُ مُرِيبِ[٣]
أذاع به في الناس حتى كأنه بعَلياء نارٌ أُوقِدَتْ بثَقُوبِ[٤]
وكنتَ متى لم تَرْعَ سِرَّكَ تنتشر قوارعُه من مخطئٍ ومُصيبِ[٥]
وما كل ذي لبٍّ بمؤتيك نُصْحَه وما كل مؤتٍ نصحه بلبيب
ولـكن إذا ما استَجْمعا عند واحد فحقٌّ له من طاعة بنصيبِ[٦]

وقال أيضاً :

إذا كنت مظلوماً فلا تُلفَ راضياً
عن القوم حتى تأخذ النصفَ واغضبِ[٧]
وَإن كنت أنت الظالمَ القومَ فاطَّرِحْ مقالتهم وأشْغَب بهم كل مَشْغَبِ[٨]
وقارِبْ بذي جهل ، وباعِدْ بعالم جَلوبٍ عليك الحقَّ من كل مَجْلَبِ

---

(١) ط ، هـ : « الدؤلي » . وانظر ما أسلفت في ص ٤٧٤ وما سبق في (٣ : ٥٠) .

(٢) ط ، هـ : « وهو ظالم » وما بعد كلمة : « ظالم » ساقط من هـ . وكان من قصة هذا الشعر أن أبا الأسود خطب امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد ، فأسر أمرها إلى صديق له من الأزد ، فحدث به ابن عم لها كان يخطبها ، فدفعه ذلك أن يحتال ويتعجل في زواجه بها ، وضاعت من أبي الأسود . انظر الأغاني (١١ : ١٠٤ — ١٠٥) .

(٣) ط ، هو : « امرأ حازم » تحريف . وفي هـ : « عير حزم » بالعين المهملة ، صوابها بالمعجمة . وأثبت ما في ل . ورواية الأغاني : « أمنت امرأ في السر لم يك حازما » .

(٤) الثقوب ، بالفتح : ما أثقبت به النار وأشعلتها من دقاق العيدان ، كالثقاب ، بالكسر . في ما عدا ل « لثقوب » صوابه ما أثبت من ل والأغاني .

(٥) في ما عدا ل : « ينتشر » وفي الأغاني : « تلتبس » . والقوارع : الدواهي والنوازل . أراد بنشرها المخطئ والمصيب .

(٦) استجمعا ، أي اللب والنصح . في ما عدا ل : « من ساعة » صوابه في ل والأغاني .

(٧) النصف ، ويثلث : الانصاف وأخذ الحق .

(٨) في ما عدا ل : « فإن كنت » . الشغب : تهييج الشر والفتنة والخصام ، وترك القصد إلى الجور . في ما عدا ل : « على كل مشغب » صوابه في ل والأغاني .

فإن حَدِبوا فاقعَس وإن هم تقاعَسُوا   ليستمسكوا مما وراءك فاحدبِ[١]
ولا تَدْعِيَنّ للحقِّ واصبر على التى   بها كنتُ أقضى للبعيد على أبى[٢]
[فإنى امرؤٌ أخشَى إلهى واتقى   مَعادى وقد جرّبتُ مالم تجربِ

]وقال مَسْلمة بن عبد الملك :

إنى إذا الأصواتُ فى القوم علَتْ   فى مَوْطِنٍ يَخشَى به القومُ العَنَتْ
مُوَطِّنٌ نفسى على ما خَيَّلَتْ[٣]   بالصَّبر حتَّى تنجلى عمَّا انجلَتْ

وقال الكميت :

وبيض رِقاقٍ خفاف المُتُونِ   تسمعُ للبَيْضِ منها صريراً[٤]
تُشَبَّهُ فى الهامِ آثارُها   مَشافِرَ قَرْحَى أكلْن البَرِيرا[٤]

وأنشدنى أبو عبيدة :

نُصْبِحُها قيساً بلا استبقائها   صفائحاً فيها فضولُ مائها
من كلِّ عَضْبٍ عَلّ من دِمائها   إذا علا البيضةَ فى استوائها
رونقُه أوقَدَ فى حِرْبائها[٦]   ناراً وقد أغضَن من ورائها

وأنشدنى لرُجل من طيِّئ :

لم أرَ فتيانَ صباحٍ أصبَرَا[٧]   منهم إذا كان الرماحُ كِسَرا[٨]

---

(١) الحدب : خروج الظهر ودخول البطن والصدر . وفعله من باب فرح . والقعس : نقيضه ، وهو خروج الصدر ودخول الظهر ، وفعله من باب فرح أيضاً .
(٢) فى الأغانى : « ولا تدعنى للجور » .
(٣) على ما خيلت : أى على كل حال . خيلت : شبهت .
(٥) البيض ، بالكسر : السيوف . والبيض ، بالفتح : جمع بيضة السلاح .
(٥) سبق البيت وشرحه فى (٢ : ٢١٠) .
(٦) رونق السيف : ماؤه وصفاؤه وحسنه . وحرباء البيضة : ظهرها . وفى اللسان : « والحرباء : الظهر » وفيه : « الحرباء مسمار الدرع » .
(٧) فتيان الصباح : الذين يصبحون العدو ، يغيرون عليهم صبحاً .
(٨) الكسر : جمع كسرة ، بالكسر ، وهى القطعة المكسورة من الشىء .

سُفْعَ الخدودِ دُرَّعًا وحُسَّرا[(١)] لايشتهونَ الأَجـلَ المؤخَّرا

وقال ابن مفرِّغ :

قُبُّ البطون والهوادى قُودُ[(٢)] إنْ حادتِ الأبطالُ لاتحيـدُ

إذا رجعناهُنَّ قالت عودُوا كأنمـا يَطلبن ما نُريد

ومن المجهولات :

عليك سـلامُ الله من مَنزلٍ قَفْرِ فقد هِجْتَلى شوقاً قديماً وما تدرِى

عهدتك من شهر جديداً ولم أخَلْ

صُروفَ النّوَى تبـلى مغانيك فى شهر

الخُرَيمىُّ أبو يعقوب :

لعمركَ ما أخلقتُ وجهاً بذلتُه إليـك ولا عرَّضْتُهُ للمعاير

أى لا أعيِّرُ لقصدك .

فتًى وفَرتْ أيدى المحامدِ عرضَه عليـه وخلَّتْ مالَه غير وافر

وقال مطيعُ بنُ إياس :

قـد كلفتنى طويلة العُنُقِ وحُبُّ طولِ الأعناقِ من خُلُقِى

أقلقُ من بُعدها فإنْ قربت فالقربُ أيضًا يزيدُ فى قلقى

وقال سهلُ بنُ هارون :

إذا امرؤٌ ضاق عنِّى لم يضِق خُلُقى من أن يرانى غنيًّا عنه باليأسِ[(٣)]

---

(١) درع : جمع دارع وهو لابس الدرع . والحسر : جمع حاسر ، وهو الذى لا درع عليه ولا بيضة على رأسه . وفى حديث فتح مكة ، أن أبا عبيدة كان يوم الفتح على الحسر . وهم الذين لا دروع لهم .

(٢) قب : جمع قباء ، وهى الضامرة البطن مع دقة فى الخصر . والهوادى : الأعناق . قود : جمع قوداء ، وهى الطويلة .

(٣) الياس : اليأس ، بتسهيل الهمزة .

ولا يراني إذا لم يَرْعَ آصرتي مُسْتَمرِيًا دِرَرًا منه بإبساسِ[1]
لا أطلبُ المالَ كي أغنَى بفضلته ما كان مطلبُهُ فقرًا إلى الناسِ[2]

وقال ليحيى بن خالد :

عدوّ تلادِ المال فيما ينوبه منوعٌ إذا ما منعُهُ كان أحزَما
فسيّانِ حالاه ، له فضل منعِهِ كما يستحقُّ الفضلَ إن هو أنعَمَا
مذلَّلُ نفس قد أبتْ غيرَ أن ترى مَكارِهَ ما تأتي من الحقِّ مَغْنَمَا !

وقال أبو الأسود لزياد :

لعمرك ما حشاكَ اللهُ رُوحا به جشَعٌ ولا نفسًا شريره[3]
ولكن أنتَ لا شَرِسٌ غليظٌ ولا هَشٌّ تنازِعُهُ خُؤُوره[4]
كأنا إذْ أتيناهُ نزلنا بجانبِ روضــة رَيًّا مَطيره

تمّ المصحف الخامس بحمد الله وعونه ، يتلوه المصحف السادس من كتاب الحيوان[5] .

---

(١) الآصرة : ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف . الاستمراء : الاستخراج والاستدرار ، والمعروف المرى والامتراء . الدرر : جمع درة بالكسر ، وأصلها في الأمطار أن يتبع بعضها بعضاً . والإبساس : صويت الراعي تسكن به الناقة عند الحلب .

(٢) في البخلاء ١٥٣ : « كي أغنى » ولكل منهما وجه .

(٣) الروح : النفس ، يذكر ويؤنث . فيما عدا ل : « نفسا بها » .

(٤) الذي في المعاجم : « الخؤورة » بطرح الهاء ، وهو الخور والضعف . لكن جاء في شعر جرير (انظر اللسان ٢٠ : ٢٤٧) :

وجاشع قصب جوف أجوافه لو ينفخون من الخؤورة طاروا

(٥) هذه هي عبارة س . وفي ط : « تم الجزء الخامس من كتاب الحيوان ويليه الجزء السادس ، أوله باب » وليس في ل ، ه عبارة فاصلة بين هذا الجزء والذي يليه .

فهـــارس

الجزء الخامس من كتاب الحيوان

١ — ابواب الكتاب

صفحة

٢ – مايتعلق من الأبحاث بالحيوان

ا

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ن

هـ

ى

٣ — ما يتعلق من الأبحاث بالأعلام

ا

ب

ث

ح

خ

د

ز

م

ن

٤ — مايتعلق من الأبحاث بالمعارف

ا

ب

ت

ث

ح

خ

د

ذ

ر

س

ش

ل

٥ — ما ترجم من الأعلام فى الشرح

غ

ف

٦ — مراجع الشرح والتحقيق

يضاف إلى المراجع المثبتة فى الأجزاء السابقة :

الكتاب	المؤلف	المطبعة	التاريخ	البلد
إتحاف فضلاء البشر	أحمد بن محمد الدمياطى	عبد الحميد حنفى	١٣٥٩ ﻫ	مصر
أخبار مكة	الأزرق	الماجدية	١٣٥٢ ﻫ	مكة
الأزمنة والأمكنة	المرزوق	دائرة المعارف	١٣٣٢ ﻫ	حيدر أباد
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين	الرازى	لجنة التأليف	١٣٥٦ ﻫ	مصر
الأنساب	السمعانى	بريل	١٩١٢ م	ليدن
الإنصاف	الأنبارى	بريل	١٩١٣ م	»
البحر المحيط	أبو حيّان	السعادة	١٣٢٨ ﻫ	مصر
بدائع البدائه	ابن ظافر الأزدى	بولاق	١٢٧٨ ﻫ	»
تهذيب الألفاظ	ابن السِّكِّيت	الكاثوليكية	١٨٩٥ م	بيروت
جمع الفوائد	محمد بن محمد بن سليمان	الخيرية	١٣٤٥ ﻫ	ميرته الهند
الجمهرة	ابن دريد	دائرة المعارف	١٣٥١ ﻫ	حيدر أباد
جَنَى الجنتين	المحبِّى	الترقى	١٣٤٨ ﻫ	دمشق
الخصائص	ابن جنّى	الهلال	١٣٣١	مصر
دائرة المعارف الإسلامية(١)	(النسخة المعرّبة)	الاعتماد	من ١٣٥٢ ﻫ	»
ديوان قيس بن الخطيم	—	—	١٩١٤ م	ليبسك
ديوان أبى محجن	رواية السكرى	الأزهار	—	مصر
رسالة الغفران	المعرّى	هندية	١٩٠٧ م	»
رسائل إخوان الصّفاء	—	العربية	١٣٤٧ ﻫ	»
الزهرة	الأصفهانى	الآباء اليسوعيين	١٣٥١ ﻫ	بيروت

(١) وضعها جماعة من المستشرقين ونقلها إلى العربية لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية .

الكتاب	المؤلف	المطبعة	التاريخ	البلد
السنن الكبرى	البيهقى	دائرة المعارف	١٣٥٥ هـ	حيدر أباد
سنن النسائى	النسائى	الميمنيّة	١٣١٢ هـ	مصر
شرح مقامات الحريرى	الشريشى	بولاق	١٣٠٠ هـ	»
شفاء الغرام	الفاسى	—	١٨٦١ م	ليبسك
شمس العلوم	نشوان الحميرى	بريل	١٩١٦ م	ليدن
صحيح البخارى	البخارى	بولاق	١٣١٠ هـ	مصر
صحيح مسلم	مسلم	»	١٢٩٠ هـ	»
الغريب المصنف	أبو عمرو الشيبانى	مخطوطة دار الكتب	—	—
الفائق	الزمخشرى	دائرة المعارف	١٣١٤ هـ	حيدر أباد
الفصول والغايات	المعرى	حجازى	١٣٥٦ هـ	مصر
القراءات الشاذة	ابن خالويه	الرحمانية	١٩٣٤ م	»
الكنز اللغوي (١)	الدكتور أوغست	الكاثوليكية	١٩٠٣ م	بيروت
اللآلى	البكرى	لجنة التأليف	١٣٥٤ هـ	مصر
مجلة الثقافة	—	—	—	»
مجلة المشرق	—	—	—	بيروت
مجمع الزوائد	الهيثمى	مكتبة القدسى	١٣٥٣ هـ	مصر
مجموعة المعانى	(لم يعلم)	الجوائب	١٣٠١ هـ	قسطنطينية
المداخل	غلام ثعلب	(مخطوط)	—	—
مسند أحمد	أحمد بن حنبل	الميمنية	١٣١٣ هـ	مصر
مشارق الأنوار	القاضى عياض	المولوية	١٣٢٩ هـ	فاس
معجم شرف	الدكتور محمد شرف	الأميرية	١٩٢٩ هـ	مصر

(١) نشره الدكتور أوغست هفنر Dr. August Haffner ويشمل كتاب القلب والإبدال لابن السكيت ، والإبل وخلق الإنسان له أيضاً .

الكتاب	المؤلف	المطبعة	التاريخ	البلد
المعرب	الجواليق	دار الكتب	١٣٦١ هـ	مصر
مفتاح كنوز السنة[١]	ا . ى . فنسنك	مصر	١٣٥٣ هـ	»
المفضليات	الضبي	المعارف	١٣٦٢ هـ	»
المواقف	الإيجى	العلوم	١٣٥٧ هـ	»
نظام الغريب	الربعى	هندية	—	»
الهاشميات	الكميت	بريل	١٩٠٤ م	ليدن
الولاة والقضاة	الكندى	الآباء اليسوعيين	١٩٠٨ م	بيروت

(١) نقله إلى العربية الأستاذ الجليل محمد فؤاد عبد الباقي .

تذييل واستدراك

صفحة	سطر	
٢٠	١٢	« واشتدت منها » كذا في الأصل . والوجه « واستمدت منها » يؤيد هذا التصحيح قول الجاحظ في ص ٢١ س ٣ : « وأمده ببعض أجزائه » .
٤٦	١٠	« الخبز » كذا في الأصل . وصوابه « الخِبْز » وجاء في ص ٥٦ س ٥ : « فاللبن والخبر يتفاسدان » .
٧٧	١٠	« الحصيف » صوابه « الخصيف » بالخاء المعجمة ، وفي اللسان (١٠ : ٣٤٧) « ورماد خصيف : فيه سواد وبياض » . وانظر ما في ٣٧٠ س ١ .
٨٤	٢٤ ش	من أقدم النصوص العربية التي ورد فيها ذكر « البركان » قول المسعودي في التنبيه والإشراف ٥٢ س ٢١ : « وجزيرة صقلية وما يليها من جبل البركان ، وهو منه تخرج عين النار التي تعرف بأطمة صقلية » .
١٣٣	٤ ش	« بأطرافها » صوابه : « بأطرافها » .
٢٣٠	٦	« نَدبة » . يقال « نُدْبة » و « نَدْبة » بضم النون وفتحها ، كما في القاموس . وانظر الخزانة (٤ : ٢٧٢ بولاق) .
٢٣٤	٩ ش	« نورله » . في اللسان (٧ : ١٠٤) : « هو ينور عليه أي يخيل . وليس بعربي صحيح . الأزهري : فلان ينور على فلان إذا شبه عليه أمراً . قال : وليست هذه الكلمة عربية . وأصلها أن امرأة كانت تسمى نورة ، وكانت ساحرة ، فقيل لمن فعل فعلها قد نور فهو منور » .
٢٥٢	١١-١٣ ش	هذا ما بدا لي في تحقيق هاتين الكلمتين . وكتب إلي حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس ماري الكرملي : « صوابها كنك كنك ، ولال لال . وكلتاهما بمعنى الأبكم . أي أن هذه الدويبات صم بكم لا تسمع ولا تتكلم لحسن طعمها ، فطعمها شاهد على لذة ما فيه ، فهي في غنى عن الكلام على نفسها . والكلمتان فارسيتان . وأهل عمان وخليج فارس يدخلون ألفاظا فارسية كثيرة في كلامهم إلى عهدنا هذا ، ويدخلون تلك الكلم في جميع مرافق حياتهم » .

صفحة	سطر	
٦٤	١٢	« فى النادىّ » لعلها : « فى البادين » جمع بادٍ مقابل الحاضر . وجاء فى (٦ : ٢١) : « تكفى الوليدة والرُّعيان » فى نسخة كوبريلى .
٢٨٦	٢ ش	« بؤس الناس » هى بضم الباء وتشديد الهمزة المفتوحة : جمع بائس . انظر شرح شواهد الشافية للبغدادى ص ٤٨٩ .
٣١٨	١	« سنانير الجيران » كتب إلىّ حضرة العلامة الجليل الأب أنستاس مارى الكرملىّ : « هذا أمر مشهور لاينكر ، فقد كان فى بيتنا فى سنة ١٨٧٨ هرٌّ كثيف الشعر ، سمّيناه « مرجان » ، وكنا عوّدناه ألا يأكل من إناء أيا كان ، بل من الأرض فقط ، فكنا نشترى له طحال الغنم فيأكله لأنه حريص عليه ، ونضعه فى وعاء أو قدر بين يديه ، فإذا حاول أخذه ضربناه ضرباً موجعا . ولما كنا نضعه على الأرض كنا نشجعه على أكله . وبعد ممارسات عدة اعتاد الأمر . وكان يمنع جميع الهررة أصدقائه من الدنوّ من لحوم البيت أو طعامه . وكثيراً ما كان يجرى حرب شديدة بينه و بين أصحابه ، حتى إننا كنا نرى اللحم فى الأوعية ، ونذهب خارج البيت ، تاركين تلك الآنية بلا غطاء عمداً ، معتمدين عَلَى حمايته لها ، فما كان أحد من السنانير يجسر من الدنو منه ؛ لأن « مرجاناً » كان هناك رقيبها الأمين ، وكان بمنزلة « شرشير » فى جهنم . وكان قد اعتاد هرنا هذا أن يتردّد إلى بيوت الجيران ، فإذا رأى فى أحدها فراخ هرة أخذ منها كل يوم فرخا ، وأتى به عَلَى سطح دارنا وأكله ، ورأيت ذلك ثلاثة أيام متواليات ، ثم تركت مراقبته . وفى شهر شباط

صفحة سطر

(فبراير) من هذه السنة أى سنة ١٩٤٢ — رأيت فى دورنا هراً كبيراً ، كان يأتى بفرخ هرة جيراننا ، ويأكله لا على سطح دارنا ، بل على سطح الدار التى يجد فيها الفراخ . ولهذا قالت العرب — على ما يدولى — هو أبر من هرة ، لأنهم ينسبون إلى الهرة لا إلى الهر أكل الفراخ . مع أن الحقيقة التى لا ريب فيها هى أن السنور هو الأثيم . وهذا الأمر معروف فى ديار العراق كلها ، ولا يجهله أحد . أما السبب فلا يعلم إلى الآن . والسلف يقول : إن القط تفعل ذلك براً بأولادها . إذن هذا معنى قول الجاحظ : وذكورة سنانير الجيران تأكل أولاد الهرة » .

٣١٩ ٦ البيت نسبه الجاحظ أيضا فى (٦ : ٩٧) إلى الفرزدق .

٣٢٥ ٢ « سوراسنب » . كتب إلىَّ حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس مارى الكرملىّ : « الصواب : وإلى إقامة سور لسُنْب . وهما كلمتان فارسيتان معناهما عيد (= سُور) الخَفَض (= السُّنْب) . وذلك أن نساء المجوس — ويسمى المجوس اليوم فى الهند : پارسِى Parsis — يقمن حفلة أو عيداً فى يوم تطهير المرأة . وفى يوم آخر يُكرَم صاحب الحائض فى أول يوم من حدوث الطمث لابنته البالغ ؛ لأنه أصبح أباً مستعداً لزيادة البشر . ولهذا ترى المرأة معززة ومكرمة غاية الإكرام عند أهل هذه النحلة » .

٣٢٩ ١٣ جاء مثل هذا المعنى فى قول القائل (انظر اللسان ١٧ : ٢٣٧):

خليل عوجا من صدور الكوادن إلى قصعة فيها عيون الضياون

قال : شبه الثريدة الزريقاء بعيون السنانير، لما فيها من الزيت .

٣٣١ ١١ ش وانظر أيضا الحيوان (٣ : ١٧٤ — ١٧٥) .

صفحة	سطر	
٣٣٩	٤	كانت التجارة فى السنانير من المألوف عندهم ، ولكنها كانت تجارة مستهجنة ، وفى البيان (١ : ٢١٩) : « قال أبو إسحاق : بل كذبت ، إنما هو كقول القائل حين سأله بعض من أراد تزويج حرمه عن رجل ، فقال : هو يبيع الدواب ! فلما نظروا فى أمره وجدوه يبيع السنانير ، فلما سئل عن ذلك قال : ما كذبت ، لأن السنور دابة » . وفى الأغانى (١٢ : ١٥٥) : حدثنا أحمد بن يحيى ، قال : آخر ما فارقت محمد بن حازم أنه قال : لم يبق شىء من اللذات إلا بيع السنانير » . وانظر بقية الخبر فيه .
٣٦٠		صحة هذه العبارة : وسنذكر عقارب الشتاء ، وهى عقارب الحيران » والحيران : جمع حوار ، بالضم ويكسر ، وهو ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه . ففى القاموس : « وعقرب الحيران عقرب الشتاء ، لأنها تضر بالحوار » .
٣٦٣	٥	انظر العقارب الطيارة الحيوان (٢ : ٢٣٧ / ٥ : ٤١٣ / ٧ : ١٦)
٣٧٥	١	(كان له غلام بمصر) كذا فى الأصل ، وهو هنا ل فقط . وأراها : « كان له غلام تَبَثَّر » . تبثَّر : ظهرت فيه البثور ، وهى مثل الجدرى يظهر على الوجه وغيره من بدن الإنسان . وانظر هذا الجزء ص ٤١٥ س ٤ .
٣٩٠	٩ ل	أضف إلى ذلك ما ورد فى الكامل ٤٣٠ ليبسك : « وكان أبو الشمقمق ربما لحن ، ويهزل كثيرا ، ويجد فيكثر صوابه »
٣٩٢	١٣	وكذلك ٣٩٨ س٢ . كتب إلى حضرة العلامة الجليل الأب

صفحة سطر

أنستاس مارى الكرملى ، تعليقا فيما جاء فيه : «قلت : صواب الرواية : (دَذْ) أو (دَذَه) بدالين مهملتين ، ثم بدالين مهملتين بلى الأخيرة هاء محضة ساكنة ، كلتان فارسيتان ، معناهما الأول الحيوان المفترس أو الضارى ، أو الوحش المؤذى، ثم أطلق على دودة أو قملة تضر الإنسان ضرراً عظيما أعظم من ضرر الوحش له . وقد ذكرها الأقدمون بأسماء مختلفة منها هذا الاسم الفارسى بلغتيه . ومنهم من عربها بصورة (دَذَه) وهى الواردة فى كتب الفصحاء . وذكرها ابن سينا فى القانون المطبوع فى رومة (٢ : ١٤٨) : فصل فى قملة النسر المسماة دذه بالفارسية ، وصلوكى باليونانية ، وطنانوس بالهندية . وهذه هامة كالقملة أو كأصغر الديدان . قال جالينوس : هى صغيرة لا يتوقى منها . وتكاد لا تُبْصر لصغرها وهى مما تفجر الدم بولا ورعافا ، ومن المقعدة ، ومن المعدة بالقىء ، ومن الصدر والرئة ، ومن أصول الأسنان . وربما عظم الخطب فيها فلم تقبل الدواء . وقال ياقوت الحموى ، فى معجم الأدباء ، فى ترجمة على بن منصور الحلبى (٥ : ٤٢٧ من طبعة مرجليوث) : واتفق أن الطبيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شَقْفَة ، وهى التى تسمى التراقى ، ويقال لها قملة النسر أيضا، فمات منها . اهـ . وفى حياة الحيوان (٢:٢٩٩ بولاق): وأما قملة النسر فهى التى تكون فى بلاد الجبل ، وتسمى بالفارسية دره (كذا والصواب ددة أو دذه) وهى إذا عضت قتلت ، وهى أعظم من القملة ، وإنما سميت قملة النسر لأنها تخرج منه . قلنا : وهذا خطأ أيضا . والصواب أنها

صفحة	سطر	
		سميت قلة النسر لأنها تفتك بالناس فتك النسر بالطير والهوبيات ، إذ لا يفلت من منسريه شيء البتة . أما أنها في النسر فليست فيه إلا شذوذا أو يكاد »
٤٠٢	٩	فاتنى أن أنبه إلى أن العبارة قبل : «وأطردها» بحذف الواو .
٤٥٨	٥ ش	يضاف إلى جلا التحقيق ما جاء في الحيوان (٦ : ١٢٦ ساسي) من قول الجاحظ : « فالشترية فإنما هو أحسن الناس خبزاً والخبيم طيناً » .
٤٦٧	١٧ ش	الزواج النهارى ، يفهم من لفظه أن كلا من الزوجين لا يلقى صاحبه إلا على نهار ، ويفرغ كل منهما في الليل لما هو بسبيله . وجاء في الهفوات ١٠٤ في قصة تمام بن جعفر : « وقالت له امرأة : ويحك يا أبا القاسم . إني قد تزوجت زوجا نهاريا ، والساعة وقته ، ولست أملك هيئة ، فاشتر لي بهذا الرغيف آسا ، وبهذا الفلس دهنا ، فإنك تؤجر . فعسى الله أن يلقي محبتي في قلبه ، فيرزقني على يديك شيئا أعيش به » .
٤٧٧	٨ ش	كتب إلى حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس ماري الكرملي : صوابها الباشورك ، براء مهملة لا بالزاي . وهذه من خطأ الناسخ . والباشورك لغة في البازركان . والكلمة فارسية . ويراد به المشط في السوم والبيع والعراقيون يسمونه اليوم المغلوني ، زنة القلقلاني . ويقول بعضهم المغلواني — أي بضم الميم والغين وإسكان اللام . ويسمى بالفرنسية Ecorcheur وبالإنكليزية : Fleecer وأما العرب الفصحاء فكانوا يسمونه في صدر الإسلام : الرغال . قال الأخطل في ص ١٦١ من ديوانه :

فوضعت خير ضبيطه أثقاله بحباء لا حصر ولا رغال

قال شارحه : الحصر البخيل . والرغال هاهنا البياع الذي يبالغ في الثمن . وجعل الزاي صاداً من لغة بعضهم في قديم الزمان . وقد أشار إلى ذلك صاحب التاج في مادة (ش ر ض) .

ثم إن بعض فقهاء اللغتين الفارسية والعربية يرون أن الألف والنون الكامنتين لبعض الكلم الفارسية كما في البازركان ، هي بمنزلة ياء النسب في الآخر عند العرب ولهذا عربوها بقولهم بازرك . وهكذا عرفنا معناها . والأفصح أن يقال الرغال ، أو البازركان ، أو البازرك . وأما (الباشرك) فقبيح . هذا ما بدا لنا وعلمه فوق كل ذي علم » .

منشية البكري غرة المحرم سنة ١٣٦٢ هـ

كتبه

عبد السلام محمد هارون

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٣٩٩٨/٢٠٠٤

I.S.B.N. 977- 01 - 9188 - 4

مهرجان القراءة للجميع



مكتبة الأسرة

هذا العام نحتفل ببلوغ مكتبة الأسرة عامها العاشر وقد أضاءت بنور المعرفة جنبات البيت المصرى بأكثر من ٨٠مليون نسخة كتاب من أمهات الكتب فى فروع المعرفة الإنسانية المختلفة.. ومنذ عشرة سنوات تفتحت عيون أطفال كانوا فى العاشرة من عمرهم على إصدارات مكتبة الأسرة وكانت زادهم المعرفى عبر السنوات العشرة الماضية لتلهب فى تلك العقول الشابة الآن نهم المعرفة من خلال القراءة وكنا ندرك منذ البداية أن المعرفة هى سلاحنا الأمضى لتأخذ مصر مكانتها فى ذلك العالم الجديد الذى تتفوق فيه المعرفة على القوة والمال لأنها تحمل الإنسان إلى آفاق لا حدود لها فى عالم متغير شعاره ثورة المعلومات وسرعة [illegible] كل وسائل الإتصال ولم يكن منطقيا أن نقف مكتوفى الأيدى. فكانت مكتبة الأسرة بكل م[illegible] أساسية نستقبل بها ذلك العصر الجديد. عصر المعرفة وإنا لنتطلع فى الأعوام القادمة أ[illegible] الأسرة ثمارها اليانعة وتساهم فى التغير المعرفى والتكنولوجى لمعطيات العصر لتفسح الم[illegible] يشارك بدور فاعل فى تقدم البشرية الجديد لنكون امتدادا حضاريا معاصرا للحضارة المص[illegible] التى كانت أهم وأقدم الحضارات الإنسانية عبر التاريخ.

سوزان مبارك

Bibliotheca Alexandrina
09339491

مهرجان القراءة للجميع
للطفل - للشباب - للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة

السعر ٢٠٠ قرشاً